خزانة الأدب

وغاية الأرب

في شرح

شذور الذهب

ويليه

ذيل خزانة الأدب

تأليف

محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

المتوفى ١١١١هـ

علق عليه ووضع حواشيه

أحمد عناية

المجلد الأول

١ - ٢

محاسن شعراء دمشق ونواحيها

نوادر ادباء حلب

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

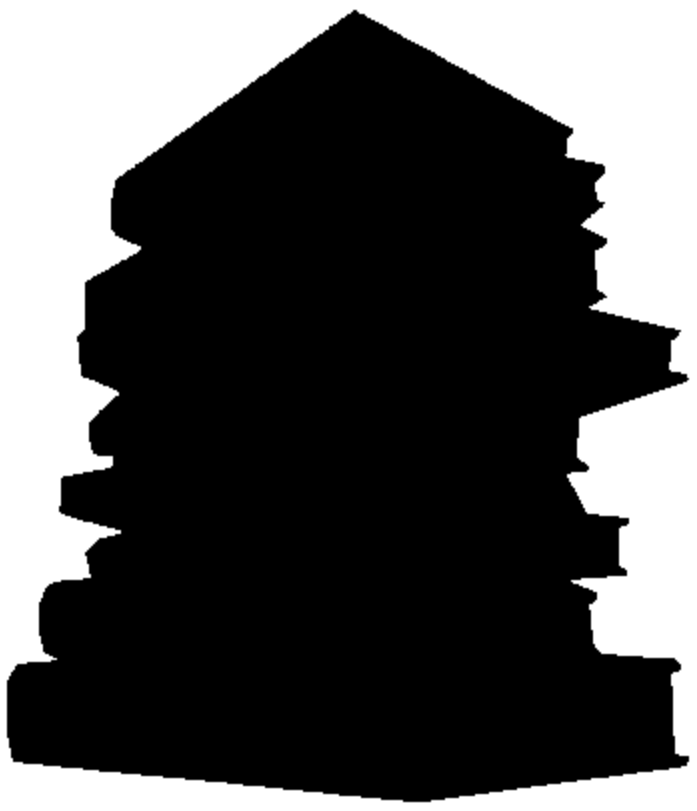

Marfat.com

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon
No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban
Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciares.

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف. شارع البحتري. بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦١١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون. القبة. مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة

NAFḤATUR-RAYḤĀNAH
WA RAŠḤATU ṬILAʾ IL-ḤĀNAH

المؤلف: محمد أمين بن فضل الله المحبّي

المحقق: أحمد عناية

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 1792

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

Marfat.com
Marfat.com

نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

وفي آخره

ذيل نفحة الريحانة

كلاهما تأليف

محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

المتوفى ١١١١ هـ

علق عليه ووضع حواشيه

أحمد عناية

١ - ٢

محتويات الجزء الأول :

الباب الأول

في محاسن شعراء دمشق ونواحيها

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

Marfat.com

Marfat.com

132190

Marfat.com
Marfat.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين بن داود المحبي، الحموي الأصل، الدمشقي المولد والدار، الحنفي، وصفه كل من الزركلي وكحالة بقولهم: «مؤرخ، باحث، أديبٌ، شاعر، لغوي، عني كثيراً بتراجِم أهل عصره».

ولد بدمشق سنة (١٠٦١ هـ)، (١٦٥١م). ونشأ بها في كنف والده، واشتغل بطلب العلم، فقرأ على العلامة الشيخ إبراهيم الفتال، والشيخ رمضان العطيفي، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ علاء الدين الحصكفي مفتي دمشق، والشيخ عبد القادر العمري بن عبد الهادي، والشيخ نجم الدين الفرضي، وأخذ بعض العلوم عن الشيخ محمود البصري الصالحي الدمشقي، وأخذ عن الشيخ عبد الحي العسكري الدمشقي، وأجاز له الشيخ يحيى الشاوي، والشيخ محمد بن سليمان المغربي، وأخذ بالحرمين عن جماعة من علمائهم منهم: الشيخ حسن العجيمي المكي، والشيخ أحمد النخلي المكي، والشيخ إبراهيم الخياري المدني، وغيرهم.

مهر وبرع وتفوق في فنون العلم، وفاق في صناعة الإنشاء البليغ، ونظم الشعر، وظهر فضله، وكان يكتب الخط الحسن العجيب.

ألف مؤلفات حسنة بعد أن جاوز العشرين، منها:

١- الذيل على ريحانة الشهاب الخفاجي، سماه نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، وهو كتابنا.

٢- التاريخ لأهل القرن الحادي عشر، وسماه خلاصة الأثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر، وترجم فيه زهاء ستة آلاف وهو مشهور، ومطبوع.

٣- قصد السبيل فيما في لغة العرب من الدخيل، وهو مطبوع.

٤- الدّر المرصوف في الصفة والموصوف.

٥- حاشية على القاموس سماها بالناموس، وصادفته المنية قبل أن تكتمل.

٦- ديوان شعر.

وغيرها كثير.

Marfat.com
Marfat.com

رحل للروم وللديار الحجازية، وناب القضاء بمكة، ورحل للديار المصرية، وناب في القضاء بمصر، وحج بيت الله الحرام، وولي تدريس المدرسة الأمينية بدمشق، وبقيت عليه إلى وفاته.

وصفه المرادي بقوله: «العلامة، الأديب، فريد العصر، المؤرخ الذي بهر العقول بإنشائه البديع، الذي ذلّ له البديع، الفاضل الذكي، الشاعر الماهر، الفائق الحاذق، أعجوبة الزمان».

من شعره:

ألا في سبيل الله نفس وقفتها ... علي محن الأشجان في طاعة الحب
أعاني جوًى من ذي ولوع بكيده ... إذا لم يمت بالصدِّ يقتل بالعجب
تخيرته من ألطف الغيد خلقة ... تكَّون بين الراح والمبسم العذب
أبى القلب إلا أن يكون بحبه ... وحيداً على رغم النصيحة والعتب
فلو فوّقت لهم المنون جفونه ... لقلب سوى قلبي تمنيته قلبي

توفي في دمشق في ١٨ من جمادة الأولى (١١١١هـ)، (١٦٩٩م)[1].

(١) انظر مراجع ترجمته في: سلك الدرر للمرادي ٤/٦، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ٩/٧٨، والأعلام للزركلي ٦/٤١ .

Marfat.com
Marfat.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنزِّه الله وأسبِّحه وأسأله التوفيقَ وأستَمْنِحه.

حامداً له تعالى بأَسْمائه، على جلائل آلائِه ودقائقِ نَعْمائه.

حمداً تَتعطر مَجاري الأنفاسِ بنفْحةٍ من نَفَحاتِه، وتتدفَّق بِحارُ الأفكار برَشْحَةٍ من رَشَحاتِه.

وأصِلُ ذلك - ما دمتُ أنطِق بكلام - بِصِلاتِ صَلاةٍ وأتمّ سلام، على مَن أبْدَع مُنْشِئُ الوجودِ إنْشَاءَه على أحْسن فِطْرةٍ وأجْملِها، ونَظم به عِقْدَ الدِّين بعد نَثْرِه فدعا لأتمّ مِلَّةٍ وأكْملِها.

الذي أوتِيَ جوامِع الكَلِمِ، ولم ينطِقْ عن الهوَى، فاقْتفَى أثرَه عصابةٌ ما ضلَّ أحدٌ منهم باتِّباعه ولا غَوَى.

المبعوثِ في زمنٍ هَتَفتْ فيه مصاقِعُ[1] العرَب على منابِر البلاغة، وقيَّدتْ شواردَ المعاني في الأسْماعِ بسلاسِل الذَّهب فلم يبْلُغْ أحدٌ بلاغَه.

فأبطل سحرَها المُبين، متمسكاً بحبلِ الله المتين، وجاءها بالعِقد الذي تحلَّى به الزمانُ العاطِل، والحقِّ الذي لا يأتيه من بيْن يديه ولا من خلفِه الباطل.

والرَّوضِ الذي تتفجَّر عيونُ البلاغة عن أصول مَعانيه، وتتدفَّق مِياهُ البراعة عن فُصول مَبانِيه.

ونزَّه أسماعَها في حديقة حُميت بِشَوْكة الإعجاز، فلم تلْمَس وُرودَها أيادِي إيادٍ ولا أنامِل الحِجاز.

فلِلَّه وبالله ذلك المفحِمُ المُعجِز، الذي أعْيَى على الواصِف المُطْنِب والمُوجِز.

لا برِحَتْ الصَّلواتُ النَّامِياتُ في كل أوان، تُحيِّي مَرْقَدَه الشريف ما تعاقَبَ المَلَوان.

ثم أحيِّي آلَه الكرام، وأصحابَه ذوِي الاحترام، بما يُناسِب رُتْبتَهم السَّامية، من هذه التَّحيَّة الزكيَّة النامِية، وعليهم رحمةُ الله وبركاته.

وبعد:

فإني مِن منذ ألْقَيتُ الألواح، وميَّزتُ بين الصَّباح والمِصباح. جعلتُ الأدبَ

---

(١) المصقع: البليغ يتفنن في مذاهب القول. وقالوا: خطيب مصقع: العالي الصوت، أو من لا يرتج عليه في كلامه. انظر: القاموس المحيط مادة (صقع)، والمعجم الوسيط مادة (صقع).

Marfat.com
Marfat.com

لِناظِريَّ مَلْمَحاً، واتَّخذتُه لفكْرِي من بين المعارف مَطْمَحاً. وكنتُ أعُدُّه لصحائف الشَّمائل عُنواناً، وأرتِّب ليْت قَصِيدِه في بدائع المآثِر دِيواناً.

وأشِيم من آفاقِه بَوارِقَ السِّحْرِ، وأشُمُّ من أرْدانِه روائِحَ الشِّحْر.

فأرْتَشِف منه ما هو أشَفُّ من الماء في زُجاجِه، وأشْتَفُّ ما هو ألَذُّ من الرَّحِيق في مِزاجِه.

وأنا من الابْتِهاج به كما الْتَقَى الغَدِيرُ بالزَّهْرة، ومن التَّملِّي به كما تقابلتِ الثُّريَّا بالزُّهَرَة.

فطالَما وردتُ منه ما صفا من الأمْواه، وبَسَطتُ حِجْري لالْتِقاط دُررِه من الأفْواه.

وعكَف طَرْفي في محاريب دفاترِه ورشَفَ يَراعِي ماء الحياة من ظُلُمات محابِرِه.

هذا وغُصْن شبابي غَضٌّ وَرِيق، وتَحايَا مُدامي[1] عَضٌّ وَرِيق.

وأنا أجْري في طَلْق الصِّبا طَلْق الصَّبَا، وأذهب في نَيْل البُغْيَةِ مَذْهَباً مذهباً.

فكم ليلةٍ نادَمتُ فيها الأمانِي، وَوَفى لي في جُنْحِها بالضَّمان زمانِي.

فتناولتُ أحاديثَ كالأرْياقِ، نَظمتُها كالعقود تلُوح من الأزْياق.

وذلك في مَسْقِطِ رَأسِي، ومُشْتَعَل ذُؤابَةِ نبْراسِي.

خِطَّة السُّرور والفرَح، وحِلَّة القِدْح والقَدَح.

ومُنَى الأمانِي، ومَغْنَى الأغَانِي.

وقِبْلة القَبُول، وشَمْلَة الشَّمول.

البلدة الفَيْحاء دِمَشْق، الطيِّبة العَرْف والنَّشْق.

لا زال خَفَّاقُ النَّسيم يلعب بعَذَبات واديها، وهَطَّالُ السحاب يُراوِح دِمْنَتها ويُغادِيها.

وحَيَّا الله أعِزَّاها الذين بهم التَقَيْتُ، ونجومَ أُفْقِها الذين بصُحْبتهم ارْتَقَيْتُ أدِيبهم يَهُزُّ له الأدبُ هِيف مَعاطِفِه، وأرِيبُهم يَمُدُّ به النَّدى بِساطَ عواطِفه.

يَرْمُونَ عند هَدْرِ الشَّقاشِق في حَدَق البَيان، ويُصيبُون بالكَلِم الرَّواشِق غرَضَ التِّبْيان.

ويتنافسُون من السِّحْر في المناظِم، وما يتصرَّفُون فيه إلاَّ على ذائِقةِ الأعاظِم.

من بدائِعَ لو عثرَ عليها سَحَرةُ موسَى لَتابُوا، وروائعَ لو اطَّلعَ عليها المصوِّرون لعدَلُوا عن نَهْجهم وأنابُوا.

وما منهم إلا مَن بطَش فيما انْتحَى بِباع بَسِيط، ولم يَزُل عن موقفِ الصَّواب مِقْدارَ فَسِيط.

---

(١) المدامة: التي أديمت في مكانها حتى سكنت حركتها، أو لأن شربها يدام أياماً دون سائر الأشربة. انظر: فقه اللغة وسر العربية ٢/٤٦٣ . واللسان، مادة (دوم)، وأساس البلاغة، مادة (دوم).

Marfat.com
Marfat.com

وكان بَقِيَ للشِّعر خَصاصَة فاستظهروا على سَدِّها، وأُنشُوطَةٌ اسْتَنهَضُوا هِمَمَهم لشَدِّها.

صَنِيعُهُم صيَّرَ الزَّمانَ من تقْصيرِه في وَجَل، وأظنُّه أطْلعَ الوردَ في خدِّ الربيعِ إشارةً لما عنده من الخَجَل.

فوَسَقْتُ في بحارِهم السَّفائن، واستخرجتُ من محاسنِهم الدَّفائنَ.

واجْتَنيْتُ من ثَمَراتِ خواطِرهم كلَّ يانعٍ مُسْتطاب، وحَشَوْتُ صَدفَةَ أُذُنِي من تلك اللآلِئ الرِّطاب.

وملأتُ السَّمعَ منهم كَلِماً يحسُد القلبُ عليه الأُذُنا

لكنِّي لم أقْضِ من رُؤْيَتهم مَطْمَعاً، حتى غَرَبُوا هُم وشمسُ الفضلِ معاً.

فعايَنْتُ الوجودَ دونُهم كالنَّهار بلا شَمْس، وعايَنْتُ الأمْرَ وَلاَ هُمْ كالرَّاحة بلا خَمْس.

وفَقدتُ بهم الوَطَرَ الذي شايَعْتُه، والأمَلَ الذي على الوفاء والرَّعيِ للذِّمَمِ بايَعْتُه.

فلم ألْبَث حتى كرِهتُ الثَّوَى، وتحرَّكَتْ عزيمتي لِدَاعي النَّوَى.

فأنضَيْتُ لجهة الرُّوم العَزْم، وأدخلتُ على حَرْفِ العِلَّةِ عاملَ الجَزْم.

فِعلَ امرِئٍ جَدَّ جِدُّه، وما رأيُه إلاَّ في مَفْخَرٍ يستجِدُّه.

فإن في الانتِقال تَنْويهاً لخامِلِ الأقْدار، ولَوْلاَه لم يُكْسَ البدرُ حُلَّةَ الأبْدار.

وكَذا الدُّرُّ ضَائِعُ الحُسنِ في البَحْـ ـرِ فإن بَانَ عنه راقَ جَمَالا

ومِياهُ البِحارِ مِلْحٌ فمهْما حَملتْها السَّحَابُ عُدْنَ زُلالا

فدخلتُ أمَّهاتِ بلادِها دورَ الخِلافة، واستقرَّيْتُ آخراً بِقُسْطَنْطِينِيَّتها، لا زالت مَصُونَةً مِن كلِّ آفة.

والدَّولةُ إذ ذاك بالكلمةِ الغالِبة تنْطِق، والدُّنيا تَتَوَشَّح بتلك الحِمايةِ وَتَنْتَطِق.

والأيامُ مُقْسِطة، والأنام مُنْبسِطة.

والزمان كلُّه نَهار، والمنابِتُ طُرّاً أزْهار.

وملِكُ الزَّمان السلطان محمدُ، ختم الله بتأمينِه، مُذ صافحت آفاقَها أسِرَّةُ جَبِينه.

حدَّثَتْ عن الحياةِ الخَضِرةِ جَنَباتُها، واستحال زُمُرُّداً وَزَبَرْجَداً نَباتُها.

والأفئِدةُ بطاعتِه تَدِين، وقد تَهنَّى بمكانِه الدُّنيا والدِّين.

ورأيتُ أستاذيَ الشيخ محمد بن لُطْف الله الذي تَوجَّهتُ بكُلِّيَّتي إليه، وأوْقَفْتُ أملِي مُذ أنا يافِعٌ عليه.

وهو مَقْصِدُ الواصِف والمادِح، ومُلْهِجُ لسانِ النَّاطِق والصَّادِح.

وقد استوفَى من الصَّدارةِ تمامَ العِزَّة، وأوْفَى شَرفهُ على كلِّ الأعِزَّة.

Marfat.com
Marfat.com

وكان للأدب ممن تَلافَى ذَمَاه، وروَى بِبِشْرِه ظَماه.
فأصبَحت حَسَناتُ الدهر به مَوْفُورَة، وسَيِّآتُه بوجودِه مغْفورَة.
ونُفِضتْ لدَيه عَلائِقُ التَّرحال، ورَفْرَفتْ عليه آمالُ الرِّجال.
مِن كلِّ مَن اتَّخذ الأدبَ مَفْخَراً يُرغِم به أنوفَ المُفاخِرين، والثَّناءَ الجميلَ مُدَّخَراً، وهو لِسَانُ صِدْقٍ في الآخرين.
فحَاسَيْتُهم بِحَضْرَتِه كُؤُوسَ مَودَّةٍ أصْفَى من الماء، وتلقَّيْتُ منهم كلَّ نادِرةٍ تفْضحُ نجْمَ السَّماء.
ثمَّ لمَّا قضى الله موتَ الأستاذ، بَرَّد الله حُفْرَتَه، ونوَّرَ بنُور الغُفرانِ غُرَّتَه.
قَضاءً منه سبَق في بَرِيَّتِه، وسوَّى فيه بين آدمَ وَذُرِّيَّتِهِ.
رأيتُ الدَّهرَ قد عانَدَني في الدِّيارِ والأحْباب، وكسَانِي المَشيبَ قبل أن أعْرِفَ مقْدارَ حقِّ الشَّباب.
وقد ولَّتْنِي الثَّلاثون أذْنابَها، وصَبَّتْ عليَّ المصائبُ ذُنابَها.
وغاب هِلالُ الصِّبا في مغارِبِه، وألْقَيْتُ حبلَ الصِّبَا على غارِبِه.
بعد ما كان ذَرْعِي عن هُموم الأثر خالياً، وحالِي ببَرْدِ العيشِ حالِياً.
فرَمَيْتُ الشَّامَ بعَزْمَةِ المُنْتاب، وقد رَضِيتُ من الغنيمةِ بالإياب.
فحلَّيْتُها في عصرٍ ذهبَ رُواؤُه، وفرَغ من المعارف إناؤُه.
وعَضُد الأدبِ هَيْض[1]، وَثَمَدُه بعد هُنَيْئَةٍ غَيْض.
حتى تقلَّصتْ ذُيُولُ ظِلالِه، وبَكَتْ عيونُ المُنَى علىٰ أطْلالِه.
والناسُ إمَّا ساكتٌ ألْفاً، أو ناطِقٌ خَلْفاً.
ولزِمتُ كِسْرَ البيتِ، وسكَنْتُ سكونَ المَيْت.
مُتكفْكِفاً بما في يدِي، ومُستَدْفِعاً ليومِي وغَدِي.
وأنا في الدُّنيا الموصوفةِ بالنَّضارة، من جُملَةِ النَّظَّارَة.
أرْمُقُها يَمْنَةً ويَسْرَة، فلا أرى إلاَّ هَماً وحَسْرَة.
ولا أرَانِي إلاَّ كاسِفاً مُعَنًّى، وكأنَّني لفظٌ بلا مَعْنىً.
فرمانُ فَرَجِي أقصرُ من التِفاتِ الحبِيب، وتلفُّتِي للسَّرَّاءِ تَلفُّتُ المريضِ للطَّبِيب.
في أوقاتٍ أثْقلُ من الحديث المُعاد، وأطولُ من عُمْر الانْتِظار لوقْت المِيعاد.
ولا سَمِير لي أوَانِسُهُ، ولا جليس عندي أُجانِسُه.
سِوى أوْراقٍ مَزَّقَتْها الرِّيح، وفرَّقتْ شَمْلَها التَّباريح.
التَقَطْتُها كلَّ واحدةٍ من بُقْعَة، وجمعْتُها مِن كلِّ رَقِّ رُقعَة.

---

(١) من المجاز، هاضه الكرى، وبه هيضة الكرى: تكسيره وتفتيره. وتماثل المريض فهاضه كذا: نكسه. ا.هـ انظر أساس البلاغة، مادة (هيض).

Marfat.com
Marfat.com

أكثرُ ما فيها أشعارٌ لأهْلِ العصر، الذين ضاق عن الإحاطة بمفاخرِهم نِطاقُ الحضر.

مِمّن رأيتُه فكانت رُؤيتُه لِعَيْني جَلا، أو سمِعتُ به فكانت أخبارُه لِمَسْمَعي حِلىَ.

وكان كتاب «الريحانة» للشّهاب، الذي أغْنى عن الشمس والقمر، وأطْلَع الكلام ألَذَّ مِن طيب المُدام والسَّمَر.

وناهِيكَ بمَن استخْدمَ الألْفاظَ حتَى قيْل: إنَّها له مِلْك، ونَظَمها في أجْيادِ الطُّروسِ كأنَّها جواهِر لها كل سَطْر من سطورها سِلْك.

لم يَزَلْ من عَهْدِ صِبايَ، قبل نَوْم سَيَّارَةَ شُمُولي وصَبَاي.

أمْنِيَّةَ رجَائي الحائِم، وبُغيَةَ قلبيَ الهائِم.

وشَمَّامَتي التي أشْتمّ، ومَسْلاتِي متى أهْتَمّ.

وزَمْزَمةَ لِساني، وعَقِيلة استِحْسانِي.

حتى أوَدُّ لو كانت أعْضَايَ كلُّها نواظِرَ تُبْصِرُه، بحيث لا تَمَلُّ لَحْظاً، وخواطِرَ تَتَذكَّرُه، على ألاَّ تَسْأمَ حِفْظَاً، ، وألْسِنةً تُكَرِّرُه، بِشَرْطِ ألاَّ تَقْنَع لَفْظاً.

فخطر لي أن أقْدَح في تَذْيِيله زَنْدِي، وآتِيَ في مُحاكاتِه بما اجْتمع من تلكَ الأشعار عندي.

وقَصْدِي بذلك إشغالُ الفِكْرِ، لا الانْضِمام إلى مَن فازَ بأُلي الذِّكْر.

وإلاَّ، فمَن أنا حتّى يُقال، أو إذا عَثَرْتُ عَثْرَةً تُقال.

سِيَّما إذا قُرِنْتُ بمنْ جارَيْتُه في مَيْدان الكلام، أو ضُمِمْتُ إلى مَن بارَيْتُه وأنا لسْتُ له بارِيَ أقْلام.

وإنِّي لو تَطَاوَلْتُ إلى الفَلك، وتَنازلتُ عن المَلَك.

واتَّخَذْتُ الدَّرَارِيَ عُقوداً، وزُهْرَ المَجرَّةِ لفْظاً مَنْقُوداً.

ما بَلغْتُ مكانَه، ولا أمْكِنْتُ مِن البَرَاعة إمْكانَه.

فأقْدمتُ سائِلاً من الله أن يَجْعَله سهلاً، وأنا أسْتَغْفِرُه لِتَطَلُّعِي لما لستُ له أهْلاً.

وسوَّدتُ أغْياناً بيَّضتُ بهم وَجْهَ الطُّروس، وأحْيَيْتُ لهم أبياتَ أشْعارٍ كادت تُشارِف الدُّرُوس.

من كل لفظٍ أرَقّ من نَفْحة الزَّهْر في الرَّوض للنّاشِق، وأحسنَ مَوقِعاً من تَبَسُّم المعشوقِ في وَجْهِ العاشِق.

وأتيتُ فيهم بفصُولٍ تشْهدُ لهم بالتَّفْضِيل، وَتَقْضي بأنَّ كلّ وَصْفٍ فيهم فُضول، بالإجْمال والتَّفصيل.

وإنِّي مُحاسب لقلْبي إذا مال، وللساني إذا قال.

لا أمدحُ إلاَّ مَمْدُوحاً، ولا أقْدَح إلاَّ مَقْدُوحاً.

ولا يَسْتَفِزُّني رَعْدُ كلّ سَحابَة، ولا يَسْتخِفُّني طَنِينُ كلّ ذُبابة.

Marfat.com
Marfat.com

ورقَّمتُ من الكلام المُصَرَّع، والإنشاء السَّلِس المُرصَّع.
ما اسْتَنْبَطْتُه من ذواتِ الصَّدْرِ، وألمعتُ به كالقمرِ ليلةَ البَدْر.
فِقَراً ابْتدعْتُها وسَجَعْتُها، ومعانيَ آدابٍ اخترعْتُها وألْمَعْتُها.
تُطرِّزُها الأقْلام، وتُرْقَمُ بها أزدِيَةُ الكلام.
ولم أُودِع إلا ما حَسُن إيداعُه، ولَطُفَ مَساغُه وإبداعُه.
وأقنَعُ من القَولِ بِطَرْفِه، وأسْتجلبُ منه بدائِعَ طُرَفِه.
إذ لا فَخْرَ لِلاقِط، تَناول كلَّ ساقِط.
ولا فضلَ لمُتخيِّر، هو في لَمِّ شَعَثِ ما يأتي به مُتحيِّر.
فكم من بيتٍ إذا أخَذ الإذْنَ على الأُذُن تتجرَّعُه ولا تكادُ تُسِيغُه، وكم من معنىً إذا حاولَ ناظِمُه لم يَتأتَّ له كيف يصُوغُه.
وكنتُ عَزمْتُ على ألا أُتَرْجِمَ أحداً مِمَّن تَرْجَمه، ثم عَدَلتُ؛ لأنّي رأيتُ ألْسِنَةَ النُّقَّادِ عن زَيْفِ بعضِ تراجِمه مُترجِمة.
فإنَّه وإن نوَّه بِحِزْب، إلا أنَّه قصَّر في الإطْراء بِشعارِهم، وإن أطْنبَ في آخرين؛ إلا أنَّه لم يذكر عُيونَ أشْعارِهم.
على أنَّه - نَوَّر الله مَزارَه، ومَحَى من صَحِيفتِه يومَ العَرْضِ أوْزارَه. أغْفلَ من القومِ حِزْباً نَقايا، وكأنه أومَأ إلى قولِهم: في الزَّوايا خبايا.
فذكرتُ مَن أغْفلَه ذِكْراً شافياً، وأعَدْتُ مِما فوّته قَدْراً كافياً.
ومَن نظرَ بعِين الإنْصاف، واتَّصفَ من المَعْدِلَة بأحْسَنِ الأوْصاف.
علِم بأنّي أتيتُ بما يُرضِي في الجُملة، ولم يُقصِّر كلَّ التَّقصير في الحَمْلة.
فإنَّ مَن أحْسنَ قبلِي وقُبِلَ كلامُه، وقلَّ في مِثْلِ هذا الغَرَضِ مَلامُه، إنّما أحسنَ والدُّنيا شَابَّة، وريحُ القَبولِ هَابَّة.
والأيَّامُ مُساعِفَة، والأوقاتُ مُساعِدة.
والسُّعود قائِمة، والنُّحُوس نائِمة.
وأنا قد وُجِدتُ في زمانٍ هَرِمت فيه البُلْغَة، وفَترت الدَّعوَة، وكسَدت السِّلعة، وبطَلت الصَّنْعة.

وأعظمُ شيءٍ في الوجودِ تمنُّعاً ... نِتاجُ مُرامٍ مِن عقِيمِ زَمانِ

وقد رتَّبتُ الكتابَ على ثمانية أبواب:
الباب الأول: في محاسن شعراءِ دمشق ونواحِيها.
الباب الثاني: في نوادِر أدباء حلب.
الباب الثالث: في نوابغ بُلغاء الرُّوم.
الباب الرابع: في ظرائِف ظُرفاء العِراق والبَحْرَين.

Marfat.com
Marfat.com

الباب الخامس: في لطائف لطفاء اليمن.
الباب السادس: في عَجائب نُبَغاء الحجاز.
الباب السابع: في غرائب نُبَهاء مصر.
الباب الثامن: في تَحائِف أذْكياء المغرب.
وسمَّيتُه: (نَفْحة الرَّيحانة، ورَشْحَة طِلاء الحَانَة).
والله سبحانه مُوفِّقي لما أردْتُه، ومُسدِّدي فيما أورَدْتُه.
ولما شارفتُ في التَّمام، ووقفْتُ في التَّبييْضِ على طرفِ الثُّمام.
نظرتُ فرأيتُ بقِيَ عليَّ من أشعار أهل الحِجاز واليمن حِصَّةٌ يَسِيرَة، كانت عليَّ في التَّحْصيل عَسِيرة.
فحينَ مَنَّ اللهُ عليَّ وله المِنَّةُ، والمِنْحَة التي لا يَشُوبُها كَدَرُ المِحْنَة.
بالحجِّ والمُجاوَرة في بيْته المُحترم، وبسمتْ لي من أهلِه ثُغورُ الفضلِ والكَرَم.
حصَلتُ على ضالَّتِي التي أنْشُد، ووُفِّقتُ إلى مَن يُوصِّلُ إليها ويُرْشِد.
ورأيتُ ثَمَّةَ مِمَّن لم أسْمَعْ بهم قَوماً دَعَوُا الأمَل فلبَّاهُم، وتصرَّفُوا بالأدب وأهلِه من منذ عُقِدتْ عليهم حِباهُم.
من كلِّ إمام شابَ رأسُ المَصابِيح وما رأتْ له عَدِيلاً، وخَطيبٍ تَقوَّسَ ظَهْرُ المَحاريب وما وَجَدَتْ له بَدِيلاً.
وحكيم يبْرأ بهِ الزمانُ من مرضِه، وشاعرٍ يُجْري حياةَ النُّفوس في غَرَضِه.
هم نشَاطُ الدَّهرِ وشبابُه، وخَالِصَةُ المجدِ ولُبابُه.
كأن اللهَ قَد أوْحى إلى البلاغَةِ أن تجريَ بمرادهم، وعهِد إلى البَراعة أن تكونَ ثِنْيَ أَبْرادِهم.
فهبَّت لي منهم أنفاسٌ نَدِيَّة، وتنفَّستْ أسْحارُهم بروائِحَ نَدِيَّة.
فكانت أعْطرَ من نَشْرِ الخُزَامَى[1]، وأرقَّ من أنفاسِ النُّعامَى.
فتناولتُ من أشعارهم ما نَمْقْتُه وَشْياً مُذهَّباً بذِكْرِهم، وفتْقْتُه مِسْكاً أذْفَراً بشُكرِهم.
وراسَلوني بكل حسَنة تسْتَدْعِي عَشْرَ أمثالِها، فقابلْتُهم كأنني المِرآة ألقى كلَّ صُورةٍ بمِثالِها.
وأنا وربِّ الكَعْبَة أُحِبُّهم دِيناً وجِبِلَّةً، وأتَّخِذهُم حَرَماً لأمانِيَّ وقِبْلة.
وأشكرُهم شُكْرَ الرَّوضِ للسَّما، وأُثْنِي عليهم من الأرض إلى السَّما.
ولمَّا برَزَتْ الإرادة الإلهيَّة بمُفارَقتِي البيتَ والمَقام، وبُعدِي عن ذلكَ المحلّ الذي خيَّم الرِّضا فيه وأقام.

---

(١) الخزامى: نبت، أو خيري البرّ، زهره أطيب الأزهار نفحة، والتبخير به يذهب كل رائحة منتنة. انظر القاموس المحيط، مادة /خزم/.

Marfat.com
Marfat.com

عَزَمتُ على الرِّحلة إلى القاهرة، لأسْبُر ذلك الجَمْع، وأُطابِق ما بيْنَ العَيان والسَّمع. فمَنَعني حكمُ القضَا، الذي لا يُقابَلُ إلاَّ بالرِّضا.

فوجَّهتُ وَجهِيَ نحوَ بِلادي، ونَزَعتُ إلى ما تركْتُه من طَريفِي وتِلادِي.

أسْتَهدِي طُرَفَ الآثار لأُودِعَها كتابَ التَّحائِف، وأُخُطُّ نُوناتِ المُنَى بأيْدِي العِيسِ[1] في تلك الصَّحائِف.

فلمَّا ألقيْتُ بدمشقَ عصا التَّرْحال، وحَلَّيْتُ في ساحتِها عُقْدَةَ الرِّحال.

عَمَدْتُ إلى مجْموعي الذي انْتَحَيْت، وطُلْقِي الذي إليه تنَحَّيْت.

فضَمَمْتُ إلى الأصْلِ ما تلقَّيْتُه، وأثْبَتُّ ما اخْتَرْتُه من الأشْعارِ وانْتَقَيْتُه.

وحُبِّب إليَّ الانعِزال عن النَّاس، فلم أُخالِطْهُم في وَخْشَةٍ ولا إيناس.

إلى أن وردَ إلى دِمَشق الأستاذ زَيْن العابدين البَكْرِيّ، ولِلحياة عَطْفَةٌ بَشَّة، وللجَذَلِ نِغْمَةٌ هَشَّة.

ولِلْهُضَبِ رَجاحُ احْتِبائِه، وللنُّور المُقدَّس جَوْهَرُ حَوْبائِه.

فاسْتَخرَجَني من مَطْمُورَةِ المَنْزِل، وصيَّرَني عن الهَمِّ في مَعْزِل.

وأطلقَ أملِي وكان مَعْقُولاً، وأعادَ خاطِري بعد الصَّدَا مَصْقُولا.

ففَتَّقتُ في أوْقاتِه مَبْسَما، واغتَنَمْتُ للعُمْرِ الهَنِيِّ مَوْسِما.

ورأيتُ بِشْراً يَطَّرد وَصِيلا، وإقْبالاً يتعاقَبُ بُكْرَةً وأصِيلا.

وكان أشار إليَّ بالرِّحلة معه حينَ أن هَمَّ بالرَّجْعة، فتخلَّفتُ لعائِقٍ خَلَّفَني لوُلُوعي، وَخلَّى بين الغرام وضُلوعي.

ذاكَ وُلوعٌ للمجْدِ لا لِنَجْد، وغرامٌ للْعَلْيا لا للأفيا[2].

فلولا النَّفائِسُ لم يُحْفَل بالأدْراج، ولولا الكواكبُ لم تُحْفَظ الأبْراج.

ولا اتُّخِذَ الغِمْدُ لولا الحُسام، ولولا الأزواجُ لم تُؤلَّف الأجْسام.

فبقِيتُ مُوزَّعَ الفِكْر، مُقسَّم الأناةِ بيْن التَّصَوُّر والذِّكر.

على أنِّي وإن تَباعَدتِ المدائِن، فأنا بولائِه وَصِدقِ مَودَّتِه دائِن.

وإنْ لم تُنظِّمْنا الرِّكاب المُسْئِدة، فقد انتَظَمتْ منَّا على المودَّة الأفئِدَة.

وهذه عَلاقَةٌ تستجدُّ كُلَّما تُتلَى، لأنها ليْسَت لغَرَضٍ يَبْلَى.

بل عَلِقْتُه لأخْلاقِه لا لأعْلاقِه، وتعلَّقتُ بآدابِه لا بأهدابِه.

وصِرْتُ أوَدُّ لو طِرْتُ إليه كلَّ مَطار، وكنتُ معهُ على آمالٍ وأوْطار.

---

(١) العِيس بالكسر: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، وهو أعيس وهي عيساء، وعيساء: امرأة. ا.هـ انظر القاموس المحيط مادة (عيس).

(٢) الأفي من السحاب: الذي يفرغ ماءه ويذهب. انظر القاموس المحيط، مادة (أفى).

Marfat.com
Marfat.com

فبيْنَما أنا أنتظرُ لقُرْبه طرِيقاً، وأطلبُ للوُصول إليه فريقاً رفيقاً.

إذ قدِم الشَّام المولَى الهُمام الأعظم عبد الباقي المعروف بعارِف، قاضِياً بمصر، وهو مَن إذا كنتُ أذكُرهُ أميلُ كَغُصْنِ البانةِ النَّاعمِ النَّضر، وإذا ما رُحْتُ أشكرُه، أروحُ كأنِّي قد خُلِقْتُ من الشُكر.

وأجِد نَسيمَه إذا تنَسَّمْتُهُ، كالمِسْكِ يَفْتِق بالنَّدى ويُعطِّر، وأجْتلِي منهُ كُلَّما توسَّمْتُه خُلُقاً كَزاهِي الرَّوض بل هو أعطَر.

مَن ابتَسَمَتْ به الأيَّامُ وكانت عابِسة، وأوْرَقتْ غصونُ المُنَى بعد ما كانت يابِسَة.

وأنَارَ بهِ وَجْهُ الزَّمان، وأخذَ الأنامُ من الدَّهرِ توقيعَ الأمان.

فإنَّه أمَدَّه اللهُ بتَوفِيقِه، وسدَّدَ سِهامَ رأيِه بتَفويقِه.

تفرَّدَ بِجمْعِ الكَمالاتِ فلا يُشْرَك، وتوحَّدَ في اسْتِيعابِ المعْلومات فلا يُدرَك.

فمطلبُ الثَّناءِ فيه هَيِّن، ومَرْكَب الإطْراءِ فيه لَيِّن.

وإنَّ من النِّعْمَة علي المُثنِي عليه، أنَّه لا يَحْذَر أن تُنْسَب نَقِيصَةُ الكِذبِ إليه.

ولا يَنْتهي إلى محلٍّ في ثَنائِه، إلا وجَد له عَوناً في أثْنائِه.

ومن سَعادَة جَدِّه، وبُلوغِه في الحظِّ نِهايَة حدِّه، أنَّه إذا دَعَا له لم يجد عنهُ متخلِّفاً، بل يرَى كل رَاءٍ وسامِعٍ إليه متحلفاً.

فلما تَروَّيْتُ من ماءِ بِشْرِه، ونَعِمْتُ ولله الحمدُ بِتَقبِيل عَشْرِه.

أنهضَني القيامُ بِذِمَّتِه، إلى أن أكونَ في خِدْمَتِه.

فَصحِبْتُه مُصاحِباً به المُنى والأمَل، وخدَمْتُه فكَسانِي شرفَ الشَّمسِ في بُرْجِ الحَمَل.

ولمَّا حَلَلْنا القاهرة أنْزَلني في حِماه، وأحلَّني حيثُ تدفَّق سَيْبُ رُخماه.

وتوافَق مع الأستاذ. مَدَّ اللهُ في جاهِه، وجمَّل النَّوعَ الإنسانيَّ بحياةِ أشْباهِه. على تَرْوِيج حَظِّي، وفَتَحا بنظرِهما إلى الأمْنِيَة لَحْظي.

وخَصَّاني مِن بِرِّهِما المُمْتدَّة أطْنابُه، بما يعجزُ إسْهابُ القولِ وإطْنابُه.

ففتَّقا لِساني بأمْداحِهما، ووَزناني فرجحتُ سائرَ مُدَّاحِهما.

وأنا الآن في ظلِّ رعايتِهما مُصاحِبٌ الرَّاحةَ والدَّعة، وأينَما حَللْتُ نزلتُ على الرَّحْبِ والسَّعَة.

فَلِهَذَا صَفَا فِكْرِي في هذه الأيام من الشَّوائب، وأمِنتُ - بعونِ الله - وَصْمَةَ النَّوائب.

وشَرَعتُ بأمْرهما في نَسْخ ما سوَّدْتُه أوَّلاً وثانياً، ولم أكُن لِعنَانِ عَزْمِي ثانِياً.

وأنا سائلٌ من واهِب الآمَال، أن يُبيِّضَ وَجْهي يوم عَرْضِ الأعمال.

ومن هنا أشرع فيما عَمدْتُ إليه، فأقول مُفوِّضاً أمرِي إلى الله، ومُتَّكِلاً عليه:

Marfat.com
Marfat.com

الباب الأول

في محاسن شُعَراءِ دمشق وَنواحيهَا

لا زالت طيِّبَة العَرار والبَشام

وهي كما عَلِمت من عهد أن دَخَلَتْها العرب، موطنُ كلّ أدب، لك فيه الأرَب، وقد أنْجَبَتْ في كلّ وقتٍ وأوان، بقادةٍ كلُّ كلمةٍ منهم بدِيوان.

حتى أرانا الله بقاياهُم، وأطْلعنا على خَبايا زَواياهُم.

فهم أئِمَّةُ الفضل المُتوّجون بتيجان اللَّطافة والملاحة، وهم مَطْمَح أنْظار الأمل، فما غيرُهم قَيْدَ العيون اللَّماحة.

بهم تُفضَّل أهلُ البلاد، وتصعَدُ إلى أُفُقِ الثُريَّا، وبهم يَمَسُّ بُسْتانَ الفكر بعد ظَمَائِهِ رِيًّا.

فلا غَرْوَ أن قام بهم شِعارُ الأدب وثَبت، وغُرِس في قلوبهم شجرُ المحبَّةِ فسُقيَ ذلك الغَرْسُ بمائها فنَبت.

وكُلِّلت حِياضُ طروسِهم الزَّاهية بجواهرِ كلامِهم وكمالِهم، وزُيِّنت بِعقْيان الدُرِّ من منطِقهم المُترجِم عن حقائق أحوالِهم وأقوالِهم.

فمنهم:

١- أبو بكر بن منصور العُمَري

قدَّمتُ هذا الشيخَ رعايةً لاسمِه، مع أني أعلم أن له القيامَ على حدِّ الأدبِ ورَسْمِه. فهو الذي خاض في لُجَجِه أتمَّ الخوْض، وتفنَّن في أقْسامِه تَفنُّنَ الأزهار في سَرْحَةِ الرَّوض.

١- هو الأديب أبو بكر بن منصور بن بركات بن حسن بن علي العمري الدمشقي، شيخ الأدب بالشام، الأديب الشاعر المشهور، أحد الأدباء المحسنين، جمع شعره بين براعة الألفاظ وبداعة المعاني، وملاحة السبك وجودة التركيب، وكان ينظم الموشح والدوبيت والزجل والمواليا والقوما والكان وكان. ودخل الروم، وبلاد الشرق، ورحل إلى مصر مرات عديدة. أخرج نفسه من طريق العلم واحترف فصار عطاراً، ولو تزيا بزي العلماء لأدرك مرامه وفاق أقرانه، وكان كثير النظم وشعره دائر في أيدي الناس. وكانت وفاته في أواخر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وألف وقد درج التسعين. والعمري نسبة إلى العقيبي الحموي الذي ورد إلى دمشق خليفة من جهة العارف بالله تعالى الشيخ علوان، وكان مسكنه بمحلة العقيبة خارج دمشق بالقرب من جامع التوبة. ا . هـ خلاصة الأثر (١/ ٩٩).

Marfat.com
Marfat.com

إن نَشِطَ لمُغازلة الغِزلان فموصوف بِظرف أبي عُبادة، أو انْتَسب لنَسيبِ قُدودِ الغانيات فأين منه ابنُ مَيَّادة.

وإن انْتدبَ لوصف الحُمَيَّا والكَاس، أنْسى ذِكْرِ خمريَّات أبي نُواس.

وإن رَثَى عَمَّ مَراثِي أبي تَمَّام، وأملى نياحةَ الفَرْخِ على الحَمام.

فهو أغْوَمُ في بحورِ الشعر من ابن قَادُوس، وأصلحُ إذا جدَّ وهزَل من ابن حَجَّاج وابن عبد القُدُّوس.

له فكرة في النَّظم صافية، ما عُوِّقت له قَطُّ قافِية.

فإذا أمْلَى من نظمِه واختالَها من رَوض الجنان مُقْتَطعَة، لم ينْتَهِ له إسْراع، ولم يجُفَّ له في يده بَراع.

وليس بتزْوِيق اللِّسانِ وصَوغِهِ ولكنَّه ما خالط اللَّحمَ وَالدَّما

وقد حلَب الدَّهرَ أشْطُرَهُ، وملأَ كِتابُ عُمرِه أسْطُرَه.

وحادَث أخْدانَه، وبَذَّ كُهُولَه وأخْدانَه.

وأخبرني والدي، قال: رأيتُه ولِحْيَتُه أنْقى من الفِضَّة، وأيامُ حياته قاربت أن تصير مُنفَضَّة.

ومع أن السِّنين لاكَتْ قُواه، لم يزل مع الرَّكب اليَمانين هَواه.

ومضى زمنٌ وأدباء الشَّام به يحتفلون، ويحكم بينهم فيما هم فيه مُختَلِفون.

وبلغني أنه كان يحضَر السُّوق، وهو من كَسب يمينه على جانب من الوُثوق.

عاملاً بالأثر: «لو كنتُ تاجراً لأتَّجرْتُ بالطِّيب إن فاتني رِبْحُه مَا فاتني رِيحُه».

فانظر إلى ما سافه كَسادُ سُوقِه، وضَيْعةُ حُقوقه.

على أن له في سُوْقَهِ الفُضلاء أُسْوة، وكأنه استعار منهم لأشْعارِه كُسْوة.

هاتان الفَقَرتان للبَاخَرْزِي، اخْتَجْتُهما، ففي هذا المحلّ أدْرَجْتُهما.

قال: «وهم، نصر بن أحمد الخُبْزَرُزِّيّ، وأبو الفرَج الوَأْوَاء الدِّمَشْقِي، والسَّرِيّ الرَّفَّاء المَوْصِلِيّ».

قلت: وهم الذين إذا تُلِيَتْ آياتُهم المنسُوقَة، كان مَن تقدَّمهم من الأدباء عندهم سُوقَة.

أما نصر، فكان يصنع خُبْزَ الأرُز بالبَصْرة وتجتمع الأدباء بحَانُوتِه.

وأما أبو الفرَج فقد كان يسعى بالفواكه رائحاً وغادياً، ويتغنَّى عليها مُنادياً.

وأما السَّرِيّ، فقد كان يُطرِّزُ الخَلَق، ويَرْفَأ الخِرَق، ويصف تلك العَبْرَة، ويزعُم أنه يسْترزِق الإبْرَة.

وكيف ما كان فالحِرفَةُ لا تخلو من حُرْفَة، والصَّنعة لا تنجو من صَرْعَة، والبِضاعةُ لا تَسْلَم من إضاعَة، والمتاع ليس لأهله به اسْتِمْتاع».

وأُخبرت أنه كان سَموحاً بما مَلَك، متَخلِّياً عن الإمْساكِ أيَّةَ سَلَك.

Marfat.com
Marfat.com

يضُمُّ يدَيْه على النَّقْدَيْن، فلا يُمْسي إلا وهو منها صِفْرُ اليَدَيْن.
وقضى عُمرَه في بُلَهْنِيَةٍ[1] هَنِيَّة، أغصانُ عيشِها ما زالت جَنِيَّة.
لم يغادِرْه بُوس[2]، ولم يكدِّرْه يومٌ عَبُوس.
بينَ رِياضٍ مَهَزَّات نَبْتِها رَيَّانة، وغِياضٍ أساجِيعُ أطْيارها مِرْنانة.
وقد وقفتُ على أشعاره الغضة التُّحَف، ما به ديباجة كتابِ اللَّطائف والبدائع تُحَفّ.
فأوْردتُ منه ما يُهزُّ له الشيخ عِطْفَ غُلام، ولا يُدْرَى أسِحْرٌ هو أم كلام.
فمنه قوله: [م. الكامل]

لو تمَّ لي في الحبِّ سَعْدِي ... يا حِبُّ ما أخْلَفْتَ وَعْدِي
لكن مقاديرُ القضَا ... ءِ كأنَّها حكَمتْ بِبُغْدِي
أوَ حظُّ كلِّ مُتَيَّمٍ ... مِن حظِّه يُرمَى بِطَرْدِ
يا غائباً في القلبِ مِن ... نِيرانِ فَقْدِكَ أيُّ وَقْدِ
ما كنتُ أدري قَبل بُعـ ... ـدِكَ أن سهمَ جَفاكَ يُرْدِي
صَدِيَتْ لرُؤيَتِكَ العيُو ... نُ عَلامَ تَرْمِيهَا بِصَدِّ
يا سيِّدي إن كان لي ... ذنْبٌ فقُلْ أخْطأتَ عبْدِي
ما خنتُ عهدَكَ في المحبَّـ ... ـةِ كيفَ حتَّى خُنْتَ عَهْدِي
كلاَّ ولا أفْشَيْتُ سِرَّ ... هَواكَ والأسْرارُ عِنْدِي
ولَهِيَ بحبِّكَ لم يَزَلْ ... وَلَهِي ووَجْدِي فيك وَجْدِي
أرضَى بأن أفنَى وتَبْـ ... ـقَى أنتَ يا مولايَ بغْدِي
أخفيتُ حبَّكَ في الفُؤا ... دِ فخطَّه دَمْعِي بخدِّي
وَعَدا على جِسْمِي النُّحو ... لُ فعاد للأسْقام يُغْدِي
مِحَنُ الهوى جُمِعَتْ عَليَّ ... فلستُ أُحصيها بِعَدِّ
فالسُّقْمُ يشهدُ والدُّمو ... عُ بوَجْدَتي في العشقِ وَجْدِي
يا بدْرُ سَلْ عَنِّي السُّهَا ... إنَّ السُّها أدْرَى بِسُهْدِي
وابْعَثْ رسولَ الطَّيْفِ يَسْـ ... ـمعُ ما أُعِيدُ له وأُبْدِي
آهاً على زمنٍ مضَى ... لو كان قَوْلِي آه يُجْدِي
أيامُ وَصْلٍ منكَ لمْ ... تُقْطَعْ ولم تُوصَلْ بِرَدِّ

(١) البلهنية: الرخاء وسعة العيش. انظر: المعجم الوسيط مادة (بلهنية).
(٢) بُوس: مخففة من البأس، وهو العذاب، أو شدة الحاجة. انظر: القاموس المحيط مادة (بأس).

Marfat.com
Marfat.com

والشَّملُ يجمعُنا علىَ حُبٍّ يُوَدُّ بِصِدْقِ وُدّ
وأضمُّ منكَ معاطِفاً برَدتْ جَوَى وَجْدِي بِبَرْدِ
وتميلُ إذ تهْوِي إلى نحوي وجيدُك فوق زَنْدِي
وتقولُ عُجْباً هل يُرَى مِثْلي وأهلُ الحُسن جُنْدِي
والشمسُ والبدرُ المُنِيـ ـرُ سَنَاهُ جارِيَتِي وعَبْدِي
والغُصْنُ يُقْصَفُ قَدُّه إن قاس قامَتَهُ بِقَدّي
ومنَحْتَنِي منكَ الوِصا لَ تبرُّعاً وهجرتَ صَدّي
فجلعتُ وجهَكَ حضْرتي وحديثَ رَاح لِمَاكَ وِرْدِي
وعلمتُ لمَّا بانَ رَوْ ضُ الوجهِ أن الخدَّ وَرْدِي
وشِهدْتُ لمَّا ذُقْتُ طَعْـ ـمَ الرِّيقِ أن الثَّغْرَ شُهْدِي
والفِرْقُ يُشْرِقُ صبحُه في ليلِ فرعٍ منه جَعْدِ
فأطَعْتُ فيك صَبَابَتي وعَصَيْتُ لُوّامي وزُهْدِي
وقَضِيْتُ أوْطَارِي وقد غَفَل الرَّقِيبُ فَنِلْتُ قصدِي
والخَصرُ أتْهَمَني بأنّي بِتُّ في أكْنافِ نَجْدِ
والرَّدْفُ زاد وقد تكفَّـ ـلَ مِنَّةً منه بِرِفْدِي
أخْبِبْ بِتلك لَيَالِياً قد أشْرَقَتْ بِبُدُورِ سَعْدِي
فسَقى معاهدَ للصِّبَا صَوْبُ العِهاد بكلِّ عَهْدِ
وسَرَتْ بها روحُ الصَّبَا سَحَراً فأخيَتْ مَيْتَ بُغدِي

وقوله من قصيدة مستهلها: [الخفيف]

إنْ خَلغْنا على العِذَارِ العِذَارَا لم يكنْ ذاكَ في المحبَّةِ عَارَا

منها:

بأبِي مِن جَآذِرِ التُّرْكِ ظَبْياً تَرَكَ الأُسْدَ في هواهُ أُسَارى
بَابِليُّ اللِّحاظِ منها تَرَى النَّا سَ سُكارَى وما هُمُ بسُكارَى
قمرٌ فوقَ بانَةٍ يتَجلَّى لا خُسُوفاً يخشى ولا إهْصارا[1]
تَخِذَ الطَّرْفَ مَنْهَلاً عند مَنْ رَاهُ ولكن تبوَّأ القلبَ دارا
قد علمْنا أن القُدودَ غُصونٌ فلماذا أقلْتِ الأثمَارا
وعهِدنا البُدورَ في اللَّيلِ تَسْرِي كيفَ حتَّى غَدَتْ تسيرُ نهارَا
وعجِبْنا لوَجْنَةٍ تُشْبِهُ النَّا رَ ضِراماً وتُنْبِتُ الجُلَّنَارا

(١) الهصر: الإمالة. انظر: القاموس المحيط، مادة (هصر).

Marfat.com
Marfat.com

يا لَها وَجْنَةٌ حكَتْ جنَّةَ الحُسْـ ... ـنِ ومنها الفُؤادُ آنَسَ نَارَا

ومنها:

قدِّمِ الرَّاحَ يا نَدِيمي لعلِّي ... أعقِرُ الهَمَّ إن شرِبْتُ العُقارَا
وأجِلْ كاساتِها عليَّ وزَمزِمْ ... باسْم مَن صَيَّر العُقُولَ حَيارَى
قَهوَةٌ مثلُ دَمْعَةِ العينِ في الكا ... سِ صفاءً فالليلُ زاد اعْتِكارَا
وأدِرْها إذا النُّجُومُ تَجَلَّتْ ... وشهِدْنَا من زُهْرِها الأنوارَا
وكأنَّ السَّماءَ رَوْضَةُ حُسْنٍ ... أطْلَعَتْ في مُقامِنا أزْهَارَا
والثُّريَّا كأنَّها في الدُّجَى غِيْـ ... ـدٌ تَلَفَّعْنَ بالشُّعُور عِذارَا[1]
وكأنَّ الهِلالَ يحكي وقد لا ... حَ من الغَرْبِ زَوْرَقاً أو سِوارَا
فاسْقِني مِن يَدَيْك حتى تَرى الفجْـ ... ـرَ عن الصُّبْح قد أماطَ الإزَارا
وصِلِ الليلَ بالنَّهارِ فإنَّ الْـ ... ـعَيْشَ أفْناهُ ما يكونُ جِهارَا
في رِيَاضٍ حكى بها الزَّهرُ والوزْ ... دُ النَّضِيرانِ فِضَّةً ونُضَارا
وكأنَّ الأقَاحَ فيها ثُغُورٌ ... عن غَوالِي الجُمَانِ تُبْدِي افتِرارا
وحكَى النَّهْرُ مَغْصِماً وسِواراً ... يَتَلَوَّى وأزْقَماً سَيَّارَا
فاتْرِعِ الكأسَ لا عَدِمْتُكَ صَرْفاً ... فَعلى الصِّرفِ نَصْرِفُ الأعْمارَا
ثُمَّ زِدْ ما اسْتَطَعْتَ حتى تَرانِي ... قد خَلَعتُ الوِقارَ والبِيقَارا
وأعتقِدْ أنها حرامٌ ووِزْرٌ ... لا تُوافِق يَهُودَها والنَّصارَى
وأسْأَلِ العَفْوَ فالكريمُ رحيمٌ ... قابِلُ التَّوبِ يغفرُ الأوْزارَا

وله في الغزل: [المديد]

سيِّدِي مذ غِبْتَ عن نَظَري ... لم أُفِق من خَمْرَةِ الكَدَرِ
أحسَبُ الصُّبْحَ العِشَا أبداً ... فنهارِي أوَّلُ السَّحَرِ
لم تَمِلْ رُوحي إلى وَطَنٍ ... لا ولا قَلْبي إلى وَطَرِ
سَلْ نُجُومَ الأُفْقِ عن قَلَقِي ... فعَسى تُنْبِيكَ بالخَبَرِ
لا وَعَيْنٍ فيكَ راقِدَةٍ ... لم تَذُقْ عَيْنِي سِوَى السَّهَرِ
أيُّها البدرُ الذي حَجَبُوا ... نُورَه الوَضَّاحَ عن بَصَرِي
لو تَرى حالِي بَكَيْتَ علَى ... قَلْبيَ المَسْجُونِ في سَقَرِ
كِدْتُ أَخْفَي من ضَنَى جَسَدِي ... عن عُيُونِ الجِنِّ والبَشَرِ

(١) تلفعن: تلفعت المرأة بمرطها مثل: تلحفت به، واللفاع، ما تلفع به من مرط وكساء ونحوه. ا. هـ انظر: مصباح المنير، مادة (لفع).

Marfat.com
Marfat.com

للشعراء في وصف تُحول العشاق مُبالَغات غالبها محمولٌ على الإغراق، ومن أبلغها قولُ أبي بكر الخَالِدِيّ: [البسيط]

مُهدَّدٌ خانَه التَّفريقُ في أمَلِهْ أضْنَاهُ سيِّدُه ظُلْماً بمُرْتَحَلِهْ
فَرَقَّ حتى لو أنَّ الدَّهرَ قادَ له حَيْناً لما أبْصرَتْهُ مُقْلتَا أجَلِهْ

وأعجب منه قول أبي الطَّيِّب[1]: [الطويل]

ولو قلَمٌ أُلْقِيتُ في شَقِّ رأسِهِ من السُّقْمِ ما غيَّرْتُ من خَطِّ كاتِبِ

وغريب قول التمّار الواسِطيّ[2]: [السريع]

قد كان لي فيما مَضى خَاتِمٌ والـيومَ لو شِئْتُ تَمَنْطَقْتُ بِهْ
وذُبْتُ حتى صِرْتُ لو زُجَّ بِي في مُقْلَةِ النَّائمِ لم يَنْتَبِهْ

وقول المُظفَّر بن كَيْغَلَغ[3]: [السريع]

عبدُكَ أمرَضْتَه فَعُدْهُ أتْلَفْتَهُ إن لم تكُنْ تُرِدْهُ
ذَابَ فلو فَتَّشْتَ عليْهِ كَفَّكَ في الفَرْشِ لم تَجِدْهُ

وقول أبي الفضل بن العميد[4]: [الكامل]

لو أنَّ ما أبْقَيْتَ من جسمي قذًى في العَيْنِ لم يَمْنَعْ من الإغْفاءِ

وللعمريّ: [م. الكامل]

يا مَن يُفَوِّقُ لحْظَهُ سَهْماً بسِحْرِ الهُدْبِ رَاشَهْ
أفْدِيكَ ما ريمُ الصَّرِيـ ـمِ فذاكَ يُنْسَبُ لِلْوَحَاشَهْ
يَرْعَى من الأرْضِ الحَشِيـ ـشَ وأنْتَ مَرْعَاكَ الحُشَاشَهْ

أجاد في التَّنْظِير، وأرْبَى على قول الآخر: [م. الكامل]

يَرْعَى القُلُوبَ وتَرْتَعِي الـ ـغِزْلانُ بَرْوَقَهُ وشِيحَهْ

والبَرْوَقَة: شُجَيْرة تخْضرُّ إذا رأت السَّحاب؛ وذلك قولهم: «أشْكَرُ من بَرْوَقَة»[5].

وعلى هذا المعنى حُمِل قول أبي الطَّيِّب: [الكامل]

أغِذاءُ ذَا الرِّشَاءِ الأغَنّ الشِّيحُ[6]

---

(١) ديوان المتنبي ٢٠٩، ومعاهد التنصيص (١/ ٢٦١).
(٢) معاهد التنصيص (١/ ٢٦٠).
(٣) معاهد التنصيص (١/ ٢٦٠).
(٤) المراد به محمد بن الحسين، والبيت في يتيمة الدهر (٣/ ١٧٧).
(٥) ذكره الميداني في مجمع الأمثال (٢/ ٢٠٢) وبروقة: هي شجرة تخضر من غير مطر.
(٦) انظر ديوانه (٥٩).

Marfat.com
Marfat.com

بعد قوله:

جَلَلاً كما بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ

يقول: لِيَكُنْ تبْرِيحُ الهوى عظيماً مثل ما حلّ بي، أتظنُّون أنَّ مَن فعل بي يَغْتَذِي الشِّيحَ؛ ما غذاؤُه إلا قلوبُ العُشَّاق! وبه يتناسب شطرا البيت.

وله في غلام بِحَنَكِه طابعٌ تمَّت به محاسِنُه، وكأنما هارُوتُ ساكِنُه: [الرمل]

غُصْنُ بانٍ فوقَه بَدْرُ دُجَى ... يتجلّى من أعالي قَلَكِهْ
قد حَمَى بَرْدَ اللَّمَى مِن ثَغْرِه ... طابِعُ الحُسْنِ الذي في حَنَكِهْ
نَصَبَتْ ألحاظُه لي شَرَكاً ... جُلَّ مَن أوْقَعَنِي في شَرَكِهْ

قوله: «قد حَمَى» إلخ يحتمل أنَّ حمايَته مِن جِهة أنه كان كالخاتِم، ختم به على بَرْدِ اللَّمَى، ويَحتمِل أن يكون حَماهُ لكونه كالحُفْرة في طريقِ مَنْ يُريد رَشْفَ لَماه، فيخاف مِن الوقوع، وهذا تَخَيُّلٌ حسَنٌ.

وأحسن منه قوله:

وطابُعُه جُبٌّ يُرَى ألْفُ يُوسُفٍ ... بِه وَاقِعاً من قبلِ رَشْفَةِ رِيقِهِ

والطابعُ كالخاتمُ: في الأصلِ ما يُطبَع به، ولم أرَ إطلاقَه على النُّقرَة المعهودة، وإنما اسمُها في اللغة: نُونَة.

قال ابن الأثير في «نهايته»: وفي حديث عثمانَ رضي الله عنه، أنه رأى صَبيّاً مَليحَاً، فقال: «دَسِّمُوا نُونَته، كي لا تُصيبَه العين»[1]. أي: سوِّدوها، وهي النُّقرة التي تكون في الذَّقن.

وقد استعمل صاحبُنا الأديب البارع إبراهيم بن محمد السَّفَرْجَلانِي النُّونَة، وأجاد في تشبيهها جداً، من أبيات أنشدْنيها من لفظِه، وبيتُ النُّونَة منها قوله:

وإن أشْبَه التُّفَّاحَ خَدَّيَ حُمْرَةً ... فلي نُونَةٌ تَحْكي مَنَاطَ عُرُوقِهِ

والأبيات هذه هي:

برُوحيَ ساقٍ قد جَلا تحت فَرْعِهِ ... جَبيناً كبدرِ التَّمِّ عند شُروقِهِ
سَقاني بنَجلاوَيهِ كأساً من الهَوَى ... فأسْكَرَنِي أضعافَ سُكْرِ رَحيقِهِ[2]
وقال افْتَرِع بِكْرَ المعاني تغَزُّلاً ... فلي مَنْظَرٌ يَهْدِيكَ نحوَ طريقِهِ
فوَجْهِي مثلُ الرَّوضِ إذ باكَرَ الحَيا ... جَنِيٌّ أقاحِيهِ وغَضٌّ شَقِيقِهِ
وإن أشبه التفاح. إلخ..... .....

ثم أنشدني المذكور معنًى اخترعه في تسْويدها، وذلك قوله:

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٢/١١٧ .
(٢) بنجلاويه: بعينيه. والنَّجيل: سعة شق العين مع حسن. انظر لسان العرب، مادة (نجل).

Marfat.com
Marfat.com

خافُوا مِن العَينِ تَرْميهِ بنَظْرتِها فقلتُ مِيلُوا إلى تسْويدِ نُونَتِهِ
قالوا نُسوِّدُها بالطِّيبِ قلتُ لهمْ الطِّيبُ مِن غيرِه أحْرَى بجُونتِهِ[1]

وكنت أظن أنَّ وَصْف الطابع ليس بالموجود في شعر المتقدِّمين، حتى رأيته في شعر فخر الدولة أبي المعالي، من شعراء «الخريدة»، حيث قال في غلام اسمه يوسف:

أيا قَمراً جار في حُسْنِهِ على عاشِقِيهِ ولم يُنْصِفِ
سَمِغْنا بيُوسُفَ في جُبِّهِ ولم نَسْمَع الجُبَّ في يُوسُفِ

ثم رأيت الخفاجيّ ذكر في كتابه «شفاء الغليل»: جُبُّ يوسُف مُولَّد، معناه نُقْرة الذَّقَن. وأنشدَ البيتين.

ثم قال: ويُقال له خاتِمُ الحُسْن.

وأما النُّقْرة التي تكون في الخدَّين عند التبسُّم، فقد استعملها كُشَاجِم في أبياته المشهورة، وهي: [الكامل]

هذا الذي سجد القَضِيب لقَدِّه صَنَمٌ لعابِدِ فِتْنةٍ لاهُوتُ
في نَاظِرَيْهِ إذا تبسَّم ضاحِكاً سِحْرٌ وجَوْهَرُ خدِّه ياقُوتُ
حفَر التبسُّم فيهما جُبَّيْنِ في ذَيَّاكَ هاروتٌ وذَا مَاروتُ

وأما اسُمها فقد رأيتُ المَقَّرِيَّ ذكر في «تاريخه» ناقلاً عن ابن عُليم، أنه قال في شرحه لـ «أدب الكاتب» لابن قُتَيْبَة:

أغربتْ جاريةٌ لمجاهد العامِرِيّ، أهداها إلى عبَّاد. قلت: وهي العَبَّادية، وكانت كاتبةً شاعرة. على علماء إشْبِيليّة، بالنُّقْرَة التي تظهر في أذقانِ بعض الأحْداث، وتَعْتري بعضَهم في الخدَّين عند الضَّحِكِ، فأمَّا التي في الذَّقَنِ فهي النُّونَة، وأما التي في الخدَّيْنِ عند الضَّحكِ فهي الفَحْصة، فما كان في ذلك الوقت في إشْبِيلِيَةَ مَن عرف منهما واحدة.

وللعُمَرِيّ في دُخان التَّبْغ: [الكامل]

مُذ أحْرَقَتْ نارُ الصَّبابَةِ مُهْجَتي وأتى العَذُولُ يسُلُّ عضْبَ لِسانِهِ
بادرتُ بالغَلْيون تمويهاً له وسترتُ عنه دُخانَها بدُخانِهِ

ومثله للحَرْفُوشِيّ: [الطويل]

لعمرُك لم أهْوَ الدُّخانَ ولم أمِلْ إليه لألْقَى نَشْأةً وتَطَرُّبَا
ولكنَّني أُخْفِي به عن مُجالِسي دُخَانَ فُؤادٍ بالغَرامِ تَلَهُّبَا

(١) الجونة: سليلة مغشاة أدماً تكون مع العطارين. انظر القاموس المحيط، مادة (جون).

Marfat.com
Marfat.com

وقريبٌ منه قولُ الفتح بن النَّحّاس: [الكامل]

وأرى التَّولُّع بالدُّخَانِ وشُرْبَهُ ... عوناً لكامِن لَوعةِ الأحْشاءِ
فَأُدِيْمُ ذلك خوفَ إظْهارِ العِدَى ... فأشِيبُه بتَنَفُّسِ الصُّعَداءِ

وله في تشبيه الثَّلج: [الكامل]

انظُر إلى الرَّوضِ الأرِيضِ وحُسنِهِ ... وموائِسُ الأغصانِ مثل الخُرَّدِ[1]
والثلجُ فوقَ الصُّفْرِ مِن أوْراقِه ... شَبَّهْتُه تَشْبيهَ غيرِ مُفَنَّدِ
ببُرَادَةٍ من فِضَّةٍ مَبْثُوثَةٍ ... فوقَ الصَّحائِفِ من نُضارِ العَسْجَدِ

ولي في هذا المعنى من مقصورة: [الرجز]

والثَّلجُ كالقُطنِ أجاد نَدْفَهُ ... قَوْسُ السَّحَابِ فوقَ حُلَّةِ الرُّبَى
كأنَّه برادةُ الأفلاكِ مِن ... كَثْرَةِ دَوْرِها بِقُبَّةِ السَّما

وله في وصف جواد: [الخفيف]

رُبَّ طِرْفٍ من العِتاقِ كريمٍ ... يسبِقُ البَرْقَ حَالةَ الإيماضِ
لو جرَى والجَنوبُ في الجوِّ تَسْرِي ... علَّمَ الرِّيحَ كيف قَطْعُ الأرَاضِي
أو سَرَى مَعْ دُعاءِ آصَفَ بالعَرْ ... شِ لكان البشيرَ بالأغْراضِ

وله مثله: [الكامل]

طِرْفٌ يفوت الطَّرْفَ في لَمَحاتِهِ ... سَبْقاً ويُهْزَأُ بالظَّلِيمِ النَّافِرِ
بالبَرْقِ يظفَرُ إن أراد لحَاقَهُ ... والبَرْقُ ليس إذا أرادَ بِظافِرِ
وكأنَّه آلَى ولم يَكُ حانِثاً ... أن لا يمَسَّ الأرْضَ منه بحافِرِ

وهذا من قول خلَف الأحمر في صفة جواد: [الكامل]

وكأنَّما جَهِدَتْ قوائِمُه ... أن لا تَمَسَّ الأرضَ أربَعُهُ

وزاد عليه شمس الدولة بن عَبْدان في قوله: [الكامل]

أبتِ الحوافِرُ أن يَمَسَّ بها الثَّرى ... فكأنَّهُ في جَرْيِهِ مُتعلِّقُ

وهذا الباب مما بالغَتْ فيه الشعراء كل المبالغة، فمن ذلك قول ابن نُبَاتة السَّعْدِيّ[2]: [الكامل]

لا تَعْلَقُ الألْحَاظُ مِن أغطافِهِ ... إلا إذا كَفْكَفْتَ مِن غُلَوائِه

وقول ابن حَمْدِيس الصِّقلِّيّ[3]: [الكامل]

---

(١) الخرد: الخريدة هي عذارى . وجارية خرود ونساء خرد: خفرات، ومن المجاز: لؤلؤة خريدة: عذراء. انظر: أساس البلاغة مادة (خرد).
(٢) انظر يتيمة الدهر (٢/ ٣٩٣).
(٣) انظر ديوانه (٢٨٨).

132 190

Marfat.com
Marfat.com

يـجـري فَـلَـمْـعُ الـبَـرْقِ فـي آثـارِه مـن كـثـرةِ الـكَـبَـواتِ غـيـرُ مُـفِـيـقِ
ويـكـادُ يـخـرُجُ سُـرْعَـةً مِـن ظِـلِّـه لـو كـان يـرغَـبُ فـي فِـراقِ رَفِـيـقِ

وقد جمع ابن حجَّاج في مرثيَّةٍ فرس له فأوْعى، ودعا فُرسان البلاغة فأجابتْه طَوْعاً، حيثُ قال: [السريع]

قـال لـه الـبَـرْقُ وقـالـتْ لـه الـرِّ يـحُ جـمـيـعـاً وهُـمـا مـا هُـمَـا
أأنْـتَ تـجـرِي مـعـنـا قـال لا إن شـئـتُ أضـحَـكْـتُـكُـمَـا مـنْـكُـمَـا
هـذا ارْتِـدادُ الـطَّـرْفِ قـدْ فُـتُّـهُ إلـى الـمـدَى سَـبْـقَـاً فـمَـن أنـتُـمـا

وقلتُ على أسلوبهم في المقصورة: [الرجز]

وفَـذْفَـدٍ طَـويْـتُـهُ بـضـامـرٍ يُسابِقُ البَرْقَ ويسبق القضَا[1]
يَـقْـبِـضُ رامِـي سـهْـمِـه عِـنَـانَـهُ خَـشْـيَـة أن يُـصـيـبَـه مِـن الـقَـفـا

وأجْرَى جواد كان للعرب أغوَج، الذي يُضرَب به المثل، وهو فَحْل كريم، كان لِبَني هِلال بن عامر، وأنه قِيل لصاحبه: ما رأيْتَ من شِدَّةِ عَدْوِه؟

فقال: ضَلِلْتُ في باديةٍ وأنا راكبُه، فرأيتُ سِرْباً من القَطا يقصِد الماء، فتبِعْتُه وأنا أغُضُّ من لِجامِه، حتى توافَينا الماء دُفْعَةً واحدة.

وهذا أغربُ شيء يكون؛ فإن القَطا شديدةُ الطَّيَران، وإذا قصدَ الماء اشْتَدَّ طيرانُه أكثرَ من غير الماء.

وأغرب من ذلك قوله: «كنت أغُض من لجامه، ولولا ذلك كان يسبِق القطا» وهذه مبالغة عظيمة.

وإنما قيل له أغوَج؛ لأنه كان صغيراً، وقد جاءتْهم غارة فهربوا منها، وطرحوه في خُرْج، وحملوه لعدم قُدرَتِه على مُتابَعتِهم لِصِغَرِه، فاغوجَّ ظهرُه من ذلك، فقيل له: أغوَج.

وللعُمَرِيّ، ويخرج منه اسم نعمان: [السريع]

لـلـهِ مـا عـايَـنْـتُ مـن رَوْضـةٍ غَـنَّـاءَ قـد قَـرَّتْ بـهـا عَـيْـنِـي
حُـوتـان لـم يَـخْـتَـلِـفـا صُـورةً حُـفَّـا بـمـاءٍ سـال مـن عَـيْـنِـي

وله في اسم كريم: [مخلع البسيط]

أهْـواهُ حُـلْـوَ الـدَّلالِ ألْـمَـى قـد لَـذَّ فـي عِـشْـقِـه الـعَـنَـاءُ
ريـقَـتُـه لـلـرَّحـيـقِ تُـغْـزَى وكـم بـهـا لـلـظُّـمَـا دواءُ

---

(١) فدفد: علا صوته، واشتد وطؤه فوق الأرض مرحاً ونشاطاً، أو الأرض الواسعة المستوية لا شيء بها. انظر: المعجم الوسيط مادة (فدفد).

Marfat.com
Marfat.com

وله في اسم وَليّ الدين: [المتقارب]

لـيـالٍ بُـعَـيْـدَ الـتَّـنـائِـي دَنَـتْ ولاَتْ ولـي عَـزَّ إصْـلاحُـهـا
وَعَـيْـنُ الـعِـدَى سـكِـرتْ بـالـعَـمَـى وعَـزَّ ضِـيـاهَـا ومِـفْـتـاحُـهـا

ونُقِل له عن باقي، شاعر الروم، ومُميِّزها بين السادة القُروم.

أنه نظم أبياتاً تغزَّل فيها بِصَبيّ صَبِيح، هو كما تَهْوَى الأنفُسُ مَلِيٌّ مَلِيح.

فلمَّا وعَاهَا الغُلامُ اسْتَبْدَعها، واسْتَحْفَظَها خِزانِة لُبِّه واسْتَوْدَعَها.

وبلغ باقي، أنه قال: قَبَّلْتُها، ولو ظفِرتُ بِرِجْلِ قائِلها قَبَّلْتُها.

فقال باقي: إن كان نَوى جميلاً لأجْلِي، فَلْيُقبِّلْ فَمِي لأنّني به نَظَمْتُها، لا بِرِجْلِي.

فنظم العُمَرِيُّ هذه المقالة في قوله: [الخفيف]

قـال لـمَّـا وصـفْـتُـه بـبـديـعِ الْـ حُسْنِ ظَبْيٌ يجلُّ عَن وَصْفِ مِثْلِي
مَـكُـنِ الـعـبْـدَ أن يُـقـبِّـلَ رِجْـلاً لـكَ كَـيْـمَـا يُـجِـيـزَ فَـضْـلاً بِـفَـضْـلِ
قـلـتُ أنْـصِـف فَـدَتْـكَ رُوحِـي فإنّـي بِـفَـمِـي قـد نَـظَـمْـتُـه لا بِـرِجْـلِـي

ومن هذا قول بعضهم: [م. الرجز]

شـــافَـــهَ كَـــفِّـــي رَشَـــأٌ بِـــقُـــبْـــلَـــةٍ مـــا شَـــفَـــتِ
فـقـلـتُ إذْ قَـبَّـلَـهـا يـا لـيْـتَ كَـفِّـيَ شَـفَـتِـي

وللشَّاب مظَّريف[1]: [الكامل]

ومُـقَـبِّـلٍ كَـفِّـي وَدَدْتُ بـأنّـه أوْمَـى إلـى شَـفَـتَـيَّ بـالـتَّـقْـبِـيـلِ

ولأبي منصور عبد العزيز بن طلحة بن لُؤلُؤ[2]:

سـألـتُـه قُـبْـلَـةً فـبَـادَرَ بـالـتَّـقْـ بِـيـلِ مُـسْـتَـبْـشِـراً إلـى قَـدَمِـي
فـقـلـتُ مَـولايَ لـو أردْتَ بـهـا سـرورَ قَـلـبـي جَـعَـلْـتـهـا بِـفَـمِـي
فـقـالَ كَـلاَّ لـلـعَـبْـدِ مـنـزِلَـةٌ لُـزومُـهـا مِـن حِـراسَـةِ الـنِّـعَـمِ

٢ - إبراهيم بن محمد الأكرميّ الصالحِيّ

شاعرُ الزّمان، وشمَّامَةُ النُّدْمان.

---

(١) ليس هذا البيت في ديوانه المطبوع.
(٢) انظر تتمة اليتيمة (١/ ٨٢).
٢- هو الأديب إبراهيم بن محمد الدمشقي الصالحي المعروف بالأكرمي، الأديب، الشاعر، المشهور، فرد وقته في رقة الكلام وجزالته، وعذوبة اللفظ وسهولته.
قال المحبي: وكان شعره جمع بين جزالة الألفاظ وعذوبة المعاني، وفيما أعتقده أنه أحسن شعراء هذا التاريخ لطول باعه في فنون الشعر بأجمعها، وحسن انسجام كلماته ورونقها.
وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وأربعين وألف، ودفن بسفح قاسيون . ا هـ . خلاصة الآثر (١/ ٣٩)

Marfat.com
Marfat.com

ومَن إليه يَصبُو القلبُ ويحنّ، ويتذكُّره يَنْثَنِي غُصْنُ البَراعة ويَرْجَحِنّ.
ففي أوصافِه مَشَمٌّ للرُّوح عَبِق، ولُطْف يُرَوِّق به كاسَه المُصْطَبِح والمُغْتَبِق.
فَرَوْض وُدِّه غَضٌّ، وعِرضُهُ الطَّاهِر لا يُنال منه ولا يُغَض.
ومُدامة طَبْعِه لم يُهِنْها عَصّار، وشُفُوف فِكْرِه لم يحتمِل مِنَّةَ قَصّار.
مع مالَه من أخلاقٍ أقْطَعها الرَّوْضُ أنْفَاسَه، وَشِيَم يُنافَسُ فيها رَغْبةً ونَفَاسَة.
وأدبٍ دار به رَحِيقُ البيان المُعَتَّق، وَمَلأ الأكْمام بزهر كَمامه المُفتَّق.
ينشُر منه ما هو أزْكى من النَّشْر من خِلال النَّواسِم، بل أحْلَى من الرِّيق يَتَرَقْرَق في خلال المباسم.
ومَضى عَليه زمَن يسْتَفِيد به العيْشَ رغدًا، ويَسْتَنْجِزُ اليومَ ما يُوعَد به غدا.
بين رَوْض من خُلقِه خُلِق، ونَسِيم عَرْفُه بشَمائله عَلِق.
جلاليب نَشْوَتِه صِفاق، وأزْدية شَمُوله وصَباه رِقاق.
لا يَنْتعِش إلا بغُرَّة رَقْراق الشباب الغَرِير، ولا يُولَع إلا بطُرَّةِ الظل فوق وجه الغدير.
فهنالك بين الغصن والصَّبا، والقَطْر وزَهْر الرُّبى.
وَلَّد آدابَه التي هي عبارة عنها، وأطْلَع أشعارَه التي يُستَعار الحسنُ منها.
وقد جمع شعرَه في ديوان سمَّاه «مقام إبراهيم، في الشعر النَّظِيم».
أكثرُه رَوْضيَّاتٌ يَغَض عندها وَشْيُ الخَمِيلة، وغَزَليَّات يتستَّر عندها نَقْشُ الغانِية الجميلة.
وخَمْريَّات صِيغَت مُداماً فهي للمسامعِ مَشروبة، وحِكْمِيَّات أبياتها أمثالٌ في الدنيا مَضْرُوبة.
وها أنا أُورِد منها ما يفُوحُ نَفَسُه، حتَّى كأنَّ الحَبِيب يَتَنفَّسُه.
ويَعْبَقُ رَوحُه، حتَّى كأنَّ فَوْحَ الزَّهر فَوحُه.
قال في ديباجته: هذه نُبْذَة من شعرٍ سمح به الخاطرُ على جُموده، وتوقَّد به الفكرُ على خُموده.
وإن كنتُ في زمنٍ العاقِلُ فيه خلِيقٌ بالصَّمت، وإن أدَّاه إلى المَقْت.
ذهب جُلُّ النَّاس، وأينَ الزُّغْنِفة من الرَّاس.
لا يُجازُ فيه شاعر، ولا يُكرَم أديبٌ ماهِر.
غيرَ أن حُبَّ الأدب في الطِّباع، وهو داع إلى الاتِّباع.
اتِّباعِهم في التراكيب والبِنَا، لا في الإجادة لِعَدَم الغنا.
ذهبتِ الإفادَةُ، فكيف بالإجادة.
ولعَمْرِي مَن لا يُجيد في عصرنا معذور، وذنبُه فيما أتاه مغفور.
إذْ أُرْتِجَ باب البواعِث والدَّواعي، بانْقِراض أهل الكرم والمسَاعي.

Marfat.com
Marfat.com

جوائِزُ الأُمَرا، إجادَةُ الشُّعرا.

ولذلك قلت بغير امْتِرا: [م. الكامل]

قـالـوا أجـاد الـبُـحْـتُـرِيُّ ... كـمـا أجـاد أبـو ثُـوَاسِ
فـأجـبـت كـانـوا فـي أنـا ... سٍ هُـمْ ولَـسْـنَـا فـي أنـاسِ
وإذا نـظـرتَ فـمـا أجـا ... دَ سِوَى الـمـواهـب فـي الـقـيـاسِ

ومِمَّا جرَّدته من «ديوانه» قوله من مقصورة مطلعها: [السريع]

حَيَّ الْحَيا مَعهدَنا بالـلِّوَى ... حيثُ هوَى النَّفس وغَيُّ الصِّبَا
وجادَه كـلُّ هَـطـولٍ سـرَتْ ... تَخْدُو به في الأُفُقِ ريح الصَّبَا
لَيْلَتَه حتَّى بدا صُبْحُها ... فأقْلَعَتْ دِيمتُه فانْجلَى
وقد أشاع الخِصْبَ في أرْضِه ... فأصْبَحتْ تزْهُو بزهْرِ الرُّبَى
ومدَّ فيها جِبَراً وُشِّيَتْ ... بالنَّبْتِ قد كُلِّلَ منها النَّدَى
وغادر الغُدْرانَ في رَبْعها ... تَغَصُّ بالعَذْب النَّمِيرِ الرَّوَا
ولا جَفا نَجْدَاً ولا حاجِراً ... كلُّ هزِيمِ الوذْقِ هامي الحَيَا[1]
منازلاً وَاهاً لأيَّامها ... كانَتْ مِظنَّاتِ الصِّبا والهوَى
حيثُ الأمانِي طَوْعُ آمالِنا ... والسَّعدُ عبدٌ طائِعٌ والمنى
لله أيامٌ تَقَضَّتْ لنا ... بين ذُرَى الجِزْعِ وسَفْحِ اللوَى
ما كانَ أهْنَا عيْشها ليته ... دام وليت العُمرَ فيه انْقَضَى
مَرَّتْ كنَجْمٍ قد هوَى ساقِطاً ... لم يغْتَلِقْهُ الطَّرفُ حتَّى اخْتَفَى
يا هلْ مُعِيدٌ لي عَيْشاً بها ... هيهات لا يرجِعُ شيءٌ مضَى
ليت لياليَنَا وأيامَنا ... كانَتْ لِلَيْلاتِ ألالٍ فِدَا
وَيْلاهُ من سرعَةِ تَفْرِيقِنا ... وَشَتَّ شَمْلِ الحيِّ بعدَ النَّوَى
وآهِ من وَقْفَةِ تَشْيِيعِهِمْ ... وقد شَرِقْنا كلُّنا بالبُكَا
وسارَتِ العِيسُ بأحْدَاجِهِمْ ... واسْتَوْدَعُوا فيها بُدُورَ الدُّجَى[2]
مِن كلِّ هَيْفَاءَ إذا ما بدَتْ ... تَخْتَالُ أذْرَتْ بغصُونِ النَّقَا
خافِقةِ القُرْطَيْنِ رُعْبُوبَةٍ ... زَادِ الوِشَاحَيْنِ أناةِ الخُطَى[3]
رخيمةِ الدَّلِّ إذا ما بدَتْ ... تَسْحَرُ بالَّلحْظِ عُقولَ النُّهَى

---

(١) الودق : شدة الحر، والموضع فيه بقل أو عشب. انظر القاموس المحيط مادة / ودق / .
(٢) الحدج: الحمل مركب للنساء كالمحفة. انظر القاموس المحيط مادة / حدج / .
(٣) رعبوبة: شطبة تارة، أو بيضاء حسنته رطبة حلوة، أو ناعمة. انظر القاموس المحيط مادة /رعب/ .

Marfat.com
Marfat.com

ما ظَبْيَةُ البانِ على حُسْنِها إذا تَبَدَّى جِيدُها والطُّلاَ
وظَبْيِ إنْسٍ زارني طارقاً والبدرُ لا يُبْدِيه إلا الدُّجَى
بات يُعاطِي الرَّاحَ من ثَغْرِه مَمْزُوجةً بالعسَلِ المُجْتَنَى
أشْتَمُّ من رَيْحَانِ أضْدَاغِه وأجْتَبِي باللَّحْظِ وَرْدَ الحَيَا
وأجْتَلِي غُصْنَ قَوامٍ له أهْيَفَ يحْكِي بانَةَ المُنْحَنَى
لَهْفِي على عَيْشِ التَّصابِي ويا آهَةَ قلْبِي لزمانِ الصِّبا
حيثُ الشَّبابُ الرَّوْقُ يُغْرِي بنا حَفْلَ الظِّبا الغُرّ وسِرْبَ الْمَهَا
كانت عَروسَ الدَّهرِ أيامُنا طارتْ بها العَنْقَاءُ نحوَ السَّمَا

ومن ربيعيَّاتِه قوله: [م. الكامل]

انظُرْ إلى فصلِ الرَّبيـ ـعِ كأنَّه فصلُ الشَّبابِ
والزَّهْرُ مثلُ خَلائقِ الْـ أصْحابِ من زُهْرِ الصِّحابِ
وغصونُ بَانَاتِ اللِّوَى كمَعاطِفِ الهِيفِ الرِّطَابِ
والوردُ أشبهُ بالخُدو دِ من الشِّفاهِ على الشَّرابِ
أوَ ما تَرى حَدَقَ الحَدا ئِقِ كيفَ تَغْمِزُ للتَّصَابِي
وأصابعَ المنْثورِ مُسـ ـرِعةً تُشِيرُ إلى الرِّقابِ
وأكُفَّ أوْراقِ الغُصو نِ تَظَلُّ تدعُو بالمَتابِ
فاعكُفْ على روضاتِهِ فالوردُ دان إلى الذَّهَابِ
مُتَمَتِّعاً بنعِيمِه من قبلِ بَيْنٍ وانْتِيَابِ
فجميعُ ما فوق الثُّرا بِ مِن الثُّرابِ إلى الترابِ

ومن خمريَّاته قوله: [الخفيف]

وَنَدِيمٍ نَبَّهْتُ ليلاً فَهَبَّا وهْوَ سُكْراً يميلُ شَرْقاً وغَرْبَا
قال لَبَّيْكَ قلتُ هاتِ اسْقِنيها فَتَرَدَّى وقال طَوْعاً وحُبّا
فسقانِي ثلاثةً وتَحَسَّى بعضَ كأسٍ فَرَدَّها وأكَبّا
قلتُ أفْدِيكَ مِن نَدِيمٍ مُطِيعٍ لو رأى طاقةً بها ما تأبَّى
ثمَّ وَسَّدْتُهُ وعدتُ إلى الشُّرْ بِ وحيداً فما اسْتَلَذَّيْتُ شُرْبَا
إنَّ طِيبَ المُدَامِ بين النَّدَامَى وسرورَ النُّدْمَانِ فيمن أحَبّا
لو رأوْا لَذَّةً بدونِ شَرِيبٍ لم يُسَمُّوا فيها نَدَامَى وشِرْبَا

وله أيضاً: [الخفيف]

بحياتِي يا بدرُ أو بِحياتِكْ لا تَقُلْ لا يا قُبْحَ لا مِن لُغاتِكْ

Marfat.com
Marfat.com

قم بنا نَغْنَم الوِصَالَ ورُوحِي ... في سبيلِ الهوَى وفي مَرْضَاتِكْ
قم فلا غَيْرُ كونِ شَكٍّ يَقِيناً ... مِن صِفاتِي بين الورَى وصِفاتِكْ
يا فَدَتْكَ النُّفُوسُ فيما الثَّوانِي ... ما تَرَى البَسْطَ عَزَّ في أوْقاتِكْ
هاتِها بُكرةَ النَّهارِ فطِيبُ الرَّ ... احِ قبلَ الضُّحَى وقبلَ صَلاتِكْ
ثم هَجِّذْ بنا تُقِيلُ قليلاً ... عند غَمْزِ الصَّهْبَاءِ عُودَ قَناتِكْ
ثم عُدْ للشَّرابِ تَفْدِيكَ نَفْسِي ... واسْقِنِيها واشْرَبْ معِي بِحَياتِكْ
إن كلَّ الحياةِ كأسٌ مُدارٌ ... ونديمٌ وشادِنٌ من سُقاتِكْ
فاغتَنِمْ فُرْصة الزَّمانِ فقد قِيـ ... ـلَ أُخُو اللَّذَّةِ الجَسورِ الفاتِكْ
لا تُؤخِّر يوماً غداةَ سُرورٍ ... لِعَشِيٍّ وفُتْهُ قبلَ فَواتِكْ
إنَّما هذه الحياةُ كحُلْمٍ ... طارقٍ تَسْتَلِذُّه في سُبَاتِكْ

وله من قصيدة مطلعها: [السريع]

ياليت شِعْرِي والمُنَى بُعْدُ ... ماحالُ سُكَّانِكِ يا نَجْدُ
وكيف دَعْدٌ بعد أيَّامِنا ... تَبْقَى لنا دُون النِّسا دَعْدُ
هل أخْفَرتْ من عهدِنا في الهوَى ... بعد النَّوَى أم عَهْدُها العَهْدُ
لا غَرْوَ أن قد غَيَّرتْها النَّوَى ... فرُبَّما غيَّرَك البُعْدُ
لِلهِ يا نجدُ الظِّباء التي ... قَيَّدَها فيكَ لنا الوُدُّ
حيثُ الهوَى الرِّيقُ لنا خَادِمٌ ... لم يَألُ جُهْداً وَ المُنَى عَبْدُ
وَرَبْعُك الرَّحْبُ لنا جَنَّةٌ ... لو أنها دام بها الخُلْدُ
والنَّبْتُ جَمُّ تَرْتَعِيهِ حِمَى ... والماءُ لا مُسْتَكْدَرٌ رَغْدُ
في غَمْرةِ القَصْفِ لرَيْق الصِّبا ... نروحُ في العَيش كما نَغْدُوا
حَيَّ الْحياَ ذاك الزمانَ الذي ... مَرَّ به من عَيْشِنا الرَّغْدُ
أيَّامَ أسْعَى ومَها حاجِرٍ ... يلفُّنِي من وَصْلِها بُرْدُ
لا راقبٌ عَيْناً ولا مُفْكِرٌ ... في الوَصْلِ أن يَعْقُبَه الصَّدُّ
في فِتْيةٍ مثل نجوم الدُّجَى ... كأنهم قد نُظِمُوا عِقْدُ
مِن كل ظَبْيٍ قَضَفٌ قَدُّهُ ... لا البانُ يحكِيهِ ولا الرَّنْدُ
جَذْلانَ رَاوِي الرِّدْفِ ظامِي الحشا ... يضيعُ ما بينَهما النَّدُّ
يُزْهِي على رِيمِ الفَلا جِيدُهُ ... ويزْدَهِي بدرَ السَّما الخَدُّ
واهاً له من زَمنٍ سالِفٍ ... وألْفُ آهٍ لك يا نَجْدُ
ومنْزِلٍ أخْلَقَ من نَسْجِهِ ... كَرُّ السَّوافِي فيه والشَّدُّ[1]

(١) السواف: كل عرق من الحائط. انظر القاموس المحيط، مادة (سوف).

Marfat.com
Marfat.com

عَـهْـدِي بـه بُـرْداً قَـشِـيـبَ الـسَّـدَى فـازتَـدَّ وهْـوَ الـرَّيْـطـةُ الـجَـزْدُ[١]
مَـحَـتْ يَـدُ الأنْـواءِ آيـاتِـهِ إلاَّ بَـقـايـاَ أسْـطُـرٍ تَـبْـدُو
أعْـجَـمَ مـن مُـعـرَبـه شـكـلُـه إن حـال عَـقْـلاً قـبـلَـه بَـعْـدُ
حـتَّـى أضَـلاَّ فـيـه عِـلْـمِـي بـهِ إذْ بُـدِّلـتْ مـن هُـضْـبِـه الـوُهْـدُ[٢]
وقَـفْـتُ عِـيـسِـي فـيـه مُـسْـتَـعْـبِـراً أقـولُ آهـاً تَـعِـسَ الـبُـعْـدُ
إلـى هُـنـا بـعـدَ لـيـالٍ خَـلَـتْ مَـغْـدُودَةٍ قـد بـلـغَ الـحَـدُّ
هَـبْ أن سُـكـانـكَ قـد أجْـفـلَـتْ عـنـكَ فـأيـنَ الـغَـوْرُ والـنَّـجْـدُ
لـم يَـبْـقَ إلاَّ طَـلَـلٌ شـاخـصٌ كـالـوَشْـمِ مَـحْـى جُـلِّـه الـزَّنْـدُ

وله: [الرمل]

هـاتِـهـا تَـفْـديـكَ رُوحِـي قَـهْـوَةً أذرَكَـتْ عَـاداً وأيـامَ لُـبَـدْ
واسْـقِـنـي واشْـرَبْ ولا تـذكُـرْ لـنـا خَـبَـرَ الـنَّـاسِ ولا سِـغْـرَ الـبـلَـدْ
إنَّ لـلـعـالَـم رَبَّـاً إن يَـشَـأْ صَـلُـحَ الـعـالَـمُ أو شـاءَ فَـسَـدْ

وله: [الخفيف]

اسْـقِـنـيـهـا قـبـلَ ارْتـفـاعِ الـنـهـارِ إن طـيـبَ الـمُـدامِ فـي الإبْـكـارِ
هـي بِـكْـرٌ فـاشـرَبْ ويـومـك بِـكْـرٌ لـم تَـشُـبْـه الأنـامُ بـالأكْـدارِ
الـصَّـبـوحَ الـصـبـوحَ فـي جِـدَّة الـيَـ ـوْم فـإنَّ الـصَّـبـوحَ روحُ الـعُـقـارِ
يـا فَـدَتْـكَ الـنـفـوسُ وهْـيَ قـلـيـلٌ مِـن نَـديـمٍ سـهـلِ الـطِّـبـاعِ مُـدارِ
هـاتِـهـا ضَـحـوةَ الـنَّـهـارِ شَـمُـولاً مـثـلَ شـمـسِ الـنـهـارِ وسْـطَ الـنَّـهـارِ
قـهـوةً مـثـلَ مـقـلـةِ الـدِّيـكِ صَـهْـبَـا ءَ كـنـارِ الـكـلـيـمِ لـيـسـتْ بـنـارِ
ذاتَ عـصْـرٍ أذنـاهُ عـهـدُ أنـو شـرْوانَ لـيـسـت بـمـزَّةٍ مُـضْـطـارِ[٣]
لـطَّـفَـتْـهـا كَـرُّ الـسِّـنـيـن فـلـم تُـبْـ ـقِ سـوى لَـمْـحَـةٍ مـن الأنـوارِ
فـتـراءتْ كـالـشـمـسِ غِـبَّ سـمَـاءٍ تُـجْـتَـلَـى بـيـن حُـمْـرَةٍ واصـفـرارِ
لسـتَ تخْشَى من لطفِها بعد سُكْرٍ مِـن صُـداعٍ بـادٍ ولا مـن خُـمـارِ
فـي ريـاضٍ تُـزْهِـي بـبَـاكُـورِ وردٍ وأقـاحٍ وسَـوْسَـنٍ وبَـهَـارِ
ذاتِ أرضٍ مَـوْشِـيَّـةٍ بـربـيـ ـعٍ ذهَّـبَـتْ وَشْـيَـهـا يـدُ الأزهـارِ

(١) السُّدى من الثوب: ما مد منه. القاموس المحيط مادة (سدى).
الريطة: كل ملاءة ليست لفقتين أي قطعتين. المصباح المنير مادة (ريط).
ثوب جرد: خلق. القاموس المحيط ماد (جرد).
(٢) الوهد: الهوة في الأرض، الأرض المنخفضة. القاموس المحيط (وهد).
(٣) المصطار: هو الحامض من الخمر، القاموس المحيط مادة (مصطار).

Marfat.com
Marfat.com

يستفيقُ المخمورُ إن مرَّ فيها ... مِن هواءٍ صَافٍ وماءٍ جَارِ

هذا مأخوذ من قول الوَأْوَاء الدِّمَشْقِيّ[1]: [الطويل]

سقى الله ليلاً إذْ زَارَ طَيْفُهُ ... فأقْنَيْتُه حتَّى الصَّباحِ عناقَا

بِطِيبِ نسيمٍ فيه يُسْتَجْلَبُ الكَرَى ... فلو رَقَد المخْمُورُ فيه أفاقَا

وفي الثاني ما يُوهِم التَّناقُض.

والوَأْوَاء أخذَه من قول الفَتْح بن خاقان، في وصفِ جاريةٍ له، وهو ما نقَل ابن حَمْدون، قال[2]: كان الفتح بن خاقان يأنَس بي، فقال لي مرة: شَعَرتُ يا أبا عبد الله أنِّي انْصَرَفْتُ البارحة من مجلس أمير المؤمنين، فلما دخلت منزلي استَقبَلَتْني فلانة، فلم أتَمالَكْ أن قبَّلْتُها، فوجدت فيما بين شَفَتَيْها هواءً لو رقدَ المخمورُ فيه لصَحَا.

ومنه في الغزل قولُ شرف الدين القَابُوسِيّ[3]: [السريع]

قابَلَني ليلةَ قَبَّلْتُه ... ظبيٌ من الشمس غَدَا أمْلَحَا

طِيبُ نسيم بين أسنانِهِ ... لو رقَد المخمورُ فيه صَحَا

تتمّة الأبيات:

قُم بنا يا نديمُ يَفْدِيكَ مالِي ... مِن تلادٍ وطارِفٍ وعَقارِ

نقْطعُ الدَّهرَ كلَّ يومٍ بِزِقٍّ ... وغَزالٍ ساقٍ وكأسٍ مُدارِ

آنَ طِيبُ الزَّمانِ واعْتدل الجَوْ ... وصار الضُّحاء كالأسْحَارِ

وأتاك الرَّبيعُ يضحكُ عُجْباً ... وهْوَ مِن نَسْجِ نَوْرِهِ في إزَارِ

يا نديمي أفْدِيكَ فيما التَّوانِي ... ما تَرَى البَسْطِ ابنَ اللَّيالِي القِصارِ

فاسْقِنيها واشْرَبْ على زَهْرَة الرَّوْ ... ضِ وسجْع القُمْري وشَدْوِ الهَزَارِ

وَتَغنَّمْ صَفْوَ الزمانِ وَرَوْقَ الْـ ... عُمْرِ من قبلِ ضَيْعَةِ الأعْمارِ

لا تُبالِي إذا سكِرْتَ بِوِزْرٍ ... إنَّ مَوْلاكَ غافِرُ الأوْزارِ

وله من قصيدة مطلعها: [الرمل]

نُقِضَ الجُرحُ وكان انْدَملا ... وامْتَلا القلبُ وقد كانَ خَلا

عادَهُ داءُ الهَوَى من بعدِ ما ... راحَ وقد أقْرَقَ عنْهُ وسَلا

ما لهُ تُزْعِجُه زَفْرَتُه ... كلَّما اسْتَافَ صَباً أو شَمْأَلا

وإذا شامَ بُرُوقاً لَمَعَتْ ... غَلب الدَّمْعُ الحيَا فانْهَمَلا

---

(١) انظر ديوانه (١٦٤)، ويتيمة الدهر (١/ ٢٨٩)، وخلاصة الأثر (١/ ٤٠).
(٢) انظر يتيمة الدهر (١/ ٢٨٨)، وخلاصة الأثر (١/ ٤٠).
(٣) انظر خلاصة الأثر (١/ ٤٠).

Marfat.com
Marfat.com

ومتى أبْصَرَ بدراً طالِعاً ... ظنَّهُ عنه الذي قَدْ أفَلا
عاشَ في أرْغَدِ عيش بُزهةً ... مُستَريحاً راقَ حالاً وحَلا
ليس يذرِي الهمَّ حتى أن رأى ... ليْتَه لم يرَ تلكَ المُقَلا
فَعَلَتْ فيه بطَرْفٍ لو رمَى ... حَجراً صَلْداً به لانفَعَلا
كيف لا يَجْرَحُ قلبي طَرفُه ... وإذا السَّيْفُ تَحرّى قَتَلا
والذي يَصْبُو لأخداقِ المَها ... لم يَمُتْ إلاَّ بها مُنجَدِلا
لائِمَ الصَّبِّ على الحِب الذي ... سَيْفُ لَحظَيْه يُبيحُ الأجَلا
خَلِّ عنك اللَّومَ بالله فقدْ ... سبَق السَّيْفُ إليه العَذَلا
وَيْحَ قلْبِي مِن هَوَى ذِي صَلَفٍ ... ظالم في حُكْمِه لو عَدَلا
ما لَهُ حَمَّله ما لم يُطِقْ ... أتُراهُ ظَنَّ قلبي جَبَلا
قال يَسْتَطْرِدُ بي ما حالُه ... صارَ للعُشَّاقِ فينا مَثَلا
أيُّها المُعْرِضُ لا عن زَلَّةٍ ... أدَلالاً كان ذا أم مَلَلا
بأبي الرِّيمُ الذي مِن طَرْفِه ... سَرَق الظَّبيُ الكَحِيلُ الكَحَلا
غُصُنُ البَانِ الذي في قَدِّهِ ... سلَب اللِّينَ القَنَا والأسَلا
يا خَلِيلَيَّ بلا أمرِ سَلا ... عن فُؤادي بعده ما فَعَلا
أمُقِيمٌ بعده يصْحبُه ... أم دَعَاهُ للرَّدَى فامْتَثَلا

وله من أخرى مطلعها: [الرجز]

دَرَّ لها خَلْفُ الغَمام هاطِلاً ... فجادَها من رامَةٍ منازِلا
منازلاً كان المُنَى مُنَادِماً ... فيها وَصَرْفُ الدَّهرِ عنها غافِلا
تَسْبَحُ في غَمْرتِه ولم نَكُنْ ... نُزايلُ الرَّوضاتِ والحَمائِلا
لا تَسْتَفِيقُ من خُمارِ لَذَّةٍ ... نُتْبِعُ أبْكارَ الهوَى الأصَائِلا
جِنانُ أُنسٍ فارَقَتْها عَنْوَةً ... نُفُوسُنا واجِدةً ثَواكِلا
واهاً لها وآهَةً لو بَقِيَتْ ... أو دامَ رَبْعُ اللَّهْوِ منها آهِلاً

ومنها:

كان الشَّبابُ الرَّوْقُ فيها وبها ... قَضَيْتُ أيامَ الصِّبا الأوائلا
حيثُ الحِمَى مَسْرَحُ أسْرابِ المَهَا ... وحيث كنتُ مَرِحاً مُغازِلا
كلُّ غَزالٍ آنِسٍ لحاظُه ... للعاشِقين لم تَزَلْ قواتِلا
تُضْمِي إذا ما قصَدتْ بأسْهُم ... نِصالُها لا تُخْطِئُ المَقاتِلا
قَضِيبُ بانٍ قَضَفٌ على نَقاً ... فوقَها تَرقُبُ بدراً كامِلا

Marfat.com
Marfat.com

ما بَانَةُ الجزْع على نَظْرتِها ... إذا ثَنَى منه قَواماً عادِلا

ومن غزليّاته قوله: [السريع]

مَهْلاً فقد أسرَعْتَ في مَقْتَلي ... إن كان لا بُدَّ فلا تَعْجَلِ
أنْجَزْتَ إتلافِي بلا عِلّةٍ ... اللهَ في حَمْلِ دَمِي المُثْقِلِ
لم تَبْقَ لي فيكَ سوى مُهْجَةٍ ... باللهِ في اسْتِدْراكِها أجْمِلِ
إن كُنتَ لا بُدَّ جَوىً قاتِلي ... فاسْتَخِرِ الله ولا تَفْعَلِ
رِفْقاً بما أبْقَيْتَ من مُذْنَفٍ ... ليسَ له دونَكَ مَعْقِلِ
يكادُ من رِقَّتِه جِسْمُه ... يسيلُ مِدْمَعِهِ المُنْسَبَلِ
مالَكَ في إتْلافِهِ طائلٌ ... فارْعَ له عَهْداً ولا تُهْمِلِ
كم من قتيلٍ في سبيلِ الهوَى ... مِثْلِي بلا ذَنْبٍ جَنَى فابْتُلِي
أوّلَ مقْتولٍ جَوًى لم أكُنْ ... قاتلُه جَارَ ولِمَ يَعْدِلِ
يا مانِعي الصَّبْرَ وطيبَ الكَرَى ... عن حالتي بَعْدَكَ لا تَسْأَلِ
قد صِرْتُ من عِشقِكَ حَيْرَانَ لا ... أعلمُ ماذا بِي ولم أجْهَلِ
أغَصُّ من دَمْعِي حِفاظاً لما ... فارَقْتُه من ريقِكَ السَّلْسَلِ

ومنها:

أفْدِيكَ بالنَّفْسِ وما دُونَها ... ما قِيمَةُ الأرواحِ إن تَقْبلِ
يا غُصْناً مَال إلى طَبْعِهِ ... مَن ذَلَّ جَفْنَيْكَ على مَقْتَلِي
ورَامِياً أعْجَبُ من أنَّه ... أصَاب في الرَّمْيِ ولم يُمْهِلِ
رَمَى فَأصْمَى مُهْجتِي سَهْمُه ... فكان مثلَ القَدَرِ المُرْسَلِ
يا وَيْحَ قلبِي مِن هَوَى ظَالِمٍ ... يأخُذُ بالذَّنْبِ ولم يعملِ
أستغفِرُ الله إليه وإنْ ... لم أقُلِ القَوْلَ ولم أفْعَلِ
يا أعْدَلَ النَّاسِ على ظُلْمِهِ ... ويا أحَقَّ النَّاسِ من مُبْطِلِ
وَجَدْتُ تعْذِيبَكَ مُسْتَعْذَباً ... فاهجُرْ إذا شِئْتَ وإلا صِلِ

وله: [الوافر]

ويومٍ فاخِتِيٍّ الجوُّ رَطْبٍ ... يكاد من الغضَارةِ أن يَسِيلا[1]
نعِمْتُ به ونُذْمانِي أدِيبٌ ... وَقُورٌ في تَعاطِيهِ الشُّمُولا
قَطَعْنا صُبْحَه والظّهر شُرْباً ... وجاوَزْنا العَشِيَّةَ والأصِيلا
لدَى رَوضٍ عميم النَّبْتِ يُزْهِي ... بأزْهارٍ نمتْ عَرْضَاً وَطُولاً

(١) الفخت: هو ضوء القمر. القاموس المحيط مادة (فخت).

Marfat.com
Marfat.com

يـدورُ بـه سـوارُ الـنـهـرِ طَـوْراً كـمـا يَـتَـعـانَـقُ الـخِـلُ الـخَـلِـيـلا
وسـاقِـيـنَـا رَخِـيـمُ الـدَّلِ يَـسْـبِـي إذا مـا رَدَّدَ الـطَّـرْفَ الـكَـحِـيـلا

وله من قصيدة، أولها: [المتقارب]

تـألَّـقَ يَـقـدُم رَكْـبَ الـنُّـعـامَـى شَـروداً أبـى سُـزعـةً أن يُـشـامـا
خَـفِـيّـاً كَـنَـبْـضِ ذِراعِ الـمـريـضِ ولَـمْـحِ ثُـغـورِ الـحِـسـانِ ابْـتِـسَـامَـا
كـأنَّ الـسَّـمـا رَيْـطَـةٌ رُحِّـلَـتْ وذهَّـبَ مِـن طَـرَفَـيْـهـا الـغَـمـامَـا
بَـدَا والـدُّجـى فَـحْـمَـةٌ كـالـلَّـهِـيـب لـه شَـرَرٌ بـالـذَّراري تَـرَامَـى
فَـهَـيَّـجَ لـلـقَـلْـبِ أشـواقَـهُ وَنَـبَّـهَ لَـوْعَـتَـه ثـم نَـامَـا
سـرى مُـوهِـنـاً فـاسـتَـطـارَ الـفُـؤادُ إلـى مـا تَـذكَّـر مـنـه وهَـامَـا
تـذكَّـرَ أيَّـامَـه بـالـغَـمِـيـمِ فَـحَـنَّ ومـا كُـنَّ إلاَّ مـنَـامَـا
أثـارَ لـه مـن جَـواهُ الـقـديـمِ وقـلَّـده الـوَجْـدَ طَـوْقـاً لِـزامَـا
تـحـرَّشَـه فـسَـبـاهُ جَـوىً وجَـرَّدهُ فـقَـضـاهُ غَـرامَـا
ومُـذْ خالَـه الـطَّـرْفُ سِـقْـطَ الـزِّنـادِ أمـال إلـى الـقـلـبِ مـنـه الـضِّـرامـا
لـقـدْ كـانَ فـي راحَـةٍ قَـبْـلَـهُ فـجـرَّ إلـى عـاتِـقَـيْـهِ حُـسـامَـا
وقـد كـان مـن قـبْـلِـه دَاؤُهُ دَفِـيـنـاً فـهـيَّـجَ مـنـه الـسَّـقـامَـا
أيـا بَـرْقُ كـم ذا تُـعَـنِّـي الـحشَـا أعَـمْـداً تَـرُومُ أذاهُ عـلـى مَـا
إلـى مَ تُـمـثِّـل نَـجْـداً لـه فـيـهْـفُـو وهَـيْـهَـاتَ نَـجْـدٌ إلـى مَـا
تـقـولُ وأسْـبـابُ هـذا الـغَـرام ضُـروبٌ تُـحـيِّـرُ فـيـه الأنـامَـا
أمِـنْ كَـبِـدِي سَـيْـفُـهُ مُـصْـلَـتٌ فَـيُـبْـدِي الـوَجِـيـبَ إلى أن يُـشَـامَـا[1]
لَـعَـمْـرُكَ مـا ذاكَ لـكـنَّـمـا تـذكَّـر نَـجْـداً وأيَّـامَ رَامَـا
مـنـازلُ كـان الـمُـنَـى خـادِمـاً بـهـا والـزَّمـانُ لـديـنـا غُـلامَـا
فـآهـاً لأيَّـامِـهـا لـو تـدومُ وآهـاً لِـحُـلـمِـيَ لـو كـان دَامَـا
نَـشَـدْتُـكَ والـوُدُّ يـا صَـاحِـبِـي يـراهُ الـفَـتَـى الـحُـرُّ دَيْـنـاً لِـزامَـا
أعِـزْنِـيَ إن كـان طَـرْفٌ يُـعَـارُ فـإنْـسَـانُ عَـيْـنِـي بـدَمْـعِـي عـامَـا
يـرى لـي فُـؤادِي وراءَ الـرِّكـاب أسَـارَ وإلاَّ لِـعَـجْـز أقـامَـا
فـمِـن يـومِ بِـثْـنَـا عـلـى غُـرَّبٍ نُـشَـيِّـعُـهـم وأشـالُـوا الـخِـيـامَـا
أضَـلَّـيْـتُـه بـيـن بَـانِ الـكـثِـيـبِ ومـا ثَـمَّ إلا ظِـبَـاهُ قِـيـامَـا
خَـفِ الله يـا ظَـبْـيَـاتِ الـنَّـقَـا أمـا فـي دَمِـي تَـحْـمِـلِـيـنَ الأثـامَـا

(١) وجيب: القلب، وجب وجيباً ووجباناً: خفق. القاموس المحيط، مادة (وجب).

Marfat.com
Marfat.com

رعَـى اللهُ مِـنْـكُـنَّ ظَـبـيـاً أغـرّ ... أحَـلَّ بِـجِـسْـمِـيَ داءً عُـقَـامَـا
أغَـار عـلـيـه اعـتـنـاقَ الـصَّـبـا ... وأحْـسَـدَ رَشْـفُ لَـمـاهُ الـبَـشَـامَـا
إذا مـا بَـدَى فـي الـدُّجَـى خَـدهُ ... أحـال الـدُّجَـى مِـن ضِـيـاهُ عَـيَـامَـا
يـبـيـتُ عـلـى غِـرَّةٍ لا هِـيـاً ... إذا بِـتُّ أجْـرعُ فـيـه الـحِـمـامَـا
ولَـيْـلَـةَ زارَ عـلـى شَـخـطِـهِ ... تَـحـاشَـى الـضِّـيَـا فـتـوارَى الـظَّـلامَـا
سَـرَى والـدُّجَـى عـاكِـفٌ راجِـلاً ... حَـذَارَ الـمَـطِـيَّـةِ تُـبْـدِي الـبُـغـامَـا[1]
فَـوافَـى عـلـى عَـجَـلٍ مَـضْـجَـعِـي ... ومِـن دُونـه بَـطْـنُ فَـلْـج ورَامَـا
فـبِـتُّ أعـانِـقُ مـنـه الـقَـضِـيـبَ ... وأرْقُـبُ مـنـهُ الـهِـلالَ الـتُّـمـامَـا
وأشْـتَـمُ مـن خَـدِّه وَردةً ... وأرْشُـفُ مـن شَـفَـتَـيْـهِ الـمُـدامَـا
ووَدَّع لـو كـان ذاكَ الـوَداعُ ... وسـارَ فـودَّع جَـفْـنِـي الـمَـنـامَـا

ومن مشهور شعره خمريَّته هذه: [الخفيف]

هـاتِـهـا هـاتِ نَـصْـطَـبِـخْ يـا نَـدِيـمُ ... قـد تَـنـاهَـتْ خُـطـوبُـنـا والـهُـمـومُ
لـيـسَ يَـنْـفـي الـهُـمـومَ مِـثـلُ شَـمُـولٍ ... كـم حَـسَـاهَـا فـأبْـرَأتْـهُ سَـقِـيـمُ
هـي شـمـسٌ والـهـمُّ لـيـلٌ ولـيـس الـلـ ... ـيـلُ والـشَّـمـسُ فـي الـوُجُـود يَـدُومُ
عَـلَّـنـا نـقـطـعُ الـزَّمـانَ سُـكـارَى ... لا نُـبـالِـي بـمـا جـرَى يـا نَـدِيـمُ
فَـلَـنـا أسْـوَةٌ بـهـذي الـبَـرايـا ... كـيـف نَـخْـشَـى الـبَـلاءَ وهْـوَ عَـمِـيـمُ
إنـمـا الأمـرُ لـلإلَـهِ تـعـالـى ... وهْـوَ بَـرٌّ بـالـعـالَـمـيـن رحـيـمُ
خَـلِّ عـنـا ذكـرَ ابـن سِـيـفَـا ومَـغْـنٍ ... إنَّـمـا يـطـلُـب الـغَـريـمَ الـغَـريـمُ
مـا لَـنـا والـحـروبَ نـحـنُ أُنـاسٌ ... مـا لَـنـا طـاقـةٌ بـشَـيْءٍ يَـضـيـمُ
هـمُّـنـا شُـربُـنـا الـطِّـلا وهَـوَانـا ... مِـن قـديـمِ هـذا الـشَّـرابُ الـقـديـمُ
أتْـرُكِ الـنَّـاسَ فـي يَـصـيـرُ ويَـجْـرِي ... ويـجـيـبُـوا ويـقْـعـدُوا ويُـقِـيـمُـوا
واسـقِـنِـيـهـا واشـربْ ثـلاثـاً ثـلاثـاً ... هـكـذا حُـكْـمُـهـا وأنـتَ حَـكـيـمُ
لا تـصِـلْ بـالـصَّـبـوحِ غـيـرَ غَـبُـوقٍ ... وتَـجـنَّـبْ فـي شُـربِـهـا مَـن يَـلـومُ
إنَّ كـلَّ الـحـيـاةِ كـأسٌ مُـدارٌ ... ونـديـمٌ حُـلْـوٌ وسـاقٍ كـريـمُ

وابنُ سِيفا هو الأمير يوسف ذلك الذي بلغ السُّها بجِدِّه، وكان أخا السيف في لأْلائِه ومضَاءِ حدِّه.

مِن أسرة طلَعوا كأنابِيب القَنا نَسَقاً، وفاحُوا كأزاهير الرِّياض عَبَقاً.

فإن غابُوا عن العَيان تَراءَوْا مشاعلَ في السُّرَى، وإن ظَهَرُوا رأت النَّواظِرُ بهم الثُّريَّا في الثرى.

---

(١) البغام: صوت الظبية، انظر المعجم الوسيط، مادة (بغم).

Marfat.com
Marfat.com

ما منهم إلا جواد شهِدتْ بسبْقِهِ ميادينُه، وأديبٌ حُبُّ الأدب شِرْعَتُه ودينُه.
وكانوا وُلاةَ طَرابُلُسَ الشَّام وحُكَّامَها، وبِقائِم سَيْفِهم تَوَلُّوا صِيانَتها وإحكامَها.
حتى وقع بين كبيرهم هذا وبين الأمير فخر الدين بن مَعْن، ذاكَ الغادِر الذي قَتَلَ الرَّاعي وساقَ الظُّعْنَ.
فجرَت بينهما حروبٌ لم يحصُل أحدٌ منها على وَطَر، وبقي الأمرُ بينهما مدة في تناكُر مُفْضٍ إلى خَطَر.
ثم خرج في أثناء ذلك ابن جانْبُولاذ الذي جاهد في الخلاف وجاهَر، وكاشَف بالانْحِراف عن السَّلْطَنة وكاشَر.

فانضَمَّ إليه ابن مَعْن وحزبُه، الذين تدرَّعوا جلود الحيَّات، وأقاموا آلاتِ حرْبِهم مُقام أنْمُل التَّحيَّات.
وكان من أمرِ الله أنّ الأمير يوسف جهَّزَ عليهم، ووصل بجُمُوعه التي يقْدر أن يُغلَّ بها جيشَ المصائبِ إليهم.
وهِمَمُهُ معلَّقة بالأثير، محلِّقة على فلك التدبير.
غيرَ أنَّ يدَ القَدر فوق التَّقْدير، وما يَصْنَع المرءُ إذا وقع في البير.
فلما تقابل الجيشان تمَّتْ على ابن سِيفا الهَزِيمَة، وانحلَّتْ منه تلك العزيمة.
وفرَّ من ذلك المكان إلى دمشق، فأقام بها مُختَفِياً أياماً، وهو من وَساوِس وَهْمِه لم يطعَمْ مَناماً.
فقصدوهُ مُتَتَبِّعين زَلَّة قدَمِه، وطالبين بسَيْفِ الاعتِداء سَفْكَ دَمِه.
فدخل بينَهم أهلُ دمشق وأطْفأُوا تلك النائرة، وأخمدوا ببَرْد الصُّلح تلك الفتنة الثَّائرة.

بمال حملوه إلى القوم، وسلِموا به من المحْذور واللَّوم.
وانقلب ابن سِيفا إلى وطنه، وهو شاكٌ من ضِيقِ عَطَنِه.
وتبدَّلَ تبسُّمه ذاك بالقُطوب، ونال القلوبَ كَمَدُ خَطْبِهِ الذي لا كالخُطُوب.
ومن ثُمَّ حالت بدَوْلَة بيتِه الأحوال، ولم تطُل أيّامُهم حتى أذِنَتْ شمسُها بالزَّوال.
فعلى ما تضمَّنَهُم من تلك الأزيَحِيَّة، أزكى السلام من الله تعالى والتَّحِيَّة.
وهذه الجملة وقعت في الأثنا، فكانت باعِثَةً على ما هو طلِبتي من الثَّنا.
وأرجعُ إلى ما أنا بصَدَدِه، أمدَّني الله بمَدَدِه.
ومن شعر الأكرَمِيّ قوله من خمريّته: [الخفيف]

كمْ جَلَوْنا في لَيْلَةِ الفِطرِ والأضْـ ـحَى على قاسيُونَ بكرَ الدِّنانِ
وشَرِبْنا في ليلةِ النِّصْفِ من شَعْـ ـبانَ صِرْفاً وفي دُجَى رَمَضانِ
ونَهارِ الخميسِ عَصْراً وفي الجُمْـ ـعَةِ قبلَ الصَّلاةِ بعدَ الأذان

Marfat.com
Marfat.com

وسقانا ظَبْيٌ غَريرٌ وغَنَّتْ ظَبيةٌ تَسْتَبِيكَ بالألحَانِ
وَسَبَخْنا في غَمْرَة اللَّهْوِ والقَصْـ ـفِ على طاعةِ الهَوَى والأَمَانِي
ولَعَمْرِي لقد سَئِمْنا من الغَيّ وعَفْنَا من كَثْرَةِ العِصْيَانِ
لم نَدَعْ مُدَّةَ الصِّبا للتَّصابي مِن طريقٍ مَهْجُورَةٍ أو مكانِ
قد أطغنا غَيَّ الشَّبابِ بجهْلٍ فاغفُ عَنَّا يا واسِعَ الغُفْرَانِ

ومن مقاطيعه قوله: [المنسرح]

رُب رامٍ عن مِثْلِ حاجِبِهِ بِمِثْلِ ألْحَاظِه لِمُغْرَمِهِ
سَمَّى بِغَيْرِي مفوّقاً ودمِي فرُحْتُ وَخْدِي صريعَ أسْهُمِهِ

وقوله: [الخفيف]

قلتُ إذ لامَ في العِذارِ عَذُولِي وهْوَ في الخَدِّ للهوَى عُنْوانُ
إنَّ وَرْدَ الرِّياضِ أحسنُ ما كان إذْ دار حولَهُ الرَّيْحَانُ

وقوله في دُولاب الماء: [الوافر]

ودُولابٍ يَئِنُّ أنينَ صَبٍّ كئيبٍ نازحِ الأهْلينَ مُضْنَى
تذكَّر عهدَه بالرَّوضِ غُضْناً ومِحْنَةَ قَطْعِه فَبَكَى وأنَّا
وما يَدْرِي أتَزْدِيدٌ لمعنًى شَجاهُ أم حَنِينَ جَوَى المُعَنَّى

وقوله مُعَمِّياً باسم يوسف: [مخلع البسيط]

وشادنٍ كالقضيب عِطْفاً أطالَ في صبِّهِ عَنَاهُ
يكادُ عَضْبُ اللِّحاظِ منهُ بِغَيْرِ رَيْبٍ يَفْرِي حَشَاهُ

٢ - القاضي إسماعيل بن عبد الحق الحِجازِيّ

هذا القاضي قُضِيَ له بالأدب الوافِر، من منذ طَلع في مَهْده طلوعَ البدر السَّافر. فعرُف رشدُه قبل أوانِه، وهكذا الكتاب يُذرَى من عُنوانِه.

٣- هو الشيخ إسماعيل بن عبد الحق بن محمد بن محمد بن أحمد الحمصي الأصل، الدمشقي، الشافعي، القاضي الفاضل، الأديب الشاعر، ويعرف بالحجازي لمجاورته جده محمد بالحجاز. قرأ على العلامة فضل الله بن عيسى البوسنوي نزيل دمشق، وعلى العلامة عبد الرحمن العمادي المفتي، وأخذ فقه الشافعية عن الشرف الدمشقي، والطب عن جده محمد وغيره. وولي قضاء الشافعية بمحكمة قناة العوني، ونقل منها إلى الباب، وصار رئيس الأطباء عن الشيخ محمد بن الغزال. وكان شاعراً رقيق حاشية الطبع، رائق البديهة، حسن الأسلوب، لين العشرة، لطيف المؤانسة، حلو المذاكرة.
وكانت ولادته في سنة خمسين وتسعمائة وتوفي في سنة إحدى وألف، ودفن بباب الصغير إلى جانب أبيه وجده. ا. هـ خلاصة الأثر (١/٤٠٦).

Marfat.com
Marfat.com

وأبوه في الصَّنعة من الفُحول السُّبَّق، له في «الريحانة» ذكر أطيب من المِسك وأغبَق.

وهو فاح فَوْحَتَه، وجاء جَيْئَتَه، وراح رَوْحَتَه.

وحَذا في الغرامِيَّات حَذْوَه، فلم يُبْقِ نار وَجْدِه ولا جَذْوَة.

فهو مُخَمِّر الطِّينَةِ بالفضْلِ المحض، مجبُول الفِطرةِ على الأدَب الغَضّ.

مَجْدُه فوق الامْتِداح، وزَنْدُهُ يُضِيءُ قبل الاقْتِداح.

ولقد برَّز كلَّ التَّبريز، وما كلُّ قاضٍ قاضي تِبْريز.

فجاء بأفانِين من غَزلِيَّاتِه، تَهْزَأُ برَوْنق الصُّدْغِ في لَبَّاتِه.

وأطْرَب بألْحانِه، ولا إطْراب الخَمر بحَانِه.

وله أغَانٍ تكادُ بلا مَضارِب تُجاوِبُها الأوْتارُ، ولم يبقَ قلبٌ أدركَ مَغْناها إلاَّ وثار.

وكانت أرْيَحيَّات غرامه تَسْتفزُّه، وصَبُوباتِ مُدامِه تَسْتَهِزُّه.

فلا يزال هائِماً بِغَزال، ولا يَرِيم عن عِشْق رِيم.

وشِعْره الذي تُعلَّق به قلوبُ الأهْوا، يُعرِب عن حالِه إغرابَ الدَّمْع عن مكتوم سِرُّ الهوَى.

وهو سائِرٌ مُدوَّن، والجوْهر المُثَمَّن منه أذوَن.

فَدونَك ما هو ألْطَفُ من العِتاب، بيْن الصِّحَّاب، وأوقعُ من الرَّاح، مَمْزُوجاً بماء السَّحاب.

فمنه قوله: [م. الكامل]

لو أن بالعذَّال ما بِي ... ما عنَّفُوني بالتَّصابِي
كلاَّ ولو ذاقوا الهوَى ... مِثْلِي لمَا مَلَكُوا خِطابِي
وَيْلاهُ مِن بُعْدِ المزا ... رِ فإنَّه شَرُّ العِقابِ
قسماً بخَلْوَاتِ الحبِيـ ... ـبِ وطِيبِ وَقْفَاتِ العِتابِ
وتَذَلُّلِي يومَ النَّوَى ... لِمَنيع ذَيَّاكَ الجَنابِ
وبِوَقْفَتي أشْكُو هَوا ... يَ له بألْفاظِ عِذَابِ
أبْكِي وأسرِقُ أدْمُعِي ... خَوْفَ العواذِلِ في ثيابِي
ما لِلْمُحِبِّ أشَدُّ من ... نارِ التَّباعُدِ مِن عَذاب
بأبِي غَزالٌ لَيِّنُ الـ ... أعْطافِ مَغْسُولُ الرُّضابِ
مَيَّاسُ غُصْنِ قَوامِهِ ... يُزْرَى بِبَاناتِ الرَّوابِي
ريَّانُ من ماء الصِّبا ... سكرانُ مِن خَمْرِ الشَّبابِ
جَعَل التَّجافِيَ دَأْبَه ... وجعلْتُه وهَوَاهُ دَابِي
قال العَوَاذِلُ عندَما ... أبْصَرْنَ بالأشْواقِ ما بِي

Marfat.com
Marfat.com

قد كنتَ مِن أهل الفَصا ... حةِ لا تحُولُ عن الصَّوابِ
فأجَبْتُهمْ والقلبُ من ... نارِ الصَّبابَةِ في الْتِهابِ
الحبُّ قد أعْيَى فَصِيـ ... ـحَ القولِ عن رَدِّ الجَوابِ
وتراهُ إن حَضَر الحبيـ ... ـبُ لَدَيْهِ يَأخُذ في اضْطِرابِ

وقوله: [الوافر]

أجِرنِي من صُدُودِكَ بعد وعدِك ... وخَلِّصْ مُهْجَتِي من نار بُعْدِكْ
وخَصِّصْنِي بِرِقٍّ دونَ عِتْقٍ ... لأُدْعَى بيْنَ أقْوَامِي بِعَبْدِكْ
وقَصِّرْ طولَ لَيْلاتِ التَّنائِي ... ومَا لاقَيْتُ من أيّامِ صَدِّكْ
ومَعْصِيَةَ العَذُولِ ومَن نهانِي ... ضَلالاً في الهوَى عن حِفْظِ وُدِّكْ
وأنفاسٍ أصعِّدُها إذا ما ... ذكَرْتكَ والدِّياجِي مثلُ جَعْدِكْ
لأنْتَ لدَيَّ مُجْتَمَعُ الأمانِي ... وأكثرُ ما وَدَدْتُ بَقاءَ وُدِّكْ
وقد عَبَثَ الهوى بغُصُونِ قلْبِي ... كما عبَث الدَّلالُ بغُصْنِ قَدِّكْ

وقوله: [الطويل]

ولمَّا حَدا الحادُون بالبَيْنِ والنَّوَى ... وشَبَّ لِنارِ الاشْتِياقِ وَقُودُ
ولم يَبْقَ لي من مُنْجِدٍ غيرُ زَفْرَةٍ ... وَدَمْعٍ وأشْواقٍ عليَّ تَزِيدُ
طلَبْتُ من القلْبِ اضْطِباراً فقال لي ... وللشَّوْقِ عندي مُبدِئٌ ومُعِيدُ
قد كنتَ صَباً والدِّيارُ قريبةٌ ... فكيفَ وعهْدُ الدَّارِ عنكَ بَعِيدُ

وقوله: [الطويل]

ورُبَّ عِتابٍ بيننا جَرَّهُ الهوَى ... شَهِيٍّ بألْفاظٍ أرَقَّ من السِّحْرِ
وأحْلَى من الماء الزُّلالِ على الظَّمَا ... وألْطَفَ مِن مَرِّ النَّسِيمِ إذا يَسْرِي
عِتابٌ سَرَقْناهُ على غَفْلَةِ النَّوَى ... وقد طَرَفتْ أيدي الهوَى أعْيُنَ الدَّهْرِ
وقد أخَذَتْنا نَشْوَةٌ مِن حَدِيثِه ... كأنَّا تَعاطَيْنا سُلافاً مِن الخَمْرِ
ورُحْنا بحَالٍ تَرْتَضِيها نفُوسُنا ... وها أنا بين الصَّحْوِ ما زِلْتُ والسُّكْرِ

وقوله: [الطويل]

أيا قَمراً مِن وجْهِه طَلْعَةُ البَدْرِ ... ويا رَشَأً من لحْظِه صَنْعَةُ السِّحْرِ
حكَيْتَ القَنا والبِيضَ لحْظاً وقامَةً ... فمِن أجْلِ ذا أرْتاحُ للْبِيضِ والسُّمْرِ
وحقِّكَ لولا البدرُ يحْكِيكَ طَلْعَةً ... لمَا طَمَحَتْ عَيْنِي إلى رُؤيَةِ البَدْرِ
ولو لم يكنْ للخَمْرِ في فِيك نِسْبةٌ ... لما كنتُ أصْبُو عند ذِكْرَاهُ للخَمْرِ
ولولاكَ في قَصْرِ المُصلَّى وحَاجِرٍ ... لَما شَاقَنِي ذِكْرُ المُصَلَّى ولا القَصْرُ

Marfat.com
Marfat.com

فيا نازِحاً عن مُقْلَتي وهْوَ حاضِرٌ ... بقَلْبِي لقد أفرَطْتَ في الصَّدّ والهَجْرِ
ويا فاتِكَاً عَيْناهُ قد طَلَّتَا دَمِي ... وأسْلَمَتا قلبي إلى نُوَبِ الدَّهْرِ
تَرَفَّق بِدَمْعٍ طَرْفُه فيك مُطْلَقٌ ... وقَلبٍ من الأشواقِ في أوْثَقِ الأسْرِ

وقوله: [م. الكامل]

قلبِي مِن الأشواقِ لاهِفْ ... والدَّمْعُ من عَيْنَيَّ ذَارِفْ
أبْكِي وَدَمْعِي لم يدَعْ ... أحداً بحالِي غيرَ عارِفْ
ولقد أقول لِمَن يرَا ... نِي في طريقِ الذُلِّ وَاقِفْ
لولا المحبَّةُ يا رَفِيقي ... لم يكُن قلْبي لعاطِفْ
كلاَّ ولا أبْصَرْتَنِي ... للسُّقْمِ والبَلْوَى مُحالِفْ
أرْعَى النُّجومَ ولي فُؤا ... دٌ مِن دَواعِي البَيْنِ خائِفْ
أضْبُو إذا غَنَّى عَلَى ... أغْلَى غُصُون الدَّوْحِ هاتِفْ
ويَشُوقُنِي بَرْقٌ بَدَا ... مِن جانِبِ الأحْبابِ خاطِفْ
فَوَحَقِّ أغْصَانِ القُدو ... دِ ولِينِ هاتِيكَ المَعاطِفْ
وصباحِ مُبْيَضِّ الجَبِيـ ... ـنِ ولَيْلِ مُسْوَدِّ السَّوالِفْ
ولَواحِظٍ فَتَّاكَةٍ ... في جَفْنِها هاروتُ عاكِفْ
ومَرَاشِفٍ عَسَّالَةٍ ... يا حَبَّذا تلك المراشِفْ
ورَقِيقِ هاتِيكَ الخُصو ... رِ وتَخْتِها ثِقْلُ الرَّوادِفْ
ومَواقِفِ الذُّلِّ التي ... عَرَّفْنَنِي ذُلَّ المواقِفْ
أشْكُو الغرامَ وأزْتَجِي ... مِن مُثْلِفِي حُسنَ العَواطِفْ
ما حُلْتُ عنكَ وليس يضْـ ... ـرفُنِي عن الأشْوَاقِ صَارِفْ
وإذا أسأتَ فإنَّها ... عندي تُعَدُّ من اللَّطائِفْ
فسَقَى الإلَهُ زمانَنا ... ورَعى لَيَالِينَا السَّوالِفْ
أيامَ كنتُ لِعَاذِلِي ... ولِلائِمِي فيها أُخالِفْ

وقوله: [الوافر]

ورُبَّتَ لَيْلَةٍ قد زارَ فيها ... خَيَالٌ في الدُّجى منه طَرُوقُ
وباتَ تَشَوُّقِي يُذْنِيه مِنِّي ... ويُبْعِدُه من القلب الخُفوقُ
فلا أرْوَى الحشَا منه اغْتِناقٌ ... ولا بلَّ الجوى لي منه رِيقُ

وقوله مُضمِّناً: [الخفيف]

أرَّقَتْنِي الأشْجَانُ والأشْواقُ ... وبِسهْمِ النَّوى رَمانِي الفِراقُ

Marfat.com
Marfat.com

وَنَما الشوقُ في فؤادِي فضَاقَتْ ... فيك عن وَصْفِ ما بِيَ الأوْرَاقُ
ثمّ أنْشَدْتُ داعياً ولِدَمْعِي ... فيكَ من لوْعةِ الفراقِ انْطلاقُ
جمعَ اللهُ شَمْلَ كلّ مُحِبٍّ ... ويَدَا بِي لأنني مُشْتَاقُ

وقوله: [المجتث]

يا مُولَعاً بِصُدُودِي ... أَفْنَى الجَفَا مُسْتَهامَكْ
أعْرَضْتَ عنّي دَلالاً ... لمّا عَرَفْتَ مَقامَكْ
ضَيَّعْتَنِي بالتَّجافِي ... لمّا حفِظْتُ ذِمامَكْ
فلو شَهِدْتَ سُهادِي ... وَهَبْتَ جَفْنِي مَنامَكْ
فعَاذِلِي مُذْ رآنِي ... رَثَى لِحالِي ولامَكْ
يكْفِيكَ لَحظُكَ سَيْفاً ... فلا تُجرِّدْ حُسامَكْ
طُوبَى لبذرِ الدِّياجِي ... لو تَرْتَضِيهِ غُلامَكْ
ويا سَعادَةَ غُصْنٍ ... يَحْكِي اعْتِدالاً قَوَامَكْ
جَلَّ الذي يا حبيبي ... في ذا المقامِ أقامَكْ
إلى متَى يا فُؤادِي ... يُذْكِي هَواهُمْ ضِرَامَكْ
ويا عَذُولي إلى كَمْ ... تُطِيلُ فيهم مَلامَكْ
قد كلَّ بالعَذْلِ قلبي ... ومَلَّ مِنْ مَنْعِي مَلامَكْ
إن كنتَ رُمْتَ سُلُوِّي ... فلا بَلَغْتَ مُرامَكْ

وقوله: [م. الوافر]

ولي قلبٌ ألِيمٌ من ... صُدودِكَ دائمُ الضَّرَمِ
بِوُدِّي لو أُقَطِّعُه ... فإنَّ وُجودَه عَدَمِي
ولكن قَطْعيَ العُضْوَ الـ ... ـأليمَ يزيدُ في ألَمِي

وقوله، يصف ليلة مضت له في روضة أرِيضة، وساعَفَتْه بها آمالٌ من الوِصال عريضة: [البسيط]

للهِ ليلةُ أُنسٍ قد ظفِرتُ بها ... قَضَّيْتُها سَهَراً أحْلَى منَ الوَسَنِ
قد بِتُّها وعيونُ الدَّهْرِ غافلةٌ ... عنّي ولم أخْشَ فيها حَادِثَ الزَّمَنِ
في روْضةٍ رَحْبَةِ الأكْنافِ عاطِرةِ الـ ... ـأنْفاسِ قد جُلِّيَتْ في مَنْظرٍ حَسَنِ
والوُرْقُ في دَوْحِها باتَتْ تُطارِحُني ... شَجْواً لِمَا علِمَتْ في الحبِّ من شَجَنِي
فتارةً فَرْطُ أشواقِي يُرَنِّحُها ... وتارةً طُولُ مَبْكاها يُرَنِّحُنِي
وبات ظَبْيٌ تُناجِينا لَواحِظه ... بين الورى هيَ كانَتْ منْشأ الفِتَنِ

Marfat.com
Marfat.com

تُعْزَى الشَّمُول إلى مَغْنَى شمائِله ... والّلاذُ يُشْبِهُ منهُ رِقَّةَ البَدَنِ
بِتْنا كغُصْنَين في روضٍ يُرَنِّحُنا ... رِيحُ الصَّبا فَحَنَا غُصنٌ على غُصُنِ
وباتَ عِنْدِيَ شكٌّ في مُعانَقَتِي ... إيّاهُ حتى حسبْتُ اللُّطْفَ صاحَبَنِي
يا لَيْلَةً منه أرْضَانِي الزّمانُ بها ... عنْهُ على أنّه ما زالَ يُسْخِطُنِي

ومن مقاطيعه قوله: [الرمل]

كُلَّما حدَّثْتُ قلبي سَلْوَةً ... عن هواهُمْ قال لي لا يُمْكِنُ
وإذا ذكَّرْتُه أنَّهُمُ ... قد أساؤوا قال لا بل أحْسَنُوا

وقوله: [الخفيف]

قد وَقَفْنا بعد التفَرُّقِ يوماً ... في مكانٍ فَدَيْتُه مِن مكانِ
نَتَشاكَى لكنْ بغيرِ كلامٍ ... نتَحاكَى لكن بغيرِ لِسانِ

٤- يوسف بن أبي الفتح

إمامُ الأئمة، ومَن ألْقَتْ إليه مقاليدُ الحُظْوَةِ الأزِمَّة.
فتميَّز على أترابِه وأخْدانِه، تميُّز سَمِيِّه على إخوانه.
وذلكَ أنه من منذ ناسَتْ عَذَبَةُ ذؤابتِه، وأوْمَضَتْ للمُتَفرِّسِ مَخيِلَةُ نَجابَتِه.
تطلَّع في أعلا المصلَّى كأنما ... تطلَّع في محرابِ داودَ يوسُفُ

فَرَقِيَ مِنْبَرَ المسجد الجامع خطيباً، وملأَه مِسْكاً فلم يُذرَ أضمَّ خطيباً، أم ضُمُخَ طِيباً.

وأتى بما يُقَرْطُ الأسماعَ لُؤْلُؤاً، ويَملأُ الأفواهَ طِيباً والمحافلَ تَلألُؤاً. فطار صيتُه في الآفاق، ووقَع على تَفَرُّده في أسلوبِه الاتِّفاق. حتى تَطلَّبه السلطانُ فصيَّره إمامَه، وتوجَّهَ

٤- هو يوسف بن أبي الفتح بن منصور بن عبد الرحمن السقيفي الدمشقي، الحنفي، إمام السلطان وعلامة الزمان. ومولده بدمشق، وبها نشأ، وأخذ عن علماء عصره، ومنهم الحسن البوريني، وأخذ طريقة الخلوتية عن الشيخ أحمد العسالي، وأعطاه الله ما لم يعطه لأقرانه من الذكاء، وحسن الطبع، ولطف الشعر، وحلاوة النطق، وحسن الصوت. وولي في أول أمره خطابة السليمية ثم سافر إلى الروم وأقام بها مدة اشتهر بها أمره وشاع وملأ خبر فضله وحسن صوته الأسماع، ولم يزل حتى بلغ خبره مسامع السلطان عثمان، فاستدعاه إليه وصيره إمامه المقدم في المكانة والمكان، فلما قتل السلطان عثمان أقلع عن الروم وقدم إلى دمشق وباشر الخطابة، ووجهت إليه المدرسة، السليمية فأقام بدمشق يفتي ويدرس ويخطب. وكانت له قدرة على المناظرة، وله تحريرات وتآليف منها: (شرح على منظومة القاضي محب الدين).
وكانت ولادته في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وتسعمائة، وتوفي في ست وخمسين وألف بمدينة قسطنطينية ودفن بأسكدار.
والسقيفي نسبة إلى جامع السقيفية، جامع بدمشق خارج باب توما معروف، كان جده منصور خطيباً به فقيل له السقيفي. ا.هـ. خلاصة الأثر (٤/ ٤٩٣).

Marfat.com
Marfat.com

من التَّقْدمة بتلك العِمامة. فقامت الأماني خلفَه صُفوفاً، واسْتَوْعَبَ من المعالي أنْواعاً وصُنوفاً. وما زال من حين خُروجه، يتنقَّل تنقُّل القمر في برُوجه. إلى أن صار ثالثَ القَمَرَيْن، وفاز برُتْبة قضاء العَسْكَرَيْن.

وكان مع ما أُعْطِيَهُ من الرتبة التي لا تُنال إلا بالتَّمَنِّي، والحُرْمَة التي تُرمى لِنَيْلِها المطايا بالتَّغَنِّي.

لم يبْرَحْ يَحِنُّ إلى مواطن إيناسِه، ويرْتاح إلى مراتِع غِزْلانِ صَرِيمِهِ وكِناسِه.

هذا، وله الفضلُ الذي تُلِيَتْ سُوَرُ أوصافِه، وجُليتْ صُوَرُ اتِّسامِه بالتَّفوُّق واتِّصافِه.

والتصانيفُ التي ما جُعِلتْ الأقلامُ ساجدةً إلاَّ لمَّا رأتْ محاريبَ قِرْطاسِها، وما سُمِّيَتْ خَرْساء إلا قبل أن يَنفُثَ في رُوعِها روائع أنْفاسِها.

وأما الأدبُ فهو إمامُه الذي به يُقْتَدَى، وسابقُه الذي بذكْرِه يُبْتَدَى.

وله الشِّعر الذي اقْتَبس ألفاظَه من ذواتِ الأَطْواق، واخْتَلسَ معانِيَه من حَنِين العُشَّاق تُكابِد الأشْواق.

يُطْرِبُ مَن لم يكن يَطْرَب، ويكاد لفْظُه من العُذوبةِ يُشْرَب.

وها أنا أُورِد منه ما تتباهى به حروفُ الرِّقاع، ويلَذُّ في السَّمْعِ لَذَّةَ الغِناء من كل شَكْلٍ حسَنٍ على الإيقاع.

فمنه قوله من قصيدة أولها: [الكامل]

هذا الحِمَى أين الرَّفيقُ المُنْجِدُ ... قد يَمَّمَ الخَيْفَ الفريقُ المُنْجِدُ
بَانُوا فلا داري بِجِلِّقَ بعدَهمْ ... داري ولا عَيْشِي لَدَيْهَا أرْغَدُ[1]
وعلى الأكِلَّةِ فِتْيَةٌ لَعِبَتْ بهمْ ... راحُ السُّرَى والعِيسُ فيهمْ تَسْجُدُ
يَتَهافَتُونَ على الرِّحال كأنَّهمْ ... قُضُبٌ على كُثُبِ النَّقَا تتأوَّدُ
واهاً على وادي مِنىً وَالَهْفَتِي ... لَو لَهْفَتي تُجْدي وآهِي تُسْعِدُ
كانتْ عروسُ الدَّهْرِ أيَّاماً لنا ... فيه ثلاثٌ لَيْتَها لي عُوِّدُ
عَهْدِي به مَغْنَى الهَوى تَسْتَامُه ... عينٌ مُسَهَّدةٌ وقلبٌ مُكْمَدُ
ما بَالُهُ بعد الثَّلاثةِ أقْفَرَتْ ... منه معالِمُه وأقْوَى المعهدُ
يا هَلْ لِلَيْلاتٍ بِجَمْعٍ عودةٌ ... أم هل إلى جَمْعِ المُعرَّفِ موعِدُ
جِسْمِي بأكْنَافِ الشَّآمِ مُخَيَّمٌ ... وهَوايَ بالرُّكْبِ اليَمانِي مُصْعِدُ
تاللهِ هاتيكَ اللَّيالِي أسْأرتْ ... في مُهْجَتي ناراً تَقُومُ وتَقْعُدُ

(١) جلق: بكسرتين مشددة اللام: دمشق أو غوطتها، أو ناحية بالأندلس [وربما قصد دمشق لأنه منها]. القاموس المحيط مادة (جلق).

Marfat.com
Marfat.com

وكأنَّ مَرْمَى كلِّ موقِعِ جَمْرَةٍ ... في القلبِ والأحشاء منّي مَوْقِدُ
للهِ أيامِي بِجَرْعاءِ الحِمَى ... والدَّهْرُ مَضْقُولُ الحواشِي أمْلَدُ
أيامَ ظِلُّ الدهرِ غيرُ مُقلَّصٍ ... عَنّي وعَيشي طابَ فيهِ المَوْرِدُ
في حيثُ رَيْحانُ الشَّبِيبَةِ باسِقٌ ... والخَيْفُ مَغْنَىً للحِسانِ ومَوْعِدُ
إذ مُنْتَدَاهُ مَرادُ كلِّ خريدةٍ ... يصبُو إليها الخاشعون العُبَّدُ
مرَّتْ كسِقْطِ الزَّنْدِ أعقَب جَمْرَةً ... في القلبِ يُذْكِيها الغرامُ ويُوقِدُ
مالِي إذا بَرْقٌ تألَّقَ بالحِمَى ... أوْدَى بمُهْجَتِيَ المُقِيمُ المُقْعِدُ
وإذا نَسَمْتُ رُوَيْحَة من طَيْبَةٍ ... جَعَلتْ زَفِيرِي بالحشَا يَتوَقَّدُ
وإذا نَسِيمُ الرَّوْضِ هبَّ تبادَرَتْ ... وَفْقَ الصَّبابَةِ أدْمُعٌ تتردَّدُ
ومتى ظَفِرْتُ من الزَّمانِ بناصِرٍ ... أخَذَتْ تُفَنِّدُهُ عليَّ الحُسَّدُ

وقوله من أخرى، أولها: [الطويل]

سقَى أثلاثٍ بالعُذَيْبِ نَمِيرُ ... له من أفاوِيقِ الغَمام سَمِيرُ
سَحَابٌ تُزَجِّيهِ الرِّياحُ وراءَه ... نسيمٌ له المسكُ الفَتِيقُ عَبِيرُ
ولا بَرِحَتْ تُسْدِي يدُ القَطْرِ فوقَها ... من النَّوْرِ مَوْشِيَّ السَّدَى وتُنِيرُ
وَخِلْنا دَرارِي الأُفْقِ فيه تَساقَطَتْ ... وآنَ لها أن النُّجُومَ تَغُورُ
عهِدْنا بها غُضْنَ الشَّبِيبَةِ باسِقاً ... يَرِفُّ رَفِيفَ البَانِ وهْوَ نَضِيرُ
كأنَّ أزاهِيرَ الشَّقِيقِ بدَوْحِها ... خُدودٌ وَنَوْرَ الأُقْحُوانِ ثُغُورُ
كأنَّ نَدِيَّ النَّرْجِسِ الغَضِّ فوقَها ... عيونُ الغواني مَسَّهُنَّ فُتُورُ
كأنَّ غُصُونَ البانِ تَنْدَى غَضَارَةً ... مَعاطِفُ غِيدٍ حَشْوُهُنَّ خُمُورُ
سَقَتْها دُموعِي بل سقَاها على البِلَى ... مُلِثٌّ مِن الأنواءِ وهْوَ غَزِيرُ
فآهٍ لها كم لَذَّةٍ تحتَ ظِلِّها ... نعِمْنا حيثُ الكؤوسُ تَدُورُ
ولَهْفِي على عيشٍ بِجَوِّ سُوَيْقَةٍ ... تولَّى وعَيْشُ الغانِياتِ قَصِيرُ
ووَاهاً لأيّامٍ بِشَرْقِيِّ ضارِجٍ ... تَقضَّتْ عشايا تَختها وبُكُورُ
فمَرَّتْ ولم تُعْقِبْ سوى جَمْرَةِ الأسَى ... يَشِبُّ لها تحتَ الضُّلوعِ سعِيرُ
خَلِيلَيَّ مالِي إن تألَّقَ بارِقٌ ... يكادُ فُؤادِي كالشَّرارِ يَطِيرُ
وإن خَطَرَتْ من سَفْحِ نَجْدٍ نُسَيْمَةٌ ... فلِي أنَّةٌ تحتَ الدُّجَى وزفِيرُ
وان ذُكِرَتْ أيّامُ رَامَةَ أنَّنِي ... وفي القلبِ من فَرْطِ الغرامِ هَجِيرُ
ألا يا نسيمَ الرِّيحِ من بطْنِ لَعْلَعٍ ... تَحدَّثْ فقلبِي بالغرامِ أسِيرُ
ويا بَرْقَ نَجْدٍ هاتِ عن أيْمَنِ الحِمَى ... حديثاً ففِي بَثِّ الغرامِ سُرورُ

Marfat.com
Marfat.com

هلِ الجِيرةُ الغَادونَ من جَنْبِ حاجِرٍ ... أناخُوا لِوَى الجَزْعَاءِ وهْوَ مَطِيرُ
وهل أثَلاتُ الجِزْعِ يَنْدَى ظِلالُها ... وأرْضُ الحِمَى فَيْنَانُ وهْوَ مَطِيرُ
وهل هاجِعَاتُ البَانِ نَبَّه خُوطَها ... هُبوبُ نسيمٍ هَبَّ وهْوَ عَطِيرُ
وهلْ دَرَسَتْ من بطْنِ فَجٍّ مَسَارِحٌ ... ومَحَّتْ جَنُوبٌ رَسْمَها ودَبُورُ
فما بِنْتُ غُصْنٍ فوقَ أفْنانِ إلْفَها ... وإلْفِي خَلِيطٌ مُنجِدٌ ومُغِيرُ
تَراها إذا وُزِقُ العَشَايَا تَرَنَّمَتْ ... تُهَيِّجُ من داءِ الهَوَى وتُثِيرُ
تُذَكِّرُني وَهْناً أفَانِينُ سَجْعِها ... لَيالِي زَرُودٍ والمَحِبُّ ذَكُورُ
بأبْرَحَ مِنِّي أن تقولَ بُثَيْنَةٌ ... لقد ضُرِبَتْ لي بالعَقِيقِ خُدُورُ
عَذِيرِيَ في هذا الهوَى من مُؤَنِّبٍ ... وهَيْهاتَ في هذا الغَرامِ عَذِيرُ
يلومُ فُؤادِي في هَواهُ أما دَرَى ... بأنَّ فُؤادَ العاشِقِينَ صَبُورُ
يقُولُ عَجيبٌ مِنكَ أنْتَ مُجَرِّبٌ ... فكيف وأنّى يَعْتَرِيكَ غُرورُ
فقلتُ له خَفِّضْ عَدَتْكَ صَبَابَتِي ... فكلُّ معنًى يَهْتَدِي ويثُورُ
سأزكبُ من شُوسِ القَوافِي شِمِلَّةً ... تَسيرُ مع النَّعْماءِ حيثُ تسيرُ[1]
أقامتْ بسَفْحِ الصَّالِحِيَّةِ بُرْهَةً ... وحَشْوُ حَشَاها لَوعَةٌ وزَفِيرُ
بها من هواءِ الغُوطَتَيْنِ نُسَيْمَةٌ ... ومن عَذْبِ ماءِ النَّيْرَبَيْنِ غديرُ
إذا هَبَطَتْ من رَبِعِ جِلِّقَ منزِلاً ... وقد نامَ حادٍ واستقالَ مُثِيرُ
أمرْنا بها طَوْعَ القِيادِ توجَّهتْ ... رَكائِبُها وهْوَ المُرادُ تَزُورُ
تَزورُ فتىً من آلِ مَنْجَك ماجِداً ... على كلِّ من يُدْعَى الأميرَ أميرُ

وقوله من أخرى، مُبْتدؤها: [الطويل]

تذَكَّرَ من أكْنَافِ رَامَةَ مَرْبَعاً ... ومغْنىً به غُصْنُ الشَّبِيبَةِ أيْنَعَا
فبات على جَمْرِ الغَضا يَسْتَفِزُّهُ ... غَرامٌ فيُذرِي الدَّمْعَ أزْبَعَ أزْبَعَا
كئِيباً لِلَيْلاتِ الغَمِيمِ مُتَيَّماً ... مُعَنًّى بأيّامِ الحَجُونِ مُولَّعَا
يُخالِفُ بيْنَ الرَّاحَتيْنِ على الحَشَا ... ويَلْوِي على القلبِ الضُّلوعَ تَوجُّعا
فمن صَبَواتٍ تَسْتَفِزُّ فُؤاده ... ومن زَفَراتٍ أضْرَمتْ فيه أضْلُعَا
ألا في سبيلِ الحبِّ مُهْجَةُ عاشِقٍ ... تَولَّعَ فيه الحبُّ حتى تَولَّعَا
وعَيْنٌ أبَت بُعد الأحبَّةِ سَحَّها ... وفاءً بِحَقِّ الرَّبعِ أنْ تَتَقَشَّعَا
سَقى اللهُ من وادي مِنىً كلَّ ليلَةٍ ... هِيَ العُمرَ كانت والشَّبابَ المُودَّعَا
ويَا جَادَ أياماً بها قد تصرَّمتْ ... ثلاثاً ومن لي أن أراهُنَّ أربَعَا

(١) شملة: الناقة الشملة بكسرتين مشددة اللام: سريعة. القاموس المحيط، مادة (شمل).

Marfat.com
Marfat.com

وحيٌّ مُقامِي بالمَقَامِ وأربُعاً ... لَدَى عَرَفاتٍ يا سَقَاهُنَّ أربَعَا
فللهِ ما أبْهَى بِمكَّةَ مَشْعَراً ... وللهِ ما أحْلَى لزَمْزَمَ مَشْرَعَا
ألا وَرَعى دَهْراً تَقضَّى بِجِلّقٍ ... ولولا الهوَى ما قلتُ يوماً لها رَعَى
ويا عاقَبَ اللهُ الغرَامَ بِمِثلِهِ ... لِكَيْ يَعْذُرَ العُشَّاقُ فيمَن تَولَّعَا
خَلِيلَيَّ مالِي كُلَّما لاحَ بَارِقٌ ... تكَادُ حَصاةُ القلبِ أن تَتَصدَّعَا
وإن نَسَمَتْ من قاسِيُونَ رُوَيْحَةٌ ... أجِدْ أدْمُعاً مِنِّي تُسَاجِلُ أدْمُعَا
وحتَّى مَ قَلبِي يسْتَطِيعُ إذا شَدَا ... حَمامُ اللِّوَى بالرَّقْمَتَيْنِ ورَجَّعَا
وكَم ذَا أُقاسِي سَوْرَةَ البَيْنِ والأسَى ... ولا يَرْحَمُ العُذَّالُ منِّي تَوَجُّعَا
ألا هَكَذا فِعْلُ الغَرامِ بأهْلِهِ ... ومَنْ باتَ في صُنْعِ الهوَى ما تَصَنَّعا
عَذِيرِيَ مِن هذا الزَّمَانِ وأهلِهِ ... ومَن لي بِمَن يُصْغِي لِشَكْوَايَ مَسْمَعَا
يُخَوِّفُنِي منه العَدُوُّ قَطِيعَةً ... ويُظْهِرُ لِي منه الصَّدِيقُ تَفجُّعَا
ولَمْ يَدْرِ أنِّي للقَضَاءِ مُفَوِّضٌ ... وما كان قلْبِي للقَضاءِ لِيَجْزَعَا

وقوله من أخرى، راجع بها أحمد بن شاهين: [الكامل]

حَيَّتْكِ يا دارَ الهوَى بالأبْرَقِ ... وَطْفاءُ من نَوْءِ السِّماكِ المُغْدِقِ
وغَدَتْ تُفَتِّقُ في نَواحِيكِ الصَّبا ... أرَجاً يَغَصُّ رُبَاكِ مهما يَعْبَقِ
وتَكَفَّلَت أيْدِي الرَّبِيعِ بِمَطْرَفٍ ... لتَراك تخلعه وبُرْدٍ مُونِقِ[1]
حتَّى تُرَى منكَ المَغَانِي جَنَّةً ... من سُنْدُسٍ تُزْهِي ومن إسْتَبْرَقِ
كم لَذَّةٍ في جَبْهَتَيْكِ خَلَسْتُها ... وَهْناً وعينُ الدَّهْرِ لَمَّا تَرْمُقِ
واهاً لها إن كان فَرْطُ تَأوُّهِي ... يُجْدِي على شَحْطِ النَّوَى وتَحَرُّقِي
للهِ أيَّامِي بِجَوِّ سُوَيْقَةٍ ... سَلَفَتْ بِمُضْطَبَحٍ ولَذَّةِ مُغْبِقِ
أيَّامَ رَيْحَانُ الشَّبِيبَةِ باسِقٌ ... يَنْدَى وماءُ هَوايَ غيرُ مُرَنَّقِ
في حيثُ ظِلُّ اللَّهْوِ ضافٍ والنَّقَا ... مَهْوىً لِجَارِحَةٍ وقَلْبِ شَيِّقِ
إذ مُنْتَداهُ مَرادُ كلِّ خَرِيدَةٍ ... بِسِوى خَيالاتِ الهَوى لم تَغْلَقِ
رَودٌ يُرَنِّحُها الغرامُ فتَنْثَنِي ... سَكْرَى كَخُوطِ نَقاً تأوَّدَ مُورِقِ
كم لَيْلَةٍ بِتْنا بأكْنَافِ اللِّوَى ... نَلْهُو بذاتِ الحِجْلِ ذاتِ القُرْطَقِ[2]
بِتْنا على الوَادِي يُراوِدُنا الهوَى ... طَوْعاً وغيرُ الطَّرْفِ لَمَّا يَفْسُقِ
وكَواكِبُ الجَوْزاءِ تَرْنُو حَسْرَةً ... لِنِظامِ مَجْلِسِنَا بطَرْفٍ مُحْدِقِ

(١) إنه لأنيق مونق: لكل شيء أعجبك حسنه. لسان العرب، مادة (أنق).
(٢) القرطق: لبس - معرب - وتقرطق، ألبسه إياه فلبسه. القاموس المحيط، مادة (قرطق).

Marfat.com
Marfat.com

والبَدرُ في أُفُقِ السَّماءِ كزَوْرَقٍ ... صَافِي اللُّجَيْنِ على رِداءٍ أزْرَقِ
وكأنَّما نَجْمُ الثُّريَّا إذْ بَدَا ... كَفُّ الخَرِيدَةِ ضُمَّ لم يَتَفرَّقِ
بَانَتْ وما بدَلت مَحاسِنَها النَّوى ... ونَأتْ وما حَلَّتْ عقودَ تَفرُّقِي
يا مَيُّ حتَّى مَ الدموعُ تشِي بنا ... وإلى مَ في مُضْناكِ لم تَترفَّقِي
يا مَيُّ أنفقْتُ الغرامَ على النَّوَى ... إلا هَواكِ ذَخَرْتُ لمَّا أُنفِقِ
مَا آنَ أن تتَذكَّرينَ عُهُودَنا ... ولَيالِياً سلَفتْ بِجَوِّ الأبْرَقِ
مَا آنَ أن تَرْعَى عَشِيَّاتِ الحِمَى ... ومواسماً مرَّتْ بغُوطَةِ جِلِّقِ
الله يا لَمْيَاءُ في قلبِ امرِئٍ ... لم يأْلُ ما عَنَّ إدَّكَارُكِ يَخْفِقِ
الله يَا هَيْفَاءُ في ذِي عَبْرَةٍ ... طفِقَتْ متى في الفِكْرِ خِلْتِ تَرَقْرَقِ
هذا أمَا وهَواكِ وهْوَ أليَّتِي ... بأعزَّ من قسمٍ وأكْرَمَ مَوثِقِ
لم تَسْتَمِلْ طَرْفِي رَعابيبُ الحِمَى ... كلاَّ ولا أُبْصِر سِواكِ فَأعْشَقِ[1]
ناجَزْتُ كُلَّ أخِي غرامٍ فازْعَوى ... أهلُ الهَوَى عنِّي ولسْتُ بِمُمْلِقِ
وكتَمتُ سِرَّ هواكِ وهْوَ ذَخِيرَتِي ... عند اللِّقاءِ وربَّما أن نَلْتَقِي
يا رَبْعَ جِلِّقَ لا أغبَّكَ عارِضٌ ... يَهْمِي عليك بكلِّ أسْحَمَ مُبْرِقِ
وسَرتْ تُصافِحُ مِن مَغَانِيكَ الصَّبا ... مَلْمُومَةٌ فيها هوايَ ومَعْشِقِي
فيها مُسَامَرَتِي ومُعظَمُ صَبْوَتِي ... فيها مُعاقَرَتِي وفَرْطُ تَشَوُّقِي

وله يصف وادي التَّلّ:

أحدُ مُتنزَّهاتُ دمشق، البلدة التي صُوِّرت بها الجِنان، وأضحى وَقْفاً على محاسِنها القلبُ والجَنان.

وهو وادٍ مُربع النَّبات، ومَسْرَحٌ مُخْضَرُّ الجَنبات.

زهرةٌ وأُخْتُها، وشجرةٌ وبِنْتُها.

وجَزْيةُ ماءٍ ورنَّةُ صادِح، ونشاطُ واصِفٍ وروحةُ مادِح.

إلى رياضٍ كبُرُودِ الخَمصانةِ الرُّود، وحِياضٍ كورُودِ الثَّغْرِ البَرُودِ.

وكان له مضى به عهدٌ فارَقه وهو عليه واجِد، مع فِتْيَةِ صِدْقٍ هم والحظ المُرافِق شيءٌ واحِد: [الطويل]

أقَمْنا بوادِي التَّلِّ نسْتَجْلِبُ البَسْطَا ... بحيْثُ دنا منَّا السُّرورُ وما شَطَّا
وجِئْنا لِرَوْضٍ فَتَّقَتْ نَسْماتُه ... روائحَ يَبْعَثْنَ الأَلَوَّةَ والقُسْطَا[2]
وقد ضربتْ أفْنانُ أغْصانِه لَنَا ... سَتائِرَ إذ مُدَّتْ خَمَائِلُه بَسْطا

(١) رعابيب: البيضاء حسنة رطبة حلوة أو ناعمة. القاموس المحيط، مادة (رعب).
(٢) الألوه: العود يتبخر منه. القاموس المحيط، مادة (ألو)

Marfat.com
Marfat.com

يُبَارِي بـه الـوُرْقَ الـهَـزارُ كـراهِـبٍ ... يُحاكِي بِعَبْرَانِيّ ألفَاظِهِ القِبْطَا
ويعطفُ ما بَيْنَ الغُصونِ نسِيمُهُ ... كما اجتَمعَ الإلْفانِ بعد ما شَطَّا
وتُملِي أحاديثَ الغَرامِ لحُوظُها ... فترْويه لكن ربَّما نَسِيَتْ شَرْطَا
جلسْنا على الرَّضْراضِ فيه هُنَيْئَةً ... وقد نُظِمَتْ كالدُّرِّ حَضباؤُه سِمْطَا
بهِ مِنَ لُجَيْنِ المَاءِ يَنْسابُ جَدوَلٌ ... تُجَعّدُه أيْدي النَّسِيم إذا انْحطَّا
حكى مُسْتَقيمَ الخطِّ عند انْسِيابِه ... فنَقَّطَ منه الوجهَ زَهْرُ الرُّبَى نَقْطَا
سَقَى اللهُ دَهْراً مرَّ في ظِلِّهِ لقدْ ... أصابَ بما أوْلَى وان طال ما أخْطَا
وحَيَّ على رغمِ النَّوَى كلَّ لَيْلَةٍ ... تَقَضَّتْ به لا بالغُوَيْرِ وذِي الأرْطَا
لَيالِيَ لا رَيْحَانَةُ العمرِ صَوَّحتْ ... ولا وَجَدتْ في أرْضها الجَدْبَ والقَحْطَا
صحبتُ بها مِثْلَ الكواكب فتيةً ... أحاديثُهم في مَسْمعي لم تزل قُرْطا
يفضُّونَ مختومَ الصبابةَ والهوى ... ويَزْعُون حَبَّ القلْبِ لا البانَ والخَمْطَا[1]
إذا نَثَرُوا من جوهر اللَّفْظِ لؤلؤاً ... أوَدُّ ولو بالسَّمْعِ ألْقُطُه لَقْطَا
يُدِيرون من كأسِ الحديث سُلافَةً ... وربَّما تحكي الأحاديثُ إسْفَنْطَا

ومن نُتَفه قوله:

يا مَن هواهُ بقلبي ليس يَبْرحُ مِن ... بين التَّرائِبِ تِرْبَ الشَّوقِ والأسَفِ
أليَّةً بلياليِنَا التي سَلَفتْ ... وبالغَرامِ وإن أدَّى إلى تَلَفِي
وبالدُّموعِ التي أجْرَيتُها غُدُراً ... ومدْمعٍ فيكَ لم يطعَمْ كَرَى ذَرَفِ
لأنتَ أنتَ على ما فيكَ حبُّك في ... جوانِحي كامِنٌ كالدُّرِّ في الصَّدَفِ

وكتبَ إلى صدر الشام وعالِمها، ومن به قامت دعائِمُ معالِمها عبد الرحمن العِمَاديّ المُفْتي:

رحمةُ العلم والفتاوَى عليه ... وصلاةُ الأقلام في الأوراقِ
القلبُ أصدقُ شاهدٍ ... عَدْلٍ على صِدْقِ المحبَّة
ومنَ القلوبِ إلى القلو ... بِ موارِدٌ للحبِّ عذبَة
طُوبى لمن يُسقَى بكا ... سِ رَحِيقِها المختوم شَرْبَة

فراجعه بقوله:

الحبُّ أظهر من إقا ... مَةِ شاهدٍ بين الأحِبَّة
ومحبَّةٌ بُرهانُها ... عينُ العيانِ تُعدُّ حَبَّة

---

(١) الخمط: شجر كالسدر. القاموس المحيط، مادة (خمط).

Marfat.com
Marfat.com

وإذا ارْتَضى المولى بفَتْـ ... ـوَى القلبِ فلْيَسْتَفْتِ قلبَهْ

ومن شعره ما قاله عاقداً فيه حديث: «أحْبِبْ حَبِيْبَكَ هَوْناً مّا فَعَسَى أنْ يكُون بغِيْضَك يَوْماً مّا، وأبغِضْ بَغِيْضَكَ هَوْناً مّا فَعَسَى أنْ يكُونَ حَبِيْبَكَ يَوْمَاً مّا»[1].

بين المَحَبَّةِ والتَّباغُضِ بَرْزَخٌ ... فيه بقاءُ الوُدِّ بين النَّاسِ
بخلافِ أقصَى الحبِّ أو أقْصَى الَّذي ... هو ضِدُّه من كلِّ قلبٍ قاسِي
فمآلُ كلٍّ منهما نَدَمٌ على ... تَفْرِيْطِه نَدَماً بغيرِ قياسِ

ومن مقاطيعه قوله:

إذا ما أزمَعَ الأحْبابُ ظَعْناً ... وثارَ لدَى الوَداعِ حنِيْنُ وَجْدِي
فقل لهمُ بعَبْرَةِ ذِي وَلُوعٍ ... تَمتَّعْ من شَمِيْمِ عَرارِ نَجْدِ

تتمته:

فمَا بعدَ العشِيَّةِ من عَرارِ

قال أبو هلال في كتاب «المعاني»: الألوان، يعني من النساء، تغتريها بالعشِيَّةِ صُفْرَةٌ مستحسَنة، كما قال:

.....وَصَفْـ ... ـراءُ العشِيَّةِ كَالعَرَارَه

قال الشهاب: أقول: العَرارُ زهر بَرِّيّ أصْفَر، ومن هنا يفهم معنى قوله:

فمَا بعدَ العشِيَّةِ من عَرارِ

وقوله مضمّناً: [المجتث]

إن هبَّ ريحُ التَّنائِي ... بين الرِّفاقِ عَصُوفَا
فقُل حُشاشةُ نفسٍ ... وقل خُلِقْتُ ألوفَا

يريد بيت المُتَنَبِّي[2]: [الطويل]

حُشاشةُ نفس ودَّعَتْ يوم وَدَّعُوا ... فلم أدرِ أيَّ الظَّاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ

وبيتَه الآخر[3]: [الطويل]

خُلِقْتُ ألوفاً لو رجعتُ إلى الصِّبا ... لفارَقْتُ شيْبِي مُوجَعَ القلْبِ باكِيَا

وقوله: [المجتث]

إن رحَّلَ القومُ عنَّا ... ركابَهم ظَاعِنِينا
فقلْ لهم بانْكِسارِ ... يا من يَعِزُّ علينا

تتمته[4]: [البسيط]

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٧).
(٢) انظر ديوانه (٢٢).
(٣) انظر ديوانه (٤٤٠).
(٤) انظر ديوان المتنبي (٣٢٤).

Marfat.com
Marfat.com

..... أن نُفَارَقَهُمْ وِجْدانُنا كلَّ شيءٍ بعدكُم عدمُ

وقوله: [الكامل]

أحْبَبْتُها هَيْفاءَ يُزْرِي قَدُّهَا بالغُصْنِ رَنَّحَهُ النَّسِيمُ وحرَّكا
مَرَّتْ فضاعَ المِسْكُ من أرْدانِها فوَدَدْتُ بالأرْدَانِ أن أتَمَسَّكا

وقوله: [السريع]

يا وَيْحَ قلبي مِن هوَى شادِنٍ يجْرَحُه اللَّحْظُ بتَكْرَارِهِ
أدنو فتغدو وَرْدَتا خَدِّهِ بَنَفْسَجاً يَزْهُو بنُوَّارِهِ

وقوله: [م. الكامل]

أُفٌّ لدُنيا لم تزلْ عن وَجْهِ ذُلٍّ سَافِرَهْ
تَغْمِيرُها مُنْتَلزِمٌ تَخْرِيبَ دارِ الآخِرَهْ

فصل

ذكرت فيه مما في الأصل أربعة من الرجال، وَصْفُهُم حَلْيٌ تتغاير فيه رَبَّاتُ الحِجال.

تحتُّ بهم عَزْمَها القَلُوصُ النَّواجِي، وتستفيدُ مِنهُم سِحْرَها العيونُ السَّواجِي.

وإنِّي لا آمَن من أن يُقال: كُرِّرُوا على الأسماع، والمُكَرَّر مملول بالإجْماع.

ومِن العادات، تركُ المُعادات.

فَخَبَرُ الحبيب يطيبُ على الإعادة، وسَجْعُ الحَمَام إذا تَرَدَّدَ أطْرَبَ بحسبِ العادَة.

ومَن يمَلُّ مِن الأنفاسِ ترديداً، ويسْأمُ مِن رَشَفَاتِ الثُّغُورِ تَغْدِيداً.

على أنِّي مُقْتَفٍ أثرَ الباخَرْزِيّ في «دُمْيته» حيثُ أعادَ ذكرَ بعض مَن ذكر الثَّعالِبيُّ في «يَتيمته».

وقال: «لولا تَكْرار الكُؤُوسِ، لما استقرَّ الإطْرابُ في النُّفوس، ولا استقلَّتْ صُبابة على الرُّؤُوس، والحياةُ على حسنِ مساقِها، وطِيبِ مذَاقِها، إذا جاوزَتْ النَّفَسَ الأوَّل مُعادة، وحبُّها لكل من الحيوانات عادة، حتى إنها لا تَملُّ إذا كُرِّرَتْ عليها، ولا تَكْرَه إذا رُدَّتْ إليها».

والشَّرط أني لا أذْكُر من شِعْرهم السَّامِي، وزَهْرِهم الذي نَبتَ في الرَّوضِ الشَّامِي.

إلاَّ ما لم يصلْ إليه، وما ذكرَه منه لا أُحاشِرُه عليه.

والحكمةُ هي الضَّالَّة فأين وُجِدَتْ أُخِذتْ، وحيثُ ما سَمُحَتْ نُبِذَتْ.

وما بَعثَني على ذِكْرِهم، إلا التَّلذُّذُ بحمْدِهم وشُكْرِهم.

Marfat.com
Marfat.com

وإني لأحسَب إن طالَتْ لعهدهم السِّنُون، أن تتعلّق بمحاسِنِهم خطاطِيفُ الظُّنُون.
وعلى كلّ حالٍ فحقُّهم عليَّ أوْجَب، وزيادةُ إلمامِي بُنَخبِهم لا تُنكَر ولا تُحْجَب.
فمنهم:

٥ - ابو الطَّيِّب الغَزِّيّ

أوْحَدُ البُلَغاء العِظام، وأجلُّ من تفوّه بالنَّثار والنِّظام.
جاء أمَّهَ وَحدَه في الافتِتان، وامْتَطى جوادَ البراعةِ فأجْراهُ طَلْقَ العِنان.
فهو في النَّباهَة آية، لم تفُتْهُ من مطَالبِةِ غاية.
فكلُّ خاطرٍ ينفَد إلاّ خاطرُه، وكلُّ سحابٍ يضِنُّ إلا سحابٌ يسحُّ من فكره ماطِرُه.
ومكانتُه في السُّؤْدَدِ عالِية، وساعةُ قُرْبِه ليست بالعُمْرِ غالية.
تحلَّى بالزُّهْدِ، وبَذلَ في التَّخلِّي الجُهد.
وشعره حِجَّة مُتَصَابٍ وفتنةُ مُتَناسِك، إذا سمعه المشغوف لم يَبْقَ فيه إلا رَمَقٌ بلَذَّاتِه مُتَماسِك.
قالت الأضْدافُ: الفخرُ لألفاظِه الغُرّ، فلذلك حشا الدهرُ في فمها الدُّرّ.
إذا ابْتدأ معنىً أبرزه كهلالِ العيد، وأوْقعه موقِع فصلِ الخِطاب وبيْتِ القصيد.
وان اسْتعارَهُ صيَّره خَلْقاً جديداً، وجعلَه كلَيْلِهِ في الفكرِ جديداً.
وأقام دِعَامَتَه إن خَفِيَ رَسْماً، وأعطاه رُوحاً إذا كانَ جسماً.
وأنا مِمَّن أُلْهِج به ابْتِهاجاً وزَهْواً، ولي بمحاسِنه شَغَفُ المُتيَّم بمن يَهْوَى.
تُحرِّكُني إليها دواعِي الوَجْد، فَأُولَعُ بها وَلُوعَ ابن الدُّمَيْنَة بصَبَا نَجْد.
وقد جِئْتُك منها بما يَملأ المسامعَ الْتِذاذاً، ويجعل القلوبَ من الوَجْدِ جُذَاذَا.
قال في الغزل: [الكامل]

٥- هو أبو الطيب بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج بن زيد بن بدري بن عثمان بن جابر بن ثعلب بن صنوي الغزي ابن شداد بن عاد بن مفرج بن لقيط بن جابر بن وهب ابن ضباب بن جحيش بن مغيفر بن عامر بن لؤي بن غالب العامري، يتصل نسبه بعامر بن لؤي. وهو دمشقي المولد، فاضل، أديب، شاعر. كان في زمانه أبلغ الشعراء وأدقهم نظراً، وشعره من أجود الشعر رونقاً وديباجة. وكان يكتب الخط المدهش، وهو من أذكياء العالم وفضلائه المشهود لهم بالتفوق والبراعة. ومعظم انتفاعه في علوم الأدب بالقاضي محب الدين فإنه به عرف وعليه تخرج. وتفقه بالشهاب الغيثاوي، ورحل إلى مصر وأخذ عن علمائها، ورجع إلى دمشق ودرس بالمدرسة القصاعية الشافعية، ثم تفرغ عنها.
وعرض له عارض سوداوي فطلق زوجته، وفرق ثيابه على كثير من أصحابه، وكان مع هذا الحال يكتب تفسيراً لمولى أبي السعود كتابة صحيحة مليحة إلى الغاية من غير نقصان ولا تبديل.
وكانت وفاته في ربيع الأول سنة اثنتين ورأبعين وألف. ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان. ا. هـ خلاصة الأثر (١/ ١٣٥).

Marfat.com
Marfat.com

رَشَـأٌ تَـمـكَّـنَ مـن فُـؤادِ الـتَّـائِـهِ ... فـي قَـفـرِ حُـبِّـيـهِ وفـي بَـيْـدَائِـهِ
أسد يـجُـولُ بِحِلْيَةِ الـحُسْنِ التي ... فـيـهـا الأسـودُ تـكـونُ مـن أُسَـرائِـهِ
ملكٌ ترى رُمْحَ القَوامِ وقَوْسَ حا ... جِبِه وسَيْفَ اللَّحْظِ من نُظَرائِهِ
قـمـرٌ تـراءَى نـحـو مِـرآةِ الـسَّـمـا ... ءِ وفـيـه أثَّـر بَـذْرُه بـإزائِـهِ
أتَـرَى أرَى نـفْـسِـي مُـفَـكِّـهـةً بـه ... لـيْـلاً يـحـنُّ إلـيَّ فـي ظَـلْـمـائِـهِ
فـلـكـمْ تـطـاولَ نَـأيُـهُ عـنـيٌ وذُقْـ ... ـتُ بـه عـنـاً لا ذُقْـتَ طَـعْـمَ عَـنَـائِـهِ
فـي لـيـلةٍ تَـلْـقَـى الـكـئِـيـبَ مُـفـكِّـراً ... مَـمَّـا بـه يَـرْعَـى نُـجُـومَ سَـمَـائِـهِ
لـوْلا غَـزِيـرُ الـدَّمْـعِ أحْـرَقَـهُ الـحَـشـا ... لَـوْلاهُ أضْـبَـحَ مُـغْـرَقـاً بِـبُـكـائِـهِ
أمُـعَـنِّـفِـي دَعْ عـنـكَ تَـعْـنِـيـفِـي فـلَـيْـ ... ـسَ يُـطِـيـعُـنـي سَـمْـعِـي عـلـى إصْـغـائِـهِ
لـمْ يُـصْـغِ لـلـتَّـعْـنِـيـفِ مَـسْـمَـعُ وَالِـهٍ ... رَسَـخَ الـهـوَى والـوَجْـدُ فـي سَـوْدائِـهِ
يـا صَـاحِـبَـيَّ سَـلاهُ هـلْ مِـن عَـوْدَةٍ ... بِـزمـانِ أُنْـسٍ تـمَّ لـي بـلِـقـائِـهِ
أمْ هـلْ وِصَـالٌ أرْتَـجِـيـهِ مـنـه أو ... وَعْـدٌ فـأبْـقَـى فـي انْـتـظـارِ وَفـائِـهِ
أمْ هـلْ أُسَـامِـرُ طَـيْـفَـهُ مـن بـعـد أن ... قـاسَـيْـتُ فَـرْطَ نُـفُـورِهِ وإبَـائِـهِ
فَـهـوَاهُ داءٌ ضِـمْـنَ قَـلْـبِـي لا يَـزُو ... لُ ومـا لِـقَـلْـبِـي مَـخْـلَـصٌ مِـن دَائِـهِ
فأنـا الـمُـقِـيـمُ عـلـى الـمـحـبَّـةِ والْـوَلا ... وأنـا الـذي فـي الـرِّقِّ مِـن خُـدَمـائِـهِ

وله من قصيدةٍ كلُّها دُرَر وغُرَر: [الطويل]

أمَـا آنَ مِـن نـجْـمِ الـشُّـجُـونِ غُـروبُ ... وحـتَّـى مَـتـى ريـحُ الـفُـتـونِ تَـنُـوبُ
تُـكَـلِّـفُـنِـي مـن بَـعْـدِ سُـلْـوانِ صَـبْـوَتِـي ... شَـمـالٌ تُـعـنِّـي مُـهْـجَـتِـي وجَـنُـوبُ
سَـهِـرْتُ لـهـا نَـائِـي الـمَـضَـاجِـعِ فـانْـبَـرَى ... لـهـا بـيْـنَ أحْـنـاءِ الـضُّـلـوعِ لـهـيـبُ
إذا ركـدتْ ريـحٌ وقَـرَّ نـسـيـمُـهـا ... أبَـى مـنـهُ إلاَّ أن يَـعـودَ هُـبـوبُ
وفـي الـصَّـدْرِ بَـذْرٌ فـيـه لـمْ تَـخْـظَ أعْـيُـنٌ ... ولا صَـوَّرَتْـهُ لـلـنُّـفـوسِ قُـلـوبُ
مُـحـيَّـاهُ روضٌ نـاضِـرٌ فـي نَـشْـيـرِه ... نـظـائـمُ مـنـهـا بـاهِـرٌ وعَـجِـيـبُ
قَـنـاةٌ عـلـيـهـا لـلـشُّـمـوسِ مـطـالِـعٌ ... ومـرْكَـزُهـا دُون الإزار كَـثِـيـبُ
بَـعِـيـدُ مَـنَـاطِ الـقُـرْطِ سِـخْـرٌ لـحـاظُـه ... ذَهُـوبٌ بـألْـبـابِ الـرِّجـالِ لَـعُـوبُ
بـديـعُ الـتَّـثَـنِّـي لـلْـهـواءِ ولِـلْـهَـوَى ... نـسـيـمٌ يُـبَـارِى لُـطْـفَـهُ ونَـسـيـبُ
يـجـولُ وِشـاحٌ أو تَـغـصُّ دَمَـالِـجٌ ... إذا لاحَ فـي بُـزْدٍ ومـاسَ قَـضِـيـبُ
يُـرى مـنـه فـي رِيـمٍ مَـهـاةٌ وضَـيْـغَـمٌ ... ويـعـرض فـي الأخـلاء مِـنْـهُ مـهِـيـبُ
يشوبُ الرِّضَا بالصَّدِّ والوصلَ بالقِلَى ... ومـا هـو إلا مُـنْـقِـمٌ وطَـبِـيـبُ
تَـمَـنُّـعُ إطْـمـاعٍ وإطْـمـاعُ مَـانِـعٍ ... ودُرٌّ ودلٌّ رائِـقٌ وَخَـلُـوبُ

Marfat.com
Marfat.com

دعانِي إلى الرُّجْعَى على حين غَفْلَةٍ ... من الحُسْنِ والأهْواءِ منه تُرِيبُ
دَعا سائِرِي مِن كلِّ عُضْوٍ وكُلَّما ... دعَا منْهُ داعِيهِ أجابَ مُجِيبُ
لُسِبْتُ من الصُّدْغِ الجَنِيِّ بِعَقْرَبٍ ... له بينَ وَرْدِ الوَجْنَتَيْنِ دَبِيبُ
لئِن عادَ لِي عِيدُ اللَّواعِجِ غِرَّةً ... فإن فُؤادِي للغَرامِ نَسِيبُ
وعُنْوانُ حالي لو رأى بَثَّ بَعْضِهِ ... شُحوبٌ ومِن دونِ الشُّحوبِ وَجِيبُ
لَحَا اللهُ قلبي كم تُنَازِعُهُ الرَّدَى ... لِحَاظٌ لها في صَفْحَتَيْهِ نُدُوبُ
يَلَذُّ الهوَى لا دَرَّ دَرُّ أبي الهَوَى ... وحَسْبُك منه زَفْرَةٌ ونحِيبُ
أُدرِّجُ أنفاسِي مَخافَةَ كاشِحٍ ... وأُطْرِقُ كَيْما لا يُقالُ مُرِيبُ
أدِينُ بِكِتْمَانِ الهوَى فيُذيعُهُ ... فُؤادٌ وطَرْفٌ خافِقٌ وسَكُوبُ
وقالُوا غَوِيٌّ لا يتوبُ وآثِمٌ ... وما عَلِمُوا حَوْباً فكيف نتوبُ
بِحَسْبِ التَّوافِي مِن عَفَافِيَ زاجِرٌ ... ومِن صَوْنِه عمَّا يُرِيبُ قريبُ
أُجِلُّكَ أنْ أُبْدِي هواكَ عُلالَةً ... ولكن لسانُ العاشِقينَ خطِيبُ

وله من قصيدة، أولها: [الكامل]

نَهْنِه دَوَالِحَ جَفْنِكَ المقْرُوحِ ... وأرِحْ طَلائِحَ قلْبِكَ المجْرُوحِ[1]
وَدَعِ الهوَى طَلْقَ العِنانِ لأهْلِهِ ... وازْبَأْ بنفسِكَ عن رُباه الفِيحِ[2]
فلَرُبَّما ضاق الفضاءُ بأهْلِه ... ولرَبَّما شُدَّتْ مَهافِي الرِّيحِ
كم ذا تَبِيتُ مُسَهَّداً تَرْعَى السُّها ... مُتَمَلْمِلاً مِن لاعِجِ التَّبْرِيحِ
كم ذا تصُدُّ عن النَّصِيحِ عَمايَةً ... وترى وَلِيَّ النُّصْحِ غيرَ نَصِيحِ
ومُمَنَّعٍ كابْنِ الغَزالَةِ دُونَهُ ... غابَا حِمىً مِن ذُبَّلٍ وصَفِيحِ
لم يَغْتَلِقْ مَضْنَاهُ مِنْهُ بِزَوْرَةٍ ... تُشْفِي ولا مِن فَتْكِهِ بِمُرِيحِ
لو شئْتُ لا شئْتُ المَعادَ إلى الهوَى ... لَرَأيْتَني بالرُّوحِ غيرَ شحيحِ
ورأيتَ آرامَ الصَّرِيمِ سوانِحاً ... في مجلِسي وصَوادِراً في سُوحِي
ورأيْتَنِي ضُمَّتْ على مُتَنِسَّكٍ ... مُتَعَفِّفٍ حين اللِّقاءِ كُشُوحِي

وله من أخرى، مُستَهلُّها: [الكامل]

وفَتىً يَرِفُّ بمِثْلِ ثَوْبِ نُضارِ ... وعَشاعِثٍ تَزْتَجُّ تحت إزَارِ[3]
أمَّا مُحَيَّاهُ الوَسِيمُ فإنَّهُ ... مُنَحُ القلوبِ ومَطْمَحُ الأنظَارِ

---

(١) دوالح: جمع دالح، وسحاب دالح: كثير الماء. القاموس المحيط، مادة (دلح).
(٢) الفيح: حر الظهيرة، أقم حتى يسكن عنك حرها ويبرد. المعجم الوسيط، مادة (فيح).
(٣) العثعث: ما لان من الورك. القاموس المحيط، مادة (عثعث).

Marfat.com
Marfat.com

شَفعتْ ذوَائِبُهُ الدّجى وجَبِينُهُ ... بَهَرَ الهلالَ عشِيّةَ الإفطَارِ
يَرنُو بأكْحَلَ كالجُرازِ فيالهُ ... من أسودٍ ذِي أبْيَضٍ بَتّارِ
تَبْدُو لَهُ أُسْدُ العَرِينِ ظوَاهِراً ... فيُعيدُها أخْفَى من الأسْرارِ
صَنَمٌ تَخِرُّ لهُ البطَارِقُ سُجّداً ... ليُجِيرَهُم فيُهيلهم في النّارِ
إن قلتُ بدرٌ رابَني بسُفُورِهِ ... أو قلتُ رِيمٌ راعَنِي بِنِفَارِ
لو أنكَرتْ منّي هواهُ جوارِحِي ... فشُحوبُ جُسْمانِي به إقْرَارِي
لم أنْسَهُ واللّيْلُ بحرٌ مُزْبِدٌ ... بنُجُومِهِ وأدِيمُه مِن قارِ
وإذا به وَافَى يفوحُ كأنّما ... زُرَّتْ غَلائِلُه على عَطّارِ
صدَع الدُّجُنّةَ فَارِياً دَيْجُورَها ... عن بَدْرِ تِمٍّ مُشْرِقِ الأنْوارِ[1]
وافْتَرَّ يَبْسَمُ عن ثَنَايا وامِضٍ ... بِلآلِيءٍ نَسَقِ النِّظَامِ صِغَارِ

قلت: صِغَرُ الأسْنان ممدوح، قالَ ابن النَّبِيه: [م. الوافر]

ولم أرَ قبلَ مَبْسَمِهِ ... صغيرَ الجَوْهَرِ المُثْمَنْ

واعتذرَ عن كِبَرها القائل: [البسيط]

يَفْتَرُّ عن مِثْلِ نظْمِ الدُّرِّ أتْقَنَه ... بِحُسْنِ تأْلِيفِه في النَّظمِ مُتْقِنُهُ
عابُوا كِبَارَ ثَنَايَاهُ فقلتُ لهُم ... الدُّرُّ أكْبرُه في العَيْنِ أثْمنُهُ

تتمّة الأبيات:

عُلّتْ بخُرْطُومِ كُمَيْتٍ سَلْسَلٍ ... لا مزّةٍ كلٌّ ولا مُضْطَارِ[2]
رُوحٌ بلا جِسْمٍ ولكنْ جَوْهَرٌ ... مُتَصدّفٌ بالقارِ والفَخّارِ
لو عَبَّ ساقِيهَا دُجَىً في كأسِها ... لرأيتَ بذراً لَسَّ شَمْسَ نَهارِ[3]
حمراءُ تحْسَبُها عقيقةَ بارِقٍ ... إن لم تكُنْها فهْيَ جَذْوَةُ نارِ
مِسْكِيّةٌ فكأنّها دَمُ شادِنٍ ... يَحتَلُّ من كاساتِها في قارِ

منها في المديح:

وَهّابُ أذْوَادِ المَطافِلِ يكْتَفِي ... بسُقُوبِها بل وَاهِبُ الأخْطارِ
يُنْسِي أحاديثَ المكارِمِ إنّه ... مُلغِي الوُعودِ ومُهْدِرُ الأعْذَارِ
يَطْفُو السّخاءُ على أسِرّتِه كما ... يَطْفُو الفِرِنْدُ على الصّقِيلِ العَارِي[4]

---

(١) الدجنة: الظلمة القاموس المحيط، مادة (دجن).
الديجور: الظلام أو المظلم. القاموس المحيط، مادة (دجر).
(٢) مزة: المُزُّ: ما كان طعمه بين الحلو والحامض. المعجم الوسيط، مادة (مز).
(٣) لَسَّ: اللَّسُّ: أول الرعي، ولست الدابة الحشيش: تناولته ونتفته بمقدم فيها. المعجم الوسيط، مادة (لسّ).
(٤) الفِرِنْدُ: السيف وما يلمح في صفحته من أثر تموج الضوء. المعجم الوسيط، مادة (فرند).

Marfat.com
Marfat.com

ما زَالَ في طَلَبِ العُلا حتى انْبَرَى ... كـهـلاً فـأدْرَكَ خـمْـسَـةَ الأشْـبَـارِ
فـي بُـرْدَتَـيْـهِ أبـو دُؤاد لِـجـارِهِ ... ولـمـن يُـنـاوِيـه أبـو الأذْعَـارِ
مَولايَ يا كهفَ الأفاضِلِ والنُّهَى ... ويـمـيـنِ بَـيْـتِ الله ذِي الأسْـتَـارِ
إنِّي لأُكْبِرُ منكَ هيْبةَ ضَيْغَم ... وأُجِـلُـهـا مـنِّـي عـن الإكْـبَـارِ
سأقولُ فيكَ الشِّعْرَ يقْطُرُ حُسْنُهُ ... أو يُسْتَمدُّ السِّحْرُ من أشْعارِي
يُـزْرِي بِـوَشْـيِ الـرَّوْضِ نَـمَّقَ نَـورَه ... كـفُّ الـنَّـسِـيـمِ وراحـةُ الأمْـطـارِ

وله من أخرى، مطلعها: [الكامل]

أمُـؤَنِّـبـي فـي الـحـبِّ لا مُـتَـوانِـي ... مـا أنْـتَ مـن وَلَـهِـي ومـن سُـلـوَانِـي
لا تَـسْـقِـنِـي مـاءَ الـمَـلامِ فـإنَّـمـا ... عَـيْـنَـايَ مـن مـاءِ الـهَـوى عـيْـنَـانِ
وَلَـهُ بِـجَـانِـحَـتَـيَّ صَـوْنُ حـديـثِهِ ... دِيـنٌ وشـأنِـي مُـخْـبِـرٌ عـن شَـانِـي
لـولا ضِـرامٌ شَـبَّ بـيـنَ جَـوانِـحِـي ... لـغـرقْـتُ مـن غَـرْبَـيَّ بـالـطُّـوفَـانِ
رِفْـقـاً فـلا غـيـرُ الـمـنِـيَّـةِ والـجـوَى ... هُـو أوَّلٌ وهـيَ الـمَـحَـلُ الـثَّـانِـي
لـيـت الـذي فَـهَـقـتْ كـؤُوسُ جـفـونِـه ... أنَّـهَـى بِـهِـنَّ إلـيـكَ مـا سَـقَّـانِـي
إنَّ الـمُـذرِّبَـةَ الـظُّـبَـى ولِـحـاظَـه ... أنَّـى اتَّـجَـهْـتُ مـن الـهـوَى سِـيَّـانِ
لـلـهِ مِـن أجْـفَـانِ جُـؤذُرِ كَـلَّـةٍ ... يَـرْعَـى الـحشَـا بَـدلاً عـن الـحَـوذَانِ[1]
يَـطْـفـوُ الـنَّـعـيـمُ عـلـى غَـرارةِ وجْـهِـهِ ... فـتـرِفُّ مـنـه شـقـائِـقُ الـنُّـعـمـانِ
مـتَـوضِّـحُ الـقَـسَـمـاتِ يـبْـرَحُ خـالِـبـاً ... مـنِـي جَـنـانـي جـاذِبـاً بِـعـنـانـي
وَبَـغِـيـضَـةٌ سُـبُـلُ الـغـرامِ إلـيَّ مـا ... لـم يـغْـتَـسِـفْـهـا ضَـلَّـةُ الـهِـجْـرانِ[2]
وَسَـبِـيَّـةٍ مـن خَـمْـرِ عـانـةَ مـزَّةٍ ... نـظَـم الـمِـزاجُ بـهـا عُـقـودَ جُـمـانِ
قُـتِـلَـتْ بـصَـوْبٍ من صَـبِـيرِ غَـمـامَـةٍ ... لَـمَـعَـتْ بـمـثْـلِ مـصـابِـحِ الـرُّهْـبـانِ[3]

ومنها في المديح:

فَـرْعٌ تـمـكَّـن مـن نِـصـابٍ دُونَـه ... أخْـذُ الـكَـمِـيِّ بِـمَـنْـكِـبَـيْ ثَـهْـلانِ[4]
يَـقِـظٌ بـأغْـقـابِ الأُمـورِ كـأنَّـمـا ... يُـدْلِـي بِـجـاسُـوسٍ إلـى الـكِـتْـمـانِ
لا تـطَّـبِـيـه مُـدامـةٌ تُـجْـلَـى عـلـى ... عَـزْفِ الـقِـيـانِ ورَنَّـةِ الـعِـيـدَانِ
عَـمَّـتْ فـضـائِـلُـه وذاعَ نَـوالُـه ... كـالـشَّـمْـسِ لا تَـخْـفـى بـكـلِّ مَـكـانِ

---

(١) الحوذان: نبت. القاموس المحيط، مادة (حوذ).
(٢) يعتسفها: اعتسف الطريق وعن الطريق عسف: أي سار. المعجم الوسيط، مادة (عسف).
(٣) صبير: جمع صبراء: وهي السحابة البيضاء، أو الكثيفة التي فوق السحاب. القاموس المحيط مادة (صبره).
(٤) ثهلان: جبل، ورجل. القاموس المحيط، مادة (ثهلان).

Marfat.com
Marfat.com

منها:

واسْتَجْلِها عَذْراءَ عُلَّ رُضابُها حَمْراءَ تهْزَأُ بالنَّجِيعِ القاني[1]
شُجَّتْ بِذي خَصَرٍ يُبدِّدُ فوقَها حَبَباً يحولُ كأعيُنِ النِّينَانِ

النِّينانُ: جمعُ نونٍ، وهو الحوت. قيل هو جمعٌ غير معروف.

وقد كان سِيَبويْه لَحَّنَ بشَّار بنَ بُردٍ، في قوله في صفة السفينة[2]: [الطويل]

تُلاعِبُ نِينانَ البُحورِ وربَّما رأيْتَ نُفوسَ القَوْمِ مِن جَرْيِها تَجْرِي

فغيَّره بشَّار بـ «تيَّار البحور»

وقد قال أبو الطَّيِّب يصف خَيلاً[3]: [الطويل]

فهُنَّ مع السِّيدانِ في البَرِّ عُسَّلٌ وهُنَّ مع النِّينانِ في البحرِ عُوَّمُ[4]

قلت: وأبو الطيب، له في اللُّغة النَّظرُ الصَّيِّب، وهو ممَّن يَمِيزُ الخبيثَ من الطَّيِّب.

ومن نُتَفِه ومقاطيعه قوله: [الكامل]

عاطَيْتهُ حَلبَ العَصيرِ ولا سِوَى زُهْرِ النُّجُوم تِجَاهَ زَهْرِ المَجْلِسِ
أنْظُر إليهِ كأنَّه مُتَبَرْقِعٌ ممَّا تُغازِلُه عيونُ النَّرْجِسِ
وكأنَّ صَفْحَةَ خَدِّهِ ياقُوتَةٌ وكأنَّ عارِضَه خَمِيلةُ سُنْدُسِ

هذا على أسلوب ابن هانئ الأندلُسِيّ[5]: [الكامل]

خالَسْتُه نظَراً وكان مُوَرَّداً فاحْمَرَّ حتى كادَ أن يَتَلَهَّبَا
أنْظُر إليه كأنَّه مُتَنَصِّلٌ بجفُونِه ولقد يكونُ المُذْنِبَا
وكأنَّ صَفْحةَ خَدِّه وعِذَارَهُ تُفَّاحَةٌ رُمِيَتْ لِتُقْتَلَ عَقْرَبَا

وله: [الكامل]

صادَفْتُه مُتَبَذِّلاً بِصِحابِهِ يوماً فأقْصَرَ عنهمُ في منزل
وتَرَكْتُه نَهْبَ الرِّعاعِ وإنَّه أشْهَى إليَّ من الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

وله: [م. الرجز]

لقد عَلِقْتَ يا فُؤادِي بالحُسْنِ ذي الوسْنِ
فإن ظَمِئْتَ فارشِفَنْ رِيقَ الخَسِينِ والحَسَنْ

---

(١) رُضابُها: الريق المرشوف. القاموس المحيط، مادة (رضب).
(٢) انظر ديوانه (٣/ ٢٨١).
(٣) انظر ديوانه (٢٩٢).
(٤) السيدان: جمع سِيْد، وهو الأسد أو الذئب. القاموس المحيط، مادة (سود)
(٥) انظر ديوانه (١٦). وتبيين المعاني (٨٢).

Marfat.com
Marfat.com

وله: [السريع]

ناسَقَني الوصْلَ فهَنَّيْتُه ... ميقاتُ مُوسَى فاتَ بالصَّدِّ[1]

لا بُدَّ من بَيْنٍ على غِرَّةٍ ... ما أنْتَ إلا زَمَنُ الوِرْدِ

وله: [المنسرح]

لنا نفوسٌ إذا هيَ انْصَدَعتْ ... بلَمْحِ طَرْفٍ تقُومُ ساعَتُهَا

عزَّتْ فعاشَتْ بفَقْرِها رَغَداً ... وفي اعتِزالِ الأنامِ رَاحتُها

وله: [الطويل]

نَضارَةُ أهل الكَيْفِ ظلٌّ مَن اكتسى ... به نحو شهْرٍ ظَلَّ في النَّاسِ عارِيَا

على وَجْهِ مَيٍّ مِسْحَةٌ من ملاحَةٍ ... تَزُولُ ويبْقَى الخِزْيُ مِن بَعْدُ بَادِيَا

وله:

أعَدَّ لِهَمِّهِ أوْرَاقَ كَيْفٍ ... تَمُدُّ من السُّرورِ عليهِ فَيْئَا

كألْسِنَةِ الشُّموعِ تُضِيءُ لكن ... تُذِيبُ نُفوسَها شَيْئَاً فَشَيْئَا

٦- أحمد بن شاهين

عينُ الزَّمان ويمينُه، لو حلَف ليأْتِيَنَّ بمِثْله حنِثتْ يمينُه.

فهو شخصٌ كلُّه جُود، وما مِن فَضْلٍ إلا في ذاتِه مُوْجُود.

موارِدُ كرمِه سائِغة، وملابِسُ نِعَمِه سابِغة.

مُورِقُ عِيدان العَلا رَطْبُهَا ... أبْلَجُ وَجْهِ العُرْفِ بَسَّامُهُ

---

(١) ناسقني: ناسق بين الأمرين: تابع بينهما ولاء. المعجم الوسيط، مادة (نسق).

٦- هو الأديب أحمد بن شاهين القبرسي الأصل الدمشقي المولد، الأديب، اللغوي، الشاعر، المنشي المشهور، أصل والده من جزيرة قبرس. كان والده من أجناد دمشق وانتظم هو أيضاً في سلك الجند، ولما وقعت الفتنة بين علي بن جانبولاذ والعساكر الشامية وانتهى الأمر إلى انهزام العكسر الشامي وقتل منهم من قتل، وأسر من أسر، كان الشاهيني من جملة من أسر في تلك الوقعة، ولما أطلق من ربقة الأسر اعتاض من الوشيج والحسام بالقراطيس والأقلام. ولزم الحسن البوريني وعمر القاري وعبد الرحمن العمادي وقرأ عليهم من أنواع العلوم، وتأدب بأبي الطيب الغزي وعبد اللطيف بن المنقار حتى برع وصار أحد الفضلاء، وعين الأعيان. وكان مليح العبارة في الإنشاء، جيد الفكرة، حلو الترصيع، لطيف الإشارة، جواداً، ممدحاً منشياً، بليغاً، حسن التصرف في النظم والنثر. وسلك طريق علماء الروم فلازم المفتي الأعظم صنع الله بن جعفر، وناب في القضاء بدمشق وتولى قضاء الركب الشامي. ودرس بالمدرسة الجقمقية بالفراغ من المنلابستان الرومي نزيل دمشق. وأعطى تدريس الداخل، ونبل قدره، ومدحه شعراء عصره بالقصائد السائرة. وله رسائل بليغة وآثار شائعة، واختصر حصة من القاموس وزاد من عنده أشياء حسنة الموقع.
وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين وتسعمائة وتوفي في شوال سنة ثلاث وخمسين وألف ودفن بمقبرة الفراديس. ا.هـ خلاصة الأثر (١/ ٢١٠).

Marfat.com
Marfat.com

مع شِيمةٍ لو أنَّها في الماء ما تغيَّر، وهِمَّةٍ لو أنه للنَّجمِ ما تَغَوَّر.
وأيادٍ روائحُ غوادِي، كنسيم الرِّياضِ غِبَّ الغَوادي.
فَلِلْمُزْنِ فيْضُ بَنانِهِ، وللرَّوْضِ حُسْنُ افْتِنَانِه.
وله فِكرٌ إذا اتَّقدَ تَلهَّب منه اللَّهب، وخُلُقٌ إذا انْتُقد تَبَهْرَجَ عندَه الذَّهب.
وكان في مَبْدَئهِ من الجُند على طريقةِ والدِه، حتى بَلَغَ فنَزَعَ بنفْسِه إلى مَجْدٍ أغْنَاهُ مُطْرَفهُ عن تَالِدِه.
وحُبِّبَ إليه أنواعُ المعَارِفِ، فاعتاضَ عن حُمْرِ المضَارِبِ بسُود المراعِف.
كما قال: [الطويل]

صَبَوْتُ إلى حُبِّ الفضائلِ بعدما ... تقلَّدتُ خَطِّياً وصُلْتُ بِمِخْدَم
ومارَسْتُ من بعْدِ القَناةِ يَراعةً ... كأبْيضَ مَضْقُولِ العَوارِضِ لَهْذَمِ[1]
وصار مِدَادِي من سَوادِ محاجِري ... وقد كان مُحْمَراً يَسيلُ كعَنْدَمِ[2]

فجاء من التَّحائفِ التي بيَّضتْ وُجوه القَراطِيس، وجذَبتْ المحاسنَ إلى صَوْبِها جَذْبَ المِغْناطِيس.
بما أطْلعَ قُدودَ الْمَهَا مَخْفُوفةً بالولائِد، ولآلِي الثُّغورِ كأنَّها على العقْد قد نظَمها للْقلائِد.
إلى نظامٍ مِثْلِ السَّوالِفِ زُمَّتْ بالشُّعُور، وأداءٍ كَدُرَر البُحور عُلِّقَتْ في النُّحُور.
وشِعْرُه وإنْشاؤُه إذا رآهُما الأدِيب، قال: ليس للْبلاغَةِ إلاَّ ذَان، يلِجَانِ السَّمعَ إلى القلْبِ بلا أذانٍ ولا اسْتِئْذان.
أحاطتْ بِبدائِعِه حواشِي الإجَادَة، إحَاطةَ الحُلَلِ بالقُدود، وتوشَّتْ رِياضُ روائِعِه بالمَلاحةِ تَوْشِيَةَ العِذارِ بِوَرْدِ الخُدود.
فكل ما كتبه أوفاه به لسانُه، لا سبيل لأن يُجْحد حسنه وينكَر استحسانُه.
ومضى عليه زمن وهو في عَيْشٍ رَفِيه، والعِزُّ ناظر وهو نورٌ فيه.
حتى أسَنَّ فوقَف الدَّهرُ في تعهُّدِه دون حقُوقِه، وخرج إلى ما كان يُهَيِّئُه له من برِّه إلى عقوقه.
وأخَّر مطالبَه تَأْخير الغَرِيم، لدَيْنِ الكريم.
وبدَّله عن النَّشاطِ المُقِيم، بالحظِّ العَقِيم.
وللزمانُ حالٌ لا إلى بَقا، وصَفْوٌ لا يَبْقَى على نَقَا.
فسَلْوَةُ الأيَّام موعدُها الحشْرُ، ولكتابِها مُنْتَهىَ هو النَّشْر.
ثم عاجَلَه الحِمام، فَسَقَى تُرْبَه هَطَّالُ الغَمام:

---

(١) لهذم: اللهذم: كل شيء قاطع. المعجم الوسيط، مادة (لهذم).
(٢) عندم: العندم: دم الأخوين. القاموس المحيط، مادة (عندم).

Marfat.com
Marfat.com

وما جادَه الغيثُ عن غُلَّةٍ ولكن ليبكي النَّدَى بالنَّدَى

وقيل فيه[1]: [الخفيف]

قلتُ لمَّا قضى ابنُ شاهينَ نَحْباً وهو مَوْلىً كلُّ يشيرُ إليهِ

رَحِمَ الله سيِّداً وعزيزاً بكتِ الأرضُ والسَّماءُ عَلَيْهِ

فممَّا اختَرْتُه مِن آثارِه، وألْمَعْتُ به من نِظامِه ونِثارِه رسالَةً أَلْمَعَ بِهَا عَلَى الأسلوب البديع، وجرَى فيها على أُسْلوب البَديع، كتبَ بها إلى شيْخِه الحسن البُورِينيّ، يتعهَّد بها مُطالعتَه، ويسأل مُراجعتَه، عقِب مُهاجَرة وقعتْ بينهما، واقْتَضَتْ بَيْنَهما:

أَعَزَّ اللهُ الشيخَ الذي سكن من الجوارحِ أشْرَفها، وسلَك من طُرُقِ الجفَا أوْعَرها وأسْرَفَها.

وبالغَ في العقوبةِ وزاد، واسْتَغْرَقَ أوْقاتَ الوِداد، بالبُعْدِ والعناد.

وارْتكبَ مَرْكَباً من الخليقةِ صَعْباً، وقطع جميعَ الطُّرُقِ إلاَّ طريقَ الوَفا وَثْباً.

واسْتعارَ أُذُناً ليَسْتوعِيَ بها المثالب، وعيْناً ينظرُ بها المصائِب.

ويداً يَبْطِشُ بها في كلِّ صاحِب ومُصاحِب، ورِجْلاً يَسْعَى بها إلى الأباعِد دون الأقارب.

ووَجْهاً يتصرَّفُ في أسِرَّتِه، كمتصرُّف المِلك الجائر في رعيَّتِه.

ويفْعلُ بمُحبِّيه، ما لا يفْعل الدهرُ ببَنِيه.

لا تظهرُ الطَّلاقةُ في وَجْهِه إلاَّ ريثما يخلِطها بإعْراض، ولا ينبَسِط هُنَيْئَةً من الزَّمان إلا وهو وَشِيكُ انْقِباض.

يبْدُو لُطْفُهُ لُمَعاً ثم يَنْقَطِع، ويَحْلُو ماؤُه جُرَعاً ثم يَمْتَنِع.

فلا يدومُ له سرورُ الْهَنا، إلاَّ بما هو من حِمانا يُحِلُّه، وبما هو من أغراضِنا يَسْتَحِلُّه.

فيا ليْتَ شِعْرِي، أيُّ مَصُونٍ من سِرِّك أذعْتُه، أو مفْرُوضٍ في الخِدْمَةِ رفَضْتُه، أو واجبٍّ في الزِّيارةِ أهْمَلْتُه.

وهل كنتُ إلا كما قيل: ضيفٌ أهْداهُ بلدٌ شاسِعٌ، وأدَّاه أمَلٌ واسِع.

وحَداهُ عَقْلٌ، وإن قَلَّ.

وهدَاه رأيٌ، وإن ضَلَّ.

ثم ما أبْعَدَتْ صُحْبَةٌ إلاَّ أدْنتْ مَهَانَة، ولا زادَتْ حُرقَةٌ إلا نقَصَتْ صِيانَة. ولا تَضَاعَفَتْ ذمَّة، إلاَّ تراجَعَتْ منزلة.

ولم تَزَلْ الغُصَّة بنا حتَّى صارَ الوابِلُ رَذاذاً، والتَّشَوُّقُ المُفْرِطُ مَعَاذاً.

وصار حسن ذلك الالتِفات ازْوِرارَاً، وطوِيلُ ذلك السَّلامِ اخْتِصاراً.

---

(١) الأبيات للأمير المنجكي، انظر خلاصة الأثر (١/٢١٧)، وديوان منجك (٤٨).

Marfat.com
Marfat.com

وكانَ المُهلَّبُ يقول: عجبْتُ لمَن يَشترِي العبيد بمالِه، كيف لا يملك الأحرارَ بِمَغْرُوفِه.

وفي الحديث: «البَشَاشَةُ خَيْرٌ مِنَ القِرَى».

وفي المثل: «اليوم العَبُوس، خَيْرٌ من الوَجه العَبُوس».

ومن كلامهم: «الحوادثُ المُمِضَّة مَكْسَبَةٌ لحُظوظٍ جزِيلة، منها: ثوابٌ مُدَّخَر، وتطهِير من ذَنْب، وتَنْبِيهٌ من غَفْلَة، وتَعْرِيفٌ بِقَدَرِ النعمة».

وقد شاهدتُ فيها خامِساً، وهو صَوْنُ ماء الوجه عن الذُّلِّ والهَوان.

مولايَ يا مَن له في كلِّ جَارحةٍ ... لِسانُ شُكْرٍ يُؤدِّي بعضَ ما وَجَبا

ما هذه الكَراهَةُ من فتًى خَفيفِ الجسَدِ والرُّوح، ثقيلِ الرَّأسِ بالعقْلِ، غَضِيْضِ الجَفْنِ بالحَيا، طَلِقِ الوجه، عَفِّ اللِّسَان، رَحْبِ الصَّدْرِ، باسِطِ الكَفِّ بالجود، طويل الباعِ بالإحْسان، صافِي القلب، سليم الفِطْرة، مَخْنِيِّ الضُّلوع على الأسَى، مَطْوِيِّ الجوانِح بالهَوى، قصير الخُطى عن الأذَى. [البسيط]

فما محاسِنُ شيءٍ كلُّه حسَنُ[1]

[الطويل]:

ما فيه لَوٌّ ولا ليْتٌ تُنَقِّصُه ... وإنَّما أدرَكَتْهُ حُرْفَةُ الأدبِ

على أنَّني والحمدُ للهِ لم أكُنْ ... مُذاداً مع الحرمانِ مِنْكَ ولا شِرْبُ

ولكنَّني أبْرَدْتُ صدرِي بِنَهْلَةٍ ... من الفَضْلِ غُصَّتْ دون موردِها الشَّربُ

وذلك لأنِّي أطلْتُ التَّردُّدَ إليك، وعوَّلْتُ أمرِي في طلبِي عليك.

وورَدْتُ من أنْهارِ فضلِك كل مَعِين، وكنتَ لي في طلبِي وأملي خيرَ مُعِين.

والنِّعْمة لا تُجْحَد، والحَسَنةُ لا تُكْفَر.

والشَّمْسُ لا يُمْكِن سَتْرُها بِحِجاب، والبدرُ لا يخْفَى ضَوْؤُه وإن كان تحت السَّحاب.

والكذبُ شِيمة المُنافِقِين، ألا لَعْنَةُ الله على الكاذِبين.

وأنا ما قلتُ لك إلا رائِياً أن لا طِيبَ إلاّ ما اخْتَلَط بتُرابِك، وأن لا سَعْدَ إلاّ ما خَيَّمَ ببابِك.

وأن لا ربيعَ إلا في بُقْعَتِك، وأن لا أُنسَ إلا بطَلْعَتِك.

وأن لا فَرحَ إلا بقُرْبِك، وأن لا تَرَحَ إلا ببُعْدِك، وأن لا نشاطَ إلا بِحُبِّك، وأن لا عِلْمَ إلا ما اسْتُفِيد مِنك، وأن لا فَضْلَ إلا ما أُخِذَ عنك، وأن لا دليلَ إلا ما جيء به مَعْزُوّاً إليك. وأن لا سَند إلا ما أُخِذَ مِن فِيك، ومُحالٌ عليك.

---

(١) انظر ريحانة الألبا (١/ ٣٨٨).

Marfat.com
Marfat.com

لِعلْمِي بأنك البدرُ الكامل، والفَرْدُ الذي ليسَ له مُعادِل ولا مُماثِل.
هذا، مع مُغالاتِي فيك، ومُنَافَسَتِي عليك، ومُنَاظَرَتِي بك، وانْتِمائي بالفضِيلَةِ التَّامَّة إليك.

وإنْشادِي مُستَمْسِكاً بِحَبْلِ وِدادِك، ومُتمسِّكاً بتُرْبِ مِهَادِك.
ومُعْتَقِداً أن رضاكَ ثوابٌ، وغَضَبكَ عِقاب.
ورَغْبتَك إحْسان، ورَهْبتَك خُسْران.
وإغْراضَك جحِيم، والْتِفاتَك نعِيم.
ومثْلُك لا مثلَ يُضَاهِيكَ.
إن غضِب تجمَّل، وإن تأذَّى ولو بِوَهْم تحمَّل.
وإن جاءَ فاسِقٌ بِنَبَأٍ تبصَّر واسْتَفْسَر، وإن ثبتَ لديْهِ شَيْءٌ ولو دعاء اغتفر واسْتُهتِر.
[المنسرح]:

فـهـاتِ قـل لـي يـا مَـن مـكـانَـتُـه ... فـي الـقـلْـبِ قـد حَـلَّـهـا بِـمُـفْـرَدِه

أيُّ جوابٍ لِمن سأل عن حِلْمك، واسْتَفْسَر عن ثَمَرة عِلمِك.
فإن الحِلْم، ثمرةُ العِلم.
وهو دالٌّ عليه، كَدلالَةِ النُّورِ على الشَّمر، والهالةِ على القَمر.
وقد وُجِد كمالُه فيك، وظَهرتْ ثمرَتُه عليك، وتذلَّلتْ قطُوفُه دانِيَةً إليك.
وأعود فأقول: بعض هذا الجَفَا يا مولايَ يكْفي، وجزءٌ من هذا الإغراضِ يَجْزِي.
وفي قليلٍ من صُدودك انْتِقام كثير، وفي يسيرٍ من هجْرِك إسْرافٌ وتَبْذِير.
وفي أدْنى ما بلغني عنك كافٍ ومَقْنَع، وفي أقلّ ما رأيتُه منك للقلب مؤلم ومَوْجع.
وفي المثل: مَن يسْمَع يَخَل، ومَن يُكثر يُمَلّ[1].
وأظنُّ أن الدَّاعِي إلى مُهاجَرَتِي نميمةٌ جاء بها فاسِق، ونَبأ افْتراهُ كاشِح.
ومع ذلك لو ارتكبت جَرِيرَةً لما اسْتَحَقَّيْتُ من القطيعة المُهْلِكة أعظم ممَّا رأيتُه وقاسَيْتُه، ولو اكتَسَبْتُ كبيرةً لما اسْتَوجَبْتُ من العُقوبةِ المُنْهِكةِ بعضَ ما عايَنْتُه وعانَيْتُه.
ولو أشركتُ، والعِياذُ باللهِ تعالى، لَمحتْ ذنبِيَ التَّوبَةُ والاسْتِغْفار، ولو كفرتُ، مَعاذَ الله، لغطَّتْ على كُفْرِي النَّدامةُ والاعتِذار.
ولمَّا اخْتمِلْ أن يُسمَّى كبيرة، ويُدْعَى ولو على المَجازِ جَريرة.
وَهَبْ أنَّني يا مولايَ لا أؤاخِذُك بأغْراضِك وإغْراضِك، ولا أُعاتِبُك بإسْرافِك وإخْلاقك، ولا أُقابِلكَ بإخْلافِك وأخْلاقِك.

---

(١) ذكر الشعر الأول منه «من يسمع يخل» في مجمع الأمثال (٣/ ٣١٠).

Marfat.com
Marfat.com

ولا أُواجِهُك بانْقيادِك وعدم انْتِقادِك، ولا أعارِضُكَ بإعْراضِك، وعدم اعْتِراضِك.
ولا أُطالِبُك بتألُّبِك وعدمِ تألُّمِك.
ولا أحاسِبُك بما حَرَمْتِنيه من عَطْفِك، ولا أُصادِرك وإن سُؤْتَنِي بما تَثْنِيه مِن عِطْفِك.
أفي حُكْمِ المرُوءَة أن تُبْعِد مَن يُقارِبُك، وتَطْرُدَ مَن يُصاحِبُك.
وتطرح مَن يَهابك ولا يَمَلُّك، وتَسْمَح بقطيعةِ من يُجِلُّكَ ولا يُخِلُّك.
ومن أمْثالِهم: أهل الحفائظِ أهلُ الحِفاظ.
والحفائظ تحلُّل الأحْقاد، فأينَ مِن سيِّدي الحفِيظةُ المأمُولة لتُحلِّل ما عنده وما اسْتَقْصاه، وتهْدِمَ ما شادَه الواشِي وما بَناه.

والعينُ تَعْرِفُ مِن عينَيْ مُحدِّثها إن كان مِن حِزْبِها أو مِن أعَادِيها

وقد بَلَغَتْني مَقالَةٌ مِن بَعضِها في القلب جُروحٌ.
فليتَ شِعْري، وهل ليت بنافعة، متى كان جُرحاً، حتى صار قَرْحَاً.
ومتى قُدِحَ الزَّنْدُ، حتى اضْطَرَمَ هذا الوَقْد.
ومتى تَكاثَفَ القَطْرُ وَهَمَى، حتى اجتمع هذا البحر وطَمَى.
ومتى ظَنَّتْ الحصَا، حتى بلغَ مدَاها عَنانُ السَما.
وبالجملةِ فقد شارَكْتَ الليال، في تقلُّب الأحْوَال.
ووافَقْتَ الأيَّام، في اضْطِناعِها اللِّئام.
هلاَّ أُلهمتَ أن تردَّ بعقْلٍ، وتصدُر بتميز، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر : ١٧].
ولولا أنَّكَ أعنْتها ونَصَرْتَها، وآزَرْتَها وظاهَرْتَها.
لرُدَّتْ على أعْقابِها ناكِصَة، ورجعَتْ على أدْبارِها خائِبَة.
ولأمِنْتَ مَكْرَها، واجْتَنَبْتَ إضْرَها.
ولكنَّها جَمْرَةُ لَيْل، وأثمر ثمارٍ لا سَيْل.
وبِناءٌ على شَفَا، وعِلَّةٌ قريبةُ الشِّفَا.
وقد ثَبتَ أن العُقوبةَ للمُسيء، والحرمانَ للمجرم، والخِذْلانَ للمعْتَدِي، والقِصَاصَ للمُذْنِب، والمُؤاخَذةَ للجانِي.
وأنا أبْيَضُ وَجْهِ العهد، واضِحُ حُجَّةِ الوُدْ، مُصاحِبُ التَّوْفيق، بريءُ السَّاحة، مُجانِب الهَفَوات.
ولو أنني علمتُ أنه أمْرٌ بُيِّتَ بلَيْل، لجَازَيْتُ الصانعَ كَيْلاً بِكَيْل، ولكنْي سأُرِيه ناجِذَيَّ وأتجلَّد، وأُرِي الشَّامِتِيْنَ إنِّي لرَيْبِ الدهرِ لا أتَضَعْضَع.
ولَعَمْرُك ما علمتُ أن صَريحَ الرأي في التَّحوُّلِ عنك مَطْلوب، ولا تحقَّقْتُ أن المجازَ في كلِّ تركيب من الألفاظ العُرفيَّة مُتَداوَل مَرْغُوب.

Marfat.com
Marfat.com

لأتبصَّر أن أقولَ مثلاً: اذهب الأعمى. أن يكون عبارةً عن طَرْدِ المُخَاطب ضِمْناً، وقد تقرَّرَ أن المخاطَب يدخلُ في عُمومِ كلامِه لا أن المخاطب يدخل فيما خُوطِب به.

ولو علمتُ قَبْلُ، ما عُذْتُ بعدُ: [الخفيف]

لستُ أشكو من امْتِناعِكَ عَنِّي ... يا مُنَى النَّفسِ حيثُ عَزَّ الإيابُ
سوءُ حظِّي أنالَنِي منكَ هذا ... فعلَى الحظِّ لا عليكَ العِتَابُ

وأحْرَى بقول القائِل[1]: [الطويل]

إذا لم تكن حاجاتُنا في نفُوسِهِمْ ... فليس بِمُغْنٍ عنكَ عَقْدُ الرَّتائِم
حلَفْتُ ولم أتْرُكْ لِنفسِكَ رِيبَةً ... وليس وراءَ الله للمرء مَطْلَبُ[2]

إني لا قابلتُ إحسانك بكفر، ولا أسَأْتُ أدباً فيما صنعْتُه في خِدْمَتِك بأن أتبعه بمَنّ.

ولك عِندِي اليدُ البيْضاء التي لا أقْبِضُها عن الدُّعاء لك، والأخْرى التي لا أبْسُطُها بالدُّعاء عليْك.

وها أنا أشْكُو إليك، جَعلنِي الله فِداك، ما لا يُمكِن الإيضاح به، ولا الصَّراحةُ عنه، ولا التَّوصُّلُ بالاسْتِيفاء، ولا التَّسَلُّطُ بالاسْتِحضارِ عليه، ولا التَّجَمُّلُ بالإغْضاءِ ولا البيانُ لما فيه، ولا التَّمحُّلُ له.

وربَّما ذكرتُ البعضَ منه، وقلتُ: لعلِّي كنتُ شائِماً سَراباً، أو مُسْتَمْطِراً جَهاماً[3]، أو رائِياً خُلَّباً، أو وارِداً حيثُ لا مَرَاد، أو مُسْتَعِيناً حيث لا مُعِين، أو مُسْتَغِيثاً حيث لا مُغِيْث، أو مُسْتَجِيراً حيث لا مُجَار، أو مُسْتَميحاً حيثُ لا سَماح، ولكَ المثلُ الأعلى، [الكامل]:

لا تعْجبُوا ضَرْبِي له مَن دونه ... مثلاً شروداً في النَّدى والْبَاسِ
فالله قد ضَرَبَ الأقَلَّ لنُورِه ... مثلاً من المِشْكَاةِ والنِّبْرَاسِ[4]
ولو كانَ رُمحاً واحِداً لاتَّقَيْتُه ... ولكنَّه رُمْحٌ وثانٍ وثالِثُ

فهل كنتُ كالمُقْتدِي بناقَضِة الغَزْل، أو كالمستصحِب سَراةَ لملِمَّةٍ فإذا هم عُزْل. أو كراضٍ من الغنيمةِ بالإياب، ومن المرْكب بالتَّعْليق، أو كراجع بِخُفَّيْ حُنَيْن.

هذا، وأنا أقولُ: لن تضُرَّ الحُوار وَطْأةُ أمّه.

بَيْدَ أنَّه يُقال، فيما تَقدَّمَ ومَضَى من الْمُدَد الخَوال: [الكامل]

فقَسَا لِيَزْدَجِرُوا ومَن يكُ حازِماً ... فلْيَقْسُ أحْياناً على مَن يَرْحَمُ[5]

---

(١) البيت في اللسان (رتم) (١٢/ ٢٢٥) بدون نسبة.
(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه (التوضيح والبيان) (٥٦).
(٣) الجهام: السحاب لا ماء فيه. القاموس المحيط، مادة (جهم).
(٤) البيتان لأبي تمام، انظر ديوانه (١٧٤) وفيه: «لا تنكروا».
(٥) البيت لأبي تمام: انظر ديوانه (٢٧٤) وفيه: «لتزدجروا».

Marfat.com
Marfat.com

[الطويل]:

ومِثْلِيَ مَن تهْفُو به نَشْوَةُ الصَّبَا ومثلُك مَن يغفُو ومالك مِن مِثْلِ
وإنّي لَيَنْهانِي نُهايَ عن الّتي أشادَ بها الواشِي ويعقِلُني عَقْلِي
وما أنا بالمُهْدِي إلى السُّؤدِد الخنَا ولا بالمُسِيء القولَ في الحسَنِ الفِعْلِ
فهاتِ جواباً عنك تَرْضَى به العُلَى إذا سألَتْنِي بعدُ ألسِنةُ الحَفْلِ
فبيْنَ الرِّضا والسُّخْطِ ظَنِّيَ واقِفٌ وقوفَ الهوَى بين القَطيعة والوَصْلِ

ولو تيَسَّرتْ لي مُخاطبتُك مُشافهةً لكان لي معك ذَوْقٌ من الكلام، لكن لمَّا عزَّت المُشافَهة، اسْتَغْنَيْتُ بالمكاتبةِ والمُراسلة، قائلاً: [الطويل]

لك الحمدُ أمَّا مَن نُحِبُّ فلا نَرَى ونَنْظُرُ مَن لا نَشْتَهِي فَلكَ الحمْدُ

ولَعَمْرِي إن ليلِي عليك ليلُ السَّلِيم، ونهارِي دُونَك نهارُ الأليم.

وفكْرِي قد صَدِئَ لعدم مُطارحتِك، وطرْفِي قد قَذِيَ لنُدْرَة مَشاهدتِك.

وقلبِي لِعِزَّةِ رِضاكَ واجِبٌ مُضْطَرِب، وصدْرِي لِعلَّةِ مُؤَانَستِكَ حَرِج ضَيُق، وفَمِي لبُعْدِ مُصاحبتِك واجمٌ ساكِت، وصادف حِجايَ عارضٌ وعَين، فغلبَنِي الدَّمْعُ بِسلاسِل من عَسْجَد وَلُجَيْن: [الطويل]

أما والّذي أبْكَى وأضحك والذي أماتَ وأحْيَا والذي أمرُه الأمْرُ[1]

لقد صَدِيَتْ مِرْآةُ الخيالِ، وقَذِيَ طَرْفٌ طال ما سِهِرَ اللَّيال.

وتزَلْزَلَ مَحلُّ سيِّدي من قلْبي، أطالَ اللهُ له البَقاء، ومنَحه سوابغَ النِّعَم والارْتِقاء.

[الكامل]:

رفْقاً بمنْزِلِك الذي تَخْتلُه يا مَن يُخرِّبُ بيْتَه بيَدَيْهِ

وضَاق وُسْعُ الفضَا، وسكَت مِصْقَع الخُطَبَا.

وجُنَّ صاحِي القَوْم، وبكتْ مُقْلَةٌ يعِزُّ عليها النَّوم.

[الطويل]:

إذا الليلُ أضوانِي بَسَطْتُ يدَ الهوَى وأذْلَلْتُ دَمْعاً من خلائِقه الكِبْرُ[2]
مُعلَّلَتِي بالوَعْدِ والموتُ دُونَه إذا مُتُّ عطشانا فلا نَزَلَ القطْرُ[3]

أما تَتَّقي اللهَ في واقِفٍ أمامَك، مُسْتَغْفِرٍ تائب.

وأرقُّ ما يُعرض على المولى قولُ القائل: [الطويل]

سَلِي تَعْلَمِي إن كنتِ غيرَ عَليمَةٍ بأنْ ليس في حُبِّي لغيرِكِ مَطْمَعُ
فإنَّ ليَ القلبَ الذي ليس خالياً من الوَجْدِ والجَفْنِ الذي ليس يَهْجَعُ

---

(١) البيت لأبي صخر الهذلي، انظر الأغاني (٥/ ١٨٥).
(٢) أضواني: أضويته أتعبته. المصباح المنير، مادة (ضوى).
(٣) البيت لأبي فراس الحمداني، انظر ديوانه (١٥٧).

Marfat.com
Marfat.com

فـواللهِ مـا انـفَـكُّ أذكـرُ مـوضِـعِـي لَـدَيْـكِ ولا أنـفَـكُّ نَـحْـوَكِ أنـزَعُ

وبالجملة: [البسيط]

أُعِـيـذُهـا نـظَـراتٍ مـنـكَ صـادقـةً أن تَحْسِبَ الشَّحم فِيمَنْ شَحْمُه وَرَمُ[1]

وهاكَ هدِيَّةَ الوقت، وعَفْو السَّاعة، وفيْضَ البَدِيهَة.

ومُسارقة القلَم، ومُسابَقة اليدِ للْفَم.

وجَمَراتِ الحِدَّة، وثَمَراتِ المودَّة.

ومُهاداةِ الخَاطِر للنَّاظِر، ومباراةِ الطَّبعِ للسَّمْعِ، ومُجاذَبةِ الجَنان للبَيان.

وها هو جَوادُ البلاغة عَلَك الشَّكِيم، حابِسُ العِنان.

لم يأخذ طَلْقَه، ولم يَسْتَوفِ مِضْمَارَه.

وهذا هو النَّهْض، فما بالك بالرَّكْض، وقد آلَى لا يعرق عرَق التَّنْبِيه ما لم يُسْمِعْ بتصْهالِه، ويُرْعِدْ بِقَرْعِ نِعالِهِ.

ويُوَصِّلْ مُمْتَطِيه غايةً لا تُدْرَك، وغارَةً بالرِّياحِ الهُوجِ لا تُنْهَك.

ومع ذلك لو نَظَمْتُ النَّثْرَ كالدُّرَر، وأتيتُ به رائِقاً كنسِيمِ السَّحَر، ومَوْشِيّاً كألوانِ الزَّهَر، ما كنتُ إلا كمُهْدِي التَّمْرِ إلى هَجَر، والفصاحةِ لأهْلِ الوَبَر.

وآخر ما أقول: إن وُدِّي موقوفٌ عليك، وحَبيسُ سَبِيلِك، وتحتَ رَهْنِك.

فمتى عَاوَدْتَه، وجَدْتَه سائغَ المَغْبر، غضَّ المَنْظَر، جَنِيَّ المَخْبَر.

يَنْدَى بَشاشَةً، ويَقْطُر حُسْناً، ويَفُوحُ عَنْبَراً، ويُثمِرُ لُطْفاً.

فإن فعلتَ ذلك فهو حسَن، وإن عُدْتَ فالعَوْدُ أحْمَد.

وإن كان الأمرُ كما يُقال: لا ولا. فالغَبْنُ مُشْتَرَك.

واللهُ يَتولَّى السَّرائِر، ويعلمُ خائِنَة الأعْيُنِ وما تُخْفِي الصُّدور.

وإن راسَلْتُكَ بما زادَ أو نَقَص فهُو منك، وبِسببك.

والسلام.

وله من كتابٍ كتَبَه، وهو بِجبلِ الشوف، إلى بعض خَواصِّه، جواباً عن كتاب كتبه إليه، يطلبُ بعضَ طرائفِ الجبَل:

«وإنِّي أراكَ تُهْدَى ولا تُسْتَهْدَى، وتَضِلُّ في رأْيِكَ ولا تَسْتَهْدي».

وكأنَّكَ تُلَوِّحُ بطرائِفِ هذه الجِبال، وليس فيها سوى العُقاب والوَبال، عددَ ما فيها من الحِجارة والرِّمال.

وما ظَنِّي إلا أنَّكَ تسبَّبت إلى اسْتِهْداءِ طرائفِ المَقال، وتَقَنَّعْتَ عن جرِّ الأثْقَال، بالقِيراط من الجواهِر والمِثْقَال.

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، انظر ديوانه (٣٢٢).

Marfat.com
Marfat.com

وإلا فأنت أعلمُ بالحَال، وما فيها من ضُرُوبِ المُحَال، والاخْتِلال، والاغتِلال، والاَضْمِحْلال، والابْتِذال.

ولقد قرأتُ في أخبار بعض الأخْيار؛ أن بعضَ الأدباء الأُرَباء، كتبَ إلى بعضِ الأُمَراء النُّجَباء.

يسْتَهديه من طرائِف خُراسان، ويُلوِّحُ بالإحْسان، من فضْلِ ذلك الإنْسان.

فكتب إليه ذلك الأميرُ العريضُ الجاه، سقَى اللهُ ثَراه ورضِيَ عنه وأرْضاه:

أمَّا بعد، فقد وصل كتابُك، مُعرِّضاً بطرائِف هذه النَّاحية، وقد بعثت إليك بِعدْلِ صابونٍ لتغْسِل عنِّي طمَعَك، والسلام.

قلت: وفي هذه الحكاية تَسْلِيَةٌ للشيخِ الذي رِضاه قريبُ الغاية، وتَلافِيه لا يحْتاجُ لِشِدَّةِ عِنايَة، لوُجود الكِفاية.

لأنَّه ربَّما يُكْتَفَى في الهَدِيَّة، ببُلغَةٍ حامِديَّة أو أحْمَديَّة.

فيَغْسِلُ طمعَه رطلُ صابون، ويدفعُ عطَشَه وَغْدُ الكُمون، وَهُوَ حُرٌّ قانِعٌ بالدُّون».

وله من رسالة كتب بها إلى أبي العباس أحمد المَقَّرِيّ، ذلك الإمام اللَّوْذَعيّ العَبْقَرِيّ، يذكر فيها موت ولدٍ له صغير:

«لا أوْحشَ اللهُ مولانا الأستاذ، مِمَّا سيُعرَض على سمْعِه من عُجَرِي وبُجَرِي، ومن حدِيثي وغريبِ سَمَري.

وهو أنَّ الله سبحانه وله الحمد، قد جعل رَونق مَعاشِي، ورَيْحانةَ فُؤادِي من غير تَنْفِيسِ مُهْلَةٍ ذُخْرَ مَعادِي، ومَشْرَدَ رُقادِي.

وقد مات للحجَّاج ولَد، وكان بَيْضةَ البَلد.

فصعد مَتْنَ المنبر، وحمد الله وشكر وأكْثر.

ثم قال ويده على كبِده، من حَرِّ ما يجده:

الحمدُ لله الذي يقتل أولادَنا ونحمَده.

ونظر أبو الحارث، وكان مُشوِّه الخَلق في المرآة، فقال: الحمد لله الذي لا يُحمَد على المكروه سِواه.

وها أنا يا سيِّدي، أحمَدُ الله سبحانه، وقد فقدتُ جُزْءَ نَفْسِي، وفلْذَة كبِدي، وشِطْر رُوحي، ونُور عيني.

وما أسفِي إلاَّ على ما سمَّاه الشيخُ باسْمِه، ووَسَمه بِوَسْمِه.

وأرَّخ مولدَه، وحمد مصدرَه ومورِدَه.

وقد عَراني بِسببِه الذُّهول، وأنا في سِنِّ الكُهول.

ولولا ذاك لَما أغْفَلْتُ خدمةَ سيِّدي إلى الآن، من رسالةٍ أسْتَجْلِبُ بها شرفاً طارِفاً، كما اسْتَفَدْتُ في الفوز بخدمته مفخَراً سالفاً».

Marfat.com
Marfat.com

وله من رسالة إلى بعض حواشِيه، يُعاتبُه على نقيصةٍ قذَف بها بَحْرُ وائِيه:

«اعْلم، أصلحك الله، أن خبرَ السُّوء ينْمو ويزْبُو، ويبلغُ متراكماً مُتَضاعِفاً، ويصلُ متواتِراً مترادِفاً.

ثم إنه في السُّرعة يقطعُ مسافة سنةٍ في جمعة، وذلك أن الشرَّ أغْلب في الطِّباع، والهوى كما يعلم به القاضي شفيعٌ مُطاع.

والنفْسُ أمْيَل إلى العُقوق، وإضاعةِ الحقوق.

والعقرب، إلى الشرّ أقْرب.

والأُقْعُوان[1]، بعيدٌ من مراتِب الإحسان.

ومن وزَن المعروفَ في غير مِيزانِهِ، عُوقِبَ بِنُقْصانِه، وعَدَم رُجْحانِه.

ولَعَمْرِي لولا أن الخبرَ يَحتمِلُ سامِرَيْن، ويتردَّد بين شَفَتَيْن.

لأوْجَعتُ القاضِيَ عَتْباً، ونَهَبْتُ أدِيمَه نَهْباً، وأخذتُ كلَّ سفينةٍ غَصْباً.

كأن القاضِيَ سمع قولهم: [الطويل]

إذا أنت لم تَنفَعْ فَضُرَّ فإنَّما ... يُرادُ الفتى كيْما يَضُرُّ ويَنْفَعُ[2]

فعمِل بمعناه، وتمسك بفَحْواه، ونَسيَ أُولاه وأُخْراه.

قال الصَّاحِبُ لأبي سعيد الرُّسْتُميّ حينَ جَفاه: [الكامل]

فلعلَّ تَيْماً أن تُلاقِيَ خُطَّةً ... فَتَرُومَ نَصْراً من بني العوّامِ[3]

القاضي، وإن كان يحتاجُ إلى ما هو أوضحُ في العِتاب، من هذا الخِطاب. تقريباً لِفَهْمِه، وتوضيحاً لِعِلْمِه.

ولكن هو كما قال أبو الطيب[4]: [البسيط]

وكِلْمةٍ في طريقٍ خِفْتُ أُغرِبُها ... فتَهْتَدِي لي ولم أقْدِر على المِحَنِ

وإنَّما نَهَجْتُ على سَنَني في البلاغة، وسَبِيلي في الخطابة والكتابة.

وهو أصلَحه الله تعالى على سَنَنِهْ في الجَفا، وقِلَّة الوَفا، ووقُوفِه من الصِّدْق في الصَّداقة على شَفَا، وحسْبِيَ اللهُ تعالى وكَفَى».

وكان بينه وبين أبي الطَّيِّب الغَزِّيّ مودَّة ومُصافاة، ثم أعْقَبها مُقاطعة ومُجافاة.

فكَتب إليه هذه الاعْتِذاريَّة النابغة، وهي كما تراها تهْزأ باعتذارات النَّابغة.

---

(١) الأفعوان: الذكر من الأفعى. المصباح المنير، مادة (أفعى).

(٢) البيت ينسب إلى النابغة، فقيل: الذبياني، وقيل الجعدي، انظر شرح الشواهد للعيني (٢/ ٢٠٤)، شعر النابغة الجعدي (٢٤٦)، وينسب أيضاً لقيس بن الخطيم، ولعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، ولعبد الله بن معاوية.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم (١٧٠)، وانظر هامشه.

(٤) انظر تيمية الدهر (٣/ ٣٠٥).

Marfat.com
Marfat.com

ومطلعها: [الطويل]

أَلَمَّتْ أيادي الخَطْبِ سائِمةَ العَتْبِ ... على أنها العُتْبى تكونُ لِذي الحُبّ

يقول فيها:

لأيَّةِ حالٍ يا بنَ خيرِ أُرُومةٍ ... أُذادُ عن العذْبِ الزُّلال بلا شُرْبِ
وأشربُ صَابَ الدَّمع يطفُو أُجاجُه ... لِبُعْدِك والأَعْداءُ وارِدةُ العَذْبِ

منها:

فيا ليت شِعْرِي والأمانِي تعلُّلٌ ... ورَوْضُ المُنَى يُنْبِيكَ عن وابلٍ رَطْبِ
متى أرِدِ الإسعافَ في مَنْهَلِ الرِّضَا ... وأغتاضُ عن نَزْرِ المودَّةِ بالسَّكْبِ
وقد كنت آتِي في السَلام تتابُعاً ... فلِمْ صِرْتُ أرْضَى في الزِّيارَةِ بالغَبّ
ولو أنَّني واقَعْتُ عَمْداً جَرِيرةً ... لمَا كان بِدْعاً منك داعيةُ السَّبّ
ولكنَّني واللهُ أعلمُ لم أكُنْ ... لأقْطع أوْصالَ المَحبَّةِ كالإرْبِ
ولم أسْتَثِرْ حَرْبَ الفِجَارِ ولم أطِغْ ... مُسَيْلَمَةً إذْ رامَ آلِفةَ الحجْبِ
ولم أعْتقِدْ أن الخلافةَ فَلْتَةٌ ... بِعَهْدِ أبي بكْرٍ ولا كان من دَأْبِي
ولم أرِمْ فاروقَ العدالةِ غِيبةً ... وقد طلبتْ منه النَّجيبة بالكِذْبِ
ولم أكُ نَجْواً للخَوارِجِ إذْ بَغَوْا ... على قَتْلِ عُثْمانٍ بِسَطْوَةِ ذِي شُطْبِ
ولم أكُ سَلْماً لابنِ مُلْجَمَ إذْ سَطَا ... لحرْبِ عليٍّ والهوانُ لِذي الحَرْبِ
ولم أكُ في قتل الحُسَينِ مُجرِّداً ... لِصِمْصَامَتِي أو أن يُذاد عن الشُّرْبِ
ولم أخْتلِقْ بِدْعاً وحَسْبُك داعياً ... إذا كان عِرْضُ المرءِ مُنْثِلمَ الغَرْبِ
وهَبْ أنَّني مارَسْتُ ذلك كلَّه ... فحسْبِي من الإغراضِ يا أمَلِي حَسْبِي

وقد وقفتُ من هذا النَّمطَ على اعتِذاريَّة، توسَّل بها أبو جعفر المَرْيّ في تُربة المهديّ، عند عبد المؤمن سُلطان الأندلس، بعد أن نَكَبَهُ، وهي هذه:

تالله لو أحاطَتْ بي كلُّ خَطِيئة، ولم تنْفكَّ نَفْسِي عن الخَيْراتِ بطِيئة.
حتى سخِرْتُ بمَن في الوجود، وأنِفْتُ لآدمَ من السُّجود.
وقلتُ: إنه لم يُوحَ في الفُلْك لنُوح.
وبَرَيْتُ لقُدارٍ نَبْلاً، وبَرَمْتُ لحطَب نار الخليلِ حَبْلاً.
وحَطَطْتُ عن يُونُس شجرةَ اليَقْطِين، وأوْقَدْتُ مع هامان على الطِّين.
وقبضْتُ قَبْضَةً من أثر الرَّسول فَنَبَذْتُها، وافْتَرَيْتُ على العَذْراء البَتُول فَقَذَفْتُها.
وذَمَمْتُ كلَّ قُرشِيّ، وأكْرمتُ لأجل وَحْشِيّ كلَّ حبَشِيّ.
وقلت إنَّ بَيْعَةَ الثَّقِيفة، لا تُوجِب إمامةَ الخليفة.
وشَحَذْتُ شَفْرَة غلامِ المُغيرة بن شُعْبة، واعتقلْتُ من حِصار الدار وقَتل أشْمَطها بشُعْبَة.

Marfat.com
Marfat.com

وغادرتُ الوجْهَ من الهامةِ خَضِيباً، وناولتُ مَن قَرَع سِنُّ الحُسَين قَضِيباً.

ثم أتَيْتُ حضرةَ المغْصُوم لائِذاً، وبِقَبْرِ الإمامِ المَهْدِيِّ عائِذاً.

لآن لمقالتي أن تُسْمَع، وتُغْفر لي هذه الخَطيئات أجْمع، [الطويل]

فعفواً أميرَ المؤمنين فإنَّنا ... نُقِلُّ قلوباً هَدَّها الخَفَقانُ

وكتب إلى الأمير محمد بن مَنْجَك يُسلِّيه، وقد اخترَقتْ يَدُه وقدمُه، بنارٍ اغتلقَتْ بمطْبخه ليلةَ عيد الفِطر، وقد أجاد وأحسن كلّ الإحسان: [المنسرح]

قالوا يدُ المَنْجَكِيِّ ذُو الرُّتَبِ ... آلَمها النارُ قلتُ مِن عَجَبِ

يمينُه دِيمَةٌ ونائِلُها ... بحرٌ فكيف اختشتْ من اللَّهبِ

تضرُّه النارُ وهْوَ مُطْفِئُها ... والنارُ ليْستْ تضُرُّ بالسُّحُبِ

وإنَّما قام وهْوَ مُختَفِلٌ ... كعادةٍ منه تَنْتَمِي لابِ

تَبْغِي قِرَى الضَّيفِ في إثارتِها ... وذاك دَأْبُ الكِرامِ في العربِ

فقبَّلتُ كفَّهُ لِمَا له نظرَتْ ... من هِمَّةٍ لِلْقِرى مع النَّصَبِ

أو قد رأتْ مَكْرُماتِ راحتِه ... عَمَّتْ جميعَ الأنامِ بالنَّشَبِ

فبادَرَتْهُ لتجْتدِي نَشَباً ... منه فساءتْ مواطنَ الطَّلَبِ

وضَرَّ أقْدَامَها ولو عَقلتْ ... لَقَبَّلَتْها بغايَةِ الأدَبِ

لكن بِحمْدِ الإلَه ما شُغِلَتْ ... عن مَسِّها للِيَراعِ والقُضُبِ

انظُر إلى جودِه وقد طلبتْ ... من كَفِّه قُبْلةً فلم تَخِبِ

جُودٌ يروحُ الجمادُ يطْلبُه ... ما شِيمَ كلاًّ في سالِفِ الحِقَبِ

ومن نُتَفهِ قوله: [الكامل]

نَصَل الشَّبابُ وما نصُلتُ عن الهوَى ... وبَدَا المَشيبُ وفيَّ فَضْلُ تَصابِي

وغَدَوْتُ أعترضُ الدِّيارَ مُسَلِّماً ... يوماً فلم تسمَحْ بِرَدِّ جواب

فكأنَّها وكأنَّني في رَسْمِها ... أغشَى يُحدِّق في سُطورِ كتابِ

وقوله: [المجتث]

إني أبُثُّك حُبّاً ... حُبّاً يرى السِّلْمَ حربَا

ويُغْصِبُ القلبَ غَصْباً ... ويَنْهَبُ الصبرَ نَهْبَا

يا مَن كوَى ألْفَ قلبٍ ... سامِخ من النَّارِ قَلْبَا

وقوله: [م. الرمل]

يا عدُوّاً قد ظَلَمْنا ... هُ بتلْقِيبِ الحبيبِ

وغريبَ الطَّبْعِ فينا ... وهْوَ في زِيٍّ قريبِ

Marfat.com
Marfat.com

ما قليلٌ أنت لكنْ ... منكَ قد ضَلَّ نصيبي

وقوله: [م. الكامل]

لاحَظْتُه فتغيَّرَتْ ... لَحَظاتُه غَضَباً لِحَزْبِي
فاسْتَلَّ من أجْفانِه ... سَيْفاً وأغمده بقلبي
يا مَن رأى في دَهْرِه ... قلْباً غَدا غِمْداً لعَضْبِ[1]

وقوله: [م. الرمل]

يا شقيقَ الظَّبْيِ لَحْظاً ... والرَّشا في لَفْتاتِكْ
قُتَّ غُصْنَ البانِ قَدّاً ... والنَّقا في خَطَراتِكْ
لستَ هاروتَ ولكن ... سحرُه من حَرَكاتِكْ
عظَّمَ اللهُ بِصَبْرِي ... أجْرُ ماضِي لَحَظاتِكْ
أنا واللهِ قتيلٌ ... هالكٌ من نَظَراتِكْ
جَرَحْتَ قلبي وهذا ... شاهدي في وجَناتِكْ
أنا أسْتَبْقِي حياتِي ... لتُقَضَّى في حياتِكْ
كيفَ تعصِيكَ حياةٌ ... هي من بَعْضِ هِباتِكْ
آهِ من ضَعْفِ غَرامِي ... وتَقَوِّي عَزَماتِكْ
آهِ مِن طُولِ عَنائِي ... وتَدانِي خَطَراتِكْ

وله من قصيدة، مطلعها: [الخفيف]

ذا وِدادِي وهل تَرَى لِوِدادِي ... حافِظاً في الأنامِ مثلَ فُؤادِي
كُلَّما رُحْتُ أسْتَمِيحُ حَبِيباً ... وُدُّهُ جاد لي بِضِدِّ مُرادِي
فكأنَّ الأنامَ أضْحَوْا فُلاناً ... وفُلانٌ هو الذي لِي يُعادِي
كلَّما رُمْتُ قُرْبَهُ أخذَتْ بِي ... شِيمةٌ منه تَقْتَضِيهِ بِعادِي
مثلُ صَبْرِي إذا تَلقَّى هواهُ ... كان ذا رائِحاً وذلك غادِي
إن تَمادَي بنا جَفاهُ قليلاً ... فانْتَظِرْ للأساةِ والعُوّادِ
عَجَباً من نَواكَ وهْوَ طَرِيفٌ ... كيفَ يَرْعَ حَقَّ قُرْبِ تِلادِي
أخْلَفَتْكَ الشُّؤون عجزاً فجادَتْ ... بالسَّوارِي أكْبادُنا والغَوادِي
ليس عندي من الدُّموعِ سوى ما ... وَهَبْتَه عُصارةُ الأكْبادِ
كان طُولَ القَناةِ وُدُّكَ عِندي ... فانْبَرى مِن جَفاكَ عَرْضَ النِّجاد
لا تَلُمْني على هواك فإنّا ... قد أتَيْنَا معاً على مِيعادِ

(١) العضب: عضبه عضباً: قطعه، ويقال للسيف القاطع: عضب. المصباح المنير، مادة (عضب).

Marfat.com
Marfat.com

صادف القلبَ خالِياً فاختَواهُ مُطْمَئِنًّا وكان بالمِرْصادِ

معنى البيْتيْن ينظُر إلى قول الآخر: [الطويل]

أتانِي هواهُ قبلَ أن أعرِفَ الهوَى فصادفَ قلباً خالياً فتمكَّنَا

نُقِل عن أبي بكر الأصْبَهانِيّ أنه عابَهُ، فقال: كلُّ مَن صادفَ مكاناً خالياً تمكَّنَ فيه، والمُسْتَحْسَن أن يعرفَه مِن دونه.

أقول: هذا كلامُ مَن لم يَذُقْ حلاوةَ المعانِي؛ فإن الشاعرَ قصدَ أن غَرامَه قائمٌ، لم يسبِقْهُ غيرُه، فإنهُ متمكن في قلبه لا يزول، وما قصد معنًى آخر، كما قيل: [الطويل]

أتانِي هواهُ والهوَى قد أحاط بِي ليجْمُلَ بيْتُ القلبِ للحُبِّ منزلا[1]
فصيَّرتُه وَقْفاً عليه ولم يَجِدْ إليه سَبيلاً غيرَه فَتَحَوَّلا

تَتِمَّة الأبيات الأولى:

كان لي منكَ لحظةٌ أَضْطَفِيهَا فغدَا لَحْظُها كسَيْفِ الأعادِي
كنتُ أخْشى غِرارَها وَهْيَ سِلْمٌ كيفَ إذْ جُرِّدَتْ من الأغْمادِ
عمِلتْ للوُشاةِ فينا سيوفٌ عجباً رُخْنَ وَهْيَ غيرُ حِدادِ
لستُ مُسْتَنْعِداً حبِيباً تَجنَّى لِيَ ذَنْباً وصَدَّ عن إسْعادِي
آهِ مِن وصلِك البعِيد التَّدانِي آهِ من هجْرِكَ الكثِيرِ التَّمادِي
لا ابْتَلانِي الإله بعدَك حتَّى يلْبَسِ الْخَدُّ منك ثوبَ الحِدادِ
ويُرَى الوردُ كالبَنَفْسَجِ لوناً منكَ الأُقْحُوانُ غيرَ نَوادِي
إذ عَرَى نَرْجِسَ العُيونَ ذُبُولٌ وغَدا الغصنُ ليس بالمَيَّادِ
ذاك نَوْحِي عليك وهْوَ زمانٌ مُنْصِفٌ للهوَى من الأضْدَادِ

ومن نُتَفِه قوله: [البسيط]

علَّمْتنِي الذُّلَّ حتى صرتُ آلَفُه وما التَّذلُّلُ خُلْقُ البازِ والأسَدِ
يا مَن أهانَ فُؤادِي في محبَّتِه أعزَّكَ اللهُ فارْحَمْنِي ولا تَزِدِ
قد صرتُ طَوْعَ يدِ الأشْواقِ مُكْتَئِباً من بعدِ ما كانتِ الأشواقُ طَوْعَ يَدِي

وقوله: [الطويل]

وأذْكَرَنِي قَدَّ القَناةِ قَوامُهُ وهزَّنِيَ الشوقُ اهْتِزازَ المُهنَّدِ
وأزعجني حتى ظننْتُ وِسادَتي عليَّ وقد أمْسَتْ كقِطْعَةِ جَلْمَدِ
ألا إنَّني يا شوْقُ باللهِ عائِذٌ ومُسْتَشْفِعٌ من فِتْنتِي بمُحمَّدِ

---

(١) انظر عيون الأخبار (٣/ ٩) ونسبه ابن قتيبة إلى عمر بن أبي ربيعة، وهو مما ليس في ديوانه. وفي عيون الأخبار: «أتاني هواها .... قلباً فارغاً ....».

Marfat.com
Marfat.com

وله من قصيدة، أولها: [الطويل]

لَحَى اللهُ أوْقاتِي وضَاعَفَ من صَبْري ... على مَرِّها مَرَّ السَّحابِ بلا قَطْرِ
تُحارِبني الأيامُ حتى كأنَّني ... تُطَالِبُني عن كلِّ مَن مات بالوَتْرِ

الوتْر: الذَّحل، وهو الثَّأر.

قال يونُس: أهلُ العالِية يقولون: الوِتر، يعني بالكسر: في العَدَد، وفي الذحْل، بالفتح.

عدَدْتُ أوْيقاتِي ولاحَظْتُ طِيبَها ... فَأَجْوَدُها ما مَرَّ في الحُلْمِ من دَهْرِي
إذا رُحْتُ أُحْصِيها لأَعْلَمَ يُسْرَها ... عدِمْتُ حياتِي والمصيرُ إلى عُسْرِ
متى ما اغْتَبَرْتَ العُمرَ ما كانَ صافِياً ... تجِدْ رجُلاً قد عاشَ عُمْراً بلا عُمْرِ

هذا معنىً غريب، وأظنُّه تناوله من قول الحَتَاتِيّ، وهو[1]: [السريع]

عمرُ الفَتَى زَمانُ الرِّضا ... بِصَفْوَةِ الأحْبابِ في اليُسْرِ
صدَّقْتُ ما قالوه كي يُقْبِلُوا ... فينْظرُوا شيخاً بلا عُمْرِ

وأصله قول الأمير أسامة بن مُنْقِذ[2]: [الكامل]

قالوا نَهاهُ الأربعُونَ عن الصِّبا ... وأخُو المَشيبِ يَجُورُ ثُمَّتَ يهْتدي
كم حارَ في لَيْلِ الشَّبابِ فَدَلَّهُ ... صبحُ المَشِيبِ على الطَّريقِ الأقْصَدِ
وإذا عدَدْتَ سِنيَّ ثم نَقَصْتَها ... زَمَنَ الهموم فتلكَ ساعةُ مَوْلِدي

قال العِماد الأصْفَهانِيّ: تَعجَّبْ من مقاصِد هذه الكَلِم، وتعرَّض لموارد هذه الحِكَم واقْضِ العَجَب كلَّ العجب من غَزارةِ هذا الأدب، ولولا أن المِدادَ أفضلُ ما رُقِم به صحائفُ الكُتب، لحَرَّرْتُ هذه الأبيات بماء الذَّهب، فهذا أبلغُ من قول أبي فِراس الحَمْدانِيّ[3]: [الرجز]

ما العمرُ ما طالتْ به الدُّهورُ ... العمرُ ما تمَّ به السُّرُورُ

فالفضلُ للمتقدِّم في ابْتكار المعنى، وللمُتأخِّر في المُبالَغَة.

العوْدُ أحمَد:

وها أنا في طَيِّ الليالِي مُعَدِّدٌ ... كواكِبَه من حيثُ لا حاسِبٌ يَدْرِي
كأنِّيَ مِن هَمِّي مدَى اللَّيلِ راكبٌ ... على فلك نائِي المدَى أبَداً يَسْرِي
أروحُ مُجِداً مُصْعِداً وعَزِيمَتي ... إلى اللَّوْح كي أقْرَأ به سُورة اليُسْرِ

---

(١) انظر ريحانة الألبا (٢/ ٧٤) وفيها:

« ..... بالصفو والأحباب واليسر
..... لينظروا شيئ ..... »

(٢) انظر ديوانه (٢٤٧) وريحانة الألبا (٢/ ٧٦).
(٣) انظر ديوانه (٣١٩).

Marfat.com
Marfat.com

وأحفظُها من جَبْهَةٍ شِمْتُ نُورَها ... على بُعْدِها قدرُ الكواكبِ والبذرِ

وله: [البسيط]

عجِبْتُ للشَّمسِ إذ حَلَّتْ مُؤنَّرَةً ... في جَبْهَةٍ لم أَحَلْها قطُّ في البَشَرِ
وإنما الجبهةُ الغرَّاءُ مَنْزِلَةٌ ... مُخْتَصَّةٌ في ذُرَى الأفلاكِ بالقَمرِ
ما كنتُ أحسَبُ أنَّ الشَّمْسَ تغشَقُه ... حتى تبَيَّنْتُ منها حِدَّةَ النَّظَرِ

وله: [الكامل]

انظُر لأوراقِ الرَّبِيعِ وقد بَدَتْ ... مُحْمَرَّةً في صُفْرَةِ الأشجَارِ
وكأنَّها لمَّا تَبدَّتْ بينَها ... شَفَقٌ تبدَّى في سماءِ نُضارِ

وله: [الخفيف]

قد أُحِبُّ الرَّبيعَ لِلَّهْوِ فيه ... بلطِيفِ الهواء والأزْهارِ
ثم فصلُ الخَريفِ عندِيَ أحْلَى ... لاجْتِنائِي فِيه لذيذَ الثِّمارِ

ومن غزَلِيَّاته قوله: [الكامل]

ومُعذَّرٍ خفِيَتْ خطوطُ عِذارِه ... فبدَتْ لطالبِ وَصْلِه أعْذارُهْ
قد لاح تحتَ ورُودِه رَيْحانَةٌ ... وبَدا خَفِيّاً للعُيونِ غُبارُه
يبْدُو فتَقْطُر بالدِّما أقطارُه ... دَلاً ويخطُو بالخُطَى خَطَّارُهْ
رَقَّتْ شمائلُهُ ورَقَّ كلامُه ... وتعنَّدتْ أوطارَنا أوْطارُهْ
فشَكَكْتُ بينَ مُؤنَّثٍ ومُذكَّرٍ ... فيهِ فأنَّبَا باليقينِ عِذارُهْ

من هذا، بل أجود منه قول تَقِيِّ الدِّينِ الفارسْكُورِيّ: [الطويل]

تَوَهَّمْتُه شمْساً وكان يُرِيْنِي ... نسِيمَ الصَّبَا منه ومن طبعِها الحَرُّ
فلمَّا دجَا ليْلُ العِذارِ ولم يَغِبْ ... علِمْتُ وزالتْ شُبْهَتِي أنه البدْرُ

وله: [الوافر]

وما زالتْ تُخَبِّرُني المعالِي ... سِراراً لا أُطِيقُ له جِهارَا
فإنْ أظْفَرْ به فأنا حَرِيٌّ ... وإلاَّ فالمُقدَّرُ لا يُجَارَى

وحيَّاه غُلامٌ بوَرْدةٍ، فقال: [البسيط]

انظُر إلى وَرْدَةٍ حيَّ بها رَشَأٌ ... نَشْوانُ وافَى من الغِلْمانِ كالحُورِ
كأنَّها شَفَتاهُ حين جاء بها ... مضمُومةً إذ بَدَتْ أو طَرْفُ مَخْمُورِ

في التَّشْبِيه الأوَّل شمَّةٌ من قول الشَّريف الرضيّ[1]: [الرجز]

كم وَرْدَةٍ تحْكِي بِسَبْقِ الوَرْدِ ... طَلِيعةً تشرَّعَتْ من جُنْدِ
قد ضمَّها في الغُصْنِ فَرْطُ البَرْدِ ... ضَمَّ فمٍ لقُبْلَةٍ من بُعْدِ

(١) ليس في ديوان الشريف الرضي.

Marfat.com
Marfat.com

ولابن الرُّوميّ[١]: [البسيط]

وزْدْ تَفَتَّحَ ثم ازْتَدَّ مجتمِعاً كما تجمَّعتِ الأفواهُ لِلْقُبَلِ

ومن تضامِين ابن تميم الفائقة[٢]: [الكامل]

سبَقتْ إليك من الحَدائقِ وَرْدَةٌ وأتَتْكَ قبلَ أوانِها تَطْفِيلا
طمِعتْ بلَثْمِكَ إذ رأتْكَ فَجمَّعتْ فمَهَا إليكَ كطالبٍ تَقْبِيلا

وأصله قولُ المُتَنبّي في راكبِ فرس[٣]: [الكامل]

ويُغِيرُني جَذْبُ الزِّمام لقلْبِها فمَها إليكِ كطالبٍ تقْبِيلا

وله عاقِداً لحكمة تؤثر: [الكامل]

إذا أقْبلتْ دُنْيَاكَ يوماً على امْرِئٍ كَسَتْهُ ولم يَشْعُرْ محَاسِنَ غيْرِهِ
وإنْ أدْبَرتْ سَلَبَتْ محاسنَ نفسِه وكُسى شُروراً عن ملابِسِ خَيْرِهِ

وله: [م. الكامل]

كلُّ الحوائجِ تنقَضِي فاعجَبْ لِفَرْقِ قضائِها
فالأُسْدُ تفْترسُ الْمَهَا وتعِيشُ في أغضائِها
والنَّمْلُ عظْمٌ واحدٌ منْها يَفِي برضائِها

وله من النَّوع الذي يُسمَّى بالاكْتِفاء: [السريع]

إنَّ اختفالَ المرءِ بالمرْءِ لا أحِبُّه إلاَّ مع الاكْتِفَا
مُبالِغاتُ النَّاسِ مَذْمُومَةٌ فاسْلُكْ سبِيلَ القَصْدِ في الاخْتِفا

فيها التزامٌ عجيب، لم يُنْظَم مثلُه، وهو أن يكون اللَّفظُ المُكْتَفَى به بمعنى اللَّفْظِ المُكْتَفَى منه، فإن الاخْتفاء والاحتفال بمعنى الاعْتِناء؛ فيكون على هذا الاكْتفاء وعدمُه على حدٍّ سَوَاء، إذ لو قُطِعَ النَّظَرُ عن لفظِ الاخْتِفال لأغْنى عنه لفظُ الاخْتفاء، مع تسمية النَّوع فيهما.

وله: [الطويل]

أضُمُّ على قلبي يَدَيَّ تَشَوُّقاً وألْوِي حَيازيمي عليكَ تحرُّقاً[٤]
تَساوَى حُضُورِي في هواكَ وغَيْبَتِي ومِن عَجَبٍ شوقٌ لدَى البُعْدِ واللِّقَا
رعَى اللهُ قَلْبِي حيث كان فإنَّهُ غدا بحبالِ الشَّمس منكَ مُعلَّقَا

ومن رُباعيَّاته قوله: [الدوبيت]

---

(١) ليس في ديوان ابن الرومي.
(٢) انظر فوات الوفيات (٢/٥٣٨).
(٣) انظر ديوانه (١٣٣).
(٤) حيازيمي: الحيزوم: ما استدار بالظهر والبطن، أو ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر. القاموس المحيط، مادة (الحزم).

Marfat.com
Marfat.com

أبْكيكِ ولو بقذرِ شَوْقي أبْكِي ... أوزَدْتِ محاجِري حِيَاضَ الهُلْكِ
لو قال لِي الغرامُ ممَّن تَشْكُو ... بأساً واساً لقلت مِنْكِي منْكِي

وله: [م. الرمل]

أيُّ ذَنْبٍ ليَ قُلْ لِي ... غيرَ حظٍّ منكَ قُلّ
أتراني منك أضبَخ ... تُ برأي مُسْتَقِلّ
لكَ نفسي أيها الـ ... ـجَانِي فخُذْ جُهْدَ المُقِلّ

وله: [م. الرمل]

أيُّها الجانِي المُدِلُّ ... لكَ نفسي وتَقِلُّ
طال تَعْذِيبُكَ قلبِي ... فعذابي لا يحلُّ
أنتَ في حِلٍّ فبادِرْ ... بدَمٍ ليس يحِلُّ

وله من قصيدة، مطلعها: [البسيط]

عُذْراً لطَيْشِكَ إن السِّنَّ مُقْتَبِلُ ... فليس ينفعُ في أشواقِكَ العَذَلُ
سَبْعٌ وعشرون لو مَرَّتْ على جَبَلٍ ... لراح يختالُ منها ذلك الجَبَلُ
قضَّيْتُ فيها شباباً لو تطلَّبَهُ ... رِضوانُ في الخُلْدِ أعْيَتْ قَصْدَه الحِيَلُ
نظيمَةٌ كعُقودِ الدُّرِّ في نَسَقٍ ... فلو حَوَتْها عقودٌ زانَها العَطَلُ
نَشْوانُ أطْفَحُ من خَمْرِ الشَّباب ولا ... كنَشْوَةِ الخَمْرِ يَشْكُو فِعْلَها الثملُ
في حيث عنْدِي فُكاهاتٌ ألَذُّ بها ... راحِي الرُّضابُ وتُفَّاحِي هيَ القُبَلُ
أعانِقُ الغُصْنَ في أكْمامِهِ قمرٌ ... وألْثَمُ البدرَ في أغْطافِهِ كسلُ
لو حَلَّتِ الشَّمسُ يوماً في مَحَلَّتِنَا ... لراحَ ينْدُبُها من شَجْوِه الحَمَلُ
أو قابلَ البدرُ عندي مَنْ أسامِرُهُ ... لَمَسَّه دونه التَّشْوِيرُ والخَجَلُ[1]
أيَّامَ لم أحْتَمِلْ للصَّبْرِ عاقبةً ... ولم أقُلْ ليتَ جَفْنِي راحَ يَنْهَمِلُ
مَرَّتْ فلا صَفْوُها في العيْشِ ذو رَنَقٍ ... يوماً ولا ظِلُّها في الأمْنِ مُنْتَقِلُ
تَلهُو السِّنُونَ بها في أمْرِهِنَّ كما ... يلهُو بقلْبِ الفَتى في يومِه الأَمَلُ

وله الميميَّة التي أبانتْ عن شَغَف، كاد يُفْضِي به إلى التَّلف، وغَرامٍ رُمِيَ منه بكُلَفِ الكَلَف.

وسببُ ذلك صدُّ حبيبٍ لم يَدَعْ فيه للتَّحَمُّلِ مَحَلاً، وأذْهَلَ لُبَّه فتركه بمُقْتَضَيَاتِ الحُبِّ مخِلاً، وهي هذه: [البسيط]

حكَّمْتُهم في فؤادِي حسْبَما رسَمُوا ... فلَيْتَهم حَكَمُوا بالعدْلِ إذ حَكَمُوا
أوليْتَنا قد صَبرْنا مُذْعِنِينَ لهم ... أوليْتهم إذ تَوَلَّوْا أمرَنا رَحَمُوا

(١) التشوير: شور تشويراً: لوح بشيء يفهم من النطق. المصباح المنير، مادة (شور).

Marfat.com
Marfat.com

جارُوا ولو علِموا أنّي لِحُكْمهمُ ... طَوْعُ القِيادِ لما جارُوا ولا ظَلَمُوا
ضَنُّوا بصُحْبَتِهم عَنّا ولو علِمُوا ... صِدْقَ المحبّةِ منّا خِلْتَهم نَدِمُوا
مُذْ عَرَّضُونا لِبَلْواهُمْ بقُرْبهمُ ... حتى إذا ما رَأوْا إقْبالِنا سَئِمُوا
كُنّا بَنَيْنا لهم في القلبِ مَنْزِلةً ... علْياءَ حتى إذا ما شُيِّدَتْ هَدَمُوا
ظَنُّوا بنا غيرَ ما تَطْوِي سَرائِرُنا ... واللهُ يأْبَى الذي ظَنُّوه والكَرَمُ
ما أبْعَد العَيْبَ والنقْصانَ من شَرَفِي ... أنا الثُّرَيّا وذَانِ الشَّيْبُ والهَرَمُ
رأيْتُهم لم يَمَلُّوا خَلَّتَيْنِ لهم ... وبئستِ الخَلَّتانِ الغَدْرُ والسَّأَمُ
رحلتُ عنهمْ ولي في كلّ جارحةٍ ... منّي لسانٌ عليهمْ يَشْتكِي وفَمُ
وإن تَرحَّلْتَ عن قومٍ وقد قَدِرُوا ... أن لا تُفارِقَهمْ فالرَّاحلونَ هُمُ
يا نازِحِين عَراهُم مِن تَذَكُّرِنا ... عارٍ فلا مَسَّكُمْ من بعدِ ذا أَلَمُ
جَنَيْتُمُ ثم رُحْتُمْ عابِثِيْنَ وهلْ ... في العَدْلِ أن يَعْتَبِ الجاني ويَجْترِمُ
كُنْتُم ولا عَيْبَ فيكُمْ غيرَ أنَّكُمُ ... قد شابَ ماءَكُمُ للشَّارِبين دَمُ
عجبْتُ منكم وفي أخْلاقِكُم عَجَبٌ ... كيف اسْتَوى فيكم المَخْدُومُ والخَدَمُ
سُلِبْتُمُ النَّفْعَ حتى ظن طَالِبُكُمْ ... أن الذي قد تَولَّى كِبْرَكُمْ صَنَمُ
غَدَرْتُمُ ووَفَيْنا في محبَّتِكُمْ ... إنَّ الوَفاء لدَى أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ
قد كنتُ يُوسُفَ إذ بِعْتُمْ كإِخْوتِه ... بالبَخْسِ منّي فتىً تغْلُو به القِيَمُ
لا ذَنْبَ فيما أحلْتُمْ للوُشاةِ وهلْ ... للخَصْمِ ذنبٌ إذا لم يُنْصِفِ الحَكَمُ
إن كان يَجْمعُنا حُبٌّ لفُرْقتِكُمْ ... فليتَ أنّا بقَدْرِ الحبِّ نَقْتَسِمُ
هل في القضيَّةِ مِمَّن لستُ أنْسُبُهُمْ ... أنّي على حُبِّكمْ بالصِّدْقِ مُتَّهَمُ
إن كان حُبُّ الفتى ذَنْبٌ يُعَدُّ له ... إنّي إذاً أنا بالبَغْضَاءِ مُتَّسِمُ
زَعَمْتُمُ أنّنا نهْوَى شمائِلكم ... وإنّما تُعْشَقُ الأخلاقُ والشِّيَمُ
أيُّ الفَرِيقَيْنِ أوْفَى عندكم نَفَرٌ ... هَوَوْا وما كَتَمُوا أم معشرٌ كتمُوا
لم تَفْرِقُوا ما البُزاةُ الشُّهْبُ عندكمُ ... وقد أحاطتْكُمُ الغِرْبانُ والرَّخَمُ[1]
وما انْتِفاعُ أخِي الدُّنيَا بناظِرِه ... إذا اسْتَوَتْ عنده الأنوارُ والظُّلَمُ
فرَّطْتُمُ في عقودِ الوُدِّ فاغْتَنِمُوا ... تفْرِيطَكُم إنه ما ليس ينْتَظِمُ
جَمَحْتُمُ اليوم عن طُرُقِ الوفَاءِ فلا ... جَذْبُ الأزِمَّة يُثْنِيكُمْ ولا اللُّجُمُ
رُحْتُم تغُضُّون منّي دون أُسْرَتِكُمْ ... حتّى كأنّيَ في أجْفانِكُمْ سَقَمُ

---

(١) البزاة: جمع بازي. القاموس المحيط، مادة (باز).
الرخم: طائر يطلى بمرارته لِسُمّ الحية وغيرها. القاموس الحيط، مادة (رخم).

Marfat.com
Marfat.com

بيني وبينَكُم بَهْمَاءُ مُظْلِمَةٌ ... من غَدْرِكُم لم تَجُبْها الأينُقُ الرُّسُمُ[1]
جهِلْتُمْ قَدْرَ مَعرُوفِي ومَغْرِفَتي ... وسوف يبلغُ فيكم شأوَهُ النَّدَمُ
أنا الذي نظَر الأعمَى إلى أدَبي ... وأسْمَعَتْ كلِماتِي مَن به صَمَمُ
أبْدُوا فيخضَعُ مَن بالسُّوءِ يذكرُنِي ... كأنَّني فوق أعْناقِ العِدى علَمُ
صفحْتُ عنكم فلا أنِّي قبلتُ لكم ... عُذراً ولكنَّ نفْسِي دأبُها الشَّمَمُ
فادْعُوا بأبْنائِكُم حتى نُبَاهِلَكُمْ ... أوْ لا فإنَّا لها الإنصاف نختَكِمُ
أرْخَصْتُمُ سِعْرَ شِعْرِي في مَدِيحكُمُ ... فراحَ يَهْجُوكُمُ القِرْطاسُ والقلمُ
أنَامُ مِلْءَ عُيُونِي لا أعاتِبُكُمْ ... وتَسْهرُ السُّمْرُ مِن أجْلِي وَتَخْتَصِمُ
جِنَايَةٌ أرْشُها وَضْمٌ لكمْ أبَداً ... وشَرُّ ما يكسِبُ الإنْسَانُ ما يَصِمُ
مَنْ لِي بأن تَفْقَهُوا أنَّ الأنامَ بكم ... نِضْفانِ مُسْتَهْزِئٌ والنِّصْفُ مُنْتَقِمُ
ما كانَ أخْلَقنَا منكم بتَكْرِمةٍ ... لو أنَّ فِعْلَكُم مِن فِعْلِنا أمَمُ
هجَرْتُمُ وهَجَرْنا مُنْصِفين وفي ... فِعلِ النُّهَى دون أفْعَالِ الورَى حَكَمُ
ضاقَ الكِناسُ عليكمْ يا ظِباءُ بنا ... وليسَ للأُسْدِ إلا الغابُ والأجَمُ
ما لي وآرامكم حتى أُخَالِطَهَا ... وفي التَّقرُّبِ ما تَدْنُو به التُّهَمُ
فارَقْتُكُمْ لا فُؤادِي راح مَضْطَرِماً ... شوْقاً ولا العَيْنُ في أجْفانِها دِيَمُ
سَلُوا تُنَبِّيكُمُ حالِي وما صَنَعتْ ... من بعْدِ فُرْقَتِكمْ في صَدْرِيَ الهمَمُ
وكيفَ أصبحَ قلبِي في تَقَلُّبِهِ ... والعينُ كيف كَراهَا راح يَزْدَحِمُ
يَدٌ علَيْنا لوَاشِينا فلا عَثَرَتْ ... ولا سعَتْ لتَجافِينا به القَدَمُ
قد هانَ في بَصَرِي ما كنتُ أبْصِرُهُ ... كأنَّما يَقْظَتِي في وَصْلِكُم حُلُمُ
وكنْتُ أبْكِي على حَظِّي بكُمْ زَمَناً ... فصرتُ أعْجبُ من حَظِّي وأبْتَسِمُ
وصرْتُ أنْدبُكمْ لا أنَّني أسِفٌ ... لكن لأُعْلِمَ قومِي أنكمْ رِمَمُ
طلبتُ صُحْبتكمْ حتى وجدْتُكمُ ... إذا اخْتَفَلْتُ بكم سِيَّانِ والعدَمُ
ورُحْتُ والصَّبْرُ لم تَشْلَمْ جوانِبُهُ ... وعُدْتُ والقلبُ منِّي باردٌ شَبِمُ[2]
إنِّي وما ضَمَّ قلبي مِنْ سُلُوِّكُمُ ... أَلِيَّةً ليس عندِي غيرها قَسَمُ
قد اغْتَنَمْتُم بُعادِي عن مَجَالِسِكمْ ... وليس قُرْبكمُ في النَّاسِ يُغْتَنَمُ
وكنتُ أزعمُ أن البيتَ بيْتُكمُ ... وأن عِرْضَكمُ دون الورَى حَرَمُ
وأنَّني عبْدُكم حتى رأيتُ لكمْ ... عبداً يُسِيءُ بمولاهُ ويَنْهَزِمُ

(١) الأنيق: جمع أنيقة وأنيق جمع قلة لناقة، وفي الحديق فوجد أينقة. لسان العرب، مادة (نوق).
(٢) شبم: الشَّبِم ككتف: البردان. القاموس المحيط، مادة (شبم).

Marfat.com
Marfat.com

ما كان لي أن أرَى في الرِّقّ مُشْترِكاً ... مَعْ عَبْدِ سُوءٍ به الأحْرارُ تُهْتَضَمُ
عَمَيْتُمُ عَن مُحِبِّيْكُمْ فسِيءَ بكمْ ... وتلكَ عاقِبَةُ القومِ الذينَ عَمُوا
سحرْتُ ذا الدُّرِّ حتى صُغْتُهُ كَلِماً ... لا تحسَبُوا أنه ما بينكم كَلِمُ
لو لمْ تكُنْ رِقَّةُ الألْفاظِ تخْدَعكُمْ ... لقلتُمُ إنَّها المصْقُولَةُ الخَذِمُ[1]
فلا رعَى اللهُ مَن لمْ يَرْعَ صُحْبَتَنا ... ولا رعَى مَرْتَعاً سامَتْ به النَّعَمُ

وله: [الخفيف]

رُبَّ يومٍ قد جاء يُوحِي بأمرٍ ... فيه شَيْطانُه إلى شَيْطانِي
مِن سِرارٍ بين اللَّحاظِ ورُوحِي ... أتْقَنتْ علمَ سِحْرِه العَيْنانِ
وأفاضَا مِنَ الهوَى في حَدِيثٍ ... ليس من جنس ما يَعِي المَلكانِ
ثُمَّ زَنْدايَ وشَّحاهُ وِشاحاً ... ما لِزُنَّارِه بذاك يَدانِ
فاغْتَدينا من العِناقِ اتِّحاداً ... مثلَ جِسْمٍ قد حلَّهُ رُوحَانِ

وله: [الكامل]

لما رأيتُ العيْشَ مِن ثَمَرِ الصِّبَا ... وعلمتُ أن العَفْوَ حَظُّ الجَانِي
أدْرَكْتُ ما لا سوَّلَتْهُ شبِيبَتِي ... وفعلتُ ما لا ظَنَّه شَيْطانِي

وله: [الكامل]

ولقد صَحِبْتُ العِزَّ مُذ أنا يافِعٌ ... فهُوَ الشَّبابُ على الشَّباب أتَانِي
ولو اغْتَرَى بعْدَ الشَّبابِ لَسَرَّنِي ... فالعِزُّ مُكْتَهِلاً شَبابٌ ثانِي

وله: [الدوبيت]

قد أظْمانِي الغرامُ مِمَّا فِيَّا ... هَيَّا بفُضولِ دَمْعِ كاسي هَيَّا
لا تلْحِظنِّي عروسَ بَخْتِي أنفاً ... حتَّى ولو انْتَقَشْتُ كُلِّي كَيَّا

٧- الأمير مَنْجَك بن محمد المَنْجَكِيّ

هذا الأمير، سَقى عهْدَهُ مُفاضُ الدِّيَم، وحَيَّ الرِّضْوانُ منه تلكَ الشِّيَم.

إن لم يكن ثانيَ أبي فِراس في الشِّعْرِ وحدَه، فهُو مع ذلك ثانِيَ ابنِ طيٍّ الذي تجاوزَ في الكَرَمِ حَدَّه.

---

(١) الخذم: سيف، خذم: قاطع. القاموس المحيط، مادة (خذم).

٧- هو الأمير منجك بن محمد بن منجك بن أبي بكر بن عبد القادر بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن منجك الكبير اليوسفي الدمشقي.
نشأ في أيام أبيه متفيئاً ظلال نعمه، وشغف من حين نشأته بالطلب، وصرف نقد عمره على تحصيل الأدب، وقرأ على مشايخ عظام، ومن مشايخه الذين قرأ عليهم الشيخ عبد الرحمن العمادي، وأخذ الحديث عن الشهاب أحمد الوفائي، وأبي العباس المقري، والأدب عن أحمد بن شاهين.

Marfat.com
Marfat.com

فهما إن ابتدآ الأمْرَيْنِ في الوُجود، فهو الذي انْتَهى به الفضلُ والجوْد.
وأحسنُ ما في الطَّاوُوس الذَّنَب، وفي الخَمْرِ معنىً ليس في العِنَب.
هذا، وكلُّ ناطقٍ بلسان، وعارفٍ بِحُسْنٍ واسْتحسان.
مُجْمِعٌ على فضْلِه الذي اقْتَضى لذكْرِه التَّخْليد، فالعالِم عرفَه بِعلْمِه، والجاهلُ قال بالتَّقْلِيد.

وهو منذ لاح هلالُه في أَوْجِه، وأبُوه بين حِزْبِ الإقْبالِ وَفَوْجِه.
يُفْدَى بالشُّموس والأقْمار، ويُمَدُّ بالأنْفُس والأعْمار.
وإن لم يكن في قُبَّةِ السَّما، فهو في بَحْبُوحَةِ القُنَّةِ الشَّمَّا.
يُباهي بسُؤددٍ اتَّصَلتْ أُصولهُ اتِّصالَ الشَّآبِيب، وتناسَبَتْ فروعه تناسُبَ الرِّماح كُعوباً على كُعوب، وأنابِيبَ على أنابِيب.
وعِزٌّ له ذِرْوَةٌ تُفْضِي إلى رَوْضٍ بالسَّماح يجُود، فكم لِجِباهِ العُفاة لَديْه من مَجالِ سُجودٍ في مجالس جُود.
حتى قعدَ مَقْعَدَ والدِه، واحْتَوى من رِياشِه على طريفِه وتالِدِه.
هنالك سلَكَ من البذْلِ ما سلَكَ، وسَخَا والسَّخِيُّ جودُه بما ملَك.
فأعْرَضَتْ عنه الأيَّام إعراضَ النَّسِيم على الرَّوْضة الغَنَّاء، وتخلَّتْ عنه تَخَلِّي العِقْد عن عُنُق الحسْناء، [م. الكامل]

وإذا الـجـوادُ يـبِـيـتُ مِـن ... جَـوْرِ الـزَّمـانِ عـلـى وِسـادِ
كـالـعَـيْـنِ تُـفْـرِحُ غـيـرَهـا ... وتـظَـلُّ لابِـسَـةَ الـحِـدادِ

وقد أدركتُه وسَبَجُه[1] بُذْلَ بعاجِه، وسَمْهَرِيُّ[2] قَدِّه رُمِيَ باغْوِجاجِه.
وكانَ بينه وبين أبي مَحبَّةٌ ومودَّةٌ، ومجالسُ اجْتِماعاتٍ لِمُذاكَرَةِ الأدبِ مُعَدَّة.
فكنتُ أجْني من مُطارَحتها بدائعَ مائِساتِ الأغْطاف، وأقْطِفُ روائِعَ مُسْتَعْذبات الجَنى والقِطاف.

= ووهبه الله تعالى الذكاء وقوة الحافظة، وحسن التخيل والأداء، وكان فصيح اللهجة، كثير المحفوظات، جيد المناسبات، كريم الطبع، خلوقاً، متواضعاً. ولما مات والده تقلبت به الأحوال، وأنفق ما ورثه عن والده، وذلك لمبالغته في البذل والسرف، ثم انزوى مدة في داره، إلى أن أنف من الإقامة فقوض عن الشام خيامه، وهاجر إلى الديار الرومية، وأقام بها مؤملاً إدراك ماله من الأمنية. وكان قبل موته بنحو سنة ترك العزلة وظهر وعاشر قرناءه الذين ألفهم من زمن الصبا، ثم مرض وطال به المرض مدة أشهر، وتوفي في سنة ثمانين وألف عن ثلاث وسبعين سنة، ودفن بتربتهم بجامع جدهم بميدان الحصا.
وله في تغربه بالروم أشعار كثيرة سماها الروميات معارضاً بالتسمية روميات أبي فراس ا.هـ. خلاصة الأثر (٤/ ٤٠٩)

(١) سبجه: السَّبَجُ: خرز أسود، وخيل معرب، أصله سَبَهْ. القاموس المحيط، مادة / سبج/.
(٢) السمهري: الرمح الصلب. القاموس المحيط، مادة / سمهري/.

Marfat.com
Marfat.com

ولقد رأيتُ من فضلِه ما لم أرَ قبلُ ولا بعْد، وطالما حصُلْتُ منه على أمانِيَّ في هذا الشأنِ من غيْرِ وَعْدِ.

فمن لفظٍ إذا سمعْتَه قلتَ كأن العربَ اسْتَخْلَفَتْه على لِسانِها، ومعنىً إذا تخيَّلْتَه قلتَ: هذا للبراعةِ إنسانُ عينِها وعينُ إنْسانِها.

إلى محاضرةٍ إذا تحرّى في أسلوبِها الرَشِيق، تَهُمُّ بِبَسْطِ الحِجْرِ لالْتِقاط دُرِّها النَّسِيق.

وأما حدِيثُ لِينِ العَرِيكة[1]، ودَماثَةِ[2] السَّلِيقَة، فلم يُرَ مَن يُشبِهُه في الخُلُق والخَلِيقَة.

بأدبٍ ضافِيَ الذَّيْل مُطرَّز الكُمّ، وشِعْرٍ يكادُ يُحْيِي الجمادَ ويُنْطِقُ البُكْم.

وها أنا أوْرِد من أشعارِه ما تزهُو به القَراطِيس على صَفحات الخدودِ المُحشَّاة بالسَّوالِف، ويُغْنِي عن لَذَّةِ السُّلاف السَّلْسَل تذهَّبتْ به اللَّيالي السَّوالف.

فمن ذلك قولُه من قصيدة، مطلعها[3]: [الوافر]

يَعُدُّ عليَّ أنفاسِي ذنوبَا ... إذا ما قلتُ أفدِيهِ حَبيبَا
وأبْعدُ ما يكونُ الوُدُّ منه ... إذا ما باتَ مِن أمَلِي قرِيبَا
حبيبٌ كلَّما يلْقاهُ صَبٌّ ... يصيرُ عليه مَن يهْوَى رَقيبَا
سَقاهُ الحسنُ ماءَ الدَّلِّ حتى ... مِن الكافورِ أنْبَتَه قضِيبَا
يَعافُ منازِلَ العُشَّاقِ كِبْراً ... ولو فُرِشَتْ مسالِكُها قلوبَا
فلو حَمل النَّسِيمُ إليه مِنِّي ... سَلاماً راح يَمْنَعُه الهُبُوبَا
أغارُ على الجَفا منه لغَيْرِي ... فليتَ جَفاهُ لي أضْحَى نصيبَا
وأغْشَقُ أعينَ الرُّقباءِ فيه ... ولو مُلِئَتْ عيُونهُمُ عُيُوبَا
لقد أخذ الهوَى بِزِمامِ قلْبِي ... وصَيَّر دمعَ أجْفانِي صَبِيبَا
وما أمَّلْتُ في أهلي نصيراً ... فكيفَ الآنَ أطْلُبه غريبَا
وأقْصِدُ أن يُعِيدَ رُوَا شَبابِي ... زمانٌ غادرَ الوِلدانَ شِيبَا
وما خفيَتْ عليَّ النَّاسُ حتى ... أرومُ اليومَ مِن رَخَم حليبَا
إذا طَنَّ الشَّبابُ خشيتُ منه ... لِفَقْدِ مُساعِدي يُلْفَى مُجِيبَا
وهَبْ أنِّي حكَيْتُ الشَّاةَ ضَغْفاً ... فما لِي أحسَب السِّنَّوْرَ ذِيبَا

---

(١) العريكة: الطبيعة، يقال: فلان لين العريكة، إذا كان سلساً، مطاوعاً، منقاداً، قليل الخلاف والنفور. لسان العرب، مادة: /عرك/.
(٢) الدماثة: سهولة الخلق. لسان العرب، مادة: /دمث/.
(٣) ديوانه ص (٢٨-٢٩).

Marfat.com
Marfat.com

منها في المديح:

لِئِنْ سعِدَتْ ولو في النَّومِ عَيْنِي ... بِرُؤْيَاهُ لتلك العَيْنِ طُوبَى
وإن ضنَّ السحابُ فلا أُبالِي ... وفَيْضُ نَدَاهُ قد أضحَى سَكُوبَا
إذا تُلِيَتْ مآثِرُه بأرْضٍ ... غدَا الفلَكُ المُدارُ بها طَرُوبَا

وقوله[1]: [البسيط]

نَوْرُوزُ لا كنتَ قلْبِي فيكَ مَكْرُوبُ ... الشمسُ طالعِةٌ والبدرُ مَخجُوبُ
أرى الحِسانَ وما لِي بينهم حَسَنٌ ... ما كلُّ مَن نظرَتْهُ العَيْنُ محبُوبُ
صِفْرُ الفؤادِ من الأفْراحِ مُمْتَلِئٌ ... بالحُزْنِ قلبي وفَيْضُ الدَّمْعِ منْكُوبُ
أبْغِي القيامَ وسوءُ الحظِّ يُقْعِدُنِي ... مَن عانَدَ القدرَ المحْتُومَ مَغلُوبُ

وقوله[2]: [الطويل]

حبيبٌ حَماهُ المُلْكُ تحتَ قِبابِهِ ... يكادُ يذيبُ الرُّوحَ فَرْطُ احْتِجابِهِ
تُدِيرُ على سَمْعِي الأمانِي حديثَه ... فتُنْكِرُ أفْكارِي بِذِكْرِ رُضابِهِ
يُعيدُ تُرابَ الأرْضِ مِسْكاً وعَنْبَراً ... إذا قبَّلَتْ للشُّكْرِ فَضْلَ ثِيابِهِ
يُكلِّمُنِي باللَّحْظِ عن أخْذِ مُهْجَتِي ... فيَسْبِقُ تسْلِيمي بَرَدُّ جوابِهِ

وقوله[3]: [المنسرح]

ما شَرَّفَ الرَّوْضَ في نَزاهَتِهِ ... إلا وسِتْرُ الغَمامِ يَنْسَحِبُ
كأنَّه البدرُ عند رُؤْيَتِه ... لا شكَّ شمس النَّهارِ تَختَجِبُ

وقوله[4]: [الطويل]

تَحَجَّبَ عنِّي الطيفُ حتى كأنه ... تخيَّلَ إنْسانِي عليه رقيبا
وقد كان يغْشَى قبلَ ما احْتَبَكَ الهوَى ... فظَنَّ خيالِي للتُّحولِ غريبَا

وقوله[5]: [المنسرح]

عِذْ وماطِلْ فقد رَضِيتُ به ... منكَ وإن كان بالجفا آيبْ
صِدْقُ وُعُود الحِسانِ أجمعِها ... فِدىً لِلَذَّاتِ وغدِكَ الكاذبْ

وقوله[6]: [الوافر]

ألا لا تَبْكِ حادثةَ افْتِراقٍ ... ولا تَفْرَحْ بلذَّاتِ الإيابِ

---

(١) ديوانه ص (٢٠٣).
(٢) ديوان منجك (١٨٧).
(٣) ديوان منجك (٢٢٣).
(٤) ديوان منجك (٢٢٦).
(٥) ديوان منجك (٢٥٠).
(٦) ديوان منجك (٢٣٥).

Marfat.com
Marfat.com

فـمـا الـدُّنْـيـا ومـا ضَـمَّـنْـهُ إلاَّ كـخَـطٍّ مُـنَـجِّـمٍ فـوقَ الـتُّـرابِ

وقوله[١]: [السريع]

الـمـوتُ أطْـيـبُ مـا يُـجْـتَـنَـى إن شَـطَّـتِ الـدارُ وطـال الـحِـجـابْ

لا يـدخـلُ الـنَّـارَ أسـيـرُ الـهـوَى إذ لا يَـرَى الـجـنَّـةَ أهـلُ الـعَـذابْ

معنى هذا البيت مُضطرب، وقد سُئِلْت عنه فأجبتُ: بأنه معرَّب من بيت بالتركيَّة لفضُولي، ومعناه: أن نار العشق التي يُعذَّبُ بها العاشق في الدنيا هي نارٌ الآخرة عندها جنَّةٌ، فإذا دخلها العاشق، والمفروض أنه من أهل العذاب، يعني في العِشْق لا يدخل النارَ الأُخْرَويَّة؛ لأنها بالنسبة إليها جنة. انتهى.

وقوله[٢]: [الكامل]

مـهـلاً فـحُـبُّـكَ بـي أراهُ عـابِـثـاً وأظـنُّـه لـلـرُّوحِ مـنِّـي وارِثـا

مَن ذا الذي ألْوَى بعهدك في الهوى حتى انْثَنَيْتَ عن المودَّةِ ناكِثَا

جرَّبْتُ فيك الحادثاتِ فلم أجِدْ مثلَ الرَّقيبِ إذا خَلَوْنَا حادِثَا

يـا مُـشْـبِـهَ الآرَامِ إلاَّ أنَّـهـا خُلِقَتْ لنا عَيناهُ سحراً نافِثَا

قـد راحَ بالقَمَـرَيْنِ طرْفِي هازِئاً لـمَّـا رأى فـي بُـرْدَتَـيْـكَ الـثَّـالِـثَـا

أقول: ما تصوَّرتُ أن الثَّاء تهُون هذا الهوان، ولا تُذعِن هذا الإذْعان، ولا تنْقادُ للكَلِمِ إلا أن يكون كلمة المعان.

فهذا السحرُ البيانِيّ إن لم يكن السِّحْر المُبِين، وهذا المُعْجِز الباهر، وأنا أوَّل المؤمنين.

وله من قصيدة، مستهلها[٣]: [الخفيف]

كـبِـدٌ من سِنانِ لَـحْـظِـك جرحَى وعـيـونٌ تُـردِّدُ الـدَّمْـعَ سَـحّـا

وحـنـيـنٌ إلـى الـديـار ووَجْـدٌ يَـسْـتَـفِـزُّ الـنُّـهـى وشـوقٌ ألَـحّـا

يـا ابْـنَ وُدِّي تـفْـدِيـكَ من كـلِّ سُوءٍ مُـهَـجٌ فـيـك لـيـس تـقْـبَـلُ نُـصْـحَـا

قُـمْ بـنـا نـشـربِ الـمُـدامَـةَ بـكـراً حيث رَقَّ الـهَـوَى ونـسـكـنُ صـرْحَـا

فـي ريـاضٍ كـأنَّـمـا هـيَ خَـدًّا كَ بـهـاءً وطِـيـبُ صُـدْغِـكَ نَـفْـحَـا

مُـطْـلِـعـاً مـن ضِـيـاءِ وَجْـهِـكَ والـفَـرْ ـعِ ظـلامـاً يـغْـشَـى الـعـيُـونَ وصُـبْـحَـا

سـكـرَ الـكـأسُ إذْ سـكِـرْتُ بِـعَـيْـنَـيْـ ـكَ فـكـانَ الـمُـدامُ مِـنِّـيَ أضْـحَـى

هذا بيتٌ تقَلْقَل مَبْناه، فلهذا لم يُفْهَم مَعْناه، وسكر الكأسُ بظُهور لازِم السُّكر وهو المَيْل عليه، وإن صحّ أن المُدامَ بمعنى المُدِيم، فهو المعنى الذي يُرجَع إليه.

---

(١) ديوان منجك (٢٣٤).
(٢) ديوان منجك (١٧٨).
(٣) ديوان منجك (٨٤).

Marfat.com
Marfat.com

وله: [الكامل]

زَمـنُ الـرَّبـيـعِ مَـطِـيَّـةُ الأفـرَاحِ ... ومُـعَـدِّلُ الأرْوَاحِ فـي الأشْـبـاحِ
زمـنٌ بِـهِ لـولا اشْـتِـبـاكُ فـواقِـعٍ ... طـارَتْ حُـمَـيّـانَـا مِـن الأقْـدَاحِ

أخذه من قول ابن المعتزّ[1]: [البسيط]

كادتْ تطيرُ وقد طِرْنا بها فَرَحاً ... لولا الشِّباكُ التي صِيغَتْ من الحَبَبِ

ولأبي الحسن علي بن الحسن الأنْدَلُسيّ: [البسيط]

والماء يَحْذرُ منها أن تطيرَ فقدْ ... صَاغَ الحَبَابُ عليها صِيغة الشَّبَكِ

وله[2]: [البسيط]

حمائِمَ الدَّوْحِ ما هذي التَّغارِيدُ ... عن باعثٍ هيَ أم لي منكِ تقْلِيدُ
نَوْحِي ونَوْحُكِ جنْحَ اللَّيْلِ مُتَّفِقٌ ... والمُشْغِلانِ لنا وَزْدٌ وتَوْرِيدُ
إن كان يغنيك أصْواتُ الصَّفِيرِ فلي ... قلبٌ يُعَلِّلُه في الحُبِّ تفْنِيدُ
تَعجَّبَتْ نارُ قلبي من تَجلُّدِه ... ومن جُفونِي شكا دَمْعٌ وتَسْهِيدُ
والحُزْنُ باقٍ على ما كنتُ أعْهَدُه ... وإن تكرَّر عيدٌ بعدَه عِيدُ
جَرِيحُ بيضِ الظُّبَا تُرْجَى سلامتُه ... إلاَّ الذي جَرَحَتْهُ الأعْيُنُ السُّودُ
لي بالظَّعائِنِ نهَّابُ العقولِ رَشاً ... قوامُهُ بانةٌ والقلبُ جُلْمُودُ
لو مرَّتِ الرِّيحُ تَزْوِي عن ذُؤابَتِه ... لم يَبْقَ من عَهْدِ عادٍ ثَمَّ ملحُودُ
لكنَّما مَنَعتْها مِن مواطِنه ... مَهابَةٌ تَتحاماها الصَّنادِيدُ
مِن البَشَانِقِةِ الغُرِّ الذينَ لهمْ ... لِواءُ حُسْنٍ على الأقْمارِ مَعْقُودُ
نحنُ المُسِيئُونَ إن جَارُوا وإن عَدَلُوا ... وما يَرَونَ حميداً فهْوَ مَحْمُودُ
والذُّلُّ أشرفُ عِزٍّ في محبَّتِهم ... وَشَرْيُ هجْرِهُمُ أزْيٌ وتَنْدِيدُ
لا تَصْحَبَنْ غيرَ حُرٍّ إن ظَفِرْتَ به ... وما سِواهُ إذا جرَّبْتَ تنْكِيدُ

ومن بدائعه قوله[3]: [الطويل]

ومُذ كشفَ القَصَّادُ عن زَنْدِه رأى ... محاسِنَ ألْهَتْهُ فضَلَّ عن الرُّشْدِ
فقطَّبَ مَن أهْوَى وأبصر مُغْضَباً ... وأوْقعَ ظِلَّ الجَفْنِ منه على الزَّنْدِ
وأطلعَ نُورَ الأُرْجُوانِ وحبَّذا ... من الياسَمينِ الأُرْجُوان على الوَرْدِ

وهذا معنى ترْجمه من الفارسيَّة، وقد ظفرتُ من العربية بما يقاربه، وقائله أبو الحسَن الجُرْجانيّ[4]: [المنسرح]

---

(١) ليس في ديوان ابن المعتز.
(٢) ديوان منجك (٢٠٠).
(٣) ديوان منجك (١٩٠).
(٤) انظر يتيمة الدهر (٤/٣).

Marfat.com
Marfat.com

يا ليتَ عيْني تحمَّلتْ ألَمَكْ ... وليت نفْسي تقسَّمتْ سَقَمَكْ
وليتَ كفَّ الطَّبِيبِ إذْ فَصدَتْ ... عِرْقَكَ أجرتْ من ناظِرَيَّ دمَكْ
أعَرْتَهُ صِبْغَ وَجْنَتَيْكَ كما ... تُعِيْرُه إن لثمتَ مَن لثمكْ
طَرْفُكَ أمْضى من حَدِّ مِبْضَعِه ... فَالْحَظْ به العِرْق وَارْبَحَنْ ألَمَكْ

وللأمير[1]: [الكامل]

شمسُ الضُحى وأهِلَّةُ الأغيادِ ... لِضِيَاءِ وَجْهِكَ أحْسَدُ الحُسَّادِ
وإذا شَدا بكَ مُطرِبٌ في مَجْلِسٍ ... رقصَتْ لك الأرواحُ في الأجْسَادِ
جَرَّدْتَ من سِحْرِ الجفُونِ صَوارِماً ... فأبَتْ سِوَى الأكْبادِ مِن أغْمادِ
مَسَحَ المُنَى من زَوْرِ طَيْفِكَ راحةٌ ... من بَعْدِ ما غسل البكاءُ رُقادِي
ما كنتُ أفْتَقِدُ الشَّبابَ لو انَّنِي ... عُوِّضْتُ عنك بنشْأةِ المِيعادِ

وله[2]: [المنسرح]

لا تُهْمِلِ الكأسَ حين يمْلأُهَا ... مَن هو في الحُسْنِ واحِدٌ فَرْدُ
طِينَتُه عنْبَرٌ وخامَرَهَا الْـ ... ـمِسْكُ والياسمينُ والوَرْدُ

وله[3]: [الخفيف]

تَخِذَ الجَوْرَ والجِنايَةَ عادهْ ... وانْتِهابَ النُّفُوسِ قبْلَ الولادَهْ
لا تُضِعْ سهْمَ مُقْلَتَيْه فُؤادِي ... ضمن تلك السِّهام ألفُ شَهادَهْ

وله[4]: [الكامل]

قد زَارَنِي وكأنَّهُ رَيْحانَةٌ ... يَهْتَزُّ من تحت القِباءِ الأخْضَرِ
فظَنَنْتُ منه ضِمْنَ كلِّ سلامةٍ ... من طِيبِه شَمْامَةٌ من عَنْبَرِ
ولِكنْزِ مَبْسَمِه دَنَوْتُ فخِلْتُه ... ياقُوتَةً مُلِئَتْ بِأنْفَسِ جَوْهَرِ
فَهَصَرْتُهُ هَصْرَ النَّسِيمِ أراكةً ... مُتلطِّفاً حتى كأنْ لم يَشْعُرِ
مُتَعانِقَيْنِ على فِراشِ صِيانةٍ ... مُتَحَذِّرَيْنِ من الصَّباحِ المُسْفِرِ

وله[5]: [الخفيف]

لم تمِلْ بي عن العَفافِ العُقارُ ... أعشق الغيد والوقار الوقارُ
أنظِمُ الشعرَ ما حييتُ وإنِّي ... لابْنُ بيتٍ تُهْدى له الأشْعارُ

---

(١) ديوان منجك (٢٠٢).
(٢) ديوان منجك (٢٢٤).
(٣) ديوان منجك (٢٢٩).
(٤) ديوان منجك (١٣٧).
(٥) ديوان منجك (١٨٤).

Marfat.com
Marfat.com

يتحلّى بيَ الزمانُ تحلّي الـ ... غُصْنِ لمّا يَزِينُه النُّوّارُ
صَقَلتْني يدُ التّجارِبِ حتّى ... صحّ عَزْمِي وطاب منه الغِرارُ
ومكاني من الفخارِ مكانٌ ... حَسَدتْه الشُّموسُ والأقْمارُ

وقوله[1]: [الرمل]

إن لِلّيلِ بَقايَا عِنْبَرٍ ... في قَمِيصِ الصُّبْحِ منها أثَرُ
بادَرَتْ أيْدِي الصَّبَا تلبسُه ... فبدَا عند الرِّياضِ الخبرُ

انْظُرْه مع قول البَهاء زُهَيْر[2]: [المتقارب]

رعى اللهُ ليلةَ وصْلٍ مضتْ ... وما خالطَ الصَّفْوَ فيها الكَدَرْ
خلَوْنا وما بيْنَنا ثالِثٌ ... فأصبحَ عند النَّسِيمِ الخَبَرْ

وله[3]: [الوافر]

ألا هاتِ اسْقِني كاساً فكاسَا ... وحَيِّ بها ثلاثاً بل سُدَاسَا
فإنِّي في اخْتِساها لا أُعاصِي ... رشاً تَخِذَ الحشَا مِنِّي كِناسَا
حبيبٌ كلما ألْقاهُ يُغْضِي ... فلو أهديته آساً لآسَى
يُرِيكَ إذا بَدَا قمراً مُنِيراً ... وعطْفاً إن ثَنَى عِطْفاً وماسَا
ويبْسَمُ ثَغْرُهُ عن أُقْحُوانٍ ... ويجْملُو خَدُّه وَرْداً وآسَا
خلعْتُ عِذَارَ نُسْكِي في هواهُ ... وما واقبْتُ في حُبِّيه ناسَا
فأحْلَى الحبُّ ما كان افْتِضاحاً ... وأشْهَى الوصلِ ما كان اخْتِلاسَا

وله[4]: [الخفيف]

يا بَنِي العشْقِ ليس نُحْسَبُ أحْيا ... أو بمَوْتَى نُعَدُّ تحت الأرَاضِي
تارةً نَألفُ الحياةَ وطَوراً ... نَبْتَغِّي بذكرِ طِيبِ الرِّياضِ
نحنُ ما بَيْنَ صِحَّةٍ وسَقامٍ ... كجُفُونِ الدُّمَى الصِّحَاحِ المِراضِ

وله[5]: [الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ لولا عَقاربُ صُدْغِهِ ... لَتنَاهَبَتْ وَجَناتِه الألْحاظُ
طارَحْتُه ذكرَ الهوَى وعواذِلِي ... لا راقِدونَ ولا هُمُ أيْقاظُ
نُبْدي الحديثَ ولا حديثَ كأنّما ... عَبَراتُنا ما بَيْننا ألْفاظُ

---

(١) ديوان منجك (٢٢٢).
(٢) انظر ديوان البهاء زهير (٩٤).
(٣) ديوان منجك (١٦٢).
(٤) ديوان منجك (٢٦٤).
(٥) ديوان منجك (١٨٧).

Marfat.com
Marfat.com

وله[١]: [البسيط]

وزارني طيفُه وَهْناً فأرّقني ... كبَارِقٍ بِخِلالِ الوَدْقِ قد لَمَعَا
فما وحقِّكَ عن وُدٍّ زيارتُه ... لكن ليَزْجُرَ طَرْفِي والرُّقادَ مَعَا

وله[٢]: [الكامل]

رَيْحَانَتَيْ روضِ المحاسنِ ما الذي ... بُلِّغْتُماه من العذولِ اللاَّغِي
حتى توارَتْ وزْدَتا خدَّيْكُمَا ... عن ناظِرِي بِبَنَفْسَجِ الأصْدَاغِ

وله، وهو معنىً أبدع فيه كلَّ الإبداع، وأتى به كالبدرِ خرج من تحت الشُّعاع:

نبِّهْتُه ودواعِي الأُنسِ داعِيَةٌ ... إلى الطِّلا وبَشِيرُ الصُّبْحِ قد هَتَفَا
فقامَ مِن نَوْمِه وَسْنَانَ تَحْسَبُهُ ... بدراً تقَطَّع عنه الغَيْمُ فانْكَشَفا
وقالَ هاتِ وخُذْها وانْتَهِزْ فُرَصاً ... فما ترَى لزمانٍ يَنْقضِي خَلَفَا

وله[٣]: [الخفيف]

يا غزالاً يُقِلُّ مِسْكاً فتيقَا ... في فمٍ يُخْجِلُ المُدامَ الرَّحِيقَا
قد سقاكَ الجمالُ ماءَ نعيم ... مُنْبِتاً منكَ في الخُدودِ شَقِيقَا
لا تَذَرْنِي تَفْدِيكَ رُوحِي وَحِيداً ... أشْتَكِي غُربةً تُسِيءُ الصَّدِيقَا
أنا أسْعَى وفي سَلاسِلِ صُدْغَيْـ ... ـكَ فُؤادِي فارْحَمْ أسيراً طليقَا
جرَحتْ مُقْلَتاكَ قلْبِي لهذا ... دُرُّ دَمْعِي قد اسْتحالَ عَقِيقَا
لو ذكرْنَا لَماكَ عند حضورِ الرَّا ... حِ باتتْ فلم تجدْ مُسْتفِيقَا
بكَ أرْواحُنَا تُسَرُّ وتَرْتَا ... حُ فَتَخْتارُكَ الرَّفيقَ الرَّفيقا
الصَّبُوحَ الصَّبُوحَ قبلَ مَشِيبِ الـ ... ـحظِّ منَّا أو الغَبُوقَ الغَبُوقَا
نَجْتنِي زَهْرَةَ الشَّبابِ ونَلْهُوا ... حيثُ نَلْقَى الأشْوَاقَ رَوْضاً أنِيقَا
بينَ وَعْدِ آمالِنا ووَعِيدِ ... منك نسْتَنْظِرُ الكَذوبَ الصَّدُوقَا

وله[٤]: [البسيط]

أفْدِيهِ مِن قمرٍ أطْوارُه شغلَتْ ... قلبِي وعقْلِي بتغْرِيبٍ وتَشْرِيقِ
مَن السَّليمُ وقد أخْنَى حواجِبَهُ ... وطَرْفُه بيْنَ تَسْدِيدٍ وتَفْوِيقِ

وله[٥]: [الطويل]

تلوحُ لنا بالروم من كلِّ جانِبٍ ... وجوهٌ تُعِيدُ الصُّبْحَ واللَّيْلُ حالِكُ

---

(١) ديوان منجك (١٩٢).
(٢) ديوان منجك (٢٨٨).
(٣) ديوان منجك (٢٠١).
(٤) ديوان منجك (٢٢٩).
(٥) ديوان منجك (٢١٨).

Marfat.com
Marfat.com

أنظَمأُ في دارٍ تفِيضُ بحورُها ... وتَشرَقُ فيها بالجَمالِ المسالِكُ

وله[1]: [الكامل]

لا تَغْتَرِز بشبابِكَ الغضِّ الذي ... أيّامُه قَمَرٌ يلوح ويأفُلُ
ودَعِ اتّباعَ النَّفْسِ عنكَ فإنّما ... حُبُّ الجمالِ الصَّبْرُ عنهُ أجْمَلُ
نَعَم العيونُ الفاتِكاتُ قواتلٌ ... لكن سهامُ اللهِ منها أقْتَلُ

وله[2]: [البسيط]

مُوَلَّهٌ بكَ لا تُجْدِي وسائلُه ... ولا من الدَّمْعِ جارِيهِ وسَائِلُهُ
عزيزُ صبرٍ أذَلَّ الحُبُّ مُهْجتَهُ ... وعنَّفَتْهُ على الشَّكوَى قبائِلُهُ
عامٌ نأَى عنك فيه مُكْرَهاً فعلى ... أسْحارِه أبداً تبْكِي أصائلُهُ
والكأسُ مُذ بِنْتَ عنها تَشْتَكِي ظَمأً ... والرَّوْضُ من حَزَنٍ جفَّتْ خَمائِلُهُ
كَلَّفْتَ حَمْلَ نَواكَ اليومَ قلبَ فتًى ... أرَقُّ من نَسْمَةِ الوادِي أصائِلُهُ

وله: [المنسرح]

قد زارَ مَن كنتُ قبلَ زَوْرَتِهِ ... أراهُ لكن بمُقْلَةِ الأمَلِ
بِتْنا ضَجِيعَيْنِ والعِناقُ له ... ثَوْبٌ علَيْنا قد زُرَّ بالقُبَلِ

ومن رُباعيَّاتِه قوله[3]: [الدوبيت]

ما مَرَّ تَذكُّرُ الكَرى في بالِي ... إلا دَفَعتُهُ راحَةُ البَلْبالِ
أشْفَقْتُ من الجفونِ لَمْسَاً يُؤذِي ... أقدامَ خيالكَ العزيز الغالِي

مثله للْبابيّ وفيه زيادة: [الطويل]

أرُدُّ الكَرَى إذْ زارَ خِيفةَ نَظْرَةٍ ... إليه فتُذمِي رِقَّةً خدَّه القانِي
وأسهرُ خَوْفاً أن يَمُرَّ خيالُه ... بِعَيْني فتُؤذَى أخْمَصاهُ بأجْفانِي

وأصله قول الوَقَّشِيُّ: [الطويل]

إذا ظَنَّ وكْراً مُقْلَتِي طائرُ الكرَى ... رأى هُدْبَها فارْتَاعَ خوفَ الحبَائِلِ

ويقاربه قول الصَّلاح الصَّفدِيّ: [الطويل]

أيا وَحْشَتا في لَيْلِ شَوْقِي لِنُورِكمْ ... ويا فَرْحَتا لو كان في النوم يَطْرُقُ
وهَيْهاتَ لو زارَ الخيالُ منَعْتهُ ... مخَافَةَ أن تَجْرِي دمُوعِي فيَغْرَقُ

وللأمير منجك[4]: [الكامل]

---

(١) ديوان منجك (١٩٦).
(٢) ديوان منجك (٢٠٥).
(٣) ديوان منجك (٢٤٦).
(٤) ديوان منجك (٢٣٦).

Marfat.com
Marfat.com

انْظُر إلى فَحْمٍ كأنَّ لَهِيبَه ... لَمْعُ الأسِنَّةِ في مُثارِ القَسْطَلِ
وكأنَّه والنَّارُ في أحشائِهِ ... صَدْرُ الحسُودِ ونِعْمَةُ المتفَضِّلِ

هذا التّشبيه تَنَاولَه من قول عبد الجليل المُرْسِيّ في وصف فُرْنٍ[1]: [الخفيف]

رُبَّ فُرْنٍ رأيتُه يتلَظَّى ... وربيعٌ مُخالِطِي وعقيدِي
قال صِفْهُ فقلتُ صَدْرُ حَسُودٍ ... خالَطَتْهُ مكارِمُ المحْسُودِ

ولابن مُجيْر الأنْدَلُسِيّ، وقد حضرَ مع عَدُوٍّ له، جاحِد لما فعلهُ معه من الخير، وأمامَهُما زجاجة سَوْداء فيها خَمْر، فقال له الحسود المذكور: إن كنتَ شاعِراً فقُل في هذه. فقال ارتجالاً: [الطويل]

سأشْكُو إلى النُّدْمانِ أمْرَ زُجاجَةٍ ... تردَّتْ بِثَوْبٍ حالِكِ اللَّوْنِ أسْحَمِ
تُصَبُّ بها شَمْسُ المدَامَة بيْننَا ... فتَغْرُبُ في جُنْحٍ من اللَّيْلِ مظلِمِ
وتجْحدُ أنْوار الحُمَيَّا بلَوْنِها ... كقلْبِ حَسُودٍ جاحِدٍ يدَ مُنْعِمِ

وقد أحسن القاضي التَّنُوخِيّ، في تشبيه النار، حيث قال[2]: [البسيط]

فاهْتِفْ بنارٍ إلى فَحْمٍ كأنَّهما ... في العَيْن ظُلْمٌ وإنْصافٌ قد اتَّفَقَا

وللأمير، وهو من بدائعهِ: [البسيط]

لو لمْ يكُنْ راعَها فِكْرٌ تَصَوَّرَها ... مِن والِهٍ وتَنَتْها مُقْلَةُ الأمَلِ
ما قابلتْ نصفَ بدْرٍ بابْن ليْلَتِه ... وألْقتِ الزُّهْرَ فوقَ الشَّمْس من خَجَل

قلت: هذان البيتان دُرّان أو وردتان:

ومن خمْرِيّاته التي تُصَيِّر الزّاهد ضجيعَ دسَكْرَةٍ وحَان[3]، وتنُوب عن لَذّة السّماع ومُطربات الألحان[4]: [م. الكامل]

أَدِرْ المُدامةَ يا نَدِيمِي ... حَمْراء كالخَدِّ اللَّطِيمِ
تسْرِي بأرْواحِ النَّهَى ... كالبُرْءِ في الجسم السَّقِيمِ
وأقِمْ إذا جَنَّ الدُّجَى ... مُتَرَدِّياً ظِلَّ الكُرومِ
فالجَوُّ راقَ كأنَّما ... صَقَلَتْهُ أنْفاسُ النَّسِيمِ
وتبَدَّدتْ زُهْرُ النُّجُو ... مِ تبدُّدَ العِقْدِ النَّظِيمِ
قُمْ هاتِها واسْتَجْلِها ... مِن كَفِّ ذي شَجْوٍ رَخِيمِ
بدرٍ يُرِيكَ محاسِناً ... يَنْسِي بها عَقْلَ الحَلِيمِ

---

(١) انظر البيتين في قلائد العقيان (٢٤٤).
(٢) انظر يتيمة الدهر (٢/ ٣٣٦) وفيها: «فانهض بنار».
(٣) الدسكرة: بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي. القاموس المحيط، مادة: دسكر.
(٤) ديوان منجك (١٦١).

Marfat.com
Marfat.com

إنْ مـاسَ يُـزْرِي بـالـقَـنَـا وإذا رَنَـا فَـبِـكُـلِّ رِيـمِ
فـي رَوْضَـةٍ نَـسَـجَـتْ بـهـا أيْـدِي الـصَّـبـا حِـبَـرَ الـجَـمِـيـمِ

الجَمِيم: مجتمع من البُهْمَى، أي النَّبْت.

ضـحِـكَـتْ بـهـا الأزْهـارُ لـمَّـ ـا أنْ بـكَـى جَـفْـنُ الـغُـيـومِ
كـم لَـيْـلَـةٍ قَـضَّـيْـتُـهـا فـي ظِـلِّـهـا الـصَّـافِـي الأدِيـمِ
مُـتَـذَكِّـراً عَـهْـدَ الـدُّمَـى مُـتَـنـاسِـيـاً ذِكْـرَ الـرُّسُـومِ
نَـشْـوانَ مِـن خَـمْـرِ الـصِّـبَـا جَـذْلانَ بـالأُنُـسِ الـمُـقِـيـمِ
حَـيْـثُ الـشَّـبِـيـبَـةُ غَـضَّـةٌ والـوقـتُ مُـقْـتَـبِـلُ الـنَّـعِـيـمِ

قلت: وقد اشْتَهر له في المدامة والنَّديم، ما يُسْلِي عن لُطْفِ الحديث وصفو القديم.

مع أنه ما عاقَر عُقاراً، ولا وهَب لمجلسِ راحٍ وَقَاراً.

هذا ما سمعتُه مِن فِيه، ولم يُنْقَل عنه، فيما أعلم، شيءٌ يُنافِيه.

ومما يُستَجاد له قوله[1]: [م. الكامل]

مَـنَـعَـتْـكَ رُؤيَـةُ كـاشِـحٍ مِـن أن تَـمُـرَّ مُـسَـلِّـمَـا
إن تَـخْـشَ مِـن نَـظَـرٍ إلَـيَّ شِـمِ الـهِـلالَ تَـكَـرُّمَـا
فَـلَـعَـلَّ لَـحْـظِـي يَـلْـتَـقِـي وَهْـنـاً ولَـحْـظَـك فـي الـسَّـمَـا

أصلُه قول بعضهم: [الطويل]

إلى الطَّائرِ النَّسْرِ انظُرِي كُلَّ لَيْلَةٍ فـإنِّـي إلـيـهِ بـالـعَـشِـيَّـةِ نـاظِـرُ
عسى يَلْتَقِي طَرْفِي وطَرْفُكَ عندَه فَنَشْكُوا جميعاً ما تُجِنُّ الضَّمائِرُ

ولابن المعتز منه[2]: [الطويل]

ألستُ أرى النَّجمَ الذي هُو طالِعٌ عـلـيـكِ فـهـذا لـلْـمُـحِـبِّـيـنَ نـافِـعُ
عسى يَلتَقِي في الأُفْقِ لحظِي ولَحظُها فَيَجْتَمِعا إذْ ليسَ في الأرضِ جامِعُ

ولبعض شعراء «الخريدة»: [البسيط]

وأنْـظُـرُ الـبـدرَ مُـرْتـاحـاً لـرُؤْيَـتِـهِ لـعـلَّ طَـرفَ الـذي أهْـواهُ يَـنْـظُـرُهُ

ومن صنائعه قوله[3]: [الرمل]

عُـدَّةُ الـمـجـدِ يَـراعٌ وحُـسـامُ وثِـمـارُ الـشُّـكـرِ تَـجْـنِـيـهـا الـكِـرامُ
أعْـذَبُ الأشْـيـاء فـي مَـمْـنُـوعِـهـا وبـإغـرَاضِ الـدُّمَـى يـخْـلُـو الـغَـرامُ

(١) ديوان منجك (١٩٠).
(٢) انظر ديوان ابن المعتز (١/ ٨٨).
(٣) ديوان منجك (١٤٤).

Marfat.com
Marfat.com

مَنْ يَبِتْ سَهْرَانَ في كَسْبِ العُلا حُرِّمَ الغَمْضُ عليه والمَنامُ

قلت: هذه النَّبْذَة لم أرَ لها مِثالاً، كلَّما قيَّد كَلِمتها الخطُّ سيَّرها اللفظُ أمثالاً.

وله[1]: [الوافر]

أغارُ إذا وَصَفْتُكَ مِن لِسانِي ومِن قلمي عليكَ ومِن بَنانِي
لئِنْ منَعتْكَ قَوْمي عن حديثي فكم باتتْ تُساجِلُكَ الأمانِي
وإن حَجبُوكَ عن نَظَري فإنِّي أراكَ بِعَيْنِ فكْرِي من مكانِي
وإن تَكُ نارُ صَدِّك لي تلَظَّى فمنْكَ أشَمُّ رائحةَ الجِنانِ
وإن شَرَّقْتَ أو غرَّبْتَ عنِّي فما لك منْزِلٌ إلا جَنانِي
سقَى الأثَلاتِ مِن يَبْرِينَ دَمْعِي وحَيَّا العَهْدُ هاتِيكَ المَغَانِي
معاهدُ كم جَنَيْتُ العيْشَ غضًّا بها زَمَناً ولم أُعْهَد بِجَانِي
أروحُ بها أجرُّ الذَّيْلَ تِيهاً وأُسْقَى الرَّاحَ مِن رَاحِ التَّهانِي
لِيالٍ كلُّها سَحَرٌ ودَهْرٌ فُؤادِي منه يَرْتَعُ في أمَانِ
فغَالَطَنِي الزَّمانُ وقال كَهْلٌ وأيَّامُ الصِّبا في العُنْفُوانِ
أقَبْلَ الأربعين أُصِيبُ شَيْباً فما عُذْرُ المَشيبِ وقد دَهانِي
طَوَتْ أيْدِي الحوادِثَ بَسْطَ لَهْوِي وألْوَتْ من مواطِنه عِنانِي

وله[2]: [م. الكامل]

نفْسٌ تُعلِّلُ بالأمانِي لا بِالقِيانِ ولا القَنانِي
ومَدامِعٌ مسْفُوحَةٌ بين المعاهِدِ والمَغانِي
وأبيتُ مَضْمُومَ اليَدَيْـ ـنِ على التَّرائب والجَنانِ
أشكُو الصَّبابةَ لِلصَّبا بَةِ بالمدامِعِ لا اللِّسانِ
وأقولُ إذْ هَتَفَتْ بنا وَرْقاً شَجاهَا ما شَجانِي
يا وُرْقُ ما هذا الثُّوا حُ فبعضُ ما عِندِي كَفانِي
غادَرْتُ بينَ الغُوطَتَيْـ ـنِ بمَنْزِلي السَّامِي المكانِ
أُمّاً لها كِبدٌ عليَّ مُذابَةٌ مِمَّا دهانِي
تَسْتَخْبِرُ الرُّكْبانَ عَنْ حالِي وتَنْدُبُ كلَّ آنِ
فعسى الذي أبْلَى يُعِيـ ـنُ على التَّفرُّقِ بالتَّدانِي

وله[3]: [البسيط]

---

(١) ديوان منجك (٣٨).
(٢) ديوان منجك (٢٠٧).
(٣) ديوان منجك (١٦٣).

Marfat.com
Marfat.com

قُمْ هاتِها فانْتِهابُ العَيْشِ مُغْتَنَمٌ ... من كَفِّ مُغْتَدِلٍ في خَيْرِ إبّانِ
حيثُ الرِّياضُ اكْتَسَتْ من سُنْدُسٍ حُلَلاً ... وتُوِّجَتْ بيَواقِيتٍ وعِقْيَانِ
والمِسْكُ في الفَلَكِ العُلْوِيّ إذ رَتَعَتْ ... غِزَالُ الأُفْقِ والكافورُ سِيَّانِ

وله[1]: [الخفيف]

وحَبِيبٍ مُكَلَّلٍ بعيُونٍ ... جَعلتْ طَوْقَه اللّيالِي يَمينِي
يَتَشَكَّى مِن البَضَاضَةِ حتّى ... لو جَعَلْنا الفِراشَ مِن ياسَمِينِ

قوله: «مكلل بعيون»: استعمال لطيف، أول من استعمَلَه بشّار بنُ بُرد، في

قوله[2]: [م. الكامل]

ومُكَلَّلاتٍ بالعيُونِ طَرَقْنَنا ورجعْنَ مُلْسَا

وقيل في معناه: إنّهنّ لحُسْنِهن تعلُو الأبصارُ إلى وُجوهِهن ورُؤوسِهن، كأن لهُنّ إكْلِيلاً من العيون.

ومن أبياته الفَذَّة قوله[3]: [الكامل]

صادفْتُه فتناوَلَتْ لَحَظاتُهُ ... عَقْلِي وأعْرضَ نافِراً مُتَجَنِّبَا

وقوله[4]: [السريع]

وابتَسَمَ الوردُ فكادتْ له ... تُمزِّقُ الرّاحُ قمِيصَ الزُّجاجِ

وقوله[5]: [الكامل]

بعضُ الذواتِ هي النَّعيمُ لمبْصرٍ ... والبعضُ منها في الجُفونِ قُروحُ

وقوله[6]: [الخفيف]

إن كُتْبِي إليه صُحْفُ الأمانِي ... وبِها الرُّسْلُ بيْنَنا الأرواحُ

وقوله[7]: [البسيط]

مُتَوَّجُ الرّاحِ بالإبْرِيقِ ذُو قُرطٍ ... مثلُ الهلالِ لهُ الجوزاءُ زُنّارُ

وقوله[8]: [الكامل]

طَيْرٌ أعارَ الغُصْنَ جُنْكاً رُكِّبَتْ ... أوتارُه من فِضّةِ الأمْطارِ

وقوله[9]: [الطويل]

---

(١) ديوان منجك (٢٢٠).
(٢) انظر ديوانه (العلوي) (١٤٢).
(٣) ديوان منجك (٧١).
(٤) ديوان منجك (٢٢٣).
(٥) ديوان منجك (٦٥).
(٦) ديوان منجك (١٧٧).
(٧) ديوان منجك (١٥٩).
(٨) ديوان منجك (١٦٠).
(٩) ديوان منجك (٢١٥).

Marfat.com
Marfat.com

إذا أمْسَكَ المِرْآةَ ينْظرُ وجهَهُ فظاهِرُها بَدْرٌ وباطنُها شَمْسُ

وقوله[١]: [الخفيف]

ومُدامِي ذِكرُ الحبِيبِ ونَقْلِي قُبَلُ الظَّنِّ مِن شِفاهِ المُحالِ

وقوله[٢]: [المنسرح]

ثقيلُ رُوحٍ يزورُ في زمنٍ لو زارَ فيه الحبيبُ ما قُبِلا

وقوله[٣]: [الكامل]

الجسمُ يَبْرَأ بالعلاجِ سَقَامُه وشِفَا النُّفوسِ صَداقَةُ الخِلاَّنِ

وقوله[٤]: [البسيط]

بعضُ الحسانِ تَراهُ عند مالِكهِ كأنه العيد في أيّامِ كانونِ

وقوله[٥]: [البسيط]

أخْبَبْتُ من أجْلِه مَن كان يُشْبِهُه حتى حكيْتُ بجسمي سُقْمَ جَفْنَيْهِ

٨- عبد اللطيف المِنْقاريّ

ماجدٌ استوفَى شرفَ الأرُومة[٦]، واستغلق مَزِيَّة النِّسبة المَرُومة.

فما بات إلا بتكْميل النَّفس وَجْدُه وكَلَفُه، لأنّه أتى الفضلَ وهو لعَمْرِي لا يتكلَّفُه.

فهو معروفٌ بأصْلِهِ وفَضْلِه، ومشهورٌ له بنُبْلِه وفَضْلِه.

له المقامُ الأحْظى، والمعارفُ التي ملأتْ سمْعاً ولَحْظاً.

وهو من منْذُ حُلَّتْ تمائِمُه، ونِيطَتْ عليه عمائِمُه.

مخطُوب الحُظْوةِ عند الأنام، حالٌّ من الالْتِفاتِ في الذِّرْوَةِ والسَّنام.

---

(١) ديوان منجك (٧٥).
(٢) ديوان منجك (٢٨٤).
(٣) ديوان منجك (٦٣).
(٤) ديوان منجك (٢٩٢).
(٥) ديوان منجك (١٩٣).

٨- هو عبد اللطيف بن يحيى بن محمد بن القاسم المعروف بلطفي بن المنقار، الدمشقي، الحنفي، أحد المشاهير الفضلاء النبلاء مع تمكنه في الفقه وإحاطته التامة بفروعه أديبٌ إليه النهاية في المحاضرات وحسن البديهة، والشعر المرقص. أخذ العربية عن الحسن البوريني، وتفقه بعبد الرحمن العمادي وأحمد بن محمد بن قولاقسز. وولي تدريس المارداني، وكتب للعمادي الأسئلة، وسافر إلى حلب مرات، وإلى ديار بكر في عنفوان عمره لعارض عشق عرض له، ولم ير له خلاصاً إلا السفر، والتشاغل بطي المراحل.
وكانت وفاته في سنة سبع وخمسين وألف. ا.هـ . خلاصة الأثر (٣/ ٢٠).

(٦) الأرومة: الأصل. القاموس المحيط، مادة / أرم/ .

Marfat.com
Marfat.com

تارةً يُفيد مُنىً، وتارةً يستفيد ثَنَاً: [الكامل]

تُـرْوَى مـحـاسـنُ لـفـظِـه وكـأنّـهـا ... دُرَرٌ وآراءٌ كـــمـــثـــلِ دَرارِي
ومـآثِـرٌ قـد خُـلِّـدَتْ فـكـأنّـهـا ... غُـــرَرٌ وعَـــزْمٌ مـثـلُ حَـدِّ غَـرارِ

إلى أن فُجِعَ به المجدُ الأثِيل، وفُقِدَ من الدُّنيا فقيدَ المثِيل.

وله أدَبٌ نَقْدُه نَضّ، ومَقْطَعه غَضّ.

أخَذَتْ كَلِمهُ بمجامِع القلُوب، وملَك قلمُه الغايةَ من حسن الأُسْلُوب.

وقد أثْبَتُّ له، ما تسْتَهْدِيه بُرْداً مُوَشّى، وتَسْتَجْلِيه خَدّاً بالقلَم الرَّيْحانِيّ مُحَشّى.

فمنه قوله، من قصيدةٍ، أولها: [المنسرح]

بيـنَ حَـنـايـا ضُـلُـوعِـيَ الـلَّـهَـبُ ... ومِـن جُـفـونِـي اسْـتَـهـلَّـتِ الـسُّـحُـبُ
وفـي فُـؤادِي غـلـيـلُ مـنـتـزِحٍ ... يَـعـافُ إلا الـدِّيـارَ تـقْـتَـرِبُ
يـا بـأبِـي الـيـومَ شـادِنٌ غَـنِـجٌ ... يـغْـبَـطُ بـالـقـلـب وهْـوَ مُـلـتَـهِـبُ
يـسْـنَـحُ لـكـن بِـصَـفْـحَـتَـيْ رَشـإٍ ... والـقَـدُّ إن مـاد دُونَـه الـقُـضُـبُ
صُـفْـرُ وِشـاحٍ يَـزِيـنـه هَـيَـفٌ ... لـيـس كـخَـوْدٍ يَـزِيـنـهـا الـقُـلُـبُ
إن لاح فـي الـحَـيِّ بـدْرُ طـلْـعَـتِـه ... فـالـشـمسُ فـي الأُفْـقِ منه تَـحْـتَـجِـبُ
أشْـنَـبُ لـم تَـخْـكِ بَـرْقَ مَـبْـسَـمِـهِ ... يـا بَـرْقُ إلاّ وفـاتَـكَ الـشَّـنَـبُ
يَـطْـفُـو عـلـى الـثَّـغْـرِ فـي مُـقَـبَّـلِـهِ ... جَـبـابُ ظَـلْـم وحـبَّـذا الـحـبَـبُ
كـأنّـهُ لُـؤْلُـؤٌ تُـبَـدِّدُه ... أيْـدِي عَـذارَى أفْـضَـى بـهـا الـلَّـعِـبُ
مـا مَـرَّ فـي الـحَـلْـيِ وهْـو مُـؤتـلِـقٌ ... إلا ازْدَهَـى الـحَـلْـيَ ثَـغْـرُهُ الـشَّـنَـبُ
يـعـطُـو بِـجِـيـدٍ كـقُـرْطِـه قَـلِـقٍ ... والـقُـلْـبُ مـا جـال منه مُـضْـطَـرَبُ
وسَـانِـحـاتٍ نَـفَـثْـنَ فـي عُـقَـدِ الْـ ... ألْـبـابِ سِـحْـراً ودونَـه الـعـطَـبُ
بـه اخْـتَـلَـسْـنَ الـفـؤادَ مـن كَـثَـبٍ ... واقْـتـادَ جِـسْـمِـي الـسَّـقـامُ والـوصَـبُ
تـجـرحُ مـنْـهُـنَّ مُـهْـجَـتِـي مُـقَـلٌ ... يَـفْـعَـلْـنَ مـا لـيـس تَـفْـعَـلُ الـقُـضُـبُ
ظَـعَـنَّ والـقـلـبُ فـي ركـائِـبِـهِـنْ ... يَـخْـفِـقُ والـجـسـمُ لـلـضَّـنَـى نَـهْـبُ
من فَوقِ خِلْبِي وضعتُ صاحِ يدِي ... فـلـم أجِـدْهُ وصَـدَّهُ لَـهَـبُ
لـمَّـا تَـيَـقَّـنْـتُ أنَّ دَوْحَـتَـهـنْ ... لـيـس لـهـا مـا حَـمِـيـتُ مُـنْـقَـلَـبُ
أبْـلَـيْـتُ صَـبْـراً لـم يُـبْـلِـه أحـدٌ ... واقْـتَـسَـمَـتْـنِـي مـآرِبُ شُـعَـبُ
مِـنْـهُـنَّ لـي ذاتُ دُمْـلُـجٍ سـلَـبـتْ ... عـقْـلِـي وعـادتْ تـقـولُ مـا الـسَّـبَـبُ

هذا على أسلوب قول مِهْيار[1]: [الرمل]

---

(١) انظر ديوان مهيار (٣/ ١٧٩)، وفيه: «وانبرت تسأل بي».

Marfat.com
Marfat.com

قتلَتْنِي وانْثَنَتْ تَسْألُ بِي ... أيُّها الناسُ لمن هذا القَتِيلُ
يَضْبُو جُنوناً ويدَّعي سفَهاً ... أنِّي له دون ذا الورَى طَلَبُ
وليس عندي عِلْمٌ بصَبْوَتِه ... ولا تعهَّدْتُ أنَّه وَصِبُ
لو كان فيما يقولُه شغَفاً ... صِدْقٌ عَراهُ لعِشْقِنا النَّصَبُ
فقلتُ لو شئتَ يا مُنايَ لمَا ... سألْتَ عنِّي وأنتَ لي أرَبُ
إنَّ نُحُولِي وعَبْرَتِيّ مَعاً ... بعد أنِيني لَشَاهِدٌ عَجَبُ
أشكوكَ لو كان مُنْصِفٌ حكَمٌ ... يقْضِي غَرَاماً وليس يختَسِبُ
لكنَّنِي الآن قد رجعْتُ ولا ... يرجعُ مثْلِي مُتَيَّمٌ سلَبُ
يا قلبُ عُجْ عن حِمَى مكائِدِهمْ ... واتْرُكْ مقاماً به لكَ التَّعبُ
كم ذا تُقاسِي مُصابَ جَفْوَتِهمْ ... وأنتَ والدَّهرُ كلُّه حَرِبُ
وكم تُعانِي بحُبِّها ولَهاً ... عهدُكمُ لن تُقِلَّه كُتُبُ
فَخَلِّ دَغْداً وذكْرَ مغهدِها ... وعَدْ عنها وأنتَ مُجْتَنِبُ
وغُضَّ طرْفاً عن كلِّ غانيةٍ ... واتْرُكْ غزالَ الصَّرِيمِ ينْتَحِبُ
إن عنده جاز أن يُصارِمَني ... فالعِيدُ عندي بمذْهَبِي يجِبُ
ولا تَسَمَّعْ لِلَحْنِ شادِيَةٍ ... ولو إلى اللَّحْنِ هزَّكَ الطَّرَبُ
وجِدَّ واتْرُكْ مُنىً خُدِعْتَ بها ... فالهَزْلُ داءٌ دواؤه الهَرَبُ

وله من قصيدة أرسلها من ديار بكرٍ، يتشوَّق بها إلى دمشق، ويذكر متنزهاتها.
ومطلعها: [الطويل]

سَقى دارَ سُعْدَى مِن دمشقَ غَمامُ ... وحَيَّ بقاعَ الغُوطَتَيْنِ سلامُ
وجادَ هِضَابَ الصَّالِحيَّةِ صَيِّبٌ ... له في رِياضِ النَّيْرَبَيْنِ رُكامُ

منها:

ذكرتُ الحِمَى والدَّارَ ذكرَ طريدَةٍ ... تُذادُ كظَمْآنٍ سَلاهُ أوامُ[1]
فنُحْتُ على تلك الرُّبوع تَشَوُّقاً ... كما ناح من فَقْدِ الحَميم حمامُ
أيا صاحِبَيْ نَجْوايَ يومَ تَرَحَّلُوا ... وحَزْنُ الفَلا ما بَيْنَنا وأكامُ
نَشَدْتُكُما بالوُدِّ هل جاد بَعْدَنا ... دمشقَ كأجْفاني القِراحِ غمامُ
وهل عَذَبَاتُ البَانِ فيها مَوَائِسٌ ... وزَهْرُ الرُّبَى هل أبْرَزَتْه كِمامُ
وهل أعْشَبَ الرَّوضُ الدِّمَشْقِيُّ غِبَّنَا ... وهل هبَّ في الوادِي السَّعِيدِ بَشامُ

(١) الأوام، كغراب: العطش. ا.هـ القاموس، مادة: /أوم/.

Marfat.com
Marfat.com

وهل رَيْوَةُ الأُنسِ التي شاع ذكرُها ... تجولُ بها الأنهارُ وهْيَ جِمامُ
وهل شَرَفُ الأعْلَى مُطِلٌّ وقعْرُه ... على المَزْجَةِ الخضْراءِ فيه كِرامُ
وهل ظِلُّ ذاك الدَّوحِ ضَافٍ وغُصْنُهُ ... وَرِيقٌ وبدرُ الحيِّ فيه يُقامُ
وهل ظَبَياتٌ في ضُمَيْرٍ سوانِحٌ ... وعينٌ الْمَهَا هل قادَهُنَّ زمامُ

ضمير، مُصغَّر: قرية بدمشق.

وهل أُمَوِيُّ العلْمِ والدينِ جامِعٌ ... شعائِرُه والذِّكْرُ فيه يُقامُ
وهل قاسِيونٌ قَلْبُهُ مُتَفطِّرٌ ... وفيه الرِّجالُ الأربعُونَ صِيامُ
ألا ليْتَ شعْرِي هل أعُودُ لِجِلِّقٍ ... وهل لي بِوادِي النَّيْرَبَيْنِ مُقامُ
وهل أرِدَنْ ماءَ الجَزيرةِ راتِعاً ... بمَقْصَفِها والحظُّ فيه مرامُ
سلامٌ على تلكَ المغانِي وأهلِها ... وإن رِيشَ لي من نأيهنَّ سِهامُ
لقد جُمِعَتْ فيها محاسِنُ أصْبَحتْ ... لدَرْجِ فَخارِ الشَّامِ وهْيَ خِتامُ
بلادٌ بها الحصْباءُ دُرٌّ وتُرْبُها ... عَبيرٌ وأنْفاسُ الشَّمالِ مُدامُ
وغُرَّتها أضْحَتْ بجَبْهةِ رَوْضِها ... تُضِيءُ فخَلْخَالُ الغدير لزامُ
تنائيْتُ عنها فالفؤادُ مُشَتَّتٌ ... ووَغرُ الفَيافِي بيْنَنا ورَغامُ
لقد كذْتُ أقْضي من بعادِي تشُوقاً ... إليْها وجسْمي قد عَراهُ سَقامُ

وله: [البسيط]

لَهْفي على زَمنٍ قضَّيْتُه جَذِلاً ... مُسَرْبَلاً ببُرودِ العزِّ والنِّعَمِ
مضَى كأنْ لم يكنْ ذاك الزَّمانُ أتى ... حتى كأنِّي به في غفْلَةِ الحُلُمِ
ما أسْأرَتْ لي لياليه التي سَلفَتْ ... بلَذَّةِ العَيْشِ إلا زَفْرَةِ النَّدَمِ

٩- محمد بن يوسف الكَريميّ

أقولُ فيه لا مُتأثِّماً، ولست من خَجَلٍ مُتلثِّماً:

---

٩ هو محمد بن يوسف الكريمي الدمشقي، أديب الزمان وريحانة أفاضل الشام. قرأ على الشرف الدمشقي، والمفتي فضل الله بن عيسى، والشيخ عمر القاري. وأخذ عن الإمامين الشيخ عبد الرحمن العمادي وأبي العباس المقري. وتخرج في الأدب على الشيخ أبي الطيب الغزي. وأربى على فضلاء العصر بإتقان اللغتين الفارسية والتركية والموسيقى، وكان ينظم الشعر في اللغات الثلاثة، وسافر إلى الروم بصحبة والده ولازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ومدحه بقصائد كثيرة، ثم قدم مع والده إلى دمشق، ودرس بعد موت والده بالمدرسة الغزية بالشرف الأعلى، ثم سافر إلى الروم ثانياً وولي قضاء الركب الشامي، وانقطع بعد ذلك في منزله مدة، ثم سافر ثالثاً إلى الروم، وصار له رتبة الخارج، ثم رجع واستغرق أوقاته في العزلة وابتلي باستعمال البرش ثم غلبت عليه السوداء، فضرب الحجر على نفسه سنين، وطواه الزمان في فريدة النسيان، ولم ينل ما =

Marfat.com
Marfat.com

إنه أبرعُ مَن سبك لفظاً مع معنًى، وأرقُّ من أراد أن يَشْعُر فَغنَّى.
وهو من رِقَّةِ العِشْرَة، يكاد يدخل في القِشْرَة.
ومِن خِفَّة الرُّوح، مع الذَّرِّ في الهواء يَرُوح.
ومضَى عليه زمنٌ لا يعرفُ الصَّخو، ولا يفرِّق بين الإثباتِ والمَخو.
وهو في قَيْدِ الرِّقّ، يجمعُ بين العُود والزِّقّ.
هذا، وعهدُه يرِفّ ماؤه، ويشِفُّ عن النَّضْرَة نماؤُه.
وتتألَّقُ غُرَّتُه، وتُشْرِقُ أسرَّتُه.
والعيشُ كما يَذْرِيه، على ما يطيبُ يُجْرِيه.
حتى فلَّ الدَّهرُ شبَا[1] شَبِيبَتِهِ، ومَحَا من لوح الوجودِ محاسن جَبْهَته.
هناك ألْجمه الشَّيْبُ بلجامِه، فنكَّبَ لا يلوِي على كاسِه وجامِه.
وقد وقفتُ بخطه على أشعارٍ له أَلَذَّ من الماء القُراح، وأطْيبَ من النَّسيم حُفَّت به لذَّات الرُّوح والرَّاح.
فذكرتُ منها ما ينوبُ الرَّيْقَيْن: الروَضِ، والصَّبا، ويُغْني عن الرَّائِقَيْن: الرِّيق، والصَّهْبَا.
فمن ذلك قوله من قصيدة مُسْتهلُّها: [الخفيف]

فـي فـؤادِي مـن الـخُـدودِ لـهـيـبُ ... جَـنَّـةٌ طـابَ لـي بـهـا الـتَّـعْـذِيـبُ
صَـحْـوَتِي من هـوَى الـحسانِ خُمارٌ ... وشـبـابٌ بـلا تَـصـاب مَـشِـيـبُ
داوِنـي بـالـلِّـحـاظِ فـالـحـبُّ فـيـنـا ... دارُ بَـلْـوَى بـهـا الـسَّـقـامُ طـبِـيـبُ
لفُؤادِي من لَحْظَةِ السُّخْطِ سَهْمٌ ... هـي من قِسْمَةِ الـهـوَى لـي نَـصِـيـبُ
كـلُّ قـلـبٍ لـه الـصَّـبـابـةُ داءٌ ... أَلِـفَ الـدَّاءَ فـالـحـكـيـمُ رَقِـيـبُ
مِـحْـنَـةَ الـحـبِّ عـنـدنـا دارُ بَـلْـوَى ... فـلـهـا مِـن قـلـوبِـنـا أثْـوبُ
هـكـذا حـاكـم الـهـوى فـلـديْـه ... مـن ذُنـوبٍ لـنـا تُـعَـدُّ الـقـلـوبُ
لـو بَـدَا لـلـوُجُـودِ يُـوسُـفُ حُـسْـنٍ ... ضَـمَّـه مـن قـلـوبِـنـا يَـعْـقُـوبُ
لا تَلُمْنِي سُدىً فمُذْمِنُ خَمرِ الـ ... ـحُـبِّ فـي مِـلَّـةِ الـهـوى لا يـثـوبُ
فـي لِـحـاظِ الـظِّـبـاء آيـةُ سِـحـرٍ ... قد تَلاها على العقول الحبيبُ

= يستحقه من سمو الشان، ثم ظهر بعض الظهور، واختلط ببعض أصحاب الفهم، وطرح التكلف، وامتحن بلعب الشطرنج على عادة الأذكياء، وكان ماهراً في لعبه، وكان كثير النظم، وله ديوان يوجد في أيدي الناس.
وكانت ولادته في سنة ثمان بعد الألف، وتوفي سابع شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وألف.
ا.هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٢٧٣)
(١) شبا شبيبته: حدُّ شبابه. انظر اللسان، مادة /شبا/، و /شبب/.

Marfat.com
Marfat.com

رَشَـأٌ أخـجَـل الـبُـدورَ إذا مـا ... شَـوَّشـتْ خـاطِـرَ الـفُـؤادِ الـجَـيُـوبُ
مـا رأيْـنَـا من قـبلِ وجْـهِـك أن قـد ... حـمـلَ الـبَـدْرَ فـي الـزَّمـانِ قَـضِـيـبُ
قـاتِـلِـي فـي الـهـوى الـلَّـحـاظُ وهـذا ... شـاهـدُ الـخـدِّ مـن دَمـي مَـخْـضُـوبُ
قـد رَمـانِـي بـأسْـهُـمِ الـجَـوْرِ عَـمْـداً ... وسِـوَى الـقـلـبِ سـهْـمُـه لا يُـصِـيـبُ
لـيْـتَ أنَّـا لـم يُـخْـلَـقُ الـحـبُّ فـيـنـا ... لـيـت أو لـم يـكـنْ فُـؤادٌ طَـرُوبُ
يـا أخـا الـوَجْـدِ هـل رأيـتَ قـتـيـلاً ... وهْـوَ ظُـلْـمـاً بـنـفْـسِـه مـطْـلُـوبُ

هذا من قول المُتَنَبِّيّ[1]: [الكامل]

وأنـا الـذي اجْـتَـلَـبَ الـمَـنِـيَّـةَ طـرفُـه ... فـمـنِ الـمُـطـالَـبُ والـقـتـيـلُ الـقـاتـلُ

وهو أخذه من قول دِعْبِل[2]: [الكامل]

يـا لـيـتَ شِـعْـرِي كـيـف يـومـكـمـا ... يـا صـاحِـبَـيَّ إذا دَمِـي سُـفِـكَـا
لا تـأخُـذَا بـظُـلامَـتِـي أحـداً ... قـلـبـي وطَـرْفِـي فـي دَمِـي اشْـتَـرَكـا

وقد أخذه أبو الحسن الكسرويّ فحسَّنه، حيث قال من أبيات: [البسيط]

أنـا الـقـتـيـلُ وطـرفـي قـاتـلـي ودمـي ... مـا بَـيْـنَ قـلـبـي ومَـن عُـلِّـقْـتُـه هَـدَرُ
يـا لـقَـلْـبٍ أطـعْـتُـه وعـصـانـي ... فَـهْـوَ إلاَّ إلـى الـهَـوى لا يُـجِـيـبُ
خَـبِّـرِي يـا صَـبَـا رِيـاضَ الـتَّـصـابِـي ... فـبِـذِكْـرِ الـهـوَى فُـؤادِي يَـطِـيـبُ
عـرفَ الـقـلـبُ فـيـك رائـحـةَ الـحُـبِّ ... ويـذْرِي بُـسَـمِّـهِ الـمَـسْـلُـوبُ
سـاعَـدَتْـنـي عـلـى الـنَّـحـيـب حَـمـامٌ ... حـيـثُ مـا لـي سـوى صَـداهـا مـجـيـبُ
أنـا والـوُرْقُ فـي الـطُّـلـولِ غـريـبـا ... نِ ويـسْـتـصـحـبُ الـغـريـبَ الـغـريـبُ
غـيـرَ أنـي بـهـا رهـيـنُ فُـؤادِي ... وهْـيَ تَـأْتِـي وحـيـثُ شـاءتْ تَـؤُوبُ
عُـلِّـم الـقـلـبُ مَـنْـطِـقَ الـطَّـيْـرِ شَـجْـوَاً ... فـلَـه فـي فُـنـونـهِ تَـهْـذِيـبُ

وله من أخرى، مطلعها: [الخفيف]

فيـك أمْـسَـى وفـيـكَ بـالـوجْـدِ أضْـحَـى ... مُـسْـتَـهـامٌ لا يـعـرفُ الـدَّهـرَ نُـصْـحَـا
يـا غَـزالاً بـوجْـدِه سـقِـم الـصَّـبْـ ... ـرُ مـن الـقـلْـبِ والـهـوَى فـيـه صَـحَّـا
أنـتَ بـالـهَـجْـرِ قـد أطـلْـتَ الـلَّـيـالِـي ... ومَـنَـعْـتَ الـخـيـالَ عـنِّـي شُـحَّـا
وإذا زُرْتَ والـــزَّمـــانُ بَـــخِـــيـــلٌ ... لـم أجِـدْ لـلـدُّجَـى وحـقِّـكَ جُـنْـحَـا
أرْتَـجِـي بـالـعِـذَارِ لـيـلَ وِصـالٍ ... فـأرى تـحـتـه لـوجـهـكَ صـبـحَـا
يـا قَـتـيـلاً بـمـذْهـبِ الـحـبِّ ظُـلْـمـاً ... دَمُـهُ طُـلَّ وهْـوَ يـطـلـبُ صُـلْـحَـا

(١) ليس في ديوان أبي الطيب.
(٢) انظر ديوان دعبل (١١٨)، وفيه: «كيف نومكما».

Marfat.com
Marfat.com

شاهِدَا قِتْلَتِي فؤادِي وطَرْفي ... وتَرَى في كِلا الشَّهيدَين جُرْحَا
قاتِلِي شادِنٌ أعدَّ لقتْلِي ... بلِحاظٍ عَضْباً وبالقدِّ رُمْحَا
يا لَقَلْبٍ ما فيه يَبْرَأُ جُرْحٌ ... للتَّصابِي إلاّ أرَى فيه جُرْحَا
ومريضِ اللَّحاظِ سَاهَمَ قلبي ... سُقْمُ طَرْفَيْهِ واسْتَزذتُ فَشَحَّا
علَّمَتْنِي جُفونُه الوَجْدَ لمَّا ... أن تَلَتْ للحَشَا من السِّحرِ شَرْحَا
عارَضَتْني والوجدَ منها عُيونٌ ... ما نَبَا العَضْبُ لو أعارَتْهُ صَفْحَا

وله يصف يوماً أطربه فيه الفَرح، ونال فيه من اللَّذّة ما اقْتَرح، مع فِتْية مُسامَرتُهم ألذُّ من الكأس إذا اخْتَبَك المجلس، وأوْقَعُ من المبْلَغ النَّقْد إذا تملَّكه المُفْلِس: [المنسرح]

يا رُبَّ يومٍ قَطَعْتُه فَرحَا ... في رَوْضِ أُنْسٍ هَزَارُه صَدَحَا
صَفا به العَيْشُ لِي وجادَ به ... دهرٌ وآمالُ مُهْجَتي مَنَحَا
مع فِتْيَةٍ دامَ لي الفَخَارُ بهم ... ومعْشَرٍ صُبْحُ فضْلِهِمْ وَضَحَا
من كلِّ نَدْبٍ شِهابُ فكْرَتِه ... لو قابَلَ البدْرَ نُورُه افْتَضَحَا
يومٌ كعَهْدِ الصِّبا لِرقَّتِه ... نال به القلبُ وَفْقَ ما اقْتَرَحَا
طالَبْتُ دهرِي بيَوْمِنا زَمَناً ... فالآنَ دَهْرِي به لقد سَمَحَا
أذْكَرَنِي طِيبُ يومِنا زَمَناً ... كنتُ بريمِ الصَّرِيمِ مُفْتَضَحَا
أيَّامَ لا أسمعُ المَلامَ ولا ... أُصْغِي لِلاحٍ إذا صَبَوْتُ لَحَى
رَشَأٌ غدَا يفْضَحُ الظِّباءَ بَهاً ... بَدْرُ سَناً طلْعةَ الشُّموس مَحَا
عجبتُ من فِعْلِ سَهْمِ مُقْلَتِهِ ... أرْدَى عميدَ الهوَى وما جَرَحَا
مُحَجَّبُ الحُسْنِ شَمْسُ وجْنَتِهِ ... زانَ بَهاها الحَيَا لِمَن لَمَحَا
حديثُ وجْدِي هُو القديمُ بِهِ ... والحالُ حالِي بهِ وما بَرِحَا
يا قلبُ لِلْغَيْرِ لا تَمِلْ أبداً ... فما يُداوِيكَ غيرُ مَن جَرَحَا

وله من قصيدة، أولها: [الخفيف]

مَن لقلْبٍ ما بين سُمْرٍ وبِيضِ ... مِن قَوامٍ لَدْنٍ وطَرْفٍ مَريضِ
مَا لِمَن صادَم الهوى مِن نَصيرٍ ... فإليه إذا سَطَا تَفْوِيضي
زارَني في الدُّجَى فكان كبَدْرِ التَّـ ... ـمِّ قد لاحَ في اللَّيالِي البِيضِ
شادِنٌ لو يقابِلُ الشمسَ والبدْ ... رَ لكانَا في رُتبة المُسْتَفِيضِ
سلبَ العقلَ والفُؤادَ وخَلاَّ ... نِي لهِجرانِه الطَّويلِ العريضِ
فَنَهارِي نَهارُ مُنتَظِرٍ فيـ ... ـهِ ولَيْلِي لا ذُقْتَ ليلَ المريضِ

ومن أخرى، أولها: [الخفيف]

Marfat.com
Marfat.com

جادَ من بعْدِ بُعْدِه بالتَّلاقِي ... ودَنَا شائِقٌ إلى مُشْتاقِ
رَشأٌ طالَما أذابَ فُؤادِي ... بسَعيرِ النَّوى وحَرِّ الفِراقِ
لم نزلْ نحسَبُ الغرامَ مِزاحاً ... فرأينا مصارعَ العُشَّاقِ
كنتُ أشْكُو الجَفَا وأخْشَى صُدوداً ... فرأيتُ البِعادَ مُرَّ المَذَاقِ
كلُّ مُرٍّ لدَى المَذَاقِ مُطاقٌ ... وأرَى الصَّبْرَ عنْكَ غيرَ مُطاقِ
مَن لِقَلْبٍ لم يُلْفَ إلاَّ جريحاً ... بِسِهام الجُفُونِ والأحْدَاقِ
ما لِهذا الفُؤادِ لم ينْجُ يوماً ... من وَثَاقٍ إلاَّ غَدا في وَثَاقِ
هكذا مَن له الصَّبابَةُ دَاءٌ ... ليس يَرْجُو النَّجاةَ ممَّا يُلاقِي

وله: [البسيط]

عَلَى مَ تَفْتِكُ في العُشَّاقِ بالمُقَلِ ... أما تخافُ على الهِنْدِيِّ مِن فَلَلِ
لقد أبَحْتَ دَمِي يا مَن كلِفْتُ بهِ ... فأصْبَحتْ كلِماتِي فيه كالمَثَلِ
يا مَن إذا ما لِسَهْمِ اللَّحْظِ أغْرَضَنِي ... أيْقَنْتُ وِجْدَانَ قومٍ مِن بنِي ثُعَلِ

بنو ثُعَل: قبيلة فيهم رُماة، يضرب المثل بجَوْدَة رَمْيِهم.

قال امرؤُ القيس[1]: [المديد]

ربَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ ... مُخرِجٍ كفَّيْه من سُتَرِهْ
فهو لا يُخْطِي رمِيَّتَه ... ما لَهُ لا عُدَّ من نَفَرِهْ

يُقال في الدعاء على الإنسان: «لا عُدَّ من نفره»، ويراد به التعجُّب.

شمائلٌ لكَ عاطتْنِي الشَّمولَ فما ... برِحْتُ ما بيَن سكرانٍ إلى ثَمِلِ
آهَاً على زَمنٍ كان الرَّقيبُ به ... صِفْرَ الأكُفِّ من التَّغْنيفِ والعَذَلِ
هلاَّ تُعِيدُ زماناً كنتَ طوعَ يَدِي ... فيه وصَدْرِيَ مَلآنٌ من الأمَلِ

وله: [الطويل]

لَحَى اللهُ فِعْلَ الغَانِياتِ إذا دهتْ ... فؤاداً لأبْناء الصَّبابةِ أو عقْلاَ
ولا سُلِّطَتْ يوماً على قلْبِ عاشقٍ ... عيونٌ ترى في ظُلْمِ عاشِقها عَذْلاَ
يُرِينَكَ عينَ الودِّ والوجدِ نظْرةً ... ويُخرِجْنَ جِدَّ الوجْدِ للقلْبِ والهَزْلاَ
فحتى إذا شبَّتْ بنارِ جوانحٍ ... وأيقَنَّ بالمطروحِ مَن أرسل النَّبْلاَ
غَدَرْنَ فلا يَزْعَيْنَ للصَّبِّ ذِمَّةً ... وأغْضَيْنَ عنه في الهوى الأعيُنَ النُّجْلاَ

---

(١) انظر ديوانه (١٢٣) وفيه:

.... مثلج كفيه في قتره
فهو لا تنمى رميته ... .

Marfat.com
Marfat.com

نوافر منها لم نَفُزْ شِقْوَةً سِوَى ... بوَغْدٍ رأيْنا في جوانِبه المَطْلاَ

وله من قصيدة، مستهلها: [الطويل]

تُرَجِّى الأمانِي لا أماني المتيَّم ... وتَزْقَا دموعٌ غيرُ أدْمُعِ مُغْرَمِ
بِذا بيْننا يقْضي الغرامُ كما بِنا ... لحُكْمِ الهوى في الحبِّ مِن مُتَظلِّمِ
متى لم يُصِبْ لذَّاتِها طالبٌ أتَى ... بقلبٍ سليمٍ أو بطرْفٍ مُهوِّمِ
بحيثُ أبُثُّ الوجدَ ليلةَ لم يكُن ... لدَيَّ سِوى زُهْرِ النُّجُومِ بِمَخْرَمِ
أُعدِّدُ فيها كوكباً بعد كوكبٍ ... وأرْقُبُ فيها أنْجُماً إثْرَ أنْجُمِ
فلم يَكُ غيرَ الطَّرْفِ لي مِن مُسامِرٍ ... ولم أرَ غيرَ الدَّمعِ لي من مُتَرْجِمِ
عدِمْنا الهوى يُزْدِي العميدَ ولم يصُلْ ... بعَضْبٍ سوى لَحْظِ الحسانِ وأسْهُمِ
حَوَيْنا قلوباً مَن دعاها لراحةٍ ... عصَتْهُ ولبَّتْ مَن دَعاها لمُؤْلِمِ
أضلَّتْ فلم تسْكُن بصدْرِ مُتَيَّمٍ ... إذا لم يُلَوِّعْ من وُشاةٍ ولُوَّمِ
وريم أبَى إلاَّ نِفاراً فمُذْ رأى ... على الصَّيْدِ صيَّاداً غدَا غيرَ مُقْدِمِ
يُلاحِظُني والسِّحْرُ مِلْءُ جفونِه ... يقود إليه القلبَ قَوْدَ مُسلِّمِ
يُرَنِّحُهُ سُكْرُ الدَّلالِ فينثني ... كما عطَفَتْ غُصْناً صَباً في تَنَسُّمِ
فإن زارَ وَهْناً والأمانِي تَعِلَّةٌ ... ترى البدْرَ وَافَى فَوق غصنٍ مُنَعَّمِ
بِخَدٍّ سقاهُ وابِلُ الخَزِّ والحيَا ... سُلافَةَ خمرٍ أو عُصارَة عَنْدَمِ[1]

ومن غزليّاته وغرره قوله، من نَبَويَّة مطلعُها: [الطويل]

نَأى والأمانِي الكاذِباتُ به تَدْنُو ... بديعُ جمالٍ من محاسِنِهِ الحُسْنُ
هو البَدْرُ لا تُنْكِرْ عليه بِعادَهُ ... تراه قريباً والبِعادُ له شأنُ
أطالَ عليَّ الهَجْرَ حتى لِطُولِهِ ... تعلَّم منه هَجْرَ صاحِبِه الجَفْنُ
وعَرَّفَني الأحْزانَ حتى ألِفْتُها ... فمن أجْلِه عندي السُّرورُ هو الحزْنُ
رشاً طَلعتْ شمسُ البَها من جَبِينِهِ ... وماسَ بها من قَدِّه غُصُنٌ لَدْنُ[2]
فَدَيْتُكَ ما هذا التَّنائِي فلستُ مَنْ ... يُطيق بأن تشْتاقَكَ العينُ والأُذْنُ
بَعُدْتَ ولكن لا عن القلبِ والرَّجا ... إذا لم يَشُبْهُ الياسُ كان له المَنُّ
أظُنُّكَ تدْنُو والليالي ضَنِينةٌ ... بقُرْبِكَ لكن رُبَّما صدق الظَّنُّ
فيا مُسْرِفاً في هَجْرِهِ أنت يوسُفٌ ... إذا غابَ فالدُّنيا ليَعْقُوبِهِ سِجْنُ
سقى الله عهداً للشَّبِيبَةِ ماضِياً ... ولا بَرِحَتْ تنْهَلُّ في رَبْعِها المُزْنُ

---

(١) العندم: شجر أحمر. ا.هـ. لسان العرب، مادة / عندم/ .
(٢) اللُّدن: اللين من كل شيء. ا.هـ. القاموس، مادة /لدن/ .

Marfat.com
Marfat.com

وحيَّ رُبوعَ اللهوِ والوجْدِ والصِّبَا ... سحابُ رِضاً أنواؤُها اللُّطْفُ واليُمْنُ
معاهدُ وَجْدٍ باكَرَتْ روْضَها الصِّبَا ... فصافَحَ إذْ مَرَّتْ به الغُصُنَ الغُصْنُ
قطَفْتُ بها اللَّذَّاتِ مَعْ كلِّ شادِنٍ ... سَقامِي بِعَيْنَيْه إذا ما غدَا يَرْنُو
له في البَها تُعْزَى المحاسنُ كلُّها ... كما لِرَسُولِ اللهِ كُلٌّ بِها يَعْنُو

ومن مقاطيعه ونُتَفِه، قوله: [الوافر]

وكنتُ أقولُ إنَّكَ في فؤادِي ... لَوَ انَّ القلبَ بعدَك كان عنْدِي
سِوى عن ناظِري ما غبْتَ يوماً ... فذكْرُكَ غالبَ الأوْقاتِ وِزدِي

وقوله: [الدوبيت]

هل ترجعُ أيامي بنادِي الوادِي ... تاللهِ فقد عدَذْتُها أغيادِي
أيَّامَ يَضُمُّ شَمْلَنا مُنْتَزَهٌ ... بالغُوطَةِ لا فقدْتُ ذاكَ النَّادِي

وقوله: [الدوبيت]

ما جاء الليلُ أو أضاء الفجرُ ... إلا وذكرتُ عَيشنا يا بذرُ
لَهْفِي لِزَمانٍ عِيشَةٌ راضِيَةٌ ... قد مَنَّ بها على يَدَيْكَ الدَّهْرُ

وقوله: [الكامل]

ومُعَذَّرٍ صفحاتُ وَجْنَته ... كالشمسِ في حَلَكٍ من الدَّمْسِ[1]
حيَّ فخِلْتُ الشمسَ قد طَلعتْ ... ليلاً لِمَا شاهدتُ مِن أُنسِي
فعجبتُ من شمسٍ بَدَتْ لِدُجىً ... وبقِيتُ فيه مُراجِعاً نَفْسِي
فغَدَا يقولُ أذاكَ من عَجَبٍ ... أعجَبْ لهذا الأمْرِ بالعكْسِ
فانْظُر لمُعْجِزةِ العِذارِ بَدَا ... في وَجْنَتِي كاللَّيْلِ في الشَّمْسِ

ومما يُنْسَب إليه قوله: [الخفيف]

ومَهاةٍ قد راعَتِ العُودَ حتَّى ... عادَ بعد الجِماحِ وهْوَ ذَلِيلُ
خافَ من عَزْكِ أُذْنِه إذ عصاها ... فلهذا كما تقولُ يقولُ

نحوه للحسن بن يونس: [الكامل]

غَيْدَاءَ تأمُرُ عودَها فيُطيعُها ... أبداً ويَتْبَعُها اتِّباعَ وَدُودِ[2]
فكأنما الصَّوْتانِ حين تمازَجَا ... ماءُ الغَمامةِ وابْنَةُ العُنْقُودِ

ولكُشاجِم: [المنسرح]

جاءتْ بعُودٍ تُناغِيهِ فيَتْبَعُها ... فانظُرْ بدائِعَ ما تَأْتِى به الشَّجَرُ

---

(١) الدُّمس: الظلمة. انظر لسان العرب، مادة / دمس/ .
(٢) الغيداء: المرأة المتثنية من اللين، وقد تغايدت في مشيها. ا.هـ لسان العرب، مادة / غيد/ .

Marfat.com
Marfat.com

فـمـا يَـزالُ عـلـيـه أوْ بِـهِ طَـرَبٌ ... يَـهِـيـجُـه الأغـجَـمـانِ الـطَّـيْـرُ والـوَتَـرُ

وليُوسف بن عِمْران الحَلَبِيّ: [الكامل]

يـسـتـوقـفُ الأطْـيـارَ حُـسْـنُ غِـنـائِـهـا ... إن ردَّدتْ ألْـحـانَـهـا تـزْدِيـدَا

وتـظُـنُّ صـوتَ الـعُـودِ صـوتَ غِـنـائِـهـا ... وغِـنـاءَهـا أبـداً تـظُـنُّ الـعُـودَا

وقوله مُضمِّناً: [الكامل]

يا مَن يَدُ الرحمنِ قد خطَّتْ على ... صَـفَـحـاتِ خَـدَّيْـهِ الـسَّـنِـيَّـةِ لامَـا

قد تَمَّ حُسْنُكَ بالعِذارِ فمن رَأى ... بـدراً يـكـون لـه الـكُـسـوفُ تـمـامَـا

البيت لأبي فرج بن هِنْدُو، وقبله[1]:

خـلـعَ الـعِـذارُ عـلـى عِـذارِكَ خِـلْـعَـةً ... خـلَـعـتْ قـلـوبَ الـعـاشِـقـيـنَ غَـرامَـا

قد تمَّ، وهو معنىً، كم حَام على تضمُّنِه مُعَنًّى.

وللْبَاخَرْزِيّ فيما يقاربه: [البسيط]

وَجْهٌ حكى الوصلَ طِيباً زانَهُ صُدُغٌ ... كـأنّـه الـهـجـرُ فـوقَ الـوَصْـلِ عَـلَّـقَـهُ

وقـد رأيـتُ أعـاجـيـبَ الـزَّمـانِ ومـا ... رأيـتُ وَصْـلاً يـكـون الـهـجـرُ رَوْنَـقَـهُ

١٠- اخوه أكمل

قَرِينُ أخيه ونِدُّه، فأحدهما السيفُ والآخرُ فِرِنْدُه[2].

وكانَا إذا اجْتَمعا تقابَلَ البدرُ والثُّريَّا، وتطارح الشَّمولُ الرَّائِق والرَّوِيَّةِ الرَّيَّا، فتَسابَقَ بهما الكُمَيْتُ في مَيْدان الدِّنان، فمن رآهُما قال ما شاء في طَلِيقَيْ عِنان.

وإذا أخذا في مُعاطاةِ الأسْمار، فما مُشافهةُ الأمانِي في بُلَهْنِيَة[3] الأعمار.

ومحمد، إن كان أكبرَ سنّاً، فأكملُ أزهفُ منه مِسَنّاً.

إلا أنّه اعْتَراهُ طَرْفٌ من الجنون، فصيَّره ثالث خالد والمجنون.

---

(١) انظر دمية القصر (١١٤) وفيها: «خلع الجمال».

١٠- هو الأديب أكمل الدين بن يوسف المعروف بابن كريم الدين الدمشقي الحنفي الأديب، الشاعر، المشهور. كان فاضلاً مفنناً طلق اللسان، حلو العبارة، حسن الخط، عارفاً باللغة الفارسية والتركية، صاحب نظم ونثر فيهما. وكان جهوري الصوت. ندي اللهجة، متقناً للموسيقى وتوابعها وله أغان كان يصنعها وتنقل عنه. وألف شرحاً على ديوان ابن الفارض لم يشتهر. وقد تلقى عن أشياخ عدة منهم عبد الرحمن المفتي العمادي، وفضل الله بن عيسى البوسنوي نزيل دمشق، والشيخ عمر القاري، والشرف الدمشقي، وأخذ الحديث عن أبي العباس أحمد المقري، وبرع ولازم من شيخ الإسلام يحيى بن زكريا. وولي نيابة القضاء بمحاكم دمشق، ودرس بالمدرسة القصاعية الحنفية، ثم وصل إلى الروم وصحب مع زوجته وأولاده، وأقام بها مدة جزئية وأعطي رتبة الداخل فقدم دمشق، ثم حبب إليه الانعزال عن الناس. ولزم الوحدة حتى ابتلي بالماليخوليا وأثرت فيه آثاراً بالغة. وكانت ولادته في سنة اثنتي عشرة وألف وتوفي في حادي عشر صفر سنة إحدى وثمانين وألف، ودفن بمقبرة الفراديس. ا.هـ. خلاصة الأثر (١/ ٤٢٢).

(٢) الفرند: جوهر السيف، أو وشيه. انظر اللسان، مادة /وند/.

(٣) البُلهينة: بضم الباء: الرخاء، وسعة العيش. القاموس المحيط، مادة /بله/.

Marfat.com
Marfat.com

وله من جُنونِه أفانين، عُدَّ بها من عقلاء المجانين.

وقد وقفتُ من شعره على كَلِمٍ يُوسَى بها الكَلْم، ويُعَدُّ من الظلم قياسُها إلى الظَّلْم.

فمن ذلك قولُه في وصف حديقة زَهْر، يخْترِقُها من اللُّجَيْنِ الذَّائب نَهْر.

إذا خَمَّشَتْهُ يدُ الصَّبَا، تتوهَّمُه زَرَداً مُذْهَبَا.

وفيه دُولابٌ يُشْجِي الصَّبَّ بنَحِيبِه، كأنه مُحِبٌّ وقد رُمِيَ بفقدِ حبيبه: [الكامل]

وحديقةٍ يَنْسابُ بين غُصُونِها ... نَهْرٌ يُرَى كالفِضَّةِ البَيْضاءِ
قد ألْبَسَتْهُ يدُ الجنائِبِ والصَّبَا ... زَرَداً كنَبْتِ الرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ
دُولابُه بحَنينِه كمُذكِّرٍ ... عَهْدَ الصِّبَا ومعاهد السَّرَّاء
أبداً يدورُ على الأحِبَّةِ باكِياً ... بمدامِعٍ تَرْبُو على الأنْواءِ
ناحَ الحَمامُ عليه قِدْماً فهو في ... تَرْجِيعِه مُوفٍ قديمَ إخَاءِ

ومن بدائعه قوله: [م. الكامل]

بِهَوىً سَرَتْ من سالِفَيْـ ... ـكَ إلى فؤادي في لهيبِ
فأتتْ بأطْيَبِ ما يَسُرُّ ... ذوي الهوَى في طَيِّ طِيبِ
إلاَّ رَحِمْتَ شبابَ ذِي ... قلبٍ عليلٍ بالوَجِيبِ[1]
فحَنَوْتَ من كرمٍ عَلَيْـ ... ـهِ كمَيْلَةِ الغُصْنِ الرَّطِيبِ

وقوله: [السريع]

ولائِمٍ قد لامَنِي في الطُّلاَ ... وتَرْكِها والنَّهْيِ عن شُرْبِها
فقلْتُ تَلْحانِيَ جَهْلاً أمَا ... كفَى طُلوعُ الشَّمسِ مِن غَرْبِها

الغَرْب: دَنُّ الخَمْر، وبه تمَّت التَّوْرية.

وأصلُه قول أبي القاسم بن طلحة، في مَغْرِبِيّ[2]: [السريع]

أيتها النفسُ إليهِ اذْهَبي ... فحُبُّه المشْهُورُ من مذهبي
مُفضَّضُ الثَّغرِ له شامَةٌ ... من عنبرٍ في خَدِّه المُذْهَبِ
آيَسَنِي التَّوْبَةَ من عشقِهِ ... طُلوعُه شمساً من المغربِ

وللشِّهاب الخَفاجِيّ: [السريع]

كم قَهْقَهَ الإبريقُ إذْ قِيلَ تابْ ... وابْتسمَ الكأْسُ بثَغْرِ الحَبَابْ
والرَّاحُ شمسٌ قد تبَدَّتْ لهُ ... من مَغْرِبِ الدَّنِّ فكيفَ المَتَابْ

(١) وجب القلب وجباً ووجيباً ووجباناً: خفق. ا.هـ القاموس المحيط، مادة: /وجب/.
(٢) انظر عنوان المرقصات والمطربات (٧١).

Marfat.com
Marfat.com

لِلهِ أيَّـامٌ مـضَـتْ سُـرْعَـةً كَـهَـجْـعَـةٍ مـن ذي جَـوىً واكـتِـئـابْ
لَـيْـلاتُـهـا قَـمَـرٌ وأيَّـامُـهـا كـأنـهـا أغـيـادُ عَـصْـرِ الـشَّـبـابْ

واغتَبقَ يوماً بمحلٍّ كان يتَّخذه مُفتَرَش نَدْوَتِه، ومُتَوسَّد صَبْوَتِه.
ومُضْطَجَع اطمِئنانِه، ومَدارَ كأْسِه ودِنانِه.
وهو في يَنَعِ الشَّباب، ورُواء الأحْباب.
عندما اقْتَرنَ باللَّيْلِ نهارُه، وامْتَزجَ بالبَنَفْسَجِ بَهارُه.
وقد أخْضرَ من آلاتِ أُنْسِه، وأظهر من نوعِ ذلك وجِنْسِه.
ما يَرُوقُ النَّاظِر، ويَصْقُلُ الخاطِر.
فكتبَ يسْتَدعي لَهُ صديقاً، كان يتَّخِذُه في ذلك العهد رفيقاً: [الكامل]

بـادِرْ أُخَـيَّ إلـى الـغَـبُـوقِ بـرَاحـةٍ تـنْـفِـي هُـمـومَ الـصَّـبِّ حـيـن يَـصُـبُّـهـا
حَـمْـراءَ رضَّـعَـهـا الـحَـبـابُ كـأنَّـهـا شَـفَـقُ الـسَّـمـاءِ تـجـولُ فـيـه شُـهْـبُـهـا

«بادر أخي، أطال الله بقاك، وقهَر مَن يُعاديك ويشْنَاك.
إلى تعاطِي راحَةٍ حاكَى مِزاجُك مِزاجَها لُطْفاً، وزاد عليها بَهاءً وأدباً وظَرفاً.
إذا أخَذها السَّاقِي وَصَبّ، ذهب عمَّن كان بيْن الشَّرْبِ الوَصَب.
لا سِيَّما إذا كانت حَمْراءَ كاللُّجَيْن، مُرَصَّعةً بجواهِرِ الحَبَب أو مَمْزُوجةً بينَ بيْن.
فالمأمُول من الأخ المُبادَرة، لِيَفُوزَ منه أخوه بأحْسَنِ مُسامَرَة ومُحاوَرة».
وفي ذيل الاسْتِدْعاء: [الكامل]

يـا مَـن رِضـاهُ جَـنَّـةٌ كـمُـلَـتْ والـسُّـخْـطُ داءٌ مـنـكَـرٌ ضَـنَـكُ
زُرْ رَوْضَـنَـا كـالـغـيْـثِ أكْـسَـبَـه عِـطْـراً فَـزَيْـنٌ بـالـتُّـقَـى الـنُّـسُـكُ
ماسَ الـشَّـقـيـق لـنـا عـلـى قُـضُـبٍ خُـضْـرٍ كـسِـمْـطٍ زَانَـه الـسِّـلْـكُ
وكـأنَّـه والـقُـضْـبُ تَـخْـمِـلُـه أقْـداحُ يـاقـوتٍ بـه مِـسْـكُ

ومن غَزليَّاته قوله: [م. الرمل]

بـهَـوىً جـدَّ بـقـلْـبِـي طـامِـعـاً فـي لَـفَـتـاتِـكْ
وفُـؤادٍ ضـلَّ فـي حَـضْـرِ قـلِـيـلٍ مـن صِـفـاتِـكْ
وفُـؤادٍ لـم يُـمـتَّـعْ حُـظْـوَةً مـن حَـظـواتِـكْ
وفُـؤادٍ لـم يُـمـتَّـعْ نَـظْـرةً مـن نَـظَـراتِـكْ
غـافِـلاً عـن ذَنْـبِـه إذْ هُـوَ مـن بـغْـضِ هِـبـاتِـكْ
يـا غَـزالاً خـاطَـرَ الـقَـلْـ ـبُ بـرُؤْيَـا خَـطَـراتِـكْ
آهِ مـا أعْـجَـزَنـي عـن حَـمْـلِ مـاضِـي عَـزَمـاتِـكْ
بـالـجِـمَـى تَـرْتَـعُ والأُنْـ ـدُ ثَـوَتْ فـي عَـرَصـاتِـكْ

Marfat.com
Marfat.com

كـيـفَ يَـزْجُـوكَ فُـؤادٌ ... والـحِـمَـى بـعـضُ حُـمـاتِـكْ
بـأبـي حَـبَّـاتُ مِـسْـكٍ ... نُـقِّـلَـتْ فـي وَجـنـاتِـكْ
بَـلْ سُـوَيْـداءُ قُـلـوبٍ ... أُخـرِقَـتْ فـي جَـمَـراتِـكْ
أتُـرى يـا دهـرُ هـل فـي ... لـحـظـةٍ مـن لَـحَـظَـاتِـكْ
يَـغْـفَـلُ الـواشـونَ كـيْ أَخـ ... ـسِـبُـهـا مـن حَـسَـنـاتِـكْ

ومن رُباعيَّاته قوله: [الدوبيت]

حيّا وسقَى الْحَيَا الرُّبَى والسَّفْحَا ... مِن غـادِيَـةٍ تُـشْـبِـهُ دَمْـعِـي سَـفْـحَـا
واللهِ ومـا ذكـرْتُ عَـيْـشِـي بِـهِـمَـا ... إلا وَضَـرَبْـتُ عـن سِـواهُـمْ صَـفْـحَـا

وقوله: [الدوبيت]

لا أنـظُـر لـلـسَّـمـاءِ فـافْـهَـمْ عُـذْرِي ... قـد ضـاق بـرُؤْيَـا قَـمَـرٍ بِـهـا صَـدْرِي
فـي صُـورَةِ مَـن أهْـوَى وَفـي حَـاجِـبِـه ... مـا يُـغْـنِـي عـن هِـلالِـهـا والـبَـدْرِ

أهلُ العربية فَرَّقُوا بين الرُّؤْيا والرُّؤْية، فكنْ مستيقظاً في نظائره؛ فإنها كثيرة في أشعار المتأخِّرين.

ومن بدائعه قوله في مُعَذَّرٍ غَنِمَ الحسنُ روضَ خدِّه النَّضِر، وتَلاقى في جانبيه موسى مع الخِضْر: [البسيط]

يـا حُـسْـنَ حُـمْـرَةِ خـدٍّ زادَ بـهْـجَـتـهُ ... لـونُ الـعِـذارِ الـذي حـارتْ بـه الـفِـكَـرُ
كـأنَّ مـوسـى كـلـيـمَ الـلـهِ آنَـسَـهُ ... حـيـنـاً وجـرَّ عـلـيـه ذَيْـلَـهُ الـخَـضِـرُ

نقله من قول ابن سعيد، صاحب «المُرقص والمطرب»، في نَارَنْجَة نصفها أخضر والآخر أحمر: [البسيط]

وبِـنْـتُ أيْـكٍ دَنَـا مـن لَـثْـمِـهـا قُـزَحٌ ... فـصـار فـي خـدهـا مـن لَـثْـمِـهِ أثَـرُ
يبْدُو بعيْنَيْكَ منها منْظَرٌ عجَبٌ ... زَبَـرْجَـدٌ ونُـضـارٌ صـاغَـه الـمـطَـرُ
كـأنَّ مُـوسـى نَـبِـيَّ اللهِ أقْـبَـسَـهـا ... نـاراً وجَـرَّ عـلـيـهـا ذَيْـلَـهُ الـخَـضِـرُ

وقد ألمع ابن سعيد بمأخذِه من حيث لم يشعُر؛ حيث قال في مكان آخر، من «مُرقصه»: لمَّا رحلتُ إلى دمشق وأبْصَرْتُها، فَتَنَني منظرها، وأكثرتُ القولَ فيها، إلى أن وقعَ لي من قصيدة: [البسيط]

فـي جِـلِّـقٍ نـزلـوا حـيـث الـنَّـعـيـمُ غـدَا ... مُـطـوَّلاً وهْـوَ فـي الآفـاقِ مُـخْـتَـصَـرُ
الـقُـضْـبُ راقِـصَـةٌ والـطَّـيْـرُ صـادِحَـةٌ ... والـنَّـشْـرُ مُـرْتَـفِـعٌ والـمـاءُ مـنْـحَـدِرُ
وقـد تـجـلَّـتْ مـن الـلَّـذَّاتِ أوجُـهُـهـا ... لـكـنَّـهـا بـظِـلالِ الـدَّوْحِ تـسْـتَـتِـرُ
وكـلُّ وادٍ بـه مُـوسـى يُـفـجِّـرُه ... وكـلُّ نَـهْـرٍ عـلـى حـافـاتِـه الـخَـضِـرُ

ولابن فضلِ الله: [م. الرجز]

Marfat.com
Marfat.com

لـلـشّـامِ فـضـلٌ بـاهـرٌ ... بـعِـيـشـهـا الـرّغْـدِ الـنّـضِـرْ
فـي كـل روضٍ يـلـتـقـي ... مـاءُ الـحـيـاة والـخَـضِـرْ

ومن رُبَاعيّاتِه قوله: [الدوبيت]

إمّـا يـمَـنٌ أهـلُ الـهـوى أو قَـيْـسُ ... لـيـسُـوا مـثـلي وإن تـبـاهَـوْا لـيْـسُـوا
لـو أنْـصَـفَـني حـاكـمُـهـم في بُـرَحِـي ... مـا قِـيـسَ بِـمَـن عـنـه تـلاهَـوْا قَـيْـسُ

وكتب إليه أخوه ملغِزاً: [السريع]

يـا أكـمـلاً يـسْـتَـكـمِـلُ الـظَّـرْفَـا ... يـا فـاضـلاً والـفـضـلُ لا يَـخْـفَـى
ويـا شـقـيـقـي مَـن فَـخـارِي بـه ... ومَـن غَـدَا لـي فـي الـورى طَـرْفَـا
أكْـمـلُ مـنـه إن أصِـفْـهُ فـلـي ... أرجَـع مـن أوْصـافـه الـوَصْـفَـا
قـل لـي عـن وَصْـفٍ حـروفٌ لـهُ ... أرْبَـعـةٌ مـا نـقـصَـتْ حَـرْفَـا
إذا وَصَـفْـتَ الـشّـخْـصَ يـومـاً بـه ... فـعـيـنُـه فـي دُبُـرِه تُـلْـفَـى
ولـم يـزلْ يـصـحَـبُ كُـلاّبَـةً ... بـهـا يُـجـيـد الـقـبْـضَ لا الـصّـرْفَـا
ثـانِـيـهِ نـصْـفُ الـعُـشْـرِ مـن ثـالِـثٍ ... وكُـلُّـه لـم يَـبْـلُـغِ الألْـفَـا
يـنـقُـص عـنـهـا بـل وعـن بَـعْـضِـهـا ... ولـم تـكـمّـل نـاقِـصـاً حـلـفَـا
مـوصـوفُـه نـصْـفـانِ فـانـظُـرْ لـه ... نـصـفـاً ولا تـنـظـرْ لـه نِـصْـفَـا
ثـانِـيـهِ مـعْ ثـالِـثِـه فـعـلُـه ... مـتـى يُـشـاجِـرْ عِـرْسَـهُ عُـنْـفَـا
يُـظْـهِـرْ فـي أفـعـالِـهِ خِـفَّـةً ... وهْـوَ لِـثِـقْـلٍ لـم يـغـبْ طَـرْفَـا
كـالـبُـومِ شُـؤْمٌ وهـو إلْـفٌ لـنـا ... فـهـل رأيـتُـم بُـومَـةً إلْـفَـا
أجِـبْ وعـن ذا الـوصْـفِ أوْضِـحْ لـنـا ... لا ذُقْـتَ لـلـدّهْـرِ إذاً صَـرْفَـا

فأجابه ملغِزاً أيضاً: [السريع]

جـاءتْ فـزادَتْ روْضَـنَـا عَـرْفَـا ... بـل قـلّـدَتْ آذانَـنـا شُـنْـفَـا
وأطْـفـأتْ مـن كـبِـدي لَـوعَـةً ... ولـم تـكـنْ مـن غـيـرِهـا تُـطْـفَـا
وهَـيّـجـتْ شـوقِـي إلـى مـاجِـدٍ ... لـم أكُ أبْـغِـي غـيـرَه إلْـفَـا
أعـنِـي شـقِـيـقـي مَـن أرى بُـغْـدَه ... لـلـدّهْـرِ ذَنْـبـاً لـم يـكـدْ يُـغْـفَـى
ذو كـرَمٍ لـو شـامَـهُ حـاتِـمٌ ... عَـضّ عـلـى أنـمُـلِـهِ لَـهْـفَـا
رَبُّ الـمَـعـانِـي والـقـوافِـي الـتـي ... كـالـدُّرْ إذ تَـرْصِـفُـهُ رَصْـفَـا
كـانـتْ كـعـذْبِ الـمـاء عـنـد الـصّـفَـا ... أو كَـلَـمـىً أرْشِـفُـهُ رَشْـفَـا
أو كـوِصـالٍ مـن حـبـيـبٍ وقـد ... أكـثَـر فـي مِـيـعـادِهِ الـخُـلْـفَـا
مُـضَـيِّـعٍ أرْعـاهُ بـيـن الـورَى ... وشـيـمَـةُ الأحْـبـابِ لا تـخْـفَـى

Marfat.com
Marfat.com

أبيتُ أُمْلِي مِن غرامِي له ... كُتْباً ومِن إغراضِه صُحْفَا
يُدِيرُ من ألحاظِه أكْؤُساً ... حمّلها أجفانَه الوَطْفَا[1]
تَسْقِيه رَاحاً مُزِجَتْ من دِمَا ... عَيْني وتسْقِيني الهوَى صِرْفَا
سائلةً عن ساعدٍ لم يزَلْ ... كعَطْفةِ الأضْداعِ مُلْتَفّا
أو كسِوارٍ ضاقَ عن عَبْلَةٍ ... أو كَهِلالٍ كاد أن يَخْفَى
لكن إذا مُدَّت إلى مَرْقَدٍ ... كقامةِ الحِبِّ إذْ تُلْفَى
لا زلتَ تُعطِيها وأمْثالَها ... من راحةٍ كالدِّيمَةِ الوَطْفَا
وبعدُ ما وَصْفٌ له أحْرُفٌ ... أربَعةٌ لم تشتزِد حَرْفَا
أوّلُه سَبْعُ لعشرٍ حوَى ... ثانِيه لا زلتَ له حِلْفَا
إن تُسْقِطِ المفْرَدَ منه يَعُدْ ... جَمْعاً وهذا عنكَ لا يَخْفى
وفعْل أمرٍ تَمَّ فعْلاً لمن ... نارُ غرامِي فيه لا تُطْفَا
إن تقلبِ الثالثَ مَعْ رابِعٍ ... يَكُنْ لموْصوفٍ به وَصْفَا
ثانِيه مَعْ ثالِثه وَصْفُه ... إذ اغتراهُ النَّوْمُ أو أغْفَى
أبِنْهُ لي لا زلْتَ في عِزَّةٍ ... لم تُغْضِ عما رُمْتَه طَرْفَا
والدَّهْرُ عبدٌ لكَ أو قائدٌ ... يُجيبُ مَن عادَيتُهُ طِرْفَا

ومن شعره قوله: [الطويل]

أُسَلِّي فُؤادِي بادِّكارِكَ طامِعاً ... بصَبْرِي وأين الصَّبْرُ مِنْ قلبِ عاشِقِ
وألْوِي ضُلوعي كي أُسَكِّنُ رَوْعَةً ... ومالي بقلبٍ ساكِنِ الجسم خافِقِ
أؤمِّل عَذْباً من رُضابكَ بارداً ... لإخْمادِ جَمْرٍ بين جَنْبَيَّ حارِقِ
فأذكرُ مِن عَذْبِ اللَّمَى مع لَمْعِهِ ... أحاديثَ جِيران العُذَيْبِ وبارِقِ[2]
ففي الصبْحِ صَبْرٌ إن أكُنْ غيرَ ناظِرٍ ... إليه دليلاً إن يكنْ غيرَ طارِقِ
فَوَيْليَ من جسمٍ طَرِيحٍ من الهوى ... وإنسانِ عيْنٍ بالمَدامِعِ شارِقِ

١١- محمد بن علي، المعروف بالحريريّ الحَرْفُوشيّ

هو في المعارفِ نسيجُ وَحْدِه، والآدابِ طلاَّعُ ثَنايا نَجْدِه.

---

(١) سحاب أوطف: في وجهه كالحمل الثقيل، وسحابة وطفاء: بيّنة الوطف كذلك. ا.هـ لسان العرب، مادة /وطف/.
(٢) العذيب: ماء لبني تميم ا.هـ لسان العرب، مادة /عذب/.
١١- هو محمد بن علي بن أحمد المعروف بالحريري وبالحرفوشي العاملي الدمشقي اللغوي النحوي، الأديب البارع، الشاعر المشهور. وله تصانيف كثيرة منها «شرح التهذيب» و «حاشية شرح =

Marfat.com
Marfat.com

عاشَ حِيناً في حانوت ينسِج حلَلا ويُوشّيها، ويُطرّزُ مُتون القَراطِيس بحبْرِ أقْلامه ويُحشّيها.

ولَدَيْه تُنَشَدُ ضَوالُّ اللُّغة والإغْراب، وتقفُ الآراء حيْرَى في محاسِنه بين الإعْجابِ والإغْراب.

فشُدَّتْ نحوَه المَطَايا، وأشْرقتْ فضَائلُه كبِيضِ العطَايا.

وشَفَّتْ ظُرُوفُ حروفِ مَبانِيه، فنمَّت عن سُلَافَةِ لطافةِ معانِيه.

كما نَمَّ الزُّجاجُ على الصَّهْبَا، والنَّسِيمُ عن شَذَا الرُّبَى.

ومع أنه شيخُ الوَقار، له كلماتٌ يُعْصَرُ منها العُقار.

فمن جَارَاه في طُرَف الرِّقَّة، بَعُدَتْ عليه الشُّقَّة.

وكانت لديه مقاصِد، يلوح منها للمُنى مراصِد.

أيّامَ عَيْشه بالمرَّةِ مؤتلِف، والحظُّ غادٍ إليه ومختلِف.

حتى أغْرِيَ الدُّهر بِشَمْلِه ففرَّقه، وأضْرِيَ بِبُرْدِ ائْتِلافِه فمزَّقه.

بسبب غرضٍ نُقِم عليه، وكاد يسوق الحَتْفَ إليه.

فخرجَ مع البَازِيّ إلى بلاد العجَم، وثَمَّتَ طلع كوكبُ إقْبالِه ونجَم.

ودعاه الشَّاه عبَّاس للرئاسة فأجاب، وأراه من كمال التَّقرُّبِ الأُفُقِ المُنْجاب.

فأقامَ والأهواءُ إليه مُنْساقة، إلى أن دَعاه داعِي الحَتْفِ إلى اللَّحْدِ فأجابه وساقه.

وقد أوردتُ له من شعره الذي يباهي الدِّيباج الخُسْرُوانيّ، ما يَسْتَعيرُ اللُّطْفَ منه الرَّاحُ الأرْجُوانيّ.

فمن ذلك قوله مُعمّياً باسم مراد: [م. الوافر]

إذا خُيِّرْتُ بين الثَّغْـ ... ـرِ والصَّهْبَاءِ مِن حِبِّي
أُقَدِّمُ ثَغْرَ مَن أهْوَى ... على ما دارَ بالقلْبِ

وقوله: [م. الرمل]

صَبَّر الرحمنُ صَباً ... ذاق هِجْرانَ حبِيبِهْ

= القواعد» و«نهج النجاة فيما اختلف فيه النحاة» وغير ذلك. قرأ بدمشق وحصل وسما، وحضر دروس العمادي المفتي، وطلبه المولى يوسف بن أبي الفتح لإعادة درسه فحضره أياماً ثم انقطع فسأل الفتحي عن سبب انقطاعه فقيل أنه لا يتنزل لحضور درسك، فكان ذلك الباعث على إخراجه من دمشق، وسعى الفتحي عند الحكام على قتله بنسبة الرفض إليه، وتحقق هو الأمر، فخرج من دمشق إلى حلب هارباً، ثم دخل بلاد العجم فعظمه سلطانها شاه عباس وصيره رئيس العلماء في بلاده، وكان وهو بدمشق خامل الذكر، وكان يصنع القماش العنايات المتخذ من الحرير ولذلك قيل له الحريري، وكان كثير من الطلبة يقصدونه وهو في حانوته يشتغل فيقرؤون عليه ولا يشغله شاغل عن العلم.

وكانت وفاته بديار العجم في شهر ربيع الثاني سنة تسع وخمسين وألف.

والحرفوشي نسبه لآل الحرفوشي، أمراء بعلبك. ا.هـ . خلاصة الأثر (٤/ ٤٩).

Marfat.com
Marfat.com

وحَـــمـــاهُ بَـــزْدُ وَضَـــلِ ... مـنـه مُـطْـفٍ لِـلَـهِـيـبِـهْ
فـلـعَـمْـرِي لـيـس يـذرِي الـ ... ـهَـجْـرَ إلاّ مَـن رُمِـي بِـهْ

وقوله: [الخفيف]

أنَـا واللهِ لا أُبـالِـي وإن ذَمّ ... وإنْ أكـثـرَ الـجَـهـولُ الـسِّـبـابَـا
أنـا كـالـشّـمْـسِ فـي الأنـامِ مـقـامـي ... مُـعْـتَـلٍ لا تـرَى عـلـيـه حِـجـابـا[1]
أدَبِـي مَـفْـخَـرِي وفـخْـرِي عُـلـومِـي ... لا أراه الـنّـجَـارَ والأنْـسـبـابـا[2]

وقوله: [الطويل]

تَرُومُ وُلاةُ الجَوْرِ نَصْراً على العِدَى ... وهيْهاتَ يلْقَى النَّصْرَ غيرُ مُصِيبِ
وكيف يرومُ النَّصْرَ مَن كان خَلْفَه ... سِهامُ دُعاءٍ عن قِسِيِّ قُلوبِ

هذا معنىً تداولتْه الشعراء، والحسَنُ منه قول ابن نُباتَة المصريّ[3]: [الطويل]

ألا رُبَّ ذي ظُلْمٍ كَمَنْتُ لِحَرْبِه ... فأوقعه المقدورُ أيَّ وُقوعِ
وما كان لي إلاّ سهامُ تركُّعٍ ... ودَاعِيَةٌ لا تُتَّقَى بدُروعِ
وهيْهاتَ أن يَنْجُو الظَّلومُ وخلْفَه ... سِهامُ دُعاءٍ مِن قِسِيِّ رُكوعِ
مُرَيَّشَةٌ بالهُدْبِ من جَفْنِ ساهِرٍ ... مُنَصَّلَةٌ أطْرافُها بدُموعِ

ومِن المُنشَآتِ المُبتدَعة: المُحارِبُ إذا شُيِّعَ بالدعاء له فقد أُنْجِد بمدد بل أمْداد، وحُفِظَ ظهْرُه بجُنْدٍ بل أجْناد.

وإذا شُيِّعَ بالدعاء عليه، فقد خرجَ خَلفَه كمينٌ لا يَقْوى له فيَلْقاه، ولا يراهُ فَيَتَوَقّاه.

ولن يَغْلِب عسكرٌ واحدٌ عسكَرين من الدعاء والأعداء، ولن يسلَم مَن أعْوَزَ ظهْرَه مِجَنُّ الضُّعَفاء، ولن يُنْصَرَ في الأرض مَن حُورِبَ من السَّماء.

ومن نُتَفِه قوله في إفْرَنْجِيّ: [الطويل]

بـرُوحِـيَ ظَـبْـيٌ فـاتِـرُ الـطَّـرْفِ أحْـوَرٌ ... رِنَا فرمَى قَلبِي بسهْم من الغُنْجِ
أبتْ مُهْجَتِي الإشْرَاكَ فيه وقد غدَا ... يَرى شِرْعةَ التَّثْلِيثِ واضحةَ النَّهْجِ
فيا قومُ هل فيكُمْ مُعِينٌ على الأسَى ... وهلْ من طريقٍ من قطيعَتِه تُنْجِي
فقد سَامَنِي في الحبِّ ما لا أُطِيقُه ... وأوْقَعَني من زاخِرِ الصَّدِّ في لُجِّي
وبـرَّح بـي حـتـى لـقـد رَقَّ عُـذّلِـي ... وما حالُ مَن أضْحَى بقبْضَةِ إفْرَنْجِي

وكتب إلى صديقٍ له تمرَّض بالحُمَّى: [الخفيف]

أنـا مُـذْ قِـيـل لـي بـأنّـكَ تَـشْـكُـو ... ضُـرّ حُـمّـاكَ زاد بـي الـتّـبْـرِيـحُ

---

(١) الضراء: ما واراك من الشجر وغيره. ا.هـ لسان العرب، مادة /ضرار/.
(٢) النِّجار، والنُّجار: الأصل والحسب. ا.هـ لسان العرب، مادة /نجر/.
(٣) الأبيات في خلاصة الأثر (٤/ ٥٤).

Marfat.com
Marfat.com

أنت رُوحِي وكيف يُلْفَى سَلِيماً جَسَدٌ لم تَصِحّ فيه الرُوحُ

وله: [البسيط]

إنْ أصْبَحَ الوَغْدُ يعلُو فوقَ مَنْزلتِي من غيرِ ما سببٍ يَقْضِي بتَرْجِيحِ
فالنَّقْعُ يعلُو على بِيضِ الكُماةِ كما عَلا الدُّخَانُ على النِّيرانِ مَعْ رِيحِ

أخذه من قول الآخر: [الكامل]

إن يقعُدوا فوقي لغيْرِ نَزاهةٍ وعُلُوّ مَرْتَبةٍ وعِزّ مَكانِ
فالنَّار يعلُوها الدُّخانُ ورُبَّما يعلُو الغُبارُ عَمائِمَ الفُرْسانِ

وله: [البسيط]

أشْكُو إلى اللهِ لا أشْكُو إلى أحَدٍ ما نَابَنِي من صَدِيقٍ يَدَّعِي الرَّشَدَا
صافَيْتُه مِن ضَمِيرِي وُدَّ ذِي مِقَةٍ فاغْتَضْتُ عنه بمَذْقٍ باللِّسانِ غدَا[1]
فَعُدْتُ مِن بَعْدِه والدَّهْرُ ذُو عَجَبٍ لا أصْطَفِي في الورَى لي صاحِباً أبَدَا

وله في الشيخ محمد الجواد الكاظِميّ: [الوافر]

جرَى في حَلْبَةِ العَلْياءِ شَوْطاً بِسَعْيٍ ما عدَا سَنَنَ السَّوادِ
ففَاتَ السَّابِقِين إلى المَعالِي وما هَذا بِبِدْعٍ مِن جَوادِ

وله في إثبات التشوُّق، وحُزْن التفرُّق، وفيه التَّفْريع، من أنواع البديع: [الطويل]

وما ظَبْيةٌ قد بانَ عنها وليدُها فضاقَتْ بها الغَبْرَاءُ ذَرْعاً وبيدُها
وهامَتْ بما لاقَتْهُ من حَرّ وَجْدِها وراحَتْ فلا تدْري إلى أين عَوْدُها
تجوبُ الفَيافِي في الهَجِيرِ فلا ترَى أنِيساً بها يبْدُو سِوَى مَن يُعيدُها
بأحْزَنَ منّي حينَ سَارَتْ مَطِيُّ مَنْ أُحِبُّ ورُوحي في يَدَيْهِ وُجُودُها

وله: [الطويل]

يقولون في الغَلْيون أفْرَطْتَ رَغْبَةً وليس بشيءٍ تَقْتَنِيه وتَخْتَارُ
فقلتُ لهم ما ذاكَ إلاّ لأنّه مُضَاهِيٌ لا تَنْفَكُّ في قلْبِه النّارُ

ومن غزليّاته قوله: م.[الكامل]

رُوحِي الفِداءُ لِشَادِنٍ ذِي نَفْرَةٍ في زِيِّ آنِسْ
سَلَبَ الجُفُونَ رُقَادَها وأثارَ في القلْبِ الوَساوِسْ
وأعارَ مِن سُقْمِ اللّحاظِ لِجِسْمِيَ المُضْنَى الوساوِسْ
وَيْلايَ من جَوْرِ القَوا مِ إذا بَدا كالغُصْنِ مائِسْ
وإذا رَنا فالبِيضُ تُشْـ ـبِهُ فِعْلَ هاتِيكَ النّواعِسْ

(١) المقق: الطول عامة. ا.هـ لسان العرب، مادة /مقق/.

Marfat.com
Marfat.com

يـا لائِـمـاً يَـزْجُـو سُـلُـوّ فَـتَـىً لـه جُـلِـبـتْ هَـواجِـسْ
خَـفِّـضْ عـلـيـكَ فـإنّـنـي مُـغْـرىً لـثَـوْبِ الـسُّـقْـمِ لابِـسْ
أنّـي سُـلُـوُّ مُـتـيَّـمٍ مـن رُوحِـه فـي الـحـبِّ آيِـسْ
يـجِـدُ الـمَـلامَ أَلَـذُّ مِـنْ صَـدِّ الـذي بـالـوَصْـلِ شـامِـسْ
لَـهَـفِـي عـلـى زمـنٍ لـنـا يُـهْـدِي الـمُـناسِـبَ والـمُـجانِـسْ
أيّـامَ كـنـتُ وغُـضْـنُ وُدٍّ ي أخْـضَـرٌ والـصَّـدُّ يـابِـسْ
ومـنـاهـلُ الـلَّـذّاتِ صَـا فٍ وِرْدُهـا مـعَ كـلِّ كـانِـسْ
والـدَّهْـرُ طَـلْـقٌ والـشَّـبِـيـ بَـةُ غَـضَّـةٌ والـرَّبْـعُ آنِـسْ
والـرَّاحُ دَارَ فـلا تَـسَـلْ مَـا حَـلَّ فـي تـلـك الـمـجالِـسْ

وله بعد ما بَعُد عن أوْطانِه، مُتذكِّراً عهْدَ منشئه وقُطّانِه: [الطويل]

فُـؤادُ الـمُـعـنًّـى بـالـتَّـبـاعُـدِ مُـودَعٌ بحَيِّ الذي يَهْوى فلُومُوهُ أو دَعُوا
ففِي قَلبِه مِن لاعِجِ الوجْدِ شاغِلٌ وليس له في العيْشِ بالبُعْدِ مَطْمَعُ
يَوَدُّ بأن يَقْضِي ولَم يقْضِ ساعةً له بالنَّوَى لو كان ذلك يَنْفَعُ
وما باخْتيارٍ منهُ أصبحَ نازحاً وماذا الذي فيما قضى البَيْنُ يصْنَعُ
سَأشْكُو من البَيْنِ المُفرِّقِ بيْننَا إلى اللهِ علّ الله للشَّمْلِ يَجْمَعُ
فجسمي نحيلٌ مُذْ نأى مَن أوَدُّهُ وعيْنِي لطُولِ البُعْدِ لم تَكُ تهْجَعُ
فلو عادَني العُوَّادُ لم يَهْدِهِمْ إلى مَكاني سوى مَا مِنْ أنِينِيَ يُسْمَعُ
ولو عادَ مَن أهْوَى لعادتْ به القُوَى لجِسْمٍ بأثوابِ الضَّنَى يتلَفَّعُ
فيا لَيْتَ شِعْرِي هل أرَاهُ ولو كَرىً وهل ذلك الماضي من العَيْشِ يَرْجِعُ
وهل عَلِمَ الأحْبابُ أنّي مُفارِقٌ جُشاشَةَ نفْسٍ ودَّعَتْ يومَ ودَّعُوا
وهل هُمْ على العهْدِ القَدِيمِ الذي أنا عليه مُقِيمٌ أم لذلك ضَيَّعُوا

وله: [الكامل]

لا بِدْعَ أن أضْحَى الجهُولُ يَدَّعِي مكانَتِي ويدَّعِي التَّرَفُّعا
فالشَّمْسُ أعْلَى مفْخَراً وقد غدَا مِن فَوقِها كِيوانُ أعْلَى مَطْلَعَا

من قول ابن رَشِيق: [الطويل]

بحيثُ يهُون المرءُ يَكْرُمْ ضِدُّه وحيثُ هُبوط الشَّمسِ يُشْرِقُ كِيوانُ

وله: [الطويل]

رَعَى اللهُ أوْقاتاً بها كنتُ أجْهلُ الـ ـفِرَاقَ وأيّاماً بها أُنكِرُ الجَفَا
تقضَّتْ كَلَمْحِ العيْنِ أو زَوْرِ طارقٍ أتَى مُسرِعاً أو بارِقٍ في الدُّجَى خَفَا

Marfat.com
Marfat.com

وأُبْدِلْتُ منها فُرْقَةً وتَشتُّتاً ... وبُعْداً وهَجْراً دائِماً وتَأَسُّفَا
فيَا رَبِّ أَنْعِمْ بالِلّقَاءِ لِمُذْنَفٍ ... وإلاَّ فكنْ بالحَتْفِ يا رَبِّ مُسْعِفَا

وله: م. [الوافر]

حَبانِي الوجدَ والحُرَقَا ... وأودعَ مُقْلَتِي الأرَقَا
وروَّع بالجَفَا قَلْباً ... بغَيْرِ هواهُ ما عَلِقَا
رَنَا بصَوارِمٍ خَذِمٍ ... تَسَمَّتْ بيْنَنا حَدَقَا[1]
حَمَى أوْرادَ وَجْنَتِهِ ... بأسْودِ خالِهِ ووَقَى
ولاحَ بواضِحٍ أضْحَى ... له شَمْسُ الضُّحَى شَفَقَا
له خَضَرٌ بألْحاظِ الـ ... ـوَرَى ما زال مُنْتَطِقَا

تعارض المُتَنَبِّيّ في هذا المعنى مع السَّرِيّ الرَّفَّاء.

فبيتُ المُتَنَبِّيّ قوله[2]: [الوافر]

وخَضرٍ تَثْبُتُ الأحْدَاقُ فيه ... كأنَّ عليه من حَدَقٍ نِطاقَا

وبيت السَّرِيّ قوله[3]: [الطويل]

أحاطَتْ عيونُ العاشِقينَ بخَضرِهِ ... فهُنَّ له دون النِّطاقِ نِطاقَا

وكثيرٌ يظنُّون أن المُتَنَبِّيّ هو المخترع لهذا المعنى، ولا يدرون أنَّه لعليّ بن يحيى، من أبيات تغنَّى بها: [الكامل]

وَجْهٌ كأنَّ البَدْرَ لَيْلَةَ تِمِّهِ ... منه اسْتعارَ النُّورَ والإشْرَاقَا
وأرَى عليه حديقةً أضْحَى لها ... حَدَقِي وأحْداقُ الأنام نِطاقَا

ونقله الشِّهاب الخَفَاجِيّ إلى العِذار، مُضمِّناً مِصْراعَ أبي الطَّيِّب، وأجاد: [الوافر]

عِذارٌ خَطَّ في الوَجَناتِ خَطّاً ... حَوَى كلَّ الأنامِ به وَفَاقَا
ترى الأبْصارَ شاخِصَةً إليه ... وماء الحسن في خدَّيْهِ رَاقَا
تَصَوَّرَتِ العيونُ به فأمْسَى ... كأنَّ عليه من حَدَقٍ نِطاقَا

تتمة القصيدة:

فيا لله من بَدْرٍ ... غَدَا قلبي له أُفُقَا
ألا يا حبَّذا زَمَنٌ ... حَظِيتُ به ونِلْتُ لِقَا
زَمانٌ لم أجِدْ فيهِ ... لِشَمْلِ الوَصْلِ مُفْتَرَقَا

---

(١) سيف خَذِم وخذوم ومخذم: قاطع. ا.هـ لسان العرب، مادة /خذم/ .
(٢) انظر ديوان المتنبي (٢٧٩) وفيه: «تثبت الأبصار فيه».
(٣) ليس في ديوانه، وهو في خلاصة الأثر (٤/ ٤٩).

Marfat.com
Marfat.com

أهِيمُ بسالِفِ حَلَكِ ... وأهْوَى واضِحاً يَقِنِقَا
تولّى مُسْرِعَا عَنَقاً ... ومَرّ كطارِقٍ طَرَقَا
وطَبْعُ الدهرِ لا يَبْقَى ... على حالٍ وإن رَفَقَا
فكُنْ خِلْواً بِهِ فَرِداً ... وسِرْ في الأرضِ مُنْطَلِقَا
وكُنْ جَلْداً إذا ما الدَّهْـ ... ـرُ أبْدَى مَشْرَباً رَنِقَا[1]

وله من قصيدة، أولها: [الكامل]

يا لَيْتَها إذْ لم تَجُدْ بوصالِ ... سَمحتْ بوغدٍ أو بطَيْفِ خَيالِ
جَنَحتْ لِمَا رَقَشَ الوُشاةُ ونَمَّقُوا ... مِن أنّني سَالٍ ولستُ بِسَالِ
ومَدامِعِي لولا زَفِيرِي لم يكَدْ ... ينْجُو الورَى من سَحِّها المُتَوالِي
ونُحولُ جسمٍ واحْتِمالُ مَكارِهٍ ... وسُهادُ جَفْنِي وادِّكارُ لَيالِي
فإلى مَ أظْمَأُ في الورَى ومَوارِدِي ... فيه سَرابٌ أو لُمُوعُ الآلِ
ولمَ اخْتِيارِي عن فُؤادِي كلَّ مَن ... ألْقَى وقَلْبِي عند ذاتِ الخَالِ

أخذَه، ولم يحسن الأخْذ من قول البَاخَرْزِيّ[2]: [الكامل]

قالتْ وقد فَتَّشْتُ عنها كلَّ مَن ... لاقَيْتُه مِن حاضِرٍ أو بادِي
أنا في فُؤادِكَ فارْمِ طَرْفَكَ نحوَه ... تَرَنِي فقلتُ لها وأينَ فُؤادِي
هَيفاءُ رنَّحَها الدَّلالُ فأخجلتْ ... هِيفَ الغُصُونِ بقدِّها المَيَّالِ
في خَدِّها الوردُ الجَنِيُّ وثَغْرُها ... يَحْوِي لَذِيذَ الشُّهْدِ والجِرْيَالِ[3]
حجَبَتْ مُحَيَّاها الجميلَ بِبُرْقُعٍ ... كرَقِيقِ غَيْمٍ فوقَ بدرِ كَمالِ
ونَضَتْ من الأجْفانِ بِيضَ صَوارِمٍ ... فغَزَتْ بهنَّ ولم تُنادِ نَزالِ

وتنزَّه يوماً في روضٍ افْتَرَّتْ بواسِمُهَ، وتعطَّرتْ نواسِمُه.
وتفتَّحتْ أزهارُه، ونطق بُلْبُلُه وهَزَارُه.
فقال يصفِه: [الكامل]

ومَكانِ أُنسٍ قد حَوَى من لُطْفِهِ ... مِنْ كلِّ وصْفٍ رائِقٍ مُسْتَحْسَنِ
فالرِّيحُ تعبَثُ في الغُصونِ تَمايُساً ... والطَّيْرُ تشْدُو باخْتِلافِ الألْسُنِ
فكأنَّهُ الفِرْدَوْسُ أخْرَزَ صَفْوَه ... أملُ النُّفُوسِ ومُسْتَلَذُّ الأعيُنِ

وله في الغزل: [البسيط]

مَن لي بِهَيْفاءَ أذْكَتْ مِن تباعُدِها ... في القلْبِ ناراً ولم تَسْمَح لمُضْناهَا

---

(١) الرَّنِق: تراب في الماء من القذى ونحوه. لسان العرب، مادة /رنق/.
(٢) انظر الملتقط من ديوان الباخرزي (٢). وفيه: «فارم لحظك نحوه».
(٣) الجريال، والجريالة: الخمر الشديدة الحمرة. لسان العرب، مادة /جرل/.

Marfat.com
Marfat.com

وَاهاً لها من فتاةٍ إنْ رنَتْ فعلَتْ ... ما ليس يفعلُه الهِنْدِيُّ عَيْناهَا

ومن جيِّده قوله في الخال: [الخفيف]

قال لي مَن غَدَا إمامَ أُولِي الفضْـ ... ـلِ ورَبَّ المباحثِ الفلْسَفِيَّهْ

إنَّ عندي بُرهانَ حقٍّ على نَفْـ ... ـيِ الهَيُولَى والصُّورَةِ الجِسْمِيَّهْ

قلتُ ما هو فقال شَامةُ حُبِّي ... قد غدَتْ وهْيَ نُقْطَةٌ جَوْهَرِيَّهْ

قلت: هذا جارٍ على رأي المتكلمين في الرَّدِّ على الحُكماء، من أن إثبات النقطة يَستلزِم نفْي الهَيُولَى والصُّورة، وقد حاول محاولةً عجيبة.

ومثل هذا الاسْتعمال - أعني استعمال ألفاظ أهل الكلام والهندسة والنحو - ممَّا قال فيه ابنُ سِنان الخَفاجِيّ: ينْبغِي أن لا يُستَعمَل في الكلام المنْظوم والمَنْثُور.

قال: لأن الإنسان إذا خاض في علم، وتكلَّم في صناعةٍ، وجبَ عليه أن يستعْمِل ألفاظَ أهلِ ذلك العلم وأصحابِ تلكَ الصِّناعة.

ثم مثَّل ذلك بقول أبي تمَّام[1]: [البسيط]

مَوَدَّةٌ ذَهَبٌ أثْمارُها شَبَهٌ ... وهِمَّةٌ جَوْهَرٌ معروفُها عَرَضُ

قال ابن الأثير، في «المثل السائر»: وهذا الذي أنكره هو عَيْنُ المعروف في هذه الصناعة. [مخلع البسيط]

إن الذي تنْكِرَهُون منه ... هُو الذي يشتهيه قلْبي

فقوله: «إن الإنسان» إلى آخره، مُسلَّمٌ إليه، ولكنه شَذَّ عنه أنَّ صناعةَ المنْظُوم والمنْثور مُسْتَمدَّةٌ من كل علم وكلِّ صناعةٍ؛ لأنها موضوعة على الخَوْض في كلِّ معنى، وهذا لا ضابِطَ له يَضْبِطُه، ولا حاصِرَ يَحْصُرُه.

وقال ابن المعتزّ، في كتاب «البديع»: وممَّا يُعابُ على الشُّعراء استعمالُ ألفاظِ الحُكَماء، كالكيمياء، والسِّيمياء، والهَيُولَى.

ولعله كان مَعِيباً في الصَّدر الأوَّل، لأنه لم يُؤْلف استعمالُه، وعلى أمثالنا لا يُعابُ؛ لشيُوعِه، بعد نقل كتب اليونان إلينا؛ فإن اللفظ قد يُعَدُّ فصيحاً عند قومٍ دون آخرين.

ألا تَرَى أن أبا هِلال قال في كتابه «الصناعتين»، الوحشيُّ يُعاب على القَرَوِيّ دون البَدَوِيّ، الذي هو لُغتُه؛ لأنه معروفٌ عندهم. وهذا ممَّا أطلقه أرباب المعاني فاحفظْه.

---

(١) انظر ديوانه (٤٠١).

Marfat.com
Marfat.com

١٢- يوسف البَديعيّ

أديبٌ للبديع من القَوْل منْسوب، وواحدٌ بألفٍ من البديعِ مَحْسُوب.
أطْلعَ الكلامَ باسِقاً، ووافى به دُرّاً مُتَناسِقاً.
وكان خَرَجَ من دِمَشْقَ وعودُه طَرِيّ، وشَرابُه سائِغ مَرِيّ.
لم تَتَقشَّعْ غمامَتُه، ولم تذبل كِمامَتُه.
وعلى قَدْرِ جمالِه، رُزِقَ حظاً من كمالِه.
فدخل الشَّهْباءَ وناسُها أولئكَ النَّاس، وأوقاتُها يوْمَئِذٍ توَدُّدٌ وإيناس.
فَتَبَسَّمَتْ له خلائِقُهم عن شِفاه الصِّباح، وكأنَّما هي الرِّياضُ باح بسرِّها نَفَسُ الصَّباح.
وحَسُنَ في أعيُنِهم حُسْنَ الحَوَر، ووقع في قلوبهمْ وَقْعَ الوَطَرِ.
وما برِحَ أمرُه يرُوقُ ويحْسُن، حتى خَطَبَتْهُ القلوبُ وهَتَفَتْ به الألْسُن.
فصدَحَ بشعره مُتَرنِّماً في نادِيهم، ونالَ بهم مغانِمَ من أيادِيهم.
وجلبَ لهمْ دُرَّ الكلام، فحَلَب منهم دَرَّ الكِرام.
ولمَّا وافاهُم ابنُ الحُسَام مُتَوَشِّحاً بالقضاء، وخليفةً للسَّيف في المَضاء.
وله البسالَةُ التي تَقْتَنِصُ شوارِدَ المعالي وتَفْتَرس، والأرْيَحيَّةُ التي يحْتَمي بها الأملُ من الخُطوبِ ويَحْتَرس.
ووَزَنَهُ بمِيزانِ الاخْتِبار، فألفَاه حَرِيّاً بالاعْتِبار.
فنوَّه به، واعْتَنى بأدَبِه.
ووَلِيَ الشَّامَ فصحِبَه مُلْتَحِفاً بالحُظوة، وواقِفاً مِن تَقَرُّبِه بتلك الرَّبْوَة.
ودخَل بعدَها الرُّومَ لخِدْمَتِه، وتقلَّب دَهْراً في خصائِص نِعْمَتِه.
وباسْمه ألَّف من كتُبِه ما ألَّف، وجارَى في حَوْمَة السَّبْقِ من تَقَدَّمه فما تخلَّف.
وهو في الأدب ممَّن ملك للْبيان عِناناً، وهصَر مِن فنونه المتنوِّعةِ أفْناناً.
إن نَثَرَ فما الدُّرُّ المنثور انْفَصَم نِظامُه، أو نظم فما اللُّؤْلُؤ المشهور نسَّقَه نَظَّامُه.
وله في الفوائد الفرائِد، ما تَنْتَقيه لأوساطِ القلائد الخرَائد.

١٢- هو يوسف المعروف بالبديعي الدمشقي الأديب، الذي زين الطروس برشحات أقلامه. خرج من دمشق في صباه فحلَّ في حلب، فلم يزل حتى بلغ الشهرة الطنانة في الفضل والأدب. وألف المؤلفات الفائقة منها كتابه: «الصبح المنبي في حيثية المتنبي» وكتاب «الحدائق في الأدب». ولي قضاء الموصل.
قال المحبي: ولما رأى كتاب الخفاجي «الريحانة» عمل كتاب «ذكرى حبيب» فأحسن وأبدع، وأطال وأطنب، وأعرب عن لطافة تعبيره، وحلاوة ترصيعه، إلا أنه لم يساعده الحظ في شهرته، فلا أعلم له نسخة إلا في الروم عند الشيخ محمد عزتي ونسخة أخرى عنده توفي بالروم سنة ثلاث وسبعين وألف. خلاصة الأثر (٤/ ٥١٠).

Marfat.com
Marfat.com

وقد رأيتُ جملةً من بدائِعِه فتنزَّهْتُ في حدائق ذاتِ بَهْجَةٍ، ورَوَيْتُ ظَمْآنَ سمعي من فوائده وموارده العَذْبَةِ اللَّهْجَة.

وها أنا أورِد له ما يُغازِل الجفُون الوُسْن، وتأْبَى محاسِنُه إلا أن تُذَكِّرَ بيُوسُف الحُسْن.

فمن ذلك قوله: [الطويل]

رُوَيْداً هو الوجْدُ الذي جَلَّ فادحُه ... وقد بعُدتْ ممّن أُحِبُّ مطاوحُهْ
هوَىً تَاهَتِ الأفْكارُ في كُنْهِ ذاتِه ... ومَتْنُ غَرامٍ عنه يعجَزُ شارِحُهْ
أقِيكَ الرَّدَى هل أنتَ بالقُرْبِ مُنْجِدٌ ... أخا دَنَفٍ لَاحَتْ عليه لوَائِحُهْ
مُعنًّى رثَتْ أعداؤه لنُحُولِهِ ... ورَقَّ له ممَّا يُقاسِيهِ كاشِحُهْ
وليس له خِذْنٌ يُعينُ على الأسَى ... يُطارِحُه شَجْوَ الهوَى ويُطارِحُهْ
يحاوِلُ كِتْمانَ الهوَى وجُفونُهُ الـ ... ـقريحَةُ تُبْدِي ما أكَنَّتْ جَوانِحُهْ
خُطوبٌ أصابَتْهُ لَوَ انَّ ببعضها ... جنِيناً دَرَى في المهْدِ شابَتْ مَسائِحُهْ
رَمَتْهُ يدُ الأيَّام عمْداً بنَأْيِهِمْ ... وضاقَتْ عليه بالتَّجَنِّي فسائِحُهْ
خلِيْلَيَّ حُثَّا أيْنُقَ الرَّكْبِ بي ولا ... تقُولا من الإدْلاجِ كَلَّتْ طَلائِحُهْ[1]
وعُوجا على الرَّكْبِ الذي قد جَهِلْتُمَا ... مَعالِمَهُ تَهْدِيكُمَاهُ رَوائِحُهْ
محلٌّ إليه كلُّ قلبٍ مُشَوَّقٌ ... وتَسْتَوْقِفُ الأحداقَ حُسْناً أباطِحُهْ
يظُن به مَن جَازَهُ حَلَّ مَعْبَداً ... إذا صَدَحَتْ فوقَ الغُصُونِ صَوادِحُهْ
سَقاهُ وَحَيَّاهُ الغَمامُ بَوابِلٍ ... تُباكِرُه أوداقُهُ وتُراوِحُهْ
بِهِ تَرَيَا من لو بدا البدرُ في الدُّجَى ... وأسْفَرَ في دَيْجُوره فهْوَ فاضِحُهْ[2]
جميلاً يُعيرُ الشَّمسَ من نُورِ وَجْهِهِ ... وتَسْبَى بِه مِن كلِّ حَيٍّ مَلائِحُهْ
جبيناً تَهابُ الأُسْدُ سَوْرَةَ وَجْهِهِ ... ويَخْشَاهُ مَن في الدِّرْعِ تُخْشَى صفائِحُهْ
يصُدُّ مُعَنَّاهُ نهاراً وربَّما ... يُوافيه ليلاً طَيْفُهُ فيُصالِحُهْ
له مُقْلَتَا رِيمٍ وما شَامَ غيرَهُ ... جَوارُحُها إلا وذابَتْ جوارِحُهْ
إذا أوْعَدَ الهِجْرانَ وَفَّى وَعِيدَهُ ... وإن وعَد المُشْتَاقَ فهْوَ يُمازِحُهْ
وإن لامَني فيهِ عَذُولِي جَهالَةً ... وقدْ طلَّ مِن دَمْعي على الخَدِّ سافِحُه
فلِي عنه شُغْلٌ بامْتِداحِي مُهذَّباً ... تُزَيِّنُ أبكارَ المعاني مَدائِحُهْ

وقوله من قصيدة، مطلعُها: [م. الكامل]

---

(١) الطلائح جمع طليح، يقال ناقة طليح أسفار: إذا جهدها السير وهزلها. انظر لسان العرب، مادة /طليح/.
(٢) الديجور: الظلمة. لسان العرب، مادة /دجر/.

Marfat.com
Marfat.com

هل للمُتَيَّمِ من نصيرِ ... ومُضامِ وَجْدٍ من مُجيرِ
أو مُسْعِفٍ لِطَلِيقِ دَمْـ ... ـعٍ وهْوَ ذُو لُبٍّ أسيرِ
دَنِفٌ يبِيتُ وبين أجْـ ... ـفانِهِ نارُ السَّعيرِ
لم يَلْقَ إلا الشَّوْقَ والـ ... ـوَجْدَ المُبرِّح من سَميرِ
ويرومُ إخْفاء الهوَى ... والحبُّ من بعدِ الظُّهورِ
أنّى وأدمعه جرَتْ ... في وَجْنَتَيْهِ كالنُّهورِ
يَزْعَى نُجومَ اللَّيْلِ شَوْ ... قاً منه للظَّبيِ الغريرِ
رَشَأٌ كَخَوْطٍ في كَثِيـ ... ـبٍ تحتَ بدْرٍ مُسْتَنِيرِ
يزْنُو فتَفْعَلُ بالعُقو ... لِ لِحاظُه فِعْلَ الخمُورِ
فتَنَتْ مَلاحَةُ وَجْهِهِ الـ ... ـوضّاحِ ربّاتِ الخُدورِ
يَسْتَوقِفُ الأحْداقَ إذْ ... يبْدُو بمنْظرِه النَّضِيرِ
مهما نسِيتُ فلستُ أنْـ ... ـسَى ما مَضَى لي بالغويرِ
إذ زارَ بعدَ إطالةِ الـ ... ـهِجْرانِ في ليلٍ قَصيرِ
وَوَفَى بلا وَعْدٍ وكمْ ... وَعْدٌ يُشابُ له بزُورِ
أخيَى بزَوْرَتِهِ وقد ... تلِفَتْ به رُوحُ المَزُورِ
وأدارَ أكْؤُسَهُ على السَّـ ... ـكْرَانِ من لَحْظِ المُديرِ
راحٌ يُذَكِّرُنا بها ... عَهْدَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ[1]
شمسٌ لها إشْراقُها ... وَقْتَ الهَجِيرِ بلا هَجِيرِ
ضَمِنَتْ وأوْفَتْ أنَّها ... تَنْفِي الهُمومَ من الصُّدورِ
وتُعيدُ أوْقاتَ السُّرو ... رِ بغَيْرِ أوْقاتِ السُّرورِ
فَوَحَقِّ ساحرِ مُقْلَتَيْـ ... ـهِ وما تُكِنُّ من الفُتُورِ
لم أشْتَغِلْ مُذ غاب عنـ ... ـهُ في العَشايا والبُكُورِ
إلا بِمَدْحِ المُصْطَفَى الـ ... ـمنعُوتِ بالحَسَبِ الخَطِيرِ
مَوْلَىَ خَزائِنُ عِلْمِهِ ... في صَدْرِهِ لا في الصُّدُورِ
فاقَ الأوائِلَ بالعُلا ... والفضْلِ في الزمَنِ الأخِيرِ
إن نَمَّقَتْ كَفَّاهُ طِرْ ... سَاً خِيلَ كالرَّوْضِ المَطيرِ

---

(١) الخورنق: اسم قصر بالعراق، فارسي معرب، بناه النعمان الأكبر الذي يقال له: الأعور. لسان العرب، مادة /خرنق/.
السدير: نهر، ويقال: قصر فيه قباب مداخلة. انظر لسان العرب، مادة: /سدر/.

Marfat.com
Marfat.com

تَـغْـسـاً لِـمَـنْ جـارَاهُ فَـهْـ ... وَ بـغـيْـرِ شَـكٌ فـي غُـرورِ
لـم يَـذْرِ أنَّ صِـفـاتِـه ... فـي الـنّـاسِ عـزَّتْ عـن نَـظِـيـرِ
لـو كـان ذا عَـقْـلٍ لَـمَـا ... قـاسَ الـجَـداوِلَ بـالـبُـحُـورِ

وكان بينه وبين السَّيِّد موسى الرَّام حَمْدانيّ مُراجَعات، فكتب بعض الظُّرَفاء عن لسانِه إلى السيِّد قصيدة شهيرة، كالشمس وقتَ الظَّهيرة، واقتضى الأمرُ عدم إخْباره بذلك، فراجعه عنها بقوله: [مخلع البسيط]

يـا دَيـرَ سَـمْـعـانَ ذكَّـرَتْـنِـي ... رسُـومُـكَ الـدُّرَّسُ الـدَّرِيـسَـا
أوْدَتْ بـسُـكَّـانِـكَ الـلَّـيـالِـي ... ولـم تَـدَعْ مـنـهـمُ أنـيـسَـا
فـلا أغَـبَّـتْـكَ غـادِيـاتٌ ... ولا عَـدَتْ رَبْـعَـكَ الـدَّرِيـسَـا
والـنـاسُ مـثـلُ الـرُّسـومِ إلاَّ ... إذا جَـنَـوْا فـاخِـراً نـفِـيـسَـا

فكتب إليه البدِيعِيّ هذه القصيدة: [الخفيف]

لـيس إلاَّ بـالـقُـرْبِ مـا بِـكَ يُـوسَـى ... مِـن جَـوىً دُونَـهُ يُـذِيـبُ الـنُّـفـوسَـا
قـد سَـقَـتْـكَ الأيَّـامُ خَـمـرةَ وَجْـدٍ ... وأدارت مِـن الـبِـعـادِ كُـؤُوسَـا
بَـعَّـدَتْ عـنْـكَ من تُـحِـبُّ وهـذا الـدَّ ... هْـرُ يُـولـي الـفـتَـى نَـعِـيـماً وبُـوسَـا
أيـن أوْقـاتُـكَ الـتـي كـنـتَ فـيـهـا ... لـم تَـبِـتْ مِـن رِضَـا حَـبِـيـبٍ يَـؤُوسَـا
حـيـثُ يـسْـقـيـكَ خَـنْـدَرِيـسَـاً حَـبِـيـبٌ ... ريـقُـه الـعَـذْبُ يَـزْدَرِي الـخَـنْـدَرِيـسَـا[1]
ذُو قَـوامٍ مـا مـاسَ فـي الـرَّوْضِ إلاَّ ... عـلَّـمَ الـغُـصْـنَ قَـدُّه أن يَـمِـيـسَـا
طـالَـمـا زارَ فـي الـدُّجَـى وثُـرَيَّـا ... هُ تُـحاكِـي فـي الـمَـغْـرِبِ الإنْـكِـيـسَـا[2]
غَـلَـسـاً خـوفَ لائِـمٍ والـذي يـكْـ ... ـتـمُ وَصْـلاً يُـحـاوِلُ الـتَّـغْـلِـيـسَـا
فـسـقَـى عَـهْـدَهُ بِـجِـلَّـقَ عـهْـدُ الـدَّ ... مْـعِ مـن مُـقْـلَـتِـي وربـعـاً أنِـيـسَـا
بَـلْـدَةٌ مـا ذكَـرْتُـهـا قَـطُّ إلا ... حَـرَّكَ الـشَّـوْقُ من غَـرامِـي رَسِـيـسَـا
واسْـتـهـلَّـتْ مَـدامِـعِـي كـالـغَـوادِي ... وغَـدَا الـقـلـبُ مِـن جَـواهُ وَطِـيـسَـا
مـنْـذُ فـارَقْـتُ أهْـلَـهـا لـم يَـطِـبْ لِـي ... صَـفْـوُ عـيـشٍ يـخْـبُـو نَـديـمـاً سَـؤُوسَـا

منها: [الخفيف]

مِـن أُنـاسٍ ذَكَـوْا أُصُـولاً وكـانـوا ... مِـن أُنـاس نَـمَـوْا وطَـابُـوا غُـرُوسَـا
نَـصَـرُوا دِيـنَ رَبِّـهِـمْ بـمَـواضٍ ... كـم أذَلَّـتْ جَـحـافِـلاً وخَـمِـيـسَـا
تَـقِـفُ الـنّـاسُ هَـيْـبَـةً ووَقـاراً ... بِـحِـمـاهُـمْ إذا رأوْهُـمْ جُـلـوسَـا

---

(١) الخندريس: الخمر القديمة. لسان العرب، مادة /خندرس/.
(٢) قال في القاموس: والمنكوس في أشكال الرمل: الإنكيس. القاموس، مادة /نكس/.

Marfat.com
Marfat.com

أذْهب اللهُ عنهمُ الرِّجْسَ والفَحْـ ـشَاءَ دُون الأنام والتَّذْلِيسَا

وبعد أن رأى هذه القصيدة المنْحُولة، أخذه ما أقامَه وأقْعَدَه، وملَكهُ ما أزعجه وأكْمَده.

ولم يَبْقَ أحدٌ إلا زارَه واشْتكى، وزأر وبكى.

فكتب إليه معتذراً: [الخفيف]

مَا لِمُوسَى الشَّريف أصبحَ يُبْدِي بعد ذاك الإقْبَالِ هَجْرِي وَصَدِّي
ما كَفَى أنَّه أرادَ لي الكَيْـ ـدَ مِراراً ولم يَنَلْ غيرَ وَجْدِ
زارَ دارَ النَّقِيبِ ذِي الفضْلِ مَن أوْ صافُهُ الغُرُّ تُخْصَى بِعَدِّ
ذِي المَعالِي والمكرُماتِ حِجَازِي مَن غَدَا في الأنامِ مِن غَيْرِ نِدِّ
سَيِّدُ جُودُه لو اقْتَسَمَتْهُ النَّا سُ طُرّاً لم تَلْقَ طالِبَ رِفْدِ
الجليلُ الشَّهيرُ بابْنِ قَضِيبِ الـ بَانِ لا زال لِلوَرَى بَدْرَ سَعْدِ
واشتكى عنده وذمَّ ولكنْ ذَمُّ مِثْلِي مِن مِثْلِه ليس يُجْدِي
شاتِماً مِلْءَ فِيهِ في مَعْرِضِ الهَزْ لِ وَوَاللهِ لم يَرُمْ غَيْرَ جِدِّ
مُنْبِلاً دَمْعَهُ كأنَّ حَبِيباً بعد قُرْبٍ رَماهُ منه بِبُعْدِ
مُبْدِياً من حَرارةِ القَهْرِ ما لَوْ حَلَّتْ الكَوْنَ لم يكُنْ كُنْهَ بَرْدِ
وَبَدَا مُغْرَماً كأن بِشَتْمِي آدَمِيٌّ غَدا بصُورَةِ قِرْدِ
والذي أوْجَبَ التَّخاصُمَ أنِّي كنتُ قِدْماً مَنَحْتُه صَفْوَ وُدِّي
ثم كَلَّتْ قريحتي عن مدِيحٍ فاسْتَعارَتْ له حَدِيقَةَ حَمْدِ
ورآها من بَعْدِ حَوْلٍ وشَهْرَيْـ نِ بدَرْجٍ قد كان مِن قبلُ عندي
فبدَا منه ما بَدا وسَقاني وتَحَسَّى من أكْؤُسِ الذَّمِّ وِرْدِي
وعَلَى كلِّ حالةٍ سيِّدُ الأخْـ ـكَامِ أرْجُو وما سِواهُ تَعَدِّ

ولمَّا دار هذا القول، وهدرَ القوم فيه هَدْرَ الشَّوْلَ.

كتب السيد أحمد بن النَّقيب يُداعِبُ البَدِيعِيّ بهذه الأبيات، المخصوصة هنا بالإثبات.

وهي قوله: [الكامل]

مَوْلايَ يُوسُفُ إن يَقُولُوا سارِقٌ للشِّعرِ فاحْذَرْ أن تضيقَ وتَضْجَرَا
هذا نَبِيُّ اللهِ يوسُفُ قيلَ قَدْ سَرَقَ الصُّوَاعَ وكان قَوْلاً مُفْتَرَى
لكَ من قَرائِدِكَ الشَّوارِدِ شاهِدٌ عَدْلٌ يَرُدُّ الخَصْمَ عنكَ مُحَيَّرَا
فإذا تناشَدَها العداةُ وأبْصَرُوا مِن حُسْنِها ما لم يكُنْ مُتَسَتِّرَا
ذَهلُوا عن الأيْدِي ولكن قَطَّعُوا أكْبَادَهُنَّ تَلَهُّفاً وتَحَسُّرَا

Marfat.com
Marfat.com

وللبديعيّ يُودِّع ابن الحُسَام، حين فارق الشَّام، بعد انْفِصاله عن قضائها، وتوجَّه إلى مرْكزِ عِزِّه، ويعْتذِرُ إليه عن تَخلُّفِه عنه[1]: [الطويل]

أُحاشِيه عن ذِكْرِى حديث وداعِه ... وأُكْبِرُه عن بَثِّه وسَماعِهِ
وما كانَ صَبْرِي عند وَشْك النَّوى على الـ ... ـجَوَى غير صَبْرِ الموْتِ عند نِزاعِهِ
ونحنُ بأُفْقِ الشَّامِ في خِدْمَةِ الَّذي ... يضِيقُ الفضَا عن صَدْرِه واتِّسَاعِهِ
أَجَلُّ حُماة الدِّينِ وابْنُ حُسامِهِ ... وحَامي حِمَى أزْكانِهِ وَقطاعِهِ
عَشِيَّةَ تَوْدِيع المآثِر والعُلَى ... وكلُّ فَخارٍ للْورَى في رِباعِهِ
وما سِرْتُ عن وَادي دِمَشْقَ ولم يَسِرْ ... وسُؤْدُدُه في مُدْنِهِ وضِياعِهِ
سِوَى أنَّنِي لا أرْتَضِي أن أرى به ... سِواهُ على أغْيانِهِ ورِعَاعِه
فأيُّ فُؤادٍ بعد يَوْمِ رَحِيلِه ... غَدَا سالِماً من وَجْدِه وانْصِداعِهِ
فيا أيُّها السَّاري عن الشَّامِ بعْدَمَا ... ثَوَى عَدْلُه في قاعِه وبِقاعِهِ
ويا قادِماً بل راحِلاً عن بِلادِنا ... وفي كلِّ أرْضٍ نَيِّرٌ من شُعاعِهِ
فلا تَنْسَ عبْداً نازِحاً شاعَ ذِكْرُه ... إلى بابِكَ السَّامِي عَلا بانْقِطاعِهِ
ومَن كانَ للأُسْدِ الضَّوارِي انْتِماؤُه ... له غُنْيَةٌ في دَهْرِه عن ضِيَاعِهِ
وأنْتَ الذي نَوَّهْتُ من قبلُ باسْمِه ... وأبْقَيْتُ ذِكْراً خالِداً باصْطِناعِهِ

وله من قصِيدة، يمدح بها النَّجْمَ الحَلْفَاوِيّ، مطلعها: [الطويل]

أتى زائِراً وَهْناً ولم يخْشَ عاذِلاً ... ونورُ ذُكاء الأُفْقِ سار مَراحِلا
وجادَ بِما لو رُمْتُه من خيالِه ... لكان لما أوْلَى مِن الوَصْلِ باخِلا
حبيبٌ لَو اَنَّ البَدْرَ أصْبَحَ حائِزاً ... ضِياء مُحيَّاهُ لما زال كامِلا
رَشِيقٌ كخُوطِ الخَيْزُرَانِ ما انْثَنَى ... وما مالَ إلا وانثنى القلبُ مائِلا
يُحرِّكُ بالأغطافِ أجْنِحَةَ الهوَى ... إذا حرَّكَتْ من فَوْقِهِنَّ الغلائِلا
فبِتُّ أُعاطِيهِ سُلافَ مُدامةٍ ... تَرُدُّ الدِّياجِي من سَناهُ أصائِلا
إذا بَزَغَتْ مِن رَاحَتَيْهِ بَدَا مِنَ السِّـ ... ـرُورِ لنا ما كان من قَبْلُ آفِلا
إلى أن نَضَا ثَوْبَ الشَّبابِ الدُّجَى وقَدْ ... غدتْ زُهْرُه إلا قليلاً أوافِلا
وذو الرَّعَثاتِ الحُمْرِ هَبْ كأنَّما ... عليه ضِياءُ الفَجْرِ شامٌ مناصِلا

الرَّعثات: جمع رَعْثة، ورعْثَة الدِّيك: عثْنونُه.

قال الشاعر: [البسيط]

---

(١) الأبيات الست الأولى في خلاصة الأثر (٤/ ٥١٠).

Marfat.com
Marfat.com

..... من صوتِ ذي رَعَثَاتٍ ساكِنِ الدّارِ[1]
فكبّر مَولاهُ وهلّلَ إذْ رأى هَزِيعَ الدُّجَى الزُّنْجِيّ أدبر راحِلا
وقام بِجَيْشٍ مِن ذَوِيهِ كأنّه وإياهم كِسْرَى يحُثُّ القَبائِلا
على قُضُبِ العِقْيانِ يَمْشِي مُجَلْبَباً جَلالِيبَ مثْلَ الرَّوْضِ ما زالَ حافِلا
فَسِرْنا إلى نادٍ رَحِيبٍ سماؤُه تُرِيكَ بُدُوراً مُشْرِفاتٍ كَوامِلا
إلى مَنْزِلٍ لِلأُنْسِ فيه منازلٌ بِهِنَّ غَدَا حُسْناً يفُوقُ المنازِلا
حكَى دَنِفاً أحْشاؤُه قد تَضَرَّمَتْ بنارِ الأسَى لو كان يشكُو البَلابِلا
به يبْذُلُ الحسنَ المصُون لمن بِه وفي غيره لو كان ما كان باذِلا
نَرى جُذْرَه كالعَاشقين من الجَوَى غُدَاةَ النَّوَى تُبْدِي دُموعاً هَواطِلا
لقد شادَهُ نَجْمُ الهدايةِ واحدُ الـ أفاضِلِ في الشَّهْباءِ طَوْلاً ونائِلا

منها في المديح:

وكم نَمَّقَتْ أفكارُه غَلَسَ الدُّجَى رياضاً سقَاها الفضْلُ طَلاًّ وَوَابِلا
حدائقُ لم يكْسُ الهجيرُ نَظِيرَها ذُبُولاً وقد تلْقى الرِّياضَ ذَوابِلا
عَرائِسُ تلْقاها بضَافِي ثِيابِهَا فإنْ لاحَ ما فيهنَّ قُلْتَ ثَواكِلا
تُجِيبُكَ عَمَّا رُمْتَ وَهْيَ صَوامِتٌ ومَن ذَا رَأى خَرْسَا تُجِيبُ المُسائِلا
بدائعُ فِكْرٍ للأواخِرِ وَطَّدَتْ مَحَاسِنَ ذِكْرٍ تسْتقِلُّ الأوَائِلا

ألمَّ في هذه القطعة بقول السَّرِيّ الرَّفَّاء، في وصف الكتب[2]:

عِنْدي إذا ما الرَّوضُ أصْبَحَ ذَابِلاً تُحَفّ أغَضُّ من الرياض شمائِلا
خُرْسٌ يُحَدِّثُ آخِرٌ عن أوّلٍ بِعجائِبٍ سَلَفَتْ وكُنَّ أوَائِلا
سُقِيَتْ بأطرافِ اليَراعِ ظُهورُها وبُطونُها طلاً أجَمَّ ووَابِلا
وتُرِيكَ ما قَدْ فاتَ مِنْ دَهْرٍ مَضَى حتَّى تراه بِعَيْنِ فِكْرِكَ ماثِلا

وله في الشَّيْب: [المنسرح]

يقولُ لِي الشَّيْبُ وقد راعَنِي منه سَناً قد أبادني الوَسَنَا
إلامَ لا تَرْعَوِي أَلَسْتَ تَرَى قد لبستْ كلُّ شعرةٍ كَفَنَا

وله فيه أيضاً: [الطويل]

---

(١) وهو عجز بيت للأخطل، وصدره:
ماذا يؤرقني والنوم يعجبني .....
انظر الحيوان (٢/ ٣٤٦)، واللسان (ر ع ن) (٢/ ١٥٢).

(٢) انظر ديوان السري الرفاء (٢١٣) والبيت الثاني فيه:
خُرْسٌ تحدّثُ آخراً عن أوّلٍ عجائبٍ سلفت ولَسْنَ أوائلَ

Marfat.com
Marfat.com

وسائلةٍ حالي وقد وَدَّع الصِّبَا ولاحَتْ نُجُومُ الشَّيْبِ في الرَّأْسِ تُزْهِرُ
وما حالُ مَن يَغْدُو ومِن فَوْقِ رأسِهِ مدَى عُمْرِه لا زالت البِيضُ تُشْهَرُ

١٣- محمد بن نور الدين الشهير بابنِ الدَّرَّا

هو لمشامِّ الأرواحِ شَمَّامة، وكأنَّه زَهْرَةٌ تفتَّحتْ عن كِمامَة.
بزَغ في أُفق دِمَشْقَ وبها برع، وما أتحقَّقه إلاَّ في بَحْبوحَةِ التَّرفِ تَرَعْرَع.
فمرَّة يتَشبَّه بالبَدْرِ إذا أقْمَر، وتارةً يتمثل بالغُصْنِ إذا أثْمَر.
وهو في لطف الشَّمائل، بمثابةِ نَوْرِ الخمائِل.
ترَقْرق عليه ماءُ القَبُول، فنَظَم ما هو أرَقُّ من نَسِيم القَبُول.
وشِعْرُه يكاد من كَثْرَةِ مَائِهِ يتقَطَّر، ويكادُ القلبُ من غَراميَّاتِه يَتَفَطَّر.
ولأجْلِ أنَّه من أشْعارِ الصِّبَا، وهي كما قيل: «التَّمْرُ باللِّبَا».
رَقَّ رِقَّة دِين الفاسِق، وشَقَّ عليه قلْبَه العاشِق.
وأنا من منذ وَلِعْتُ بالشِّعر، وساوَمْتُ منه في سُوقِ الرَّقيق كلَّ غالي السِّعْر.
[الكامل]

شَغِفٌ به وبِشِعْرِه شَغَفَ المحبِّ بمن يُحِبُّ

أتَفَكَّه بيانِع ثَمرِه، وأُعُدُّه من لَيْلِي ومن سَمَرِه.
وقد أتيْتُ منه بما أسال في وَجْنَة الدَّهْرِ غُرَّةً، ماءُ الحُسْنِ فيها مُتَرَقْرِق، وحَسْبُكَ مِن شِعْرٍ إذا ما غُنِّيَ به النَّبْتُ الهَشِيمُ يُورِق.
فمنه قوله من قصيدةٍ، مطلعها: [الكامل]

ساقٍ أغَنُّ وَرَوْضةٌ غَنَّاءُ ومُدامة كَرْخِيَّةٌ صَهْبَاءُ
يَسْعَى بها طَوْراً ويَجْلس تارَةً فَيُدِيرُها مِن لَحْظةِ الإيماءُ
رشَأٌ تَجَاذَبَتِ المحاسِنُ خَلْقَهُ حتى لوَدَّتْ أنَّها أعْضاءُ

١٣- هو محمد بن نور الدين المعروف بابن الدرا، الشافعي، الدمشقي، الأديب، الشاعر المطبوع، كان من أنبل أبناء وقته، فاضلاً، ممتع المحاضرة، مغرماً بالجمال، كثير الهيام و التعشق، ولهذا رق شعره وعذب موقعه. قرأ العربية على النجم محمد بن يحيى الغرضي، وحضر دروس النجم الغزي، وكان قبل ذلك حضر دروس الشيخ عبد الرحمن العمادي، وتفوق من حين نشأته. ورحل إلى القاهرة وأخذ بها عن الشيخ سلطان ومن عاصره، ثم حج وجاور، وأخذ بمكة عن ابن علان الصديقي، وتكرر له بعد ذلك السفر إلى مصر، ومدح بها الأستاذ محمد بن زين العابدين البكري بقصيدتين، ثم حج وجاور بمكة، وعمل بها شرحاً على «سقط الزند» لأبي العلاء المعري وجعله برسم الشريف زيد بن محسن، وصدره بقصيدة من نظمه، ثم أدركه المرض بمكة ولم يكمل الشرح.
وكانت ولادته في سنة ثمان وعشرين بعد الألف، وتوفي سادس شهر رمضان سنة خمس وستين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير. ا.هـ . خلاصة الأثر (٤/ ٢٤٩).

Marfat.com
Marfat.com

خَطَّارُ قامتِه الرَّطِيبةِ ما انْثَنَى ... إلا استلذَّتْ فَتْكَةَ الأَحْشاءُ
وشمُوسُ طَلْعةِ حُسْنِه مُذْ أسْفَرَتْ ... حَمِدَتْ أُفُولَ عقولِها العقلاءُ
في جُنْحِ طُرَّتِهِ وصُبْحِ جَبِينِهِ ... نِعْمَ الصَّبَاحُ وحَبَّذَا الإمْسَاءُ
أفْدِيهِ إنْ أخَذَ الطِّلا منْهُ وقَدْ ... دَعَتِ الكرَى أجْفانُهُ الوَطْفَاءُ
يَخْبُوكَ مِن تُحَفِ الحديثِ لطائِفاً ... هِي عِنْدِيَ الأكْوابُ والنُّدماءُ

منها:

حتَّى إذا أذْكَى الحياءُ بخَدِّهِ ... لَهَباً بِه تتلَهَّبُ الأحْشَاءُ
واحمَرَّ قلْبُ عقاربِ الصُّدْغَيْنِ وانْـ ... ـهلَّتْ بلُؤْلُؤِ عقْدِها الجَوزَاءُ
فوقَفْتُ أخْيَرَ من مَناطِقِ خَصْرِهِ ... مُتَوَسِّلاً ودُعائِيَ اسْتِصْحَاءُ
فانْزاحتِ الجوْزاءُ نَحْوَ غُروبِها ... وبَدا لشَمْسِ جَبِينِهِ لألاءُ
ورَنا إليَّ مُلاطِفاً بعِتابِه ... ويزِينُه أدبٌ له وحَياءُ

منها:

فَوَحَقِّ إفْحامِي بما أمْلاهُ لِي ... ولأنَّني تعنُو لِيَ الفُصَحاءُ
لم أعْدُ ما أسْدَتْهُ لي حَسَناتُهُ ... أنِّي وكُلِّي في هَواهُ وَفاءُ
لا بَلْ عَلَيَّ من العَفافِ وصَوْنِهِ ... وعُلُوِّ مَنْصِبِ حُسْنِه رُقَباءُ
ما ثَمَّ غَيرُ تلاثُمٍ وتعانُقٍ ... ويَهَيَّ مَفْرَشُ جِيدِه وغِطاءُ
وفَمِي على فَمِهِ وأشْكُوه الظَّمَا ... ظَمَأً جَنَاهُ لِقَلْبِيَ الإزْواءُ
حتَّى إذا أفْضَتْ أفَاوِيهُ الصَّبَا ... وأتَتْ تُكَلِّلُ ذَيْلَها الأنْدَاءُ
وبدَا الكرَى يَسْطُو عَلىَ إحْساسِهِ ... ورَقَى إلى أجْفانِهِ الإغْفَاءُ
عَطِسَ الصَّباحُ فهَبَّ يمسحُ نَغْسَةً ... لم يَشْفِهَا مِن مُقْلَتَيْهِ لِقاءُ

قلت: قال المَرْزُوقِيّ في «شَرْح الفصيح»: عطِس: فاجَأ من غيرِ إرادة، ومصدرُه العَطْس، والعُطاس الاسم، جُعِل كالأدواء.

يقال: أرغم الله مَعْطِسَه.

وعطِس الصبحُ والفَجْرُ، على التشبيه.

قلت: كما في قَوْل ابن الوَرْدِيّ[1]: مخلع [البسيط]

قلتُ له والدُّجَى مُوَلٍّ ... ونحنُ في الأُنْسِ والتَّلاقِي
قد عَطِسَ الصُّبْحُ يا حَبِيبي ... فلا تُشَمِّتْهُ بالفِراقِ

(١) انظر ريحانة الألبا (٣/ ١٨١).

Marfat.com
Marfat.com

ومثله عُطاس الدَّهر، كما في قول الغَزِّيّ[1]: [البسيط]

كم من بكُورٍ إلى فَخرٍ ومَنْقَبَةٍ ... جَعَلْتَهُ لعُطاسِ الدَّهْرِ تَشْمِيتا

وله من أبيات، أولها: [الطويل]

عطفْتُ على وُدِّ الهوَى وَوُلاتِهِ ... وأخلَصْتُ أسرارِي لِحَفْظِ إخائِهِ
وما ذاكَ إلا أن حَبانِي بشَادِنٍ ... يُقطِّعُ أكْبَادَ الجفَا بوَفائِهِ
رَخِيمُ مَعانِي الدَّلِّ أدْمَثُ مِن رُوَا ... نَعِيمِ خُدُودِ الغانِياتِ ومَائِهِ
سَقيمُ حَواشِي الطَّرْفِ والخَصْرِ عَزَّ أنْ ... يَلوحَ لِرَأْيِ العَيْنِ بَنْدُ قِبائِهِ
غُلامٌ كأنَّ اللهَ ألْبَسَ خَدَّهُ ... لِشامَ وُرودٍ مُذْهَباً بحَيائِهِ
وأوْدَعَ جَفْنَيْهِ من السِّحْرِ صَارِماً ... تلوحُ المنايَا منهُ عنْدَ انتضائِهِ
فكم مِن فُؤادٍ في وَطِيسِ غَرامِهِ ... جريحٍ به مَخْضُوبَةٍ بدِمائِهِ
ولِلْحُسْنِ بل للهِ بانَةُ قَدِّهِ ... إذا عَبَثَتْ فيها طِلا خُيَلائِهِ
يُصوِّبُها نَحْوِي فيُوهِمُني المُنَى ... أداءَ سَلامٍ خَصَّنِي بأدائِهِ
وما هُوَ إلا أن تَحقَّقَ أنَّ لِي ... بَقِيَّةَ رُوحٍ سَلَّها بانْثِنائِهِ
إلى اللهِ أشْكُو أزْمَاً فَوقَ جِيدِهِ ... يجُوسُ خلالَ الفكْرِ حالَ اختِفائِهِ
ومهما بدَا مِن وَكْرِه وهْو يَلْتَوِي ... لوَى كُلَّ عُضْوٍ مُسْتَهاماً بدَائِهِ

وله من قصيدةٍ في الغزل، مُسْتَهَلُّها: [الطويل]

إليْكَ شقِيقي في الصَّبابَةِ أنْدُبُ ... أوَاناً بِهِ كُنَّا نَلَذُّ ونَطْرَبُ
أوانَ امْتَطَيْنَا فوق زَهْوٍ مُضَمَّراً ... له قَصَباتُ السَّبْقِ أيَّانَ يَلْعَبُ
حملْنا على جَيْشِ الهُمُومِ فلم نَدَعْ ... به منه إلا ما يُوارِيهِ مَهْرَبُ
ولا رُمْحَ إلا مِن قَوامٍ مُهَفْهَفٍ ... ولا سَهْمَ إلا ما أرَاشَتْهُ أهْدُبُ
ولا مُزْهَفٌ من غيرِ سَاجٍ مُدَعَّجٍ ... ولا دِرْعَ إلا ثَوْبُ حُسْنٍ مُذَهَّبُ
نُصِرْنا به مذ مَنَّ بالوَصْلِ شادِنٌ ... صَدُوقُ الأمَانِي في تَرَجِّيهِ يَكْذِبُ
رَقِيقُ حَواشِي الحُسْنِ لَوْلا مَهابَةٌ ... له كاد بالألْحاظِ حاشاه يُنْهَبُ
لِطَلْعَتِهِ في كلِّ قلبٍ مَشارِقٌ ... ولِلْعقْلِ منها حِينَ تُشرِقُ مَغْرِبُ
خبيرٌ بأحْكامِ الهوَى فَجَمِيعُ مَا ... يُنَمْقُهُ الوَاشِي لَدَيْهِ مُكَذَّبُ
وإذْ كانَ مَجْبُولَ الخِلالِ على الوَفا ... خَلِيلُكَ فالّلاحِي عليه مُعَذَّبُ

وله مُضمّناً بيت المِهْيار: [الطويل]

فُتِنْتُ به والصُّبْحُ من فَرْقِ شَعْرِهِ ... بَدَا ولِشَمْسِ الرَّاحِ فيه غُرُوبُ

---

(١) انظر ريحانة الألبا (٢/ ١٨٠) وفيه: «إلى إحراز منقبة».

Marfat.com
Marfat.com

فكِدْتُ لِمَا شَاهَدْتُ لولا طُلُوعُها ... بِمَشْرِقِ أُفْقِ الخدِّ منْهُ أُذُوبُ
ولولا طُلوعُ الشَّمْسِ بعد غُروبِها ... هَوَتْ معَها الأرْواحُ حينَ تَغِيبُ

وله مُضمِّناً: [البسيط]

لقد عَلِقْتُ بِبَدْرٍ زَانَهُ حَوَرُ ... في مُقْلَتَيْهِ به يسْطُو على المُهَجِ
وأهْلُه لم تَزَلْ تُغْرِيهِ في تَلَفِي ... وكُلَّما زادَ تِيهاً زادَ بي وَهَجِي
فلْيَصْنَعُوا كُلَّما شاؤوا لأنْفِسُهِمْ ... هُم أهْلُ بَدْرٍ فلا يَخْشَوْنَ مِن حَرَجِ

تذكَّرْتُ هنا قول أيْمن بن محمد السَّعدِيّ، من مُوَشَّح أودع فيه هذا البيت: [المجتث]

لَولا هواكَ المُرادُ ... ما كُنْتُ مِمَّن يُصادُ
ولا شَجانِي البِعادُ ... يا بَدْرُ أهْلُكَ جَادُوا
غَلِطْتُ جارُوا وزادُوا ... لكِنَّهم بكَ سادُوا
فلْيَفْعَلُوا ما أرَادُوا ... فإنَّهم أهْلُ بَدْرِ

ومن مبدعاته قوله: [المنسرح]

ليس إلى الكِيْمِياءِ مُنْتَسِباً ... مَن باتَ مِن حَرِّ نارِها موهَجْ
حتى اسْتحالتْ أجزاؤُها ذهباً ... بل مَن يعيد العَقِيقَ فَيْرُوزَجْ

قلت: للهِ دَرُّه، ما أبدع دُرَّه!

وقد أخذ هذا المعنى شَيْخُنا عبد الغَنيّ النَّابْلُسِيّ، فقال: [الكامل]

قُولُوا لأهْلِ الكِيمِيا إنْ تدَّعُوا ... جَعْلَ اللُّجَيْنِ كما زَعَمْتُمْ عَسْجَدَا
باللهِ هل في وُسْعِكُمْ أن تَصْبِغُوا ... حجَر العَقِيقِ فتَجْعَلُوهُ زَبَرْجَدَا

وللإشْبِيليّ ما يقارب هذا في نار: [الخفيف]

لابْنَةِ الزَّنْدِ في الكَوانِينِ جَمْرٌ ... كالدَّرارِي في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ
خَبِّرُونِي عنها ولا تَكْذِبُونِي ... أسِوَاها يكونُ للكِيمِيَاءِ
سَبَكَتْ فَخْمُها صَفائِحَ دُرٍّ ... رَصَّعَتْها بالفِضَّةِ البَيضاءِ

وله خمسة أبيات، كالخمسة السَّيَّارات، يخرج من أوائلها اسم عثمان، وهي: [الطويل]

على كلِّ عُضْوٍ فِيَّ دَارَتْ لِحاظُهُ ... كُؤُوسَ غَرامٍ قدْ مُلِئْنَ من السِّحْرِ
ثَمِلْتُ بها وَجْداً ولم أصْحُ صَبْوَةً ... فها أنا بَيْنَ الصَّحْوِ حَيْرانُ والسُّكْرِ
مَعَاذَ الهَوى أنْ يُرْتَجى مِن يَدِ الهوَى ... خَلاصِي وأنْ يُقْضَى بِغَيْرِ الهوَى عُمْرِي
أإن كان لي عَنْ مَذْهَبِ الحُبِّ مَذْهَبٌ ... فَلا بَرِحَتْ رُوحِي تُعَذَّبُ بالهَجْرِ
نَعِمْتُ بهذا العَيْشِ والموتُ دُونَه ... إذا كان يُرْضِيهِ ولو كُنتُ في أَسْرِ

Marfat.com
Marfat.com

وله من رائية مُلِئتْ بنَوافِثِ السِّحْر، وغازَلَتْ عُيونَ المَهَا بين الرُّصَافَةِ والجسْر: [الطويل]

أمَا وظُبَا الألْحاظِ أزْهَفَها السِّحْرُ ... وجَالَ فِرِنْداً في جَوانِبِهَا الخَمْرُ
فَصالتْ بِفَتْكٍ جاوَزَ الحدَّ حَدُّها ... على أنَّها مَرْضَى وأجْفانُها فُتْرُ
وزَانَةِ قَدٍّ ثَقَّفَتْهَا يَدُ الصِّبا ... ولم يُثْنِها إلا مِن الصَّلَفِ السُّكْرُ(١)
فجارَتْ عل الأحْشاءِ فَتْكاً وإنها ... لَعادلةٌ بل لا يُلِمُّ بها وِزْرُ
وعَهْدٍ بأيْدِي الوَصْلِ كان لنا بِهِ ... مبايَعةٌ حيَّى مَرابِعَهُ القَطْرُ
وحَقِّ مَواثِيقِ الهوَى بيْن أهْلِهِ ... وعَذْبِ إشاراتٍ لهم دونها السِّحرُ
لقد وَضَحَتْ للحُسْنِ في التُّرْكِ آيَةٌ ... على مَن عَداهُمْ مثلَ ما ابْتَسَمَ الفَجْرُ
فكَمْ فيهمُ من كل أحْوَرَ إن رَنا ... أصَابَ فُؤادَ النُّسْكِ يَتْبَعُهُ الصَّبْرُ
له حَرَكاتُ الظَّبْيِ يَمْرَحُ عابِثاً ... ويَمْشِي الهُوَيْنَى ثُمَّ يُدْرِكُهُ النَّفْرُ
وذي طُرَّةٍ من فوق صَلْتٍ كأنها ... حَواشِي الدُّجَى قد عَنَّ من تحتها البدرُ
تُبدِّدُها منه الرُّعُونَةُ غافِلاً ... ولكن على تَبْدِيدِها جُمِعَ الشَّرُّ
وَخَصْرٍ ولكن لا مُسَمَّى لكُنْهِهِ ... مَناطِقُه حَيْرَى وما تَحْتَها مُرُّ
يُناجِي مَعَانِيهِ الدَّفِينِ من الهَوَى ... فيَنْهَضُ مِن بعد المماتِ له نَشْرُ
تعَلَّقْتُهُ مِن بَعدِ ما انْدَمل الحشَا ... ولم يبْقَ نَهْيٌ للغَرامِ ولا أمْرُ
فيَا وَيْحَ هذا القَلْبَ كم طعَن الهَوَى ... ويَعْلَمُ أنَّ الحُلْوَ منه هو المُرُّ
فيا رَبِّ إمَّا لَجَّ في غُلُوائِهِ ... فَصَبِّرْهُ لِلْبَلْوَى فقد بَرَّحَ الضُّرُّ(٢)

وجمعتْه مع مليحٍ ليلة، يشتهي الفَلَكُ في شبهها نَيْله.

والمجلسِ بتزاحُم الرُّقباءِ شَرِق، وكلٌّ منهم من فَرْطِ غَرامِهِ صَبٌّ أَرِق.

فَلاحَتْ منَ المَلِيحِ إيماءةُ مُفْتقِد، أعْقَبَتْها وَجْلَةٌ مِن ناظِرٍ منْتَقِد.

فلم يتمالَك الشيخُ أن صوَّب النَّظَر، حتى كاد يُفْضِي به الأمْر المُنْتَظَر.

فلمَّا اسْتَشْعَر الغُلامُ عَطَف عَطْفَةَ مُشْفِق، وأراه ضِمْنَ إغْضائِهِ موعدَ مُرفِق.

مُشيراً للكُتْمان تارةً بانْطِباقِ جَفْنٍ مُلِئَ سِحْراً، وآوِنَةً بإظْهارِ ثنايا أبانَتْ فوقَ ياقُوت الشَّفاهِ دُرّاً.

فقال: [السريع]

قلتُ له والهوَى بيْنَنا ... يطوفُ بالكأسِ الهَنِيِّ المَرِي

---

(١) الصَّلَف: مجاوزة القدْر في الظَّرف والبراعة، والادعاء فوق ذلك تكَبّراً. ا.هـ لسان العرب، مادة /صلف/.

(٢) غلواء الشباب: أوله وشرته. ا.هـ لسان العرب، مادة / غلا/.

Marfat.com
Marfat.com

اكْفُفْ حُسامَ اللَّحظِ عن مُهْجَةٍ ذابَتْ لِرَيّا رِيقِكَ السُّكّرِي
فأغْمَد الهِنْدِيَّ مِن جَفْنِهِ ورصِّعَ الياقُوتَ بالجَوهَرِ

وله، ويخرج منه اسم بكري بطريق التعمية: [الطويل]

لَوَى وَاوَ صُدْغٍ خالَهُ الخَالُ عَقْرَباً أصاب بها كبدِي الصَّدِيعَ ولا يَدْرِي
ولا بُدَّ مِن رَشْفٍ يبُلُّ غُصُونَها فما شَفَّ قلْبي غَيْرُ مَنْعِ لَمَى الثَّغْرِ

طريقة حَلّه، أن الواو بالحساب الهنديّ بستّة، وترسم هكذا ٦ وأراد بلَيِّها قلْبَها، فتصير هكذا ٢، وهذا رسم الاثنين، وله الباء.

وأراد بقوله «كبدي» ولا بُدّ، الكافَ والياء؛ و «رشفٍ يبلُّ غُصونَها» الرَّاءَ، بالتَّنْصِيص عليه بقوله: «فما شفَّ».

وكونُ العمل في البيت الأوّل دون الثاني، أو الآخر، أو فيها، مما يُعاب عند أهل هذا الفن. [الطويل]

لكَ اللهُ دَعْنِي مِن حدِيثكَ إنَّه مَتَى غِبْتَ تَشْقَى مِن سِوَاهُ المسَامِعُ
وصُنْ رَوْنَقَ الوجه البديعِ جمالُه فإنْ لُحْتَ حَاضَتْ في الجُفُونِ المَدامِعُ

المعنى: أنّك إذا لُحتَ سالت العيونُ دَماً؛ لِشِدَّةِ شَغَفِها بك، ففيه اسْتعارة تَبَعيَّة أو مَكْنيَّة.

شبَّه المدامعَ بالنِّساء، والمرأةُ إذا اشْتَدَّتْ شَهْوَتُها وأفْرَطَتْ سال حيْضُها.

وأصلُه قول المُتَنَبِّيّ[1]:

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذا الجمالَ بِبُرْقُعٍ فإنْ لَحْتَ حاضَتْ في الخُدورِ العَواتِقُ

والعواتق: هي الشَّوَابُّ من النِّساء.

وله: [الطويل]

لِحاظٌ كأنَّ اللهَ أوْدَعَ جَفْنَها حَياةً لأربابِ الهوَى ومَلاكَا
إذا فَوَّقَتْ سَهْماً يَخُطُّ دَمُ الحشَا عَلَى نَصْلِهِ أهْلاً جُعِلْتُ فِداكَا

وله: [المتقارب]

رأت نَمْلَ عارِضِه مُقْلَتِي تحومُ على الثَّغْرِ من غيرِ نَهْلِ
فسَالَتْ دَماً ثم قالتْ لَنَا ذَبَحْتُ كَرَايَ على بَيْتِ نَمْلِ

وله: [الطويل]

وقد زَعَمُوا أنَّ القُلوبَ بحَبَّةٍ تُصادُ وقالُوا إنَّها حَبَّةُ الخَالِ
ولكنَّه قد صَادَ قلْبِي بحُبِّهِ بلا حَبَّةٍ رَبُّ الوَلا صَاحِبُ الخَالِ

وله: [الخفيف]

---

(١) انظر ديوان المتنبي (٧٠).

Marfat.com
Marfat.com

وَيْحَ قلبي مِن ظالِمٍ لم يُبالِ ... بِذهابِ النفوس تَحْتَ النِّعالِ
ما بَدا للعُيُونِ إلا رأتْهُ ... مُزْهَفاتٍ وأسْهُماً وعَوالِي
لا تَرُمْ وَصْلَهُ فقد قطعت بيـ ... ـضُ سِرارِ الجَبِينِ رأسَ الوِصَالِ

تَناوله من قول الأمير المَنْجَكِيّ[1]: [الوافر]

ألا دَعْنِي وشأنِي يا ابْنَ وُدِّي ... ومَخوِي كلّ شَخْصٍ مِن خَيالِي
أيُقْصَدُ مَن أسِرَّتُهُ سُيوفٌ ... طُبِعْنَ لضَرْبِ أعْناقِ الرِّجالِ

ولي من أبيات: [الكامل]

أمواجُ إحْسانٍ أسِرَّةُ وَجْهِه ... لِصَدِيقِه وسُيوفُ بَأسٍ لِلْعِدَى

وله: [الطويل]

وكنتُ أصُون الدَّمعَ عَن أنْ أُذِيله ... إلى أن دَنَا يومُ التَّرَحُّلِ لا كَانَا
فقلَّدْتُها يومَ الوَداعِ بلُؤْلُؤٍ ... أحَالَتْهُ أنْفَاسُ التَّحَرُّقِ مَرْجَانَا

وله: [السريع]

ألْزَمْتُ نفْسي الصَّوْمَ عن شَادِنٍ ... كالبَدْرِ يَسْتَوْعِبُه النَّاظِرُونْ
آلَيْتُ لا أُفْطِرُ إلاَّ عَلَى ... وَجْهِ هِلالٍ ما رأتْهُ العُيُونْ

وله: [الوافر]

وحَقُّ هَوَى مُصافَحَةِ المَنايَا ... أخَفُّ عليَّ منه باليَدَيْنِ
إذا فكَّرْتُ فيه لَمَسْتُ رَأسِي ... كأنّي مُوقِنٌ بهجُومِ حَيْنِي

أصل هذا قول أبي نواس في الأمين بن الرَّشيد:

إنّي لَصَبٌّ ولا أقول بِمَنْ ... أخافُ مَن لا يخافُ مِن أحَد
إذا تفكَّرتُ في هوايَ لهُ ... ألمسُ رأسي هل طارَ عن جَسَدِي

وهذا النَّوع من البديع سمّاه المُبَرِّد في «الكامل» والتِّبريزيّ في «ديوان أبي تمّام» الإيماء.

وهو إما إيماءٌ إلى تشبيه، كقوله:

جاءُوا بَمْذاقٍ هل رأيتَ الذِّئبَ قطّ

أو إلى غيره.

قال الشِّهاب في كتابه «الطراز»: «وكنت قبل هذا سمّيتُه طيف الخيال، وهو أن ترسم في لوح فكرك معنًى صوّرته يد الخيال، فتَصُبّه في قالب التّحقيق، وترمز إليه بجمل روادِفِه وآثارِهِ محسوسة ادّعاءً، كما أنّ ما يلقى إلى المُتخَيِّلة في المنام يُرى ذلك، ولا يلزم من ابتنائه على الكناية والتّشبيه أن يُعَدّ منهما، لأمر مّا يدريه مَن له خِبرَةٌ بالبديع.

---

(١) ديوان منجك صفحة (٢٥٥).

Marfat.com
Marfat.com

وفي كتاب «الإشارة» لابن عبد السَّلام، من المجاز تنزيل المتوهَّم منزلة المحقَّق، كقوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]، أي في حسبان رائيها.

ومثله من الشِّعر قول أبي نُواس. وأنشد البيتين.

المُتنبّيّ في منهزم:

ولـكـنَّـه ولّـى ولـلـطَّـعـنِ سَـوْرَةٌ إذا ذَكـرَتْـهـا نـفـسُـه لَـمَـسَ الـجـنْـبَـا

المنازيّ:

تـروع حـصـاه حـالـيـةَ الـعـذارى فـتـلـمَـسُ جـانِـبَ الـعِـقـد الـنَّـظـيـمِ

المنجكيّ في وصف خط:

لـو شـامَ ذو الـخـالِ نـقـطَ أحـرُفـهِ لَـراحَ بـالـيـدِ لامِـسَ الـخَـدّ

وللشهاب:

للهِ نَـهـرٌ صـفـا فـأبـصـر مَـن يـقـومُ فـي جـنـبِ شَـطِّـه سَـمَـكَـه
يـمُـدُّ كـفًّـا لـيـأخُـذهـا يـظـنُّ نـسـجَ الـصَّـبـا لـهـا شـبـكـه

وهو مأخوذ من قول عُمر المحار:

انـظـر إلـى الـنَّـهـر فـي تـطـرُّده وصَـفـوه قـد وَشَـى عـلـى الـسَّـمَـكِ
تـوهَّـم الـرِّيـحُ صَـفـوه فـغـدا لـلـنَّـسـج فـوق الـغـديـرِ كـالـشَّـبَـكِ

قلت: ثم رأيت الشِّهاب ذكر بيت أبي نُواس في آخِر الرَّيحانة، وقال: «قد تلطَّف وأغرب في قوله: «أمَسُّ رأسي»؛ لجعله ماعيترقَّبه واقِعاً به، حتّى فتَّش عن رأسه، وجسَّها بيده، ليعلم هل قُطعت أم لا.

وهذا كقول المنازيّ. وأنشد البيت. وفيه التَّعبير عن المقال بالفعال، كقوله:

ويـشـتُـمُ بـالأفـعـالِ قـبـل الـتَّـكـلُّـم

ومثله قول ابن رشيق:

قـبَّـلـنـي مـحُـتـشـمـاً شـادنٌ أخـوجَ مـا كـنـتُ لـتَـقـبـيـلِـهِ
أومـأ إذا حـيِّـي بـنـا رَنْـجَـةٍ عَـرَفْـتُ مـنـهـا كُـنْـهَ تَـأَوِيـلِـهِ
لـمـا تـطـيَّـرتُ بـمـعـكـوسِـهـا ضـمَّـمـت بـنـانـاً نـحـوَ تَـقْـبِـيـلِـهِ

قال: وهذا لم أرَ مَن ذكره، وهو مما استخرجتهُ، وسمَّيته نُطق الأفعال». انتهى.

ولابن الدَّرَّا مذيِّلاً بيتي الحَتَاتِيّ، اللّذين أعار بهما ساحة الشَّرفين صَفْحَه، وساق بهما إلى الوَرْدِ العالي نَفْحَه.

ومما قاله:

بـصَـبـا الـمـرجـةِ الـمُـبـلَّـلِ ذَيْـلُـهْ عـلَّـلِ الـقـلـبَ عـلّ يـبـرُدُ وَيْـلُـهْ
وادَّكِـرْ يـومَـنـا بـيـومَـيْ حـبـيـبٍ سَـلَـفَـا والـسُّـلافُ تـركُـض خـيـلُـهْ

Marfat.com
Marfat.com

ونـديـم رقَّـت حـواشـيـه لُـطْـفَـاً وبِـحُـكـم الـهـوى تـحـجَّـبَ نَـيْـلُـهْ
سـمْـهَـرِيٌّ الـقَـوام مـا مـاس تِـيْـهَـاً أو دَلالاً إلاَّ وأتـلـفَ مَـيْـلُـهْ
ذي مُـحيًّا كـالـبدر فـي جُـنْـحِ لَـيلٍ بـاخـتـلاسِ الـعُـقـولِ قـد جـنَّ لـيـلُـهْ
جئتُ مـن تـحـت ذيـلِـه مُـسـتـجـيـراً والـتَّـجـنِّـي عـلـيَّ يُـسْـحَـبُ ذيـلُـهْ
قلتُ يا مَن في حَلْبَةِ الحُسْنِ قد حا زَ السَّبقَ حيثُ الجمال تَركُض خيلُهْ
الأمـانَ الأمـانَ مِـن حَـربِ إعـرا ضِـكَ عـن مُـغْـرَمٍ تـراكَـمَ وَيْـلُـهْ

ومن مجونه المستغرب قوله:

لنا صاحِبٌ مغرّى بعونِ ذوي الهوى يُـشـاركـهـم فـي وجـدهـم والـتَّـولُّـهِ
إذا عزَّ أن يلقى مُحبًّا رَقَى على الشَّـ ـواهِـقِ يـسـتَـقْـري دُخـانَ الـتَّـأوُّهِ

وله في المنزلة المعروفة بالوجه، في طريق الحاج المصريّ:

شكا أهلُ وَجهٍ قِلَّةَ الما بأرضِهِمْ وأنَّ الحيا شحَّتْ عليهِمْ سماؤُهُ
فقلتُ لهم قولاً لهُم فيه سَلوَةٌ إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤُهُ

المصراعُ الأخير مُضمَّنٌ من قول القيراطيّ في هذا المحلّ:

أقول وقد جِئنا إلى الوَجهِ جمعُنا عِطاشاً وكلٌّ خابَ فيه رجاؤُهُ
إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤُهُ ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤُهُ

قلت: ووجهُ الهجو للوجه، بسبب قِلَّة مائِه هو الوَجْه. وللقطب المَكّيّ في مدحه:

أقول ووادي الوجهِ سال من الحَيا وقد طاب فيه للحَجيج مُقامُ
على ذلك الوجهِ المليحِ تحيَّةٌ مباركةٌ من ربِّنا وَسلامُ

وللقيراطي فيه:

أتيتُ إلى الحجازِ فقلتُ لمَّا تبدَّى وَجهُه لي وازتونتْ
وكم في الأرضِ من وجهٍ مليحٍ ولكن مثلُ وَجهِك ما رأيتُ

وهذا قد ظهرت فيه الوجهة، واندفعت عنه الشُّبهة.

وبهذا تعلَمُ مذهبَ العرب، وأهل الأدب، في مَدْحِ الشيءِ وذمِّه، كما فعلَ الحَريريُّ في الدينار.

وقد ألَّف الثَّعالبيُّ، وابن رشيق في ذلك.

قال ابن رشيق: أكثر ما تجري هذه المحامِدُ والمذامُّ على جهة المسامحةِ، لا من باب المُشاححة؛ وإلاَّ فالشَّيءُ لا يوافق ضِدَّه، فيكون الحسن قبيحاً والقبيح حسناً في حالٍ واحدة لمعنى واحد، لكن لكلِّ شيءٍ كما ذكر الجاحظُ مَساوٍ ومحاسِن، كما فعل عمرو بن الأهتم بين يَدَيْ رسولِ الله ﷺ، وقد استشهده الزِّبْرِقانُ بن بدر على ما ادَّعاه من الشَّرف في قومِه.

قال عمرو: أجل يا رسول الله، إنَّه مانِعٌ حوزته، مُطاعٌ في أدْنَيْه، شَديدُ العارضة.

Marfat.com
Marfat.com

فقال الزِّبرِقانُ: أما واللهِ لقد علم أكثرَ ممَّا قال، ولكن حسدني شَرَفي.

قال عمرو: أما وقد قال ما قال، فواللهِ ما علمتُه إلا ضيِّقَ العَطَن، زَمِر المُروءة، لئيم الخال، حديثَ الغِنَى.

فرأى الكراهة في عين النبيّ ﷺ لمَّا اختلف قوله، فقال: يا رسولَ الله، رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمت، وغضبتُ فقلت أقبَح ما علمتُ، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقْتُ في الثانية.

فقال النبيّ ﷺ: «إنَّ من البيانِ لَسِحراً، وإنَّ من الشِّعر لَحِكْمَةً».

ولقد أحسن ابن الرُّوميّ، حيث قال:

في زُخرفِ القولِ تزيينٌ لباطِلِهِ ... والحقُّ قد يعتريه بعضُ تغييرِ
تقول هذا مُجاجُ النّحلِ تمدحُهُ ... وإن تَعِب قلت ذا قيءُ الزّنابيرِ
مدحاً وذمّاً وما جاوزتَ حدَّهما ... سِحر البيان يُرِي الظّلماءَ في النُّورِ

١٤- عبد الباقي بن أحمد، المعروف بابن السَّمَّان

زهرة النَّاظِرِ المُتَنَشِّقِ، وزُهَرَةُ المُجْتَلِي المُتعشِّق.

مسَحتْ خلالهُ قَذَى العيون، فما رأتْهُ إلاَّ وهي نقِيَّة الجفُون.

تتستَّرُ الملاحةُ في غَلائِله، وتتقطَّرُ الرَّجاحةُ في شمائِله.

يَغْشَقُهُ من كمالِه غَدُهُ ... ويُكْمِشُرُ الوجْدَ نحوَه الأمْسُ

وله طبع كالرَّوْض صقَلتْ يدُ الصَّبا ديباجةَ وَجْهِه الوَسِيم، تتلقَّى النُّفُوس من قبوله تَلَقِّي المخمُور بَرْدَ النَّسيم.

---

١٤ هو عبد الباقي بن أحمد بن محمد المعروف بابن السمان الدمشقي، نزيل قسطنطينية، الفاضل الأديب، الألمعي، البارع، كان مفرط الذكاء، قوي الحافظة، وله الاطلاع التام على أشعار العرب الخلص و أيامهم وأمثالهم، وكان يحفظ منها شيئاً كثيراً. وله تصانيف كثيرة لم يكمل منها إلا «شرح الأسماء الحسنى» و«شرح شواهد الجامي» و«مختصر التهذيب في المنطق» وكان شرع في كتاب سماه «سرقات الشعراء» كتب منه حصة يسيرة. وكان في أول أمره قرأ النحو والفقه بدمشق على الفقيه المشهور أحمد القلعي، ثم فارق دمشق وهو غض الحداثة ودخل القاهرة، واشتغل بها على الشيخ عبد الباقي بن غانم المقدسي، وعلى السيد أحمد بن محمد الحموي المصري وعليه تخرج في الأدب وبرع، ثم خرج منها إلى الروم، وتصرفت به أحوال كثيرة وأسفار عديدة، ولم يبق بلدة من أمهات بلاد الروم حتى دخلها، ووصل إلى جزيرة كريد ووصل منها إلى سلانيك ويكي شهر فكان خاتمة مطافه أن بلغ خبره السلطان محمد فاتخذه نديماً، وفاز مدة بعطاياه الطائلة، ولم يطل أمره في المنادمة، فأعطي مدرسة بقسطنطينية وأبعد عن الدولة إليها فألقى رحله بها واتخذها دار قراره ومجمع أسبابه. وولاه الوزير الأعظم مصطفى باشا إحدى المدارس الثمان ثم بعد أشهر ولاه مدرسة زال باشا التي بأيوب. وكانت وفاته في شوال سنة ثمان وثمانين وألف، وكان عمره أربعاً وثلاثين سنة، ودفن خارج باب أدرنه. ا.هـ خلاصة الأثر (٢/ ٢٧٠).

Marfat.com
Marfat.com

غرائبُ حدِيثه نُزَه العقُول ونُجَع الأسْماع، يتجاوز بها غاياتٍ لم تختلجْ في خواطِر الأطْماع.

وشِعْرُه يفعل بالألْباب فِعْلَ بَناتِ الدّنان، وما السِّحْرُ سِحْرُ مِراضِ الأجْفان، ولكنّما هو سِحْرُ البَيان.

وذِكْرُ مَبدَأ أمرِه، ومطلَع قصيدةِ عُمْرِه.

أنّه تَعانَى الاشْتِغال وخَطُّ غِدارِه ما بَقَل، ثم خرج إلى مِصْرَ وروْضُه على أوّلِ ما يُنَزِّه المُقَل.

ثم تَتابَعتْ عليه الرّحل يميناً وشِمالاً، وهو يترقّى في المعارف استيلاءً واشْتِمالا.

ولم يُبْقِ بَلْدةً إلاّ جَنَى ثمَرَها، واسْتفادَ وقائِعَها وسَمَرَها.

ولا رئيس إلاّ فاز بِنِعَمِهِ، وحصل على غرائبِ قِسَمه.

حتى وصَل إلى مجلسِ السُّلطان في خاتمةِ المَطاف، فأقامَ بُزْهةً في مَبَرّاتِ وألْطاف. وقد خطَبَتْهُ الخُطْوَة، وما قَصَّرَت له الخُطْوَة.

ولَحَظْته السَّعادةُ بأبْصارِها، وتواردت لحفايته بأنْصارِها.

ثم كثر فيه المُخلِّط واللاّغِي، واشْرَأَبّتِ النُّفوس إلى ما في طبائِعِها من التّباغِي.

فأُبْعِد بَعْد ذلك التّقْرِيب، وأوْشَك أن يَجْفُوَه البعيدُ والقريب.

وجَرَّبه الدهرُ بالأقْدار، تَجْرِبَةَ الياقُوتِ بالنّار.

ثم أُعْطِيَ مدرسةً بدارِ الخِلافَة، فطاوَعَه البَخْتُ بعدما أراد خلافَه.

واستقرَّ الأملُ لدَيْه، استِقْرار الطِّرْس في يديه.

ولمّا كنتُ بأدرنة وردها فلقِيتُه بُزْهةً، لا أعدُّها مِن عُمْرِي إلا نُزْهَة.

وكنتُ من الاغْتِراب، في نهاية الوَحْشَة والاضْطراب.

فأنسْتُ به بعد التَّوحُّش، وأُنسِيتُ مَورِداً أزوانِي من التَّعَطُّش.

ولما كان مُقامُه بها كَنَغْبَة[1] طائرٍ على وَجَل، لاهْتِمامِه بالعَوْد إلى مَقَرِّه على عَجَل. [الكامل]

لم أسْتَتِمَّ عِناقَهُ لِلِقائِهِ ... حتى ابْتَدَأتُ عِناقَهُ لوَداعِه

فكتبت إليه عند الوَداع، رُقْعَةً مُحْكَمة الإبْداع، وهي: [السريع]

إمامُكَ التّوفِيقُ والرُّشْدُ ... وخِذْلُكَ التّأيِيدُ والسَّعْدُ

وكُلّما حلَّيْتَ في مَنْزِلٍ ... قابَلَك الإقْبالُ والجَدُّ

مَولايَ مَن ذكرهُ أنِيسي، في وَحْشَتِي وغُرْبَتِي، وخيالُ لُطْفِه جلِيسي، في وِحْدَتي وكُرْبَتي، [البسيط]

---

(١) نغب الطائر، ينغب نغباً، حسا من الماء. والنُّغبة والنُّغب بالضم: الجرعة. انظر لسان العرب، مادة /نغب/.

Marfat.com
Marfat.com

أنت الكَرَى مُؤْنِساً طَرْفِي وبَعْضُهُمُ مثلُ القَذَى مانِعاً طَرْفِي من الوَسَنِ[1]

لا زالت مقاليدُ السَّعادَةِ طَوْعَ يديْك، ومِرْقاةُ السِّيادة مشغُوفةً بِلَثْمِ قدَمَيْك. والعمرُ المديد، والطَّالِعُ السَّعيد.

هذا حَشْو ثِيابِك، وذا خادِمُ رِكابِك. [الكامل]

فارْحَلْ لك البُشْرَى بأيْمَنِ طالِعٍ وعلى السَّلامَةِ والسِّيادةِ فانْزِلِ

يشْهدُ الله أنَّني مِن مُنْذ شُدَّتْ الرِّكاب، وأزِف البَيْن بِفِراقِ الأحْباب. صِرتُ مُقَسَّماً بين نَفْسٍ مُقِيمةٍ بكَرْبها، ورُوحٍ رهينةٍ في رَكْبِها.

على أن النَّفْسَ وإن أقْعَدها الدَّهرُ قَسْراً، لم تَقْعُد عنك ساعةً فِكْراً.

ولا غِبْتَ إلاَّ على عيُون الإقْبالِ في إغْماضِها، وعلى نُفوس الآمال في انْقِباضِها.

حيثُ رماني الزَّمان، بِسِهام الحِرْمان. [البسيط]

وإنَّ من أعْظَم البَلْوَى أخَا لَسَنٍ يبيتُ ضَيْفاً لعُجْم في الورَى خُرسِ

وإلى الله أرْفَعُ قِصَّتِي، وأبْتَهِلُ إليه في دَفْعِ غُصَّتِي. [الطويل]

عسى اللهُ إنَّ اللهَ ليس بغافِلٍ ولا بُدَّ من يُسْرٍ إذا ما انْتَهَى العسرُ

فاسأله سبحانه أن يُيَسِّر نَيْلَ المُنَى، ويُزِيلَ عنَّا هذا العَنَا.

ويُطْفِئَ نارَ الجَوَى، على رَغْم أنْفِ النَّوَى.

لنُكفِّرَ سَيِّئَةَ أليم الفِراق، بحُسْنِ نعيم التَّلاق. [البسيط]

إنْ عادَ شَمْلِي بمن أهْواهُ مُجْتَمِعاً لا أغْتِبِطُ الدَّهْرَ يوماً بالَّذي صَنَعا

ثم قَدِمتُ إلى القُسْطَنْطِينِيَّةِ فائْتَلفْتُ به ائْتِلافَ رُوح، بِجَسَد بالٍ مَطرُوح.

وامتَزَجْتُ معه امتِزَاجَ، راحٍ بماءٍ قَراح.

ومضَتْ لي معه أوقاتٌ عَدَدْتُها من حَسَناتِ الزَّمان، وجَعَلْتُها تارِيخَ الأمانِي والأمان.

والأوقاتُ لا تَتَفاضلُ بالذَّات، ولكن أوقاتُ اللَّذاتِ لذَّات.

أتَمَتَّعُ من لفْظِه بائْتِلافِ العُقُودِ، ومِنْ مغناه بِسُلافِ العُنْقود.

حتى تولاَّه مَوْلاه بعَفْوِه ورِضْوانه، وقضَى بتَفْرِيقِ شمْلِ أخْدانِه وإخْوانِه.

فأضْحَى كالظَّنِّ المُرَجَّم، وخبرُه كاللَّفْظِ المُرَخَّم.

وقد فَقَدْتُ الوَطَر في نَضْرَتِهِ، والعيْشَ الذي يشِفُّ عن نَبْتِ الرَّبيع في خُضْرَتِه.

وكان أعارني من فوائِدِه صَدْراً وافِياً، وأهْدَى إليَّ من فرائِدِه قدْراً كافِياً.

فعدمْتُ من فضْل ربيعِها ووروداً، وبقِيتُ بعْدَها كالسَّيْفِ فَرْدَا.

فممَّا أخذْتُه عنه من أشْعارِه التي أخذَتْ بأطْرافِ الحُسْن، وإذا تُلِيَتْ على مخزُونٍ سَرَّتْ عن فُؤادِه الحُزْن، قولُه من قصيدة، مُسْتَهلُّها: [الطويل]

---

(١) وهو للشريف الرضي، انظر ديوانه (٥٢٩).

Marfat.com
Marfat.com

يُشوِّقُنا للدّارِ ذكرُ الحبائبِ ... ويُنطِقُنا بالحمْدِ فَيْضُ المَوَاهِبِ
وإنّا لقومٌ ما نرى الحبَّ سُبَّةً ... إذا ما رأتْهُ سُبَّةً آلُ غالِبِ
ولا نَرْهَبُ الأقدارَ إلا إذا رمَتْ ... سِهامَ المنايا من قسيِّ الحواجِبِ
ولا نعذُل الأحباب في الصَّدِّ والجَفَا ... ولا نَرْتَجِي سِلْم العدوّ المحارِبِ
إذا كان قلبُ المرْءِ ليس يُطيعُه ... فأجْدَرُ بالعِصْيانِ قلبُ الأجانِبِ
وليلٍ كقلْبِ السَّامِرِيِّ وظِلِّه ... كواكبُه لا تَهْتَدِي للمغارِبِ
قطعْتُ وأصْحابِي سُكارَى من الكَرَى ... وقد ضَمَّنا والزُّهْرَ ثَوبُ الغياهِبِ
على ضامرٍ كالسَّهْمِ سَيْراً ورِقَّةً ... فأبعَدُ مطلوبٍ وأقْرَبُ طالبِ
أحاولُ سَبْقَ الشُّهْبِ وَهْيَ تفُوتُني ... وأتْعَبُ ما حَاوَلْتَ سَبْقُ الكواكِبِ
جَوادٌ سَخِيُّ الكفِّ في كلِّ حالةٍ ... يُداوِي بنُعْماه جُروحَ النَّوائِبِ
دَفَعْنا بجدْواهُ الخطوبَ وجُودِه ... وقد يدْفَعُ الدِّرْياقُ سَمَّ العقارِبِ
همامٌ أتى في مَجْدِه وصِفاتِهِ ... وأفكارِهِ دون الوَرَى بالعجَائِبِ
ومَولىً يكادُ البحر يُشْبِهُ جُودَه ... ولكنَّه كالشُّهْدِ عذْبُ المشارِبِ
به تفخرُ الأيّامُ والمجدُ والعلا ... إذا افتخرت أمثالُه بالمراتبِ
وتَخْشَى نِهاياتُ العَواقِبِ رَأْيَه ... إذا خاف أهلُ الرَّأي سُوءَ العواقِبِ
وعلامةٌ لو كان من قبلِ مالكٍ ... لما اخْتَلَفَتْ أقْوالُ أهلِ المذاهِبِ
بفكْرٍ دَقِيقِ الفِكْرِ في كُلِّ مُشْكلٍ ... من الأمْرِ كالسَّيْفِ الرَّقِيقِ المضَارِبِ
بعثْتُ إليه بالقَوافِي كأنّها ... مقانبُ شُكرٍ تهْتَدِي بمَقَانِبِ
ولولا صُروفُ الدَّهرِ أهْدَيْتُ ضِغْفَها ... مُرضَّعةً بالنَّيِّراتِ الثَّواقِبِ
ولكنَّها جُهْدُ المُقِلِّ وحَمْلَةُ الـ ... ـجَبانِ على ضَعْفٍ ونارُ الحُبَاحِبِ
فسامِحْ وعامِلْ بالَّذي أنتَ أهلُه ... فعفوكَ عندي من أجلِّ المطالِبِ

وقوله من أخرى يمتدح بها أخا الوزير الفاضل، وهو بتَكْرِيت: [الكامل]

بالنَّفْسِ يَسْمحُ مَن أرادَ نَفِيسَا ... والحبُّ أوّلُ ما يكونُ رَسِيسَا[1]
وأطَارَ عنّي النَّومَ طيفٌ طارِقٌ ... قطَعَ القِفَارَ وجاوزَ القامُوسَا
أقْلِحْتَ كيفَ وَصلْتَ لِلْوَنَدِيكِ مِن ... أقْصَى البلادِ وجئْتَها جاسُوسَا
أم كيفَ خَلَّفْتَ الشَّآمَ وأهْلَه ... وتركْتَ وادِي النِّيْرَب المَأْنُوسَا
أرضٌ إذا سَرَّحْتَ طرْفَكَ خِلْتَها ... روْضاً يُقِلُّ على الغُصُونِ شُمُوسَا
إن كان غَيَّرَها الزَّمانُ فإنّني ... أمْسَيْتُ منّي قبلَها مأْيُوسَا
والحبُّ أمْرٌ حار فِيه أُلُو النُّهَى ... واضَلَّ بِقْراطاً وجَالِينُوسَا

(١) الرسيس: أول الحمى الذي يؤذن بها ويدل على ورودها. ا.هـ .لسان العرب، مادة: /رسس/ .

Marfat.com
Marfat.com

كالدَّهْرِ يَلْعَبُ ما يشاءُ بأهْلِهِ ... يضعُ الرَّئِيسَ ويَرْفَعُ المَرْؤُوسَا
لا سَامَحَ اللهُ النَّوَى من كافِرٍ ... عَبْدٍ ولا رَحِمَ الرَّحِيمُ الجِيسَا
وَمَهامِهٍ قَفْرٍ يضِلُّ بها القَطَا ... ويرَى الدَّلِيلُ بسَهْلِها التَّغْلِيسَا
لِلْجِنِّ في أقْدارِها زَجَلٌ فلا ... تَلْقَى بها إنساً ولَيْسَ أنِيسَا

العرب إذا وصفَت المكانَ بالبُعْدِ جعَلَتْه مسَاكِنَ الجِنِّ، كقول الأخْطَل[1]:

[الطويل]

مَلاعِبُ جِنَّانٍ كأنَّ تُرابَها ... إذا اطَّرَدَتْ فيها الرِّياحُ مُغَرْبَلُ

وقولِ ذي الرُّمَّة[2]: [البسيط]

للْجِنِّ باللَّيْلِ في حافاتِهَا زَجَلٌ ... كما تجاوَبَ يومَ الرِّيحَ عَيْشُومُ

وهو نَبْت، أو شجر.

سايَزْتُ فيهِ النِّيراتِ بسابِقٍ ... يخكِي المَهاةَ ويُشْبِهُ الطَّاوُوسَا
كالبَرْقِ مَرّاً والغَمامِ تأوُّباً ... والمِسْكِ نَفْحاً والنَّقَا مَلْمُوسَا
يُلْقِي الصَّواعِقَ مِن حوافِرِه إذا ... وَطِئَ الجَنَادِلَ حينَ لاتَ وَطِيسَا[3]
نَشْوانُ كالبُرْجِ المُشَيَّدِ فوقَهُ ... بَطَلٌ يجُرُّ مِن المَهابِ خَمِيسَا[4]
مُتَقَلِّدٌ زُرْقَ النِّصالِ كأنَّما ... خُلِقَتْ لِتُرْدِي الضَّارِياتِ نُفُوسَا
نَهَبَتْ من الأعْمارِ ما بَقِيَتْ به ... وتجرَّعتْ ماءَ الحِمامِ بَئِيسَا
تَزْمِي بها حنْيَ الضُّلوع قواضِبٌ ... كحواجب الغيد الخرائِد شوسا
لو خالها الكُسَعيُّ سُخْرةَ ليلةٍ ... ذمَّ الحرِيصَ وأحْمَدَ التَّعرِيسَا
أو صادَمتْ صُمَّ الجِبالِ تصدَّعتْ ... وبَنَتْ لكلِّ حديدةٍ نَاوُوسَا[5]
وتُسابِقُ الأقْدارَ منها أسْهُمٌ ... تَفْرِي الحديدَ وتَخْرِقُ الملبُوسَا
يتعوَّذُ الشَّيْطَانُ منها حيثُ لا ... يخْشَى الرُّجُومَ ويرهب القَابُوسَا
مِن حاذِقٍ أو طارِقٍ أو حاذِمٍ ... أو زَاهِقٍ لا يَقْبَلُ التَّلْبِيسَا
فكأنَّها أقلامُ أفضلِ مَن مَشَى ... فوقَ الثَّرَى وحَوَى الفَخَارَ رَئِيسَا
فَرْعُ المَعالِي خيرُ من بلغَ السُّهَى ... مَجْداً وسامَى في العلا إدرِيسَا

---

(١) انظر ديوانه (٦)، وفيه: «إذا اطردت فيه الرياح».
(٢) انظر ديوانه (٥٧٥).
(٣) الجندل: الحجارة. ا.هـ . لسان العرب، مادة: /جندل/ .
قال الأصمعي: الوطيس: حجارة مدورة، فإذا حميت لم يمكن لأحدٍ الوطءُ عليها. لسان العرب، مادة /وطس/ .
(٤) الخميس: الجيش، وقيل: الجيش الجرّار، وقيل: الجيش الخشن. لسان العرب، مادة /خمس/ .
(٥) الناووس: مقابر النصارى. ا.هـ لسان العرب، مادة /نوس/ .

Marfat.com
Marfat.com

والـفـارسُ الـكَـرّارُ مِـغْـوَارُ الـوَغَـى ... ومُـعِـيدُ سَـعْـدِ الـمُـشـرِكـيـنَ نُـحُـوسَـا
بـالـفَـضْـلِ أكّـدَ مَـا الأوَائِـلُ أسّـسُـوا ... وأفَـادَنـا الـتّـأكِـيـدَ والـتّـأسِـيـسَـا
نَـدْعُـوا بِـسَـطْـوَتِـه الـزّمـانَ فـيَـرْعَـوِي ... فَـرقـاً ونَـطْـرُدُ بـاسْـمِـهِ إبْـلِـيـسَـا
ونـخُـطُّ أحْـرُفَـهُ الـكـريـمـةَ رُقْـيَـةً ... لِـشِـفـاءِ مَـا أعْـيَـى أرسْـطَـالِـيـسَـا
يُـرْدِي الـحسامَ بجسْمِ مَن أرْدَى به ... ويَـرُدُّ مُـبْـتَـسِـمَ الـكُـمـاةِ عَـبُـوسَـا
قـد أنْـطَـقَ الإسْـلامَ صـامِـتُ سَـيْـفِـهِ ... بـعـدَ الـسُّـكُـوتِ وأخْـرَسَ الـنّـاقُـوسَـا
يا مَن ثَـمِـلْـتُ عـلى الـسّـمـاعِ بـحُـبِّـهِ ... وقـرأتُ فـيـه مِـن الـغـرامِ دُروسَـا
أنـا مـن عـلـمـتَ وِدادَه وجـهِـلْـتَـه ... وسَـيَـضْـحَـبَـنَّ لـدى عُـلاكَ جَـلِـيـسَـا
أغْـرَقْـتَـهُ بـالـجُـودِ قـبـلَ وُرُودِه ... ثِـقَـةً ومـثـلُـك لا يـكـون خَـسِـيـسَـا
لا زلـتَ صَـدْراً لـلـصُّـدورِ مُـقـدَّمـاً ... أبـداً بِـحِـفْـظِ إلـهـه مَـخْـرُوسَـا
فـي عِـزِّ داودٍ ودَوْلَـةِ يُـوسُـفٍ ... وعُـلا سُـلَـيْـمـانٍ ورفْـقَـةِ عِـيـسَـى

وقال يمدح الوزير الفاضل، وهو بِتَكْرِيت، وكان دخوله إليها لأجْل مَدْحه: [الطويل]

أخَفُّ النَّوَى ما سَهَّلَتْهُ الرَّسائِلُ ... وأحْلَى الهَوى ما كَدَّرتْهُ العَواذِلُ
ولا مِلْحَ في عيْشٍ إذا لم يكنْ لَهُ ... حَبيبٌ يُجافِي تَارةً ويُواصِلُ
ولا خَيْرَ فيمَن حَوَّلَ البُعْدُ قَلْبَهُ ... ولا في وِدادٍ غَيَّرَتْهُ العَوامِلُ
وقَفْنَا على الأطْلالِ واللَّيْلُ شائِبٌ ... وأعناقُنا فَوْقَ المَطَايَا مَوائِلُ
ولَمَّا رآهَا الدَّمْعُ والدَّمْعُ حائِرٌ ... أناخَ وحَيٌّ تُرْبَها وهْوَ رَاجِلُ

هذا من قول أبي الطَّيِّب[1]: [الطويل]

ولَمَّا رأيْنا رَسْمَ مَن لَم يَدَعْ لنا ... فُؤاداً لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ ولا لُبَّا
نزَلْنَا عن الأكْوارِ نَمْشِي كَرامَةً ... لِمَن بانَ عَنْهُ أن نُلِمَّ به رَكْبَا

قال ابن بَسَّام في «الذخيرة»: أوَّلُ من بكَى الرَّبْعَ ووقَف واسْتَوقَف المَلِكُ الضِّلِّيل، حيث يقول[2]: [الطويل]

قِفا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حبيب ومنْزِلِ .....

ثم جاء أبو الطَّيِّب فنَزَل، وترَجَّل ومشَى في آثار الدِّيار، حيث يقول: [الطويل]

نَـزَلْـنَـا عَـنِ الأكْـوَارِ..... .....

البيت، وما قبله.

---

(١) انظر ديوانه (٣١٨)، وفيه: «وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا».
(٢) انظر ديوانه (٨).

Marfat.com
Marfat.com

ثم جاء أبو العلاء المَعَرّي فلم يَقْنَعْ بهذه الكَرامة حتّى خشَع وسجَدَ، حيث قال[١]: [الطويل]

تَحِيَّةُ كسْرَى في المُلوكِ وتُبَّعٍ ... لِرَبْعِكَ لا أرْضَى تَحيَّةَ أزْبُعِ
ولَيس بنا حُبُّ الدِّيارِ وإنَّما ... لنَا بهوَى السُّكَّانِ شُغْلٌ وشاغِلُ

هذا من قول الآخر: [الطويل]

أُحِبُّ الحِمَى من أجْلِ مَن سَكَن الحِمَى ... ومن أجْلِ أهْلِيها تُحَبُّ المَنَازِلُ

وقوله[٢]: [الوافر]

وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ... ولَكِنْ حُبُّ مَن سَكَن الدِّيَارَا
خُلِقْنَا وحِفْظُ الوُدِّ منَّا سَجِيَّةٌ ... وحُسْنُ الوفَا طَبْعٌ ونعم الشَّمائلُ
ونَغْفِرُ عَوْرَاءَ الحَسُودِ وإن جَنَى ... ونَعْلَمُ أنَّ الخَصْمَ ما شَاءَ قائِلُ
يُعَيِّرني قومٌ بقومي ومخْتِدِي ... كما عِيبَ بالعَضْبِ الصَّقِيلِ الحمائِلُ[٣]
أجَلْ حَسَدُونِي حيثُ فُضِّلْتُ دُونَهمْ ... وكم حُسِدَتْ في النَّاسِ قبلي الأفاضِلُ
وما الفَخْرُ بالأجْسَامِ والمالِ والعُلَى ... ولكن بأنْواعِ الكَمالِ التَّفاضُلُ
ومَن يَكُ أعْمَى القَلْبِ يَلْزَمْ بقولِه ... كما يحْذَرُ الأعْمَى العَصا إذ يُقاتِلُ
وما يَصْنَعُ الإنْسانُ يوماً بنُورِه ... إذا عادَلَتْ فيه النُّجُومَ الجَنَادِلُ
وفِيمَ نُضِيعُ العُمْرَ في غيرِ طائلٍ ... إذا ما إسْتَوى في النَّاسِ قُسٌّ وباقِلُ[٤]
وأصْعَبُ ما حاولْتَ تَثْقِيفُ أعْوَجٍ ... وأثْقَلُ شَيْءٍ جاهِلٌ متعاقِلُ
إذا جاء نَقَّادُ الرِّجالِ من الوَغَى ... تَمَيَّزَ عن أهْلِ الكَمالِ الأرَاذِلُ
عَنَيْتُ الوَزيرَ ابنَ الوَزيرِ الَّذي بِهِ ... تَذِلُّ وتَعْنُو للشَّعُوبِ القبائِلُ
جَوادٌ إذا استَوْهَبْتَه السَّيْفَ في الوَغَى ... وأنتَ له خَصْمٌ فإنَّكَ نائِلُ

هذا من قول أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي[٥]: [الطويل]

كريمٌ متى استُوهِبْتَ ما أنتَ راكبٌ ... وقد لَقِحَتْ حَرْبٌ فإنَّكَ نازِلُ

وأصلُه خبرٌ عن حاتم الطَّائِيّ، أنه بارَز عامرَ بن الطُّفَيل، وقد رَمَح عامراً، فَخَافَهُ، فقال له: لأُبَخِّلَنَّكَ.

---

(١) انظر شروح «سقط الزند» (٤/١٤٨٧) وفيه: «تحية كسرى في السناء وتبع».
(٢) البيت لمجنون بني عامر، انظر ديوانه (١٧٠).
(٣) العضب: السيف القاطع. ا.هـ . لسان العرب، مادة /عضب/ .
(٤) قُسّ بن ساعدة الإيادي: أحد حكماء العرب، وهو أسقف نجران. ا.هـ لسان العرب، مادة /قسس/ . [ويضرب به المثل في الذكاء].
وباقل: اسم رجل يضرب به المثل في العيّ. ا.هـ . لسان العرب، مادة /بقل/ .
(٥) انظر ديوانه (٣٦٦).

Marfat.com
Marfat.com

قال: بماذا؟

قال: اذفَع إليّ رُمْحَك أُقاتِلْك به.

فرمى إليه برُمحه، ورَجع مُوَلّياً.

وقال بشّار ما ينظُر إلى هذا المعنى[١]: [السريع]

لـو كـان لِـي سَـيْـفٌ غـداةَ الـوَغَـى ... طِـبْـتُ بـه نـفْـسـاً لأغْـدائِـي

وأحسن ما قيل فيه قول البُحْتُريّ[٢]: [البسيط]

ماضٍ على عَزْمِهِ في الجُودِ لو وَهَب الشَّـ ... ـبابَ يـومَ لِـقـاءِ الـبِـيـض مـا نَـدِمَـا

أبو إسحاق الغَزّيّ: [البسيط]

مُـتَـيَّـمٌ بـالـذي لـو قـالَ سـائِـلُـه ... هبْ لِي جميعَ كَرَى عَيْنَيْكَ لم يَنَم

إلـيـه مَـصِـيـرُ الأمْـجـديـن وإنَّـمـا ... تَصُبُّ إلى البَحْرِ المُحِيطِ الجَداوِلُ

وهذا أيضاً من قول أبي الطَّيِّب[٣]:

أرَى كـلَّ ذِي مُـلْـكٍ إلـيـك مَـصِـيـرُهُ ... كـأنَّـكَ بـحـرٌ والـمـلـوكُ جَـداوِلُ

وهو أخذَهُ من قول ابن المُعْتَزّ[٤]: [الكامل]

مـلِـكٌ تـواضَـعَـتِ الـمُـلـوكُ لِـعِـزِّهِ ... قَسْراً وفاضَ على الجَداوِلِ بَحْرُهُ

ويَهْتَزُّ قلبُ الأرْضِ خَوْفاً إذا مَشَى ... فـتَـحْـسَـبُ أنَّ الـرُّعْـبَ فـيـه زَلازِلُ

لـه نـعَـمٌ تُـفْـنِـي الـمـديـح وهِـمَّـةٌ ... لـهـا كُـلُّ قَـذرٍ شـامِـخٍ مُـتَـضـائِـلُ

يُـيَـمِّـمُـه الـجـبّـارُ والـكـبـرُ بُـرْدُه ... فَـتَـلْـقَـاهُ فـي أعْـتـابِـهِ وهْـوَ راجِـلُ

أتى مُشْرِكي قصرٍ وكانوا جراءةً ... يظُنُّونَ أنَّ الحِصْنَ للقَوْمِ حائِلُ

وسَـارَ بِـجَـيْـشٍ آصَـفِـيٍّ عَـرَمْـرَمٍ ... هو البدْرُ فيهمْ والنجومُ الجَحافِلُ

فـمَـا وَجَـدوا إلاّ الأمـانَ وَسِـيـلَـةً ... إلى عَفْوِ مَن تَخْشَى عُلاه الوسائِلُ

ولا مَلْجَأ من سَيْفِه غيرُ سَيْفِه ... وكـلُّ نَـصِـيـرٍ غـيـرُه فَـهْـوَ خـاذِلُ

فـجـاد عـلَـيْـهِـمْ بـالـنُّـفُـوسِ تـفـضُّـلاً ... وعَفْواً ولم يُخْط العَطَا منه سَائِلُ

وعـادَ بِـتـأيِـيـدٍ وعـزٍّ ودَوْلَـةٍ ... لـهـا فـوقَ فَـرْقِ الـفَـرْقَـدَيْـنِ مَـنـازِلُ

يـمـوجُ بـه الـبـحـرُ الـخِـضَـمُّ تـفـاخُـراً ... وتَـحـسـدُ أعـلامَ الـجـوارِي الـرَّواجِـلُ

أفَصَّ خِتَامِ المُلْكِ والخَاتِمَ الَّذي ... أتَـانَـا بـمـا لَـم تَـسْـتَـطِـعْـهُ الأوائِـلُ

فـلـو كَـان بَـدْراً لـم يَـلُـحْ قَـطُّ كَـوْكَـبٌ ... ولـو كـان بَـحْـراً لـم يُـحَـدْهُ سـاحِـلُ

إليكَ عُقوداً يَكْسِفُ الشَّمْسَ نُورُها ... وتُـخْـجِـلُ بـدرَ الأُفْـقِ والـبَـدْرُ كـامِـلُ

---

(١) انظر ديوانه (العلوي) (٥)، وفيه: «لو كنت لي سيفاً غداة الوغى».

(٢) انظر ديوانه (٣/ ٢٠٥٠).

(٣) انظر ديوانه (٣٦٦).

(٤) انظر ديوانه (زند) (١/ ١١٧).

Marfat.com
Marfat.com

أتَتْكَ تجُرُّ الذَّيْلَ تِيهاً ورِفْعَةً ... بأنَّكَ ممدوحٌ وأنِّيَ قائِلُ
وهاتِيكَ أبياتٌ لها فتَفطَّرَتْ ... وأنت لها بالبرِّ والجودِ وَاصِلُ

وهذا معنىً حسن، وقد اخْتَلَسَهُ من قول السَّيِّد محمد العُرْضِيّ، وهو الفاتح لهذا الباب[1]: [م. الكامل]

هابَ القريضُ مَديحَهُ ... فانْشَقَّ انْصافاً سُطُورُهْ

وتبعه البَابيّ، في وصف قصيدة فقال: [م. الكامل]

أوْهَمْتُها مَدْحَ السِّوَى ... فتَميَّزتْ بالغَيْظِ وَهْمَا

تتمَّة القصيدة:

ومثلُكَ مَن لا يُظْهِرُ المدْحُ قَدْرَهُ ... ولكنَّ مَن لم يَشْكُرِ الفضْلَ جاهِلُ
ألم تَرَ أنَّ الرَّوضَ يُثني على الحَيَا ... بِنَشْرٍ إذا ما باكَرَتْهُ الحوامِلُ
فكيفَ بمَن أحْيَيْتَه، ولِسانُه ... صَقِيلُ الشَّبَا والجودُ بالحمدِ كافِلُ
سأُوليك مَدْحاً يَنْقَضِي الدَّهرُ دونَه ... تسيرُ به رُكْبانُنا والقوافِلُ
وأصْدَحُ بالحمْد الذي أنت أهلُه ... كما صَدَحَتْ فوق الغُصُون البلابِلُ
ألا كلُّ مَجْدٍ غيرُ مَجْدِكَ عاطِلٌ ... وكلُّ مديح لم يكنْ فيك عاطِلُ

وله لاميَّة عارض بها امْرَأ القَيْس، الذي انْتَسَبَ إليه حُسْنُ السَّبْك، وبِشعْرِه ترنَّمتْ وُرْقُ البَلاغَة، وذاك أشهر من «قِفَا نَبْكِ».

ومطلعها: [الطويل]

تَوَكَّلْ على الرَّحْمَنِ حَقَّ التَّوَكُّلِ .....

وهي طويلةٌ جدّاً، وقد ذكرتُها في تاريخي، ولا إفادةَ في الإعادَة.

واتَّفق بَيْني وبيْنَه مُراجَعات، أقطعها جانبَه الظَّرف، وتَردَّتْ كالنَّسِيم بين الرَّوْضَتَيْنِ طَيِّبَةَ الشَّمِيم والعَرْف.

اكْتفَيْت بذكرها في التَّاريخ، كما وقع علَيه الاخْتيار؛ لأنَّها من قِسْم الخَبَر، والتاريخ موضوعهُ الأخبار.

وذكرتُ عندَه يَوْماً بعضَ المَوالِي مِمَّن أكاذِيبُه في قلب الأماني قُروح، ووَعْدُه كخُلَّبِ بَرْقٍ يَلُوح.

وكنتُ ممَّن اغْتَرَّ بزخارِفه، وطمِعَ في عارِفةٍ من عَوارِفِهِ.

فنَشَد ضَالَّةً له في ذِمَّةِ مطْلِه، وأنشَد ما قاله في مَخيِلَةِ وَعْدِ مثْلِه: [المتقارب]

ولا تَرْكَنَنَّ إلى غادَةٍ ... ولو خَادَعَتْكَ بزُورِ المُحَالِ
فَفَتْكُ الظُّبا دُون فَتْكِ الظُّبَا ... وعَهْدُ الغَوانِي كعَهْدِ المَوالِي

---

(١) انظر خلاصة الأثر (٤/ ٩١).

Marfat.com
Marfat.com

ولعَمْري لقد أنصف، في الذي وَصَف.
وحكَم حُكْماً يشْهد به العَيان، وليس بعد العَيان، حاجةٌ إلى البَيان.
ولمَّا وَلِيَ المدرسةَ المعروفةَ بزال باشا، وهي آخرُ ما وَلِيَه من المدَارس.
وهشَّت له الأمانِي، وتاهَتْ به التَّهانِي.
وظن أنه سالَمَتْه الخُطوب، وجَلتْ عن وجهِ رَجائِه القُطُوب.
ولم يَدْرِ أَنَّ القدرَ عليه بالمَرْصَد، ويَدُ المَنُون تخْترِمُه دُون المَقْصِدِ.
نَظَم قصيدةً مطلعها: [الطويل]

ألـــم تَـــرَ أنَّ الـــهَـــمَّ زالَ بـــزَالا وأحْـــســـنَ آمَـــالاً لـــنـــا ومـــآلا

فلما رأيتُه لم أشُكَّ في اسْتِحْكام الفَال؛ وأُلْقِيَ في رُوعِي الطِّيَرَةُ من لفْظة «زال».
وفارَقْتُه عشِيَّة يوم أُرَدِّدُ الفِكْرُ، وأَجَدِّدُ في لَيْلَتي ذلك الذِّكْر.
حتى جَفَا جَنْبَيَّ الضَّجْعَة، وجانَبَ جَفْنَيَّ الرَّقْدَةُ والهَجْعَة.
فما انْشَقَّ الفجرُ عن جَيْبِ الظَّلام، حتَّى أتانِي مخبرٌ بأنَّه يُعالِجُ الحِمام.
فبادَرْتُ إليه فوجدتُه أخَذَه الشَّرَقَ، وهو يلْفِظ آخِرَ الرَّمَق.
ونَفَسُه الباقي، قد بلغ التَّراقِي.
ثم قَضَى نَحْبَهُ، وَلَقِيَ رَبَّه.
فالله يستثمره عائِدَةَ الأُخْرَى آجِلاً، كما اسْتَنْجَزَه فائِدَة الأُولَى عاجِلاً.
وقد قلتُ أَرْثِيَة من قصيدةٍ، مطلعُها: [الخفيف]

كُـلُّ حَـيٍّ عـلـى الـبَـسِـيـطَـةِ فـانِ غـيـرَ وَجْـهِ الـمُـهَـيْـمِـن الـرَّحْـمَـنِ

إلى أن قلت فيها:

أيـنَ رُوحُ الـزَّمـان مَـن كـنـتُ حِـيـ ـنـاً وإيَّـاه نَـخْـلَـتَـيْ حُـلْـوَانِ

«نخْلَتا حُلوَان» يُضْرَبُ بهما المثلُ في طُولِ الصُّحْبَة.
وكان المَهْدِيّ خرج إلى أكْنافِ حُلْوان مُتَصيِّداً، فانْتهى إلى نَخْلَتَيْ حُلوان، فنزل تحتهما وقعد للشُّرب، فغنَّاه المُغَنِّي: [الطويل]

أيا نَـخْـلَـتَـيْ حُـلـوان بـالـشِّـعْـبِ إنَّـمـا أشَذُّ كما عن نخْل جُوخَي شَقَا كُما
إذا نَـحْـنُ جَـاوَزْنـا الـثَّـنِـيَّـة لـم نـزلْ عـلـى وَجَـلٍ مـن سَـيْـرِنـا أو نـراكُـمـا

فَهَمَّ بِقَطْعِهِمَا، فكتب إليه أبو المنصور: مَهْ يا بُنَيّ، واحذر أن تكون ذلك النَّحس الذي ذكرَه الشَّاعر في خطابِهما، حيث قال: [الخفيف]

واعْـلَـمَـا إن عَـلِـمْـتُـمـا أن نَـحْـساً سـوف يَـلْـقـاكُـمـا فَـتـفْـتَـرِقَـانِ

تتمَّة المرْثيَّة:

كـان فـيـنـا كـالـوَرْدِ فـي وَجَـنَـاتِ الْـ ـغِـيـد والـسِّـحـر فـي عُـيـونِ الـحِـسَـانِ
عـاجَـلَ الـدَّهْـرُ نَـيِّـرَ الـفـضـل بـالـكَـسْـ ـفِ وبـدْرَ الـكـمـالِ بـالـنُّـقْـصـانِ

Marfat.com
Marfat.com

رجَع الجوهرُ النَّفِيسُ إلى الأصْـ ... ـلِ وأضْحَى مقَرُّهُ فِي الجِنَانِ
ليتَ شِعْرِي وليسَ يُجْدِي أعَن عَمْـ ... ـدٍ رَمَتْهُ الخُطُوبُ أم نِسْيَانِ
كيف دَكَّيْتَ أيُّها الخَطْبُ رَضْوَى ... ونقلْتَ الهضابَ من ثَهْلانِ[1]

منها:

يا صَدِيقي تَرَكْتَني لِهمومٍ ... يَنْقَضِي قَبْلَها زَمانُ الزَّمانِ
لستُ أرْضَى عليكَ حُكْمَ لَبِيدٍ ... مَذْهَبِي في الوَفَاءِ حكمُ ابنِ هَانِي
عِيلَ صَبْرِي وإنَّما أتأسَّى ... بِعُمومِ المُصابِ في الأغْيَانِ
أسْعَدُ الصَّاحِبَيْنِ من ماتَ مِنْ قَبْـ ... ـلُ وأبْقَى الصَّدِيقَ لِلأحْزَانِ
إنَّما هذه مَراحِلُ تُطْوَى ... والبَرايَا تُساقُ كالرُّكْبَانِ

ومُرادي بحكْم لَبِيد قوله[2]: [الطويل]

إلى الحَوْلِ ثم اسْمُ السَّلامِ عليْكُمَا ... ومَن يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقدِ اعْتَذَرْ

وبحكْم ابن هانئ: [الطويل]

سأبْكِي عليهِ مُدَّةَ العُمْرِ إنَّني ... رأيتُ لبيداً في الوفاء مُقَصِّرَا

١٥- عبد الحيّ بن أبي بكر، المعروف بطرّز الريحان

أديب طَرْزُه تَطْرِيزُ الرِّقاع، بوَشْيِ تخْبِيراتِه، وفَقْه تخْلِيَةُ جِيد الكلام بجواهر تغْبِيراتِه.

تَنْتهِي إليه محاسِنُ الألْفاظ، وتَرْنُو مَعانِيه عن غَمَزاتِ الألْحاظ.

وله من الشِّعْر، ما يَسْخَر بالسِّحْر.

فلو كان لِسواه في حيِّز الإمْكان، اسْتَحَقَّ أن يُصْلَب عليه المَلكان.

---

(١) ثهلان: جبل معروف. ا.هـ لسان العرب، مادة: /ثهل/.

(٢) انظر ديوانه (٢١٤).

١٥- هو عبد الحي بن أبي بكر المعروف بطرز الريحان، البعلي الأصل، الدمشقي المولد، الحنفي، الأديب الشاعر. وكان عشاقاً ولوعاً بالجمال يتفانى صبابة وعشقاً، وتأخذه حيرة الغرام فيسكر وجداً وشغفاً، وكان سهل الألفاظ في شعره. قرأ على أبيه وعلى قريبهم الشيخ محمد السليمي، وأخذ عن عبد الباقي الحنبلي وأحمد القلعي، وتأدب بأبي بكر القطان. وكتب الكثير بخطه، وكان حسن الخط، صحيح الضبط، وكان يحفظ بعض مقامات الحريري، وحفظ من الأشعار شيئاً كثيراً، وتجرد مدة عن هيئته ودخل في هيئة الدراويش السواح فطاف البلاد، ودخل الروم ومصر وحلب، واستقر بدمشق آخراً، وتزوج بها ثم انعزل في خلوة بالمدرسة العزيزية، وحج آخر عمره فرجع متنسكاً تاركاً للدنيا، متقشفاً. وقد جمع لنفسه ديواناً بخطه.
وكانت وفاته في ذي الحجة سنة تسع وتسعين وألف عن خمس وستين سنة، ودفن بمقبرة الفراديس.
وشهرته بطرز الريحان لموشح قاله في أيام صبوته مطلعه: (طرز الريحان حلة الورد) فاشتهر به.
خلاصة الأثر (٢/ ٣٢٨)

Marfat.com
Marfat.com

إلى ظَرْف رَيْحَانُهُ يَرِفّ، وطبعُ هواه يشِفّ.
ومحاضَرة مع الرّاح تتّفِق، ولا تَفْتَرِق.
وتأتلِف، ولا تَخْتَلِف.
إلاّ أنّه كَان عليه للهَوَى وَثَبات، لا يُرْجَى له فيها قَرارٌ وثَبات.
فإذا عارضْتَه رأيتَ غَمَراتِ بَواعِثَ طافِحَة، وجَمَراتِ لواعِجَ لافِحَة.
وهمُوماً على جَوانِح جَوانِح، وآلاماً منها في جَوارِح جوارِح.
وكنتُ عاشَرْتُه لأستَمطِر دِيمَتَه، وأختبِرَ في هذا المعرض شِيمَتَه.
وكان عَفَّ عن الصَّبْوَة ونَسَك، وكَفَّ عنِ الشَّهْواتِ وأمْسَك.
ولم يَبْقَ فيه إلاّ بَقِيَّة، تخلّتْ على بيضاء نقيَّة.
فرأيْتُه مَغْلُوبَ سَوْرَةِ طِباعِه، وقد اسْتَوْلَت النَّفْرَةُ على طِرْفِ انْطِباعِه.
إلْمامُهُ فَلْتَةُ غَبِيّ، وإغْبَابُه فَتْرَةُ نَبِيّ.
فكنتُ معه على أحْسَنِ فِطْرَة، ولم تَلْحَقْني في هواه فَتْرَة.
واخْتَلسْتُ منه أوْقَاتاً كَلَمْعَةِ شارِق، وخَطْفَةِ سارِق.
ونَقْرَ العَصافِير، خَوْفَ النَّواطِير.
وأنا من منذ فَقَدْتُه، لم أرَ عنه بَدَلاً، وأغطافي مملوءةٌ به تَرَنُّماً وجَذَلاً.
وكانَ في آخِره حجَّ ورجَع رفيقَ زُهْدٍ وإنَابَة، فلم يَلْبَثْ حتى دعاهُ الدَّاعِي الذي لا بُدَّ له من إجَابَة.
فيا لَه من حجٍّ، وعُمْرَة، ختَمَ بِطابع النَّقاءِ عُمْرَه.
والحمد لله الذي أحسنَ له الاخْتيار، فقبضه إليه قَبْضَ الأخْيَار.
وقد أوردتُ من أشْعارِه التي هي فروعُ أمالِيه، ما يُحرّكُ الجماداتِ إذا ما تحرّك تاليه.

فمن ذلك قوله في الغزل: [الخفيف]

خَلِّياني ولَوْعَتي ونَحِيبِي ... ليس إلا صابٍ بدمعٍ صَبِيبِ
وابْكِياني فإنّ مَن جَرَح اللّحْـ ... ـظُ قَتيلٌ وما له من طَبِيبِ
أيُّ صَبٍّ سَمِعْتُما عِلقَتْهُ ... أعْيُنُ الغِيدِ فهو غيرُ سليبِ
بأبي مُعْرِضٌ ألُوفُ نِفارٍ ... ذُو اخْتِلاقٍ تفتُّناً للذُّنُوبِ
فِعْلُه كلُّه حبائلُ فتْكٍ ... قد أعِدّتْ لصَيْدِ كلّ القُلوبِ
تَتَحرّى مقاتِلَ الصَّبّ عَيْنا ... هُ برَشْقِ النِّبالِ في التّصْوِيبِ
ذُو وَقارٍ أهَابُهُ أن أُحَيِّيـ ... ـهِ إذا ما بَدَا بلَفْظِ حَبِيبِي
فَهْوَ لم أدرِ جاهِلٌ خُبْرَ حالِي ... أم يُرِينِي تجاهُلاً كمُرِيبِ
أبَداً دَأْبُه ودأْبِيَ هذا ... وكلانا في الحال غيرُ مُصيبِ

Marfat.com
Marfat.com

لَيْتَه لو أقرَّ قلْبي على الحبِّ ... بلا رِيبَةٍ ورُجوعِ قُطُوبِ
وإذا شاءَ بعد ذاك تَجَنَّى ... لَذَّةُ الحبِّ غُصَّةُ التَّعْذِيبِ
ما يُبالِي مَن اسْتَهلَّ عليه ... من سَماءِ الغَرامِ غَيْثَ اللُّغُوبِ[1]
جابَ كلَّ البِلادِ يَحْسَبُ أنَّ الـ ... ـحظَّ شيءٌ يُعْطَى لكلِّ غَرِيبِ

وأنشدني قولَه في الغزل: [الوافر]

سقَتْكَ الغُرُّ يا عهدَ الشَّبِيبَهْ ... تُرَنِّحُ منك أغْصاناً عسِيبَهْ
وإلا فالنَّواقِعُ من جُفُونِي ... وإن يكُ لا رَوَاءَ ولا عُذُوبَهْ
فكم لِي في ظِلالِكِ من مَقِيلٍ ... حَسَوْتُ به الهوى كأساً وكُوبَهْ
بكلِّ نَدِيِّ جسمٍ كنتُ أُظْمِي النَّـ ... ـواظِرَ عنه خَشْيَةَ أن تُذِيبَهْ
كأنَّ بكلِّ عُضْوٍ منه بَذْراً ... مُنِيراً أو مُدَبَّجَةً خَصِيبَهْ
وكلِّ مُرنَّحِ الأعْطافِ يخْطُو ... فيكْتَسِبُ الصَّبا منه هُبُوبَهْ
إذا ما رامَ يَغْبَثُ بِي دَلالاً ... يُقَطِّبُ والرِّضَا يمْحُو قُطُوبَهْ
فمَن لك بالسَّلامةِ إن تَثَنَّى ... وهَزَّ قناةَ عِطْفَيْهِ الرَّطِيبَهْ
وأبْلَجَ مُسْتَدِيرِ الشَّكْلِ أبْدَتْ ... به الأضْداغُ أشْكالاً عجِيبَهْ
يُرِيكَ بِسِيمياءِ الحسنِ رَوْضاً ... حَذاراً منه أن تَصْلَى لَهِيبَهْ
وفاحِمَ طُرَّةٍ شُكْراً لأيْـ ... ـدِي الرُّعْوُنَةِ كم بها أمْسَتْ لَعُوبَهْ
تُبَدِّدُها كذَوْبِ المِسْكِ طَوْراً ... على غُصْنٍ تجسَّدَ من رطوبَهْ
وطَوْراً يظْهرُ الشَّرْبُوشَ منها ... كأطْرافِ البَنانِ غَدَتْ خَضِيبَهْ[2]
وآوِنَةً يُرَى منها زبانا ... يلُوحُ وكم به كَبِدٌ سلِيبَهْ
فأنَّى يطرُق السُّلوانَ قلباً ... حَمَتْهُ جيوشُ خَضْرَاءِ الكَتِيبَهْ
ولا كَنَواعِسٍ أرْشَقْنَ قلْبِي ... صَوائِبَ غادَرَتْهُ أخاً مُصِيبَهْ
شَهَرْنَ ظُباً وقُلْنَ ألا صَبُورٌ ... فكانت مُهْجَتِي أولَى مُجِيبَهْ
لَحاهَا اللهُ أيُّ عَناً تلقَّتْ ... تقمَّصَ منه جُثْمانِي شُحُوبَهْ
ولم أكُ ألْحَهَا إلاَّ اضْطِراراً ... فلم تَكُ بالَّذي فَعَلتْ مَعيبَهْ
هيَ الأخْداقُ ما مَسَّتْكَ إلاَّ ... وفُزْتَ من الشَّهادَةِ بالمَثُوبَهْ
جرَى قلمُ القَضاء لنا بهذا ... ولا يَغْدُو امْرُؤٌ أبَداً نَصِيبَهْ

ومِن أهاجِيه، التي هي من قسم أفاعِيه، قوله في هجاء غلام يُباهي بتيهِهِ، ويتلاعبُ في العالَم بتَمْويهِهِ.

---

(١) اللغوب: التعب و الإعياء. ا.هـ لسان العرب، مادة /لغب/.
(٢) الشربش: هُذب الثوب، مولد. ا.هـ القاموس المحيط، مادة /شربش/. ولم أجد الشربوش.

Marfat.com
Marfat.com

فإذا فطِن بهوَى مُغْرَم، صيَّره هدفاً لكل مَغْرَم.
وكان يُرافِقُه، ولا يُوافِقُه.
ويُقاربه، لكن يُوارِبُه.
وهو مُغْضٍ على قَذىً، مقيمٌ على أذىً.
حتى بالَغَ في هجْرِه، فبلَغ نِهايةَ هجرِه.
واتَّفَقَ للشَّيخ مجلسٌ رآه فيه يلعبُ بالنَّرْد، فتعرَّف إليه، فعامله بالإعْراض والرَّدّ، فقال: [الخفيف]

أنْكَرَتْنِي ذاتُ السِّوارِ الصَّمُوتِ ... عجباً ما لعَرْفتِي من ثُبُوتِ
لا بلِ الغَانِيَاتُ يَعْدُدْنَ مَن أمْـ ... ـسَكَ مِن وَصْلِهِنَّ حيًّا كَمِيتِ
ومُرِيدٌ من الغوانِي وَفاءً ... مُتَدَلٌ بشَعْرِهِ العَنْكَبُوتِ
لا رَعَى اللهُ مُهجَةً علِقَتْـ ... ـهُنَّ ولا أُسْعِفَتْ بفضلِ القُوتِ
خَفَرَتْ هندُ ذِمَّتِي واسْتَعاضَت ... من صَدُوحِ الرِّياضِ بالعِفْرِيتِ
لستُ أنْسَى يومي بِمُجْتَمَعِ اللَّهْـ ... ـو وفكْرِي فيها يُجيد نُعوتِي
إذ بدَتْ في غُلالةِ التِّيهِ والعُجْـ ... ـبِ وبُرْدِ الجَلالِ والجَبَرُوتِ
تَتهادَى في السِّرْبِ حتَّى إذا مَا ... وصَلَتْ حَوْزَتِي أرَتْنِيَ موتِي
بتَغاضٍ مع الْتِفاتٍ إلى الدُّو ... نِ ومَقْتٍ ولستُ بالمَمْقُوتِ
وَيْحَها لم تُحَيِّنِي بينَ جَمْعِي ... لو تُحَيِّي قُلْنا لها حُيِّيتِ
وتلاهَتْ بالنَّرْدِ في ذلك المَجْـ ... ـلِسِ خَوفَ اتِّهامِها بالسُّكوتِ
ثم وَلَّتْ وخلَّفَتْنِي أعَضّ الـ ... ـكَفِّ مُسْتَدْرِكَ القَضا بعدَ فَوْتِ
هِنْدُ قِلِّي من التَّجَنِّي فلسْنا ... مَن يُراضِيه فَضْلَةٌ من فَتِيتِ
لستِ لاثْنَيْن أو ثلاثٍ فنأْسَى ... أن تَخُضِّي بعضاً وبعضاً تَفُوتِي
أنتِ وَقْفٌ على العِبادِ ومَن يَطْـ ... ـمعُ في الوقْفِ واجِبُ التَّبْكِيتِ[1]
أتَظُنِّينَ أنَّ لي بكِ شُغْلاً ... ليَ قلبِي إن شئتِ ذَا أو أبِيتِ
إنَّني عِفْتُ بَيْتَ حُسْنِكِ مَأْهُو ... لاً فأنَّى وما بِه غيرُ بَيْتِ
ليس عندي بعدَ احتِقارِكِ قَدْرِي ... لكِ كُفْؤٌ غير الطَّلاقِ الثُّبُوتِ
لا أُسُوفاً على جَمالِكِ إن بُدْ ... لَ قُبْحاً ومَرَّ طَعْمُ الشَّتِيتِ
غيرَ أنِّي أسِفْتُ إن ضاعَ شِعْرِي ... فيكِ لكن ما باخْتِيارِي حُبِيتِ
إذ بَلائِي بمُبْتَلاكِ دَعَا الفكْـ ... ـرَ لأن شادَ فيكِ بعضَ بيوتِ
آهِ من صُحْبَةِ العِبادِ وآهاً ... لزَمانٍ يَمُرُّ في تَشْتِيتِ

(١) التبكيت: التقريع والتوبيخ. ا.هـ لسان العرب، مادة /بكت/.

Marfat.com
Marfat.com

صدَقَ القائِلُ السَّلامةُ في الصَّمْـ ... ـتِ كذا الحُسْنُ في لُزومِ البيتِ
طالَ ما قد جرَرْتُ ذَيْلَ التَّصابِي ... وتناسَيْتُ غُصَّةَ التَّفْويتِ
لا يَظُنَّنَّ عاقِلٌ بِيَ مَيْلاً ... لمَلِيحِ مُؤانِسٍ أو مَقُوتِ
رفَضتْ نَفْسِيَ الهوَى خِيفَةَ الذُّلْـ ... ـلِ وأن تُسْتَلَى برِقٍّ فلِيتِ
وهجرتُ المُدامَ ممَّا يُؤدِّي ... لافْتِضاحِ القؤولِ والسَّكْيتِ
واخْتلاطٍ بغيرِ مَرْضِيِّ عقْلٍ ... وانْطِراحٍ مع قُرْبِ ذِي تَنْكِيتِ
فإذا ما ادَّكَرْتُ أيَّامَ لَهْوِي ... قلتُ أيَّامَ صَبْوَتِي لا سُقِيتِ
لَذَّةُ الْحُرِّ في اكْتِسابِ المعَالِي ... لا افْتِراشِ الدُّمَى وحَسْوِ الكُمِيتِ

وله في الغزل: [الخفيف]

قاتِلي أنتَ لا مَحالَ فأحْسِنْ ... قِتْلَةَ الصَّبِّ سيِّدي بحَياتِكْ
أنتَ في الحِلِّ من دَمِي فأبِنْنِي ... عنه تعْجيلَ جَنَّتَيْ وَجَناتِكْ
هَبْكَ أظْمَأْتَ ناظِرِي فازوِ سَمْعِي ... بكُؤوسِ العِتابِ من لَفَظَاتِكْ
إن حُبِّيك قَيَّد الفكْرَ حتَّى ... عَزَّ لو رُمْتُ وَصْفَ غيرِ صِفاتِكْ
أيُّ ذَنْبٍ جَنَيْتُه يُوجِبُ الهجْـ ... ـرَ ويُجْدِي الحِرْمانَ مِن حَسناتِكْ
بحياةِ العيُونِ جُدْ لِصَرِيعٍ ... ما رَمَى قَلْبَه سِوَى لَحظَاتِكْ
لا بِغَيْرِ الحديثِ يَا حالِيَ اللَّفْـ ... ـظِ ومُرِّ المَذاقِ في نَفَراتِكْ
إن لَحْظَيْكَ عَذَّباني ولكنْ ... ثَغْرُكَ الجَوْهَرِيُّ أعْذَبُ فَاتِكْ
ما لجَفْنَيْكِ في الخلائِقِ تُعْزَى ... أوَ في الحُسْنِ وَحَّدُوا غَيْرَ ذَاتِكْ
حُسْنُكَ الفردُ مثلُ ما فيكَ عِشْقِي ... فازعَ لي نِسْبَتِي لبَعْضَ سِماتِكْ
من تَجَنِّيكَ ما بَرَحْتُ طَرِيحاً ... ومُصابِي من جَفْنِكَ المُتَهاتِكْ
خَلِّنِي يا عذُولُ إنَّ بِسَمْعِي ... صَمَماً لا أعِي إلى فَشَرَاتِكْ
أنا مَن جَادَ بالسُّلُوِّ لمن لا ... مَ وبالنَّوْمِ للعيُونِ الفَواتِكْ
أنَا مَن قال للعَذُولِ مَلِيّاً ... أنْحُ عنَّا فما لنَا في بَناتِكْ
يا عُيوناً خَامَرْنَ قلبِيَ رِفْقاً ... لستُ أصْحُو ما عشْتُ من سَكَرَاتِكْ
لِيَ قَلبٌ يَرْوِي حديثَ سِقامِي ... وصَحِيحَ الغَرامِ عن كَسَراتِكْ
فإلى كم تلك الأمانِي الكَذُو ... باتُ تُعَنِّي الأطْماعَ في تُرَّهاتِكْ
كُن كما شئْتَ إنَّ قلبِيَ جَلْدٌ ... لرُكوبِ الأخْطارِ في مَرْضَاتِكْ
حَلَّهُ الحبُّ وهو خِلْوٌ وتَكْلِيـ ... ـفُكَ ما لا تَطيقُ نَزْعُ جِهاتِكْ

ومن غُرَرِه البديعة قصيدتُه الحائيّة، التي مدح بها آل البيْت، وتخلّص فيها لمدْح بعض الأمرَاء. ومستهلُّها: [الطويل]

Marfat.com
Marfat.com

مَهَبَّ الصَّبَا حَيَّتْكَ غُرٌّ طوافحُ ... سوافرُ بالفَيْضِ العميمِ سوَافِحُ
تُتوِّجُ منك الهُضْبَ تاجاً كأنّما ... حَبَتْهُ بأنواع النقوش القرائحُ
فإنَّ الصَّبَا فَوْجٌ لها عندَ مَن صَبَا ... أيادٍ كما شاءَ الغَرامُ وضائحُ
تُفَتِّحُ أقْفَالَ القُلوبِ كأنّما ... سَراهَا لأَسْرارِ القُلوبِ مَفاتِحُ
وتَعْبَثُ بالأشواقِ تبْعثُ مَيْتَها ... فما هِيَ للأرواحِ إلاَّ مَراوِحُ
تَقُدُّ قميصَ السُّحْبِ عَنْ مَنْكِبِ الفضَا ... سُحَيْراً فتقضي وهيَ نعْمَ المصابِحُ
مُؤدِّيَةً أسْرارَ عَرْفٍ تعرَّفَتْ ... لأهْلِيهِ في ذاكَ الأداءِ مَصالِحُ
قَرِيبَةُ عَهْدٍ من مَواطِن جيرَةٍ ... مَواطِئُهُم في الرَّقْمَتَيْنِ الجوارِحُ
لذلكَ أرْجُو أن تَهُبَّ نَدِيَّةً ... مُعَطَّرَةَ الأرْدانِ ممَّا تُصافِحُ
على أنَّ وادِيَها المُقدَّسَ في غِنىً ... عن الطِّيبِ ممَّا طَيَّبَتْهُ الضَّرائِحُ
مشاهِدُ فيها من دَمِ الشُّهَداءِ مَا ... يُعطِّلُ منه نافِجَ المسكِ نافِحُ
معاهِدُ لم يَحْفَظْ بها عَهْدَ أهْلِها ... عِصابَةُ سُوءٍ قد كَسَتْها المفَاضِحُ
تعَدَّوْا حدودَ اللهِ في آلِ أحْمَدٍ ... فآلُوا بِخِزْيٍ ليسَ عنه مُسامِحُ
ولم يكُ إلاَّ لَعْنَةَ اللهِ كَسْبُهُمْ ... بصَفْقَةِ خُسْرٍ خابَ فيها المُرابِحُ
لِيُحْرِزَ سبَّاقُ السَّعادَةِ شَأْوَها ... ويُمْحَضُ للأَشْقَى الشَّقَا والفَضائِحُ
قضاءٌ له حكمُ الإرادةِ واضِعٌ ... به جَفَّتِ الأقلامُ والأمْرُ واضِحُ
ألا عَدَّ عَمَّا يَضْدَعُ القلبَ ذكرُه ... ويُذْكِي تباريحَ الأسَى منه بارِحُ
وإنِّي وإنْ مَوَّهْتُ عنه فإنَّني ... حليفُ جَوىً مما تُجِنُّ الجوانِحُ
ولكن لنا فيمَن مضَى أُسْوَةُ الهوَى ... إذا ما وَرَى زَنْدٌ من الوَجْدِ قادِحُ
سقَى صَيِّبُ الرِّضْوانِ أرْضاً بنُورِها ... تُنِير على صاحِي السَّماءِ الصَّحاصِحُ
مراقِدُ مَثْوَى العلم والحِلْم والحَيَا ... وكلّ حميدٍ ما اهْتَدَتْهُ المدائِحُ
رياضُ الرِّضا مَغْنَى الغِنَى مُنْتَدَى النَّدَى ... جنانُ الجَنَا حيْثُ المُنَى والمُنائِحُ
يميناً بهم لوْلا مَمَرُّ الصَّبا على ... مَضَاجِعِهِمْ ما طابَ منها المُصافِحُ
هُمُ السَّادَةُ الطُّهْرُ الذين بحُبِّهِمْ ... أدِينُ إلهِي يَومَ يَزْبَحُ رابِحُ
وهمْ عُمْدَتِي في كُلِّ كَرْبٍ وعُدَّتِي ... إذا ما غَزَا صَبْرِي الزَّمانُ المُكافِحُ
ولي من سَنَا آثارِهِمْ كُلَّما دَجَى ... عليَّ ظَلامُ المُوبِقاتِ مَصابِحُ
وحاشَا جَنابَ الأكْرَمينَ يُضِيعُ مَن ... لأغتابِهِمْ قد طَوَّحَتْهُ الطَّوائِحُ
وإنِّي لِمَن والاهُمُ لَمُحاسِنٌ ... وإنِّي لِمَن عاداهُمُ لَمُقابِحُ
ولستُ بِمَن وافاهُمُ المدْحَ حقَّهُ ... وعُذْرِي وقد قَصَّرْتُ فيه لواضِحُ

Marfat.com
Marfat.com

وإنّي لَفِكْرٌ أغقَمَتْهُ همُومُه ... وأضمَتْهُ أضداءُ الزّمانِ الفَوادِحُ
يَقُومُ مَقاماً تَخْرَسُ الفُصَحاءُ عَن ... عُلاهُ فكيفَ الأخْرَسُ المُتفاصِحُ
ولكنّني أرجُو المفازَ ولَوْ بأنْ ... يُشَاعَ مَجازاً أنّني الآلَ مادِحُ
وحسْبِي حُبٌّ للنَّبِيِّ وآلِهِ ... ومَن قدْ أحَبُّوهُ ولستُ أُكاشِحُ[1]
وممَّا اقْتَضانِي حُبَّهُمْ حبُّ ذِي عُلاً ... يُطَارِحُنِي ذِكْراهُمُ وأُطارِحُ
مُحبُّ حَبيبي مَوطِنٌ لمَحَبَّتِي ... وإنّي لَهُ خِلٌّ صَدُوقٌ مُناصِحُ
هُو الأرْوَعُ اللَّيْثُ الذي حَشْوُ ثَوْبِهِ ... وَقارٌ تَغُضُّ الطَّرْفَ عنه الملائِحُ
هُمامٌ يُعيدُ الهَمَّ رُؤيَةُ وجْهِهِ ... ولَيْلٌ لوَخْدانِيَّةِ الله راجِحُ
أغَرُّ يُرِيكَ النُّجْحَ مَهْمَا لَحَظْتَه ... أسَاريرُ منها كوكبُ السَّعْدِ لائِحُ
إذا سَمِعَتْ أُذْنٌ بأوْصافِ مَجْدِه ... تقولُ غُلُوٌّ بالِغٌ وتَسامُحُ
وحتَّى إذا ما عايَنَتْ منه سبَّحَتْ ... وقالتْ نَعَمْ في قدْرَةِ اللهِ صالِحُ
رأيتُ عُلاهُ فامْتلأتُ مَهابَةً ... ومَن يلْقَ لَيْثاً فهْوَ لا غَرْوَ جَامِحُ
وقد ظَلْتُ لم أسْطِعْ جواباً وإنَّ لي ... لعَضْبُ لِسانٍ تَتَّقِيهِ الجَوارِحُ
كأنَّ مِدادِي حِين أرْقُمُ مَدْحَهُ ... غَوالِي الغوانِي والرَّوِيِّ الرَّوائِحُ
عجبْتُ لأقلامِي سَعَتْ في مَدِيحِهِ ... على رأسِها جَزْياً بما هو سانِحُ
وقد طالَ ما اسْتَنْهَضْتُها لِمُلِمَّةٍ ... فأغْيَتْ طِلابِي وهْيَ ثَكْلَى بَوارِحُ
ولا غَرْوَ أنْ تَسْعَى لِمَخْدُومِها الذي ... جميعُ مَساعِيها لدَيْهِ نواجِحُ
فَدَيْتُكَ يا ابْنَ الأكْرَمِينَ ومَن به ... خُزاعةُ لم يَرْجَحْ عليها مُرَاجِحُ
حَنَانَيْكَ إذْ كان الجُيُوشُ تَهابُ مِن ... لِقائِكَ فاعْذُرْ عاجِزاً يتكادَحُ[2]
وأيُّ لسانٍ لا يَكَلُّ حديدُهُ ... لدَى ذَرِبٍ ينْبُو لدَيْه الصَّفائِحُ[3]
على أنَّنِي للشِّعر كنتُ مُحارِباً ... ولَمْ أْلقَ فيما بَيْنَنَا مَن يُصالِحُ
وقد كنتُ أبوابَ القَرِيضِ غَلَقْتُها ... إلى أنْ أتَتْها مِن يَدَيْكَ الفَواتِحُ
ومَن لم يكُن في مِثلِ مجْدِكَ شاعِراً ... عَصَتْهُ القَوافِي واعْتَصَتْهُ الفرائِحُ
ولستُ بمَن يختارُ لُبْثاً بغَيْرِ مَا ... مُقامِكَ لولا أفرُخٌ تَتَصَادَحُ
تُسائِلُ عنِّي مَن يروحُ ويغْتَدِي ... سُؤالَ شَجِيٍّ دَمْعُهُ يتَسافَحُ

---

(١) الكاشح: العدو المبغض. والكاشح: الذي يضمر لك العداوة. لسان العرب، مادة: /كشح/.
(٢) الكدح: السعي. انظر لسان العرب، مادة /كدح/.
(٣) قال ابن الأعرابي: ذرب الرجل: إذا فصح لسانه بعد حصره. ولسان ذرب: حديد الطرف، وفيه ذرابة: أي: حدة. ا.هـ لسان العرب، مادة: /ذرب/.

Marfat.com
Marfat.com

وأنتَ خَبِيرٌ أنَّ تلكَ عَلاقَةٌ ... تسُدُّ على الوَحْشِ الفَضَا وهْوَ سارِحُ
ولو كان لي من فَارِهِ الفَحْلِ مَرْكَبٌ ... أُغادِي بهِ مَغْنَاكُمُ وأُراوِحُ
لما قَعَدتْ بي عن حِماكم عَزِيمَةٌ ... ولا اطَّرَحَتْني عن سِواكَ مَطارِحُ
ولي نفْسُ حُرٍّ تأْنَفُ الذُّلَّ لو أتى ... لها بقرابِ الأرضِ مما يُشاحِحُ
تألَّفْتَها باللُّطْفِ حتى تألَّفَتْ ... وحنَّتْ إلَيْكُمْ والدِّيارُ نوازِحُ
وحتَّى إذا وافَتْكَ وافتْ مُهَذَّباً ... يُعيدُ رُواءَ الدَّهرِ والدَّهْرُ كالِحُ
حَليماً لدَى البَأْساءِ قطبُ رَحَى الوغَى ... رَزِينَ الحِجَا لا يَزْدَهِيهِ مُمازِحُ
بصيرٌ بتَدْبِيرِ الخُطوبِ كأنَّما ... ذَكاهُ بأعْقابِ الأمورِ يُصارِحُ
له مَنطِقٌ يسْتَنْزِلُ العُصْمَ في الرُّضَا ... وفي ألْباسِ رُسْلٌ للمنايَا فواضِحُ
فطِبْ عُمَرُ الثَّانِي بِسِيرَتِكَ التي ... بها كلُّ مَخزُونٍ من الجَوْرِ فارِحُ
إليْكَ أتَتْ رُغْبُوبَةُ الحُسْنِ غادَةٌ ... لها مِن بَدِيعِ المَكْرُماتِ وَشائِحُ[1]
وبَلْقِيسُ حُسْنٍ في مَنَصَّةِ عَرْشِها ... بلابلُ أفْنانِ الفُنون صَوادِحُ
شهُودٌ بأنِّي في البَلاغَةِ واحِدٌ ... كأنتَ عُلاً كلٌّ بِمَغْناهُ طافِحُ
عسى هَزَّةٌ من أرْيَحِيَّتِكَ التي ... تَنَاشَدَها الرُّكْبانُ غادٍ ورَائِحُ
تُعَلِّمُ مَن جَارَاكَ في حَلْبَةِ العُلَى ... تلَقِّيَ وَفْدِ الفضْلِ أنَّى يُصافِحُ
ودُمْ وابْقَ واسْلَمْ غُصْنَ مَجْدٍ يَهُزُّهُ ... أغارِيدُ مُدَّاح العُلَى والمدَائِحُ

ومن غزَلِيَّاتِه الرَّقيقة، التي هي الخمْرُ على الحقيقة، قوله من قصيدة مطلعُها: [الخفيف]

لَحَظاتٌ لا تُحامى القَوَدَا ... قد تَناهَبْنَ الحَشَا والكَبِدَا

منها:

يا لِحاظاً تَسْتَلِذُّ فَتْكَها ... لا عَدِمْنا عَضْبَكَ المُجرَّدَا
دُونَكِ الصَّبْرَ اخطِمِي جنُودَه ... واجْعَلِي شَمْلَ السُّلُوِّ بَدَدَا
وامْنَعِي وَزْداً ووِزداً للحَيَا ... والحياةِ من جَنَى أو وَرَدَا
يا مَهَزَّ الغُصْنِ من عِطْفَيْهِ مِلْ ... واعْتَدِلْ لم تلْقَ من قال اعْتَدَى
يا مَنَاطَ القُرْطِ من نُغْنُغِه ... قد تَرَكْتَ الظَّبْيَ يجرِي في الكُدَى[2]
كيفَ لِلظَّبْيِ بِفَرْعٍ فاحِمٍ ... زانَ بالتَّضْفِيفِ جِيداً أجْيَدَا

---

(١) جارية رعبوبة: قيل: هي البيضاء الحسنة، وقيل: هي البيضاء فقط، وقيل: هي البيضاء الناعمة. انظر لسان العرب، مادة /رعب/.
(٢) الكدية: الأرض الصلبة، أو المرتفعة، أو الغليظة. انظر لسان العرب، مادة: /كدا/.

Marfat.com
Marfat.com

مُذْ غَدَا المِخرابُ من حاجِبِهِ ... قِبْلَةً خَرَّتْ جُفُونِي سُجَّدَا
هكذا الحُبُّ وَعِزُّ شأنِهِ ... صَنْعَةَ اللهِ تعالَى مُوجِدَا
مالِكِي بالحُسْنِ والحُسْنَى احْتَكِمْ ... حَقَّ أن تُضحِي لِمِثْلِي سَيِّدَا
إنَّ مَن كنتَ له مَولىً فقدْ ... عاش يا مَوْلايَ عَيْشَ السُّعَدَا
صَبَّحَ اللهُ بكلِّ الخَيْرِ مَن ... كانَ مَرْآكَ لِعَيْنَيْهِ ابْتِدَا
أنت رُوحِي فإذا ما غِبْتَ عَنْ ... ناظِرِي فَارَقَ رُوحِي الجَسَدَا

وله يُودِّع بعضَ إخوانه: [مخلع البسيط]

حَيَّاكَ عَهْدَ الحبيبِ عَهْدُ ... أوْطَفُ جَفْنِ السَّحابِ وِرْدُ
بعدَكَ ما جَفَّ مِن جُفُونِي ... دَمْعٌ ولَمْ يَجْفُهُنَّ سُهْدُ
كأنَّما كان لِلَّيالِي ... دُيُونُ بَيْنٍ وَحَانَ وَعْدُ
يا لَيْتَ مذ فرَضتْ بِعاداً ... سَنَّتْ وَداعاً غداة تَبْدُو
أَسْتَوْدِعُ اللهَ مَن جَفَانِي ... ضَرُورَةً وهْوَ لِي يَوَدُّ
سارَ بِقَلْبِي حَمَاهُ رَبِّي ... ولم يَقُلْ كيف بَعْدُ تَغْدُو
حَداهُ أنِّي انْتَحَى فَلاحٌ ... وقادَهُ لِلنَّجاحِ رُشْدُ
وما عَلَيْهِ بِذَاكَ عَتْبٌ ... إرادةُ البِلَّهِ لا تُرَدُّ

وله في الغزل: [م.الرمل]

ما الَّذي أوْجَبَ صَدَّكْ ... ولِمَا أخْلَفْتَ وَعْدَكْ
أَلِشُغْلٍ دُنْيَوِيٍّ ... أم عَذابِي كان قَصْدَكْ
أمْ دَلالٍ أم تَجَنٍّ ... أم قَرِينُ السُّوءِ صَدَّكْ
وعَلَى أيَّةِ حَالٍ ... أسْعَدَ الغُفْرَانُ جَدَّكْ
بالذي ولأَك رِقِّي ... سَيِّدِي لا تَنْسَ عَبْدَكْ
أنا في قُرْبٍ وبُعْدِ ... حافِظٌ تاللهِ عَهْدَكْ
وفُؤادِي حَيْثُما كُنْـ ... ـتَ وأيْمُ اللهِ عِنْدَكْ
لُطْفُكَ المَعْهُودُ خَلاَّ ... نِي أسِيراً لكَ وَحْدَكْ
هَلْ مِن الإنْصافِ إقْصا ... ءُ الَّذي يَنْظِمُ قَصْدَكْ
حاشَ ألْطَافَكَ مِن أنْ ... تَمْنَعَ الظَّمْآنَ وِرْدَكْ
أنا مَن شاد كما شَا ... ءَ التُّقَى والصَّوْنُ وُدَّكْ
كَمْ خَلَوْنَا وَالْمُرُوءَا ... تُ وَشَتْ بُزْدِي ويُزْدَكْ
وعَفافُ الذَّيْلِ قَدْ طَوَّ ... قَ جِيدَ الصَّبِّ زِنْدَكْ
هكَذا نحنُ فظُنَّ الْـ ... ـخَيْرَ يا سَائِلُ جُهْدَكْ

Marfat.com
Marfat.com

أنـــا مَـــن يـــتْـــبَـــع غَـــيَّ الْـــ ... حُـــبِّ فـــاتْـــبَـــعْ أنـــت رُشْـــدَكْ

وله: [البسيط]

إليك يا ابْنَ أبي عنّي نصيحةَ مَن ... يَـدُ الـتِّـجـارِبِ قـامَـتْ عـنـه بـالأوَدِ
إيّـاكَ صُـحْـبَـةَ غـيْـرِ الـجـنْـسِ مـا بَـشَـرٌ ... يَقْوَى لأنْ يجْمَع الضِّدَّيْنِ في جَسَدِ

وله: [م. الخفيف]

حَـــيٌّ وَجْـــهـــاً إذا سَـــفَـــرْ ... أخْـجَـلَ الـشَّـمْـسَ والـقَـمَـرْ
ومُـحَـيًّـا لـهُ الـحَـيَـا ... وخُـدوداً لَـهَـا الـخَـفَـرْ
وقُـدوداً إذا انْـثَـنَـتْ ... ظَـلْـتُ أُثْـنِـي عـلـى الـقَـدَرْ
ومَـهـاً فـي جُـفـونِـهـا ... عـالِـمُ الـسِّـحْـرِ قـد مَـهَـرْ
يـسْـتَـفِـزُّ الـحِـجَـا بِـلا ... حـاجَـةٍ لِـسَـوَى الـنَّـظَـرْ
وظِـبـاءً ظُـبـاؤُهَـا ... لـيْـسَ تُـبْـقِـي ولا تَـذَرْ
غـازَلَـتْـنِـي بـغَـزْوِهَـا ... ثُـمَّ وَلَّـتْ عـلـى الأثَـرْ
ودَّعَـتْـنِـي وأوْدَعَـتْ ... جَـفْـنِـيَ الـنَّـوْحَ والـسَّـهَـرْ
وتَـبـاكَـتْ وقـد بـكَـيْـ ... ـتُ وعـنـد الـهَـوَى الـخَـبَـرْ
سـاجِـيـاتِ الـجُـفـونِ لا ... تَـتَّـخِـذْنَ الـبُـكَـا سُـتُـرْ
لـسْـتُ فِـيـكُـنَّ لابِـسـاً ... مِـن غَـرامِـي عـلـى غِـرَرْ
لـيْـسَ مَـن دَمْـعُـهُ حَـيـاً ... مـثـلَ مَـن دمـعُـه حَـذَرْ
أيْـن دَمْـعُ الـدَّلالِ مِـنْ ... عَـبْـرَةِ الـهَـمِّ والـعِـبَـرْ
غَـيَّـرَ الـكُـحْـلُ لَـوْنَ ذا ... واسْـتَـحـالَـتْ بـذا الـغِـيَـرْ
لـيـس مَـن قـلْـبُـه قَـسَـا ... كـالَّـذي قـلـبُـه انْـفَـطَـرْ
لـيْـسَ مَـن بـاتَ هَـاجِـعـاً ... مـثـلَ مَـن نَـوْمَـه هَـجَـرْ
ومِـن الـفَـرْشِ والـوَسَـا ... دِ يُـسْـتَـثْـبَـتُ الـخَـبَـرْ

وله: [الطويل]

أطالَتْ وقالتْ مَن تصبّرَ يَظْفَرُ ... فَدَيْتُكِ لكنْ مُدّةُ العُمْرِ تقْصُرُ
ففي كُلّ قُطْرٍ غُرْبَةٌ وتَشَتُّتٌ ... وفي كلّ عصْرٍ حُرْقَةٌ وتَحَسُّرُ
يُخَيَّلُ لي في كلّ قَفْرَاءَ أنّما ... بها الآلُ أشْراكُ الهَوانِ فأُقْصِرُ
أهَجْرُ منها حيثُ تَسْتَعِرُ الحَصَا ... وتَضْخَب جِزباءُ الهَجِيرِ وتَزْفِرُ
وحتّى إذا شَمْسُ الأصِيلِ تَقَنَّعَتْ ... حِداداً على فَقْدِ النّهارِ أشَمّرُ
فأخْتَبِطُ الظّلْماءُ أحْسَبُ أنّها ... مَسافَةُ خَطٍّ بالخُطى تَتَقَصّرُ

Marfat.com
Marfat.com

ولـو أن لـي فـيـكَ الْـتِـفَـافَ مَـوَدَّةٍ ... لَـما كنتُ أطْوِي في الـبلادِ وأَنْشُرُ

وله: [الخفيف]

الأهَـمَّ الأهَـمَّ إن كـان لابُـدَّ ... فـإن الـزَّمـانَ فـيـنـا قَـصِـيـرُ

لا تُضِـعْ فُـرْصَـةَ الـحَـياةِ فَـما لِلْـ ... عُـمرِ حـيثُ انْـتَـهى مَـداهُ مُـعِـيرُ

وله: [الطويل]

ألا قُلْ لـمن أبدَى اعْتذاراً وقد أبَى ... زِيـارَتَـنَـا والـرِّيْـبُ فـي ذلـك الـعُـذْرِ

عـلـيـكَ أمـانُ اللهِ مـا دُمْـتَ عـنـدَنـا ... من القَتْلِ والتَّشْليحِ ثـمّ فـلا أذْرِي

وله: [الطويل]

إذا كـان فـقـرُ الـمـرءِ يُـزْرِي كَـمـالَـهُ ... فـتـنْـفِـرُ مـنـه الأصْـدِقـاءُ بـلا عُـذْرِ

فيَا ضَيْعَةَ الحُسْنَى ويا خَيْبَةَ الرَّجا ... ويا مَوْتُ زُرْ إنَّ الحياة على خُسْرِ

وله: [م. الكامل]

أسَـفٌ يُـرَدِّدُ بـالـنَّـفَـسْ ... ومَـدامِـعٌ لا تُـخْـتَـبَـسْ

وصَـبـابَـةٌ مـن وَقْـدِهـا ... نـارُ الـجـوانِـحِ تُـقْـتَـبَـسْ

شَـوْقـاً إلـى مَـن بُـعْـدُهـمْ ... لـم يُـبْـقِ لـي إلاَّ نَـفَـسْ

وشَـتـاتُ شَـمْـلِـي عـنْـهُـمُ ... قـد سَـهَّلَ رُوحِـي واخْـتَـلَـسْ

صَـبْـراً لـدَهْـرٍ مـا ابْـتَـسَـمْـ ... تُ تَـهَـجُّـلُـداً إلاَّ عَـبَـسْ

وله، ويخرج منه اسم إبراهيم بطريق التَّعْمِيَة:

إنَّ رَقـيـبـاً صَـدَّ مَـن نَـعْـشَـقُـهُ ... عَـنَّـا وآذَانَـا بـلا تَـحـاشِـي

راحَ بـلا عـاقـبـةٍ مَـحْـمُـودَةٍ ... إذْ حـالَ بـيْـنَ الـمـاءِ والـعِـطـاشِ

وله: [الطويل]

تـولَّى زَمـانِي بـالـتَّـلاعُـبِ وانْـقَـضَـى ... وحَـبْـلُ شَـبـابِي بـالـمَـشِـيـبِ تـنـقَّـضَـا

أُراقِـبُ لَـمْـحـاً من سُـهَـيْـلِ مَـطـالِـبِـي ... وأرْصُـدُ بَـرْقـاً مـن أمـانِـيَّ أوْمَـضَـا

يُـخَـيَّـلُ لـي أنَّ الـدُّجَـى وَجْـهُ بـاخِـلٍ ... وكَـفَّ الـثُّـرَيَّـا لـلـسُّـؤال تَـعَـرَّضَـا

فـآنَـفُ مِـن نَـيْـلِ الـغـنـى بـمَـذَلَّـةٍ ... وألْـوِي عِـنـانَ الـقَـصْـدِ عَـنْـهُ مُـفَـوِّضَـا

وأغْـيَـى طِـلابِـي مِـن زَمَـانِـيَ صـاحِـبـاً ... يـكـونُ لِـحـالِـي بـالـوفـاءِ مُـنَـهِّـضَـا

فـأيْـقَـنْـتُ أن الـخِـلَّ أفْـقَـدُ ثـالِـثٍ ... مَـع الغُولِ والعَنْقَاءِ في قَوْلِ مَن مَضَى

وقـد صَـحَّ عـنـدِي أنَّـمـا الـخِـلُّ خَـلَّـةٌ ... أرُومُ لـهـا سَـدَّ الـكَـفـافِ مـع الـرِّضَـا

إذا قَـطَـع الإنْـسَـانُ أطْـمـاعَ نـفْـسِـهِ ... مِنَ النَّاسِ كان اليَأسُ أغْنَا مُعَوِّضَا

هُـنـاكَ يـكـونُ الـمـرْءُ بـاللهِ مُـقْـبِـلاً ... عـلـى شَـأنِـهِ مـا إن يـكِـلُّ لـه مَـضَـا

Marfat.com
Marfat.com

فذاكَ الَّذِي بالعَقْلِ صَحَّ اتِّصَافُهُ ... ومَن لا فَلا واللهُ بالِغُ ما قَضَى

وله: [البسيط]

قبلَ التَّغَزُّلِ منِّي فيه كان لَهُ ... بعضُ الْتِفاتٍ إلى حالِي وقد مُنِعَا
أمِنْتُ فيه من الأغْيارِ فانْتَدَبَتْ ... للمَنْعِ نَبْتُ لِسانِي ليت لو قُطِعَا
يا رَبِّ حتى أنا ساعٍ على تَلَفِي ... ما ذاكَ إلاَّ لسُوءِ الحَظِّ قد وُضِعَا

وله: [م. الرمل]

أيُّها الغاصِبُ قلْبِي ... خَلْهِ مِنْكَ وَدِيعَهْ
لا تَكُنْ ضامِنَ في الغَضْـ ... ـبِ بإتْلافِ القَطِيعَهْ

وله، وقد أجاد: م. [الرمل]

يا بَعِيدَ الغَوْرِ مِن خَضْـ ... ـرٍ عَفا لَوْلاَ المَعاطِفْ
وبَعِيدَ القَرْطِ مِن مَغْـ ... ـقِدِ أطْرَافِ المطارِفْ
أعمودُ الصُّبْحِ ما أطْـ ... ـلَعْتَ مِن طَوْقِ المناشِفْ
أمْ بَدا مِعْصَمُ كَفِّ الْـ ... ـبَرْقِ للأبْصارِ خاطِفْ
أمْ طُلا ظَبْيِي مُراعٍ ... مُسْرِعِ اللَّفَتاتِ واجِفْ
يا قَضِيباً من لُجَيْنِ الـ ... ـظَّفِ نامٍ في حَقائِفْ
باتَ يُسْقَى صَيِّبَ الدَّ ... لِّ فأضْحَى وهْوَ وارِفْ[1]
إن عَرَى مِن حُلَلِ الْـ ... ـخَزِّ اكْتَسَى حُلَلَ اللَّطائِفْ
دارَ هِمْيَانُكَ هَيْما ... نَاً لأخْبارِ المراشِفْ
ولقد طالَ المدَى فانْـ ... ـعَمْ بإرْسالِ السَّوالِفْ

قلت: هذا شعر أبهى من إرْسال السَّوالِف، وأشهر من ذِكر اللَّيالِي السَّوالف.

وله إلى مُعذِّرٍ طُرِّزت حاشِيَتَا خدَّيْه بالقَلَم الرَّيْحانيّ، وغُرِزتْ صَحِيفَتَا وَجْنَتَيْه بالطِّراز السُّبحانيّ: [م. الكامل]

هذا طِرازُ المُلْكِ يَخْلُو ... ولَهُ لِواءُ الحُسْنِ يَغْلُو
فُتَواطِقُ الأرْواحِ آ ... ياتِ الصَّبابةِ فيه تَتْلُو
نَسَخَ العِذارُ بَخَطِّه ... عُذْرَ السُّلُوِّ فكيف نَسْلُو
عَجَباً لِجَمْرٍ منه يَضْلَى الـ ... ـقَلْبَ دَبَّ عليه نَمْلُ
ولِعَقْرَبٍ من عَنْبَرٍ ... حامَتْ على وَرْدٍ يُطِلُّ
ولِحُمْرَةٍ فيها تَوَلَّـ ... ـدَ من خُطُوطِ الصُّبِّ شَكْلُ

---

(١) وهو وارف، أي: ناضر رفّاف، شديد الخضرة. ا.هـ . لسان العرب، مادة / ورف/ .

Marfat.com
Marfat.com

وحِـقـاقِ يـاقُـوتٍ عـلَـيْـ ـهِ مـن الـزُّمُـرُّدِ صِـيـغَ قُـفْـلُ
إنَّ الـجـمـالَ الـصَّـرْفَ مَـغْـ ـنـىً عـن تَـعَـلُّـقِـهِ يـجـلُّ
أسْـتَـغْـفِـرُ الله الـعـظـيـ ـمَ تـوَهُّـمُ الأفْـكـارِ شُـغْـلُ
هـذِي طَـلاسِـمُ قُـدْرَةٍ لِـلُـجَـيـنِ كـنـزٍ فـيـه لَـغْـلُ
بـل ظِـلُّ أهْـدابٍ شَـخَـضْـ ـنَ وفـي مَـرائِـي الـحُـسْـنِ صَـقْـلُ
فـغـدَا صَـفـاءُ أدِيـمـهَـا لـخـيـالِ ذاكَ الـظِّـلِّ يَـجْـلُـو

وله في الغزل: [الخفيف]

مِلْ فإنِّي لـمـيْـلِكَ الـمُـسْـتَـمِـيـلِ مُـتَـلَـفٌّ عـلـى مَـراحِ الـقَـبُـولِ
وعَـجـيـبٌ مَـيْـلُ الـغُـصـونِ إلـى نَـحْـ ـوِ مَـهَـبِّ الـهـوى بـغَـيْـرِ مُـمِـيـلُ
لـكـنِ الـمـيْـلُ بـانْـجِـذابِ هـوَى الـنَّـفْـ ـسِ أبـيُّ الـزَّوالِ والـتَّـخـويـلِ
حَـبَّـذا مَـيْـلَـةٌ خَـلَـسْـتَ بـهـا الـقَـلْـ ـبَ اخـتِـلاسَ الـشَّـمُـول حُـرَّ الـعُـقـولِ
مِـعْـطَـفٌ عـاطِـفٌ وجـيـدٌ مُـجـادٌ والْـتِـفـاتٌ يَـسْـبِـي بِـطَـرْفٍ كَـحِـيـلِ
وطُـلاً واضِـحٌ ولَـفْـظٌ خَـلُـوبٌ يَـنْـفُـثُ الـسِّـحْـرَ فـي خِـلالِ الـمَـقُـولِ
وبـرُوحِـي إذا تـغـاضَـبْـتَ والـمـبْـ ـسَـمُ يَـفْـتَـرُّ عـن رِضـاً فـي ثُـكُـولِ
لَـعِـبٌ فـي تـأدُّبٍ وتَـجَـنٍّ ضِـمْـنَ عَـطْـفٍ ومَـنْـعَـةٌ فـي حُـصُـولِ
هـكـذا هـكـذا تـبـارَكَ مَـن أوْ دَعَ فِـي ذا الـجـمـالِ كـلَّ جـمـيـلِ

وله: [الطويل]

بِرُوحِي الذي أشْقَى العيُونَ ارتِقابُهُ وأخْرجَ عن حَدِّ التَّعادلِ أحْوالِي
تـمـثِّـلُـهُ الأشْـواقُ لـي فـإذا أرى مَـلـيـحـاً عـلـى بُـعْـدٍ تظنَّـاهُ بَـلْـبـالِـي
فأقْـصِـدُهُ قَـصْـدَ الـعِـطـاش تـوهَّـمـتْ شـرابـاً فـمـذ دانـتْـه إذْ هـو بـالآلِ
فـصـرت بـحـالٍ لـو أراهُ حَـقِـيـقـةً نكِرتُ عـلـى عَـيْـنِـي وكَـذَّبْـتُ آمـالِـي

وله في تهنئة بِختان: [الكامل]

الـغُـصْـنُ يُـحـذَمُ بـاقْـتِـضـابِ فَـواضِـلِ مِـنْـهُ لِـيَـنْـمُـوَ فـي الـرِّيـاضِ ويَـخْـمِـلاَ
وكـذاك أقـلامُ الـكـمـالِ لِـبَـزْيِـهـا تَـغْـنُـو لـهـا سُـمْـرُ الـرِّمـاحِ تـمـثُّـلاَ
والـشَّـمْـعُ لا يَـزْهُـو ويَـزْهِـرُ نُـورُهـا حـتـى تَـقُـصَّ مـن الـذُّبـالَـةِ مُـرْسَـلا

تناول هذا من قول محمد بن قاسم الحَلبيّ، من تهْنئةِ بختانٍ، يقول فيها[1]:

[المتقارب]

هُـو الـشَّـمْـعُ إن قُـطَّ لا غَـرْوَ أن أنـارَتْ بـه حـالِـكـاتُ الـلَّـيـالِـي
وظُـفْـرٌ بـتَـقْـلِـيـمـه لا يـزالُ أكـفُّ الـمـكـارِمِ مـنـه حَـوالِ

(١) انظر ريحانة الألبا (١/ ٨٨).

Marfat.com
Marfat.com

وتَشْمِيرُ ذَيْلٍ لدى الاسْتِبَاقِ لنَيْلِ الأمَانِي وكَسْبِ المعالِي
ومَا لِلْيَرَاعِ إذا لَمْ يُقَطَّ فَضْلٌ يُعَدُّ على كلِّ حالِ
ومن بَعْدِ بَرْيِ الغُصُونِ ازْدَهَتْ عَلَيْهَا أسِنَّةُ سُمْرِ العَوالِي

وإن كان سبَقَه في البغض ابنُ فضل الله، في خِتان الناصر[1]: [الخفيف]

لم يُرَوِّعْ له الخِتانُ جَناناً مُذْ أصَابَ الحديدُ منه حَدِيدَا
مِثْلَما تنقصُ المصابيحُ بالقَطِّ فتَزْدَادُ في الضِّيَاءِ وَقُودَا

وكذلك الصَّنَوبَرِيّ في قوله[2]: [الوافر]

أرَى طُهْراً سَيُثْمِرُ بَعْدُ عُرْساً كما قد تُثْمِرُ الطَّرَبَ المُدامَهْ
وما قَلَمٌ بِمُغْنٍ عنكَ إلاَّ إذا ما أُلْقِيَتْ عنهُ القُلامَهْ

ومن الفصول المطربةِ في هذا الباب، فصلٌ للقاضي الفاضل:

الحمد لله الذي أطْلَعه بثنِيَّاتِ الكمال، وبلَّغه غاياتِ الجمال، ويسَّرَهُ لدرَجات الجلال، ونقَّلَه تنقُّلَ الهِلال، وشذَّبه تشذِيب الأغْصان، وهذَّبه تهْذيبَ الشُّجعان، وأجْرَى فيه سُنَّةً سَنَّ لها الحديد، فنقَصَه للزِّيادَة، واسْتَخْلصَهُ للسِّيادة، ودرَّبه للاضْطبار، وأدَّبه للانْتِصار، وألقى عنه فَضْلَةً في اطراحِها الفضيلة، وقطَع عنه عَلَقَةً حَقُّ مِثْلِها ألا تكوُن بمِثْلِه مَوصُولَة.

فلم يزَل التَّقْلِيمُ مُنَوِّهاً بالأغْصان، ومُنَبِّهاً للثَّمر الوَسْنان، ومُبَشِّراً بالنَّماء، ومُيَسِّراً للنَّشْوِ والانتِشاء.

ولطرز الريحان مُضَمِّناً بيت الأمير المَنْجَكيّ[3]: [المنسرح]

عجِبْتُ مِن طالِع المُحِبِّ ومِنْ سُرْعَةِ إكْذابِ بأسِهِ الأمَلا
إن زارَهُ مَن يُحِبُّ عن غَلَطٍ أتَاهُ كابوسُ يَقْظَةٍ عَجِلا
كأنَّهُ طارقُ المَئُونِ فلا حِيلَةَ في دَفْعِهِ إذا نَزَلا
أو الغريمُ المُلِحُّ في زَمَنِ الـ عُسْرِ أو الدَّاءُ صادفَ الأجَلا
ثقيلُ رُوحٍ يزُورُ في زَمَنٍ لو زارَ فيه الحبيبُ ما قُبِلا
يقولُ إيهِ وقد وَجَمْتُ ومَن يَنْطِقُ أو من يَطِيقُ مُختمِلا
يسألُ ما تَشْتَكِي فقلتُ لهُ دَاءٌ عَرانِي فقال لا وَصَلا
فقلتُ آمينَ يا مُجِيبُ أزِلْ ما نَشْتَكِيهِ فإن يَدُمْ قَتَلا

---

(١) انظر ريحانة الألبا (١/ ٨٩).
(٢) انظر ريحانة الألبا (١/ ٩٠) وفيه: «ارى طهراً سيثمر بعد غرس».
(٣) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/ ٣٣٤، وبيت الأمير المنجكي هو الخامس في هذه الأبيات، وهو في ديوانه ص٢٨٤ .

Marfat.com
Marfat.com

يا لَيْتَ لو أنَّهُ استُجِيبَ لنَا ... دَعْوتُنا تلكَ والمكانُ خَلا
لم يَخلُ بل ضَاعَ وَقْتُنا هَدَراً ... ومَلَّ مِنَّا الحَبِيبُ وارْتَحَلا

وله متغزّلاً: [م. الكامل]

أبُنَيَّ لا أُغْدِمْتُ فَضْلَكْ ... وأدام لي مَولايَ ظِلَّكْ
يا جَامِعاً شَمْلَ البَهَا ... لا فَرَّقَ الرَّحمنُ شَمْلَكْ
أفْدِيكَ لم تَرَ في الهَوَى ... مِثْلِي ولا أبْصَرْتُ مِثْلَكْ
حاشَا طِبَاعَكَ والوَفَا ... من أن تَمَلَّ وأن أمَلَّكْ
وكُفِيتَ نَزْغاتِ الوُشَا ... ةِ وجَلَّ قَدْرُكَ أن تُزِلَّكْ
كم ذِي جَمالٍ باهِرٍ ... لم أرْضَهُ ليُدِيرَ نَعْلَكْ
ومُمَنَّعٍ في الحُسْنِ لَيْـ ... ـسَ إلى وِصالٍ منه مَسْلَكْ
أمْسَى يُعَرِّضُ نَفْسَهُ ... لِيَحُلَّ من قلْبِي مَحَلَّكْ
هَيْهاتَ ما للرُّوحِ مِنْ ... بَدَلٍ ولو أوْسَعْتَ بَذْلَكْ
ها أنْتَ رُوحِي ليس بُدٌّ ... منكَ دَعْ مَن شاءَ يَهْلَكْ
بِحَيَاةِ ما بَيْنِي وبَيْـ ... ـنَك لا تُضِعْ يا خِلَّ خِلَّكْ
أسَفِي على زَمَنٍ يَضِيـ ... ـعُ ولم أُشَاكِلْ فيه شَكْلَكْ
عَيْناكَ قد نَصَبَتْ على ... كَنَفِ المحاسنِ منكَ مَهْلَكْ
فبِحَقِّها لا تَرْمِ مِنْ ... لَحَظَاتِها لِسِوايَ نَبْلَكْ
إنِّي أغَارُ إذا بَغَيْـ ... ـرِ حُشَاشَتِي أغْمَدْتَ نَصْلَكْ
يَفْدِيكَ كُلِّي لا تَمِلْ ... لِمُمَاذِقٍ في الوُدِّ كُلَّكْ
وانْظُرْ بِعَيْنِ العَدْلِ تَغْـ ... ـلَمْ مَن هَدَاكَ ومَن أضَلَّكْ
ومَنِ اجْتَلاكَ لأجْلِ لَذْ ... ـةِ مُشْتَهاهُ ومَنْ أجَلَّكْ
قَسَماً بِمَعْنَاكَ الَّذي ... مِنِّي تَمَلَّكَ ما تَمَلَّكْ
لَولاكَ لم أكُ قَائِلاً ... شِعْراً قَلاهُ القَلْبُ قَبْلَكْ
فكِّر بِكَاساتِ الخُطُو ... بِ لعلَّ تَطْمَعُ أن يُعِلَّكْ
إنِّي وأحْوالُ الشَّبَا ... بِ تَحَوَّلَتْ والذُّلُّ ذَلَّكْ
لكنَّ مَيْلِي للجَما ... لِ طَبِيعَةٌ والطَّبْعُ أمْلَكْ
ويَصُوغُ مَجْهُودُ القَرِيـ ... ـحَةِ ما حِسَابُ الشَّوْقِ فَذْلَكْ
إن رُمْتَ إزْجَاعَ القَوا ... فِتِ قال ضِيقُ الوَقْتِ مَن لَكْ
فأقُولُ للقَلْبِ اقْتَنِعْ ... بالطَّلِّ لستَ تَطُولُ وَيْلَكْ

Marfat.com
Marfat.com

وأبِيكَ لو أُمْلِيكَ بَعْـ ... ـضَ الِيمِ ما أُخْفِي أُمِلْكْ
لكِنَّني أوْجَزْتُ خِيـ ... ـفَةَ أن تقُولَ أطَلْتَ فَضْلَكْ
وبَسَطْتُ عُذْرِي في هَوا ... كَ عَسَاكَ تَقْبَلُهُ وعَلَّكْ

وله هذه القصيدة في الغزَل، وهي أشهر شعره: [المنسرح]

نَفْسٌ أمَانِيها تُعَلِّلُهَا ... تُعِلُّهَا تارةً وتُنْهِلُهَا
ولَوْعةٌ في الضُلوعِ أضْعَبُ مَا ... يُذِيبُ صَلْدَ الحجار أسْهَلُهَا
غداةَ بَانُوا فلاً وَرَبِّكَ ما ... ظَنَنْتُنِي في الرِّكاب أُثْقِلُهَا
رِفْقاً بِها حَادِيَ المَطِيِّ ففِي ... خِلْبِ فُؤادِي تدُوسُ أرْجُلُهَا
وفي سَبِيلِ الغَرامِ لِي كَبِدٌ ... تَبِيتُ أيْدِي النَّوَى تُمَلْمِلُهَا
تعِلَّةٌ للمَنُونِ قائِدَةٌ ... آخِرُهَا كاذِبٌ وأوَّلُهَا
أُساوِرُ النَّجْمَ أبْتَغِي قِصَراً ... لِلَيْلَتِي والجَوَى يُطَوِّلُهَا
وليتَ سَاجِي اللِّحاظِ يَرْحَمُ مَنْ ... يبِيتُ من أجْلِه يُدَمِّلُهَا
اللهَ في ذِمَّةٍ أضَعْتَ وفي ... حُشَاشَةٍ مَلَّها مُعَلِّلُهَا
أمَا وَجَفْنَيْكَ والفُتُورِ وما ... أوْرَثَ جِسْمِي ضَنىً مُذَبِّلُهَا
وأسْهُمٍ قد أرَاشَهَا حَوَرٌ ... تَقْصِدُ حَبَّ القُلوبِ أنْصُلُهَا
لِمُهْجَتِي في هواك تكْبُرُ أن ... يَصُدَّها ما يقُول عُذَّلُهَا
إلامَ نَقْضِي وفي الحشَا حُرَقٌ ... لا تَسْتَطِيعُ الجِبالُ تَحْمِلُهَا
صَبابَةٌ إن أرَدْتُ أجْمِلُهَا ... لَدَيْكَ ذُلُّ الهوَى يُفَصِّلُهَا
أوْجَمُ تالله مذ أراكَ فقد ... أعْجِزُ عن كلْمَةٍ أحَصِّلُهَا
ومنطقي فيك عن فصاحتِهِ ... يعودُ سَخبانُ وهوَ باقِلُهَا
وهذه حَالَةُ الكَئِيبِ ولَوْ ... جَحَدْتَهَا ما أظُنُّ أجْهَلُهَا
تَرَكْتَنِي واسْتَعَضْتَ عَنِّيَ مَنْ ... أخَفُّ ألْفاظِهِ أثاقِلُهَا
أعْدَمَنِي اللهُ في الهوَى فِئَةً ... ثَناكَ عَن وُصْلَتِي تقَوُّلُهَا
هُمْ أشْرَبُوا طَبْعَكَ القَساوةَ هلْ ... تراكَ يوماً لِلُطْفِ تُبْدِلُهَا
أما عَرَفْتَ العَفافَ مِن دَنِفٍ ... مَداخِلُ السُّوءِ ليسَ يَدْخُلُهَا
يأنَفُ بالطَّبْعِ كلَّ فَاحِشَةٍ ... مَذَاهِبُ الشَّرْعِ ليسَ تَقْبَلُهَا
غُذِي لِبانَ الهوَى على صِغَرٍ ... فهوَ لأهْلِ الشُّجُونِ مَوْئِلُهَا
إن راحَ يَحْكِي صَبَابَةً خَضَعَتْ ... لَهُ القَوافِي ودَانَ مُشْكِلُهَا
يُعَلِّمُ النَّوْحَ كلَّ ساجِعَةٍ ... فَهوَ صَدَى دَوْحِهَا وبُلْبُلُهَا

Marfat.com
Marfat.com

وَيْحَ قلوبِ المُتَيَّمِينَ إذا ... تصَرَّمَتْ في الهَوَى حَبَائِلُهَا
أفْدِيكَ يا قاتِلِي بِلا سَبَبٍ ... قتْلَةَ مُضْنَاكَ مَن يُحَلِّلُهَا
أضْبَحْتُ شَيْخَ الغَرامِ فيكَ ويَا ... روايةً أذْمُعِي تُسَلْسِلُهَا
وفيكَ حُلْوُ الشَّبابِ مَرَّ وَلَمْ ... أفُزْ بأمْنِيَّةٍ أُؤَمِّلُهَا
تلْكَ لَعَمْرُ الهَوى رِضَاكَ فإن ... عَزَّ فيا خَيْبَةً أُنازِلُهَا
تاللهِ لو شاهَدَتْ عُيونُكَ مَا ... ألْقاهُ سَحَّتْ وجاد وَابِلُهَا
عَساكَ تحْنُو لِمَنْ مَطامِعُهُ ... عليْكَ دون الورَى مُعَوَّلُهَا
وكم لَيَالٍ سَهِرْتُهُنَّ ولِي ... رامِحُهَا سامِرٌ وأغْزَلُهَا
ومِفْرَشِي وَسْطَ كُلِّ مَسْبَعَةٍ ... قَتادُهَا والوِسادُ قَنْقَلُهَا[1]
وليسَ إلاَّ هَواكَ يُؤْنِسُنِي ... بصُورةٍ منْكَ لي يُمَثِّلُهَا
أما كَفَى يا ظَلُومُ ما فَعلتْ ... غَزَاهُ جَفْنَيْكَ لي وغُزِّلُهَا
ولَسْتُ أشكوكَ بل يَلَذُّ لِمَنْ ... تَوَلَّهَتْ نفْسُهُ تَذَلُّلُهَا
فأنْتَ عندي ولو هَدَرْتَ دَمِي ... خَيْرَ وُلاةِ الوَرَى وأعْدَلُهَا
وإنْ تَوارَتْ شُمُوسُ حُسْنِكَ عَنْ ... نَواظِري فالفُؤادُ عاقِلُهَا
وإن تَنَاءتْ ركائِبِي وَدَنَتْ ... رسَائِلي فالرِّياحُ تَنْقُلُهَا
فاسْلَمْ ولا تَكْتَرِثْ بِحُرْقَةِ ذِي ... نَفْسٍ أمَانِيهَا تُعَلِّلُهَا

وله: [المتقارب]

هو الحبُّ أبْحاثُهُ مُشْكِلَهْ ... وكَم نَظَرٍ ضَلَّ في مَسْأَلَهْ
ومَنْ يَسْتَدِلُّ بغَيْرِ العِفافِ ... على طُرقِ الحبِّ لنْ يُوصِلَهْ
وما القلْبُ قلْبِيَ إن عاقَهُ ... مُعِيقٌ عن الحُبِّ أو أشْغَلَهْ
ولا العُمْرُ إذا لم يَكُنْ ... بِهِ الوَجْدُ آخِرُهُ أوَّلَهْ
سَقَى اللهُ رَيْعانَ صَبْوِي بِمَا ... يُرَنِّحُ منه غُصُونَ الوَلَهْ
وأكْثَرَ فيَّ كَلامَ الحَسُودِ ... وخَيَّبَهُ في الذي أمَّلَهْ
يعِيبُ الصَّبابةَ مَن لا يَرَى الصَّبـ ... ـابَةَ والنُّسْكَ غيرَ البَلَهْ
ولا عَيْبَ في الحبِّ إلا نَحَا ... فَةُ الطَّبْعِ والرِّقَّةُ الحاصِلَهْ
ومَن كان عن ذاك في مَعْزِلٍ ... فَغَيْرُ مَلُومٍ إذا أهْمَلَهْ
وحَسْبُ المباشِرِ أمْراً مِن الـ ... ـفَضِيحَةِ فيه بأن يَجْهَلَهْ

---

(١) القتاد: شجر شائك صلب له سِنْفَة ومناة كجناة السَّهُر. ا.هـ . لسان العرب، مادة: /قتد/ .
القنقل: مكيال عظيم ضخم. ا.هـ . لسان العرب، مادة: /قنقل/ .

Marfat.com
Marfat.com

ألا حَـدَّدَ اللهُ نَـبْـلَ الـزَّمـا نِ ولـلـهِ رامِـيـهِ مـا أنـبَـلَـهْ
كَـحِـيْـلُ الـعُـيُـونِ مُـثِـيـرُ الـفُـتُـونِ دَلِـيـلُ الـمَـنُـونِ إلـى الـمَـقْـتَـلَـهْ

وله: [الطويل]

مـلَـكْـتُـمْ زِمَـامَ الـرُّوحِ ثـم قَـضَـيْـتُـمُ بِرِحْلةِ جسْمِي فاسْمَحُوا بِخَيَالِكُمْ
عَقَلْتُمْ عُرَى عقْلِي وقُلْتُم تَجاهُلاً كـأنَّ بِـه جَـذْبـاً نَـعـمْ بِـحِـبـالِـكُـمْ

وله: [البسيط]

عَنِّي إلَيْكُمْ بَنِي هذا الزَّمانِ فقدْ عـاهَـدْتُ قـلْـبِـيَ أن لا رَامَ وُدَّكُـمُ
أبَـاحَـكُـمْ بـيـتَ وُدٍّ كـان تَـضْـدِيَـةً صـلاتُـكُـمْ عـنـدَه فـالآنَ صَـدَّكُـمُ

وله، ويخرج منه اسم عمر، وَعمرو، بطريق التَّعْمِيَة: [السريع]

بَـدْرٌ كَـسَـتْ شَـمْـسُ الـطُّـلاَ وَجْـهَـهُ حُـسْـنـاً وأغْـفَـى جَـفْـنُـه وابْـتَـسَـمْ
فـقـلْـتُ نـبِّـهْ عُـمَـراً واغْـتَـلِـقْ مـنـه نِـطَـاقَ الـخَـصْـرِ عـقْـداً ونَـمْ

قوله: «نبِّه عمراً ونَمْ» هذا كالمثل.

قال ابنُ مُكَرَّم في «مختصر الأغاني» في ترجمة بَشَّار: كان أبو الوزير مولى عبد القَيْس من عُمَّال الخرَاج، وكان عفيفاً بخيلاً، فسأل عمر بن العَلاء، وكان جواداً شُجاعاً، في رجلٍ فوَهَبَ له مائةَ ألف درهم.

فدخل أبو الوزير على المَهْدِيّ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إن عمر بن العَلاء خائن.

قال: ومن أين علمْتَ بذلك؟

قال: كلَّمْتُه في رجلٍ كان أقصى أمَلِه ألفَ درهم، فوهبَ له مائة ألفِ درهم.

فضحكَ المهْدِيّ، وقال: كِلاكُمَا عمِل على شاكِلَتِه، أما سمعتَ قول بشَّارٍ فيه[1]: [المتقارب]

إذا دَهَـمَـتْـكَ عِـظَـامُ الأُمـورِ فـنَـبِّـه لـهـا عُـمَـراً ثُـمَّ نَـمْ
فـتـىً لا يَـبِـيـتُ عـلـى دِمْـنَـةٍ ولا يَـشْـرَبُ الـمـاءَ إلاَّ بـدَمْ

وقول أبي العتاهِيَة[2]: [الكامل]

إنَّ الـمَـطـايَـا تـشْـتـكِـيـكَ لأنَّـهـا قـطَـعـتْ إلـيـكَ سَـبـاسِـبـاً ورِمـالا[3]
فـإذا ورَدْنَ بـنـا ورَدْنَ خَـفـائِـفـاً وإذا صَـدَرْنَ بـنـا صَـدَرْنَ ثِـقـالا

---

(١) انظر ديوانه (العلوي) (٢١٧)، وفيه: صدر البيت الأول:
إذا أيـقـظـتـك حـروب الـعـدى .....
والبيت الثاني:
فـتـى لا يـنـام عـلـى دمـنـة .....

(٢) انظر ديوانه (٣٢٠).

(٣) السبسب: المفازة. لسان العرب، مادة / سبسب/ .

Marfat.com
Marfat.com

أوَ ليسَ هو الذي يقول أبو العتاهية فيه[1]: [البسيط]

يا ابْنَ العلاءِ ويا ابْنَ القَرْمِ مِرْدَاسِ إنّي لأُطْرِيكَ في أهْلِي وجُلاّسِي
حتّى إذا قِيلَ ما أعْطاكَ مِن نَشَبٍ أُلْفِيتُ مِن عُظْمِ ما أوْلَيْتَ كالنّاسِي

ثم قال: «مَنْ اجْتَمَعتْ ألْسُنُ النّاسِ على مدحِه، كان حقِيقاً أن يُصدِّقَها بفِعْلِه» انتهى.

وله يمْتدح الأستاذ محمد بن زين العابدين البَكْرِيّ، بمصر: [م. الكامل]

بعَثَتْ له الذِّكْرَى شَجَنْ فصَبَا وحَنَّ إلى الوَطَنْ
دَنِفٌ إذا ابْتَسَمَ الخَلِيُّ غَشَاهُ تغْبيسُ الحَزَنْ
قَلِقُ الرَّكائِبِ ما اسْتَقَرَّ به النَّوَى إلاّ ظَعَنْ
والبَيْنُ أصْعَبُ ما يَرا هُ أخُو الشَّدائِدِ والْمِحَنْ
مَن مُبْلِغ تلكَ المَرا بِعِ والْمَراتِعِ والدِّمَنْ
أشْواقِيَ الّلاتِي زَحَمْـ ـنَ الرُّوحَ في مَثْوَى البَدَنْ
في ذِمَّةِ اللهِ الَّذيـ ـنَ هُم فُرُوضِي والسُّنَنْ
بي منْهُمُ الرَّشَأُ الغَضِيـ ضُ الطَّرْفِ نَهَّابُ الوَسَنْ
مُتَناسِقُ الألْحاظِ أيّا ما لَحظْتَ بهِ فَتَنْ
مُلَحٌ تُعلِّمُ عاشِقِيـ ـهِ بِهِ التَّغَزُّلَ والفَنَنْ
فكأنّها من رَوْضِ مَذْ حِ بَنِي أبي بَكْرٍ فَنَنْ
الضّارِبِينَ على الْفَخا رِ سُرادِقاً مِن كلِّ فَنّ
السّادةِ البِيضِ المَآ ثِرِ في العُلا غُرَرِ الزَّمَنْ
ومُقلِّدِي أعْناقَ هـ ـذا الخَلْقِ أطْواقَ المِنَنْ
بِوِراثَةٍ نَبَوِيَّةٍ كُلاًّ أتَتْهُ على سَنَنْ
حَتَّى اسْتَقَلَّ بها الإمْـ ـمُ ابنُ الإمام المُؤْتَمَنْ
قُطْبُ العُلُومِ مُحَمَّدٌ ذُو الخُلْقِ والخَلْقِ الحَسَنْ
مَنّاحُ كلِّ نَفِيسَةٍ في الفضْلِ ليس لها ثَمَنْ
عن فَيْضِ وَهْبٍ جَلَّ عَنْ كَسْبِ التَّفَهُّمِ والفِطَنْ
طَلَعَتْ بأُفْقِ فُؤادِهِ شمسُ الغَرامِ فَلم يَرِنْ

---

(١) انظر ديوانه (٣٢٩) وفيه عجز البيت الأول:

..... إني امتدحتك في صحبي وجلاسي

ورواية البيت الثاني:

حتى إذا قيل ما أولاك من صُفُرٍ طاطأتُ من سوءِ حالي عندها رأسي

Marfat.com
Marfat.com

وغـــدَتْ مـــعَـــارِفُـــهُ تَـــطـــو ... فُ عـلـى الـعُـقـولِ بِـبِـنْـتِ دَنْ
وكـــذلـــك الـــسِّـــرُّ الـــمَـــصُـــو ... نُ فَـــوَيْـــحَ مَـــن فـــيـــه طَـــعَـــنْ
يـــا سَـــيِّـــدِي ولـــئِـــنْ قـــبِـــلْـــ ... ـتَ تَـــعَـــبُّـــدِي فَـــلأَفْـــخَـــرَنْ
عَـطْـفَـاً عـلـى قـلـبِـي الـكـسـيـ ... ـرِ بـــنَـــظْـــرَةٍ فَـــلأُجْـــبَـــرَنْ
إنِّـــي أَنَـــخْـــتُ مَـــطِـــيَّـــتِـــي ... بـمـضـيـفِ مَـجْـدِكَ فـاقْـبَـلَـنْ
مَـــوْلايَ دَعْـــوَةُ مُـــوثَـــقٍ ... بـيَـدِ الـقـطِـيـعـةِ مُـرْتَـهَـنْ
مُـــتَـــصَـــبِّـــرٍ والـــصَّـــبْـــرُ أَوْ ... لَـى مـا تَـداوَى الـمُـمْـتَـحَـنْ
لـــكِـــن يُـــعـــايَـــر بـــالـــجِـــرا ... حِ مُـــفَـــرِّطٌ أَلْـــقَـــى الـــمِـــجَـــنْ
ومَـديـح عَـلْـيَـاكُـمْ بَـنِـي الـصِّـ ... ـدِّيـــقِ جُـــنَّـــةُ ذي الـــشَّـــجَـــنْ
وبِـحُـبِّـكُـمْ تُـشْـفَـى الـقُـلـو ... بُ وتـنْـجَـلِـي ظُـلَـمُ الـشَّـحَـنْ
هـــذا هـــو الـــفَـــخْـــرُ الـــعَـــلـــيُّ ... ومـــا سِـــواهُ فـــمُـــمْـــتَـــهَـــنْ
مَـــن جـــاءَ يَـــفْـــخَـــرُ عـــنـــدَكُـــمْ ... قـــولُـــوا لـــه أَنْـــتَ ابـــنُ مَـــنْ
يـــا ســـادَةَ الـــنَّـــاسِ الَّـــذيـــ ... ـنَ مَـــن اسْـــتَـــعـــانَ بـــهـــمْ يُـــعَـــنْ
قَـــسَـــمـــاً بـــكُـــمْ لـــولا هَـــوا ... كُـــمْ فـــي الـــجـــوانـــح قـــد سَـــكَـــنْ
لـــمْ يُـــنْـــتِـــجِ الـــفـــكْـــرُ الـــعَـــقِـــيـ ... ـمُ مِـــن الـــقـــريـــحـــةِ مـــا اسْـــتَـــجَـــنْ
فـــالـــفَـــضْـــلُ فـــي إيـــجـــادِهِ ... لـــكُـــمُ وإنْ يُـــقْـــبَـــلْ أُهَـــنْ
وشِـــعـــارِيَ الـــتَّـــقْـــصِـــيـــرُ لـــ ... ـكِـــنِّـــي قـــدِمْـــتُ بـــحُـــسْـــنِ ظَـــنْ
أَبِـــمِـــدْحَـــتِـــي أُوفِـــيـــكُـــمُ ... حَـــقَّ الـــوَلا هَـــيْـــهـــاتَ أَنْ
لـــكِـــنَّـــنِـــي أَبْـــقَـــى تُـــمَـــحِّـــ ... ـضُ زَلَّـــتِـــي فَـــلَـــعَـــلَّ أَنْ
غَـــوْثَـــاهُ يـــا أَهْـــلَ الـــحِـــفـــا ... ظِ الـــعَـــوْنَ فـــي ضِـــيـــقِ الـــعَـــطَـــنْ
إنْ لَـــمْ أَلُـــذْ بِـــجَـــنَـــابِـــكُـــمْ ... أَخْـــطَـــأْتُ والـــلـــهِ الـــمَـــظِـــنْ
وإذا ســـعِـــدتُ بـــنَـــظْـــرَةٍ ... مِـــنْـــكُـــمْ كَـــفَـــتْـــنِـــي عَـــنْ وَعَـــنْ
نَـــهْـــجُ الـــهـــدايـــةِ حُـــبُّـــكُـــمْ ... مَـــن زاغَ عـــنـــه قـــدِ افـــتَـــتَـــنْ
فـــعَـــلَـــيْـــكُـــمُ سُـــحْـــبُ الـــرِّضَـــا ... مـــا ضَـــنَّ مُـــشْـــتَـــاقٌ وأَنْ
وعَـــلـــى ضَـــريـــحٍ ضَـــمَّ جَـــدْ ... كُـــمُ شَـــآبِـــيـــبُ الـــهَـــتَـــنْ
مـــا الـــصُّـــبْـــحُ جـــاءَ بـــنُـــورِهِ ... والـــلـــيـــلُ بـــالـــظَّـــلْـــمـــاءِ جَـــنْ

وله من قصيدة: [الخفيف]

عـاطِـيَـانِـي عُـلالـةَ الأَشْـجـانِ ... بِكُـؤُوسِ الـذِّكْـرَى ورَوْضِ الأَمـانِـي
بـأَبِـي أَنـتُـمـا عـسَـى يـنْـفَـحُ الـشَّـوْ ... قُ رَسِـيـسـاً جَـنَّـتْ مَـطـاوِي الـجـنـانِ

Marfat.com
Marfat.com

أوَليْسَ العجيبُ والغَبْنُ عَيْشُ الـ ... ـمَرْءِ عَيْشَ المغِيبِ في الكُثْفُوانِ
ما اعْتذارُ الفُؤادِ للْغِيدِ والشَّيْـ ... ـبُ يُنادِي عليه بالحِرْمانِ
حَقُّ مَن يرْكُض الجَديدَانِ فيهِ ... أن يُرَى فيهما طَلِيقَ العِنانِ

وله مجيباً لمن عاب عليه كِتْمانَ الحبِّ، وأثَرَ الشهوة، وقال بأن كَتْمَ الحب من الجبن: [الخفيف]

ليسَ جُبْناً كَوْنِي أُمَوِّهُ في الحبْ ... وأُخْفِي واسْتَشِينُ البَيانَا
غيرَ أنِّي أُجِلُّ مَالِكَ رِقِّي ... أنَّ مِثْلِي يشدُو بِهِ إعْلانَا
فإذا ما فَخَرْتُ أفْخَرُ بالصَّبْـ ... ـرِ وأُلْفَى لِسِرِّهِ صَوَّانَا
وإذا ما شَكَوْتُ فَلْتَكُ شكْوَا ... يَ إليه عساهُ أن يتَدانَى
فشُجاع الهوى الجَسُورُ على جَرْ ... حِ مُباريه صارِماً وسِنانَا
لا الَّذي إن تَشُكَّهُ بادِرَةُ الطَّـ ... ـزْفِ تراهُ يَقْرَعُ الأسْنانَا
أنا مَن قسَّمَ الفُؤادَ فأعْطَى ... منه كُلاًّ كما يلِيقُ مَكانَا
ومَراحُ الغَزالِ فيه مَصُونٌ ... عَنْ سِواهُ وحَقُّهُ أنْ يُصانَا

وله: [البسيط]

لا تَتْرُكِ الجِدَّ في جَمْعِ الكَمالِ لأَنْ ... بارَتْ تِجارةُ سُوقِ العقْلِ في الزَّمَنِ
لابُدَّ أن تُرْغِمَ الجُهَّالَ حاجتُهم ... إلى كمالِكَ أن يُرضُوكَ في الثَّمَنِ
وحَسْبُكَ اللهُ إنْ لم تَلْقَ مُشْتَرِياً ... عن الغَبِيِّ بِعَرْفِ العُرْفِ أنتَ غَنِي

وله:

نفْسِي لَتُؤْثِرُ أن تَفْنَى بِمِحْنَتِهِمْ ... لأنَّها لِسوَى الأحْبابِ لم تَكُنِ
المرءُ يُرْجَى لِضُرٍّ أوْ لِمَنْفَعَةٍ ... وما خُلِقْتُ لِغَيْرِ الحُبِّ والشَّجَنِ

وله: [الكامل]

لا تَقْطَعَنَّ مَوَدَّةً فلرُبَّما ... تَحتاجُ مَن أقْصَيْتَهُ تُدْنِيهِ
فالسِّلْكُ بعد القَطْعِ يُمْكِنُ وَصْلُهُ ... لكنَّ عُقْدَةَ وَصْلِهِ تُزْرِيهِ

هذا كثير في الشِّعْر، من قول أبي الفتح المالِكيّ: [م. الكامل]

مَن لي بِرَدِّ مَعاشِرٍ كثُروا عليَّ فأكْثَرُوا
صادَقْتُهمْ وأرَى الخُرُو ... جَ عن الصَّداقةِ يَغْسُرُ
كالخَطِّ يَسْهُلُ في الطُّرُو ... سِ ومَحْوُه يتعَذَّرُ
وإذا أرَدْتَ كَشَطْتَهُ ... لكنَّ ذاك يُؤَثِّرُ

وقوله أيضاً: [الطويل]

Marfat.com
Marfat.com

ويُمكنُ وَصْلُ الحبْلِ مِن بَعْدَ قَطْعِهِ ولـكـنَّـهُ يـبْـقَـى بـه أثَـرُ الـرَّبْـطِ

وللشهاب الخَفاجِيّ، من فصل: «أنتَ وإنْ وصَلْتَ القطْع حَبْلَ المودَّةِ، فقد بَقِيَ من أثَر ذلك في القلْبِ عُقْدَة».

وله: [المجتث]

يـــا وَاصِـــلِـــيـــنَ حِـــبـــالاً كـــانَـــتْ لِـــشَـــدِّ الـــمَـــوَدَّهْ
لا تـــقْـــطـــعُـــوهـــا بـــبُـــعْـــدٍ قـــد غَـــيَّـــرَ الـــنَّـــاسُ عَـــهْـــدَهْ
فـــإن تَـــقُـــولُـــوا وَصَـــلْـــنَـــا مِـــنْ بَـــعْـــدِ ذا الـــقَـــطْـــعِ شَـــدَّهْ
يَـــبْـــقَـــى وَحـــقِّـــكَ فـــيـــهـــا مِـــن ذلـــك الـــوَصْـــلِ عُـــقْـــدَهْ

وله: [الوافر]

وكـم لـي فِـي طِـرازِ الـعُـمْـرِ شَـطْـحٌ بِـهِ انْـقَـلَـبَ الـزَّمـانُ فـعَـادَ شَـخـطَـا
ونُـسْـخـةُ لَـوْعَـةٍ صـحَّـتْ بـقَـلْـبِـي فـلـم يَـنْـظُـرْ بـهـا الـواشُـونَ كَـشْـطَـا

١٦- إبراهيم بن عبد الرحمن السُّؤالاتِيّ

وافر الحَظِّ من البَراعة، صائب اللَّحْظِ في زَخْرَفَةِ اليَراعة.

اكتسبَ الأدبَ بكَدِّه وجِدِّه، وانْتَهى مِن القوافي والفقه إلى أقصى حَدِّه.

وكان وبِعارِضِهِ رَيْحانَةٌ شرِقَتْ بماءِ شَبابِه، ومَزَجَتْهُ وَجْداً وصَبابةً بقُلوبِ أحْبابِه.

وضَع عقْلَه في يدِ الهوَى، وتطوَّح معه في كلِّ مَهْوَى.

فأقامَ حِيناً وله إلى التَّصابِي لَجَاجَة، وما حَلْيُ يمينِهِ في مواسم العيش إلا زُجَاجَة.

وله في غُضُونِ ذلك مُوَشَّحات وشَّحَتْ كلَّ جَمْع، وشنَّفتْ بِجَواهِر كلِماتِها كلَّ سَمْع. ثم تعاورتْه نوائبُ جلَّتْ فكادت تتجلَّى، وتوالَتْ عليه مصائِبُ تولَّتْ فما أوشَكتْ تتولَّى.

وانْقَلَبَتْ بِهِ المُحاسَنَة، إلى المُخَاشَنَة.

وتبدَّلت المُجامَلَة، إلى المُحامَلة.

١٦- هو الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الدمشقي الفقيه الحنفي، المعروف بالسؤالاتي، الأديب الشاعر، الجيد الطريقة، الحسن البديهة، كان في ريعان عمره وعنفوان أمره يشتغل بصناعة النظم فيبدي كل معنى نادر، ويخترع كل مثل سائر. وتلاعبت به الأقدار يمنة ويسرة وقاسى من ضنك العيش وسوء المنقلب أحوالاً وأهوالاً وصبر على ألم المحنة صبراً لم يعهد مثله. وسافر آخراً إلى الروم وجرى له مع أدبائها محاورات مقبولة، وبعدما رجع إلى دمشق استبد بكتابة الأسئلة المتعلقة بالفتوى للمفتي الحنفي وبهر فيها حتى بلغ مرتبة لم يصل إليها أحد من أبناء العصر. وكان حريصاً على جمع الكتب واقتنى منها أشياء كثيرة في كل فن ووقفها آخراً على بنت له. وكان ابتلي بمرض عالجه مدة مديدة وأنفق عليه أموالاً جمة ولم يخلص منه حتى استحكم فيه فمات. وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة خمسين وتسعين وألف. وقد جاوز الستين، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان. خلاصة الأثر (١/ ٢٨).

Marfat.com
Marfat.com

فأقْلَع عن تلك الهَنات، ومَحَا كثيراً من سَيِّآتِه بحَسنات، ولزمَ الفقْهَ متَّجِراً في مَسائِلِه، وكان لتحصيل أمانيه من أعْظم وسائِله.

وقد صَحِبْتُه والأيّامُ أمالَتْ قَناتَه، وأمَرَّ المرضُ المؤلم مَجِنّاتِه، فاستحالتْ صِفَتُه، وتقلَّصَتْ شَفَتُه.

لكنها وإن ذبُلت خمائلُه، فلم تزلْ غَضَّةً شمائِلُه.

وإنْ تفَرَّقتْ دِيمهُ، فما برحتْ مُلْتَئمةً شِيَمُه.

فكنتُ أتَمتَّعُ من مُنادَمتِه الحُلْوَة، بلَطائفَ لها في كلِّ قلبٍ خَلْوَة.

وأخَذْتُ عنه من أشْعارِه ما يَبْهَرَ الشَّمس في الشُّروق، ويتَمشَّى تَمَشِّيَ الرَّاحِ السَّلْسَل في العروق.

وها أنا ذا أُورِدُ منه ما يُطْرِي ويُطْرِب، ويجعله زَادَه كلُّ مُشَرِّقٍ ومُغَرِّب.

فمن ذلك قولُه يمدح المولى عارف، المذكور في ديباجة الكتاب: [م. الكامل]

جَذبَتْ محاسِنُك القُلُوبَا ... حتى غَدَوْتَ لها الحَبِيبَا
وطَلَعْتَ من أفُقِ العُلا ... بدْراً لخُرَّدِهِ خَطِيبَا
ونَفَثْتَ رُوحاً في النُّفُو ... سِ سرَتْ فكنتَ لها الطَّبِيبَا
وغَدَا بقُطْرِ نَداكَ رَوْ ... ضُ الفَضْلِ مُخْضَلّاً خَصِيبَا
وكَسَوْتَ من حُلَلِ الرَّبِيـ ... ـعِ جِنانَهُ بُرْداً قَشِيبَا
فَحَدائِقُ الآدابِ مِنْـ ... ـكَ تَنَفَّسَتْ مِسْكاً وطِيبَا
وتَجاذَبَتْ فيها نَسَا ... ئِمُ لُطْفِكَ الغُضَّ الرَّطِيبَا
وغَدَا يُناغِي فَوْقَهُ الْـ ... قُمْرِيُّ بُلْبُلَهَا الطَّرُوبَا
وأدرْتَ مِن سَلْسالِها ... ما بَيْننا كأساً وكُوبَا
وأبَحْتَ خِلاَّنَ السُّرو ... رِ من العُلا الصَّدْرَ الرَّحِيبَا
يا فاضلاً أنْسَى العِما ... دَ بَدِيعَه وسَما الخَصِيبَا
وجَلا على الأسْماعِ مِنْ ... أبْكَارِهِ عُرُباً كعُوبَا
مَن للثُّغُورِ مِن الحِسا ... نِ عن المحابِرِ أن تَنُوبَا
وخُدُودُهنَّ تكون قِرْ ... طاساً لرَاحَتِهِ رَقِيبَا
وقُدودُهنَّ يَراعةٌ ... من لَمْسِ أنْمُلِهِ قريبَا
ونَواظِرُ الأحْداقِ أنْـ ... ـفَاساً إذا أنْشَى نَسِيبَا
مَوْلايَ يا رَبَّ الكَما ... لِ ومَن غدَا الشَّهْمَ الأرِيبَا
يا عارِفَ الوَقْتِ الَّذي ... تَخِذَ الفَخارَ له نَصِيبَا
أبْدَيْتَ بالسِّحْرِ الحلا ... لِ من الْبَيانِ لنا العَجِيبَا

Marfat.com
Marfat.com

وتَـلَـوْتَ مـن آيـاتِ فَـضْـ ... لِـكَ مـا بـهَـرت بـه الـلُّـبِـيـبَـا
وأعَـذْتَ لـلـدَّاعِـي الـوُجـو ... دَ وكـنْـتَ سـائِـلَـهُ مُـجِـيـبَـا
فـشُـمـوسُـه بِـكَ أشْـرَقَـتْ ... مـن بـعْـدِ أنْ دَنَـتِ الـغُـروبَـا
وبَـعَـثْـتَ مـا فَـضَـحَ الـرَّبِـيـ ... ـعَ مـن الـبَـديـعِ لـنـا ضُـروبَـا
أشْـهَـى إلـى الـظَّـمْـآنِ مِـنْ ... فَـضْـفـاضِ كَـوْثَـرِهِ ضُـرُوبَـا
وأرَقُّ مـن مَـرِّ الـنَّـسِـيـ ... ـمِ عـلـى خَـمـائِـلِـه هُـبُـوبَـا
فـطَـفِـقْـتُ يَـلْـثَـمُ مَـسْـمَـعِـي ... لـكُـؤوسِـهـا ثَـغْـراً شَـنِـيـبَـا[1]
وتَـقُـولُ مـن جَـنَّـاتِ أنْـ ... ـطُـرُ طِـرْسِـهـا عَـيْـنـايَ طُـوبَـى
لا زِلْـتَ تَـرْقَـى فـي الـفَـضَـا ... ئـل والـعُـلَـى الـشَّـرَفَ الـحَـسِـيـبَـا
وبَـقِـيـتَ تُـهْـدِي لـلـنُّـفـو ... سِ نـفـائِـسـاً تـجْـلُـو الـكُـروبَـا

ومن غزليّاتِه قوله: [م. الكامل]

حـتَّـى مَ تُـغْـرِضُ عـن مُـحِـبِّـكْ ... وتَـصُـدُّنِـي عـن طِـيـبِ قُـرْبِـكْ
إنْ دامَ هـذا الـهَـجْـرُ أقْـ ... ـضِـي بـالـمَـحَـبَّـةِ إي وَرَبِّـكْ
يـا أيُّـهـا الـتَّـيَّـاهُ فـي ... زَهْـوِ الـصِّـبَـا رِفْـقـاً بِـصَـبِّـكْ
مـا كُـنـتَ بـالـسَّـالِـي هَـوا ... كَ ولـسـتُ بـالـتَّـالـي لِـعَـتْـبِـكْ
تَـجْـنِـي عَـلَـيَّ وتـجْـتَـنِـي ... ظُـلْـمِـي وتـأخُـذُنِـي بـذَنْـبِـكْ
شَـرَّقْـتَـنِـي بـالـدَّمْـعِ مُـذْ ... غَـرَّبْـتَ عـنِّـي تَـحْـتَ حُـجْـبِـكْ
أأَبِـيـتُ فـي فُـرُشِ الـضَّـنَـى ... وتـبـيـتُ مُـلْـتَـهِـيـاً بِـسِـرْبِـكْ
يـا مُـنْـيَـةَ الـقَـلْـبِ الأمـا ... نَ فـلـسـتُ مِـن أكْـفـاءِ حَـرْبِـكْ

وقوله: [الخفيف]

لا تَـلُـمْـنِـي أنَـا الألَـوفُ وقَـدْ ... مُـتُّ غَـراماً مِـن فَـقْـدِ إلْـفٍ رَقِـيـبِ
هكذا في الرَّقيبِ حالِي فقُلْ لِي ... كـيفَ حـالـي وقـد جَـفـانِـي حـبـيـبـي

وقوله، وهو مما قاله بديهاً: [م. الكامل]

هَـمُّ الـمـعـيـشـةِ حـالَ مـا ... بَـيْـنِـي وبَـيْـنَ حـبـائِـبِـي
ولـرُبَّـمـا نـهـضَـتْ إلـى ... نَـيْـلِ الـعُـلُـوِّ مَـراتِـبـي
فـيَـعُـوقُـنـي هَـمُّ الـمـعـيـ ... ـشَـةِ عـن جـمـيـعِ مـطـالِـبـي
فـكـأنَّـنـي الـدُّولابُ أضْـ ... ـعَـدُ لـلـهُـبـوطِ بـجَـانِـبِـي
لَـو كُـلِّـفَ الـسَّـيـفُ الـمـعَـا ... شَ نَـبَـا بـكَـفِّ الـضَّـارِبِ

---

(١) ثغر شنيب: عذوبة في الأسنان. انظر القاموس المحيط، مادة /شنب/.

Marfat.com
Marfat.com

وله في الغزل: [البسيط]

إن الـغَـزالَ الّـذي فـي طَـرْفِـهِ حَـوَرٌ ... في مِرْشَفَيْهِ سُلافُ الرّاحِ والحَبَبُ
حارتْ لـرُؤيَتِهِ الأبْـصَارُ حِـينَ بدَا ... غُصْنُ الجمالِ حَلاهُ اللُّطْفُ والأَدَبُ
مـا مَـال مِـن هَـيَفٍ مَـيّـالُ قـامَتِهِ ... إلاّ عـلـيْـهِ فُـؤادُ الـصّـبّ يـضْـطَـرِبُ
دارَتْ إلـيـه قـلـوبُ الـعـالَـمِـينَ فـمـا ... قـلـبٌ لـغَـيْـرِ هَـوَاهُ الـيـومَ يـنْـقَـلِـبُ

وقوله: [الطويل]

تَقَمَّصَ ثَوْبَ اللاذِ مِن فوقِ لُؤْلُؤٍ ... ورَصّـعَ بـالـدُّرّ الـجُـمـانَ بَـدِيـدَا
وألْبَسَنِي مِرْطَ النُّحولِ مُخَلّقاً ... وأغْـدَمَـنِـي بُـرْدَ الـشـبـابِ جَـدِيـدَا
غَـزالُ كِـنـاسٍ لَـوْ رأتْـهُ مِـن السَّـمـا ... كـواكـبُـهـا خَـرّتْ إلـيـه سُـجُـودا

وله: [الطويل]

رِياضٌ سَقَتْهَا سُحْبُ جَدْوَاكَ لا ذَوَتْ ... ولا بَرِحَتْ بالفَضْلِ مُعْشِبَةً خضْرَا
ولا بَرِحَتْ رُسْلُ المحامِدِ والثَّنَا ... إلـيـكَ مَـدَى الأيّـامِ وارِدةً تَـثْـرَى

وله: [الطويل]

تَصَبَّرْ فَفِي اللأْوَاءِ قد يُحْمَدُ الصَّبْرُ ... ولولا صُروفُ الدَّهْرِ لم يُعْرَفِ الْحُرُّ[1]
وإنَّ الذي أبْلَى هُو العَوْنُ فانْتَدِبْ ... جميلَ الرِّضَا يبْقى لك الذِّكْرُ والأجْرُ
وثِقْ بالذي أعْطى ولا تَكُ جازِعاً ... فـلـيـسَ بِـحَـزْمٍ أن يُـرَوِّعَـكَ الـضُّـرُّ
فـلا نِـعَـمٌ تَـبْـقَـى ولا نِـقَـمٌ ولا ... يـدومُ كِلا الـحالَـيْـنِ عُـسْـرٌ ولا يُـسْـرُ
تَـقَـلُّـبُ هـذا الـدَّهْـرِ لـيـس بِـدائِـمٍ ... لـدَيـه مـع الأيّـامِ حُـلْـوٌ ولا مُـرُّ

وله: [م. الكامل]

حـتّـى مَ يـا ظَـبْـيَ الـنَّـقَـا ... عـنّـي تُـحـجّـبُ فـي كِـنـاسِـكْ
لا تَـنْـأَ عـن عَـيْـنِـي وتَـهْـ ... ـجُـرْنِـي قَـلـىً مـن دونِ نَـاسِـكْ
أنـا عَـبْـدُ رِقّـكَ أرْتَـجِـيـ ... ـكَ وأخْـتَـشِـي سَـطَـواتِ بَـاسِـكْ
لا تَـبْـغِ بـالإعْـراضِ قَـتْـ ... ـلِـي واسْـقِـنِـي بـحـيـاةِ رَاسِـكْ

وله: [م. الكامل]

وحَـيَـاتِـهِ وحَـيَـاتِـهِ ... إنّـي لِـرُؤْيَـتِـهِ كَـلِـفْ
صَـنَـمٌ لَـبِـسْـتُ الـغَـيَّ فِـيـ ... ـهِ وقـلـتُ لـلـرُّشْـدِ انْـصَـرِفْ
حـسَـنٌ وإن كـان الـمُـسـ ... ـيءَ لـمـن بـعَـشْـقَـتِـهِ تَـلِـفْ
مـا اسْـتَـحْـسَـنَـتْ عَـيْـنِـي سِـوَى ... حَـسَـنٍ ولا قَـلْـبِـي أَلِـفْ

(١) اللأواء: الشدة. انظر القاموس المحيط، مادة / لأي/ .

Marfat.com
Marfat.com

وكتب إلى بعض الأعيان، يمدحه:

أهْدَيْتَني وأجزتَني وبَرَزْتَنِي ... وشَمَلْتَنِي بالبِرّ والألْطافِ
ولئنْ بِشُكْرِكَ راحَ لَفْظِي كاسياً ... نُعْماكَ كاسيةً بها أغْطافِي
لا بِدْعَ إن أسْدَيْتَ مَغْرُوفاً فَذَا ... لَكَ من عَوائِدِ سُنَّةِ الأسْلافِ

ومدح بعضَ الكبار بقصيدة، فانتقصه فكتب إليه: [المتقارب]

مَدَحْتُكَ لا رَغْبَةً في نَداكَ ... وإنْ مَلَّكَتْهُ الورَى رِقَّهَا
ولا رَهْبَةً مِن سَطاكَ الَّذي ... أذَاقَ الأعَادِيَ ما ذَاقَهَا
ولكن لِمَعْنىً تَراهُ الكِرامُ ... وذاكَ لأقْضِي العُلَى حَقَّهَا

ومما أنشده لنفسه قوله: [المتقارب]

عَلى مَ الصُّدودُ ولا ذَنْبَ لِي ... وفِيمَ التَّجَنِّي وصَبْرِي بَلِي
بمَن أوْدَعَ السِّحْرَ في مُقْلَتَيْكَ ... وحكَّمَ لَحظَيْكَ في مَقْتَلِي
دَعِ الصَّدَّ وارفُقْ بمَن قَلْبُه ... على حَرِّ نارِ الغَضا يَنْقَلِي
إلى اللهَ أشكُو أليمَ الجوَى ... وقلْباً بِحَرِّ الجوَى مُمْتَلِي
لَحَى اللهُ قلْبِي الظَّلُومَ الَّذي ... عن النُّصْحِ ما انفَكَّ في مَعْزِلِ
كَليمُ الصَّبابَةِ لا يَنْتهي ... عن الوَجْدِ في الرَّشَأ الأكْحَلِ
رَثَى لِيَ في الحُبِّ مَن لامَنِي ... ورَقَّ الحَسُودُ وما رَقَّ لي
يَميناً به حُبِّه ما سَلَوْتُ ... ولا مِلْتُ عنهُ إلى عُذَّلِي
مَلِيْحٌ أبى اللهُ إلاّ هَواهُ ... على رَغْمِ أنْفِ البَلِيدِ الخَلِي

ومن غراميّاته قوله: [م. الرجز]

يا هَلْ تَرَى لو نظَر الْـ ... ـغادُونَ حالِي رَحِمُوا
أوْ عَلِمُوا ما صَنَعُوا ... بِي مِن أسَايا نَدِمُوا
يا مَن لِوَجْدِي عَمَرُوا ... والصَّبْرَ مِنِّي هَدَمُوا
تاللهِ مِن بَعْدِكُمْ ... كلُّ وُجودٍ عَدَمُ

وله مُضَمِّناً: [الكامل]

وَاصَلْتُ وُدَّكَ بالوَفَا فقطَعْتِني ... ورَفَعْتُ ذِكْرَكَ في الورَى فَوَضَعْتَنِي
وزَعَمْتُ أنَّكَ ذُو غِنَىً فأضَعْتَنِي ... أبْغَيْنِ مُفْتَقِرٍ إليكَ نَظَرْتَنِي

وهذا المِصْراعُ من مقطوع يُرْوَى للمُتَنَبّي، ولم يوجَد في «ديوانه»، وبعده: [الكامل]

.... فأهَنْتَنِي وقذَفْتَني من حالِقِ
لستَ المَلُومَ أنا الملومُ لأنني ... أنزلْتُ آمالِي بغيرِ الخالِقِ

Marfat.com
Marfat.com

وله:

عَشِقَ المغشُوقُ ظَبْياً مثلَهُ ... واغتَرَاهُ في هَواهُ وَلَهُ
كان مَغشُوقاً فأمْسَى عاشِقاً ... فَقَضى الحبُّ عَلَيْهِ وَلَهُ

وله: [البسيط]

بِي أغْيَدٌ تَشْخَصُ الأبْصارُ حينَ بَدَا ... في طَلْعَةٍ جَلَّ مَن بالْحُسْنِ عَدَّلَها
كأنَّما الحُسْنُ لمَّا زَانَ صُورَتَهُ ... قد قال للحُسْنِ كُنْ وَجْهاً فكان لَها

ورأيتُ بخَطِّه، وقد نَسَبَهُ إلى نفسه: [الكامل]

في أزْرَقِ المَلْبُوسِ مَرَّ مُعَذِّبِي ... مُتمايِلاً كالغُصْنِ في خُيَلائِهِ
ورَقَى دُخَانَ التَّبْغِ غَشَّى وَجْهَهُ ... مِن فِيهِ مِثْلَ الغَيْمِ يومَ شِتائِهِ
وكأنَّهُ لمَّا بَدَا من شَرْقِهِ ... بَدْرٌ تبَدَّى في أدِيمِ سَمائِهِ
ستَرَ الجمالَ عن العُيونِ مَخافَةً ... أنْ لا تَكُونَ النَّاسُ مِن قُتَلائِهِ

مثلُه لبعضهم: [الطويل]

ولمَّا بَدَا في أزْرَقٍ مِن قِبائِهِ ... يَتِيهُ لفَرْطِ الحُسْنِ في خُيَلائِهِ
خلَعْتُ عِذارِي ثم صِحْتُ عَواذِلِي ... قِفُوا وانْظُرُوا بَدْرَ الدُّجَى في سَمائِهِ

قلت: وفي لَوْن السَّماء للأدباء اختيارات، وذلك بحسب حالاتٍ واعتبارات؛ فبعضُهم يصِفُه بالزُّرْقة، كما وقع لهذين الشَّاعِرَيْن، وقد تَبِعا أبا عثمان النَّاجِم في قوله، وقد رأى جارية وعليها ثوبٌ أزرق: [الخفيف]

ما تعدَّتْ قَبُولُ حينَ تَحلَّتْ ... شِبْهَ زِيٍّ لِوَجْهِهَا ذِي البَهَاءِ
لَبِسَتْ أزْرَقاً فجاءتْ بوَجْهٍ ... يُشْبِهُ البَدْرَ في أديمِ السَّماءِ

وهذا مذهب القدماء، وزرقتُه عارضةٌ من شُعاع الشمس، وهو مائلٌ إلى البَياض، كما أن العِرْق الأبيض إذا جرى فيه الدَّمُ رُئِيَ لازوَرْدِيّاً، فتولَّدَ من اللَّوْنين لونٌ آخَرُ.

وبعضُهم من أهل الآثار يجعله أخْضر، لحديث: «ما أظَلَّتِ الخَضْراءُ وَلا أقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أصْدَقَ من أبي ذَرٍّ»[1].

وبعضُهم يجعله لازوَرْدِيّاً، كما قال أبو حفص بن بُرْد، في غلام بدَا له في ثَوْبٍ لازوَرْدِيٍّ: [م. الكامل]

لمَّا بدَا في لازَوَرْ ... دِيِّ الحَرِيرِ وقد بَهَرْ
أكبرتُ مِن فَرْطِ الجما ... لِ وقلتُ ما هذا بَشَرْ
فأجَابَنِي لا تُنْكِرَنْ ... ثَوْبَ السَّماءِ على القَمَرْ

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أبي ذر (٢٨٠١). وأحمد في مسنده، كتاب المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (٦٤٨٣).

Marfat.com
Marfat.com

وبعضُهم يجعله بَنَفْسَجِيّاً، كما قال ابن المعتزّ في غلام عليه ديباج حرميّ: [م. الكامل]

وبَنَفْسَجِيّ اللَّونِ قَدْ لُ مُحِبِّهِ مِنْ رائِهِ
الآن صِرْتَ البدْرَ إذْ أُلْبِسْتَ لونَ سَمائِهِ

١٧- أبو بكر العُصْفُورِيّ

باهرُ السَّمت في النَّظم والنَّثر، طائِرُ الصِّيت في الآفاق بقَادِمَتَيِ النَّسْر.
للمعانِي الأبْكار مُخْتَرَع، ولِبَنَاتِ الأفْكار مُفْتَرِع.
وكان خرج من عُشِّه وهو صغير السِّنّ، لكنَّه إذا قُدِح زَنْدُه بالبَراعَةِ يَرِنّ.
ومن أمثالهم «الدِّيك الفصيح، من البَيْضَة يَصِيح».
فحلٌّ بمصر وأفْيَاء الكرم مَساقِطُه، وحَبُّ القلوب مَلاقِطُه.
وأقامَ يصْدحُ في سَرْحَةِ المجد، ويُفْصِحُ في نادِيها بِلِسان الوجْد.
وتُنْصَبُ حَبالَةُ الوَلا، فتَقْتَنِصُه أَشْرَاكُ العُلى، ولا تضُمُّه إلاَّ أقْفاصُ النُّبَلا.
وقد أبْدَى مِن أشْعارِه التي تُطرب تَرَنُّماً ولحْناً، وإذا تُلِيَتْ في مَحْفَلٍ تُضَمُّ عليها الجوانِحُ وتُحْنَى.
ما هو لصُدور البُزاةِ يُنْسَب، ومن أرقاب الحمام في البذْرَقَةِ[1] يُحْسَب.
وثَمَّةَ ألفاظ اسْتعار الروضُ منها أصْناف المُلَح، وخطوطٌ كأنَّما فيها لمَن يُبْصر من رِيشِ الطَّواوِيس لُمَح.
وله مُوشَّحاتٌ إذا أُنْشِدَتْ كأنَّما أدار الكأسَ مُديرُها، وجاوَب المثانيَ والمثالِثَ يَمُّها وزَئِيرُهَا.
وأغانٍ لم تَتَنَحْنَح بأمثالِها الحنَاجِر، ولم تَتَقَلَّب لأشْباهِها الخنَاصِر والبنَاصِر.
وكنتُ أتمنَّى لُقْيَاه، لأتَمَلَّى بطَلْعَةِ مُحيَّاه.
فصادَتْهُ قبل وصُولي إلى مِصرَ خَطاطِيفُ المنُون، فَعرَّس بِفناءِ الفَنَا، وخلَّد عَرائِسَ الفُنون.
وهذه قطعة من تحائِف خاطِره، تَسْتَدِلُّ منها على غائِبِه بحاضِرِه.
فمنها مقْصُورتُه التي امْتدَح بها الأستاذ محمد البَكْرِيّ.
ومطلعها: [الكامل]

عيذَتْ بكَ الدُّنيا وعيدَ لك الهنا واعتدَّتِ الحُسنى وعُدَّ لك المُنَى
عجباً لمن نظَرَ الهلالَ وما رأى أن الهلالَ إذا بَدَوْتَ له بَدَا
شغَفاً بطَلْعتكَ التي قَسَماتُها مَهْما تبدَّتْ تنكسِفْ شمسُ الضُحَى

(١) البذرقة: الخُفارة. ا.هـ. لسان العرب، مادة /بذرق/.

Marfat.com
Marfat.com

وبـغُـرَّةٍ قـمـريَّـةٍ فـي طُـرَّةٍ ... سَبَجِيَّةٍ كالبَدْرِ في غَسَقِ الدُّجَى
مَا البدْرُ ما الشَّمْسُ المُنيرةُ ما الضُحَى ... ما الظبْيُ ما الرِّشأُ الشُوَيْدِنُ ما الطُلا[1]
غَسَقٌ على شَفَقٍ على قمرٍ على ... فَنَنٍ على دِعْصٍ على قَدٍّ علا[2]
مثلُ الغزالةِ في السَّماءِ وفي الفَلاَ ... فَهُما وأنتَ إذا اعْتَبرْتَ سَوَا سَوَا
أرأيتَ راتعةَ الفَلا أرأيتَ آ ... لِفَةَ العَراَ أرأيتَ شاردةَ المَهَا
وبصُبْحِ وَجْهٍ إن تبسَّمَ ثَغْرُهُ ... يَبْدُو الصَّباحُ ويَحمَدُ القوم السُّرَى
يا قاتِلي من غيْرِ ما ذَنْبٍ ألا ... تَذْنُو فتبصرَ ما لَقِيتُ من النَّوَى
قلْبِي تمزَّقَ فِيكَ كُلَّ مُمَزَّقٍ ... أسَمِعْتَ ما قالُوه في أيْدي سَبَا
ألِفَ الضَّنَى جِسْمِي فلو فارَقْتُه ... لفَنيتُ من أسَفٍ على فقْدِ الضَّنَى
وتعوَّدَتْ عَيْنِي السُّهادَ فلو غَفَتْ ... لرأتْ خَيالَ السُّهدِ في سنَةِ الكَرَى
وألِفْتُ سَمْعَ العَذْلِ حتَّى لَوْ صَغَتْ ... أُذْنِي لغَيْرِ العَذْلِ شَقَّيْتُ القِبَا
وعَلِمْتُ أنَّ الصَّبْرَ مُرٌّ طَعْمُهُ ... لكنَّنِي عايَنْتُه حُلْوَ الجَنَى
ونَعِمْتُ بالضِّدَّيْنِ حتَّى اسْتَقْطَرَتْ ... عَيْنايَ ماءَ الدَّمْعِ من جَمْرِ الغَضَا
وسهامُ جَفْنِكَ بعدما رَيَّشْتَها ... بِغِشَا الكُلَى وسَقَيْتَهَا بدَمِ الحَشَا
هيْهاتَ تُحْسِنُ نَزْعَها من بَعْدِمَا ... نَبَتَتْ وأطْلَعَ غُصْنُها ثَمَرَ الهَوَى
ووَحَقِّ أشْواقِي لوِجْهِكَ إنَّ لِيْ ... زَفَرَاتِ وَجْدٍ لا أرُومُ لها انْقِضَا
وجَوىً تَوَدُّ حُشَاشَتِي لَو أنَّهُ ... كان انْطَفَا ويَسُوؤُها مَهْما انْطَفَا
وشِفَاءُ سُقْمِي في لَمَاكَ ولَيْتَهُ ... يَشْفِي غليلي بَرْدُ ذَيَّاكَ اللَّمَى
ويزِيدُنِي قُرْبِي إليْكَ حَرارةً ... كالنُّوقِ في البَيْداءِ يقْتُلُها الظَّمَا
يا سَلَّمَ اللهُ المَحبَّةَ إنَّها ... نعَشَتْ فُؤاداً سَلَّمَتْهُ إلى الجَوَى
يا قاتِلي وأنا الفِداءُ لِقَاتِلِ ... أبداً بغَيْرِ حَدِيثِهِ لا يُشْتَفَى
العيْنُ بعدَكَ ما غَفَتْ والطَّرْفُ بَعْـ ... ـدَكَ ما سَهَا والدَّمْعُ بعدَكَ ما رَقَا
للهِ جَفْنٌ تحت وعدِكَ ساهرٌ ... أمَلاً يشُوبُ المُرسَلاتِ بِهَل أتَى
حافِظْ على صِدْقِ العهودِ فإنَّه ... مما يدلُّ على المودَّةِ والصَّفا
أتشكُّ أنَّ الصدقَ ينفعُ أهلَه ... أوَ لَسْتَ تعرف غَيْرَ صَحْبِ المُصطَفى

---

(١) الشادن: ولد الظبية، و[الشويدن تصغيرها]. انظر لسان العرب، مادة: /شدن/.
الطُّلا: بالفتح: ولد الظبي ساعة ما يولد. ا.هـ. لسان العرب، مادة: /طلو/.
(٢) الدعص، بالكسر، وبهاء: قطعة من الرمل مستديرة، أو الكثيب منه، المجتمع أو الصغير. ا.هـ. القاموس المحيط، مادة: /دعص/.

Marfat.com
Marfat.com

ويُستحسن له قوله: [البسيط]

في الاشْتِقاقِ وفي التَّذْبِيجِ قد نظَموا ... بيْتاً له من بديع الحُسْنِ لألاءُ
الحسنُ أحمرُ والتَّحسِينُ أصفر والـ ... إحسانُ أخضر والحسناءُ بيضاءُ

وقوله: [الخفيف]

ليس بِدْعاً عتابُ خيرِ البَرايَا ... إنما يعتِب الحبيبُ الحبيبَا
بل عَجِيبٌ تقديمُه العفْوَ قبل العَـ ... ـتْبِ حِرْصاً عليه أن يَسْتَرِيبَا

أصل هذا ما ذكره أصحاب السِّيَر، أنَّ أبا بكر الصدِّيق، رضي الله عنه، دخل على النبيِّ ﷺ، وهو مَيِّتٌ مسَجّىً، فكشف عن وجهه الشريف، وقبَّل بين عينيه، وقال: فدَيْتُ من أقسَمَ اللهُ بتراب قدمه، فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١-٢]، فدَيْتُ من قدَّمَ الله لَهُ العفوَ قبل العَتْب، فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣][1].

ومن مُوشَّحاته التي أحكم فيها المناسبة والصنعة، قوله: [البسيط]

أخْمِذْ بريقِكَ ما أذْكَيْتَ من وَهَجِ ... فما تركتَ فؤاداً فيكَ غيرَ شَجِ
وارحَمْ حُشاشَةَ صَبٍّ فيكَ قد قُتِلَتْ ... ما بين مُعْتَرَكِ الأحْداقِ والمُهَجِ
وعلِّلِ القلبَ بالتَّمَنِّي ... أو فاقْتُلِ الصبَّ بالتَّجَنِّي
أنا القتيلُ بلا إثْمٍ ولا حَرَجِ ... ولمْ أقُلْ جَزَعاً يا أزمةُ انْفَرِجِي

دور

قضَتْ بإخراقِ روحي فتنةُ النَّظَرِ ... وألَّف الحبُّ بين الجَفْنِ والسهرِ
فأثَّرَتْ تلك في الأحْشاء فاشْتعلتْ ... ومُعْظَمُ النارِ من مُسْتصْغِر الشَّررِ
فخلِّ لَوْمِي وخَلِّ عَتْبِي ... فالعينُ عيْني والقلبُ قلبي
وهل رأيتَ مُحِبّاً بالغرامِ هُجِي ... لا خيرَ في الحبِّ إن أبْقَى على المُهَجِ

دور

السحرُ في اللحْظِ أم هذا هوَ الحوَرُ ... والوردُ في الخدِّ أم هذا هو الخَفَرُ[2]
لم يكْفِ وَجْنتَك الحمراءَ ما فعلتْ ... حتى غدتْ بدِم العشّاقِ تفتخِرُ
لكنَّني مُقْسِمٌ بِدَلِّكْ ... بذُلِّ مِثْلِي لعزِّ مثْلِكْ
مَن كَحَّلَ المُقْلَةَ السوداءَ بالدَّعَجِ ... وخضَّبَ الوجْنَةَ الحمْراءَ بالضَّرَجِ[3]

دور

أجُؤذُرٌ أنت يا إنسانُ أم مَلَكُ ... يا مُشْرِقاً بِمُحَيّا وجهِه الفلَكُ

(١) أخرج الشطر الأول منه البخاري (١٢٤٢).
(٢) الخَفَر: شدة الحياء. انظر القاموس المحيط، مادة: /خفر/.
(٣) عين مضروجة: واسعة الشق، نجلاء. ا.هـ. لسان العرب، مادة: /ضرج/.

Marfat.com
Marfat.com

وصائِدي بِخُدُودٍ نارُها اشتعلتْ ... والخالُ حَبَّتُها والعارضُ الشَّرَكُ
الثَّغْرُ والشَّعْرُ والمحيَّا ... البدرُ واللَّيلُ والثُّرَيَّا
فإن ضَلِلْتُ بداجِي شَعْرِه السَّبَجِ ... أهْدى لعيني الهوى صبحٌ من البَلَجِ[1]

دور

أمْنُنْ عليَّ بِوَصْلٍ يا سَكَنِي ... أو جُدْ بوعْدِي وكاتِبْني به وَمِنِ
ألا تَرى رُقْعةَ الأستاذ قد وصلتْ ... فقلَّدَتْنِيَ أطْواقاً من المِنَنِ
كأنه إذْ رأى الْتِياعِي ... لِكُثْبِه وهْو ذو اطِّلاعِ
أهْدى إليَّ سُحَيْراً أطْيبَ الأرَجِ ... في كلِّ معنىً لطيفٍ رائقٍ بَهِجِ

دور

يا واحداً لا أرى في الناس ثَانِيَهُ ... وأوْحداً لم نَجِدْ في الدهرِ شَانِيَهُ
مَحبَّتِي فيك لا واللهِ ما ابْتُذِلتْ ... وبيتُ حبِّك لم أُخْرِبْ مَبانِيَهُ
وإنني يا شقيق رُوحِي ... ويا غَبُوقِي ويا صَبُوحِي
أوْفَى مُحِبٍّ بما يُرْضِيكَ مُبْتَهِجِ ... وخاطِرِي أين كُنَّا غيرُ مُنْزَعِجِ

وهذا الأسلوب تقَدَّمه فيه جماعةٌ، وزاد بعضُهم التَّلْفِيق في كل القطعة بين شعر غيره.

وهذا موشحه:

أجاب دمعي وما الدَّاعي سوى طَلَلِ ... وظلَّ يسْفَح بين العُذْرِ والعَذَلِ
يا ساكِني السفح كم عين بكم سفَحتْ ... مِلْءَ الزمانِ ومِلْءَ السهلِ والجبلِ
قلبٌ مُعَنًّى ومَدْمَعٌ صَبٌّ ... يجُرُّ أذْيالَه ويسْحَبْ
يشكو إلى القلبِ ما فيه من العِلَلِ ... والقلبُ يسحبُ أذْيالاً من الوَجَلِ

فالمِضْراعان الأولان، والرابع للمتنبّي[2].

والثالث لابن النَّبيه[3].

والخامس للشريف الرَّضِيّ.

والسادس لابن اللَّبَّانَة.

والأخيران لابن سَنَاءِ المُلْك.

دور

لِتُهْنَ عينٌ غدتْ بالدمعِ في لُجَجِ ... وكلُّ جَفْنٍ إلى الإغْفاءِ لم يَعُجِ
ومُهْجة فيك للأشْجان قَد صَلُحَتْ ... لا خَيْرَ في الحبِّ إن أبْقَى على المُهَجِ

---

(١) السَّبَج: خرز أسود. [وشعر سبج: أسود]. انظر لسان العرب، مادة: /سبج/.
(٢) انظر ديوانه (٣٢٨).
(٣) انظر ديوانه (٢٣).

Marfat.com
Marfat.com

لـم تُـبْـقِ لـي فـي الـهـوَى مَـلاذَا ... يـا لـيـتـنـي مِـتُّ قـبـلَ هـذا
تركْتني أصحبُ الدنيا بلا أمَلِ ... فـمـا أقـول لـشـيءٍ لـيـت ذلـك لِي

الأول للعزِّ المَوْصِليّ.
والثاني، والرابع لابن الفارِض[١].
والثالث لابن النَّبيه.
والخامس لابن الخرَّاط.
والسادس لابن نُباتَة[٢].
والأخيران للمُتَنَبِّيّ.

دور

ما جال بعدكِ لَحظِي في سَنَا القمرِ ... فـإن ذلـك ذنـبٌ غـيـرُ مُـغْـتَـفَـرِ
لـي هـمَّـةٌ لِـدَنِـيٌّ قَـطُّ مـا طَـمـحـتْ ... لـمَّـا تـواضـعَ أقـوامٌ عـلـى غَـرَرِ
وأيَّـمـا كـنـتَ كـنـتُ عـبْـدَكْ ... فـإن قـلـبـي أقـام عـنـدكْ
عـلـى بَـقـاءِ دَعـاوٍ لـلـهـوى قِـبَـلِـي ... وأنـت تـعـلـمُ أنَّـي بـالـغِـرامِ مَـلِـي

الأول لابن زيدون[٣].
والثاني، والرابع لأبي العلاء[٤].
والثالث لابن نُباتة.
والخامس، والسادس للبهاء زُهَير.
والسابع للقَرافِيّ.
والثامن لابن الجَوْزِيّ.

دور

بما بِعطْفَيْكَ من تيهٍ ومن صَلَفِ ... تَلافَ مُضْناكَ قد أشْفَى على التَّلَفِ
فالموتُ إن غُضَّتِ الأجْفانُ أو فُتِحَتْ ... يا أكْحَلَ الطَّرْفِ أو يا أزْرَقَ الطَّرفِ
لِـسـائِـلِ الـدمـعِ صِـرْتُ نـاهِـزْ ... وسِـرْتَ والـقَـدُّ مـنـك خـاطِـرْ
تذرِي الطَّعِينَ وصدرُ الرُّمْحِ لم يَصِلِ ... ما خابَ مَن سأل الحاجاتِ بالأسَلِ

الأولان، والرابع لابن الوَرْدِيّ.
والثالث لابن نُباتَة[٥].
والاثنان من موشَّح.

---

(١) انظر ديوانه (بشرح البوريني والنابلسي).
(٢) انظر ديوان ابن نباتة المصري (١٧٧).
(٣) انظر ديوانه (٩٢).
(٤) انظر شرح التنوير على سقط الزند (١/ ٣٣) (١/ ٤٠). وشروح سقط الزند (١/ ١٣٢) (١/ ١٦٧).
(٥) انظر ديوانه (٩٧).

Marfat.com
Marfat.com

والآخِران للشريف.

ومن مشهور شعر العُصْفُورِيّ قوله، في غلام يلعب بتفاحة: [الطويل]

بتفَّاحَةٍ في الخدِّ وَكَّل لَحْظَهُ ... ليحفَظَها من ناظِري أن يَؤُودَهَا
سَهَا فَهَوتْ من خدِّه فهو دائماً ... يُرَدِّدُها في كفِّه ليُعِيدَهَا

وقد سبقه إلى هذا أبو تمّام غالب الحَجّام، في قوله: [الكامل]

عايَنْتُهُ وبخدِّه تفاحةٌ ... قد أُلْبِسَتْ من وَجْنَتَيْهِ بُرْدَهَا
يزمِي بها في وَجْهِه ويظنُّها ... من خدِّه سقطتْ فيبْغِي رَدَّها

وقوله في وصف جدول ماء: [المتقارب].

لنا جدولٌ صَقَلَتْهُ الشَّمالُ ... كما صَقَل القَيْنُ صافي الأثَرْ
جرى ذَهَباً في أوانِ الأصِيل ... كما قَدْ جرَى فِضَّةً في السَّحَرْ

وقوله في فوَّارَة ماء: [الطويل]

وفوَّارَةٍ للماء تحسَب أنَّها ... قضيبُ لُجَينٍ فوقه عِقْدُ جوهرِ
تُقابلها شمسُ الأصيل فتغْتدي ... أناظِيمُ شَذْرٍ خيْطُهُ سِلْكُ مَرْمَرِ
وتعطُفُها ريحُ الشمالِ كأنها ... قوامُ رَدَاحٍ في قِباءٍ مُعَضفَرِ

ومن مُوَشَّحاته قوله: [م. الرمل]

أيها المُمتنِع الأوْ ... صافِ عن إدراكِ مُدْرِكْ
أفلا يُمكِنُ أن تَنْ ... علمني هِمْيانَ خَضرِكْ
يوم أحْظَى بتَلاقِيكْ
وبِكاساتِي أُساقِيكْ
وبأشْواقِي أُلاقِيكْ
مَزْتِعِي بين تَراقِيـ ... ـكَ ورُمَّاناتِ صدرِكْ
أجْتني سَوْسَنَ صُدْغَيـ ... ـكَ ونُوّارةَ ثَغْرِكْ[1]
فحياتي يومَ ألْقَاكْ
يوم أسْتَنْشِق رَيّاكْ
وتُعاطِيني حُمَيّاكْ
وأرَى شمسَ مُحَيّا ... كَ بدَتْ في ليلِ شَعْرِكْ
فهنا أنظِمُ دُرَّ اللَّـ ... ـثمِ في لَبّاتِ نَحْرِكْ
أهصرُ العِطْفَ وأضْمُمْ
وأُفدّيكَ وألْثَمْ

(١) النوارة: الزهر. انظر لسان العرب، مادة: /نور/.

Marfat.com
Marfat.com

آخِـــذاً بـــالـــجَـــيْـــبِ والـــكُـــمّ

وأُجِـيـلُ الـخَـمْـسَ مـن يُـمْـنـا ... يَ فـــي جَـــوْنَـــةِ عِـــطْـــرِكْ
وأهُـــزُّ الـــغُـــصُـــنَ الـــمُـــثْـــ ... ـــمِـــرَ مـــن أغْـــطـــافِ هَـــضْـــرِكْ

وله في القهوة: [الرجز]

سـوداءُ مـثـلُ الـمـسـكِ لا كـالـنِّـقْـسِ ... وجَـامُـهـا الأصـفَـرُ مـثـلُ الـوَرْسِ
جـالِـبَـةٌ لـلأُنْـسِ بـعـد الأُنْـسِ ... حـلّـتْ حُـلـول زُحَـلٍ فـي الـشَّـمْـسِ

وله في شريفٍ تعذَّر: [الكامل]

طـلـع الـعـذارُ بـخـدِّ أهْـيَـفَ سـيِّـدٍ ... أخْـسِـنْ بـخُـضْـرَةِ نـبْـتِـهِ ورِيـاشِـهِ
فـمـنَ الـحَـيـاءِ تَـخـالُـه مُـتَـلَـثِّـمـاً ... أبـــداً بـــأوَّلِ طَـــيَّـــةٍ مـــن شَـــاشِـــهِ

وله في حامل شمعة: [السريع]

وَافَـــى وفـــي راحـــتِـــه شَـــمْـــعـــه ... لـــهـــا عـــلـــى وَجْـــنـــتـــه لَـــمْـــعَـــهْ
فـخـلْـتُـه الـبـدرَ وفـي كـفِّـه ... بَـهْـرَامُ والـمـنْـزِلـةُ الـهَـنْـعَـهْ

وله: [السريع]

لـــه لـــســـانٌ مُـــفْـــرِط كَـــذِبُـــهْ ... كـــأنـــه مِـــقْـــوَلُ صَـــوَّاغْ
ووجـهُـه أقْـبَـحُ مـا فِـي الـوَرَى ... كـــأنَّـــه راحـــةُ صَـــبَّـــاغْ

«راحة صَبَّاغٌ» يُضرَبُ مثلاً لما يُسْتَقْبَح، ويُشبَّه به ما لا يُسْتَنْظَف.

وله: [المتقارب]

لـه كـلَّ حـيـنٍ عـلـى مُـغْـتَـفِـيـهِ ... إذا أَمَّـــهُ نـــعـــمـــةٌ ســـابِـــغَـــهْ
كـأن يـداً مـلَّـكْـتـه الـرِّقـابَ ... يَـدُ الـبـاهـلـيّ عـلـى الـنَّـابِـغَـهْ

وله من قصيدة، مستهلها: [الطويل]

أُغـازِلُ مـنـه الـجَـفْـنَ أكْـحَـلَ أوْطَـفَـا ... وأهْـصِـر مـنـه الـقَـدَّ أسْـمَـرَ أهْـيَـفَـا
وأقْـطِـفُ مـنـه وردةَ الـخـدِّ غَـضَّـةً ... وأرشِـفُ مـنـه خـمْـرَةَ الـثـغـرِ قَـرْقَـفَـا[1]
ويُـعـجـبـنـي أنـي أُقـبِّـلُ لَـحْـظَـهُ ... ولـم أرَ قَـبْـلِـي مـن يُـقـبِّـل مُـرْهَـفَـا
أُفـدِّيـه مَـغْـسُـولاً لِـحـاظـاً ومَـرْشِـفـاً ... وأفـديـه عَـسّـالاً قَـوامـاً ومِـغْـطَـفَـا
وأطـلـبُ مـنـه قُـوتَ قـلـبـي تـطـفُّـلاً ... وألْـتـاذُ بـالأقْـدامِ مـنـه تـلـطُّـفَـا
بـسُـورِ عـقـيـقٍ صـان لُـؤلُـؤَ ثـغـرِهِ ... ومَـدَّ عـلـيـه بـالـزَّبَـرْجَـدِ رَفْـرَفَـا
أقـامَ عـلـيـه حَـيَّـةَ الـشَّـغـرِ حـارِسـاً ... وزَرْفَـنَـهُ بـالـصُّـدْغِ كَـنْـزاً مُـكَـلْـفَـا[2]

(١) القرقف: اسم للخمر، ويوصف به الماء البارد والصفاء. ا.هـ لسان العرب، مادة /قرقف/.
(٢) الزرفين: حلقة الباب. وقد زرفن صدغيه: جعلهما كالزرفين. ا.هـ انظر القاموس، مادة /زرفن/.

Marfat.com
Marfat.com

أُعـدِّد أشـجـانِـي إلـيـه إذا صـحـا ... وأُسـهِـرِ أجـفـانِـي عـلـيـه إذا غَـفَـا
وأُوقـظـه أن لا يـسـوءَ مِـزاجُـه ... فـأحـسَـب أنـي قـد هَـزَزْتُ مُـثـقَّـفَـا
نـظـرتُ إلـيـه نـظـرةً فـتـلـهَّـفَـتْ ... عـلـيـه حَـشـاً لا تـسـتـطـيـع تَـلَـهُّـفَـا
فـصـعَّـدَ مـا لـو قـابـل الـدمـعَ مـا طـفَـا ... وقـطَّـر مـا لـو سَـامَـتَ الـوجـدَ لانـطَـفَـا
فـقِـسْـتُ بـدُرِّ الـدمـعِ لُـؤلُـؤَ ثَـغْـرِه ... فـلـم أذرِ أيّـاً كـان أصْـفَـى وأصْـلَـفَـا
ولـم أرَ بـدراً قـبـلَـه ظـلَّ كـامـلاً ... ولا شـمـسَ حُـسْـنٍ قـبـلَـه لـن تُـكـسَّـفَـا

وله وهو مما يُستعذَب: [السريع]

سـألـتُـه فـي ثَـغْـرِه قـبـلـةً ... فـقـال مـا أبْـرَدَ هـذا الـسُّـؤالْ
مـا مَـرَّ إلاّ وحَـلا وَصْـلُـهُ ... لـو كـانَ مَـن يَـسْـمَـحُ لـي بـالـوِصَـالْ
عـطَّـلـنـي مـن وَصـلِـه بـالـجـفَـا ... والـحـمـدُ لله عـلـى كـلِّ حـالْ

ابن نُبَاتَةَ المِصْرِيّ[1]: [السريع]

حَـلُّـوا بِـعِـقْـدِ الـحُـسْـنِ أجْـيـادَهُـمْ ... وحـاوَلُـوا صَـبْـرِيَ حَـتَّـى اسْـتَـحـالْ
فـآهِ مـن عـاطـلِ صَـبْـرٍ مَـضَـى ... والـحـمـدُ لـلـهِ عـلـى كـلِّ حـالْ

وله في ساقِي قهوة: [المنسرح]

سـاقٍ يـفـوقُ الـسُّـقـاةَ كُـلَّـهُـمُ ... بـالأدبِ الـسَّـابِـرِيّ والـحِـكْـمَـهْ
يـبِـيـتُ يـسْـقِـيـكَ مـن لـطَـافَـتِـهِ ... فـي جـامِـدِ الـنُّـورِ ذائِـبَ الـظُّـلْـمَـهْ

وله من قصيدة مدح بها ابنَ الحُسام المُفتِي، وكلها غُرَر؛ فلذا أثْبَتُّهَا برُمَّتِها: [الطويل]

نِـظـامُ سُـلـوكِ الـقَـطْـرِ فـي إبَـرِ الـمُـزْنِ ... تَـخِـيـطُ قَـمـيـصَ الـنَّـهْـرِ مِـن وَرَقِ الـغُـصْـنِ
وقَـدْحُ زِنـادِ الـرَّعْـدِ فـي راحـةِ الـصَّـبَـا ... يُـؤجِّـجُ نـارَ الـبَـرْقِ فـي فـحْـمَـةِ الـدَّجْـنِ
ورَشْـفُ رُضـابِ الـطَّـلِّ مِـن أكْـؤُسِ الـرُّبَـى ... يُـرَنِّـحُ عِـطْـفَ الـغُـصْـنِ لا قَـرْقَـفُ الـدَّنِّ
وتَـزْرِيـرُ جَـيْـبِ الـشَّـمْـسِ يُـؤْذِنُ بـالـحَـيَـا ... لـمـا قـامَ غُـصْـنُ الْـبَـانِ مُـنْـحَـسِـرَ الـرُّدْنِ[2]
وخَـطُّ عِـذارِ الـنَّـهْـرِ أشْـكَـلَ رسْـمُـهُ ... فـأعْـرَبَـتِ الـوَرْقـاءُ عـنْـهُ بـلا لَـحْـنِ
وتنكيسُ رأسِ الغُصْنِ في الرَّوْضِ مُشْعِرٌ ... بإصْـغـائِـهِ مُـسْـتَـمْـلِـيـاً كـلـمـا تَـغْـنِـي
وتَـقْـطِـيـبُ ثَـغْـرِ الـزَّهْـرِ يضْـحَـكُ بـالـنَّـدى ... كـمـا ضَـحِـكَـتْ تـلـك الـطُّـيـورُ بـلا سِـنِّ
وقـد نُـصِـبَـتْ لـلـنَّـوْءِ فـي الـجـوِّ خَـيْـمَـةٌ ... تـكَـنَّـفَـتِ الأقْـطـارَ مِـن نـاصِـعِ الـقُـطْـنِ
وهَـبَّ صَـبـاً أحْـيَـتْ مَـواتـاً مـن الـرُّبَـى ... كـأنْ هَـبَّ إسْـرافـيـلُ يـنْـفُـخُ فـي الـقَـرْنِ
إذا سُـلَّ سَـيْـفُ الـبَـرْقِ مِـن جَـفْـنِ مُـزْنَـةٍ ... أسـالَ دُمـوعَ الـقَـطْـرِ مـن ذلـك الـجَـفْـنِ

---

(١) انظر ديوانه (٤٢١).
(٢) الرُّدن؛ بالضم: أصل الكم. ا.هـ لسان العرب، مادة: /ردن/.

Marfat.com
Marfat.com

ودونَ عُقاب الجوِّ إن عَنَّ ضَوْءُهُ ... أطار غُرابَ اللَّيْلِ عن سُحُبِ دُكْنِ
تَخالُ عَنانَ اللَّوْحِ بَحراً مُلَجَّجاً ... على مَتْنِهِ تلك السَّحائِبُ كالسُّفْنِ
وللنَّوْءِ قَوْسٌ أوْتَرَ الجوَّ مَتْنُهُ ... نِبالَ سَناً رِيشَتْ بأجْنِحَةِ المُزْنِ
مُوَشًّى الحَنَايَا دَبَّجَتْهُ شِياتُهُ ... كما دَبَّجَ الطَّاوُوس قادِمُهُ المَخْنِي
كأن قدْ أتَى فصْلُ الرَّبيعِ تَخالُهُ ... أصالَةَ مغْنىً رَامَهُ رائِقُ الذِّهْنِ
كأنْ قد تَهادَى الغُصْنُ في عَذَبَاتِهِ ... كما اهْتَزَّ تحت الخَزِّ قامَةُ ذِي حُسْنِ
وإلاَّ كما اهْتَزَّتْ يَراعةُ سَيِّدِي ... بما أثْمَرَتْ بالمَنِّ والأمْنِ واليُمْنِ
عِمادُ ذوِي الفُتْيَا وعِصْمَةُ أهْلِها ... وحِصْنُهُمُ أكْرِمْ بذلك مِن حِصْنِ
له السُّمْعَةُ الحَسْناءُ في المُدْنِ والقُرَى ... ومَعْدَلَةُ القِسْطَاسِ في الإنْسِ والجِنِّ
إذا ظَنَّ منه الرِّفْدَ يَوْماً مُؤَمِّلُ ... أبا كَرَماً أن يُبْدِلَ الظَّنَّ بالظَّنِّ
جَزانِي جَزَاهُ اللهُ خَيْرَ جَزَائِهِ ... وبَوَّأهُ قُصْوَى مَكارِمِهِ عَنِّي
وعلَّمَنِي نظْمَ الأناشِيْدِ فضْلُهُ ... وقد كان شِعْرِي قبْلُ أبْرَدَ من صِنِّ
وإنِّيَ مَهْما غِبْتُ عنْهُ لَمُجْهِدٌ ... بإمْداحِ ما تَخْوِي مناقِبُه ذِهْنِي
أُواصِلُ ذِكْراهُ مَساءً وغُدْوَةً ... وشُكْرُ الذي أسْدَى إليَّ مِنَ المَنِّ
مَثَابَتَهُ أمْنِي ومَثْواهُ كَعْبَتِي ... وفي بَابِهِ حَجِّي وعَقْوَتُهُ رُكْنِي
ومَن أنا يَسْتَدْعِيهِ بالكُتْبِ مِثْلُهُ ... أجَلْ هذه واللهِ فاتحةُ اليُمْنِ
أطَعْتُ ولكنِّي اشْتَغَلْتُ وأيْنَ لِي ... ويقْبُحُ من مِثْلِي أطَعْتُ ولكنِّي
وهلْ أنا إلاَّ عَبْدُهُ القِنُّ أقْتَضِي ... جميعَ الذي يقْضِيهِ في عَبْدِهِ القِنِّ
وقد جئْتهُ من بعد لأْيٍ مُهَنِّياً ... به رمضانَ العام تَهْنِئَةَ المُثْنِي
أزفُّ إلى عَلْيَائِهِ كلَّ غادةٍ ... تجوسُ حِمَى الآذانِ منه بلا إذْنِ
تَقِيهِ من البَأْسَاءِ في الدِّينِ والعُلا ... وفي النَّفْسِ والأهْلِينَ والمالِ والإبْنِ
دُعاءٌ إذا ظُنَّ القَبُولُ فإنَّنِي ... أُحَقِّقُ أنَّ الله يقْبلُه مِنِّي

ومن إنشائه ما كتبه لبعض الأدباء بدمشق، جواباً عن كتاب:

المحبَّةُ وما أدْرَاكَ، والعَلاقَةُ ويا ما هناك.

إلْطَافٌ كلُّه ألْطَاف، وإتْحافٌ فضلُه غيرُ خَاف، وقِطافٌ جنَاها لِطافٌ، ونِطاف تُمْرِعُ المرابع والمُضْطَاف.

تُطلِق من لسانِ الألْكَن، وتُغْلِقُ مِقْوَلَ المِضقَعِ الألسَن.

وتُلينُ العَريكة، وتُهينُ ذي الأرِيكَة الوَريكَة.

وتذْهبُ بذي الطِّباع السَّليمة، إلى طُمَأْنِينَةِ خَليقة وسُلالةِ شَكيمةَ.

Marfat.com
Marfat.com

والـحـبُّ أوّلُ مـا يـكـونُ لـجـاجَـةً فـإذا تـمـكّـنَ صـار شُـغْـلاً شـاغِـلا

شمسٌ لها مَطْلَعان، وسَهْمٌ له موقعان، وجِهَةٌ لها قِبْلَتان، وقَضِيَّةٌ لها نتِيجَتَان، عَقْدُها لازمٌ من الطَّرَفَيْن.

والمجدُ رَوْضُهُ مَرِيع، ودَهْرُه رَبِيع.

وِرْدُه صاف، أشْتَى أوْصَافَ.

لَيلُه كلهُ سَحَر، وغَسَقُه جميعُه قَمَر.

عيشُه عيشُ السَّلاطين، وطَيْشُه طَيْشُ الشَّيَاطِين.

وأنِينُه أنِينُ الشَّاكين الباكِين، وحَنِينُه حَنِينُ المُتَباكِين المساكين. [السريع]

لـيـس لـمـسْـكـيـن الـهـوى رَاحِـمٌ ولا لِـمَـقْـتُـولِ الـهـوَى مـن يَـدِي

وهو والملك سَوا، لوْلا النَّوَى.

وهو والعُرُوش سِيَّان، لولا اللَّيَان.

ينقَضِي دهرُه في أيْن وأنَّى، وكيف وعسى، وحتى ومتى، ولَوْ ولولا، وأيَّانَ وبَيْنَا. [الطويل]

وبَيْنا تفي بالوَعْدِ أهْلَكُ إنَّ لي فُؤاداً عجُولاً والوِصالُ على مَهْلِ

ويومُه عِيدٌ، بأمَانِيِّ المواعيد.

إن بَرَقتْ بارِقَة، ظنَّها وارِقة.

أو خَفَقَتْ خافِقَة، خالها صادِقَة.

وإن صَبَّ صَبَا، مال وصَبَا.

وإن ساجِعٌ عَنَّ حَنَّ، وإن غَنَّى مُغَنٍّ اهْتَزَّ وارْجَحَنَّ. [الطويل]

..... كما انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلهُ القَطْرُ[1]

ويْلُمِّه، ما أهَمَّه، ويا عَوْلَةَ أبِيه، ما أكثر تغابِيه.

يرقُبُ سُهَيْلاً في اللَّيْلِ، ويعثُر للوَيْل بالذَّيْل.

يأخذُ الوِصال بالمثاقِيل، ويُعْطِي دُرَّ دَمْعِهِ بالمَكِيل.

وهو إذا جاد باكِي العيُون، مَجْنونٌ كالجواد المَعْيُون.

مشْغُوفٌ، كالبَعِيرِ المَأنُوف[2].

إن تهدَّد هَاد، وإن رُدَّ أرَاد، ومتى قِيد انْقَاد، وأيَّا مَّا ارْتَدَّ رَادَ وارْتَاد.

---

(١) وهو عجز بيت لأبي صخر الهذلي، وصدره:
وإنـي لـتـعـرونـي لـذكـراكِ هِـزَّةٌ .....
انظر شرح الشواهد، للعيني (٢/ ١٢٤).

(٢) بعير مأنوف: يساق بأنفه .ا.هـ. لسان العرب، مادة / أنف/

Marfat.com
Marfat.com

فلا مُعِين فِيه إلاَّ بِه، ولا مَفَرَّ منه إلاَّ إليه.
وكيْما تكونُ تَطَبُّعاً أو طِباعاً، تكونُ نظراً أو سماعاً.
فالنَّظَرِيَّةُ، دارَتُها قَمَريَّة.
والسَّماعِيَّة، دائرتها طَماعِيَّة.
ومَن لي بأنْ ينْقَلِبَ السَّمْعُ نظَراً، كما تحوَّلَ الخُبْرُ خَبَراً.
وقد ورَد أعزَّكَ اللهُ كتابُك البَعيدُ الوَصْف، البديعُ الرَّصْف.
فَفَضَضْتُ صَدَفَةً وثِيقةً عن دُرٍّ مَكْنُون، وحَظِيتُ منه أبكارَ عرائس مُنْتَقِبَةً بالجَوْهَرِ المصُون.
وشفَيْتُ الغليلَ من مِيماتِ ثُغُوره، وصَاداتِ عُيُونه.
وسَرَّحْتُ طِرْفَ طَرْفِي في رِياضِه، وأوْرَدْتُ عَقِيلَةَ عَقْلِي في زُلالِ حِيَاضِه.
وجُسْتُ خِلالَهُ، وتَفَيَّأْتُ ظَلالِه، وأكْثَرْتُ إكْرامَهُ وإجْلالَه.
حتى لاحتْ لي غُرَّةُ الدُّرَّة، وشِمْتُ مَخيلَةَ الخَميلَة، ولَمَعَتْ بارِقَةُ الشَّارِقَة.
فيالَكَ من دُرٍّ يُكالُ ويُتَّزَنْ، ومِن حُسْنِ أَلْفاظٍ يُزانُ ولا يُزَنّ.
فحِفَظَ اللهُ مَن نظَم سِلْكه، وأحْسَنَ تألُّفَه، وأبْقَى مَلَكَتَه التي وطَّدتْ في الآداب مُلكه، ورحِمَ مَن خَلْفَه.
وقد تطفَّل المحبُّ بهذه العُجالَة على جَنابِه، فَلْيُغْضِ عليه طَرْفَ حِلْمِه، ولْيَجْر في التَّرَسُّل على سَنَنَه ورَسْمِه».

١٨- السيد أحمد بن علي الصَّفُوريّ

حَسِيبٌ طرَّزَ كُمَّ الأحْساب، ونَسِيبٌ باهَتْ بنِسْبَتِه الأنْسَاب.
محَلُّه سِرُّ المطْلوب، وقَرارةُ مَحَبَّتِه حَبَّةُ القُلُوب.
مِن سُراةٍ أنُوفُهم شُمّ، ووجُوهُهُم غُرّ، وعِزَّتُهُم قَعْسَاء[1]، ونسَبهُم حُرّ.
لهم القَدْرُ الأعْلَى، وشرفُهم الشَّرفُ الأعْلَى.
وهو مِمَّن تأثَّلَ مجْدُه في بَحْبُوحةِ ذلك الشَّرَف، وتبَوَّأ من السِّيادَةِ أسْنَى الغُرَف.

١٨- هو السيد أحمد بن علي بن علاء الدين السيد الشريف، المعروف بالصفوري، الحسني، الشافعي، الدمشقي. كانت له معرفة تامة بالفقه والعربية والشعر وأنواع الأدب، وكان حسن الخلق جيد الفهم، له همة عالية طبيعة مطيعة. قرأ بدمشق على عبد الحق الحجازي، والحسن البوريني، والشرف الدمشقي. وسمع الحديث من الشمس الميداني والنجم الغزي، وكان معيداً لدرسيهما في صحيح البخاري تحت قبة النسر بجامع دمشق. وسافر إلى حلب وجرى له مع أدبائها مطارحات ودرس بدار الحديث الأشرفية، وتولى قضاء الشافعية بمحكمة الباب بدمشق، وكان حسن النزاهة في قضائه مشهور السمعة.
وكانت ولادته في سنة سبع وسبعين وتسعمائة، وتوفي في شعبان سنة ثلاث وأربعين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير. خلاصة الأثر (١/ ٢٤٦).

(١) عزة قعساء: ثابته. ا.هـ لسان العرب، مادة / قعس/.

Marfat.com
Marfat.com

مُرْتَوِيَةً أفْيَاؤُه بِمَاءِ النُّبُوَّةِ، مُتَأرِّجَةً أرْجاؤُه بِعَبِيرِ الفُتُوَّة.
مع مَهارَةٍ في العلوم، ومُحاضَرةٍ مُسْتَفِزَّة المحُلوم.
وأخْلاقٍ صقَلها الكَرَم الوَضَّاح، وطَبِيعةٍ شُغِفَ بها الكمالُ الفَضَّاح.
وله أدبٌ تَرَدَّى بالبَراعة وتوشَّح، وشِعْرٌ اسْتَعَدَّ لِلْقَبُول التَّامِّ وتَرَشَّح.
فمنه قوله: [الطويل]

أيا رَبِّ قد مَكَّنْتُ في القلْبِ حُبَّهُ ... وحَكَّمْتَهُ في الصَّبِّ بالقَوْلِ والفِعْلِ
وأَلْهَمْتَهُ الإعْراضَ عنِّي ولم تَدَعْ ... لقَلْبِيَ صَبْراً عنه في الهَجْرِ والوَصْلِ
فألْهِمْهُ إحْسَاناً إليَّ فليس لِي ... سِوَى لُطْفِكَ المعْهُودِ إن لم تَكُنْ تُسْلِي
وإلاَّ فَسَوِّ الحبَّ بيْني وبيْنَهُ ... فإنَّكَ يا مَوْلايَ تُوصَفُ بالعَدْلِ

وهذا أسلوب لطيف، وهو نقْلُ أسلوب من الكلام إلى آخر تَظَرُّفاً، كاسْتِعْمالِه في الغَزَل ما عُهِدَ وُرودُه في الدُّعاءِ والمُناجَاة.

كقول صَدرِ الدين بن الوكيل[1]: [الكامل]

يا رَبِّ جَفْنِي قد جَفاهُ هُجوعُه ... والوَجْدُ يَعْصِي مُهْجَتِي ويُطيعُهُ
يا رَبِّ قلْبِي قد تَصَدَّعَ بالهوَى ... فإلى متى هذا البِعادُ يَرُوعُهُ
يا رَبِّ بَدْرُ الحيِّ غابَ عن الحِمَى ... فمتى أراهُ وفي القِبابِ طُلُوعُهُ
يا رَبِّ في الأظْعانِ سارَ فُؤادُهُ ... يا لَيْتَه لو كان سار جَمِيعُهُ
يا رَبِّ لا أدَعُ البُكَا في حُبِّهِمْ ... مِن عَهْدِهِمْ جُهْدُ المُقِلِّ دُموعُهُ
يا رَبِّ عَذِّبْ في الهوَى مَن ساءَنِي ... بمَقَالِهِ أحْلَى الهوَى مَمْنُوعُهُ
يا رَبِّ هذا بَيْنُه وبِعادُهُ ... فمَتى يكونُ إيابُهُ ورُجوعُهُ

ومثلُه اسْتِعْمال الغَزَل على طِراز الأوامرِ السُّلطانيَّة، كقول الشابّ الظريف[2]: [الوافر]

أعَزَّ اللهُ أنْصَارَ العُيونِ ... وخَلَّدَ مُلْكَ هاتِيكَ الجُفُونِ
وأسْبَغَ ظِلَّ ذاكَ الشَّعْرِ يَوْماً ... على قَدٍّ بِهِ هَيَفُ الغُصُونِ

وللسيد أحمد، كما رأيتُه بخطِّه:

إذا أنتَ لم تَقْرُبْ يُناجِيكَ خاطِري ... وإن تَدْنُ مِنِّي فالجَوارِحُ أعْيُنُ
لأنَّكَ مَطْلُوبِي على كلِّ حالَةٍ ... وإنْ أكُ مُخْتاراً فرُؤْيَاكَ أحْسَنُ

ورأى حِكْمةً تُؤْثَرَ عن الإمام محمد بن الحنفيَّة، وهي: «ليس بحكيم من لم يُعاشِر بالمَعْرُوفِ مَن لم يَجِدْ من مُعاشَرَتِه بُداً، حتى يجعلَ اللهُ له فرَجاً، ومن الضِّيق مَخْرَجاً».

---

(١) أنظر خلاصة الأثر (١/ ٢٤٦).
(٢) أنظر ديوانه (٦٤) وفيه «وأسبغ ظل ذاك الشعر فيه». وريحانة الألبا (١/ ٤٨) وفيه «وأسبغ ظل ذاك الشعر دوماً».

Marfat.com
Marfat.com

فنَظمها في قوله: [الطويل]

إذا أنْتَ لم تقْدِرْ على تَرْكِ عِشْرَةٍ ... لِذِي شَوْكَةٍ فانْصَحْ وعامِلْهُ بالرِّفْقِ
ولا تَضْجَرَنْ مِن ضِيْقِ ما قَدْ لقِيْتَهُ ... عسَى فَرَجٌ يأتِيكَ مِن خالِقِ الخَلْقِ

وكتب إلى صديقٍ له يعْتَذِر عن وَعْدٍ لم يُوَفِّه: [الوافر]

أيا مَن فَضْلُه والجُودُ سَارَا ... مَسِيرَ الشَّيْرَيْنِ بلا مُعارِضْ
وَعَدْتُكَ سيِّدِي والوعْدُ دَيْنٌ ... ولكنْ ما سَلِمْتُ من العَوارِضْ

١٩- السيد محمد بن علي، المعرُوف بالقُدْسِيّ

فَرعٌ من شجرةٍ طيِّبَة المَنابِت، ثبَت أصْلُها وزاحمتْ أغْصانُها الثَّوابِت، تسَامَتْ بِنِسْبَةِ النُّبُوَّةِ معالِيها، واخْضَرَّتْ بماءِ الرِّسالةِ أعالِيها.

فكأنَّما كُسِيَتْ مِن سُنْدُس الجنَّات، فشَفَّتْ عنها مِرْآةُ الزَّمانِ بأحْسَنِ الحَسَنات.

وهذا السيد وإن قارَبَتْ رحْلتُه مِن السِّنين المِئة، فذكْرُه مُخَلَّدٌ في ألسِنَةِ الجِيل بعد الْجِيلِ والفِئة بعد الفِئة.

تتحاسَد على رقَّة طبْعه الطِّباع، كما تتحاسَدُ على رِباعِه المُقدَّسَةِ الرِّباع.

فرَوْض فضْلِه مُمْرِع خَصِيب، وله ومن الأدبِ الغَضِّ أوْفَى حَظٍّ ونَصِيب.

إلاَّ أنه في آخِره غَلبتْ عليه سَوْداؤُه، فبلغَ من نفْسِه ما كان يتوقَّع أن يبْلُغَه أعداؤُه.

فمن شعْره، قولُه في هجاء الشَّمْس بن المِنْقار، لمَّا تعصَّب على الدَّاوُدِيّ، ومنَعه التَّحْدِيث: [الطويل]

مَنَعْتَ ابْنَ دَاوُدَ الحديثَ بِجِلِّقٍ ... وما مثْلُه في الشَّامِ واللهِ من قَارِ
وتزْعُمُ حَصْرَ العلْمِ فيكَ بِجِلِّقٍ ... فَتَنْقُرُ أهلَ العلْمِ فيها بِمِنْقارِ
سَيَأْتِيكَ مِن رَبِّي بَلاءٌ وفي غَدٍ ... سَتُلْقِي بوَجْهٍ يا ابْنَ مِنْقارَ مِن قارِ

١٩- هو محمد بن محمد شمس الدين القدسي الشافعي، الدمشقي، المعروف في بلاده بابن خصيب وبالسيد الصادي، وفي دمشق بالسيد القدسي. وكان من أهل الفضل والأدب، ونشأ على الجد والاجتهاد، حتى ساد وبرع ونبغ بين أهله وحيداً لأنه لم يكن فيهم صاحب معرفة بل كلهم من أرباب الحرف. ورحل إلى مصر في ابتداء أمره وحفظ فيها صفوة الزبد وكان يقول: كنت أسمع العلماء ببيت المقدس يقولون: من قرأ هذا الكتاب لا بد أن يلي القضاء. قال: وكنت لا أرغب فيه فكنت أقول انخرمت القاعدة فلما كنت بالروم احتيج إلى قاضٍ شافعي لأجل فسخ نكاح، فوليت القضاء في تلك القضية فقلت: هذا تأثير ما قيل. وأخذ تدريس المدرسة الجوزية وأخذ في مرة أخرى توجه بها إلى الروم تدريس المدرسة العمرية بالصالحية. ثم سافر إلى الروم مرة أخرى فأخذ تدريس العذراوية، ودرس بالجامع الأموي، وولي قضاء الشافعية بدمشق. ولما ظهر اختلاله واختلفت أفعاله وتناقضت أقواله ولم تنتظم أعماله، قيده ولده في داره ومنعه من تسياره.
وكان قد عرض له فالج قبل موته بنحو سنة، ثم مات بالإسهال في جمادى الآخرة سنة ثمان بعد الألف ودفن بمقبرة باب الصغير. ا.هـ خلاصة الأثر (٤/ ١٥٤).

Marfat.com
Marfat.com

وحكَى البُورِينيّ أنه صَحِبه إلى مَنِين[١]، في يوم أدِيمُه مُطَرَّزٌ، ونَدِيمُه في مجلس أُنْسِه مُعَزَّز.

فحَلوا في رَوْضٍ نَسَّام، يضْحَكُ عن زَهْرٍ بَسَّام.

أصائِلُهُ مُتَوافِقَة مع أسْحارِه، وشَمْسُه لا تُرَى إلاَّ من فُرَجِ أشْجارِه.

بيْن ماءٍ يتدفَّقُ، وهواءٍ عن المِسْكِ يَتَفَتَّق.

وبينهم حديثٌ أحْلَى من الشَّهْدِ في الفَم، وألَذُّ من قُبَل الغِيدِ عند الضَّمّ.

فلما دَنَا وقْتُ الظَّهِيرَة، ولَفح حَرُّ الهَجِيرَة.

انْفَرَدَ السَّيِّد في مكان، ليأخُذَ من القَيْلُولَةِ حَظّاً بقَدْرِ الإمْكان.

فخَاطَبَه البُورِينِيّ[٢]: [الطويل]

بِحَقِّكَ خِلِّي لا تُضِعْ فُرْصَةَ المُنَى ... وبادِرْ إلى هذا الغَديرِ المُسَلْسَلِ

وإنْ لم تَجِدْ زَهْرَ الرِّياضِ فإنَّنَا ... نُرِيكَ زُهوراً مِن كلامٍ مُرَتَّلِ

فنشِط من ذلك المَقِيل، نَشَاط مالِك إلى أخيه عَقِيل.

ثم كتب في وَصْفِ المجلس بَيْتَيْن: [البسيط]

على غَدِيرٍ جلسْنَا في مُفاوَضَةٍ ... ودَوْحُهُ قامَ مِن سُوقٍ على ساقِ

فَخِلْتُ أغْصانَ ذاك الدَّوْحِ باكِيَةً ... تُرِيدُ تَكْتُبُ ما نُمْلِي بأوْرَاقِ

فخَاطَبَه البُورِينِيّ[٣]: [الطويل]

جلسْنا برَوْضٍ فيه زَهْرانِ أُسْقِيَا ... بِمَاءِ افْتِكارٍ والمِياهِ الدَّوافِقِ

فمِن زَهَرٍ يُبْدِيْهِ روضُ كَلامِنا ... ومِن زَهَرٍ يُبْدِيْهِ رَوْضُ الحدائِقِ

ولما رجعوا من مَنِين، مَرُّوا على التَّلّ، فأقامُوا بها يومَهم يَرْوُون الأبْصار من رَوْضِه المبْتَلّ، ثم فارقوها، فكتب السَّيِّد إلى البُورِينيّ يُداعِبُه:

أيا رَوْضَةَ الآدابِ والفَضْلِ والحِجا ... ومَن فاقَ في جَمْعِ الكمالِ على الكُلّ

تُرَى هل يعودُ الدَّهْرُ يَوْماً بِجَمْعِنَا ... فنَرْقَى كما شاء الفُؤادُ على التَّلّ

فراجَعه بقوله: [الطويل]

أيا سَيِّدَ السَّاداتِ يا مَن بَنانُهُ ... تُضِيفُ الورَى بالجُودِ في زَمَنِ المَحْلِ

إذا سَاعدَ الحَظُّ السَّعِيدُ فإنَّنا ... نُطِلُّ على الوَادِي ونَرْقَى على التَّلّ

وكان بدمشق خطيبٌ يُعرَف بابن يُونس، أعْرَج أعْوَج، كما قال الفاضل: قامتَ العصَا بيَدِه مكان رِجْله، وقَلَّتْ أعْوادُ الأغْصَانِ من أجْلِه.

---

(١) قال في معجم البلدان: قنين: قرية في جبل سنير، من أعمال الشام، وقيل من أعمال الشام دمشق. معجم البلدان (٤/ ٣٣٥).

(٢) انظر خلاصة الأثر (٤/ ١٥٥).

(٣) البيتان في خلاصة الأثر (٤/ ١٥٥).

Marfat.com
Marfat.com

فعرَج إلى الأرْض لا إلى السَّما، وغُرِسَ العُود بكَفِّه ولكن ما أوْرَقَ ولا نَمَا. وكان مُتَّهَماً في الاعْتِقاد، لا يزالُ يَرْمِيهِ سَهْمُ الانْتِقاد.

وكان من جَهْله يتَعرَّض للفُتْيَا، ويُعِدُّ نفْسَه أثْقَبَ القوم رأْيَا.

فكتبَ يوماً على حُكْم لقاضٍ: إنه باطل، ومن حَلْي الحقِيقة عاطِل.

فأحضَره القاضي في مَجلسٍ غاصّ، جَمع بين عالمٍ وخاصّ.

ثم أفْسَدَ ما قالَه، وما أهْمَلَه من التَّعْزِيزِ ولا أقالَه.

فكتبَ بعضُ القومِ فيه رسالة أوْسَعَ فيها المَقال، وقَرَّظَ عليها علماءُ ذلك العصر، ومنهم السَّيِّد فقال:

«وقفْتُ على هذه الرِّسالة، التي سارَت بسِيرَتِها الرُّكْبان، وتنَاقَلَها أكابِرُ الفُضَلاء في هذا الزَّمان.

فوجَدْتُها غرِيْبَةَ المِثال، مُعرِبَةً عن قائِلها بأن لسان الحال أفْصحُ من لِسانِ المقال.

قد تضمَّنَتْ ما انْطَوى عليه هذا الغِمْرُ من القَبائِح، وما انْتَشَر منه في هذا العُمْر القَصِير من الفَضائِح.

فإنَّه قد مَشَى على غيْرِ الاسْتِقامَة، حِسّاً ومَعْنىً، وأنشَد قول القائِل في ذلك المَعْنَى: [الكامل]

مَن يَسْتَقِمْ يُحْرَمْ مُناهُ ومَن يَزِغْ ... يُخْتَصُّ بالإسْعافِ والتَّمْكِينِ

انْظُرْ إلى الألِفِ اسْتَقامَ ففَاتَهُ ... عَجْمٌ وفازَ به اعْوِجَاجُ النُّونِ

تَصدَّر للفُتْيا مع أنَّه أجْهَلُ من تُوما الحكيم، وأنْصفه حمار ابنُ حُجَيج فرَكِبَه في اللَّيْلِ البَهيم.

قد فتَح فاهُ بجَهْلِه، وصدَّر فُتْيَاه بقَوْلِه:

الحمد للهِ سُبْحانَه، والشُّكْر له تعالى شَانَه.

ولم يُميِّزْ في السَّجْعَتَيْن بين الفاعِل والمفْعُول، فكأنَّه اشْتَغلَ ببابِ البَدَل مع حبِّه فحصَل له هذا الذُّهول.

لأنَّه رأى كُتب النُّحاة المُهذَّبَة، أنَّ الفاعِلَ على ما أُسْنِدَ إليه فِعْلُه، فظَنَّهُ بهذه المَرْتَبَة.

ولو سُئِلَ لأبْرَزَ من ضَمِيرِه هذا الخاطِر، وحلَف بأبي حَمْزَة أنَّ هذا هو الظَّاهِر.

لا يسْتَوي مُعْرِبٌ فينا وذُو لَحْنٍ ... هل تَسْتَوِي البَغْلَةُ العَرْجَاءُ والفَرَسُ

وطالَما عرَج على دَرَج المِنْبَر، وجعَل أمْرَدَه أمامَه، ولولا التَّقِيَّةُ لجعله إمَامَه.

وما تلفَّتَ على المِنْبَر يميناً وشمالاً، إلا ليقْتَنِصَ ظَبْياً أو يصِيدَ غزَالا.

وإذا ترنَّمَ وأظْهَرَ الخُشوع، واهْتَزَّ لغيرِ طرَبٍ وأجْرَى الدُّمُوع.

Marfat.com
Marfat.com

فلأجْلِ مَليح رآه عند المِحراب، ولم يستطِعْ أن يُشافِهَه بالخِطاب.
أو ليخْدعَ بعضَ الحُضَّار، من الأتْقِياء الأخْيار.
فأنشَدتُه ارْتِجالاً، وأنْفاسِي تتصعَّد، ومُهْجَتي بنارِ الكَمَدِ تَتَوقَّد: [م. الوافر]

أفـاضِـلَ جِـلَّـقٍ أيـنَ الـعـلـومُ ... وأيـن الـدِّيـن مـات فـلا يَـقـوُم
يُـجـاهِـرُكُـمْ خَـطِـيـبُـكـمُ بِـفِـسْـقٍ ... وُيـفْـتِـي فـيـكـمُ تُـومـا الـحـكـيـمُ

وما أُراه ارْتَقَى هذه المكانَة، إلاَّ بالرِّشْوَة والتَّزوير والخِيانَة.
وما كفاه أخْذُه التَّدْرِيس بالتَّدْلِيس، وخوضُه في الفِتَن التي فاق فيها على إبْلِيس.
حتَّى دخل على العُلَماءِ من غير باب، وردَّ أقْوالهم بغير صواب. [الطويل]

تَـراه مُـعِـدّاً لـلْـخـلافِ كـأنَّـهُ ... بـرَدُّ عـلـى أهـل الـصَّـوابِ مـوَكَّـلُ

فيا أيُّها المُجْتَرِي، والغِمْرُ المُفْتَرِي.
أراك قد سوَّل لك زَعْمُك الفاسِد، وصوَّر لك فِكْرُك الكاسِد. أن اللهَ قبَضَ العُلَماءَ ولم يَبْقَ منه أحَد، واتَّخَذَ النَّاسُ رُؤساءَ جُهَّالاً في كلِّ بلد.
فتُضِلَّ النَّاسَ كما ضَلِلْتَ وتَعَدَّيْت، وتُنْفِق بضاعَتك الكاسِدَة بقَوْلِكَ أفْتَيْت. [الكامل]

قُـولُـوا لأغْـرَجَ جـاهـلٍ مُـتَـكَـبِّـرٍ ... قـدْ جـاءَ يَـطْـلُـبُ رِفْـعَـةً وتَـقَـدُّمَـا
دعْ مـا تَـرُومُ فـإنَّ حَـظَّـكَ عِـنْـدَنـا ... تحْتَ الحضيضِ ولو عرجْتَ إلى السَّما

كلاَّ، إنَّ أمْرَك ممَّا يدلّ على جَهْلِك المُرَكَّب،ءوعدمِ فَهْمِك الذي هو من ذاك أعْجَب.
إنَّكَ ترَى دمشْقَ مشْحُونةً بالأفاضِل، الذين ليس لهم في الدَّهْر من مُماثِل.
وهم مَشْغُولون بالعُلوم وتحْرِيرِها، وتنقيح المسائِل وتقْرِيرها.
وأنتَ تُغالِطُ بنَفْسِك، وتُدخِلُها مع غير أبْناءِ جِنْسِك.
وتَترفَّعُ على مَن لا يَرْتَضِيكَ لِتَقْبِيلِ رِجْلِه، ولا يَراكَ أهْلاً لِخِدْمَة نَعْلِه.
دعِ الفَخْرَ فلَسْتَ مِن فُرْسَانِ هذا المَيْدان، ولا أنْتَ ممَّن أحْرَزَ قَصَبَ السَّبْقِ يومَ الرِّهان.
وما لَك شيْخٌ في العُلوم والتَّدْرِيس، سِوى أبي مُرَّة اللَّعِين إبْلِيس.
فما زِلْتَ تسْلُك في مَسالِكِه، وتقعُ في مَهاوِي مَهالِكه.
حتى أنْشدَ لِسانُ حالِك، في قبيح سِيرتِك وخُبْثِ أفْعالِك: [الطويل]

وكنتُ فتىً في جُنْدِ إبْليسَ فارْتَقَى ... بِيَ الحالُ حتى صارَ إبْليسُ من جُنْدِي
فلو عشْتُ يوماً كنتُ أُحْسِنُ بَعْدَهُ ... طَرائِقَ فِسْقٍ ليس يُحْسِنُها بَعْدِي

ولمَّا تبيَّن أمرُك طَرَدَك حضْرةُ المَوْلَى وأقْصَاك، وحَجَبَ سَمْعه تُرَّهاتِكَ وما أدْناك.
فتَضَاعَفَ له الدُّعاءُ مِن سائِرِ الوَرَى، وترادَفَ له الشُّكْرُ مِن أهْلِ المدائِنِ والقُرَى.

Marfat.com
Marfat.com

فالله يمدُّ أطْنابَ دولتِه السَّعِيدَة، ويُدِيمُ صَوْلَتَه الشَّدِيدَة.
بمُحَمَّدٍ وآله، ومَن سَلَك على مِنْوالِه».

٢٠- حفيده السَّيِّد محمد بن علي

هو الحفيدُ السَّيِّد، صاحِبُ القَريض الجَيِّد.
له الطَّلاقَةُ الهادِرَة، والبَداهَةُ الغَريبةُ النَّادِرَة.
أدْرَكْتُه وقد شَاخ، لكنَّ جَمْرَ عَزْمِه ما بَاخ[1].
ورَماه وَهْنُ العَظْم، بِكَلالِ الخَاطِر عن النَّظْم.
إلاَّ أنَّ له في مصادَمةِ الشَّدائِدِ قُوَّةً نَفْسيَّة، هي أحْرَى بأن تُمِدَّها قُوَّةٌ قُدْسِيَّة.
فهو في حِلِّه وتَرْحالِه، وخِضْبِه من الآمالِ وإمْحالِه. لا يَقرُّ له قَرار، ولا يَنْجَلِي له سِرار.
كأنَّ له عزْماً لا يرَى بُدًّا من إمْضائِه، ودَيْناً في ذِمَّةِ الأيَّام لا يَنْثَنِي عن اقْتِضائِه.
ورُبَّما نال في بعْضِ الوَثَبات، ما يُجَدِّدُ العزائمَ والرَّغَبات.
حتى جاء من العُمْرِ على أوْفاه، واقْتَصَّ من مَداه الطَّوِيل واسْتَوفَاه.
وقد أثْبَتُّ من شِعْرِه ما كَسا أعْطَافَه بُروداً مُخْضَرَّةً، وصَيَّرَهُ في الإشْراقِ للشَّمسِ ضَرَّة.

فمن ذلك قوله في قصيدة، مطلعها: [الكامل]

يا نَسْمَةً نَسَمَتْ حَبِيبِي ... وتَمَسَّكَتْ منهُ بِطِيبِ
وغَدَا يُحرِّكُ لُطْفُها ... أغْطَافَ بانَاتِ الكَثِيبِ
تَمْشِي وتَسْحَبُ ذَيْلَها ... قَبْلَ العُيُونِ على القُلوبِ

٢٠- هو السيد محمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي النقيب بن خليل بن عماد بن زهيف بن عثمان بن قيس بن علي الرئيس ابن منصور بن طاهر النقيب بن المحسن بن علي بن الحسين بن حمزة بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسين بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم المرتضي بن موسى الثاني الأصغر ابن إبراهيم المرتضي ابن موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. المعروف بالسيد القدسي وبابن خصيب الدمشقي الشافعي. قرأ بدمشق على الشمس الميداني وغيره، ورحل إلى القاهرة فقرأ بها القرآن للسبع على شيخ القراء الشيخ عبد الرحمن اليمني، ولزم الشهاب العنيمي والبرهان الميموني، وأخذ عنهما فنون الأدب، وأخذ التفسير عن الشهاب أحمد بن عبد الوارث البكري، والحديث عن الحافظ أبي العباس المقرئ وكلهم أجازوه بالإفتاء والتدريس، ثم قدم إلى دمشق فدرس بها مدة وانتفع به جماعة، ثم رحل إلى الروم وسلك طريق علمائهم، فلازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا، وكان لزمه مدة مستطيلة حتى نال منه ذلك.
كانت ولادته في سنة اثنتين وثمانين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير بالقرب من بلال الحبشي رضي الله عنه. خلاصة الأثر (٤/ ٦٠)..

(١) باخ: سكن وفتر. انظر لسان العرب، مادة (بوخ).

Marfat.com
Marfat.com

إن جُـــزْتِ وادِي جَـــلَّـــقٍ ... وحَـلَـلْـتِ بـالـرَّوْضِ الـرَّحِـيـبِ
ونَـظَـرْتِ أقْـمـارَ الـحِـمَـى ... ومَـرَرْتِ بـالـظَّـبْـيِ الـرَّبِـيـبِ
ورأيْـتِ مـن لَـفَـتـاتِـهِ ... مـا مِـنْـهُ أشْـجَـانُ الـكَـئِـيـبِ
وصَـدَفْـتِ مُـتْـلِـفَ مُـهْـجَـتِـي ... يَـزْوَرُّ بـالـلَّـحْـظِ الـغَـضُـوبِ
يَـرْمِـي سِـهـامَ لِـحـاظِـهِ ... فَـتَـرَى الـنُّـدوبَ عـلـى الـنُّـدُوبِ
يـرْنُـو فـلا يُـخْـطِـي الـحَـشَـا ... وَيْـلاهُ مـن سَـهْـم مُـصِـيـبِ
أوْ جُـزْتِ أرْضَ الـنَّـيْـرَبَـيْـ ... ـنِ مـعَ الـصَّـبـاحِ أو الـمَـغِـيـبِ
ودَخَـلْـتِ جـامِـعَـهـا الـشَّـرِيـ ... ـفَ مُـقـامَ أرْبـابِ الـقُـلـوبِ
ورأيْـتِ بـالـشَّـرَفَـيْـنِ مـا ... يَـدْعُـو الـمُـحِـبَّ إلـى الـحَـبِـيـبِ
وسَـمِـعْـتِ بُـلْـبُـلَـهـا يُـنَـادِ ... يـنَـا بِـحَـيَّ عـلـى الـطُّـرُوبِ
ونَـظَـرْتِ وَرْقَـاهـا تَـجُـسُّ ... الـعـودَ بـالـكَـفِّ الـخَـضِـيـبِ
أو ضُـغْـتِ بـالـمَـرْجِ الـنَّـضـ ... ـيرِ قِـفِـي الـقَـلِـيـلَ وعَـرِّضِـي بِـي
واقْـرِي الـتَّـحِـيَّـةَ أهْـلَـهُ ... عَـنِّـي وبـالـتَّـذْكَـارِ نُـوبِـي
واسْـتَـنْـطِـقِـي بـالـدُّفِّ ثُـمَّ ... الـجُـنْـكِ أنْـواعَ الـضُّـرُوبِ
ثُـمَّ الْـثُـمِـي الـخَـلْـخَـالَ فـي ... شَـوْقِ الـغُـصُـونِ مـعَ الـكُـعُـوبِ
فَـسَـقَـى دِمَـشْـقَ ومـا حَـوَتْ ... مِـنْ أنْـهُـرٍ مِـثْـلَ الـضَّـرِيـبِ
فـلِـبَـانِـيَـاسَ ورَقْـمِـهِ ... نَـقْـشٌ عـلـى كَـفٍّ رطِـيـبِ
وبِـبَـرْدِه بَـرَدَى يُـزِيـ ... ـلُ لُـجَـيْـنُـه صَـدأَ الـقُـلـوبِ
قَـنـواتُـهـا بِـرَحِـيـقِـهـا الـ ... ـمَـخْـتُـومِ فِـضِّـيُ الـصَّـبِـيـبِ
ويـخُـور ثَـوْرَاهـا فَـيَـزْ ... وِي الـحزْنَ مـنْ تِـلْـكَ الـشُّـعُـوبِ
كـم وَجْـنَـةٍ مِـن عَـقْـرَبـا ... فـيـهَـا بـدَا أخـفَـى دَبِـيـبِ
ويـزيـدُ دَمْـعِـي إن ذَكَـرْ ... تُ يَـزيـدَ سَـحًّـا بـالـنُّـقُـوبِ
مـا جِـئْـتِ داعِـيَـةَ الـهَـوَى ... إلاَّ ودَارَانِـي رَقِـيـبِـي
وإذا ذَكَـرْتِ مـقـاسِـمَ الـلَّـ ... ـذَّاتِ لا تَـنْـسَـنَ نَـصِـيـبِـي
يـا نـفْـسُ مـا لِـي إنْ ذَكَـرْ ... تُ سِـوَى دِمَـشْـقٍ لا تُـجِـيـبِـي
أصْـفَـتْـكِ خـالِـصَ وُدِّهَـا ... وحَـمَـتْـكِ مِـن مَـسِّ الـلُّـغُـوبِ

ومن مقاطيعه قوله: [الطويل]

جَذَبْتُ بمغْناطِيسِ لَحْظَيَّ خَالَهُ ... فصَارَ لِجَفْنِي ناظِراً وعِلاَجَا
ومُذْ خِفْتُ مِن عَيْنِ المُراقِبِ أنْبَتَتْ ... دُمُوعُ زَفِيرِي لِلْجُفُونِ سِياجَا

Marfat.com
Marfat.com

وله من قصيدة، أولها: [الطويل]

أما آنَ أنْ تُقْضَى لقَلْبِي وُعودُهُ ... ويُورِقَ من غُصْنِ الأَحِبَّةِ عُودُهُ
فقد شَفَّهُ داءٌ مِن الصَّدِّ مُتْلِفٌ ... وليس له غيْرُ الضَّنَى مَن يَعُودُهُ
وما حالُ مُشْتاقٍ تناءَتْ ديارُهُ ... وأحْبَابُه مُضْنَى الفُؤادِ عَمِيدُهُ
يُرَاقِبُ مِن دَوْرِ النَّسِيْمِ إرَادَةً ... فإنْ جاءَهُ يُذْكِي الجَوَى ويَزيدُهُ
حكى النَّجْمَ بين السُّحْبِ يَبْدُو ويَخْتَفِي ... إذا سالَ أجْفَاناً وثار وَقُودُهُ
ولَوْ كانَ يَسْعَى للزَّمانِ مُمَكَّناً ... لَسَارَ ولكنْ أثْقَلَتْهُ قُيُودُهُ

ومن أخرى: [الطويل]

سَلُوا الجُؤذُرَ الفَتَّاكَ بالمُقْلَةِ المَرْضَى ... أبا للَّحظِ أمْ بالقَدِّ أحْرَمَنِي الغَمْضَا
فإنْ كان غَيْرِي حُبُّه شَابَه سِوَى ... فإنِّي امْرُؤٌ حُبِّي لَهُ لم يَزَلْ مَحْضَا
أرَى حُبَّ غَيْرِي سُنَّةً ومَحَبَّتِي ... يقِيناً على هِجْرانِهِ لم تَزَلْ فَرْضَا
لقد طالَ بي لَيْلُ الصَّبابَةِ والمُنَى ... فهَل لِيَ من وَصْلٍ به مُهْجَتِي تَرْضَى
وبِي ساخِطٌ أمَّا هَواهُ فمَالِكٌ ... من المُهْجَةِ المقْرُوحَةِ الكُلَّ والبَعْضَا

وله من أخرى، مُسْتَهَلُّها: [المتقارب]

سِواكَ بِقَلْبِيَ لَمْ يَخْلُلِ ... وغَيْرُ مَدِيحِكَ لَمْ يَخْلُ لِي
وغَيْرُكَ عند انْعِقادِ الأمُورِ ... إذا اشْتَدَّتِ الحالُ لَمْ يَخْلُلِ
قَصَدْتُكَ سَعْياً على ضامِرٍ ... حَكانِي نُحُولاً ولَمْ يَنْحُلِ
يَكادُ يُسَابِقُ بَرْقَ السَّما ... ولَوْلاَ وجُودُك لَمْ يَعْجَلِ
وجَرَّدْتُ مِن خاطِرِي صاحِباً ... لِشَكْوَى الزَّمانِ وما تَمَّ لِي
أُعاطِيهِ كأْسَ الهَوَى مُتْرَعاً ... شَكَاةً فألْقَاهُ لم يَمْلَ لِي
وصَحْبٍ بِجِلَّقَ خَلَّفْتُهُمْ ... سِواهُمْ بِقَلْبِيَ لم يَنْزِلِ
وخُضْتُ بِدَمْعِيَ مُذْ فَارَقُوا ... وبالصَّدِّ مَنْزِلُ قلبي بَلِي
فَقُلْتُ لِجَارِي عُيونِي قِفَا ... لِذِكْرَى حبِيبٍ مع المَنْزِلِ
وفَتَّانَةٍ سِمْتُها وُصْلَةً ... فأضْمَتْ بناظِرِها مُقْلَتِي
بِقَدٍّ تُرَنِّحُهُ ذابِلاً ... وخَدٍّ به الوَرْدُ لم يَذْبُلِ
مَهاةٌ مِن الحُورِ في ثَغْرِهَا ... رَحِيقٌ من الرَّائِقِ السَّلْسَلِ
لِخَتْمِ الجمالِ به شَامَةٌ ... تَهِيجُ البَلابِلَ كالبُلْبُلِ
تحرَّشَ طَرْفِي بالْحاظِها ... وكان عن العِشْقِ في مَعْزِلِ
فآبَتْ بِمُهْجَتِه لِلْحِمَى ... أسِيرَ ظُبا طَرْفِها الأكْحَلِ

Marfat.com
Marfat.com

وقَـدَّتْ شِـرَاكَ دُجَـى شَـعْـرِهَـا فـصَـادَتْ لـطـائِـرِ دَمْـعِـي وَلِـي

وله من أخرى، أولها: [الكامل]

مَـن سَـامِـعٌ لِـشِـكَـايَـةِ الـمَـظْـلُـومِ مِـن يَـوْمِ أَضْـمَـثْـهُ ظِـبَـاءُ الـرُّومِ
هـذا بـلَـفْـتَـتِـه وذا بِـعـيُـونِـه يَـزنُـو وذَاكَ بـخَـصْـرِه الـمَـهْـضُـومِ
مِن حِينَ صَارَمَنِي بِصارِمِ لَحْظِهِ ورَعى فُـؤادِي مِـثْـلَ ظَـبْـيِ صَـرِيـمِ
أُنْـسِـيـتُ أَهْـوائِـي وعِـفْـتُ لَـذائِـذِي وبِـه غَـرامِـي كـانَ صَـاحِ غَـرِيـمِـي

منها:

لـولاَ حَـلاواتُ الـوُعـودِ وصِـدْقُـهـا مـا سَـرَّ مُـوسَـى مَـوْعِـدُ الـتَّـكْـلِـيـمِ
والـشُّـهْـبُ لا يأتِي الكمالُ لِبَدْرِها إلاَّ بُـعَـيْـدَ الـنَّـقْـصِ لِـلـتَّـتْـمِـيـمِ
والـسُّـمْـرُ لا تُـخْـطِي إذا مـا ثُـقِّـفَـتْ بِـيَـدَيْ خَـبِـيـرٍ بـالـصِّـعـادِ عَـلِـيـمِ
والـمَـرْءُ لا عـارٌ عـلـيـه إذا تَـحَـا رَبَـتْ الـجُـدودُ وخُـطَّـةُ الـتَّـعْـظِـيـمِ

٢١- محمد الجوخي

نبيه نبيل، ما إلى اسْتِيفاء صِفاتِه سبِيل.
له الحيَا المُنْهَلّ، والْمُحيَّا المُسْتَهِلّ.
والبَشْرَةُ النَّيِّرَة، والأفعال الخَيِّرَة.
وهو مع انتعاشه، وسَلامةِ أسباب معاشِه.
بعيدُ الهَمِّ في توْفِير الهِمَّة، مُسْتَعْمِلٌ للأهَمْ في الأمُورِ المُهِمَّة.
مَدُّه بلا جَزْر، وفضْلُه غيرُ نَزْر.
لم يُؤْتَ جَمْعُه مِن قِلَّة، إلاَّ أنَّ شِعْرَه قُلَّة.
فمنه قوله، وكتب به في صدر رسالة لبعض أحْبابه: [الطويل]

وما شَوقُ ظَـمْـآنِ الـفُـؤادِ رمَـتْ بِـهِ صُـرُوفُ الـلَّـيـالِـي فـي مُـلَـمَّـعَـةٍ قَـفْـرِ
شكى مِن لَظَى نارَيْنِ ضُمَّتْ عَلَيْهِمَا أضَـالِـعُـهُ نـارَ الـهَـجِـيـرِ مـع الـهـجْـرِ

٢١- هو محمد بن محمد شمس الدين بن الجوخي، الشافعي، الفاضل، الذكي، المشهور، كان جيد المشاركة محسنها في كثير من العلوم كالفقه والنحو والمعاني وغيرها، وآباؤه من رؤساء التجار المياسير بدمشق، ولما مات أبوه ترك له ولأخيه محيي الدين أموالاً كثيرة، فكانا يتعاونا في تنميتها، وكان منزوياً عن الناس مقتصراً على نفع نفسه. لزم أبا الفداء إسماعيل النابلسي والشهاب العيثاوي في الفقه، وأخذ العربية والمعاني عن النابلسي المذكور، والعماد الحنفي والشمس بن المنقار، وأخذ التفسير عن القاضي محب الدين، وتزوج بنت الشيخ العماد بعد وفاة بعلها وسافر إلى مصر فأخذ عن شيوخها وملك كتباً كثيرة، وكان رفيقاً للقاضي بدر الدين حسن الموصلي في الاشتغال وبينهما صداقة كلية.
وكانت وفاته في شعبان سنة اثنتين وعشرين وألف ودفن بمقبرة باب الصغير. ا.هـ خلاصة الأثر (٤/ ١٦٥).

Marfat.com
Marfat.com

يُرَوِّي غَليلَ الأرْضِ من فَيْضِ دَمْعِهِ ... ولَيس له جُهْدٌ إلى غُلَلِ الصَّدْرِ
إلى عارِضٍ من مُزْنةٍ عَطَفتْ بِهِ ... نَسِيمُ صَبَا الأحْبابِ من حَيْثُ لا يَدْرِي
بأبْرَحَ مِن شوقِي لرؤيَتِكَ التي ... أعُدُّ لَعَمْرِي أنها لَذَّةُ العُمْرِ

٢٢- ولده ابو اللُّطْف

ماجِد تكَوَّن عُنْصره من مَعْدِنِ اللُّطف، وغازَلَتْ عيونُ أَشْعارِه الجفونَ الوُطف رَبَا مَقْضِيَّ الأرَب، مُعانِق الحُظْوَة والطَّرب.
تزْهُو به أَرْبُعٌ وأدْواح، وتُنْثَرُ على مُرادِه أنفُسٌ وأرْوَاح.
إلاَّ أنَّه اخْتُضِر وهو صغيرُ السِّنِّ فَتِيُّه، واهْتُصِرَ وهو رَطْبُ الغُصْنِ طَرِيُّهُ.
وله شِعْرٌ من ماءِ الشَّبابِ مُرتَوِي، إلاَّ أنَّه كبَاكُورَةِ[1] الثِّمارِ، منْها فَجٌّ، ومنها مُستَوِي.

فمنه قوله: [الطويل]

بِعَيْشِكُمُ أهْلَ الصَّبابة والصِّبا ... أقلْباً رأيْتُمْ مثلَ قلْبِي مُعَذَّبَا
فلمْ أرَ لِي في مِحْنَةِ الحُبِّ مُنْجِداً ... ولم أسْتَطِعْ من فَيْضِ دَمْعِي تَحَجُّبَا
وقد صِرْتُ من حَرِّ الفِراقِ بحيثُ لَوْ ... يُشاهِدُ حالِي كلُّ واشٍ تعجَّبَا
فيَا لَيْتَ من أهْواهُ في اللَّيْلِ زائِرِي ... فمِثْلِي مُعَنّىً صار في حُبِّه هَبَا
سألْتُ الَّذي قد قدَّرَ البُعْدَ بيْنَنَا ... سَيَجْمَعُنَا يوماً يكونُ له نَبَا

وقوله:

قلبٌ تقلَّبَ في قَلِيبِ مَحَبَّةٍ ... حتى القَرارِ ولم يَقَرَّ وَجِيبُهُ
مُتَرَدِّدٌ بين المنيَّةِ والمُنَى ... مُتَوددد خِلاً حَلا تعْذِيبُهُ
لم يَبْرَ من حُبٍّ بَرَى أعضَاءَهُ ... إذ عَمَّ غَمٌّ هو الصَّبا وصَبِيبُهُ
حاكَى مَعِينُ العينِ عَيْناً إذْ جَرَى ... وعَقِيبَ ذا وادِي العَقِيق يُجِيبُهُ
بلْ رَامَ أن لو رِيمُ رَامةَ زَارَهُ ... ضَيْفاً يزُورُ الطَّيْفَ يُطْفَ لَهِيبُهُ
وأصَابَ لمَّا أنْ صَبا الأوْصَابِ صُبَّ ... تْ فوْقَه ورَمى أصَاب مُصِيبُهُ
أنْفاسُه نِبْراسُهُ في لَيْلِهِ ... أو هلْ هَجَرْ ما علاه مَشِيبُهُ
قدْ شابَ فَوْدَاهُ وشَبَّ فُؤادُهُ ... مُذْ طَال حِين شبَابِه تَشْبِيبُهُ
مِن بعْدِ بُعْدٍ يصْطَلِي في نارِهِ ... لم يَسْلُ أصْلاً لو سَلاهُ حَبِيبُهُ

٢٢- ذكره المحبي أثناء ترجمته لأبيه فقال: «وكان نبغ له اسمه أبو اللطف، وكان نبل وفضل وله أدب وشعر، وبينه وبين الأمير المنجكي مراجعة» وقال: «وإنما لم أفرد له ترجمة لأنه لم أقف على تاريخ وفاته»، وأحسب أنه تجاوز عشر الثلاثين. خلاصة الأثر (٤/ ١٦٦).
(١) الباكورة من النخل: التي تدرك في أول النخل، انظر لسان العرب، مادة /بكر/.

Marfat.com
Marfat.com

وكتب إليه محمد الحادِي الصَّيْدَاوِيّ يطلب منه شَدّاً[1]: [الخفيف]

يـا أبـا الـلُّـطْـفِ إنَّ لُـطْـفَـكُـمْ ... لـيـس يُـحْـصَـى بـكَـثْـرَةِ الـعَـدَّ
شُـدَّ وَسْـطِـي بـمـا تَـرَى كَـرَمـاً ... ولا تُـمـاطِـلْ فـكَـثْـرَةُ الـشَّـدّ

فسيَّر له ما طلب، وكتب معه: [المنسرح]

مَـقْـصِـدُ ذا الـعَـبْـدِ مـن تَـفَـضُّـلِـكُـمْ ... مـن غَـيْـرِ مَـنٍّ قَـبـولُ ذَا الـشَّـدّ
قـد سُـدْتَ فَـضْـلاً وشِـدْتَ كـلَّ عُـلاً ... وقـدْ شَـدَدْتَ الـقُـلـوبَ بـالـوُدّ

٢٣- تاج الدين بن أحمد المَحَاسِنِيّ

هو لِمَفْرِق الرِّياسةِ تاج، ولِرايَة السَّماحَةِ نِتَاج.

رَحلَ مِرَاراً إلى القاهرة مُهاجِراً، واعْتَمدَها في طلب العلْم تاجِراً.

ليجتهد في جَمْعِه وكسْبِه اجْتِهاد مُغْتَرِب، ويملأ من بضَائِعِه ونفَائِسِه وِعاءً غَيْرَ سَرِب.

فما رجِع حتى خَوَّله اللهُ كمالَ محاسنه ومحاسِنَ كماله، وأمدَّ جمال رَوْنَقِه رَوْنَقَ جَمالِه.

فأقام وله الذِّكْرُ المُسْتَطاب، والثَّناءُ الذي ملأَ الوِطاب.

وهو في الأدب وأنْواعِه، جامعٌ لإبْداعِه وإيداعِه.

وله كَلِماتٌ تُنْشِئُ الزَّخارِف، وتَتَعلَّمُ منها النَّقْدَ الصَّيْارِف.

وقد أورَدْتُ من شِعْرِه، ما يُغَالَى فيْ سِعْرِه.

فمنه ما كتبَه في صدر رسالَةٍ من مصر إلى ابْنه محمد: [الكامل]

أبـداً إلَـيْـكَ تَـشَـوُّقِـي يَـتَـزايَـدُ ... ولَـدَيْـكَ مـن صِـدْقِ الـمحبَّةِ شَـاهِـدُ
وأَلِـيَّـةً إنَّ الـبِـعـادَ لـمـتـلِـفِـي ... إنْ دامَ مـا يُـبـدي الـنَّـوَى وأُكـابِـدُ
كَـم ذَا أُعـلِّـلُ حَـرَّ قَـلْـبِـي بـالـمُـنَـى ... فـيُـعـيـدُه مِـن طُـولِ نَـأْيـكَ عـائِـدُ

---

(١) انظر خلاصة الأثر (٤/ ١٣).

٢٣- هو تاج بن أحمد المعروف بابن محاسن الدمشقي المولد والدار، الأديب الألمعي، كان أحد أعيان التجار المياسير، وكان مع ثروته لا ينفك عن المذاكرة، وقرأ في مبدأ أمره كثيراً وحصل ورحل إلى مصر والحجاز للتجارة، وكان له وجاهة تامة بين أبناء نوعه.
وكانت ولادته في سنة تسعين وتسعمائة وتوفي في شعبان ستين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير.
وقال المحبي: «ووجدت في بعض المجاميع أن نسبة بني محاسن في الأصل لبني فرعون، وكتب صاحب ذلك المجموع: ومما يرشد إلى ما قلنا أنه لما تزوج تاج الدين ابنة الحسن البوريني، أنشد أبو المعالي درويش محمد الطالوي لنفسه في ذلك قوله:

بـارك الـلـه لـلـحـسـن ... ولـبـوريـن بـالـخـتـن
يـا ابـن فـرعـون قـد ظـفـرت ... ولـكـن بـبـنـت مـن»

ا.هـ خلاصة الأثر (١/ ٤٥٦).

Marfat.com
Marfat.com

جارَ الزَّمانُ عليَّ في أحكامِهِ ولَطالَما شَكَتِ الزَّمانَ أساوِدُ

فيه نقْد، إذ الأساوِد جمع أسْود، وهو العظيمُ من الحيَّات، وليست من عِظَم القدر بمثابة أن يُلْتَفَت إلى شكايتها من الزَّمان، وكأنه ظَنَّ أنَّ الأساوِد جمعُ أسَد، وليس كذلك. [الكامل]

والدَّهْرُ حاوَلَ أن يُصَدِّعَ شَمْلَنا فامْتَدَّ منهُ للتَّفَرُّقِ ساعِدُ
يا لَيْتَ شِعْري هل يَرقُّ وطَالَما ألْفَيْتُه لأُلِي الكَمالِ يُعانِدُ
أشْكُوكَ لِلْمَولَى الذي ألْطافُهُ تُزْرِي الخُطوبَ إذا أتَتْ وتُساعِدُ

وله: [الخفيف]

يا أحِبَّايَ والمُحِبُّ ذَكُورٌ هلْ لأيَّامِ وَصْلِنا من رُجُوعِ
وترَى العَيْنُ منكمُ جَمْعَ شَمْلٍ مِثْلَما كانَ حَالَةَ التَّوْدِيعِ

وأهدى إلى بعض العلماء سَجَّادة، وكتب معها: [السريع]

مَوْلاَيَ قد أهْدَيْتُ سَجَّادَةً هَدِيةٌ مِنْ بَعْضِ إنْعامِكُمْ
فَلْتَقْبَلُوها إذْ مُرادِي بأنْ تَنُوبَ في تَقْبِيلِ أقْدامِكُمْ

مثلُه للشهاب، وقد أهْدَى مِنْديلاً: [الوافر]

بعثْتُ إليك يا أقْصَى الأمَانِي بِمِنْدِيل فإنْ يُقْبَلْ لَدَيْكَا
فليس بضَاعةً تُهْدَى ولكنْ بعثْتُ بِه يُقَبِّلُ لي يَدَيْكَا

ولابن نُباتة، وقد أهْدَى سَجَّادة: [الخفيف]

إنَّ سَجَّادَتِي الحقيقة قَدْراً لم يَفُتْها في بَابِكَ التَّعْظِيمُ
شَرُفَتْ إذْ سَعَتْ إليكَ وأمْسَتْ وعليْها الصَّلاةُ والتَّسْلِيمُ

وقال بمصر، يتشَوَّق إلى دمشق: [الخفيف]

منذُ فَارَقْتُ جِلْقاً ورُباها لم يَزُرْ مُقْلَتِي لَذِيذُ كَرَاها
وبسكانِها الأحِبَّةِ عِنْدِي فَرْطُ شوقٍ يَكادُ لا يَتَنَاهَى
فَسَقَى اللهُ رَبْعَها كُلَّ غَيْثٍ وحَمَى اللهُ أهْلَهَا وحَماهَا

ولهذا الرئيس أبناء كأسنان المُشْط في التَّساوِي، إذا عُدَّت محاسِنُ غيرهم فهي بالنِّسْبَة إليهم مَساوئ.

ذكَرْتُ منهم كَوْكَبَيْن لاحَا في سمائِه، وبلَّغهم اللهُ شُهْرة الكمالِ، مُعَوَّذَيْنَ بأسمائِه:

Marfat.com
Marfat.com

٢٤- ولده عبد الرَّحِيم

هو من أولاده الكبيرُ، الفائِحُ ثَناهُ بالعَنْبَر والعبِير.
نشأَ في حِجْرِه، وشَذَا بين سَحَر القَوْلِ وفَجْرِه.
فهو شَابٌّ تدَفَّقَ شُؤْبُوبُ بَراعَتِه، وتَفَتَّقَ عن زَهْرِ الرَّبِيْعِ رَوْضُ يَراعَتِه.
فأمْطَر وما اسْتَبْرَق، وأثْمَرَ وما اسْتَوْرَق.
فلِلَّهِ، ما أتَمَّ شَمائِلَه، وأنَمَّ بأنْوارِ المحاسِنِ خَمائِلَه.
بِحَظٍّ من الكَمالِ وافِر، ووَجْهٍ من الجمالِ سافِر.
إلى هِمَّةٍ أَنارَتْ مَطْلَعَه، وضَمَّتْ على الشَّغَفِ بالأدَبِ أضْلُعَه.
لكنَّه لم يَلْمَحْه النَّاظِر، حتى قُصِفَ قَصْفَةَ الغُصْنِ النَّاضِر.
وقد رأيتُ له شِعْراً سُطِّر في صُحُفِ الإحْسانِ وَثَبت، وبلَغني أنه أطْلَعَه ونَبت، ووجْهُه قد هَمَّ أن يَنْبُتَ أو نَبَت.
فأثْبَتُّ منه ما تَسْتَحْسِنُهُ اسْتِحْسَان خَطِّ العِذار، وتَسْتَطِيبُه اسْتِطابَةَ مُناجَاةِ مُحِبَّيْن بعَتْبٍ واعْتِذَار.
فمنه قوله في الغزَل: [الرمل]

مَلَّتِ العُذَّالُ عن عَذلِي وما ... مَلَّ جَفْناكِ من الفَتْكِ بِقَلْبِي
لو رآكِ النَّاسُ بالعَيْنِ التي ... أنا راءِيكِ بها ما ازْدادَ كَرْبِي
واسْتراحَ القَلْبُ من عَذْلِهِمُ ... إنَّ طُولَ العَذْلِ دَاءٌ لِلْمُحِبِّ
بَلْ ولَوْ كان بِهِمْ مثلُ الذي ... بفُؤادِي لم يَمُتْ شَخْصٌ بِنَحْبِ

ويُسْتَحْسَنُ له قوله: [الطويل]

تطَاوَلَتِ الخَمْرُ اخْتِبَاراً لِعَقْلِنَا ... فقالَتْ لنا إنِّي كَجَفْنَيْهِ أُسْكِرُ
فبادَرَهَا الإنْكارُ منَّا لِقَوْلِها ... عَلَى أنَّنَا والله بالحقِّ نُنْكِرُ
فَرَقَّتَ لنَعْفُو واسْتَحَتْ فلأجْلِ ذَا ... نَرَى وَجْهها يبْدُو لنَا وهْوَ أحْمَرُ

على ذكر استحياء الخمر، تذكرت لَطِيفة، وهي: أن بعض الظُّرفاء كان يشرب

٢٤- هو عبد الرحيم بن تاج الدين بن أحمد بن محاسن الدمشقي الحنفي. ولد بدمشق ونشأ بها، ودأب في التحصيل حتى تفوق في عنفوان عمره، وكان فاضلاً، أديباً، ذكياً، قوي الحافظة، يحتوي على فنون. ورحل به أبوه إلى القاهرة فأخذ بها الفقه عن الشيخ عبد القادر الطوري مفتي الحنفية، والشيخ محمد المحبي الحنفي. وكان يحفظ كتب عدة من جملتها «تاريخ ابن خلكان» وامتحن فيه مرات فظهر أنه متقن حفظه. وكان يكتب الخط الحسن، ويرمي بالسهام رمياً جيداً، ويعوم، وله معرفة باللغة الفرنسية، وبلغ ما بلغ من هذه الغايات وسنه لم يبلغ العشرين. وكانت ولادته في سنة عشر بعد الألف، وتوفي بالقاهرة مطعوناً في سنة سبع وعشرين وألف. ا.هـ . خلاصة الأثر (٢/ ٤٠٧)

Marfat.com
Marfat.com

الخمر سِرّاً، وكان والدُه يمنعُه، وما زال أبوه يترصَّدهُ إلى أن لَقيَه يوماً، ومعه زُجاجة خمر، فقال: ما هذا؟

قال: لبَن.

قال: اللَّبنُ أبيض، وهذا أحمر!

قال: صدقْتَ، لمَّا رآكَ خَجِل واحْمرّ، وقَبَّح اللهُ مَن لا يَسْتَحِي.

فخجل، وانصرف، وخلاَّه.

وقوله: [الطويل]

أَسِيرُ وقَلْبِي عندكُمْ لستُ عالِماً ... بما فيه هاتِيكَ اللَّواحِظُ تَصْنَعُ
وما زِلْتُ مُشْتاقاً لِطَيْفِ خَيالِكُمْ ... وإنِّي من الدُّنيا بذلكَ أقْنَعُ

وقوله: [الكامل]

قال العَذُولُ دَعِ الذي في حُبِّهِ ... عَيْنَاكَ قد سَمحتْ بدمْعٍ هامِعِ
فأجَبْتُه إن كنتَ لستَ بناظِرٍ ... هذا الغزالَ فلستُ منك بِسامِعِ

وقوله: [الخفيف]

لي فؤادٌ على المودَّةِ بَاقِ ... لم يَزِغْ عن تَذَكُّرِ المِيثاقِ
غيرَ أن البِعادَ جارَ عليْه ... فَبَراهُ ولم يَدَعْ منه بَاقِي
وجُفُونٌ جفَتْ لَذِيذ كَراهَا ... واسْتَفاضَتْ بمَدْمَعٍ غَيْداقِ[1]
كلما طال عهدُها طال منْها ... مَدْمَعٌ يرْتَقي وليس براقِ
إنَّ دُرّاً أودَعْتُمُوهُ بأُذْني ... دَرَّ مُذْ بِنْتُمُ مِن الآماقِ

وهذا معنىً مشهور.

وله: [الكامل]

يا مَن نَأَى مُتَجبِّراً يا جَانِي ... صَيَّرْتَنِي مُتحيِّراً في شَانِي
هَلاَّ وقدْ أبْعَدْتَنِي وقَلَيْتَنِي ... أرسَلْتَ طَيْفَكَ في الكَرَى يَلْقَانِي
أمْطَرْتَ منِّي عَبْرَةً هِيَ عِبْرَةٌ ... فَضَحَتْ هَوَى مُتَسَتِّراً بِجَنَانِي

هذه الأبْيات فيها التَّوشِيح.

قال ابن الأثير في «المثل السائر»: «وهو أن يَبْنِيَ الشاعرُ أبياته على بَحرَيْن مُختلِفَيْن، فإذا وقف من البيت على القافية الأُولى كان شعراً مستقيماً، من بحر آخر، على عروض، وصار ما يُضاف إلى القافية الأولى للبَيْتِ كالوِشاح.

وكذلكَ يجْرِي الأمرُ في الفَقْرَتيْن من الكلام المَنْثُور، فإن كلَّ فقْرَة منها تُصاغ من سَجْعَتَيْن، وهذا لا يكاد يُسْتَعمَل إلاَّ قليلاً، وليس من الحُسْنِ في شيء، واستعمالُه في الشعر أحسنُ منه في الكلام المنثور» انتهى.

---

(١) ماء غيداق: غزير. انظر لسان العرب، مادة / غدق/.

Marfat.com
Marfat.com

وتسميته له بالتوشيح مخالِف لِما عليه أصحابُ البديعِيّاتِ؛ فإنّهم يُسمُّونه التّشريع، إلا ابن أبي الإصْبَع؛ فإنّه سَمّاه الالْتِزام، وأراد بذلك مُطابَقَةَ التّوْرِيَة للمُسَمّى.
والاصْطِلاح لا مُشاحّة فيه.

٢٥- ولده محمد الخطيب

لَوْذَعِيٌّ[1] فضائلُه لا تَتَناهَى، وبمحاسِنِه تتجمَّل الأوقاتُ وتَتَبَاهَى.
إذا قام على مِنْبَر المسجد الجامِع، تمنَّت الجوارِحُ أن تكون كلُّها مَسَامِع.
وهو لكلِّ عَيْنٍ تراه حبِيْب، ولسانُ الدَّهْرِ بمحاسِنِه خطِيْب.
تُنْشَر في كلِّ وَادٍ مدائحُه، كما تُشْكَر فِي كلِّ نادٍ منَائِحُه.

وتَـهْـتَـزُّ أعـوادُ الـمـنـابـر بـاسْـمِـه فـهـل ذكَـرتْ أيّـامَـهـا وهْـيَ أغْـصَـانُ

فضائلُ الدُّنْيا في ذَاتِهِ محْصُورَة، وأسْبابُ العَلْيَا على جَنابِه مقصُورَة.
وله آثارُ أقْلامٍ كأنّها في محَارِيب رَقِّه المنْشور، قَنَادِيلُ لَيْلٍ قُيِّدَتْ بسَلاسِلِ السُّطُور.
أدْرَكْتُهُ وسُوَرُ مَحاسِنَه تُتْلَى، وصُوَرُ فضائِله في مَرَايَا المحامِد تُجْلَى.
ثم أدْرَكَهُ الأجَل، فوُضِعَ على الأعْواد، ووُدِّع من القلْبِ بالسُّوَيْداء ومنه الناظِرُ بالسَّواد.
فاسْتوْحَشَ الجَامِعُ لِبُعْدِه، وتبَدَّلَتْ مَعالِمه مِن بَعْدِه.
حتى اشْتَعلَتْ مصَابِيحُه بنارِ مُصَابِه، وتقَوَّسَ لفُرْقَةِ ذاك الصَّدْرِ ظَهْرُ مِحرابِه.
وقد ذكرتُ من شِعْرِه ما يَنْفَحُ عن زَهر معَانِيه، ويَنْبَعِثُ في حُسْنِ الأسلُوبِ عن غَرَضِ معانيه.
فمن ذلك قوله من نَبوِيَّةٍ مطلُعها: [الطويل]

تَـذَكَّـرَ مِـن أسْـمـاءَ رَبْـعـاً ومَـعْـهـدَا فَـعَـنَّ لـه وَجْـدٌ أقـامَ وأقْـعَـدَا

٢٥- هو محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسني، الدمشقي، الحنفي، الخطيب بجامع دمشق. كان فاضلاً، كاملاً، أديباً، لبيباً، لطيف الشكل، جامعاً لمحاسن الأخلاق، حسن الصوت. نشأ في نعمة وافرة وكان أبوه ذا ثروة عظيمة فكان يصله بكل ما يحتاج إليه من مال ومتاع، وقرأ على علماء عصره ومنهم الشرف الدمشقي والشيخ عبد اللطيف الجالقي، والعمادي المفتي، والجمال الفتحي إمام السلطان، وأخذ عن الشيخ عمر القاري والنجم الغزي وأبي العباس المقري. وسافر إلى الروم صحبة والده وأخذ عن علمائها منهم الشمس محمد المحبي، ثم رجع أعطى بقعة تدريس بالجامع الأموي عن شيخه الشرف لما مات، وولي خطابة جامع السلطان سليم بصالحية دمشق، ثم صار إماماً بجامع بني أمية، ودرس بالمدرسة الجوهرية، وكان يدرس في الجامع في غالب الأيام والليالي. وأقرأ صحيح مسلم وكتب عليه بعض تعاليق.
وكانت ولادته في سنة اثنتي عشرة وألف، وتوفي في شعبان سنة اثنتين وسبعين وألف، ودفن بمقبرة الفراديس بالقرب من جده لأمه الحسن البوريني. ا.هـ . خلاصة الأثر (٣/٤٠٨).

(١) اللوذعي: الحديد الفؤاد واللسان، الظريف، كأنه يلذع من ذكائه. لسان العرب، مادة: /لذع/ .

Marfat.com
Marfat.com

وأطْلَقَ مِن عَيْنَيْهِ سُحْبَ مَدامِعٍ ... حَكَتْ فَوْقَ خَدَّيْهِ الجمانَ المُنَضَّدَا
بعيدٌ عن الأحْبابِ دانٍ بقلْبِهِ ... يَهِيْمُ إذا ما سَاجعُ الدَّوْحِ غرَّدَا[1]
متَى وعَدَتْ آمالُه الوَصْلَ مَرَّةً ... ألَمَّ بها دَاعِي المِطَالِ فَفَنَّدَا
أمَا وهَوىً بَيْن الجوارِح كامِنٍ ... به الصَّبُّ مَجْدُودٌ وإنْ كان ذا جَدَا
لئِن زارَني طَيْفُ الأحبَّةِ مَرَّةً ... وأوْطَأتُه خَدّاً ووسَّدْتُهُ يَدَا
غفَرْتُ ذُنوبَ الدَّهْرِ من بَعْدِ مَا سَطَا ... وسَالَمْتُ صِلَّ الدَّهْرِ مِن بَعْدِ ما عَدَا
وعذْتُ إلى رُشْدِي بِمَدْحِي محمَّداً ... نَبِيَّ الهُدَى والعَوْدُ ما زَالَ أحْمَدَا

وقوله: [الكامل]

وتَنَفُّسِي الصُّعَداءَ ليسَ شِكايَةً ... مِمَّا قَضَتْهُ سوابِقُ الأقْدارِ
لكِنْ بِقَلْبِي جُمْلَةٌ تَفْصِيلُها ... صَعْبٌ لَدَى العقَلاءِ والأحْرارِ
فجَعلْتُ مَوْضِعَ كلِّ ذلكَ أنَّةً ... ضَمَنتْ مُرادِي مِن عطَاءِ البارِي

ومن ملحه مُوشَّحة الذي عارض به مُوشَّح بنت العَرَنْدَس الشِّيعيّ، ومطلعه:

أهْوَاهُ مُهَفْهَفاً من الوِلْدانِ ... ساجِي الحَدقِ
قد فَرَّ مِن الجِنانِ من رضوانِ ... تحت الغَسَقِ
من ريقتِه سكرتُ لا من رَاحِي
كم جَدَّدَ لي رَحِيقُها أفْراحِي
كم أسكرني بخمْرِها يا صاحِ
كم أرَّقَنِي بطَرْفِه الوَسْنَانِ ... حتى الفَلَقِ
لو عاملَه بعدلِه ذا الجَانِي ... أطْفا حُرَقِي
من باهرِ حُسْنِه ... يَغَارُ القمرُ
في روضِ جمالِه ... يحارُ النَّظَرُ
قد عزَّ لَدَيَّ ... إن بدا المُضْطَبَرُ
ما اهْتَزَّ يميل ميلَةَ الأغْصانِ ... لِلْمُغْتَنَقِ
إلاَّ وأتاح للمُحِبِّ العانِي ... كلَّ القلَقِ
يا ونْحَ مُحِبِّه ... إذا ما خَطَرَا
كالبدرِ يلوحُ في الدَّيَاجِي سَحَرا

---

(١) الدوح: مفردها: الدوحة، وهي: الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت. انظر لسان العرب، مادة: /دوح/.

Marfat.com
Marfat.com

إن أقْضِ ولم يقْضِ لقلْبِي وَطَرَا
فالويْلُ إذاً لمُغْرَمٍ وَلْهَانِ في الحبِّ شَقِي
قد حُمِّلَ في العشْقِ منَ الهجْرَانِ ما لم يُطِقِ
القَدُّ رشِيْقٌ مثلَ خُوطِ البانِ
واللَّحظُ كسيْف الهندِ في الأجْفانِ
والخالُ شقِيقُ المسكِ في الألوانِ
والخدُّ مُورَّدٌ أسِيْلٌ قانِي شِبْهُ الشَّفَقِ
والعارضُ قد سُلْسِلَ كالرَّيْحانِ للوردِ يَقِي
يا عاذلُ لو أبصرتَ مَن أهْواهُ
ناديتَ تبارك الذي سَوَّاهُ
قد أحْسَنَ خَلْقَهُ وقد نَمَّاهُ
إذْ كمَّله وخصَّ بالنُّقْصَانِ بدرَ الأُفُقِ
قد أفْرغه في قالَبِ الإحسانِ زاكِي الخُلُقِ
الصبرُ على لُقْياهُ مثلُ الصَّبْرِ
والقلْبُ غدا من هَجْرِه في جَمْرِ
ما ألْطَفه في وَصْلِهِ والهَجْرِ
لم ألْقَ في حُسْنِه من ثانِي حُلْوِ المَلَقِ
ما واصَلَ بَعْد بُعْدِه أجْفانِي غيرُ الأرَقِ

ومطلع المُوشَّح الذي عارضه، هو هذا[1]:

مارَنَّحَتِ الصَّبا غُصونَ البانِ بينَ الوَرَقِ
إلا وشجَا الهوى فؤادِي العانِي نارَ الحُرَقِ

ما هَبَّ صَبا لنحوِك القلبُ صَبا لاقَى وَصَبا
يا بدْرَ سَما سَما على بدرِ سَمَا للناسِ سَبا
صِلْنِي فعسَى تنالُ منِّي ذَهَبا عقْلي ذَهَبَا
والقلْبُ منِّي مُوقَدُ النِّيرانِ نامِي القَلَقِ
والناظِرُ قد أسال من أجفانِي ماءَ الغَدَقِ

وللمَحاسِنِيّ من قصيدة: [الطويل]

(١) انظر خلاصة الأثر (٣/ ٤١٠).

Marfat.com
Marfat.com

Marfat.com

٢٦- أحمد بن محمّد، المعروف بابنِ المِنْقار

هو من عُرِف بِكرَم الشِّيمة، من منذ تنَصَّل من المَشِيمَة.
فجاء كما شاءت الظُّنون، مُتَحقِّقاً بجميع الفنون.
وأعاد رسْماً من بَيْتِه دَثَر، ونظَم شَمْلاً كان قد انْتَثَر.
وما اسْتعار مَجْدَا، ولا أضاف إلى جَدِّه جَدَّا.
ثم دخل الروم، فحَظِيَ من الأمانِيِّ بما يَرُوم.
مُتَفَيِّأً من النَّشْوَة وارِفَها، ومُلْتَحِفاً من الصَّبْوَة مَطارِفَها.
فأذْهَلَتْهُ لَذَّةُ لَدَدِه، عمَّا كان بِصَدَدِه.
وعَبَثَتْ به السَّوْداء من عُيون ظِباها، والضُّعَفاء من الجُفون التي سُقِيَتْ بماء السِّحرِ ظُبَاها.
فآل أمرُه إلى جُنون أضَرَّ عَقْلَه، واقْتَضَى إلى وَطَنِه الأصْلِيِّ نَقْلَه.
فَحَلَّه وجِيدُه مُطَوَّق بِطَوْق، وهو محمولٌ على أدْهَم لا يُجْهِدُه سَوْقٌ ولا شَوْق.
ويَقي على تلك الحالة، وقد غيَّر الدَّهرُ سَمْتَه وأحالَه.
إلى أن فارق دُنْيَاه، وخَلُصَ من قَيْدِ الحياة.
وقرأت بخطِّ البُورِينِيّ، أنه زارَه، وحَيَّا بفَم الوَجْدِ مَزَارَه.
وهو في تلك السِّلْسِلَة، وأحادِيثُ حالِه عنه مُسَلْسَلَة.
وهو يظُنُّ أن ماء رَوِيَّتِهِ جَمُد، وشَرَرَ ذَكائِه بالكُلِّيَّة خَمَد.
فلمَّا لَمَحه، لم يَدَعْ مُلَحه.
قال: فأومأ إلى حالَتِه، وأوْدَعَنِي بَيْتي الوَدَاعِي، ثم خَلاَّنِي أُجِيبُ سائِل دمعي وأنا الدَّاعي.
والبَيْتان هُما: [الرجز]

٢٦- هو الأديب أحمد بن محمد المعروف بابن المنقار الحلبي الأصل، الدمشقي المولد والوفاة الأديب، الشاعر، الذكي، البارع، الفاضل.
لازم العلامة الملا أسد الدين بن معين الدين التبريزي نزيل دمشق، وأخذ عنه العربية والمعاني والبيان وغيرها، وبرع في الفنون. وألف قبل أن يبلغ العشرين من سنه رسالة مقبولة في مباحث الاستعارة وبيان أقسامها وتحقيق الحقيقة والمجاز، وعرضها على علماء عصره فقبلوها. ودرس بالمدرسة الفارسية. وسافر إلى قسطنطينية لوفاة والده محمد بها وكان من قضاة العقبات فتوجه أحمد إليها ليتناول ما خلفه والده من المال، فاشتهر صيته بين علماء الروم، ثم أداه لطف الطبع والامتزاج مع ظرفاء تلك البلدة إلى استعمال بعض المكيفات فغلبت عليه السوداء، فاختلط عقله، وصار يخلط في كلامه، فوصفوه في دار الشفاء ثم لزم إرساله إلى بلاده وكان بقسطنطينية إذ ذاك بعض أعيان دمشق فصحبه معه موثقاً، ثم تزايد عليه الجنون حتى حبس في بيت لا يخرج منه إلا في بعض الأوقات وعليه حارس موكل، وقد بقي على ذلك الحال نحو ثلاثين سنة إلى أن توفي. وكانت وفاته في شوال سنة اثنتين وثلاثين وألف. ا.هـ خلاصة الأثر (١/ ٢٩٦).

Marfat.com

إذا رأيْتَ عارِضاً مُسَلْسَلاً ... في وَجْنَةٍ كجَنَّةٍ يا عَاذِلي
فاعْلَمْ يَقِيناً أننا من أمَّةٍ ... تُقادُ للجَنَّةِ بالسَّلاسِلِ

وهذه نُبْذَة من شعره أيّام إفَاقَتِه، وهو يَتَّخِذُ شُهْبَ السَّماءِ من رُفاقَتِه.

فمن ذلك قولُه من قصيدة: [الطويل]

أتَى يَنْثَنِي كاللَّدْنِ بل قَدُّهُ أسْمَى ... غَزَالٌ بِفِعْلِ الجَفْنِ يُلْهِيكَ عن أسْمَا
فريدُ جَمالٍ جامعُ اللُّطْفِ جُؤْذُرٌ ... أمينُ كمالٍ أهْيَفٌ أحْوَرُ ألْمَى
إذا ما بَدَا أو ماسَ تِيهاً وَإن رَنَا ... تَرَى البدْرَ منه والمُثَقَّفَ والسَّهْمَا
له مُقْلَةٌ سَيَّافَةٌ غِمْدُها الحشَا ... ونَبَّالَةٌ قلْبي لأسْهُمِهَا مَرْمَى
تَجَسَّمَ من لُطْفٍ وظرْفٍ أما تَرَى ... تَغيُّره لمَّا تَخَيَّلْتَهُ وَهْمَا

هذا من قول بَعضِهم: [الطويل]

نَظَرْتُ إليْهِ نظْرةً فتَحيَّرَتْ ... بَدائِعَ فِكْرِي في بَدِيعِ صِفاتِهِ
فأوحَى إليه الطَّرْفُ أنِّي أُحِبُّهُ ... فأثَّرَ ذاك الوَهْمُ في وَجَناتِهِ

وأبلغ منه قول النَّظَّام[1]: [الطويل]

توهَّمه طَرْفِي فآلَمَ خَدَّهُ ... فصارَ مكانَ الوَهْمِ مِن نَظَرِي أثَرُ
ومَرَّ بِفِكْري خاطِراً فجَرَحْتُهُ ... ولَمْ أرَ خَلْقاً قَطُّ يَجْرَحُهُ الفِكْرُ

ولِخالد الكاتب: [المنسرح]

لو لَحَظَتْهُ العُيونُ مُذْمِنَةً ... لَذابَ مِن رِقَّةٍ فلم يَجِدِ

وللمنقَارِيّ من قصيدة، مطلعها: [الكامل]

قَلبِي بنِيرانِ المَحبَّة مُضْطَلِمْ ... خوفَ الفِراقِ لمن به حَالِي عُلِمْ

منها:

يا وَيْحَهُ من جَوْرِ ظَبْيِ أهْيَفِ ... سُلطانِ حُسْنٍ منه صَبٌّ ما سَلِمْ
قد حَجَّبَتْهُ من الأسِنَّةِ مُقْلَةٌ ... غَزَلَتْ فحَاكَتْ لِلْوَرَى ثوبَ السَّقَمْ
جِيدُ الغَزالَةِ منهُ إلا أنَّها ... لم تَحْكِهِ نُوراً إذا هُوَ قد بَسَمْ

فيه اسْتِخْدامَ، وقد يقع كثيراً في لفظ «الغزالة» بهذين المَعْنَيَيْن.

وانْتُقِد بما قاله الصَّفدِيّ في «شرح لاميّة العجَم»: إنه لم يُسْمَع إلا بمعنى الشّمس في أوّل النّهار إلى الارتفاع، وأمّا في مُؤنّث الغزال فلا يقال غزال، بل ظبية.

وقد غلّطوا الحريريّ في قوله: «فلما ذَرّ قَرْنُ الغزالة طَمَر طُمُورَ الغزالة».

وقالوا: لم تَقُل العربُ الغزالة إلاّ للشّمس، فإذا أرادُوا تأنيث الغزال، قالوا: الظَّبْيَة.

---

(١) انظر أمالي المرتضى (١/١٨٨).

Marfat.com

وقد ردَّ هذا الدَّمامِينيّ في «حاشيته» وأورد له شواهِدَ.

واعْتمده الشِّهاب الخَفاجيّ في «شفاء الغليل»، حيث قال: غزالة مؤنث الغزال، واسمٌ للشَّمسِ مُطْلقاً، أو في وقت شُروقِها.

قال التَّبْرِيْزيّ: سُمِّيَتْ بذلك لأنَّها تطلُع في غزالةِ النَّهار، أي أوّله.

وقال المَعَرّي: سُمِّيَتْ بها؛ لأنّها تَمُدُّ من الشُّعاع ما هو كالغَزْل، فهي مشدَّدة في الأصل، خُفِّفَتْ.

وقال فيه: [مخلع البسيط]

الـرَّدْنُ والـغَـزْلُ لـلـغَـوانِـي ... خُـلْـقَـانِ عُـدَّا مـن الـجَـزَالَـهْ

والـشَّـمـسُ غَـزَّالَـةٌ ولـكـن ... خُـفِّـفَـت الـزَّايُ فـي الـغَـزْالَـهْ

٢٧- عبد اللَّطيف الجَّابِيّ

هذا الأديب تميَّز بنَفْسِه، وتخيَّر من جِنْسِه.

فزَاحمَ الكواكِب بالمناكِب، وقد نسَجَتْ دهْراً على اسْمِه العناكِب.

وظهر كاسِياً من مَطْمورة الخَفَا، وما كان خَلاَّه في القبْر إلاَّ الخَفَا.

وعزمَ لا يتخلَّى ولا يسْتريح، ولا يسْكن إلى راحةٍ بل يقلع كل ريح.

فاتِحاً عيْنيهِ إلى كلِّ مَطْلب بأقْدام هائِم مُسْتَبِقْ، كأنَّهُ صُورةٌ ممثَّلَةٌ ناظِرُها الدَّهْر غيرُ مُنْطَبِق.

فهو من القومِ الذين أنْفَقوا عُمرَهم تملُّقاً وتجمُّلا، واصْطَلَحُوا على أن سَمُّوا تَجَرُّعَ السَّمِّ تَحَمُّلاً.

وكان له في النَّظْم أوفرُ نَصِيب، إلاَّ أنَّه يُخْطِئُ تارةً وتارةً يُصيب.

وقد رأيتُ أشْعارَه في سفِينةٍ عامَ في بحْرِها وهام، وأوْدَعَها من خَطِّ الملائكةِ ما لا يُفْهَمَ إلا بمَلَك الإلْهام.

فلم يقعْ اختِاري إلا على أبْياتٍ تأنَّقْتُ في استِخْراجِها، وهاهِي كما نُظِمَت اللآلئ في أدْراجِها: [الكامل]

مـا كـان يـخـطُـر قـطُّ فـي أوْهـامـي ... أن الأُسُـــودَ مَـــصَـــائِـــدُ الآرَامِ

---

٢٧ هو عبد اللطيف بن عبد المنعم بن زين الدين يونس بن محمد العجلوني الأصل، الدمشقي المولد المعروف بابن الجابي، الفقيه، القاضي، الشافعي. نشأ بدمشق وقرأ وداب وأخذ عن البدر الغزي والعلاء بن عماد الدين، والشهاب الفلوجي والشهاب أحمد بن أحمد بن أحمد الطيبي وتلقى عنه القراءات والعربية والفقه، وكان للطيبي فيه علاقة وسعى له في وظيفة الوعظ بالجامع الأموي، وفرغ له عن خطابة التوريزية. وولي نيابة القضاء بمحكمة الكبرى ثم نقل إلى الباب. وبقي نائباً إلى أن مات، وكان سيئ السيرة متهاوناً في أمور الشرع، وكان يأكل البرش، وكان ثقيلاً جداً حتى لقب بشباط. وكانت وفاته في شعبان سنة ست وعشرين وألف. ا.هـ . خلاصة الأثر (٣/ ١٧).

Marfat.com

ممّا ينْبَغي أن يُنَبَّه عليه ما ذكره المُبَرِّد في " كامله " أن الآرام مهموزُ ما بعد الرَّاء واحدُها رِئم، مثل بِئر وآبار، فإذا لم تُهمزَ فهي الأعلام، واحدُها أرم، وهي العلامات في الطَّريق.

قِفْ حيثُ فَوْقَتِ اللَّحاظُ سِهامَها ... وانْظُرْ لِمَرْمِيِّ هُناكَ ورَامِ
وسَلِ الأمانَ فكم خَلِيٍّ فارغٍ ... أمْسَى قَتِيلَ مَحَبَّةٍ وغَرامِ
للهِ ما بالقَلْبِ والأحْشَاءِ مِنْ ... حُزْنٍ وما بالجِسْمِ من أسْقامِ
ومَدامِعٌ تَهْمِي فَيَخْرِقُ لَذْعُها ... خَدِّي ومَن يَقْوَى لِلَذْعِ هَوَامِ
وبِمُهْجَتِي البدرُ الَّذي وَجَنَاتُه ... وعِذارُه كالوَرْدِ والنُّمامِ
القَاتِلُ الآلاف من عُشَّاقِهِ ... عَمْداً بلا حرج ولا آثامِ
إنْ لم يكُنْ بمُحَدَّدٍ ومُثَقَّلٍ ... فبِسِحْرِ ألفَاظٍ وسِحْرِ كَلامِ
باللَّحْظِ منه غَنِيتُ عن زَهْرٍ وعن ... خَمْرٍ فمنْهُ نَزجِسِي ومُدَامِي
في خَدِّه لامٌ تَجُرُّ إلى الهوَى ... فالقلبُ مجْرُورٌ بِتِلْكَ اللاَّمِ
ظَبْيٌ مِن الأتْراكِ مَرْعاهُ الحَشَا ... والمَوْرِدُ العَذْبُ العزيزُ الهَامِي
عرَفَ المُرادَ من الدُّموعِ فلمْ يَزَلْ ... يَزْنُو لعاشِقِهِ بطَرْفٍ ظَامِي

٢٨- محمود المجتهد

مُجْتَهِدُ المذهب الكلاميّ، يُقوِّم منه ما اخْتَلّ، ويُصَحِّحُ من تراكِيبِه التي داخلها الجَهْلُ المُركّب ما اعْتَلّ.

بلِسان يُنَقِّي الكُلَف، إلاّ أنّه كَلِف بتلْك الكُلَف.

وهو في تَقْيِيدِه وضَبْطِه، وحَلِّه لتشَبُّكِ الغرض ورَبْطِه.

في حدٍّ لا يأْتِي عليه تَحْدِيد، ولا يُعَبِّر عنه لِسانٌ حَدِيد.

وله حديثٌ يُزْرِي عُذُوبَةً بالرُّضابِ، وتَحَلُّمٌ يسْتَخِفُّ راسِيةَ الهِضابِ.

فلِذا هو بِطيب العِشْرَة مَذْكُور، وبألْسِنَة الظُّرفاءِ محمُودٌ ومَشْكُور.

والرَّغباتُ إليه نازِعَة، وعلى مُعاشَرَتِه مُتَنازعَة.

تَسْتَدْعي إيثَاره وإدناه، وتمْلأُ بماء النَّعِيم إنَاه.

وهو لا يُؤْثِر الرَّجْعَة، إلا إذا اسْتَمْرَع النُّجْعَة.

٢٨- هو محمود بن أبي بكر الشهير بالمجتهد الشافعي الدمشقي، نحوي الزمان وأديبه.
كان فاضلاً، كثير الاطلاع، وافر التضلع والاتساع، حلو النكتة والمصاحبة، لطيف المكالمة والمخاطبة. قرأ بدمشق وحصل حتى برع في الفنون العربي خصوصاً النحو فإنه كان فيه وحيداً، وألف فيه حاشية على ابن عقيل شرح الألفية واشتغل عليه جماعة، وكان لا يتكلم إلا معرباً. وكانت وفاته في سنة سبع وستين وألف. خلاصة الأثر (٤/٣١٧).

Marfat.com

وإذا حضَر ارتمى قبل الاقْتِداح شَرارُه، وفَرَى قَبْلَ الانْتِضاءِ غَرَارُه.
ولا يقْرَعُ مُنادِمُه على فِراقِه سِنَّ النَّدم، حتى يَمْتَلِئَ طرَباً من الفَرْقِ إلى القَدَم.
وقد رأيتُ له أشْعاراً، أكثرُها في ذَمِّ الزَّمان، وقد رَمَاه في مَطالِبِه بِسِهام الحِرْمان.
فمنه قوله: [الكامل]

أَلِفَ الزَّمانُ مَسَاءَتِي وبِعادِي ... ورَمَى بِسَهْمِ البَيْنِ عَيْنَ فُؤادِي
فأَلِفْتُ ما أَلِفَ الزَّمانُ وما أرَى ... إلاَّ تَنَغُّصَ عِيشَتِي وكَسَادِي
والذُّلُّ في أبْوابِ مَن لا يَرْعَوِي ... حال الفَقِيرِ وسُؤْدد الأوْغادِ

وقوله معارضاً أبْيات الحَرِيرِيّ، في المَقامَة الثَّامِنة والأرْبَعِين، وهي[1]:
[م. الكامل]

عِشْ بالخِداعِ فأنْتَ في ... دَهْرٍ بَنُوهُ كأُسْدِ بِيشَهْ[2]
وأدِرْ قَناةَ المَكْرِ حتَّى ... تَسْتَدِيرَ رَحَى المَعِيشَهْ
وصِدِ النُّسُورَ فإنْ تَعَذَّ ... رَ صَيْدُها فاقْنَعْ بِرِيشَهْ
وَاجْنِ الثِّمارَ فإنْ تَفُتْ ... كَ فَرَضْ نَفْسَكَ بالحَشِيشَهْ
وأَرِحْ فُؤادَكَ إنْ نَبَا ... دهْرٌ من الفِكْرِ المُطِيشَهْ
فتَغايُرُ الأحْداثِ يُؤْ ... ذِنُ باسْتِحالَةِ كلِّ عِيشَهْ

وأبياتُه هي هذه: [م. الكامل]

قال الدِّمَشْقِيُّ الذِي ... كَرُّ النَّوائِبِ حَصَّ رِيشَهْ
كيفَ الخِداعُ ودَهْرُنَا ... أبْناهُ صَادُوا أُسْدَ بِيشَهْ
وقَناةُ مكري لا تَدُو ... رُ فتَسْتَدِيرُ رَحى المَعِيشَهْ
والطَّيْرُ في أُفُقِ السَّما ... ءِ فكيفَ أبْلُغُ منهُ رِيشَهْ
ورِياضُ آمالِي جَفَاها الْـ ... ـخِصْبُ حتَّى لا حَشِيشَهْ
ومَعِيشَتِي ضَنْكاءُ فِي ... بَلَدِي اسْتَحالَتْ كلُّ عِيشَهْ

وله: [الكامل]

ومِن البَلِيَّةِ أن ترى ما لا يُرى ... وتَرُومَ بَذْلَ المجْدِ من غَيْرِ المَلِي
وتَبِيعَ مَخْزُونَ العُلومِ لجَاهِلٍ ... وتَجُودَ بالعَلْيَاءِ عندَ الأرْذَلِ
وتَزِينَ من دُرِّ الخِطابِ فَرائِداً ... قد شِنْتَها بخطابِ مَن لمْ يَعْقِلِ

---

(١) انظر المقامات الحريرية (٣٩٦).
(٢) بيشَة: اسم موضع. قال في معجم البلدان: بيشه - بالهاء - اسم قرية غنّاء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن. ا.هـ. ثم قال: وبيشه من عمل مكة مما يلي اليمن من مكة على خمسة مراحل وبها من النخل والفسيل شيء كثير، وفي وادي بيشه موضع مشجر كثير الأسد. ا.هـ (١/ ٤١٥-٤١٦).

Marfat.com

أُوّاهُ مِـن نَـكَـدِ الـزّمـانِ وجَـوْرِهِ ... وتَـرَفُّـعِ الأنـذَالِ والـمُـتَـسَـفِّـلِ
ومِن الـرَّزِيَّةِ لا تَـرَى مِـن مُـنْـصِـفٍ ... أو مُـسْـعِـفٍ إلاّ وبـالأهْـوَا مَـلِـي
والَـهْـفَ قـلْـبـي مِـن زَمـانٍ شَـأْنُـهُ ... رَمْـيُ الأفـاضِـلِ بـالـعَـنـاءِ الـمُـغْـضِـلِ
وتَـعَـزُّزِ الـوَغْـدِ الـلَّـئِـيـمِ أخِـي الأذى ... وتَـذَلُّـلِ الـعِـزِّ الـكَـرِيـمِ الـمَـأْمَـلِ
فـاضَ الـلِّـئَـامُ وغـاضَ كـلُّ مُـمَـنَّـعٍ ... وسَـطَـا بِـسَـطْـوِ الـبَـأْسِ كـلُّ مُـجَـهَّـلِ
وتـوزَّعَـت ثُـوَبُ الـنَّـوائِـب وانْـثَـنَـى ... فِـيـهـا الـكِـرامُ بِـذِلَّـةٍ وتَـمَـلْـمُـلِ
وارْتـاحَ مـنْـهـا كـلُّ خَـبٍّ جـاحِـدٍ ... وبـهـا رَقَـى الـعَـلْـيَـاء كـلُّ مُـعَـلَّـلِ

٢٩-محمد بن تقيّ الدّين الزُّهَيْرِيّ

زَهْرَةُ الأدبِ ونُزْهتُه، وخُلْسَةُ الحظِّ ونُهْزَتُه.
ومن تَخَمَّرَتْ طِينَتُه بماءِ اللَّباقَة، فأُفْرِغَتْ جِسْماً في قالَبِ اللِّيَاقَة.
أدْرَكْتُه وقَدُّهُ من الهَرَمِ يَرْتَعِش، لكن بمُنادَمَتِه الرُّوح تَنْتَعِش.
وسمعتُهم يقولون: إنه في رَيْعان غَضارتِه، كان مَحْسُود الغُصْنِ الفَيْنَان في نَضَارَتِه.
ثم مَحَاسِنُه مَحاسِنَه، ولكن يعِزُّ على ذي لَسَنٍ أن يُلاسِنَه.
وعهِدْتُ أبي بَوّأه اللهُ دَارَ رِضْوَانِه، يميِّزُه بالفضْل على أخْدانِه وإخْوانِه.
ويقول: هو تامٌّ في آلَتِهِ، لو أنَّ قلْبَه مُتَمَاسِكٌ مُتَمالِكٌ، كامِلٌ في حالَتِهِ، إلاّ أنَّ مَدَد صَبْرِه مُتَفانٍ مُتَهالِك.
وقد رأيتُ له شِعْراً قذَف به بَحْرُ طَبْعه، فذكَرْتُ منه ما يدُلُّ على فَضْلِه دَلالةَ الماءِ على صَفاء نَبْعِه.
فمنه قوله: [الوافر]

إذا زُرْتَ الـصَّـدِيـقَ الـشَّـهـرَ يَـوْمـاً ... يَـرَى إكْـرامَ مَـثْـواكَ الـثَّـوَابـاَ
وإن كـرَّرْتَـه يَـوْمـاً فـيـوْمـاً ... ولـم تـحُـزِ الـسَّـلامَ ولا الـخِـطـابـاَ

٢٩- هو محمد بن أبي بكر بن محمد بن محمد المعروف بالزهيري الدمشقي الشافعي، الفاضل النبيل الأصل.
مات أبوه التقي وهو طفل فنشأ في تربية عمه القاضي نجم الدين، واعتنى به فألزمه بالاشتغال فاشتغل على الشرف الدمشقي والشيخ عبد اللطيف الجالقي، وأخذ عن النجم الغزي ولزم دروسه زماناً طويلاً، وصار خطيباً بجامع المعلق، ومعيداً لدروس المدرسة الشامية البرانية. وألف وصنف، ومن تآليفه «شرح لامية ابن الوردي» و«شرح ديوان ابن الفارض». وكان في آخر عمره أصيب بولد نجيب حزن عليه حزناً شديداً، وضاقت أخلاقه بعد ذلك وتغيرت معاملته مع الناس، وابتلي باستعمال الأفيون، وكان متهماً بالكذب.
وكانت وفاته في سنة ست وسبعين وألف ودفن بمقبرة باب الصغير. ا.هـ خلاصة الأثر (٣/ ٣٣٢).
(١) الأخدان، جمع خدن: وهو الصديق. انظر لسان العرب، مادة /خدن/.

Marfat.com

فـإنَّـك أُبْـتَ لـلـطَّـاغِـي مـآبـاً جَـزاءً لا عَـطـاءً ولا حِـسـابـاً

وقوله: [الوافر]

صَـدِيـقُـك إن تَـزُرْه بِـصـدْقِ وُدِ فـقَـلِّـلْ مِـن زِيـارَتِـكَ الـزِّيـارَهْ
فَـزُرْ غَـبّـا إذاً تَـزْدادُ حُـبّـاً وخَـفِّـفْ فـالـزِّيـارةُ قـيـل غـارَهْ

هذا الباب، مما حَرَّض فيه أولو الألباب، والحديث المذكور فيه دُسْتور العمل بين الأحباب.

وقد عقَده جمعٌ كثير، في نَظِيم لهم ونثِير.

فمن ذلك: [الطويل]

إذا شـئـتَ أن تُـقْـلَـى فـزُرْ مـتـواتِـراً وإن شـئـت أن تَـزْدادَ حُـبّـاً فَـزُرْ غَـبّـا

ومنه:

الزِّيارَةُ زيارةٌ في الصَّداقة، وَقلَّتُها أمَانٌ من الملالة، وكثرتُها سبَبٌ للْقَطيعة، وكلُّ كثير عَدوُّ الطَّبِيعة، وما أحْسَن ما قال صاحِبُ الشَّريعة: «زُرْ غَبّاً تَزْدَدْ حُبّاً»[1].

ومن هذا الباب قولُ الآخر: [الطويل]

عـلـيـكَ بـإقْـلالِ الـزِّيـارة إنَّـهـا إذا كثُرَتْ كانتْ إلى الهَجْرِ مَسْلَكَا
فـإنِّـي رأيـتُ الـقَـطْـرَ يُـسْـأَمُ دائِـمـاً ويُـسْـأَلُ بـالأيْـدِي إذا هَـو أمْـسَـكَـا

وقوله: [م. الكامل]

أقْـلِـل زِيـارَتَـك الـصَّـديـ ـقَ تـكـونُ كـالـثَّـوْبِ اسْـتَـجَـدَّه
إنَّ الـصَّـديـق يُـمِـلُّـهُ أن لا يـزال يـراكَ عِـنْـدَهْ

وقول أبي تَمّام[2]: [الطويل]

وطُولُ مُقام المَرْءِ في الحَيِّ مُخلِقٌ لِـدِيـبَـاجَـتَـيْـهِ فـاغْـتَـرِبْ تَـتَـجَـدَّدِ
فـإنِّـي رأيْـتُ الـشَّـمْـسَ زِيـدَتْ مَـحَـبَّـةً عَلَى النَّاسِ إذْ لَيْسَتْ عليهِمْ بسَرْمَدِ

وكان للْبهاء السِّنْجَارِيّ صاحبٌ، وكان بيْنهما مَوَدَّة أكيدة، واجتماعُ كثير، ثم جرى في بعْضِ الأيّام عتاب، وانقطع ذلك الصَّاحب عنه، فسَيَّر إليه يطلبُه؛ لانْقِطاعِه، فكتبَ إليه بَيْتَي الحَرِيرِيّ، اللَّذَيْن في المُقامة الخامِسةِ عشْرَة[3]: [الخفيف]

لا تَـزُرْ مـن تُـحِـبُّ فـي كـلِّ شَـهْـرٍ غـيـرَ يَـوْمٍ ولا تَـزِدْهُ عَـلَـيْـهِ
فـاجْـتِـلاءُ الـهِـلالِ فـي الـشَّـهْـرِ يَـوْمٌ ثـم لا تَـنْـظُـرُ الـعُـيُـونَ إلـيْـهِ

فكتَب إليه البهاء من نظْمه: [الوافر]

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٨٣٧١)، والطبراني في الأوسط (١٧٧٥).
(٢) انظر ديوانه (١٠٠).
(٣) انظر المقامات الحريرية (١٠٩).

Marfat.com

إذا حَـقَّـقْـتَ مِـن خِـلٍّ وِداداً ... فـزُرْهُ ولا تَـخَـفْ مِـنْـهُ مَـلالاَ
وكُـن كـالـشَّـمْـسِ تـطْـلُـع كـلَّ يَـوْمٍ ... ولا تَـكُ فـي زِيـارَتِـه هِـلالاَ

قلت: هذا قليل، والكثيرُ يدْعُو فيّ الزِّيارَة إلى التَّقْلِيل.

وللزُّهَيْرِيّ: [الطويل]

ألاَ رُبَّ مَن تَحْنُو عليه تَلَطُّفَاً ... ويُعْجِبُكَ القَوْلُ الَّذِي مِنْهُ صادِرُ
وإنْ تَـخْـتَـبِـرْ مـنـه طَـوِيَّـتَـه إذاً ... وناشَدْتَها سَاءَتْكَ منه الضَّمائِرُ
فلا تَغْتَرِرْ في لِينِ قولٍ وتَأْمَنَنْ ... إذا لم تَطِبْ منه لَدَيْكَ المَخابِرُ
فما الصِّلُّ إلا لَيِّنُ اللَّمْسِ ظاهِراً ... وباطِنُه سَمٌّ ومِنْهُ التَّحاذُرُ[1]

ألَمَّ في هذه الأبيات بقول عبد الحَقّ الحِجازِيّ[2]: [الطويل]

ألا رُبَّ مَن تَحْنُو عليْهِ ولوْ تَرَى ... طَوِيَّتَهُ ساءَتْكَ منه الضَّمائِرُ
فلا تأْمَنَنْ خِلاً ولا تَغْتَرِرْ بِهِ ... إذا لم تَطِبْ منْهُ لَدَيْكَ المَخابِرُ

وقوله: «فما الصِّلُّ إلاَّ» من قول بعض البُلَغاء «الدُّنيا كالحيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّها، قاتِلٌ سَمُّها».

ومن فصول الصَّاحب: مَسُّ السَّيْفِ لَيِّن، ولكن حَدُّه خَشِن، ومَسُّ الحيَّةِ لَيِّنٌ ونَابُها أخْشَن.

ومن نوادِر ابن الجَزريّ، قوله من قصيدة[3]: [الكامل]

ولَئِنْ خَبَرْتَ بنِي الزَّمانِ وخِسَّةُ الْـ ... آبـاءِ تُـنْـتِـجُ خِـسَّـةَ الأبْـنَـاءِ
إيَّـاكَ تَـرْكَـنُ مِـنْـهُـمُ لـمُـمـاذِقٍ ... يُـبْـدِي الـوَفـاءَ ولاَتَ حـيـنَ وَفـاءِ
وتَجَنَّبَنْ مِن لِينِ مَلْمَسِ عِطْفِه ... فـالـعَـضْـبُ يَـضْـدَأُ مَـتْـنُـه بـالـمـاءِ

وللحُصْرِيّ في هذا المعنى[4]: [الكامل]

كم من خليلٍ كان عِنْدِي شُهْدُهُ ... حـتـى بَـلَـوْتُ الـمُـرَّ مِـن أخْـلاقِـهِ
كالمِلْحِ يُحْسَبُ سُكَّراً في لَوْنِهِ ... ومَـجَـسِّـه ويَـحُـولُ عـنـدَ مَـذَاقِـهِ

وللزُّهَيْرِيّ: [الكامل]

يا مَن تَلَبَّسَ في الفَخَارِ بِلُبْسِهِ ... والـجـهـلُ مـنـهُ مُـرَكَّـبٌ مـن لُـبْـسِـهِ
الفَضْلُ عند المَرْءِ يَكْسِيه سَناً ... وسَـنـاؤُه يَـكْـسِـيـه رَوْنَـقَ حُـسْـنِـهِ
لا تَـزْدَرِي بـرَثِـيـثِ خَـلـقَـةِ ثَـوْبِـهِ ... عـنـد الـتَّـنَـفُّـسِ فـي الـكـلامِ لـنـفـسِـهِ

---

(١) الصِّل: الحية. ا.هـ القاموس المحيط، مادة: /صلل/. وسياتي.
(٢) انظر خلاصة الأثر (٣/ ٣١٤).
(٣) انظر ديوان حسين الجزري (العقود الدرية) (٧)، ريحانة الألبا (١/ ١٢٤)
(٤) انظر كتاب «أبو الحسن الحصري القيرواني» (١٣٣).

Marfat.com

مَن كان مِن نَوْعِ الكمالِ مُكَمَّلاً نَالَ الغِنَى من فَضْلِهِ معَ جِنْسِهِ

وله: [م. الرجز]

يا مَنْ إليَّ قدْ وَشَى بِنَقْلِ سُوءٍ وَلَغَا

مَذَمَّتِي سَمِغْتُهَا مِنَ الَّذِي قد بَلَّغَا

في المثل: «مُبَلِّغُ السُّوءِ كَبَاغِيه».

وقيل أيضاً: «ما غَاظَكَ إلاَّ مَن بلَّغَك»[1]، «وسَبَّكَ من بَلَّغَك السَّبَّا» و «المُبَلِّغُ أحَدُ الشَّاتِمَيْن».

«ورواية الهجاء أحدُ الهاجِيْن، والسَّامِع لِلْغَيْبَة أحدُ المُغْتابِيْن».

وله: [السريع]

إنَّما القاضِي لِمُسْتَثْقَلٌ في اللَّفْظِ يا صاحِ مع المعْنَى

يظْهَرُ فيه النَّصْبُ مِن جَرِّهِ وحظُّه في الاسْمِ كالمعْنَى

أورد هذين البيْتَيْن في «شَرْحه على لاميَّة ابن الوَرْدِيّ»، عند قولهِ[2]: [الرمل]

إنَّ للنَّقْصِ والاسْتِثْقَالِ في لَفْظِهِ القاضِي لَوَعْظاً ومَثَلْ

٣٠- أمين الدين بن هلال الصَّالِحِيّ

أحدُ الشُّهود العُدُول، لكنَّه عن الخيْرِ من العُدول.

فهو إن لم يكن في دِين الصَّابي، فقد نزَع بسَلْبِه الأعْراضَ منْزَعَ المُتَصابِي.

فكم حُرٍّ مَدَحَهُ ثم ثَلَبه، وكم عِرْضٍ كساه ثم سَلَبه.

فهو شاعرٌ تَنِمُّ أفكارُه عن أسْرارِ العيُوب، وكاتب يَرْشَحُ بمِدادِ قلمِه ذَنُوبُ الذُّنُوب.

إلاَّ أن كَلِمَهُ وقلَمه لم يُرمَيا قطُّ بكَلالٍ أو مَلال، وإذا كتبَ أو أنْشَأ أرَاكَ يدَ ابنِ هِلال تنْقُل عن فم ابن هِلال.

فمن أهاجِيهِ قوله في بعض الأدباء: [الطويل]

يخوضُ بِعرْضِ مَنْ غَدَا عارَ دَهْرِه ومَن هو أدْنَى من سَجاحٍ وأكْذَبُ

ومن أقْعَدَتْهُ هِمَّةُ المجْدِ والعُلاَ وطارَتْ به للْخِزْيِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ

---

(١) انظر مجمع الأمثال (١٨٢٩).

(٢) انظر شرح لامية ابن الوردي (فتح الرحيم الرحمن) (١٤٨).

٣٠- هو محمد بن عثمان الملقب أمين الدمشقي الصالحاني الهلالي أحد الموقعين للأحكام بالمحكمة الكبرى، الأديب، الشاعر، اشتغل في العلم ثم تركه وتعانى التوقيع والشعر، وكان لطيف الذات حلو النادرة، وكان مغرماً بالهجاء وثلب أعراض الناس، وله في بني الخطاب الذين كانوا قضاة المالكية أهاج كثيرة، وقد جمعها في جزء خاص وسماه: «قرع القبقاب في قرعة بني الخطاب». وكانت ولادته ليلة عيد الفطر سنة خمسين وتسعمائة، وتوفي في شعبان سنة أربع بعد الألف، ودفن في قبر والده في تربة الفراديس. خلاصة الأثر (٤/ ٣٤).

Marfat.com

ومن كان في عَهْدِ الحَداثَةِ ناقَةً يُقاد إلى أزْدَى الأنَامِ ويُرْكَبُ
وقد كانَ قَصْدِي أن أُبَيِّنَ وصْفَهُ ولكن إهْمال القَبائِحِ أنْسَبُ

ومما يُنْسَبُ إليه من المجُون الذي يُزْرِي بسُلافَةِ الزَّرْجُون[1]، أنه دخَل على الرَّئيس أبي السُّعود بن الكاتب، فأنشده بَديهاً: [المجتث]

يا مَن بهِ رَقَّ شِعْرِي وجالَ في الفكْرِ وَصْفُهْ
قد مَزَّقَ الدَّهْرُ شَاشِي والقصدُ شاشٌ ألُفُّهْ

من هذا، وهو أحسن ما سمعتُ في طلب حُلَّةٍ قول الشّهاب: مخلع [البسيط]

حَالِي يَسْتَنْجِزُ الأمانِي ويَطْرُدُ الخُلْفَ من وُعُودِهِ
وحُلَّتِي كلُّها عُيونٌ تَرْنُو إلى مَجْدِهِ وجُودِهْ

وكان بينه وبين عبد الحقّ الحِجازِيّ عُهودٌ مُوثَّقة، ومَودَّة كَمائِمُها عن أذْكَى من الزَّهْرِ غِبَّ القَطْر مُعَتَّقة.

ثم انقطع أمينُ الدِّين، فكتب إليه يسْتعطفُه[2]: [الرمل]

طالَتِ الأشْواقُ وازْدادَ العَنَا وتمادَى الهجْرُ فيما بَيْنَنَا
فامْنَحُوا القُرْبَ مُحِبّاً مُخْلِصاً فلعلَّ القُرْبَ يشْفِي ما بِنَا
ليس في هذا عليكُمْ كُلْفَةٌ إنّما نطلبُ شيئاً هَيِّنَا

فراجعه بقوله: [الرمل]

أنَا في البعد وفي القُرْبِ أنا ليس في الحالَيْنِ لي عنْكُمْ غِنَى
أفْضَلُ الأشْياءِ عِنْدِي حُبُّكُمْ وهْوَ في وَسْطِ فُؤادِي مُكْنَا
لكن الأيّامَ أشْكُوها لَكُمْ جَوْرُها قد أوْرَثَ الجسمَ الضَّنَى

وكان هو أحَدَ الشُّهودِ بالمحكمة الكبرى، فنظر يوماً إلى قُضاتِها وشُهُودِها وهو منهم، ثم قال: [م. الكامل]

قالتْ لنا الكُبْرَى أمَا آنَ لكمْ ما تُوعَدُونْ
قُضَاتُنا أرْبَعَةٌ لكنَّهُم لا يَعْلَمُونْ
شُهُودُنا عِدَّتُهم تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونْ
والكَتْخُدا والتُّرْجُمانْ في الجَحِيمِ خالِدُونْ

وله يهجُو عمّه وليّ الدّين: [البسيط]

إذا رأيْتَ وَليَّ الدِّين مُفْتَكِراً مُنَكْساً رأسَه إنْسَانُه سَاهِي

---

(١) سلافة الزرجون: أول ما يعصر من الخمر. انظر لسان العرب، مادة: /سلف/، و/زرجن/، و/زرج/.
(٢) انظر خلاصة الأثر (٣١٢-٣١٣).

Marfat.com

فـذَاكَ مـن أجْـلِ دُنْـيَـا لا لآخِـرَةٍ خَوْفاً من الفَقْرِ لا خَوْفاً من اللهِ

٣١- عبد الكريم الطَّارَانِيّ

كاتِبُ قِسْمَة، ومَن اتَّخَذ المعِيشَة من الموتِ قِسْمَه.
وما بالُكَ بمَن يَجُوب فِناءَ كلِّ حَيّ، ويَتَمنَّى فَناءَ كلِّ حَيّ.
فهوَ طَيْرُ الشُّوم، والتَّطَيُّر به فَرْخُ التَّطَيُّر بالْبُوم.
وله نَزَعاتٌ في الخُلُق والخَلْق، هي قَذىً في العيْن، وشَجاً في الحَلْق.
يَنْعَجِن بِطِينَةِ الإساءَة، وتعُمّ في العَالَم منه المَساءَة.
فَمُه مَمْزُوجٌ بصَاب، وقلمُه سَاطُورٌ في يَدِ قَصَّاب.
فلِهذا رُمِيَ برَفْضِه، ومُقِتَ باعْتِزالِهِ ونقْضِه.
وهو شَيْخٌ من بَقَايَا أوَّلِ الزَّمانِ، يُعَدُّ فَرْخاً عنده نَسْرُ لُقْمان.
أكل الدَّهْرُ عليه وشَرِب، لكنَّ وِعاه من الآداب غَيرُ سَرِب.
وله شِعْرٌ ليس له في الكَثْرَة مُنْتَهى، إلا أنَّه أبْرَدُ مِن أمْرَدٍ لا يُشْتَهَى.
فمما وصَلَنِي من مَرغُوبه، قوله: [مخلع البسيط]

أشْكُو إلى اللهِ مِن زَمانٍ قد ماتَ فيه ذَوُو الصِّلاتِ
وكلُّ مَن كان ذَا وَفاءٍ مضَى إلى اللهِ بالوَفاةِ

وقوله، في تَضْمِينِ مثل مشهور: [الرمل].

هذه الدُّنْيا بَلاءٌ وعَنَا وهُمُومٌ تُسْقِمُ الجِسْمَ الصَّحِيخ
أيُّ شَيءٍ يَبْتَغِي منها الفَتَى وهْيَ دَارٌ ما عَلَيْها مُسْتَرِيخ

ومثلُه لبعضهم: [الرمل]

كُلَّما أشْكُو صَبَابَاتِ الهوَى لم أُصَادِفْ غَيْرَ ذي قَلْبٍ جَرِيحِ
يَشْتَكِي لي مِثْلَ ما أشْكُو لَهُ يَا لَعَمْرِي ما عليْها مُسْتَرِيح

قلت: طلبُ الرّاحة في الدُّنيا مُحال، وتِلْكَ دَعْوَى دليلها على جميع الورَى مِحال.

٣١- هو عبد الكريم بن محمود بن أحمد، المعروف بالطاراني، الميقاتي، البعلي الأصل، الدمشقي المولد والدار والوفاة، الكاتب، الشاعر، المؤرخ الملقب كريم الدين، أحد كتاب محكمة القسام بدمشق.
قرأ على القاضي محب الدين وعلى غيره كالحسن البوريني وتأدب بالشمس محمد الصالحي الهلالي، وكان مليح العبارة في إنشاء الوثائق، جيد الفكرة، لطيف المحورة، وكتب الكثير، وكان كثير المحفوظات، وله تشيع.
وكانت وفاته في شعبان سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بمقابر الشيعة في باب الصغير.
والطاراني نسبه إلى طارنة. وهي قرية من قرى بعلبك قدم منها والده إلى دمشق. ا.هـ . خلاصة الأثر (٣/ ١٠).

Marfat.com

وقد أغيى على الأَخبَارِيِّينَ والنُّقَلَة، أن يَجِدُوا مُسْتَرِيحاً إلاَّ مَن لا عقْلَ له.
قال رَشِيد الدِّين الوَطْوَاط، في أمْثالِه:
أنا أقول: «من لا عقْلَ له المُسْتَراح موضع النَّجاسة».
ونظَمه الشّهاب في قوله: [السريع]

ما يَبْتَغِي مِن دَهْرِهِ عاقِلٌ ... وما يُرَجَّى منهُ أهْلُ الصَّلاخ
ورِزْقُ دُنيَانَا لِجُهَّالِهَا ... وجَنَّةُ الخُلْدِ لِبُلْهٍ مِرَاخ
مَن لا لَهُ عَقْلٌ ولا فِطْنَةٌ ... في المثَلِ المَشْهُورِ قالُوا اسْتَرَاخ
وإنَّما الدُّنيا لهم منزِلٌ ... من لا له عقلٌ به مُسْتَرَاخ

وقوله: «وجنَّة الخُلْد لِبُلْهٍ مِراح» إشارة إلى الحديث: «أكْثَرُ أهْلِ الجَنَّةِ البُلْهُ»[1].
يُريد: الأكْيَاسَ في أمْر الآخِرَةِ، البُلْه في أمْرِ الدُّنيَا.
ويقولون في بَقَر الجنَّة: البُلْه؛ لأنَّها لا تَرْمح ولا تَنْطَح، ولِضِدِّه: بَقَر سَقَر.
وللطُّيرانيّ، ويخرُج منه اسم عمر بطريق التَّغْمِيَة: [المجتث]

أفدِي غَزالاً بِقَلْبِي ... ما زالَ يَرْشُقُ نَبْلاَ
وعنه مَا مَالَ يَوْماً ... لِلْغَيْرِ حاشَا وكَلاَّ
وعَزَّ صَبْرِيَ لَمَّا ... بالْعَيْنِ مَرَّ مُحَلَّى

وقَعَد إلى جانِبه غلامٌ، والقَمر في ليل التَّمام، فقال له: انظر البدرَ أمامك.
فقال له: أمامي على أيِّ حَالة.
فخجِل لما قاله.
فأنشَده بَدِيهاً: [المجتث]

وذِي قَوامٍ رَشِيقٍ ... دَنَا لِبدْرِ التَّمامِ
فقال والثَّغْرُ منْهُ ... حَالٍ بِحُسْنِ ابْتِسَامِ
غدَا أمامَك بَدْرٌ ... فقلتُ بَدْرِي أمَامِي

وكتب إلى الإمام يوسف الفَتْحيّ، وقد وعَدهُ بعُود:

مَولايَ كمالَ بَهْجَةِ الأيَّام ... قد أخْجَلَ جُودُكَ الرَّبابَ الهامي
أنْعِمْ لِمُحِبِّكَ الكَرِيمِي عَجَلاً ... بالعُودِ تَفُزْ بِبَثِّ شُكْرِي النَّامِي

فبعث إليه بحصَّة منه، وراجعه بقوله: [الدوبيت]

يا جَوْهَرةً يَتِيمَةً بالشَّامِ ... سَفَّهْت بها مَقالَة النُّظَّامِ
قَسَمْتُكَ في بَقِيَّةِ العُودِ عَلَى ... أن ليْس لكمْ في الفَضْلِ مِن قَسَّامِ

(١) ذكره في الجامع الصغير (١٣٧٩).

Marfat.com

وقوله: [البسيط]

لا تَـجْـزَعَـنَّ إذا نَـابَـتْـكَ نَـائِـبَـةٌ ... فسوْفَ تُلْقَى قَرِيرَ العينِ جَزْلانَا
فالبَدْرُ بعد مَحاقِ الجِرْمِ تُبْصِرُهُ ... قد اكْتَسَى النُّورَ بالتَّكْمِيلِ وازْدَانَا

وهو مأخُوذ من قول ابن السَّاعاتيّ: [البسيط]

لا تَـجْـزَعَـنَّ لأمْـرٍ سـوف تُـدْرِكُـهُ ... فليس في كلِّ حينٍ يَنْجَحُ الأمَلُ
والبَدْرُ في كلِّ شَهْرٍ لا لِمَنْقَصَةٍ ... بـه يَـصـيـرُ هِـلالاً ثـم يَـكْـتَـمِـلُ

٣٢- محمد بن زين العابدين الجَوْهَرِيّ

هو من جَوْهَرٍ مُنْتَقَى، وما فوقَ مَرْقَاتِه مُرْتَقَي.

وآباؤه بتجارة الجوهر مشْهورون، وبكلِّ ثَناءٍ في الألْسِنةِ مَذْكُورون.

وهو لم يكُنْ يَحْتَرِفُ بالصِّناعة، أو يتَّجِرُ بهذه البِضاعة.

بل كان مُسْتَغْنِياً عن جواهِرِ الأحْجَار بجواهِرِ الكلام، ومُكْتَفِياً عن جامِدِ العَسْجَد والنُّضَار بالذَّائب من رَشَحات الدُّوِيّ والأقْلام.

وله أشْعار نَثَر في أرض الذَّهب جُمانَها، وأطْلَع من سِلك السُّطور ياقُوتَها وبَهْرَمانَها.

فمما يُنْسَب مِن «صِحاحِها» للجَوْهَرِيّ، ويُرْوَي مِن «تهْذيب» مُفْرَداتِها عن الأزْهَرِيّ قوله: [الكامل]

بَـاكِـرْ رِيـاضَ الـنَّـيْـرَبَـيْـنِ ومـاسِـهـا ... وانْـظُـرْ إلـى الأزْهـارِ فـي أجْـنـاسِـهَـا
مـا بَـيْـنَ زَنْـبَـقـهـا الأنـيـق ووَرْدِهَـا ... وبَـدِيـعِ نَـرْجِـسِـهـا الـغَـضِـيـضِ وآسِـهَـا
وتَـرَنُّـم الأطْـيـارِ فـوق غُـصُـونِـهـا ... تَـزْوِي لـطـيـفَ الـلَّـحْـنِ عَـن عَـبَّـاسِـهَـا
جَـمَـعَـتْ مَـعانِي الـلُّـطْـفِ فـي ألْـحانِـهـا ... وبَـيـانِ مَـنْـطِـقِـهـا وحُـسْـنِ جِـنـاسِـهَـا
تُـغْـنِـيـكَ عـنْ صَـوتِ الـمَـثـانِـي عـنْـدَمَـا ... تَـشْـدُو بِـرَوْنَـقِـهَـا عـلـى جُـلاَّسِـهَـا
فـتَـرَى الـغُـصـونَ لِـمَـا بـهـا مِـن نَـشْـوَةٍ ... تَـهْـوِي إلـيْـكَ مِـن الـسُّـرُورِ بِـراسِـهَـا
طـافَ الـغَـدِيـرُ بـهـا فـأثْـمَـرَ فَـرْعُـهَـا ... وغَـدَا يُـخَـبِّـرُنـا بـأصْـلِ غِـراسِـهَـا
وسَـرَتْ بـهـا ريـحُ الـصَّـبـا فَـتَـأرَّجَـتْ ... جُـلَـسَـاؤُهـا بـالـطِّـيـبِ مـن أنْـفـاسِـهَـا
فـانْـهَـضْ نَـدِيـمِـي نَـصْـطَـبِـحْ فـي ظِـلِّـهَـا ... ودَعِ الـمـنـاصِـبَ فـي الـزَّمـانِ لِـنـاسِـهَـا
وأجِـلْ لِـحَـاظَ الـعَـيْـنِ فـي أزْجَـائِـهَـا ... واجْـلِ الـقُـلُـوبَ الـصُّـدْيَ مـن وَسْـوَاسِـهَـا
واسْـتَـخْـلِ بـالـلَّـذاتِ بـيْـن رِيـاضِـهـا ... واسْـتَـجْـلِ بِـكْـراً أُفْـرِغَـتْ فـي كـاسِـهَـا
عَـذْراءُ واقَـعَـهـا الـمِـزاجُ فـأنْـتَـجَـتْ ... أطْـفـالُ دُرٍّ لـم تُـشَـنْ بِـنِـفَـاسِـهَـا
شَـمْـسٌ تُـرِيـكَ سَـنـاً إذا مـا أُغْـرِبَـتْ ... فـي فِـيـكَ أوْلَـتْـكَ الـقُـوَى بِـشِـمـاسِـهـا

Marfat.com

تَذَرُ الذَّلِيلَ عَزِيزَ قَوْمٍ في الوَرَى ... بِلَطِيفِ مَسْرَاهَا وشِدَّةِ بَاسِهَا
مِن كَفِّ مُعْتَدِلِ القَوَامِ إذا مَشَى ... بيْنَ الغُصُونِ قضَى على مَيَّاسِهَا
أو ماسَ في أهْلِ البَهَا ضُرِبَتْ لَهُ ... أخْماسُها بالقَهْرِ في أسْدَاسِهَا
ما جِيدُ غِزْلانِ الصَّرِيمِ إذا انْثَنَى ... وإذا رَنَا ما لَحْظُ رِيمِ كِنَاسِهَا
لِلْعَيْنِ فيه تَفَكُّهٌ لكنْ إذا ... بَصُرَتْ بهِ غَابَتْ جميعُ حَواسِهَا
ذُو مُقْلَةٍ وَسْنَا إذا شَاهَدْتَهَا ... أهْدَتْكَ سُهْداً من فُتُورِ نُعاسِهَا
قُمْ يا حَبِيبِي لا بَرِحْتَ مُمَتَّعاً ... دَاوِ القُلوبَ مِن السَّقامِ وآسِهَا
واسْمَحْ وآنِسْ بالْلُقا يا مُنْيَتِي ... ما زَالَتِ الأيَّامُ في إيْنَاسِهَا

وقوله: [م. الرمل]

بالَّذِي أوْدَعَ لَحْظَيْـ ... ـكَ حَبِيبَ القَلْبِ حَتْفَا
وسَقَانِي مِنْهُمَا ... كأساً سَرِيعَ السُّكْرِ صِرْفَا
وحَبَا خَدَّكَ وَرْداً ... وحَبَا شَكْلَكَ ظَرْفَا
جُدْ على صَبٍّ كَئِيبٍ ... ذِي أوارٍ لَيْسَ يُطْفَا

ولمُحمد الحَرْفُوشيّ من هذا الأسلوب[1]:

بالَّذِي أنْشَاكَ فَرْدَا ... وكَسَا خَدَّيْكَ وَرْدَا
والَّذِي أعْطَاكَ حُسْناً ... فَاتَ أهْلُ الحُسْنِ حَدَّا
والَّذِي أوْلَى فُؤادِي ... مِنْكَ إعْراضاً وصَدَّا
صِلْ مُعَنّىً فيكَ يَقْضِي الـ ... ـنِّلَ تَسْهِيداً ووَجْدَا

وهذا على أسلوب أبيات عبد المحسن الصُّورِيّ المشهورة، وهي[2]: [م. الرمل]

بالَّذِي ألْهَمَ تَعْذِيـ ... ـبِي ثَنَايَاكَ العِذَابَا
والَّذِي ألْبَسَ خَدَّيْـ ... ـكَ مِن الوَرْدِ نِقَابَا
والَّذِي صَيَّرَ حَظِّي ... مِنْكَ هَجْراً واجْتِنَابَا
يا غَزَالاً صَادَ بالْلَّحْـ ... ـظِ فُؤادِي فأصَابَا
ما الَّذِي قَالَتْهُ عَيْنَا ... كَ لِقَلْبِي فأجَابَا

(١) انظر سلك الدرر (٢/ ٢٦٤).
(٢) انظر يتيمة الدهر (١/ ٣١٣).

Marfat.com

٣٣- محمد بن حسين، المعروف بابن عين الملك، وبالقاق

لعُوب بأطْرافِ الكَلام، مُفَوَّقٌ لِسهام الأقْلام.
يسْتفيدُ منَ القَطَا فَضْلَ هِداية، وهو في اللُّؤمِ أضَلُّ من ابن داية.
زِيُّه غرِيب، وكلُّه أسْوَد غِرْبِيب.
أوْحَشُ حالاً من اللَّيل، وأكْثرُ انْفِراداً من سُهَيل.
طالما جابَ السَّباسِب أزْدِية، وخاض النَّوائِب أوْدِية.
مُتَنقِّلاً من بُقْعَة إلى بُقْعَة، وطائِراً من رُقْعَةٍ إلى رُقْعَة.
حتَّى حَصَّ جَناحَه الكِبَر، ووقف من سوء بَخْتِه على يقين الخَبر.
هُناكَ كَرَّ على وَكْر عَشِيرَتِه وحامِيَتِه، ومُعَشَّش قاذِفته بهُجْرِهاورامِيَتِه.
وقد رأيْتُه وشَعْره شَاب، لكنَّ شِعْرَهُ ما شَاب، وهو في الشِّعْرِ نُصَيب الوَقْت، وحالُه حالُه في الإقْصاءِ والمَقْت.
ومناظِيمُه لا تَخْلُو من ألْفاظِ عِذاب، إلاَّ أهاجِيه فإنَّها سَوْطُ عَذاب.
وقد بلَغني أشياء منها، عارَضَتْني لكثْرة فُحْشِها فأعرضتُ عنها.
وأمَّا غيرُها مِن لَوامِعِهِ فما أَوْرَدْتُه أَوْرَدْتُه، وإذا اسْتَهْجَنْتُ شيئاً إليه رَدَدْتُه.
فإني كفوَّارةِ الماءِ، لا أقْبَلُ إلاَّ السَّيَّالَ الرَّقِيق، وغيري كالمُنْخَل، يُمْسِك النُّخالَة ويُخرِج الدَّقِيق.
فمن شعره قوله في دُولاب ماء: [الطويل]

ودُولابِ رَوْضٍ قد شَجانا أنِينُهُ ... وحَرَّكَ منَّا لَوْعَةً ضِمْنَها حُبُّ
ولكنَّه في بَحْرِ عشْقِ جَهالَةٍ ... يدُورُ على قَلْبٍ وليسَ له قَلْبُ

وقوله، من قصيدة مطلعها: [السريع]

سَقى الخُزامَى باللِّوَى والأقَاحْ ... مِن عارِضٍ أبلَجَ سَجْلِ النَّواحْ

٣٣- هو محمد بن حسين بن محمد المعروف بابن عين الملك الدمشقي الصالحي، الشاعر الشهير بالقاق.
كان شاعراً مجواداً عارفاً بأساليب الشعر واللغة، لكنه خبيث اللسان، كثير الهجاء، لا يكاد يسلم من لسانه أحد. وجمع ديوانين في شعره، أحدهما للمدح والآخر للهجو، وسمي الثاني «بئس المصير». وليّ النيابة بنواحي دمشق ومنها جبة عسال، ثم وليّ نيابات المحاكم بدمشق، كالصالحية والميدان والعوني. وسلك إلى الروم وأقام بها مدة ولازم وسلك طريق القضاء بعدما طار غراب شبابه ومضى وانفصل عن قضاء حمص بعدما ضبطها مدة قليلة من الزمان. وكان ارتحل إلى طرابلس الشام وسكنها وتزوج بها وجاءه أولاد بتلك الديار، وصار بها نائباً عن بعض القضاة.
وكانت ولادته بالصالحية في سنة ست بعد الألف، وتوفي في ذي الحجة سنة ست وسبعين وألف، ودفن بزاويتهم بسفح قاسيون. ا.هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٤٥٦).

Marfat.com

حتى تَراهَا وهْيَ مُخْضَلَّةٌ تَغَصُّ رَيّا بالزُّلالِ القُرَاخ
معاهدٌ للأُنسِ كانتْ وهَلْ لِي وَقْفَةٌ بينَ جَنُوبِ البِطَاخ
أيّامَ في قَوْسِ الصِّبا مَنْزَعٌ ولِلْمَلاهِي غُدْوَةٌ لا رَواخ
والظَّبْيَةُ الأدماءُ لِي مُنْيَةٌ وحَبَّذَا مَرْضَى العُيُونِ الصِّحاخ
لم أنسَ يومَ الطَّلْحِ إذْ وَدَّعَتْ وأَدْمَتِ القَلْبَ بغَيْرِ الجِراخ
يا وَقْفَةً لم يُبْقِ فيها النَّوَى إلاّ ظُنُوناً ليس فيها نَجَاخ
يا قلبُ حِدْ بِي عَنْ طَرِيقِ الهوَى ففِي مُناجاةِ المَعالِي ارْتِيَاخ
فالرَّاحُ والرَّاحَةُ ذُلُّ الفَتَى والعِزُّ في شُرْبِ ضَرِيب اللِّقاخ

٣٤- القاضي إبراهيم الغَزِّالِيّ

فَتى مُداعَبَةٍ ومُجُون، طبْعُه بالخَلاعَة مَعْجُون.
إذا تكلَّمَ بِبِنْتِ شَفَة، تُعَدُّ مِن غَيْرِه سَفَه.
لا يَسْتَفِزُّه قِيلٌ ولا قَال، وكلُّ عَثْرةٍ منه تُقال.
وله جَامِعِيَّةٌ بَنانٍ وبَيان، وهو فيها سَفِينَةُ نُوح أو جامِعُ سُفْيَان.
إلاّ أنَّه كان في شِعْرِه مُتَحَلِّفاً، وعن أهْلِ طبقَتِه مُتَخلِّفاً.
لأنَّه ينْبُو عن السَّهْلِ القرِيب، ولا يسْتعمِل إلاّ المُتَنَافِرَ الغَرِيب.
ورُبَّما نَدَرَتْ له أبياتٌ في مَرام، فكانَتْ كَرَمْيَةٍ من غَيْرِ رَام.
أستغفر الله، نعم هو في هِجائِه، مُجيدٌ ولو بازْدِرَاء حِجائِه، لَعُوبٌ حتى بيَأْسِه ورَجائِه.
يُطلِعُ هَزَلَه جِدًّا، ويُرهِفُ حَدِيدَتَه حَدًّا.
فممَّا اسْتخْرَجْتُه من حُلْوِه وحَامِضِه، وصَرَّحْتُ فيه بأمْرِ واضِحِه وغَامِضِه. قوله: [الدوبيت]

يا مَن مَلَكُوا جَوانِحِي مَعَ لُبِّي ما اعْتَذْتُ شِكايَةً فحَالِي يُنْبِي
لا زِلْتُ مُشَاهِداً بِحالِي تَلَفاً إن كان سِواكُمُ ثَوَى في قَلْبِي

ومن أهاجِيهِ، قوله في إسماعيل بن جمال الدِّين الجُرَشِيّ:

٣٤- هو القاضي إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي بكر الصالحي، المعروف بالغزال، الأديب الشاعر. ولد ونشأ بصالحية دمشق، وقرأ وأدب وأخذ الحديث عن الشهاب أحمد الوفائي. وتأدب بالشيخ أيوب الخلوتي، قرأ عليه ديوان ابن الفارض. وتعانى من كتابة الصكوك في محكمة الصالحية، ثم ترك الكتابة وناب في القضاء بمحكمة الصالحية والعونية والميدان.
وكان شاعراً حسن المطارحة، لذيذ المصاحبة كثير المجون والمداعبة. ولم يكن في عصره أكثر رواية منه للشعر، ولا أحفظ منه للوقائع. وكانت ولادته في سنة ثمان بعد الألف، وتوفي في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وألف، ودفن بالسفح. ا. هـ. خلاصة الأثر (١/ ٤٦).

Marfat.com

بالله قُلْ لغَليظِ الطَّبْعِ عَنِّيَ ما ... أنكرتَه مِن فُلانٍ كَيْ تَرَى عَجَبَا
فلم تَجِدْ غَيْرَ أنّي لم أنِكْهُ لِمَا ... قد عِفْتُهُ منْهُ قِدْماً كانَ ذَا سَبَبَا
ولو أُجَشِّمُه أيْري وأمْنَحُهُ ... إيّاهُ ما عَدَّ لِي ذَنْباً وما رَقَبَا
لكنَّنِي الآنَ أكْوِي قَرْحَ فَقْحَتِه ... بنَارِ أيْري وأرْقَى عندَه الرُّتَبَا
أكَلِّفُ النَّفْسَ تَغْيِيراً لمَذْهَبِها ... قبلي كَثيرٌ لهذا الأمْرِ قد ذَهَبَا
لا سَامَح الله مأبُوناً يُكَلِّفُنِي ... لغيْرِ طَبْعِي ويَبْغِي غاسِقاً وَقَبَا

وله في والد إسماعيل المذكور، وكان مؤذِّناً يُؤذِي الآذان:

إنَّ الجَمَالَ القُرَشِي ... مِثْلُ المُغَنِّي القُرَشِي
يَوَدُّ مَن يَسْمَعُهُ ... لَوْ ابْتُلِي بالطَّرَشِ

المُغنِّي القُرَشي معروف بقبح الصَّوت، وفيه يقول المُهلَّبِيّ[1]: [م. الرجز]

إذا غَنَّانِيَ القُرَشِي ... دَعَوْتُ اللهَ بالطَّرَشِ
وأن أبْصَرْتُ طَلْعَتَهُ ... فَوَالَهَفِي على العَمَشِ

ولابن العميد فيه[2]: [الوافر]

إذا غَنَّانِيَ القُرَشِيُّ يَوماً ... وعَنَّانِي بِرُؤيَتِهِ وضَرْبِهْ
وَدَدْتُ لَوَ أنَّ أُذْنِي مثلَ عَيْنِي ... هُناكَ وأنَّ عَيْنِي مثلُ قَلْبِهْ

الشيءُ بالشيءِ يُذكَر، والمناسبة حقُّها لا يُنكَر.

ذكرتُ هنا فصلاً قلتُه في مُغَنٍّ بارِد النَّغْمَة:

«جَمعني وفلاناً المُغَنِّي مجلسٌ فاستَقَرَّيْتُ مُكْرَهاً. وسَمِعْتُ ورأيْتُ مُكْرَهاً، فقلتُ: قَبَّحهُ الله مِن مُغَنٍّ سَماعُ صوتِه غَمٌّ، كيفَ وَلَفْظُ غَمّ في نَغَمه مُدْغَم؟ فإذا أدّى آذَى، وإذا غَنَّى عَنَّى. [المجتث]

لا مَرْحَباً بِمُغَنٍّ ... طَوَى المَسَرَّةَ عَنَّا
قال النَّدامَى جميعاً ... لَمَّا تَغَنَّى تَعَنَّى
يا لَيْتَه ماتَ غَنَّى ... يا لَيْتَه مات عَنَّا

فما أحقُّه بِقَوْلِ بعض الكُبَراءِ، وقد غَنَّى مُغَنٍّ فقيل له: كيف ترَى؟

ويَحْسَبُ النُّدْمانُ فِي حَلْقِهِ ... دَجَاجَةً يَخْنُقُها ثَعْلَبُ

وقيل لآخر ما قيل لهذا، فقال:

وكأنَّ جُرْذَانَ المَحلَّةِ كُلَّها ... في حَلْقِه يَقْرِضْنَ خُبْزاً يابِسَا

---

(١) انظر يتيمة الدهر (٣/ ١٨٣).
(٢) انظر يتيمة الدهر (٣/ ١٨٣).

Marfat.com

غير أنّي اخْتَبَرْتُه اخْتِبَارَ عارِفٍ أرِيب، فَرَأيْتُه في صَنْعَةِ الضَّرْب ماله ضَرِيب.
فضَرْبُه أوْقَعُ مِن الضَّرِيبِ والضَّرَب، وإن كان غِناهُ كالضَّرْبِ على الرُّكب.
فبالجُملَة يَسْتَحِقُّ على ضَرْبِه غِناه، ويَسْتَوجِبُ ضَرْبَهُ على غِنَاه.
فَمَن ابْتُلِيَ به فَلا يَدَعُه يَفْتَحُ فَاه، إلاَّ وهُوَ نازِلٌ بالصَّفْعِ على قَفَاه».
وللغزَّالِيّ، والبيت الأخير مُضَمَّن: [الكامل]

أضْحَى التَّصَبُّرُ حَبْلُه مَقْطُوعَا ... لـمّـا رأيـتُ مُـعَـذِّبِـي مَـمْـنُـوعَـا
وحـديث وَجْدِي مُسْنَداً ومُعَنْعَناً ... أمْـسَـى لَـدَيْـهِ مـعـلَّـلاً مَـوْضُـوعَـا
وفَـقَـدْتُ قَـلْـبِـي عـنـده وأظُـنُّـهُ ... لِـبَـلِـيَّـتِـي قـد سـاءَ فـيـه صَـنِـيـعَـا
فَغَدَوْتُ أُنْشِدُ واللَّهِيبُ بمُهْجَتِي ... والـبَـيْـنُ جـرَّعَـنِـي الأسَـى تَـجْـرِيـعَـا
بـاللهِ يـا أهْـلَ الـهـوَى وبِـحَـقِّـهِ ... لا زالَ قـذرُكُـمُ بـه مَـزْفُـوعَـا
قُولُوا لمَن سَلَبَ الفُؤادَ مُصحَّحاً ... يَـمْـنُـنْ عَـلَـيَّ بِـرَدِّهِ مَـصْـدُوعَـا

وله من الرُّباعيَّات: [الدوبيت]

الـقَـلْـبُ إلـى سِـوَاكُـمُ مَـا مَـالاَ ... والـدَّمْـعُ لِـغَـيْـرِ بُـعْـدِكُـمْ مَـا سَـالاَ
إنْ كـان حَـسُـودُنَـا أتَـاكُـمْ ووَشَـى ... بـاللهِ بـلُـطْـفِـكُـمْ دَعُـوا مَـا قَـالاَ

٣٥- القاضي عمر الدُّوَيْكِي

هو في الفلَك، مُنَوِّر الحَلَك.
بمَرْأىً يَشِفُّ أحسن الشُّفوف، حِلْيَة لحْيَتِه كالقُطْنِ المنْدُوف.
وقد أُلْبِسَت المهابَةُ إهَابَه، فلو رآه الأسَدُ الوَارِدُ في غابِهِ لَهابَه.
وقد كَحَلَتْنِي الأيّامُ بِطَلْعَتِه، فوَقَفْتُ على صِبْغَتِه وصِفَتِه.
ورأيتُ شخصاً مُرَوَّقَ الشِّيَم، تَنْفح أخْلاقُه عن الزَّهْرِ بعد الدِّيَم.
وله أشعار نظَمها دَرارِيٌّ في أسْلاك، وأطْلَعَ منها كواكبَ سَابِحَةً في أفْلاك.
فمنها قوله من قصيدةٍ، مطلعها: [الكامل]

جـازَتْ عـلـيَّ تَـهُـزُّ فـي أزْدَانِ ... هَـيْـفَـاءَ رُمْـحُ قَـوامِـهـا أزْدَانِـي
تُـرْكِـيَّـةُ الألْـحَـاظِ لـمّـا أنْ رَنَـتْ ... نَـحْـوِي بِـصَـارِمِ نـاعِـسٍ أضْـمَـانِـي
غَـرْثَـى الـوِشَـاحِ تَـرَنَّـحَـتْ أعْـطَـافُـهـا ... مَـن ذا الَّـذِي عَـن حُـبِّـهـا يَـنْـهـانِـي

٣٥- هو عمر بن يحيى القاضي زين الدين الشافعي، المعروف بابن الدويك الدمشقي، من أفاضل الزمن وأدبائه وكان عارفاً بفنون عديدة، وله في الرياضيات، خصوصاً الفلك والميقات، مهارة تامة. وكان وقوراً مهاباً عظيم الهيئة. ولي القضاء بمحكمة قناة العوني ثم نقل إلى محكمة الباب.
وكانت وفاته في شهر رمضان سنة ثلاث وثماني وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير. اهـ. خلاصة الأثر (٣/ ٢٢٧).

Marfat.com

في خَدِّهَا الوَرْدِيِّ نارٌ أُضرِمَتْ ... فعجبْتُ للجنّاتِ في النّيرانِ
لمّا انثَنَتْ تَختَالُ في حُلَلِ البَهَا ... سَجَدتْ لِقَامَتِها غُصُونُ البَانِ
جَارَتْ على ضَعْفِي بِعَادِلِ قَدِّهَا ... عَجَباً فهَلْ ضِدّانِ يَجْتَمِعَانِ
لولا جَعِيد الشَّعْرِ مَعْ فَرْقٍ لها ... ما كان لِي لَيْلٌ وصُبْحٌ ثَانِي
قَسَماً بِطَلْعتِها ولَفْتَةِ جيدِها ... وبِثَغْرِها وبِقَدِّها الرَّيّانِ
وَبِنُونِ حاجِبها ورَوْضَةِ خَدِّهَا ... وبِلُطْفِهَا وبِحُسْنِهَا الفَتّانِ
لم أنْسَها لمّا أتَتْ بمَلابِسٍ ... قد طُرِّزَتْ بمحاسِنِ الإحْسَانِ
وافَتْ وَثَوْبُ اللَّيْلِ أسبل سِتْرَهُ ... حتى غَدَا كالثَّوْبِ لِلْعُرْيَانِ

هذا التَّشبيه عارٍ من لُطْفِ المعنى، وما أحقُّه أن يُشبَّه بتَشْبيه الماء بالماء.

فضَمَمْتُها ورَشَفْتُ بَرْدَ الثَّغْرِ كَيْ ... أُطْفِي بذلك حُرْقَةَ الأشْجَانِ
باتَتْ تُعاطِينِي كُؤُوسَ حدِيثِها ... وتُشَنِّفُ الأسْمَاعَ بالألْحَانِ
بِتْنا على رَغْمِ الحَسُودِ بِغِبْطَةٍ ... وبِفَرْحَةٍ ومَسَرَّةٍ وأمَانِ
حتَّى دَنَا الفجرُ المُنِيْرُ فَراعَنِي ... شَيْبٌ بِرَأْسِ اللَّيْلِ نَحوِي دَانِ

قلت: هذا شعر دعاني إلى إيرادِه صِدقُ العَهْد، والعنايةُ بالوُدِّ الذي هو خُلُقِي من حين لفظَني المهْد.

٣٦- ابو بكر، المعروف بغُصَيْن البَان

ما لُقِّب بالغُصَيْنِ إلا لنُضرَةِ نَمائِهِ، ورِقَّة طَبْعه الذي يكاد يقْطُر من كَثْرة مائِه.

هو المَعْنِيُّ بِكَثْرة المُوَشَّحات، التي يتغنَّى بها في كلِّ خضْرة، والمُطْلِع منها ما يسْتَغْني به مُشاهِدُ الشَّكْلِ الحسَن عن الماءِ والخُضْرَة.

وليس يخضُرُني من شِعْرِه إلا ما تراه، وتَتَمايَلُ به طَرَباً كالغُصن يَتَمايَلُ للصَّبا عِنْدَ مَسْراه.

فمن ذلك قولُه، ويخرج منه اسم داود بطريق التَّعمِيَة: [البسيط]

رَنَا فأثْبَتَ سَهْماً من لَوَاحِظِهِ ... في مُهْجَتِي ذُو قَوام يَافِعٍ نَضِرِ
ورَاحَ يَسْحَبُ ذَيْلَ العُجْبِ مُلْتَفِتاً ... في تِيهِه ومَضَى والقلْبُ في خَطَرِ

وقوله في اسم رمضان: [البسيط]

وشَادِنٍ من بَنِي الأتْرَاكِ مُعْتَدِلٍ ... وافَى وفِي وجْهِه خَالٌ لِمَنْ رَمَقَا
له عِذَارٌ بنَارِ الخَدِّ مُمْتَزِجٌ ... قَدْ هِمْتُ فيه ولا عَارٌ لِمَنْ عَشِقَا

Marfat.com

٣٧- عمر بن محمد، المعروف بابن الصُّغَيِّر

خليفةُ أبي بكر العُمَرِيّ وحَلِيفُه، وزميلُه في التَّعَارُض بالقَريض وأليفُه.
ومن اغْترَف مِن مَحَلِّ غَرْفِه، وهَبَّ عاطِرَ الأنْفَاسِ بِعَرْفِه.
والنَّسِيم يطِيب إذا مَرَّ بِرَوْضٍ أنْضَر، ومَن صَحِبَ العَطَّار لا يخلُو من أن يَتَعَطَّر.
وهو في الشِّعر مُكْثِر مُجِيد، ومُحَلِّي نَحْرِ للأدَبِ وجِيد.
إلاَّ أنَّه أغْربَتْ محاسُنه عن ناطِقٍ مُغْرِب، وطارتْ بأغْلَبِ أشْعارِهِ عنْقاءُ مُغْرِب.
فمِمَّا بلغني من شِعْرِه.
قولُه مُعمِّياً باسم خالد: [الكامل]

مُـذْ رَقَّ مـاءُ لـلْـجَـمـالِ بِـوَجْـنَـةٍ ... كـالـوَرْدِ فـي الأغْـصَـانِ كَـلَّلَهُ الـنَّـدَى
وتَـمَـثَّـلَـتْ أهْـدَابُـنـا فـيـه فـظـنُّـوهُ الـعِـذَارَ ولا عِـذَارَ بِـه بَـدَا

وهذا المعنى مُتَداوَل من قولِ بعضهم[1]: [الوافر]

أعِـدْ نَـظَـراً فـمـا فـي الـخَـدِّ نَـبْـتٌ ... حَـمـاهُ الـلـهُ مِـن رَيْـبِ الـمَـنُـونِ
ولـكـنْ رَقَّ مـاءُ الـحُـسْـنِ حـتَّـى ... أرَاكَ خَـيـالَ أهْـدابِ الـجُـفُـونِ

وزاد الأمير المَنْجكِيّ، وأحسن في قوله[2]: [الكامل]

لَـمَّـا صَـفَـتْ مِـرْآةُ وَجْـهِـكَ أيْـقَـنَـتْ ... أهْـوَايَ أنِّـي عُـدْتُ فـيـه خَـيَـالاَ
فـحَـسِـبْـتُ أهْـدابِـي بـخَـدِّكَ عـارِضـاً ... وظَـنَـنْـتُ إنْـسـانِـي بِـخَـدِّكَ خَـالاَ

وللمُتَرجِم، ويخرج منه اسم علوان: [الطويل]

فَـدَيْـتُ حَـبـيـبـاً زَارنـي بـعـد صَـدِّه ... ومِـن رِيـقـهِ والـلَّـحْـظِ حَـيَّـى بـقَـرْقَـفِ
سَـقَـانِـي ثَـلاثـاً يـا خَـلِـيـلـي وإنَّـهـا ... شِـفـاءٌ لـذِي سُـقْـمٍ وَرَاحَـةُ مُـدْنَـفِ

وله، ويخرج منه اسم سليمان: [المتقارب]

رأى عـاذِلِـي مُـنْـيَـتِـي ري فـي ... إزارٍ فَـحَـيْـدَ عـن نَـهْـجِـهَـا

٣٧- هو عمر بن محمد المعروف بابن الصغير. بصيغة التصغير. الدمشقي، شيخه الأدب بالشام بعد شيخه أبي بكر بن منصور العمري. كان شاعراً مطبوعاً، حسن التخيل، وله مشاركة في الأدب جيدة. قرأ في مبادئ أمره العربية وبرع حتى صار قيم الأدب. وكان له خبرة بالطب. ولم يتزوج في عمره.
وكانت وفاته في حدود سنة خمس وستين وألف، ودفن بمقبرة الفراديس. ا.هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٢٢٥).

(١) انظر خلاصة الأثر (٣/ ٢٢٥).
(٢) انظر ديوان الأمير منجك (٢٢٠)، وفيه:

..... أيقنت ... ناي إني عدت فيك خيالا
وظننت أهدابي بوجهك عارضاً ... وحسبت إنساني بخدك خالا

Marfat.com

وقد لامَ في مِثْلِ عِشْقِي لَهَا وما شاهدَ الخَالَ في وَجْهِهَا

ومما نسَبَه البَدِيعيّ إليه، وأظنُّه مغْصوباً ضَمانهُ عليه، قولُه: [البسيط]

أفْدِي الَّذِي دخَلَ الحَمَّامَ مُتَّزِراً بأسْوَدٍ وبِلَيْلِ الشَّعْرِ مُلْتَحِفَا

دَقُّوا بِطَاسَاتِهِم لَمَّا رأَوْهُ بَدَا تَوَهُّماً أنَّ بَدْرَ التَّمِّ قد كُسِفَا

وهذا تَخَيُّل حسَن، أجاد فيه وأحْسَن.

وأصلُه ما اشْتُهِرَ في بلاد العجم أنَّ القمرَ إذا خَسَفَ يَضْرِبُون على النُّحاس، حتى يَرْتَفِع الصَّوتُ زاعِمين بذلك أن يكون سبباً لِجِلاءِ الخُسُوف، وظُهور الضَّوْء، هكذا قاله بعضُ الأدباء.

والذي ثَبَتَ في أصْلِه ما نقله غيرُ واحدٍ، أن هُلاكو ملكَ التَّتار، لما قبض على النَّصِير الطُّوسِيّ، وأمرَ بقتْله لإخْبارِه ببَعْض المغَيَّبات.

فقال له النَّصير: في اللَّيلة الفلانيَّة في الوقت الفلانيّ يَخْسِفُ القمرُ.

فقال هُلاكو: احْبِسُوه، إن صدَق أطْلَقْنَاهُ وأحْسَنَّا إليه، وإن كذبَ قَتَلْنَاه.

فحُبِسَ إلى اللَّيْلَةِ المذكورة، فخَسَفَ القمرُ خُسُوفاً بالِغاً.

واتَّفَقَ أن هُلاكو غلَب عليه السُّكْرُ تلك اللَّيْلَة، فنَامَ، ولم يَجْسُر أحد على إنباهِه.

فقيلَ للنَّصِير ذلك.

فقال: إن لم يَرَ القَمَرَ بعَيْنِه، وإلاَّ فأُضْبحُ مَقْتُولاً لا محالة.

وفكر ساعةً، ثم قال لِلْمُغْل: دُقُّوا على الطَّاسات، وإلاَّ يذْهبُ قَمَرُكُم إلى يومِ القِيامَة.

فَشَرِعَ كلُّ واحدٍ يَدُقُّ على طاسَتِهِ، فعَظُمَت الغَوْغَاء، فانْتبه هُولاكو بهذه الحِيلَة، ورأى القمرَ قد خَسَفَ، فصَدَّقه، وبَقِيَ ذلك إلى يومنا.

ومن اللَّطائِف أنَّ أديباً من العجَم، وقد خفيَ عنِّي اسمُه واسْتَعْجَم.

كان صُحْبَتَه أميرٌ كبير، في رَوْضٍ يتفَتَّقُ عن عَبِير.

وبه بِرْكَةُ ما، أصْفَى من رِيقِه ألْمَى.

يَحُفُّهَا طائِفةٌ من الغِلْمان، هُذِّبت باللُّطْفِ طِباعُها، وتركَتْ بحُكْمِ صُورِها الجميلة في الأجْسام الصَّقِيلةِ انْطباعَها.

وفيهم فتىً زائدُ الاشْتِهار، كالبدر إلاَّ أنَّه يبْقى على ضَوْء النَّهار.

فحيَّاهُما بِجامِه، ووقفَ يُثِيرُ شَجْوَها بِرِقَّتِه وانْسِجامِه.

والبِرْكَة قد انْعكَسَتْ فيها تلك الصُّوَر الظَّواهِر، فتخالُها نُجوماً وهُو بَيْنها القمرُ الزَّاهِر.

فخامرتِ الأديبَ من خياله سَوْرَة، وتخيَّل أن البدر يُهديه نوره. ففطِن الأمير للأمر الذي وضح، وحرّك الماء بقضيبٍ فانْمحى الخيال الذي فضح.

Marfat.com

فدَقَّ ذلكَ الأديبُ على طاسٍ حتّى روَى غُلّة الصّدر، فسأله الأميرُ عن سِرّ ذلك، فقال: هذه عادتُنا إذا خَسَف البدْر.

وأبْدَعُ من ذلك وأطْرب، ما حكاه العُمريّ شيخُ الأدب.

أنّه كان بدِمشْق في بيتِ قَهْوَة، مُقِيماً لرسْم حَظٍّ ونَشْوَة.

وإلى جانِبِه أديبٌ يأنَسُ الفِكْر بآدابه، ويتعلّق الظّرْف بأهْدابه.

وبيْنهما حديثٌ يُفاوِحُ زَهْرَ الرُّبَى، ويُطارِحُ نغم حمام الأيْكِ مُطْرِبا.

إذا ببَدْرٍ حسَن فارقَ فَلَكَه، وسقَطَ لا يدْرِي أيَّ مسْلكٍ سَلَكَه.

حتى إذا دَنَا منهُما وقَف واسْتَوقَف، واخْتلسَ الألْبابَ جَذْباً إليه وما توقّف.

فطفِقا يُسَرّحان في محاسِنِه المعانِي ويُجِيلان الألْفاظ، وبِحُكْمِ الهوَى يمُدّان الأيْدِي ويُشِيران بالألْحاظ.

فما ردّدَا وَجْهاً ولا عِطْفاً، ولا جَنيَا وَرْداً باللّحْظِ ولا قَطْفاً.

حتى غَشِيَهُما شخْصٌ مَهُولُ المَنْظر في ذاتِه، إذا رأى الطّرفُ شَخْصَه، أحال اللهُ بيْنه وبيْن لذّاتِه.

فحال بيْنهما وبين ذلك البدْرِ التّمام، وحجَبه عنْهما كما يحجِبُ البَدْرَ الغَمام.

فقال ذلك النّدِيمُ: هذا خُسوف عَسَى اللهُ يُؤْذِن بزَوالِهِ، ونسألُه أن يدْفَعَ عنّا عُقْبى مَصائِبه وأهْوالِه.

ثم نظَرَ إلى ذلك الشّخْص وقد كشَف رأسَه، فإذا هو أقْرَعُ كأنّما رأسُه طاسَة.

فقال العُمَرِيّ: الآن تمّ التّخَيُّلُ من كلّ جِهة.

ثم أخذَ القلمَ، وكتبَ على البَدِيْهة: [الخفيف]

حبَس البَدْرُ أقْرَعٌ عن عُيونِي ... فغَدَا الطّرْفُ خاسِئاً مَطْرُوفَا

فتَناوَلْتُ رأسَهُ لِصَفاعٍ ... بِنِعالِي، وصُنْتُ عَنْهُ الكُفُوفَا

قال لِي اللاّئِمُونَ كُفَّ فَنَاً ... دَيْتُ دَعْوِنِي وأقْصِرُوا التّعْنِيفَا

عادَةُ البَدْرِ ينْجَلِي لَيْلَةَ الـ ... ـخَسْفِ بدَقّ النُّحاسِ دَقّاً عَنِيفَا

وتَراءَيْتُ طاسَةٌ فَجَعَلْتُ الصّـ ... ـفْعَ دَقّاً فكانَ عُذْراً لَطِيفَا

٣٨- أحمد بن محمد الصّفَدِيّ

إمام الدّزوِينشيّة

٣٨- هو الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الصفدي الدمشقي، الشافعي، ثم الحنفي إمام الدرويشية، ولد بصفد وقدم على دمشق وما جاوز العشرين بكثير، فأقام بجامع المرادية مشتغلاً بعلم القراءات ونسخ الكتب، وكتب كثيراً، ثم قرأ على جماعة من العلماء منهم الشيخ منصور السطوحي والشيخ عبد القادر الصفوري، واستجازهما فأجازاه، وحج فأخذ عن علماء الحرمين، ثم تقلبت به الأحوال إلى أن صار شاهداً بالمحكمة الكبرى، ومحكمة =

Marfat.com

صَفَد، وإن كانت صَدَف هذه الدُّرّة، فقد طلعتْ في جهة دمشق منها غُرّة، وأخسِنْ بها من غُرّة.

وبالتنقُّل تزتقي ذواتُ الأصْدافِ إلى الأغناقِ، ويغلُو ترابُ الأحجار إلى نُور الأخداق.

وهذا الأدِيبُ ممنْ صحِبْتُه دهراً، واختبرتُ خلائقَه سرّاً وجهْرَاً.

فلم أرَ مثلَه رجلاً مأمونَ الصُّحْبة، ميمونَ النفس والمحبَّة.

حِلْمه هضْبةٌ لا تسْتَخِفُّها الخدَع، وعلمه علامةٌ لا تستفزُّها البِدَع.

إن هَزَزْتَه لمكرُمة ازْجَحَنَّ، أو ذكَّرتَه بحُسْنِ عهدٍ حَنّ.

فكنتُ أتَوارَد معه على مُفاكَهَة إذا جُلِيتْ قما الرَّاح والتُّفاح، وإذا ذُكِرَتْ فما رَيْحان الأضْداغ إذا فاح.

وهو من مُكْثِري شعراء العصر ومُجِيديهم، وإن لم يكن من مُكثريهم بالعوائد ومُجتدِيهم.

ليس لأحَدٍ منهمْ عُشْرُ شِعْره، إلاّ أنّه مُنْفِقٌ منه على قَدْر سِعْرِه.

وقد أطْلعني على «ديوانه» المنتخَب، الذي ضمّنه نُخَب النُّخَب.

فجرَّدْتُ منه ما يعبَق عَبْقَةَ المِسْكِ الفَتِيت، ويَفُوه عن ثَغْرٍ ألْمَى معسول الرُّضاب شَتِيت.

فمنه قوله، في الغزل: [المديد]

راح يَثْني عِطْفَه مرحَا ... أيُّ صَبٍّ مِن هوَاه صَحَا

مفرَدٌ في الحسنِ ليس له ... من شَبِيهٍ فاقَ شمسَ ضُحَى

ينْجَلِي في ليْلِ طُرَّتِه ... منه مسكُ الخال قد نَفَحَا

خدُّه وردٌ ومُقْلَتُه ... نَرْجِسٌ يسْقِي النُّهَى قدحَا

مهجتي في حبِّه تلِفَتْ ... واضْطِبارِي في الهوى نزَحَا

ما رأينا مثلَه قمراً ... بالبَهَا يخْتال مُتَّشِحَا

قامَ يسْقي الراحَ من يدِه ... ضاحِكاً مستبشِراً فرِحا

لو له بدرُ السما لمَحَا ... في ليالِي تِمِّه لَمَحَا

كلما أشكو له تَرَحَاً ... في هواه زادني تَرَحَا

= الباب، ثم ترك وصار إماماً بجامع المرحوم درويش باشا وخطيباً بجامع الآغا.
وسافر إلى الروم مرات ونال جهات ومعاليم، ودرس بالعمرية ووعظ بالجامع، وكان يقيم أكثر أوقاته بالخلوة بجامع الدرويشية يدرس فيها القراءات والحديث والعقائد والفقه والأدب. وله من التآليف منظومة في العقائد، وكتاب جمع فيه ألف حديث.
وكانت وفاته في شهر ربيع الثاني سنة مائة وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير، ولم يتجاوز الستين بكثير ا.هـ. خلاصة الأثر (١/ ٣٥٦).

Marfat.com

هـــذه رُوحـــي بِـــه ذهـــبـــتْ صَـبْـوَةً والـدَّمـعُ قـد سَـفَـحَـا
وعـيـونِـي الـنـومُ حـارَبَـهـا بـعـدَ هِـجْـرانٍ ومـا اصْـطَـلَـحَـا

واتَّفق له بعد ما أَسَنّ، أنَّه خلَع الرَّسَن، وأزاح عن جَفْنِه الوَسَن.
فعشِق غلاماً يُدْعَى بَرباح هام به هَيمَان الوليد، وثبتَ ثباتَ الحجر الصَّلِيد.
فشاع فيه تَوَلُّهُه، وما أقْصر حبُّه عن تَنَزُّهه.
وقد علم أنَّ الإذاعة، أولُ طبقات الإضاعة.
ولما ثار عدوُّه، ولم يضْفُ رَواحُه وغُدُوُّه.
أقلع عن صَبْوته، واحْتبى من التَّخلِّي بِحَبْوَتِه.
واتَّخذ الفَراغَ سميراً، ولم يشْف للسَّلْوة ضميراً.
فمما قاله في أيام لَهْوِه، يَتَشاغَل به عن فَراغِه وسَهْوِه: [الخفيف]

راق وقتُ الـصَّـبـا نَـعِـمْـتَ صَـبـاحَـا فـأدِرْ لـي مـن خـمـرِ عَـيْـنـيْـكَ راحَـا
عـاطِـنِـيـهـا سُـلافَـةً مـن حـديـثٍ تُطْرِبُ السمْعَ في الرِّياض انْشِراحَا
وأعِـدْ لـي حـديـثَ كـلِّ حـديـثٍ ذاكَ لا شـكَّ يُـنْـعِـشُ الأرواحَـا
صاحِ طاب الزمانُ فاجْنِ جَنَى الْور دِ مـن الـشَّـادِنِ الأغَـنِّ مِـزاحَـا
واتْرُكِ الـشغـلَ واشـتـغـلْ بـحـبـيـبٍ عَـلَّ تـلـقـى مـن الـزمـان رَبـاحَـا

وكتبتُ إليه أيامَ ارْتباطه، ونشاطِه بالصَّبْوَة واغْتباطِه.
وقد شغلني ما شغلَه، ورأيتُ الرَّأيَ في أن أنْصاع له:
مولاي الأعلى، وسَنَدِيَ الأغْلى.
قد رُمِيتُ بسهم أنتَ به مُصاب، وشربتُ بكأسٍ أنت بها متجرِّعُ صَاب.
ولـم أدْرِ كيفَ فَرَّطت، ولا في أي حَتْفٍ تورَّطت.
غير أن المقدورَ كائن، والحَيْنَ لا شكَّ حائن.
وسببُ ذلك لَمْحَة، أعْقبَتْ مِحْنَةً في مِنْحَة.
من قمرٍ بزَغ من فلَك المُربَّع، لم يزدْ على العَشْر غير أربَع. [المنسرح]

لـو نَـظَـرَ الـوجـهَ مـنـه مـنـهـزِمٌ يـتـبـعُـه ألـفُ فـارسٍ وقـفـا

شَدَّ بَنْد نِطاقِه، فحلَّ عزائِمَ عُشَّاقِه.
يحسُد القلبُ طَرْفَه إذا لمحه بناظرِه، ويكاتِم سرَّه حتى ليَصونه عن أن يمُرَّ بخاطِره.
وإذا أهْدَى السلامَ لِسَلِيمِه، وَلَى بلُبِّه عن تسْلِيمه.
فعندما لَمَحْتُه، اسْتَمْلَحْتُه.
وأنْشَدت: [الطويل]

ولـم أنْـسَ لا أُنْـسِـيـتَ وِقْـفَـةَ حـائِـرٍ نَشَدْتُ بها ما ضَلَّ من شارِد الحبِّ

Marfat.com

رميتُ بعيني رَمْيَةً سَمحتْ به فلم أثْنِها إلاّ ومجْرُوحُها قلبِي

سجيَّةُ خاطِر، في التّعرُّض مُخاطِر.
وبديهةُ وارِد، لرأيه عنه شارد.
ولم أعرف له مكاناً، ولا ظَنَنْتُ له إمْكاناً.
حتى لَقِيتُه عندك ماثلاً، ولبدر أُفُقِك مُماثِلاً.
فقلتُ هنا تُنكَبُ العَبرات، وتُنال على ما يُرْضي الرَّبَّ المبرّات.
ووعدتَ باجْتماع ثانياً، ولم أعْهَدْكَ في أمري وانِياً.
فقلتُ عسَى يُلاحِظ سَعْد، فَيُسْتَنْجَز وَعْد.
ويعدِل زمان، فيُؤخَذُ أمان.
وقد زادت العلّة، ولم تُنْقَعُ الغُلّة.
فما بالُكَ تُمطِل مع الغِنى، وتُحوِج بعد المُنى إلى العَنا.
والمَحلُّ محَلُّ جامِع، ومَطْمَع طامِع، ومَرائِي راءٍ، ومُستَمع سامِع.
أيحنُّ سيِّدي من فَرْطة لسان، ومَذَمَّة إنسان.
وهو المشهود بدِيانتِه، المُحامَى على عِفَّته وصِيانته.
وإن تورَّط مُتورِّط، ورمى بنفسه مُفرِّط.
فيوشَك أن ترميَه جهنَّمُ بشرارِها، وأن ترجُمه الملائكةُ بأحجارِها.
وأمّا أنا فلي معك حالٌ ما حَال، وطُروقُ السُّلُوّ إليه أمرٌ مُحال.
فانا حافظُ ولائِك، الشاكرُ لآلائِك.
فتجدُني حيثُ تُنْجِدني، وتَعْهَدنِي على أبَرّ ما تعتقدني.
ومن غزلياته التي جرَّدتُها من شعره، قوله من قصيدة، أولها: [الطويل]

تذكَّر للأحباب رَبْعاً ومعْهدَا أسيرُ غرامٍ قد أقام وأقْعدَا
وأطلق سُحْبَ الدمعِ من مُقْلةٍ غدتْ قريحةَ جَفْنٍ دمعُها قد تنضَّدَا
أيرْجُو حياةً بعْدَ بُعْدِ أحِبَّةٍ وأنّى بها والهجرُ أورده الرَّدَى
يهيم اشْتِياقاً للحبيب فلا يرى سوى مَن أطال اللومَ فيه وفنَّدَا
أما رحمةٌ للمُسْتهام من الذي عَذابي به عَذْبٌ وقتْلي تعمُّدَا
غَزالٌ غَزا قلبي بنَبْلِ لِحاظِه وأضْرمَ أحْشائي بهجْرٍ توقَّدَا
نأى والأماني طامعاتٌ لقُرْبِهِ ولم ألْقَ يوماً للأمانيّ مُنْجِدَا
أطال سَقامي بالفؤادِ صُدودُه ومُقْلتُه ترمي الجريحَ مدَى المدَى
جميلُ المُحيَّا يُخجِل البدرَ وجْهُهُ وبالحسنِ ما بين الأنام تفرَّدَا
يُحجِّبُ عني الطيفَ كيْما يزورني وكيف يزور الطَّيْفُ شخصاً مُسَهَّدَا
رعى الله هاتِيكَ اللطافةَ والبَهَا وحيَّى محيّاً جيشَ صَبْرِيَ شَرَّدَا

Marfat.com

رَشـاً صـادَ بـالأضْـداغِ قـلـبَ مُتيَّـمِ ... وأورده بـحـرَ الـهـوانِ وأجْـهَـدَا
فـمن مُسْعدِي ممَّن هواه بمُهْجَتي ... ألـمَّ وأبْـدَى الـفَـتْـكَ فـيَّ إذا بَـدَا
بـديعُ صِفـاتِ الـحسن أخورُ طَرْفُه ... يُـريـنـا إذا مـا صـال سـيـفـاً مُـهَـنَّـدَا
بـروحـيَ أفْـدِي مَـن أنـا الـيـوم عـبـدُه ... وأنَّـى لـروحـي أن تـكـون لـه الـفِـدَا

وقوله من أخرى، أولها: [الكامل]

أمِـطِ الـلِّـثـامَ عـن الـجـبِـينِ الـمُـزْهِـرِ ... واسْـفُـرْ عـن الـوجْـهِ الأغرِّ الـمُـقْـمِـرِ
وامْـنَـح عـيـونـي نـظـرةً أحْـيَـى بـهـا ... فـلـقـد فـقـدْتُ تـجـلُّـدي وتـصـبُّـرِي
عـجـبـاً لـقـلـبـي كـم يُـقـاسِـي ذِلَّـةً ... والـذلُّ لَـذَّ لـه بـغـيـر تَـضَـجُّـرِ
وعـلامَ هـذا الـجسـمُ يـحـمـل لـلأذى ... وغـدَا نـحـيـلاً لا يُـرَى بـالـمـنْـظَـرِ
حسُـنَـتْ شـمـائِـلُـك الـجـمـيـلةُ كـلُّـهـا ... وبـدا لـعـيـنـي مـنـك مـا لـم يُـنْـكَـرِ
سرقـتْ غـصـونُ الْـبـانِ مـنـك تَـمـايُـلاً ... فـلـذاكَ قـد قُـطِـعَـتْ وحُـقَّ لِـمُـفْـتـرِي
يـا فـائِـقَ الـحُـورِ الـحـسـانِ بـوجْـهِـه ... وجـمـالِ عُـرَّتِـه الـمَـصـونِ الـمُـبْـهِـرِ
قَـسَـماً بوَجْـهِـكَ وهْـو شَـمسٌ أشْـرقـتْ ... وبـمـا بِـفِـيـكَ مـن الـرُّضـابِ الـمُـسْـكِـرِ
لا حُـلْـتُ عـن مُـرِّ الـهـوَى مـا دمـتَ فـي ... قَـيْـدِ الـحـيـاةِ ولـو بـعـثْـتُ لـمـحْـشَـرِ

وقوله من أخرى، مُستهلُّها: [الخفيف]

صـاد قـلـبـي بـلـحـظِـهِ قَـمَـرُ ... فـي مُـحـيَّـاه حـارتِ الـفِـكَـرُ
غـصـنُ بـانٍ يَـزيـنـه مَـيَـسٌ ... مـا لِـذِي الـلُّـبِّ عـنـه مُـضْـطَـبَـرُ
إن تَـثَـنَّـى بـلِـيـنِ قـامـتِـه ... خِـلْـتَ مِـنَّـا الـقـلـوبَ تَـنْـفَـطِـرُ
ذو دلالٍ يُـرِيـك مَـنْـطِـقُـه الـلَّـيـ ... ـنَ لـكـنَّ قـلـبَـه حَـجَـرُ
يـتـهَـادَى بـتِـيـهِ مِـشْـيَـتِـهِ ... رافِـلاً بـالـجـمـال يَـسْـتَـتِـرُ
بـهْـجَـةٌ تُـذْهِـشُ الـمُـحِـبَّ عـن الـتَّـيـ ... ـهِ فـيـهـا ويُـحْـجَـبُ الـبـصـرُ
ظَـبْـيُ إنْـسٍ لـثـغـرِه أرَجٌ ... طـيِّـبُ الـنَّـشْـرِ عَـرْفُـه عَـطِـرُ
فَـوْقَ الـسـهـمَ مـن لـواحِـظِـه ... لـفُـؤادِي فـأمْـرُه خـطـرُ
لا حـيـاةٌ لـعـاشِـقـيـهِ ولا ... جـبْـرُ قـلْـبٍ لـدَيْـهِ يُـنْـتَـظَـرُ
تـنْـقـضـي مُـدَّةُ الـحـيـاةِ ولا ... لـمُـحِـبِّـيـه يَـنْـقَـضِـي وطَـرُ
مـلِـكٌ جـائِـرٌ بـدولـتِـه ... قـد سـطـا مـن جُـفـونـه الـحـذَرُ
سَـمْـهَـرِيُّ الـقَـوامِ ذو غَـيَـدٍ ... أذعَـجُ الـلـحـظِ زانـه الـحَـوَرُ[1]
فـائـقُ الـحـسـنِ لا نَـظـيـرَ لـه ... وردُ خـدَّيْـهِ بـاهـرٌ نَـضِـرُ

(١) الاسمهرار: الصلابة والشدة. ا.هـ لسان العرب، مادة /سمهر/.

Marfat.com

ذو جَمالٍ يَجِلُّ عن شَبَهِ ... في معانِيه يَرْتَعُ النظرُ
كلُّ وقْتٍ أذوبُ فيه جَوًى ... آهِ ذاك القضاءُ والقَدَرُ
ليت شِعْرِي أراه يُنْعِشُني ... بِلقاهُ ويَحْسُن السَّمَرُ

وكتب إليَّ وأنا بالروم، في صدر رسالة قوله: [الخفيف]

مَن لِصَبٍّ أوْدَى به الإخْتِراقُ ... وبأخْشَائِه أضَرَّ الفِراقُ
جَعَلَتْهُ يدُ الغرامِ أسيراً ... دمْعُه من عيونِه دَفَّاقُ
يا لَقومي قد صاد قلْبي غزالٌ ... من بني التُّرْكِ بَنْدُه خَفَّاقُ
سَمْهَرِيُّ القَوامِ فاترُ لَحْظٍ ... أيُّ قلبٍ إليه لَيْسَ يُساقُ
قام يسْطو بمُقْلَةٍ في البرايا ... والبرايا لحسنِه عُشَّاقُ
حُبُّه حَلَّ في الفؤاد كحبِّي ... لكريمٍ نَوالُه دفَّاقُ
سيِّدٌ ساد بالكمال قَدِيماً ... ليس تُحْصِي صِفاتُه الأوْراقُ
عالِمٌ فاضِلٌ إمامٌ هُمامٌ ... بحرُ علمٍ جادتْ له الأخْلاقُ
واحِدُ الدَّهرِ في المعالي فريدٌ ... ماجدٌ في مَقالِه مِصْداقُ
إن قلبي ومهجتي وفؤادي ... وجميعي لِذاتِه أشْواقُ
دام في المجدِ راقياً لِمعَالٍ ... منا تعالتْ شمسٌ لها إشْراقُ

فكتبتُ إليه جواباً، وصدَّرتُه بقولي: [الخفيف]

كيف تُنْبِي عن شَوقِيَ الأوْراقُ ... وهْي مثلي جميعُها أشْواقُ
ضاق عن حَصْر ما نُلاقِي نِطاقُ الـ ... ـوُسْعِ فيمَن فِراقُه لا يُطاقُ
روضُ فضْلٍ ألفاظُهُ زاهراتٌ ... بعثتْ طِيبَ عَرْفِها الأخْلاقُ
فسقَى عَهْدَ وُدِّه الخَصيبَ رَقْـ ... ـرَاقُ الغوادِي ودمعِيَ الدَّفاقُ
حيثُ كنَّا وللزَّمانِ انْعِطافٌ ... وائْتِلافٌ ما بيننا واغْتِلاقُ
وبدورٍ كواملٍ ليس إلاَّ ... في الخُصُورِ الرِّقاقِ منها مَحاقُ
أشرقَتْنِي بالدمعِ مُذ غَرَّبتْنِي ... لا لأمرٍ بل شأنُها الإشْراقُ
يا رفيقي ولا أقول رفيقي ... لِسِوَى مَن طباعُه الإزْفاقُ
كن نَصِيرِي على البِعادِ فحسْبِي ... منه مالا تَقْوى له العُشَّاقُ
فلأنْتَ المُعِينُ إن عَنَّ خَطْبٌ ... وإليْكَ الحديثُ منه يُساقُ
وابقَ واسْلَمْ ما حَنَّ إلفٌ لإلْفٍ ... ودنا نحوَ حِبِّه مشتاقُ

وكنتُ وأنا بالروم وردَها، فأنشدته قصيدة مدحت بها الشريف أحمد بن زيد، مطلعها: [الوافر]

Marfat.com

يجوبُ الأرضَ مَن طَلبَ الكمالاَ ومن صحب القَنا بلغَ السُؤالاَ

فعارضها بقصيدة في مدح الشريف المذكور، وأنشدنيها، فلم يَعْلَق في خاطري منها إلا قولُه، في غزلها: [الوافر]

تسربَل من مَهابَتِه جلالاَ وأشرق وجهُه الباهي جَمالاَ
وأصبح رافِلاً في لازَوَرْدٍ يَتِيه على مُحِبِّيه دلالاَ
وماس بقامة غصناً رطيباً وأرسل من لواحِظِه نِبَالاَ
رقيقُ الخَصْرِ ذو طَرْفٍ كحيلٍ لَعَمْرُ أبيكَ يأبَى الانْتِحالاَ
جَنِيُّ الوردِ في خدَّيْهِ أضحى وحارسُه النَّجاشِي صارَ خالاَ
ترقْرقَ فيه ماءُ الحسن حتى ترى ناسُوتَه ماءً زُلالاَ

وأنشدني قوله: [الوافر]

إذا عانقْتُ مَن أهواهُ يوماً وكان القصدُ تقبيلاً بفِيهِ
ملكتُ عِنانَ نفْسِي عن هواها وإن تَكُ كلَّ وقتٍ تشتَهِيهِ

ولما مات، قلتُ أرثيه: [الكامل]

لَهَفِي على الصَّفَدِيِّ فردُ الدَّهرِ مَن لعُلاه كَفُّ المَكرُماتِ تُشيرُ
طودُ الفَضائِلِ دكَّه حكمُ القضا فالأرْضُ مِن أقصى التُّخوم تَمُورُ
فانظُر تجدْ عجَباً وقد ساروا به جبلاً غدا فوق الرجالِ يسيرُ

هذا المعنى مما تداوَلَتْهُ الشعراء، ولكن لم يقصِدوا ما قصدتُه من الإشارة لعظ الجثَّة، فإنَّ قصدَهم ليس إلا التَّوْصيف بالحِلم.

فمنهم المُتَنَبِّي في قوله[1]: [الكامل]

ما كنتُ آمُلُ قبل نعشِكَ أن أرَى رَضْوَى على أيدي الرجال يسيرُ

وابن المُعتزّ في قوله[2]: [السريع]

قد ذهبَ الناسُ ومات الكمالْ وصاحَ صَرْفُ الدَّهرِ أين الرِّجالْ
هذا أبو العبَّاس في نعشِه قوموا انْظُروا كيف تسيرُ الجبالْ

وأصله قول النابغة الذُّبْيانِيّ[3]: [الطويل]

يقولون جِضْنٌ ثم تأبَى نفوسُهم فكيفَ بجِضنٍ والجبالُ جُنوحُ

---

(١) انظر ديوان أبي الطيب (٦٤).
(٢) انظر ديوانه (٢/ ١٣٢) وفيه:
قد استوى الناس ومات الكمال .....
هذا أبو القاسم في نعشه .....
(٣) انظر ديوانه (التوضيح والبيان) (٩٨).

Marfat.com

وقد أبدع الشّهاب في قوله[1]: [السريع]

قيامةٌ قامَتْ بموتِ الذي ... بِمَوتِهِ ماتَ الندى والكمالْ
فإن شَكَكْتُم فانظُروا نعشَه ... وشاهدوا كيف تسير الجبالْ

٣٩-زين الدين بن أحمد البُصْرَوِيّ

هو لِذاتِ الأدبِ زيْن، وبه ينْجلي عن القلب كلُّ رَيْن.
وكان صَحِيبِي من منذ سِنِين، ولا أعُدُّه في العِشْرةِ إلاّ من المُخْسِنين.
مثابتُه عندي مَثَابَةُ الروضِ العاطِر، ومحلُّه من وُدِّي محلُّ القلب والخاطِر.
أذكره فأرتاح ارتياحةَ القُضُب المُلْد[2]، وأتذكَّرهُ فأشتاق إلى النعيم وجنَّة الخُلْد.
وهو من لُطْفِ الذّات، وشُفوف الخِصال المُسْتلَذّات.
ممَّن تَتَحاسَد عليه الأسْماعُ والعيون، ويُشْتَرى يومُ وَصْلِه بنوم الجفون.
وقد فقدْتُه أوّلاً فَقْدَ غُرْبَة، ثم غيَّبْتُه في تلك الغُربة غَيْبة تُرْبَة.
فانقطعتْ عنِّي بمَوْتِه إمْداداتُ الموادّ والمَوادّ، وهيهات هيهات أن يُتَدارَك ذلك الفَوات.
فرحم الله تلك الروحَ اللطيفة، ولا برحت سحائبُ الغفران بقَبْره مُطيفة.
فممَّا بلغني من شِعْره، ما كتبه إلى شيخنا المرحوم إبراهيم الخِيَارِيّ المدنيّ، وقد أهدى إليه فُسْتقاً: [الكامل]

لما تركتُ القلبَ عندكُمُ ... وغدوتُ مشغوفاً بكم صَبّا
وخشِيتُ أن تخْفَى مكانتُه ... صَيَّرْتُ ما يُهْدَى لكم قَلْبَا

فأجابه بقوله: [الكامل]

لما علمتَ القلبَ عندكُمُ ... أهْدَيْتَ لي من لُطْفِكَ القَلبَا

---

(١) هو الشهاب الخفاجي. انظر سلك الدرر (١/ ٢٤٥).

٣٩- هو زين الدين بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن زكريا بن خليل الشهير بالبصروي الشافعي الدمشقي، الشيخ العالم، الفاضل، الأديب.
ولد في جمادى الثانية سنة تسع وثلاثين بعد الألف، وأخذ عن الشيخ عبد القادر الصفوري والشيخ خير الدين الرملي، ورحل إلى الشيخ يحيى الشاوي المغربي المالكي بالروم وأجازه. وتولي تولية المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف مع إفتاء الشافعية بها، واستقام بدار الخلافة من الروم مدة وصار إماماً عند ابن الكوبريلي الوزير الأعظم مصطفى باشا، وتردد إلى دمشق مراراً. وله يد طولى في علم التاريخ وزاد أشياء في تاريخ الإمام جمال الدين محمد بن عزم المغربي نزيل مكة.
وكانت وفاته في محرم سنة اثنين وماءة وألف في منزلة يعزونة رابع مرحاة عن بلغراد راجعاً إلى إسلامبول، لأنه كان مع الوزير الأعظم مصطفى باشا الكوبريلي في السفر، وحضر فتح بلغراد، وفتح نيش، ودفن في المنزلة المذكورة وبني عليه قبرٌ من الأحجار على قارعة الطريق الآخذ إلى بلغراد. والبصراوي بضم الباء نسبة لبصرة الشام. ا.هـ. سلك الدرر (٢/ ١٢٠).

(٢) القضب المُلد: الأغصان الناعمة. انظر لسان العرب، مادة: /قضب/ و /ملد/.

Marfat.com

أكـــرِمْ بـــه مـــن زائِـــرٍ وافَـــى أطْفَـا الـلـهـيـبَ ورنَّـحَ الـصَّـبّـا

ومَنْزَع البُصْرَوِيّ ما كتبه جَدِّي العلاَّمة القاضي مُحبُّ الدين، إلى الأستاذ محمد البكْرِيّ، وقد أهْداه شيئاً من قلب الفُسْتُق: [البسيط]

لـمـا تـمـلّـك قـلـبـي حـبُـكـم فـغـدا مُـجَـرّداً مـنـه قـلـبـاً رقَّ واسـتَـعـرَا
حـرّزتُـه فـغـدا طـوعـاً لـخـدمـتـكـمْ مُـحـرّراً خـادِمـاً وافـاك مُـغـتـذِرَا
فـعـامِـلُـوه بـجَـبْـرٍ حـيـث جـاءكـمُ مـجـرّداً بـمـزيـدِ الـحـبّ مـنـكـسِـرَا

يقبِّل اليدَ الشريفة، ويلثِم الراحة اللطيفة.

ويُنهي إلى الحضرة عظَّم الله شأنها، وصانَها عمَّا شانها.

أنه أهْديَ إليه ما يناسب إهداؤه لأرباب القلوب، ويلائم إرسالُه لأصحاب الغيوب.

فقدَّم العبدُ رجلاً وأخَّر أخرى، في أن يُهديَ لجنابكم الشريف منه قَدْرا.

علْماً بأنه شيءٌ حقير، لا يُوازِي مَقامَكُم الخطير، وقد توارَى بالحِجاب حيث وافاكم وهو حَسِير.

وما مَثَل من يُهْدِي مثله إلى ذلك الجَناب، إلاَّ كالبحر يُمْطِره السحاب.

ثم إنَّه تهجَّم بإهْداء هذا القدر اليسير، فان وقع في حيِّز القبول انجَبَرَ القلبُ الكسِير.

وكتب البُصْرَوِيّ إلى الخِيارِيّ أيضاً: [الخفيف]

يـا نـسـيـمـاً مـن رَبْـوَةِ الـشّـامِ سـارِ عُـجْ عـلـى طَـيْـبَـةٍ أجـلّ الـدّيـارِ
وتـحـمّـلْ مـنّـي سـلامَ مَـشـوقٍ لـحـبـيـبِ الـمـهـيـمـنِ الـمـخـتـارِ
ولأصـحـابـه الـكـرامِ أُولـي الـمـجْـ ـدِ خـصـوصـاً أمـيـنـه فـي الـغـارِ
ولـقـومٍ قـد خـيّـمُـوا فـي ذَراهُ قـد حَـبـاهُـمْ مـولاهُـم بـالـجِـوارِ
سِـيّـمـا الأزوَعُ الـمـهـذّبُ مـن حـا زَ كـمـالاً مـا إنْ لـه مُـجـارِ
فَـرْعُ دَوْحِ الـعُـلـى وأصـلُ الـمـعـالـي نَـجْـلُ شـيـخِ الـورَى الأجَـلّ الـخِـيـارِي
زُرْه تُـبْـصِـرْ لـديـه كـلّ جـلـيـلٍ مـن عـلـومٍ ورائـقِ الأشـعـارِ
وحـديـثٍ ألـذّ مـن نـظـرةِ الـمـغـ ـشـوقِ وافَـى فـي غَـفْـلـة الـسُّـمّـارِ
وسَـجـايـا كـنَـكْـهـةِ الـمِـسْـكِ والـنّـدْ ـوردِ الـريـاض غِـبَّ الـقِـطـارِ

وكتب إليه أيضاً في صدر كتاب: [السريع]

يُـقـبِّـلُ الأرضَ حـمـاهـا الـذي ألـثَـمُـهـا أفـواهَ أهـلِ الـعُـلـى
عـبـدٌ إذا كـاتَـبْـتَـه ثـانـيـاً يـزداد رِقّـاً لـكـمْ أوْ وَلا

Marfat.com

هكذا نسبهما إليه الخِيارِيّ في «رحلته» وهما للبدر الغَزّيّ، تمثّل بهما، وقد راجعه عنهما بقوله[1]: [السريع]

يـا أيـهـا الـمـولـى الـذي ربُّـه ... خَـوّلـه مـن مَـنِّـهِ الأفـضَـلاَ
كـاتـبْـتَ عـبـداً ذا وفـاءٍ لـكـمْ ... مـا اخْـتـارَ تـحـريـراً ولا أمّـلاَ
أقـرَّ بـالـرِّقِّ لـكـم أوّلاً ... والآن إذْ كـاتَـبْـتـه بـالـوَلا

وأنشدني من لفظه لنفسه، ويخرج منه اسم سليم، بطريق التّعمية: [الرجز]

ولائـم لامَ عـلـى ... تـزكِـي طِـلاً كـالـعَـنْـدَمِ[2]
فـقـلـتُ حَـسْـبِـي قـهـوةٌ ... لـي فـي الـثُّـنـايـا والـفَـمِ

وقد تعارَض مع بعض المتأخّرين في هذا العمل، في قوله: [الطويل]

إذا عدِم الساقي الشرابَ ولم يجدْ ... شراباً به قلبي يطيبُ ويطرَبُ
فبين ثَنـاياه ومَبْسَمِهِنَّ لي ... شاربٌ من القَطْر المُذابِ وأعْذَبُ

وخاطبته في بعض قَدماته من سفَر: [الطويل]

قُدومُك زينَ الدين يا خيرَ قادم ... به ابْتَهَجَ النادِي وضاءتْ قِبابُهُ
فلا مَوْطِنٌ إلا اخْتَوتْهُ مَسَرَّةٌ ... ولا كَمَدٌ إلا وأُغْلِق بابُه

٤٠- أحمد بن يحيى الأكْرَميّ الصالِحيّ

شيخٌ هرِم، يحدِّث عن سَيْل العَرِم.
مُناجاته كلُّها سُكَّرٌ وأزى، وفُكاهاتُه مِلْؤُها شَبع ورِيّ.
وقد عَبَثَتْ به يدُ الأَلأواءِ، فصيَّرتْه طَوْعَ مُقْتَضيات الأهواء.
فحالُه أضْيَق من فم الحبيب، وأشدُّ غَصَّةً من يأس الطَّبيب.
إلا أنَّه وإن أرْهقه الدهرُ بصَرْفِه، ونَبا به كأنَّه سهادٌ في طَرْفه.
فصَفْحَتُهُ يُغشِي العيونَ ائتِلاقُها، وشِيمتُه ما غيرُ المكارم اغتِلاقُها.
وله شعرٌ جاش به خاطُره، فجاء كزهر الرياض فاح عاطِرُه.
فمنه قوله: [المتقارب]

ثـنـيْـتُ عِـنـانِـيَ عـن فِـتْـيـةٍ ... يَـرَوْنَ مـن الـعـار عـلْـمـي وكُـتْـبِـي

---

(١) انظر سلك الدرر (٢/ ١٢٢).
(٢) الطِّلاء: الخمر. والعندم: شجر أحمر. انظر لسان العرب، مادة: /طلا/ و /عندم/.
٤٠- هو أحمد بن يحيى بن محمد المعروف بالأكرمي الحنفي الصالحي الدمشقي، خادم مقام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي. شيخ معمر، فاضل، أديب، شاعر، كان مجموعة معارف تعلو بها الأقدار لكنه حظه نزر، فصيره بين أترابه في زمانه من البدر في الليالي الشتاء.
وكانت وفاته في صفر سنة أربع ومائة وألف. ا.هـ. سلك الدرر (١/ ٢١٤).

Marfat.com

وكانوا صِحابِي على زَغمِهمْ ... وكلُّهُمُ قد تهيَّا لحزبِي
فأعرضتُ عنهم لهم قالِياً ... ولم آلُ جُهداً بشتم وسَبّ
وإذْ ذاكَ لو هتفُوا بي هَلُمّ ... لمَا كنتُ يا صاحِ ممَّن يُلَبّي

وقوله: [الوافر]

أقولُ لأهْيَفٍ أضْحَى بقلبي ... مُقِيماً باختيارٍ واثقِيادِ
أيا حُلْوَ اللَّمَى واصِلْ مُحِبّاً ... ولا تقْصِد مُحِبَّك بالبِعادِ
وبَرِّدْ غُلَّتِي بالوَصْلِ إنِّي ... أخاف عليك من حَرِّ الفُؤادِ

وقوله: [الكامل]

سَقْياً لموقِفنا العشيَّةَ بالحِمَى ... نشكو الغرام ولفظُنا الألْحاظُ
وعواذلي لما تشابَهَ أمرُنا ... هجَعُوا أسىً لكنهم أيْقاظُ
فكأنّنا المعنى المُرادُ لطافةً ... وكأنهم في ضِمْنِها ألْفاظُ

وله من قصيدة، مطلعها: [الكامل]

لك لا لغيرِكَ في البريَّة أعْشَقُ ... يا مَن به ثوبُ الحشا يتمزَّقُ
يا مُخْجِلَ القمرِ المنيرِ وفاضِح الظَّ ... بْيِ الغريرِ لك الجمالُ المُشْرِقُ
إنِّي أضعتُ جميعَ عمري رغبةً ... في أن يُرَى لي من ودادك مَوْثِقُ
يا مَن به أضْحى فؤادي راتعاً ... في روضةٍ بجمالِه تتنمَّقُ
وغدا لساني ناطقاً في حبِّه ... بمدائحٍ تعلو ومدحٌ يشرِقُ
يا عاذلي في غير حبِّك مَطْمَعٌ ... كلاّ ولا قلب يميلُ فيعشقُ
أُمْسِي وأُصبِحُ في هواك بمقلةٍ ... تَنْدَى وقلبٍ من جلالك يخفُقُ
بالله يا فردَ الورى في حسنِه ... ارحمْ فريدَ هواكَ فهْو الأليَقُ
وتَلافَ قبل تلافِه فلقد غدَا ... في نَزْعِ ثوبِ الإضْطِبارِ يفتّقُ
واسألْ مُضاجَعةَ الضَّنَى ورفيقِه ... أعني النحولَ ترى الهوى وتصدّقُ

ومن مقاطيعه قوله: [الطويل]

وقالوا الذي تهْواهُ أصبح هاجراً ... وقد كان قِدْماً واهباً لنَوالِهِ
فقلتُ لهم ماذا يَضُرُّ لأنني ... شغِلتُ به عن هجرِه ووِصالِهِ

قوله «شغلت» مضمّن من قول بعضهم: [الطويل]

وقائلةٍ أنْفَقْتَ عمْرَك مسرفاً ... على مسرفٍ في تيهِهِ ودِلالِه
فقلتُ لها كُفّي عن اللّومِ إنّني ... شُغِلْتُ به عن هجرِه ووصالِه

Marfat.com

(فصل)

ذكرتُ فيه طائفةً تتلو تلك، من الشعراء الذين كل منهم لزينة الحياة دُرَّةُ سِلْك.
قد جمعني وإياهم الزمانُ والمكان، وأراهم خلَفوا مَن دخل في خبر كان، على أبدعِ ما في الإمكان.
وهب الله لهم أغماراً بقدْر ما يرضيهم، ولا أغدَمني التَّمَتُّعَ بآدابهم على تَنائِي أراضِيهم.
وكفانا ما نرجع إليه في تَجازِي النِّيَّات، إنه العالم بالخفيَّات، والمطَّلع على ما تتكافى به الطَّويَّات.
فمنهم:

٤١- عبد الرحمن بن إبراهيم المَوْصِلِيّ

هو في المَيْدان سابقٌ طَلْقٌ عِنانهُ، وكأنما حُشِرَ الصوابُ بين بيانِه وبَنانِه.
من ملأٍ رتعُوا بأنضرِ خَمِيلَة[1]، وبذلوا ما شاء السماح من عارفةٍ جميلة.
مكانُه في السُّراة ذِرْوَةُ التَّمام، وليديه في الجود آثار الغمام.
لا يتَبوَّأُ إلا ظلَّ الكرامة الأنْدَى، ولا يبيتُ إلا حيث المُحَلَّق والنَّدَى.
وقد متَّعني الدهرُ بُرْهَةً بحضرته، فتقلبتُ معه في بهجة العيش ونَضْرَتِه.
وسمعتُ لفظاً غذاءَ الرُّوحِ، وشاهدتُ خُلقاً فيضَ الملائِكةِ والرُّوح.
إلى تثبُّتٍ يستخفُّ الجبالَ الرَّواسِي، وانْعِطافٍ يُلين القلوبَ القَواسِي.
وأنا من ذلك العهد لا أفْتُر عن تذكُّره بخاطرِي، وأتمثَّل شخْصَه في ضميرِي حتى كأنَّه حاضِرِي.
وله أشعارٌ كلُّها نُكَت للمُتَمَلِّي، ومُلَح للذيق المُسْتَحْلِي.
وفيه نُخَبٌ للفُتَّاك، وسُبَحٌ للنُّسَّاك.
يقولُ ما يَشاء فتَسْتَحْسِنُه، وتُرِيد الطيرُ تحْكيه فلا تُحْسِنُه.

٤١- هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بالموصلي، الشافعي، الميداني، الدمشقي، الصوفي. كان أديباً، فاضلاً، بارعاً، ناظماً. ولد في سنة إحدى وثلاثين وألف، وطلب العلم، ومهر وساد، وأقبل على مطالعة الدواوين الشعرية.
وكان معتقداً عند خاصة الناس وعامتهم، مبجلاً معظماً، كريم الأخلاق، كثير السخاء، مصون اللسان، وقد اشتهر بالأدب وبهر وفاق على أهل عصره، ووالده كان فقيهاً فرضياً، حسن الخلق، مبذول النعم، وله ثروة وافرة.
وكانت وفاته في سنة ثماني عشرة ومائة وألف ودفن بتربة مسجد التاريخ في ميدان الحصار عن أولاد. وهم: الشيخ أحمد الذي جلس بعده مكانه خليفة، والشيخ حسن والشيخ إبراهيم رحمهم الله تعالى. ا.هـ. سلك الدرر (٢/٢٥٩).

(١) الخميلة: الأرض السهلة التي تنبت. ا.هـ . لسان العرب، مادة: /خمل/ .

Marfat.com

وقد أثبتُّ له ما يسترقص الجمادات طرباً، ويترك في كلِّ قلبٍ مضطرباً.

فمنه قوله: [الكامل]

عـجَز الـرُّقـاةُ عـن الـحجى ورقـائِه ... وكـذا الأسـاةُ عـن الـهـوى ودوائِـهِ
ثَكِلَتْهم الأعْشابُ وَيْحَ كِبادِهِمْ ... لـم يـعـلـمـوا مـا حـلَّ فـي سَـوْدائِـهِ
حُلوا الـمراكبَ والـغرائمَ واتْرُكُوا ... كُـلاً يـروح مُـزَمَّـلاً بِـبِـلائِـهِ
أبَنِي الـصَّبابةِ والـهوى مِن بعدنا ... إنِّـي لـكـم هـيـهـات مـن زَرْقـائِـهِ
لـيس الـهـوى بسَفاهةٍ من كالِحٍ ... فـدَعُـوا الـغـرامَ ومُـنْـتَـدى عـدوائِـهِ
إن الـصِّـيـانـةَ والـلَّـطـافَـةَ والـحيَا ... عـلَـمٌ عـلـيـه يـدُلُّ مـن أسْـمـائِـهِ
فـهـي الأمـانـةُ أنْـبَـأتْ عـن فضلِ مَنْ ... فـتَـق الـعـبـيـرَ وخـصَّـه بِـرِدائِـهِ

وقوله من أبيات: [الطويل]

لئِنْ كنتُ أسعى كلَّ حينٍ إليكُمُ ... وتعكسُني الآمالُ عن حبِّكم غَصْبَا
فلي أسْوَةٌ بالنجم للشرقِ سيرُه ... مدَى الدهرِ والأفلاكُ تنْحُو به الغرْبَا

هذا من قول الأرَّجَانِيّ[1]: [الكامل]

أنْحُوكُمُ ويُرَدُّ وجْهِي القَهْقَرى ... عنكمْ فسيْرِي مثلُ سيْرِ الكوكبِ
فالقصْدُ نحو المقْصدِ الأقْصى لكمْ ... والسيْرُ رَأْيَ العينِ نحو المغْرِبِ

وقوله: [الكامل]

سلبُوا الغصونَ مَعاطِفاً وقُدودَا ... وتـقـاسَـمُـوا وردَ الـريـاضِ خُـدودَا
طعنُوا القلوبَ بما تلاشَى دونه ... طَـعْـنُ الـرمـاحِ وسـدَّدُوا تـسْـدِيـدَا
فتنُوا الورى بلواحظٍ وتجاوزوا ... بالفتْكِ من نَهْبِ العقولِ حدودَا
وتـقـاسـمـوا أن لا يُـراعُـوا ذِمَّـةً ... لـمُـتَـيِّـم أو يـحـفـظـون عـهـودا
تركوا الحُلِيَّ شهامةً واستبْدلوا ... حُـلَـلَ الـمـحـاسـنِ والـبـهـاءِ وُرودَا
فغدَوْا بها مستعبِدِينَ أُلِي النُّهَى ... مـمـا يَـشِـيـقـكَ طـارفـاً وتـلـيـدَا
نظمُوا الثنايا في المباسمِ لُؤْلُؤاً ... تـحـت الـزُّمُـرُّدِ والـعـقـيـقِ عُـقُـودَا
تَخِذُوا البَنَفْسَج في الشَّقيق عوارِضاً ... والـيـاسَـمـيـن مَـعـاصـمـاً وزُنـودَا
بدَلوا الخُصورَ من الخَناصِرِ رِقَّةً ... واسْتَبْدَلُوا حُقَقَ اللُّجينِ نُهودَا
فهمُ الملوكُ الصائلون على الورَى ... وهـمُ الـظِّـبـاءِ الـقـانِـدونَ أُسُـودَا
نظروا إلى الجوْزاءِ دون مَحلِّهِمْ ... فعَدَوْا على هامِ السِّماكِ قُعودَا[2]

---

(١) انظر ديوانه (٥٧)، وفيه:

فالقصد نحو المشرق الأقصى لكم

(٢) السِّماك: اسم لنجمين أحدهما: السِّماك الأعزل، والآخر السِّماك الرامح. انظر لسان العرب، مادة: /سمك/.

Marfat.com

من كلِّ من جعَلَ الدجى فرعاً له ... والبدرَ وجهاً والصباحَ الجِيدَا
رَيَّان من ماء النعيم إذا بدَا ... خَرّتْ له زُهْرُ النجومِ سجودَا
كالماء جسماً غيرَ أن فؤادَه ... أَضحى على أهْلِ الهوى جُلْمُودَا
تزْدادُ من فَرْط الحياءِ خدودُه ... عند اسْتِماع تأوُّهِي تَوْرِيدَا
لو أبْصرَ النُّصّاحُ فائقَ وجْهِه ... عذَلُوا العَذُولَ وحارَبُوا التَّفْنِيدَا
أو لو رآه راهبٌ من بِيعةٍ ... ألقى الصليبَ ولازم التَّوْحِيدَا
كم ذا تُذكِّرني العقيقَ خدودُه ... والطَّرْفُ حاجِزَ والعِذارُ زَرُودَا
وإذا بدَا مُتلفِّتاً من عُجْبِه ... بالجِيد أذكرني طُلاه الغِيدَا
ما الظَّبْيُ أحسنَ لَفْتَةً من جِيدِه ... عند النِّفارِ وإن أقامَ شهُودا
يحْمِي اللَّمَى والخدَّ عقربُ صُدْغِه ... عن واردٍ أو من يروم وُرودَا
قد رقَّ منه الخَصْر حتى خِلْتُه ... عند اهْتِزازِ قَوامِه مَفْقُودَا
ما خُلْقُه إلا النسيمُ إذا سرى ... بين الرياضِ وإن أطال صُدُودَا

قلت: لولا أن قصْدي اسْتجلابُ الثناء لهذا الأديبِ، لضَنَنْتُ بهذه الأبيات خوفاً من أن لا يُراعَى حقها عند أهل التأديب.

ولوَدَدْتُ لو عُلِّقَت في جبهة الأسد الكاسِر، أو ضُمَّتْ للنيِّرات في الفلَكِ العاشر.

وقد عارض بها الأبيات المشهورة، المنسوبة إلى محمد الشهير بعبد الله، وهي هذه: [الكامل]

غصَبُوا الصباحَ فقسَّموه خدودَا ... وتناهبوا قُضُبَ الأراكِ قدودَا
وتظافروا بظفائرٍ أبْدَتْ لنا ... ضوءَ النهار بليلها معقودا
صاغوا الثُّغورَ من الأقاحِ وبينها ... ماءُ الحياةِ قد اغتدى موروداً
ورَأوْا حصى الياقوتِ دون نحورِهم ... فتقلَّدُوا شُهْبَ النجومِ عُقودَا
واستودعوا حَدَق المها أجْفانهمْ ... فسَمَوْا بهنَّ ضَراغِماً وأُسودَا
لم يكفِهِمْ حدُّ الأسنَّة والقنا ... حتى اسْتعاروا أعيُناً ونُهودَا

رُوِيَ مُسنَداً إلى أبي عمر بن شامل المالَقِيّ قال: لقيتُ يوماً الشيخ الخطير أبا محمد بن علي المَالَقِيّ، وكان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة فقال لي: أنشدني.

فأنشدته الأبيات المنسوبات إلى محمد الشهير بعبد الله، وهي هذه المذكورة.

قال: فلمَّا أتمَمْتُها صاح الشيخ، وأُغميَ عليه، وتصبَّبَ عرقاً، ثم أفاق بعد ساعة، وقال: يا بني، اعذرني، فشيئان يقْهراني، ولا أتملَّك عندهما نفسِي: النظرُ إلى الوجه الحَسَن، والشعر المطبوع.

وبيت النهود مما يكثر السؤال عنه، وقد رأيت في شعر ابن عمّار الأنْدَلسيّ بما هو مثله.

Marfat.com

وهو[1]: [م. الرمل]

كُفَّ هذا النَّهْدَ عنِّي ... فبقلبي منه جُزْحُ
وهو في صدرِك نَهْدٌ ... وهو في صدْرِيَ رُمْحُ

وأنا لم أدْرِكْ وجْهَه، ثم رأيْتُ في شعر ابن خلوف ما بيَّنه بعض البَيان، في قوله: [الخفيف]

وقُدودٍ كأنهنَّ رِماحٌ ... قد عَلَتْها أسِنَّةٌ من نهودِ

وأنشدني المَوْصِليّ لنفسه قولَه: [البسيط]

هم يحسَبون دموعَ العيْنِ مذ عطَفوا ... هي الدموعُ التي يوم النَّدى تَرِدُ
وإنما هي نَصْلٌ حَلَّ في كبدي ... من نَبْلِ جَفْنٍ ولم يشعُر به أحَدُ
فانْحلَّ ماءً وقد أمْسَى يُقَطِّرُه ... من اللهيبِ دموعاً ذلك الكبِدُ

ومن غزليَّاته الرقيقة، التي هي السحرُ في الحقيقة، قوله:

أما وبياضِ الدرِّ من ذلك الثغرِ ... وما فيه من خمرٍ وناهِيكَ من خمرِ
أماناً وما بالطرفِ من كلِّ صارم ... يجول بأجفانٍ مُلِئْنَ من السحرِ
يصول به في الناسِ ألْطفُ شادِنٍ ... بقلبٍ على العشَّاقِ أقْسَى من الصَّخْرِ
أسال عِذَاراً فوق خدٍّ كأنه ... سلاسلُ مسكٍ في صِحافٍ من التِّبْرِ
وإلا فَنَمْلٌ دبَّ فوق شقائقٍ ... مُبلَّلُ أطرافِ الأنامِلِ بالحِبْرِ
بعيدُ مَناطِ القُرْطِ أشْهَى لمُعْسرٍ ... إذا ماسَ تِيهاً بالدلالِ من اليُسْرِ
وأحْلَى من الماء الزُّلالِ على الظَّما ... وأوْقَعُ معنىً في النفوسِ من النصرِ
يكادُ من القُمْصانِ لولا وِشاحُه ... إذا فُكَّتِ الأزرارُ من لطْفِه يجري
فكم ثَمَّ دون الجِيدِ منه مآربٌ ... من الخَصْرِ تدعو العاشقين إلى النَّحْرِ
فمذ خبَّروني أن كوكبَ خَدِّهِ ... يُقارنه المَرِّيخُ أحسنتُ بالشَّرِّ
ركبتُ هواه بُكْرَةَ العمرِ راكِباً ... مطايا شبابي وارْتياحي مع الفجرِ
فأشفقتُ منه في الظهيرة راجلاً ... يُرِيني نجومَ الأفْقِ في ظُلمةِ الهَجرِ
متى قلت هذا الصُّدْغُ أبْدى عقارباً ... وإن رمتُ أجْنِي الوردَ أحماه بالجمْرِ

«أحماه» مثل حَمَاه، إلاّ أنّه يُقال فيما امتنع وتُنُودِر، كما هنا.

وإن مِلْتُ نحو الثَّغرِ قالتْ عيونُه ... يَزِيدك هذا الخمرُ سكراً على سُكْرِ
قريبُ مَرام النفس لطفاً وإنه ... لأعلى مَنالاً في الأنامِ من البدْرِ
ترقَّى به شِعرِي فعزَّ مَنالُه ... وأمْسَى كعِقدِ الدُّرِّ يزهُو على الصدرِ

(١) انظر سلك الدرر (٢/ ٢٦١).

Marfat.com

لئن جادَتِ الأيامُ يوماً بِوصْلِه يميناً فإني قد صفحتُ عن الدهرِ

قوله: «وإلا فنَمْلٌ» إلخ، من قول الوزير المَغْرِبيّ[1]: [الكامل]

أوحَى لوجْنتِه العِذَارُ فما أبْقَى على وَرَعي ولا نُسْكِي
وكأنَّ نَمْلاً قد دَبَبْنَ بها غُمِسَتْ أكارِعُهنَّ في مِسْكِ

ثم رأيت ما هو عينُ المأخذ، في قول العِزّ البغداديّ[2]: [الطويل]

كأنَّ عِذَارَيْه اللَّذَيْن تراسَلا هلالان من مسْكٍ وبينهما بدرُ
مُنَمْنَمَةٌ فوق الخدودِ كأنها مشَى فوقها نملٌ بأرجلِهِ حِبْرُ

وقد ضمَّن هذا المصراعَ بعينه، في أبياته المشهورة، حيث قال: [الطويل]

أنَبْتُ عِذارٍ أم شقائقُ روضةٍ مشَى فوقها نَمْلٌ بأرجِلهِ حِبْرُ
أم العنبرُ المفْتوتُ فوق وَجْنةٍ أسالتْهُ نارُ الخدِّ فانْبَهَم الأمْرُ
فحيِّي عِذَاراً أذْهل الصبَّ مُذْ بدا وإن ضَلَّ فيه العَقْلُ واخْتَلَطَ الفكرُ
يَتِيهُ به لَدْنُ القَوامِ مُهَفْهَفٌ له في اختلاسِ العقل من حُسنِه عُذْرُ
هلالٌ إذا ما قلت أمسى جَبِينه صدقْتَ ولكن دون طلعتِه البدرُ
تعلَّم منه الظبيُ لَفْتَةَ جِيدِه ومن طرفِه الوَسْنانِ يُسْتَنْبَطُ السحرُ
متى صافحتْ سمْعي رقائقُ لفظِه ترى كلَّ عضوٍ فيَّ داخَلَه السكرُ
يُمازج ألْفاظَ البلاغة صوتُهُ فيبْدُو لنا دُرّاً وفي ضِمْنه خمرُ
وتشكو ارْتِجاجَ القُرْطِ صفحةُ جِيدِه كما بات يشكو من غدائرِه الخَصْرُ
يُخبِّرُ عن كأسِ المَنونِ بصَدِّه ويقْتلني منه إذا هجَر الهجرُ
به غَزَلِي أضْحى وفيه مدائحِي ومنِّي لمعنى حسنِه النظمُ والنثرُ

وقوله: «يكاد من القُمصان لولا وشاحه». من قول بعضهم[3]: [الكامل]

أخْشَى الْتماسَ يديْه من تَرَفٍ به وأظُنُّه لولا الغلائِلَ سالا

خالد الكاتب: [المنسرح]

قد صاد قلبي وصار يملكه فكيف أسلُو وكيف أترُكُهُ
رطيبُ جسمٍ كالماء تحسَبه يسلُك في القلبِ منه مَسْلَكُهُ
يكاد يجري من القميصِ من النِّعـ ـمَةِ لولا القميصُ يُمْسِكُهُ

وقوله: «فأشفقت منه» إلخ، العرب تصف اليوم الشديد بظهور النجم فيه:

---

(١) انظر سلك الدرر (٢/ ٢٦٢).
(٢) انظر سلك الدرر (٢/ ٢٦٣).
(٣) انظر سلك الدرر (٢/ ٢٦٣).

Marfat.com

قال أبو صخر الهُذَلِيّ[١]: [الكامل]

إنّـى أرَى والـطـرف فـي سَـيْـرِي ... وَضَـحَ الـنـهـارِ وعـالِـيَ الـنّـجـمِ

وقد تصرَّف فيه المتأخِّرون وتَظَرَّفُوا، كابن لُؤْلُؤ في قوله[٢]: [المتقارب]

أمَـولايَ أشـكـو إلـيـك الـخُـمَـاز ... ومـا فـعـلـتْ بـي كـؤوسُ الـعُـقـاز

وجَـوْزَ الـسُّـقـاةِ الـتـي لـم تـزلْ ... يُـريـنـي الـكـواكـبَ وَسْـطَ الـنّـهـاز

ولمُجير الدين بن تَميم[٣]: [الخفيف]

بـأبـي أهْـيَـف تـبـدّى وحـيّـى ... بـابْـتـسـام عـدِمـتُ مـنـه اضْـطِـبـارِي

فـأرانـي بـوجْـهـه ومُـحـيّـا ... هُ نُـجـومـاً أطْـلـعْـنَ وَسْـطَ الـنـهـارِ

ولقد أبدع وأغْرَب الشهاب الخفاجيّ، في قوله من قصيدة نبويّة: [الطويل]

أتـى يـومَ بـدرٍ وهْـو بـدرٌ تَـحـفُّـهُ ... نـجـومُ سـمـاءٍ أطْـلـعـتْـهـا كـتـائـبُـهْ

فمذ برزوا في النّقْع شاهدَتِ العدى ... بـهـم يـومَ بُـؤسٍ لا تـغـيـبُ كـواكـبُـهْ

وللمترجَم معارضاً أبيات الشاب الظَّريف، في قوله: [البسيط]

يـا أحْـكـمَ الـنـاسِ أسْـيـافـاً وأسْـبَـقـهـمْ ... فـي مُـهْـجَـةِ الـصـبِّ فـتـكـاً دونه الأجَـلُ

وأنْـورَ الـوجْـهِ فـي الـدّيْـجُـورِ مـن قـمـرٍ ... تـحـت الأكـالـيـلِ مَـسْـبُـولٌ ومُـنـسَـدِلُ

مـا الـسـحـرُ ألـعـبَ فـي الألْـبـابِ مـن حَـدَقٍ ... دار الـشّـمُـول بـه مـن طَـرْفِـكَ الـكَـحِـلِ

كـلا ولا الـبـرقُ لـلأبْـصـار أخْـطـفُ مـن ... شـقـائِـقِ الـخـدِّ إن وافـى بـك الـخـجـلُ

مـن نَـظْـمِ ثـغْـرِكَ وهْـو الـدرُّ مـبـتـسـمٌ ... خـمـرٌ يـزِيـدكَ فـيـه الـشُّـهْـدُ والـعـسـلُ

فـي فَـتْـرة الَحُـسْـنِ مـن لـحْـظَـيْـكَ هـل فـتـكـتْ ... بـواتِـرُ الـطـرفِ أم مـن قـدّك الأسَـلُ

ومُـذْ تـمـادَتْ بـنـا الآجـالُ واخـتـلـفـتْ ... عـقـائـدُ الـقـوم مَـن لـلـحُـبّ قـد جـهـلُـوا

جـاءتْ تُـجـدِّدُ أحـكـامـاً لـدولـتِـه ... فـي مِـلّـةِ الـعـشـقِ مـن أضْـداغـك الـرُّسُـلُ

لـم يـذرِ مـا الـصّـحـوُ مُـذْ بـانـتْ ركـائـبُـكـمْ ... صَـريـعُ جَـفْـنٍ لأربـاب الـهـوى ثَـمِـلُ

أسْـتـودِعُ الله قـلـبـاً سـار مُـرْتَـحِـلاً ... بـالـخُـرّدِ الـغِـيـدِ مـاذا الـسـهـلُ والـجـبـلُ

وأبيات الظَّريف هي هذه[٤]: [البسيط]

يـا أقْـتـلَ الـنـاسِ ألْـحـاظـاً وأعـذَبَـهُـمْ ... رِيـقـاً متى كـان فـيـك الـصّـابُ والـعَـسَـلُ

قي صَحْنِ خَدّكَ وهْي الشّمس طالعةً ... وَزْدٌ يَـزِيـدك فـيـه الـرّاحُ والـخَـجَـلُ

---

(١) انظر شرح الهذليين (٢/ ٩٧٣) وفيه:
«أن أرى الذي قد أظن أنت ترى وضع النهار وعالي النجم».
(٢) انظر البيتان في سلك الدرر (٢/ ٢٦٣).
(٣) انظر البيتيان في سلك الدرر (٢/ ٢٦٣).
(٤) انظر البيتان في سلك الدرر (٢/ ٢٦٥). وليس في الأبيات ديوانه المطبوع.

Marfat.com

إيمانُ حبِّكَ في قلبي تجدِّده ... من خدِّكَ الكُتْبُ أو من لحْظِكَ الرُّسُلُ
إن كنتَ تُنكر أنّي عبدُ دولتكُمْ ... مُرْنِي بما شئتَ آتِيهِ وأمْتَثِلُ
لو اطَّلَعْتَ على قلبي وجَذْتَ به ... من فعْلِ عينيك جرحاً ليس يندَمِلُ

وله: [الطويل]

أُسامِرُ عِشقاً من خلائِقِه القتْلُ ... وحيداً ولا عهدٌ هناكَ ولا مطلُ
وأُصْبِحُ ظمْآناً وقد عقَرَ الظَّما ... فؤادي ولا وَبْلٌ هناك ولا طَلُّ
وكم أخْصَبَتْ سُحْبَ الأماني مطامِعي ... مَجازاً ويَرْمِيها من الوابلِ المَحْلُ
ورُبَّ عذولٍ فيه أشْقَى مسامعي ... بعذْلٍ فيا لله ما صَنع العَذْلُ
أقول له والطرفُ يقذِفُ مهجَتِي ... دموعاً لها من كل ناحيةٍ هَطْلُ
وبي من غرامٍ لو تجسَّمَ بعضه ... ومَرّ بأهْل الأرضِ لافْتَتَنَ الكُلُّ
ترقَّى إلى قلبي بكلِّ دقيقةٍ ... جميعُ هوَى العشَّاق وانْقطع الحبْلُ

٤٢- السَّيِّد محمد الحُصْرِيّ

نسيبٌ تناسَبَ فيه المدحُ والنَّسيب، وحسيبٌ ما مثلُه في كرم الطباع حسيب.
له همَّةٌ سابغَةُ المطَارِف، وسيادةٌ موصولةُ التَّالد بالطَّارِف.
مُرَوَّق الأخلاقِ صافِيها، مَشْمُول الشمائلِ ضافيها.
تكاد ترى وجهَك في خصالِه، ولا تُغبن إذا اشتريْت بِنوْم العيون يومَ وِصالِه.
وله أدبٌ يطَّرِد اطِّراد الغدير حَفَّتْ به خُضْرُ الوشائِع، وحديثٌ كأنه جَنَى النحلِ ممزوجاً بماء الوقائع.
وبيني وبينه ودٌّ صَمِيم، طَيِّب العَرْف والشَّمِيم.
أستدْعي الأمل لِلُقْيَاه ولو في الأحلام، وإمَّا اجْتِماعاتي معه فأكثرها تحيةُ الرؤيَةِ والسلام.
وقد وقفتُ له على شعرٍ قليل، فأثبتُّ منه ما هو لرأسِ المجد إكْلِيل.
فمنه قوله من قصيدة عارض بها قصيدة أبي الحسن علي الحُصْرِيّ، التي مطلعها[1]: [المتدارك]

يا ليلُ الصَّبُّ متى غَدُهُ ... أقيامُ الساعةِ مَوعِدُهُ

٤٢- هو محمد ابن السيد عمر ابن السيد أبي بكر، المعروف بالحصري الدمشقي. سبط البكري الحسيني. كان من خلاصة الأدباء النبهاء، فاضلاً، لوذعياً، ماهراً.
وقال المرادي: «لم أدر وفاته في أي سنة كانت غير أنه في سنة إحدى عشرة ومائة وألف كان موجوداً». ا.هـ سلك الدرر (٤/ ٧٤).
(١) انظر كتاب «أبو الحسن الحصري» (١٤٣-١٤٩).

Marfat.com

ومطلع قصيدته:

صَبٌّ بالهَجْرِ تُهَدِّدُه ... قد ذاب جوىً مَنْ يُنْجِدُهُ
والسُّقْمُ بَراهُ وأنْحَلَه ... فلِذَا مَلَّتْهُ عُوَّدُهُ
سهرانُ الطَّرْفِ له رَقَّتْ ... في الليل نجومٌ تُنْهِدُهُ
وغدا يشْدُو من فَرْطِ جوىً ... يا ليلُ الصَبُّ متى غَدُهُ
حتى مَ بزَورٍ تُوعده ... أقيامُ الساعةِ مَوعِدُهُ
يهْواهُ الصبُّ فيشْغُهُ ... أسَفٌ للبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
قمرٌ في القلبِ منازِلُهُ ... فعجيبٌ منه تباعُدُهُ
رَيْحانُ العارِضِ فيه حَوى ... خطّاً ياقوتُ مجوِّدُهُ
في الحسنِ فريدٌ بل ملَكٌ ... فتعَالَى الخالقُ مُوجِدُهُ
طَفْلٌ لحديث السحرِ غدَا ... عن بابل طرفٍ يُسْنِدُهُ
رَشأٌ للَّيْثُ بِمُقْلَتِهِ ... يسطو للْغابِ يُقيِّدُهُ
يرنُو باللحظِ فيحسَبه ... للقتلِ دعاهُ مُهنِّدُهُ
بالله أعِيذُكَ يا أمِلِي ... من قَتْلِ شَجٍ تتعمَّدُهُ
وازفُقْ بالقلبِ فإنَّ به ... جمراً قد زادَ توقُّدُهُ
واسْمَحْ بالغَمْضِ لعل بأنْ ... في النومِ خيالُكِ يُسْعِدُهُ
في قيْدِكَ قد أمسَى دَنِفاً ... هلاً في ذاكَ تُخلِّدُهُ

وله من قصيدة مطلعها: [م. الكامل]

خَفَقتْ على قلبي بنودُهْ ... رشَأ يُعذِّبني صُدودُهْ
ساجِي اللواحِظِ أغْيَدٌ ... كالبدرِ ينْبِي الظَّبْيَ جِيدُهْ
غُضُنُ النَّقَا لما رآ ... هُ هَوى فكانَ لذا سجودُهْ
إن ماسَ في حُلَلِ البَها ... تزْهو لطلْعَته بُرودُهْ
لا غَرْوَ أن فاق الملا ... حَ فإنَّها طُرّاً جنودُهْ
فاللَّحظُ يُطمِع بالوعـ ... ـدِ ولفظُه يبدو وعيدُهْ
نصبت حبائلُ أدْمُعِي ... شزكاً له فعسى يَصِيدُهْ
فاضْطاد رُوحي بعد ما ... قد أوْثَقَتْ قلبي قيودُهْ
كيف النجاةُ وسهمُ نا ... ظرِه باخشائي نَفُوذُهْ
يا فاتِكاً بعيونِهِ ... في مُهْجَتي وأنا شَهِيدُهْ
رفقاً بحال مُتَيَّمٍ ... للنجمِ ناظرُه رَصودُهْ

Marfat.com

واسمخ له في غَمْضَةٍ فلعلّ لو طَيْفاً يَعُودُهْ
ما ضرّ لو ناديْتَ مَن في الحبّ لا تُنسى عهودُهْ
فاللومُ ليس مُنقِّصاً وجداً تحكّم بل يَزِيدُهْ

وله من أخرى، مستهلُّها: [الطويل]

فؤادٌ من الهِجْران فيك مُروّعُ وقلبٌ من الأشواق والصدّ مُوجَعُ
ومقلةُ عينٍ كُحِّلَتْ بنَجِيعِها وفاضت على الخدّينِ منهن أدمُعُ
فمَن لي بِكِتْمَانِ المحبّةِ بعدما أذاعَتْ دموعي سرّ ما كنتُ أُودِعُ
أبيتُ وفي قلبي من الشوقِ لاعِجٌ وأغْدُو وقَدْحُ الشوقِ في الصدرِ يلمعُ
فلا الوجدُ إن بَان الأحبّةُ مُقْلِعٌ ولا الصّبْرُ إن دام التفرُّقُ ينفعُ
ففتِّشْ خليلي عن فؤادِيَ أوّلاً أهَلْ فيه للوجْدِ المبرِّح موضِعُ
لك الله هل يُرْجَى شفائي من الهوى وهل بعد هذا للتّواصُلِ مَطْمَعُ

ومن أخرى، مستَهلُّها: [الخفيف]

يا أخا البدرِ طَلْعَةً وجَبِينَا ونظيرَ الغصونِ قدّاً ولِينَا
مَن لنا أن تَمُنَّ بالوصْلِ يا مَن قد جعلتَ الصدودَ في الحب دِينَا
قد ضَلَلْنَا بليلِ فَرْعِكَ حتى ضاء صبحُ الجبين منه هُدِينَا
نحن مِن مُؤمِنيكَ في الحبّ صِرْنَا فاغْمِد السّيفَ عن قتالِكَ فينَا
ليس نَخْشَى حَدَّ الظُّبا من أُسودٍ بل ونخشَى من الظّباء العيونَا
وكفانا يا مُنيَةَ القلبِ أنّا من سَقامٍ ومن نُحولٍ خَفِينَا
لو لقيتُ الحِمامَ ما كان يُدْعَى بعظيمٍ ممّا به قد لَقِينَا
فالأمانَ الأمانَ من طولِ إغرا ضِكَ عمّن في الحبّ أمْسَى رَهينَا
والمحالُ المحالُ أنّي أسْلو كَ وأُذني تُصْغِي إلى العاذِلِينَا
كيف أسْلُو والوجدُ عندي عظيمٌ والهوى في الضُّلوعِ أمْسَى دَفِينَا

٤٣- عبد الرحمن التّاجِيّ الخطيب البَعْلِيّ

أديبٌ سامي القدْر، متوقّد كالقمر ليلة البدْر.

٤٣- هو عبد الرحمن بن تاج الدين بن محمد بن أبي بكر بن موسى بن عبده، الولي الكبير، المدفون في جبل الأقرع من أعمال أنطاكية، المعروف بالتاجي الحنفي البعلي، العلامة، البارع، الفاضل، المحقق، كان عالماً، هماماً، بليغاً، أديباً في غاية من الجرأة ذا وقار واعتبار وعقل تام.
ولد في بعلبك في سنة ست وأربعين بعد الألف. وقرأ الكثير على الشيخ عبد الباقي، وعلى السيد محمد البرزنجي، وأخذ عن الشيخ إبراهيم الكوراني المدني، والشيخ محمد بن سليمان المغربي، والشيخ حسن العجيمي المكي. وأقرأ الدروس الخاصة والعامة، وطلب لخطابة دمشق وخطب بها=

Marfat.com

حسن المحاضرة بالأشْيَا، وارِف الظِّلال والأفْيَا.
يجري على طرف لسانه، ما ينطق الدهرُ باستحسانه.
وهو أخٍ لكَ فيه الغَرض، جوهر أخلاقُه لا يشوبه عَرَض.
وفيه لوذَعِيَّة تُحبِّبُه، وبَشاشة تُزْلِفُه وتقرِّبه.
وبيني وبينه صحبة ألْحَمَتْها الآداب وسدَّتْها، ومودَّة ربَطَتْها موافقةُ القلْبين وشدَّتْها.
وهو اليوم طَلَّق الشَّعر ثلاثاً، ونقض غزْلَه أنكاثاً.
وتخلَّص لعلمٍ ينفعه في الحال والمآل، ويجدِّد له في الله كلَّ آنٍ ما تعوَّده أمانِيّ وآمال.

وقد أثبَتُّ له من أوائل شعره كلَّ بديع الوصف، زارٍ على الجوهرِ في الشفافية والرَّصْف.

فمن ذلك قوله من قصيدة، مطلعها: [الكامل]

تـذكَّـرتُ أيـام الـصـبـابـةِ والـصِّـبـا ... وعـيشاً مضى ما كان أحْلَى وأطْيبَا
زمـانـاً بـه كـانـت يـدُ الـدهـرِ بُـرْهـةً ... تُـقـمِّـصـنـي ثـوبَ الـسـعـادةِ مُـذْهَـبَـا
سقى الله ذاك الشِّعبَ غَيْثَ مَدامِعِي ... إذا الـغـيـثُ يـومـاً عـن مَـغـانـيـه قَـطَّـبَـا
مَـغـانٍ بـهـا كـان ائْـتِـلافُ مَـسـرَّتـي ... وإقـبـالُ عـيـشـي بـالـمـسـرةِ أخْـصـبَـا
مـنـازلُ فـيـهـا لـلـبـدورِ مـطـالـعٌ ... عـلـى أن فـيـهـا لـلـسـحـائِـبِ مَـسْـحَـبَـا
أقـمـتُ بـهـا بـيـن الـبـشـاشـةِ والـقِـرَى ... وإن شـئـتَ قُـل بـيـن الأحـبَّـةِ والـحِـبَـا
وكـم سِـيـقَ من نُـعْـمَـى إليَّ ونـعـمـةٍ ... وكـم قـيـلَ لـي أهـلاً وسـهـلاً ومـرحـبَـا
أبـيـتُ أجُـرُّ الـذيـلَ تِـيـهـاً ورفـعـةً ... ولا أرتـضـي غـيـر الـسِّـمـاكَـيْـنِ مَـضْـرِبَـا

منها:

ولـيـلـةِ سـعـدٍ مـا سـعِـدتُ بـمـثـلـهـا ... مـدى الـدهـرِ فـي تـلـك الـمَـعـاطـرِ والـرُّبَـى
أعـانـقُ لـلآمـالِ قَـدّاً مُـهـفْـهَـفـاً ... وألـثِـمُ ثـغـراً لـلأمـانـيّ أشْـنَـبَـا
فـذاك زمـانٌ كـلُّ عـيـشٍ بـه رِضـىً ... وكـلُّ نـسـيـم هـبَّ من صَـبْـوَتـي صَـبَـا
وكـنـتُ أرى أن الـزَّمـانَ مُـسـاعِـدي ... فـشِـمْـتُ بـه بـرقَ الأمـانـيّ خُـلَّـبَـا
فـبَـيْـنـا تـرانـي بـاسـمَ الـثـغـرِ ضـاحـكـاً ... إذا بـي أعَـضُّ الـرَّاحَـتَـيْـنِ تـلـهُّـبَـا

وأنشدني لنفسه قولَه من قصيدةٍ، أولها: [الخفيف]

= مدة، وكان حسن الصوت له المعرفة التامة في ألحان الموسيقى، وكان ذا ثروة ودنيا. وفي آخر عمره توجه لدار الخلافة في الروم واجتمع بشيخ الإسلام المولى فيض الله وأمره بالتوجه معه إلى أدرنة لقضاء مآربه فتوجه معه، ثم لما رجع منها بعد أن تزوج بامرأة أخيه العالم البارع المتوفي بقسطنطينية واستقام فيها مقدار سنتين، دخل بعلبك مريداً التوجه إلى داره بدمشق فأدركه الحمام. وكانت وفاته في سنة ست عشر ومائة وألف في بعلبك. ا.هـ. سلك الدرر (٢/ ٢٨٥).

Marfat.com

بـابـي أهـيـفٌ كـظـبـيٍ غَـرِيـرِ ... صـال فـينا بـسـيفِ لـحظٍ شَـهِـيرِ
أِلِـفَ الـصَّـدَّ والـنِّـفـارَ ولالا ... مـا عـهِـدنـاه بـالألـوفِ الـنَّـفـورِ
أسـرتْـنـي لِـحـاظُـه الـنُّـجْـلُ عَـمْـداً ... يـا لَـثـارِ الـمُـتـيَّـمِ الـمـهـجـورِ
أي ذنـبٍ جـنـيْـتُ فـي الـحب حتّى ... صـرتُ فـي الـعـاشِـقـيـنَ دون نَـصِـيـرِ
عـاذِلـي تـرْكُـك الـمـلامـةَ أخـرَى ... لـو تـحـرَّيْـتَ كـنـتَ فـيـه عَـذِيـرِي
لـــو تَـــراه وقـــد أدارَ عِـــذاراً ... مـثـلَ وَشْـيِ الـطِّـرازِ فـوق الـحـريـرِ
لـعـلـمـتَ الـغـرامَ إن كـنـتَ خِـلْـواً ... وعـذَرتَ الـعـمـيـد عُـذْرَ بـصـيـرِ
أو رشـفْـتَ الـزُّلال مـن رِيـقِ فِـيـهِ ... رُحْـتَ مـنـه بِـسَـكْـرَةِ الـمـخْـمُـورِ
زار فـي غَـفْـلَـةِ الـرَّقـيـبِ فـأحْـيَـى ... مَـيْـتَ هـجـرٍ بـسَـعـيـه الـمَـشْـكُـورِ
أوضـح الـفَـرْقَ واسْـتَـكِـنَّ بـفَـرْعٍ ... فـأرانـا الـصَّـبـاحَ فـي الـدَّيْـجُـورِ[1]
بـاتَ سُـكْـرِي مـنـه بـكـأسِ حـديـثٍ ... طِـيـبُ أنـفـاسِـه لـهـا كـالـعـبـيـرِ
ريـقُـه الـعـذْبُ لـي مُـدامٌ ونَـقْـلِـي ... لَـثْـمُ خَـدٍّ بـوجـهـه الـمـسـتـنـيـرِ
ثـم وَسَّـدْتُـه الـيـمـيـن وبـتْـنـا ... فـي نَـعِـيـمَـيْ مـسَـرَّةٍ وحُـبـورِ
لـيـلـةٌ بـالـعـفـافِ سُـرَّ بـهـا الـدهـ ... ـرُ فـكـانـت كـغُـرَّةٍ فـي الـدُّهـورِ
بـدرُهـا رام أن يَـنِـمَّ فـأرجـعْـ ... ـنـاه مـنّـا بـنـفْـثَـةِ الـمـصْـدُورِ

هذه نفثة مصدور، تصدَّت لتَصْدِية مرايا البدور.

ونـجـومُ الـسـمـاءِ مـنـظـومـةُ الـسِّـمْـ ... ـطِ كـنَـظْـمِ الـجُـمـان فـوق الـنـحـورِ
وسُـهَـيْـلٌ يـلُـوح طَـوْرَاً فـطـوراً ... يـتـحـامَـى كـخـائـفٍ مـذعـورِ
والـثـريَّـا قـد آذنـتْ بـانـقِـضـاءِ الْـ ... ـلَـيْـلِ تُـومـي لـنـا بـكـفٍّ مُـشـيـرِ

٤٤- شاهين بن فتح الله

إنسان طَرْف الفضل ومُقْلة مَآقِيه، وفارع هضَبَة البيان وراقي مَراقيه.

زُرَّتْ على الفضل أطواقُه، وما اهْتاجَت إلا للكمال أشواقُه.

وهو من لطفِ الطبع أرقُّ من الصهباءِ في رَوْقِ الصِّبا، ومن سلامةِ الناحية أطوعُ من قدودِ القُضْب لراحةِ الصَّبا.

وإلى ما حَواه من فكاهة يتسلّى بها المهموم، ومحادثةٍ يجعلها النديم عوضَ المشروبِ والمشموم.

وشعرٍ كَحَلْيِ الخَوْدِ حواشِيه تأتلف، ونثر كوَشْيِ الروض رقومه تختلف.

ولمَّا حَلَلْتُ القاهِرة، أتحفتْني الأيامُ بطلعتِه الزاهرة.

---

(١) الدّيْجور: الظُّلمة. ا.هـ لسان العرب، مادة: /دجر/.

Marfat.com

فنَعَتَني بِرّه عفواً، وسقاني كأسَ ودادِه صَفواً.

فقرّتْ برؤيَته عيناي، وأغناني بودّه عن أهلي ومغْناي.

فأنا وإيّاه بصِدقِ العِشْرة نتّسِم، وبِقَدْر الحب وحقّ هواه نقْتسِم.

وقد أهدى إليّ قصيدة أتحفني بها، وهي قوله: [الطويل]

خليليَّ ما أحْلى الوصالَ بلا هجْرِ ... وما منه أشْهى للمحبين بالحضْرِ

نعِمتُ به دهراً برَيْعان نشْأتي ... وذلك من أحْظى الحُبَى ليدِ الدهرِ

وبي أغْيدٌ حُلْوُ الشمائلِ وجهُه ... يُرِي حُسْناً وهْو في صورةِ البدرِ

أحاديثُه كالشُّهْدِ تحلو فكاهةً ... إذا ما اختساها السمعُ أغنتْ عن الخمرِ

يُشَغْشِعُ فَخواها ليَ الكأسُ لذّةً ... بنَكْهَةِ أزكى ما يكون من العطرِ

كأنَّ نسيمَ الروض بات يُعِلُّه ... فأهدى لنا من طِيبِه طَيْبَ النَّشرِ

فكرِّر بذكْرِ الكأسِ لي دَرّ دَرُّه ... تعِلّةَ قلبٍ من جَوى الحب في جمرِ

وإن يَحْكِ ريحَ الحب لطفاً فعاطِني ... وإن يُسوِّغْه الغناءُ على السُّكْرِ

فيا بأبِي منه الدلالُ مُعشَّقاً ... ويا حسنَ ذاك المغْطفِ اللَّيِّنِ الهَضْرِ

رنا بقوامٍ كالقضِيبِ ومُقْلةٍ ... يجُول بهُدْبَيْها غرارٌ من السحرِ

وماس وقدْ حار الوِشاحُ بخَصْرِه ... رَشاً لم يُطِق حملَ الوِشاح على الخَصْرِ

إليه تَوالاني هواه فمُذْ رأى ... وُلوعِي به غطّى التّعارفَ بالنُّكْرِ

وأغْفى وقد ولّى الغرامَ مَقاتِلي ... ووَلّى ولم يغْبَأْ بلَوْمٍ ولا عُذْرِ

فقلتُ وقد ضاقَتْ عليَّ وسائلي ... أُراجِعُهُ الطُّولَى بِفكِّ عَنا أسْرِي

حَنانَيْكَ لا تسمعْ مَقالاً لكاشحٍ ... بتنْمِيقِه يُغْوِي لمن بالجفا يُغْرِي

على أنني رُحْماكَ لا أحملُ الجفا ... وقد نفِذت مني الذّخائرُ من صبرِي

وجسميَ مَنْهوكٌ ولُبِّيَ ذاهلٌ ... وقلبي أسيرٌ آهٍ في قَبْضَةِ الهجرِ

وعنّي نأى زَهْوُ الشّبابِ ولَيْتَه ... يعودُ ويَثْنِي لي الأعنّةَ بالبشرِ

وهَبْ أنني أثْنِي إلى الودِّ عَزْمَةً ... فأينَ زمانُ اليسر من زمَن العسرِ

فيا سائِلي أين الزمانُ وطِيبُه ... ألا فاسألِ الأيامَ تُنبيكَ بالخُبْرِ

لقد عَوّضْتني الشّيبَ عنه وإنه ... يُقال وقارٌ لو يقال بلا وَقْرِ

فمِن بعدِه لم يَضْفُ عيشي ولم أمِلْ ... إلى لذةٍ هيهات تهتِف في الفكرِ

وجانبْتُ أنحاء القريضِ وسُوحَه ... بحيث أرى في سُوقِه النَّضّ كالغَرّ

وحتى استماعي للقريضِ سئمْتُه ... كأن سِيمَ سِغْرُ الشعر في الوزن بالشِّغْرِ

وأوحَشَت الآداب عني فخِلْتُها ... كمغْنىً لمغْنىً لاحَ كالآلِ في قَفْرِ

Marfat.com

فحرّكَ طبعي بعد ما كان جامِداً ... على ما امْتطاه من كَلالٍ ومن فَتْرِ
وآنَسَ من طَوْرِ المعالي مُخاطَباً ... تجلّى بأنواع المعاني على فكرِي
مُشِيراً إلى مولىً سَجايا كمالِه ... تهُلُّ سحاباً بالفضائل والبِرّ
ويُدْعَى بحقٍّ بالأمين وإسمُه ... محمدُ من نسلِ الكرام بلا نُكْرِ
ألا وهْو مولانا المُحبِّيّ إنه ... رقيق حواشي الطبع ضَخْم ذُرَى الفَخْرِ
ومِن فِتْية سَادوا وشادوا إلى العلى ... دعائِمَ مجدٍ نَوَّرتْ عملَ الفجرِ
وهم في سماءِ السُّؤددِ الشامخِ الذُّرَى ... سَراةٌ سرَوْا حَدّاً له النجمُ لا يسْرِي
وإنَّكَ يا مَولايَ جاوزْتَ حدَّهُمْ ... إلى مَفْخرٍ فوقَ السِّماكيْنِ والنَّسْرِ
وحُزْتَ مَجالاً في المعارِف واسعاً ... وَعلماً غزيراً جلّ مَعْ سَعَةِ الصَّدْرِ
وتهْذِيبَ أخْلاقٍ وحَسْبُكَ نِسْبَةً ... إلى الشرفِ المُذْلِي إلى المصطفى الطُّهْرِ
فإن تبْدُ شَمْسُ الأُفْقِ قُلتُ بأنها ... مُحيّاكَ لا أغْلُو وأنت بها تُزْرِي
وشِعْرُكَ أحْلى في النفُوس من المُنَى ... وأفْعَلُ في الألْبابِ من قَرْقَفٍ بِكْرِ
وقد نِلْتَ يا مولاي أسْنَى مآثرٍ ... تجِلُّ عن التَّعدَادِ في الفضلِ بالحَصْرِ
فمنها التآليفُ الحِسان التي غدتْ ... بما قد حوتْ كالدرِّ في لَبَّةِ الدهرِ
وناهِيكَ بالتاريخ فضْلاً فإنه ... حَرِيٌّ بكَتْبِ التِّبْرِ فضْلاً عن الحبْرِ
لما قد حوى أبحاثَ علمٍ أنيقةٍ ... تُمِيطُهشُحوبَ الشكِّ كاليُسْرِ للعسرِ
وتَقْرِيرَ أفهامٍ بديعٌ بيانها ... معانِيه أسرارَ البلاغة تَسْتَقْرِي
وتحريرَ منْقُولٍ وضَبْطَ وقائعٍ ... يُحقّق منها ما اسْتُرِيبَ من الأمْرِ
كتابٌ لأهْلِ الفضْلِ زُخْرُفُ روضةٍ ... يُسِيمونَ منها في مَعانٍ كما الزَّهْرِ
نَهَجْتَ به في الفضْلِ أبهَجَ منهجٍ ... تدُوم به حيّاً إلى الحشر والنَّشرِ
به ذِكْرُ من يَسْتَوجِبُ الذِّكْرَ في الورَى ... وإحْياءُ مَوْتَى للفضائِلِ بالذِّكْرِ
به يُهْتَدَى للغابرينَ ومَن مَضَى ... كما يهتدِي السَّارون بالأنْجُم الزُّهْرِ
كأنَّ مزايا ذكْرِهم في طُروسِه ... متى تتْلَ جناتٌ جداولُها تَجْرِي
لك الفضلُ فيما صُغْتَ من دُرِّ لفظِه ... نَسيقَ مَعانٍ خِلْنَ ضَرْباً من السحرِ
فجازاك ربُّ العالَمِينَ بفضْلِهِ ... جَزاءً يُنِيل الأجْرَ مَعْ رِفْعَةِ القَدْرِ
وأنتَ وأيْمُ اللهِ مُفْرَدُ عصْرِنا ... وحامي حِمَى الآدابِ في النظم والنثْرِ
تتيه بك الأيامُ قلّدْتَ عُطْلها ... وقلّدْت منها الجِيدَ من فضلِكَ الوَفْرِ
ومنك جَلاها من سَنا البرقِ شارقٌ ... وصَاكَ بها من عَرْفِكَ العنبرُ الشَّحْرِي
وهاك أيا مولاي منّي مدائحاً ... سهِرتُ بها والنَّجْمُ يَسبِرُ من فكري

Marfat.com

وما هي إلاّ الرّوضُ حَيّاك عَرْفُه ... وقد باكَرَتْهُ نَوْءُ فضلِك بالقَطْرِ
ومَعْ ذاك لم أقدُرْكَ حقَّك مِدْحَةً ... ولكنه جُهْدُ الأناشيدِ من شعري
وإن يكُ قد حازَ انْطِباعاً فإنه ... لَمُكتَسِبَتْه من خلائِقكِ الغُرّ
أُقِرُّ بعجْزي ليس شعري مُكافياً ... فَصَاحَتَكَ العظْمَى ولو صِيغَ من تِبْرِ
على أنّه ما اسْطَعْتُه وأعوذ مِن ... مَلامةِ تَقصِيري بعَفْوِكَ عن وِزْرِي

فكتبتُ إليه عنها جواباً، لا يزال سمعي يرشف راح أدبِه أكواباً: [الطويل]

ألا ليْت شعري والمُنى لَذّةُ العمرِ ... متى يرجع الطيرُ القديم إلى الوَكْرِ
نعَم في مِطال الدهرِ لي وَعْدُ أوْبَةٍ ... فمن لي بقلبٍ فيه يقْوَى على الصبرِ
أهُمْ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعه ... وحكم القضا فيما يُناقِضُه يَجْرِي
وما حيلةُ الظمْآنِ والماءُ دونه ... حِجابٌ من البِيضِ الصّوارِمِ والسُمْرِ
وفي ذمّةِ الأيامِ ما صَنع النّوى ... بجسمِي وما تُبْدِي المدامعُ من أمرِي
وعيشٍ كأخلاقِ الكرام قطعْتُه ... وصَحْبِي بسفحِ الصّالِحيّةِ والجسْرِ
يشِفُّ ضُحاه عن طُلاً من مُجَرّدٍ ... نقيٍّ وتفْترُّ العشيّةُ عن ثَغْرِ
وللطّير تَهْدارٌ بأيْكة روضةٍ ... إذا سَكت الشُخْرُورِ جاوَبه القُمْرِي
به من لُجَيْنِ الماءِ ينْسابُ جدولٌ ... ترَقْرَق في آصالِه ذائِبُ التِّبْرِ
يُهَيْمُنا في جنةِ الخلدِ وَصْفُه ... ويُملي علينا ما جهلْنا من السِّرْ
ودارتْ بكاساتِ المُدام سُقاتُنا ... كما دارتِ الأفلاكُ بالأنجُم الزُهْرِ
وما أسكرتْنا بعد صحْوٍ وإنما ... أعادتْ لنا في الحب سكراً على سُكْرِ
وأغْيَدَ إمّا قابَل البدرَ وجهُه ... أرَتْكَ به مرآتُه صورةَ البدرِ
إذا قرؤُوا والليلِ في وصفِ فَرْعِه ... قرأتُ لهمْ في مَغرِضِ الفَرْقِ والفجْرِ
تجمّع حسنُ الخَلْق فيه بأسْرِه ... فَفَرْقَ ما للعَاشِقينَ من الصبرِ
بمُنْعطِف لولا العيونُ تحُوطه ... لضلّ به الهِيْمانُ عن دَوْرَةِ الخَضرِ
يكادُ وِشاحاه يطيران خِفّةً ... ولولاهُما من رِقّةٍ كاد أن يجْرِي
وحُقّ عقيقٍ من فمِ شِبْهِ خاتَم ... به ختم الله الشّفاه على دُرّ
يصولُ بلحْظٍ للمَنايا مُجرّدٍ ... رهيبِ الشّبَا يخْتال في طلبِ الشّرْ
تُرى من غدا في السحرِ أُستاذَ طرفِهِ ... فهاروتُ لم يقدِر على ذلكَ السّحرِ
يضيقُ وعاءُ الدهرِ عنه جَلالَةً ... ومن عجَبٍ يحْوِيه مع ضِيقِهِ صدرِي
وما اخْترتُ حتى اخْترتُ حُبّيهِ مذهبي ... ومدحُ ابن فتحِ الله فَرْدِ الورى ذُخْرِي
فتىً قد حَمَدْتُ العيشَ منذ صحبْتُه ... وشافهتُ حظّي من خلائِقه الغُرّ

Marfat.com

أحيِّي إذا حيَّيْتُه الروضَ ناضراً ... وأشتَمُّ عَرْفَ النَّشْقِ من زهرة النَّهرِ
رطِيبُ مَهَزِّ الجُودِ مُورقُ عُودِه ... وأبلجُ وجهِ العَرْفِ مُستَوضَحِ البشرِ
إذا ما سقى غصنَ اليراعةِ نِقْسُهُ ... جَنَيْنَا ثمارَ الفضل في الورَقِ النَّضرِ
له الشِّيَمُ الشُّمُّ التي لا ينالُها ... فتىً علّق الأذيالَ بالأنجُمِ الزُّهرِ
تُبارِينَ أحداثَ الزمانِ فتَنْبَرِي ... كما انتفض العصفورُ من صَوْلَة الصقرِ
فتىً يتسامى بالتَّواضع جاهِداً ... ويعْجَب من أهل المَخِيلة والكبرِ
عليه من المجد المؤثَّل حُلَّةٌ ... تجرُّ ذيول الأريحيَّة والفخرِ
وفيه خصالٌ قصَّر الحمدُ دونها ... وأبلغُ شكرٍ يُستفادُ لها شكري
وإن أيادِيه ثَنتْ وجهَ همَّتِي ... إلى الخُلُقِ الفَضْفَاضِ والنَّائلِ الغَمْرِ
ولي فيه من صدق العناية لحظةٌ ... تُرِيني ابْتسامَ الحُظِّ عن شَنَبِ الثَّغْرِ
فشكراً لدهرٍ جاد لي بلقائِه ... فنَوَّهَ لي من حيث أدري ولا أدرِي
وسقْياً لأرضٍ ألَّفتْنا وحَضرةٍ ... بها ضمَّنَا كالعِقْدِ أستاذُنا البكرِي
عَلوْنا على النَّسْرين تحت جناحِه ... فنحن إلى ما فوق أُفْقيْهما نَسْرِي
وما زال يكسُونا شمائل غَضَّةً ... يَقَعْنَ مقامَ النَّوْرِ في المنبِتِ النضرِ
نُفَدِّيه بالخمسِ الحواسِّ وإننا ... لَنعقِد إن عُدَّت عُلاه على العشرِ
فحَيَّى على رغمِ الكواكبِ غُرَّةً ... يُرينا سَناها كيف شَعْشَعةُ البدرِ
عليها من النُّورِ الإلهي مِسْحَةٌ ... بها تَنْجَلي الجُلَّى ويُمْحَى دُجَى الإضرِ
أمولايَ يا شاهينُ لا زلْت دائماً ... مُجِدّاً إلى قَنْصِ المفاخرِ بالبِرِّ
فكم لك من صَيْداتِ فضلٍ وسُؤْدَدٍ ... يُرَى دونها وَقْعُ المُهنَّدةِ البُتْرِ
عرفتُك من بين الأنام فلم أكنْ ... لغيرك أطْوِي الصدرَ إلا على نُكْرِ
بعثْتَ إليَّ الرَّوْحَ في لَذَّةِ المُنَى ... وطِيبَ التَّهانِي في بُلَهْنِيَةِ العمرِ
فرائد آدابٍ نظمْتَ عقودَها ... مُفصَّلة تمتاز في الطِّرسِ كالشَّذْرِ
قَوافٍ كأنفاسِ الخُزامَى صَقِيلَةٌ ... بريح النُّعامى تَمْتَرِي عَنْبر الشَّحْرِ
فلا زلت تُهْدِي مثلَها من قصائِدٍ ... بها الشعرُ يبقى دهرَه نافق السِّعْرِ
ودُونكها عذراءَ لا عذرَ عندها ... لمن ليس يصْبو والهوى عنده عُذْرِي
تمازَجَ معناها ورائقُ لفظها ... كما مزَجوا ماءَ الغمامة والخمرِ
فإلاَّ تكُنه أو يكُنْها فإنه ... وإيّاهما سِيّانِ في سُرعَةِ السكرِ
وسامح فخطْبُ الدهر منِّي لم يدعْ ... مُعيناً على خَطْبٍ لقيتُ ولا فكرِي

Marfat.com

ومثليَ إذ أهداك نظماً يُجيده كمُهْدي الضِّيا للبدرِ والدُّر للبحرِ
فأنت إذا صُغت القوافي أرَيْت من يُجاريك فيها صنعةً أنْجَمَ الظهرِ
بقِيت على الأيام خيرَ مُؤمَّلٍ برأيكَ أستعدي على نُوَبِ الدهرِ
ولي فيك مدحٌ ليس يهرَم نظمهُ ولو صارت الأهرامُ كالعِهْنِ في مصرِ

وأنشدني من لفظه لنفسه، من قصيدة، مطلعها: [الطويل]

أما والْتِفاتِ الجِيد من مُشْبِهِ الدُّمَى وثغرٍ حوَى دُرّاً بديعاً منظَّمَا
وأوْطفِ أجفانٍ من السحر كُحِّلَتْ تغادر من قد غازَلتْه مُتيَّمَا
تسوق المُعَنَّى للصبابةِ والهوى وكم من وَلُوعٍ فات فيهنَّ مُغْرَمَا
حليفَ جَوىً طوعَ الغرام تقودُه دواعي التَّصابِي ناحلَ الجسم مُسْقَمَا
مُبَلْبَل بالٍ في محبَّةَ أغْيَدٍ بديعِ جمالٍ كلَّ جَورٍ تعلَّماَ
يَطُلُّ دمَ العُشَّاقِ جَوْراً لأجل أن يضرّج منه أبيضَ الخدِّ بالدَّمَا
رنا كالطُّلا والغصنِ قَدّاً وناظِراً يسدِّدُ سهماً والرُّدَيْنِيَّ قُوِّمَا
وحاوَلَ أن يرمي فؤادي وما درَى بأنَّ فؤادي لا يُبالِي بما رَمَى
لأنّيَ عن طُرْق الهوى مِلْت جانباً وجانَبْتُ لهواً للتَّصابِي مُيَمَّمَا
وهل بعد ما لاح الصباحُ بلِمَّتِي وفي ليل غَيِّي فجرُ رشدي تبسَّمَا
يَروق بأنّي يزدَهِيني تَعَشُّقٌ ومِلْتُ لحبِّ والشبابُ تصرَّمَا
فآهاً لأيام الشَّبابِ ولم أزَلْ على فَقْدِه ذا حُرْقَةٍ مُتألِّمَا
تبدَّلتُ عن طِيب اغتنامي لصحتي وعن لذتي فيها من السُّقْم مَغْرَمَا
وقاسيتُ ممّا بي ألَمَّ من الضَّنى ومن فادِح الخَطْبِ الذي جَلَّ صِلْدِمَا
وأحمَد ربّي حيث أبرأني الضَّنى وبي من أليم الكَرْبِ نجيَّ وسَلَّمَا
فما ظَبْيَةٌ قد عاقَها عن شُوَيْدنِ لها شَرَكٌ من صائِدٍ فوقها ارْتَمَى
وأقبل مسروراً إليها ورامَ أن يشُدَّ وثاقَيْها فأبصَرَ أرْقَما
يحاوله كاللَّيْث من كلّ وجهةٍ يُصاوِله أيّانَ سار ويمّمَا
فأُذْعِر منه حيث أُرْعِد خِيفَةً وأفلتها من خشية الصِّلّ مُرْغَمَا
فراحتْ كَرِيحٍ في الفَلا نحو سِرْبِها تُزيلُ غبارَ الموت عنها وعندَما
أتتْ خِشْفَهَا أحْنَتْ عليه بكلها وقد أرضعته بعد أن شَفَّه الظَّمَا
بأفْرَحَ مني يوم بُرْئِي من الضَّنى وجِئْتُ إلى مولاي فيه مُسَلِّمَا
ومُتِّعْتُ بعد اليأس منه بنظْرةٍ له ظَلْتُ فيها بالسرور مُنعَّمَا

ولي معه مجالس نمتحن فيها الأفكار، ونزُفُّ عرائس الأدب الأبْكار.

Marfat.com

من محاضرات تُوصِّل الأنس إلى سَواد القلب وصَميمه، ومحاورات تُمِيط الهمّ عن النفس وقد ألحَّ في تضميمه.

وأغلبها تَجرى في مجلس الأستاذ زين العابدين، مُنْتَدَى روائع الطرائف، ومُتَمَى بدائع الظرائف.

ومقصِد الأماني والأطْماع، وصيْقَل النَّواظِر والأسْماع.

حيث شمِل الفضلَ في انْتِظام، والحسنُ كلُّه مجتمعٌ جَمْعَ نِظام.

وهو - أبقى الله مُهْجَتَه، وحرس على الأيام بَهْجَتَه - يُقيِّدُ خُطَى الأبصار بالاقتصار عليه، ويأخذ بأزِمَّةِ القلوبِ بالانْحيازِ إليه.

ونحن نرى لقاءه فائدةً نكتسبها، ومحبَّته قُربةً عند الله نحتسبها.

فنَفِيض بإقبالِه فَيْضَ الأنهار، ويفوح ثناؤُنا في نادِيه فَوْحَةَ الأزهار.

فمما دار بيننا ذكرُ التَّصحيف فتعرَّفْنا مَزاياه، ثم انتهت بنا النَّوْبةُ إلى نوعٍ قريبٍ منه يُعْرَف بالمُعاياة.

فقال المترجَم شاهين: المتنبي.

فقلت له: تريد تُبْنَا هنياً لمن يَتُبْ.

ثم قلت له: أتينا نتباهى بكلامك.

وأردت: أنت يا شاهين كلُّ أمل.

فقال الأستاذ وقد أُحضِر عنب: العنب ثقيلٌ أكلُه.

يريد: العشق بلاءٌ كلُّه.

فقلت له: العين تقتل إن عَدَت.

وأردت: العشق بلاءٌ يعذُب.

وخاطبته بقولي: أبداً أبث ثناي نديّ أغلا نثر ينفث.

وأردت: يبقى زينُ العابدين أستاذنا.

وفيه مع التصحيف القلب، وهذا أصعب من الأول.

وذكروا منه: خيل مهلل أدهشتنا.

وتصحيفه مع قلبه، يؤدي إلى قولنا: أنت شهِد اللهُ مليح.

والتصحيف كما ذكروا أن تصحُف كلَّ حرفٍ بما يُماثله، والثلاث السُّنات التي في السين والشين تُصحَّف بثلاث حروف مماثلتها، كالباء والتاء والثاء والنون والياء، وتُصحَّف الكاف باللام.

والأحرفُ التي لا تُصحَّف أربعة: الألف، والميم، والهاء، والواو.

وأوَّل من صحَّف علي رضي الله عنه، في قوله: [المقتضب]

كلُّ عِنَبٍ الكَرْمُ يُغْطِيهِ إلاَّ عِنَبَ الذِّئْبِ

Marfat.com

كـلُّ عَـيْـبٍ الـكَـرَمُ يُـغَـطِّـيـ ـهِ إلا عَـــيْـــبَ الـــذَّنْـــبِ

ذكره ابن هشام في «مُوقِد الأذهان، ومُوقظ الوسنان».

ومن التَّصاحيف الحَسنة:

نصَحت فختني: تصحيف حسن.

السمْسم سرَقه عليٌّ وحياتِك: الشمس مشرقةٌ على وَجَناتِك.

المحتسِب طرح سبايِك: المُحِبُّ ينتظر حسناتِك.

ومما وقع منه بدِيهَة، أن المعتمِد بن عبَّاد سايَر ابن عمَّار وزيرَه، في بعض أرجاء إشْبِيلِيَّة، فلقيتْهما امرأة ذات حسن مُفْرِط، فكشفتْ عن وجهها وتكلَّمتْ بكلام لا يقْتضيه الحياء، وكان ذلك بموضع الجبَّاسِين الذين يصنعون الجبس، والجَيَّارين الذين يصنعون الجير.

فالتفت المعتمِد إلى موضع الجيَّارين، وقال: يا ابن عمار، الجيَّارين.

ففهِمَ مرادَه، وقال في الحال: يا مولانا، والجبَّاسين.

فلم يفهم الحاضرون المراد، وتحيَّروا.

فقال له المعتمد: لا تبِعْها منهم إلاَّ غالية.

وتفسيرها أن ابن عباد صحَّف «الحَيَا زَيْن» بقوله: «الجيَّارين»، إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياء، لازْدانت.

فقال له: «والجبَّاسين». وتصحيفه: «والخَنا شَيْن». أي: وهي وإن كانت جميلة بديعة الحسن، لكن الخَنا شَيْن.

وهذا شاذ لا يُلْحَق.

وذكر في «اليتيمة» أن قَسْوَرَة بن محمد كان مَن أوْلَع الناس بالتَّصْفحيات، فقال له أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب: إن أخرَجتَ مُصحَّفاً أسألك عنه، وصلْتُك بمائة دينار.

فقال له: أرجو أن لا أقصّر عن إخراجه.

فقال أبو أحمد:

في تنور هينم حمد.

فوقف حمار قَسْوَرَة، وتبلَّد طبعه.

فقال له: إن رأى الشيخ أن يمهلني يوماً فعَل.

فقال: أمهلتُك سنة.

فحال الحَوْل ولم يخْرِجْه.

فقال له أبو أحمد: هو اسمك، قسورة بن محمد. فازْداد خجَله وأسَفُه. انتهى.

فانْظُر تبلُّد طبعِه العراقيّ مع تَوقُّد ذلك الطبع الأندلسيّ، فمثل هذا ممَّا يقْضي لأهل الأندلس بكمالِ الفِطنة، والتيقُّظ.

Marfat.com

والمعجز الباهر لهم، ما حكاه بعضهم، أن ملكاً من ملوكهم طلب من وزيره أن يُملِّكه ابْنته، وكانت جميلة، فأبى، فحبسه ثم أطلقه بعد مدة، واسْتَدْناه إليه، وساءله عن حاله.

فقال: أندلسي.

يعني: أن ذُلِّيَ بَيِّن.

فقال له: أندلسي.

يعني: أبْذُل شيء.

فقال: أندلسي.

يعني: ابذُل بيْتي.

فقال له الملك: أندلسي.

يعني: أتَذَلُ شيء.

فقال له: أندلسي.

يعني: أبذُل بِنتي.

فقال الملك: أندلسي.

يعني: أُبدِل نِيَّتي.

فقال: أندلسي.

يعني: ايدك ينبي.

ومثله في سرعة البَدِيهَة قول بَلَنْسِيّ من أهل الأندلس، وقد سئل عن بلدِه، فقال: أربعة أشهر. يريد: ثلث سنة، وهو تصحيف بَلَنْسِية. انتهى.

وأما المُعايَاة، فقد ذكرت منها قولي: حسبُك حُسْنُكَ عِزّاً غَزّاً قلوبَنا فَلَوَيْنا الأعِنَّة إلاَّ عَنْه.

وقد ذكروا منها ما وقَّع به بعض الخلفاء إلى صاحب له، شكا الرعيةُ من ظلمه: غَرَّكَ عِزُّك فصَار قُصار ذلك ذُلّك فاخْشَ فاحِشَ فِعلك فَعَلّك تَهْدا بهذا.

ومنه: وقد وفَد وصِيف وصنَّف رجالَه رَجّالَة يريد يزيدَ الحَائنَ الخائن الجائر الحائر فالْتَقوا فالْتَفُّوا فَيالَ قِتالِ قَوْم قَوَّم حزبَهم حِزْبُهُمْ.

ومنه. يا بُنَيَّ نَابَنِي أمرٌ أمَرُّ مجدود مخذُور، عليه علَّته تقرع تُفْزِع قلبي فَلُبِّي وَالِهٌ وإلهُ أحْمدَ أحْمَدُ.

٤٥- اخوه مصطفى

طلع بدره تِماماً، وانسجمَ لفظُه غَماماً.

فأضاءت مَعاليه وأشرقتْ، وأُغِصَّتْ حاسِدِيه وأُشرِقتْ.

ولقد لقِيتُه بمكَّة جِوارَ الرُّكن والحَطيم، وهو مُفحِمُ قُسَّ وقيْس بن الخَطِيم.

Marfat.com

وأنفاسه ثَمَّةَ طيِّبةُ النَّفْح، وذكرهُ المعنى من العَقِيق والسَّفح.
يُراحُ إليه ويُغْدَى، وهو يتوسَّع ترفُّهاً وعيْشاً رَغْدا.
فكنت له مالكاً، وكان هو لي عَقِيلاً، أرتاد له مَعرِساً فيُهَيِّئُ لي مَقِيلاً.
وكانت عِشْرتي معه قُرُشُها المحامد، وخدَمُها الشاكر والحاسد.
شكراً يملأ سامعتِي الغَوْر والنَّجْد، وحمداً يهُزُّ عِطْفَي السُّؤدد والمجد.
وذكر لي من حديث فِراقِهِ لِمَحِلِّه، وتَنكُّبِه لِشَدِّ مَطِيَّتِه ورَحْلِه.
أنه كان في حِجْرِ خاله وهو دون التَّمييز، وقدَّر الله له المهاجرة فأصحَبه في كَنفِه الحريز.
ثم رحل في شبابه واغْترب، ونقَّب في الحجاز واليمن للتَّحصيل واضطرب.
حتى اسْتقرَّ بالحرَم المكِّي فامتزج بقُطَّانه، واشتغل بذخائر فضائلهم عن أهلِه وأوطانه.
وله عندهم منزلة به تَليق، ومَرتَبة هو بها خلِيق.
وقد جمع تاريخاً سال فيه من طبعِه مَعِينُه، وطلعتْ في قصور طروسِه أبْكارُه وعِينُه.
وكنتُ سمعتُ به ولم أظْفَر منه بالعَيان، فلمَّا رأيْتُه اتَّضحَ لي في حينه صِدقُ البيان.
ورأيت جَمْعاً يجمع من دَبَّ ودَرَج، حتى يقول من رآه: حدِّث عن البحر ولا حرَج.
ماشِيت من ترتيب غريب، وتطْريب من بَنانِ أريب.
إلى جزالةٍ مُشْرَبةٍ بحلاوَة، وسهولة مُتدفِّقة بطَلاوة.
إذا قال لم يترك مَقالاً لقائل، ونَفَسُه فيه طويل إلاَّ أنَّه لا يخلو من طائل.
وهو بسبب سَعَة اطِّلاعه، وشدَّة قيامِه بالطريقة واضْطلاعه.
لا يقْتصر على ما ينْبغي، ولا يمنَع من الذِّكْرِ المبْتغِي.
وبالجملة، فشكَر الله عليه سَعْيَه، وتوَلَّى بعضَ عنايةَ حراسَتِه ورَعْيه.
وكان أوقفني على مَجاميعَ بخطِّه، فاقتطفتُ منها ما حلا وطاب، وملأتُ من بدائع ذخائِرها النَّفيسة الوِطاب.
فمما تناولتُه من شعره:
قوله: [الخفيف]

حدِّثا عن صَبابَتِي واضْطِبارِي ... وازوِيا لَوْعتِي بخَالي العذارِ
وخُذا عنِّيَ الهوى فحديثي ... صَحَّ فيه وسُلْسِلَتْ أخْبارِي
يا رفيقيَّ من زمانِ التَّصابي ... والتصابِي مَظِنَّةُ الادِّكارِ
علِّلاني بالخَنْدَرِيس لَعَلِّي ... أرشُق القلبَ بازْتِشافِ العُقارِ
واسْقِياني ورَوِّحاني برَوْحٍ ... كالعقيق المُذابِ وَسْط النُّضارِ

Marfat.com

مـن يَـدَيْ شـادنٍ بـنـفـسـي أفْـدِيـ ... ـهِ مـلـيـحـاً خـلـعـتُ فـيـه عِـذارِي
مـائِـسِ الـقَـدِّ أحـمـرِ الـخَـدِّ أحْـوَى ... كـامِـلِ الـحـسـنِ أهْـيَـفٍ مِـعْـطـارِ
إن تـبـدَّى فـي ظِـلـمـةِ الـلـيـلِ أبْـدَى ... مـن سَـنـاهُ لـنـا ضـيـاءَ الـنـهـارِ
وإذا مـا رنـا بـطـرفٍ خَـفِـيٍّ ... سـلـبـتْ مُـقْـلَـتـاهُ مـنِّـي قَـرارِي
وإذا زارَنـي عـلـى غـيـرِ وعـدٍ ... عَـبـقَـتْ ريـحُـه إلـى كـلِّ دار
كـم أُدارِي الـعـذولَ والـوجْـدُ قـاضٍ ... بـافْـتِـضـاحِـي فـي حُـبِّـه واشْـتِـهـارِي
سـاحِـرِي بـالـلَّـحـاظِ مـاذا عـلـيـه ... لـو يُـوافِـي مُـضْـنـاه فـي الأسْـحـارِ

وكتبت إليه وقد توجَّه إلى الطَّائف، وتخلفت أنا بمكَّة: [الخفيف]

لـيس عـنـدي مـا أرْتـجـي مـن زمـانـي ... غـيـرَ لُـقْـيَـاكَ يـا أجـلَّ الأمـانِـي
فـعـلـى كـلِّ حـالَـةٍ أنـت قَـصْـدِي ... ومُـنَـايَ وأنـت نـورُ عَـيـانِـي
لا أرى الـعـمـرَ بـعـد بُـعْـدِك إلا ... حَـسـراتٍ قـد أرْدفـتْ أحـزانِـي
غـيـرَ أنِّـي أُعَـلِّـلُ الـقـلـبَ والـفِـكْـ ... ـرَ بـذِكْـري ثَـنـاكَ فـي كـلِّ آنِ
لا لأنـي أنـسـاكَ أُكْـثِـرُ ذكْـرا ... كَ ولـكـن بـذاك يـجـري لِـسـانِـي

ثم دعاني الشوقُ إلى ذلك الوادي البَهِيج، والمتنزَّه الذي يأخذ على البصر بمنْظره الرَّهِيج.

فشمَّرتُ لقصْده عن ساقِ الهمَّة، وجعلتُ رؤيتَه عندي من الأمور المهمَّة.

فخرجتُ من مكة وطرفي من الدمْع بالقذَى ملآن، إلا أنِّي أذكر مياه ذلك الوادي فلا أبيتُ إلا بغُلَّة ظمآن.

وكان عَرضَ لي في الطريق نَفْرَةٌ من لصِ طائف، فكدت أن أصير أثْيَةَ من فقِيدِ ثَقِيف بالطائف.

ثم سلَّم الله فحللْتُ بَطْنَ وَجّ، ونزلت بوادٍ تزوره السَّرَّاء من كل فَجّ.

وكان مُناخِي بالسَّلامَة أجمل مواضعه وأبهاها، وأحبُّها إلى النفوس وأشْهاها.

لإحلاله محلَّ النور من الإنسان، وإشْرافِه على فضاء يُبعِدُ فيه النَّظر إذا وقف للاستحسان.

ما بين غُصون مُلتفَّة، ومياهٍ بجُذْرانه مُحْتَفَّة.

ونادٍ يفوحُ أرَجُه، ووادٍ يلوح مُنْعَرَجُه. [الرجز]

أتَـيْـتُـه مـن بـعـد مـا كـاد الـرَّدَى ... يُـوردِنِـي مـوارِدَ الـنَّـدامَـهْ
فـالـحـمـدُ للهِ عـلـى رُؤْيَـتـهِ ... والـحـمـدُ لله عـلـى الـسَّـلامَـهْ

ولقِيت به المترجَم وقد وطَّأ فيه للرفاهية مضجَعاً، ومهَّد للعيش النَّضْر مهجَعاً.

وثَمَّةَ جماعة من الأوِدّاء أكْسبهم الله محبَّة كلّ فؤاد، وزرع لهم المودةَ في ملأٍ به ألفُ واد.

Marfat.com

فانْحَزْت في غِمارهم، وتمتَّعت حيناً بتُحَفِ أسمارهم.
وأذكر يوماً مرَّ لي معهم في روض اخضرَّتْ أشجارُه، وتنفَّست عن المِسْك أسمارُه.
مَهَزَّةُ نَبْتِه رَيَّانة، وصَبَوات سُحْبِه حَنَّانَة.
ماؤُه يبُوح صفاؤه بأسْرارِه، وتلوح حَضْباه في قَرارِه.
ونحن ننفُض أعطافَنا أزْيحِيَّةً، ونتهادَى رياحينَه تحيَّة.
وبيننا حديثٌ مُسْتَعذَب، يهُزُّ العِطف اهْتِزازَ العَذْب.
فقلت أصفه: [الكامل]

لله يـومُ الـطـائـفِ الـبَـهِـجِ الـذي ... نِـلْـنـا بـه أسْـنَـى مُـنَـىً وأمـانِـي
مـع فِتْيَةٍ غُـرِّ الـوجـوه حـديـثُـهـم ... مُـسـتـرِقٌ لـمـعـاطِـف الأغْـصـانِ
رأتِ انْـتـظـامَ كـلامـهـم أزهـارُه ... فـتَـنـاثَـرتْ فـي سـاحـة الـبـسـتـانِ
وكـذا الـدَّرارِي لـم يَـرُقْـهـا نـظْـمُـهـا ... فـرمـتْ بـأنْـفـسِـهـا إلـى الـغُـدرانِ

ولما فارقتهم وجئت إلى مكة على طريق كَرَى، وهو الذي يقول فيه شاعرهم:

عُجْ عـن كَـرَى فـهـو مُـزيـحُ الـكـرَى ... والـنـفـسُ مـنـه نـفَـسـاً تـخـرُجُ
وفـي الـهَـدَى ضـدّ الـهُـدَى مـسـاكِـنٌ ... يـوشِـكُ مـن يَـسـلُـكـه يـخـرجُ

كتبت إلى المترجَم:

حالي بعد فِراق أخي حالُ من فقدَ الرُّوح، وأضحى مُنازَع الجسمِ المطْروح.
وشوقي شوقُ الظمآن، لماء الغُدْران.
والساري في الظلام، لتبَلُّج البدر التّمام.
وأمَّا حديثُ سَفْرَتي التي أنْكَت، وأذْكَت حَرَّ هجِيرها فأبْكَت.
فمن حين وَدَّعت، أوْدعت القلبَ ما أوْدَعت.
لم تغلَط بي راحَةٌ إلا إلى الهَدى، ومنها بان عني الرشدُ وأخوه الهُدَى.
فعلوتُ ذِرْوَةً أرتْني نجومَ السماء مُظْهِرَة، وهَبَطْتُ نَجْوَةً كشفتْ لي تُخومَ الأرض مُظْهَرة.
فترجَّلْتُ هَيْبة وذعراً، وسلكتُ مسلَكاً ما رأيت مثلَه وَعْراً.
والرُّفْقَةُ كلٌّ منهم في واد، برُؤيتهم قُرَناء احتاجوا إلى قُوّاد.
لكنَّ منهم من تَاهَ وضَلّ، وأدركه الإعْياء فسَئِمَ الحياة ومَلّ.
ومنهم من أخذتْه الحيرة، واستولَتْ عليه من أحلامِه في كَراه الظَّهيرَة.
ومنهم، وهم الكثير، مُؤْتِمون موجوعون، زُمْرتُهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].
وأمّا أنا، فلو رأيتني وعصايَ لِقَوْسِ قَدْي وَتر، وقد جِئتُ من كل نُهْزَة للتهلُكة على قَدَر.

Marfat.com

وأيِسْتُ من السلامة، وعُذْت على نفْسِي بالمَلامَة.
رأيتَ شيْخاً وقف ثَنِيَّة الوَداع، وسلم نفسَه للحَتْفِ إمَّا بالطُّمَأنِينَة أو بالخِداع.
ولم يبْقَ منِّي إلا نَفَسٌ خافِت، وجسمٌ من النَّصَب هافِت.
فما تخطَّت في التخطي لي قدم، إلا وأخطأتُ خطأً كلُّه نَدَم، وعثرت عَثْرَةً غَصَّانَةً بدَم.
حتى لَطَف اللهُ تعالى بلُطْفه، وأوْلاني فريدَ رأفَتِه وعطفِه.
فرأيت المَحَطَّة وأحسَبني بها حالماً، وما تحقَّقْت البقاءَ، علِم الله، حتى وصلتُها سالماً.
فقعدتُ أنفُض غبارَ الموت، وأتفَقَّدُ قُوايَ فأرى قد فات فيها الفَوْت.
سوى بقيَّة لم أعدم بها فضلَ الأقْوات، وأُحسَب لأجلها من أحياءِ الأمْوات.
فلم يستقرَّ قرارُنا حتى شدُّوا من ذلك المكان، فانْحلَّ من عَقْد عزمي ما كان في حَيِّز الإمكان.
ثم رَحَّلنا العِيس، على ذلك الرَّأْيِ التَّعِيس.
وسرْنا إلى أن وصلنا إلى شداد، ونحن نطلب من الله تعالى أن يمدَّنا منه بأمداد.
مخلع [البسيط]:

فـمـا نـزلْـنـا حـتـى ركـبْـنـا ... والـحـالُ بـاقٍ وفـيـه شِـدَّهْ

فوقفتُ مُمْتَثِلاً، وأنشدت قولي متمثِّلاً: [المجتث]

شَـدُّوا فـحَـلُّـوا فـؤادِي ... وكَـثْـرَة الـشـدِّ تُـرْخِـي

فنزلنا بعد رُبْع الليلِ عَرَفة، ورأى كلٌّ منا صاحبَه وعَرَفه.
فوقفْنا، وما توقَّفْنا.
إلى أن هيَّأوا لنا مَراحاً، وما تقيَّدوا به إلا وهم يبْغون سَراحاً.
فجلسنا بعضُنا شاكٍ فقد أحبابَه، والبعضُ الآخر شاكٍ من الحجارة وما أصابه.
وأنا بينهم ساكتٌ ألْفَا، وناطِقٌ خَلْفَا.
كيف وقد خلَّفتُ ما يُورثُ الهَذَيان، وتأبَى مواقِعُه أن يحُوم حولها النِّسْيان.
ثم انْكَفأنا انْكفاء الحَيا، ولسان الحال يقول: لا سَقْياً ليومنا ولا رَعْيَا.
فما راعَنا إلا المُكارِي وحزبه ينادون: هيَّا فارْكبوا، طلعَ الفجر.
فأبْعَدُوا المَدَى، وأزعَجُوا الصَّدى.
فنهضت من مَرقَدي نهضةً جَفْلة، وما أحسَبني تنبَّهت من غَفْلَة.
وركبت الليلَ البَهيم، والشوقُ إلى الرُّقاد شَوقُ الْهِيم.
وما برِحْنا في برح وعَنَا، حتى وصلْنا مع الشروق إلى مِنَى.
فقلت لـرفيقٍ لي انْتَخَبْتُه، ولمثل هذا الأمْر انْتَجَبْتُه:
هلُمَّ فَلْنَسْتَرِحْ ونُرِح، ونَقِيل في هذا المكان المُنْشَرِح.

Marfat.com

فقِلت وقال، وأقلْتُ عَثْرَةَ الدهر وأقال.
واطمأنَّ بنا الجلوس حِصَّة، وأرخْنا بها مضَّة وأزخنا غُصَّة.
وأخذْنا جانباً من النوم، إلى أن نصَّفْنا ذلك اليوم.
ثم ركبْنا الطريق، وفي القلب إلى الخَرِيق أشدُّ الحريق.
فلم تكُن إلا هُنَيْئة وصلنا فيها الحرَم الآمن، وبثَثْنا ما في الضمائر من الشوق الكامِن.

وفارقتُ رفيقي وأنا على عهدِه الأمين، وذهب ذاتَ الشِّمال وذهبتُ ذاتَ اليمين.
وآليت لا تحرَّيت كَرَى ثانياً، ولا ألْوَيْت عِنانَ عزْمي لَثَنِيَّتِهِ ثانياً.
ولو جُعِلت الجِبالُ دَكّاً، وأُغطِيتُ أرضَ الحجاز مُلْكاً.
وأنشدت: [الرمل]

إن كَـرَى خَـضْـمُ حـيـاتـي فـلا ... رأيـتُـه أُخْـرى ولـو فـي كَـرَى
فـراحـتِـي مـن يـومِـه أصـبـحـتْ ... كـواصـلٍ لـمـا رأتْـنـي كَـرَى
وإن مـن أقْـطَـعِ رَوْعـاتِـه ... لَـجُّ الـمُـكـارِي فـي كِـرامَـا كَـرَى

وكتبتُ إليه من دمشق:
أُهدي من طيِّب التَّحايا، عددَ فضائل سيدي الساميَة، ومن التحيَّات المقْرونة بنشْر المزايا، قَدْرَ أيادِيه الفائِضَة النامية.
وأمَّا تَشوُّقي للقائه، وتشوُّفي لتلقِّي الأخبار من تِلْقائِه.
فكما قلت: [المجتث]

شَـوْقِـي لـتـلـك الـلُّـقْـيَـا ... شـوقُ الـرُبـى لـلـسُّـقْـيَـا
وحَـقٌ مـن مَـيَّـزه ... بـيـن الـورى لـلـعَـلْـيَـا
مـا اغـتَـضْـتُ عـنـه بـديـلاً ... بـكـلِّ مَـن فـي الـدُنـيَـا

وقلبُ سيدي شاهدٌ بوُدٍّ مني مُرسَل متصِل، وحديث دعاءٍ مرفوع إلى القبول غير مقْطوع ولا منْفصل.
وغايةُ المسْؤول، ونهاية المأمول، أن يُيَسِّرَ الله تعالى حالةً يعودُ بها الأُنس إلى أحسن نَضْرَته، ويُعيد لنا تلك الأوقات السعيدةَ المسعودة بحضْرَته.

٤٦- إبراهيم بن محمد السَّفَرْجَلانيّ

أحسنُ المحاسِن العصريّة، وآدابهُ أذْكَى الرياحين الطَّريّة.

٤٦- هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الكريم بن أبي بكر المعروف بالسفرجلاني، الشافعي، الدمشقي، الفاضل، الأديب، اللوذعي.
ولد بدمشق سنة خمس وخمسين وألف، وبها نشأ، وقرأ على علماء عصره، منهم: الشيخ نجم الدين الفرضي في العربية، والشيخ إبراهيم الفتال في النحو والمعاني والبيان. وأخذ الحديث عن

Marfat.com

نبغَ نَبْغةَ الغصنِ النَّضير، فجاء بحمْد الله عدِيمَ النَّظير.
فطَلاقته لو خُلِعت على الدهرِ ما رِيعَ به فؤاد، وغُرَّتُه لو سالت بلَيْل السَّليم ما بَقيَ بها سَواد.
صُقِل نَوْرُه قبل انْشقاق الكمائم، وتطوَّق العلْياءَ قبل أن يتطوَّق التَّمائِم.
ومع ذلك فلا تُلْفَى الدَّنِيَّةُ لَدَيْه، ولا تَأْلَف الفَحْشاءُ بُرْدَيْه.
وهو يهتزُّ لكلِّ لُبانَة، كأنه عِطْف بانَة.
ويترنَّح غصناً رطيباً، ويهبُّ عَرْفاً عطِراً وطِيباً.
وهو حلِيفي الذي ارتبطت معه على وُدٍّ مُؤثَّل، وأَلِيفي الذي شخصُه نأى أو دنا في عيني مُمثَّل.
ما زلتُ في حُبِّه متَّصلَ العلائق، وكلانا علىَ المودَّة مُصفَّى الخلائق.
وأنا أوْصَف لبدائعه، من الزُّجاج لودائِعه.
وأكْلف بيَنات فكرِه، من سَمَر الكرام بِذِكْره.
ولي في بقائه أملٌ أرجو من الله أن لا يُفِيتَه، وهذا دعاءٌ بظهْر الغَيْب لو سكَتُّ كُفِيته.
وقد تناولت من أشعاره ما يطِيب استعْذابه، وأثبتُّ منه ما يستدْعِي القلبَ إليه نِزاعُه وانْجِذابُه.
فمن ذلك قوله: [الخفيف]

جُؤْذُرٌ عَنَّ من ظِبا تَيْماءِ ... ذو جُفونٍ تصيد بالإيماءِ[1]
ليِّنُ العِطْفِ كالقضيب ولكن ... قلبُه مثل صخرةٍ صَمَّاءِ
عَرَبِيُّ النِّجار إن نَسَبُوه ... نَسَبوه إلى ابنِ ماءِ السماءِ
مُولَعٌ بالجيادِ يختار منها ... ما يُجارِي سِرْبَ القَطا للماءِ
عمَّموه بشَمْلَةٍ فاجتلينا ... منه بدراً يضيء في الظلماءِ
سَلَّ صَمْصَامَ لحظِه وتصدَّىٰ ... في طريقِ الهوى لسفْكِ الدِّماءِ

وقوله مضمِّناً: [الكامل]

لما غدتْ وجَناتُه مرقومَةً ... بِعذارِه وازْدَادَ وَجْدُ مُحبِّهِ
نادى الشَّقِيقُ بها زَبَرْجَدَ صُدْغِه ... يا صاحِبي هذا العقيقُ فقِفْ بهِ

= الشيخ محمد بن سليمان المغربي والسيد محمد عبد الرسول البرزنجي المدني وغيرهما من الواردين إلى دمشق. وتنبل وأخذ شيئاً من العلوم الحرفية عن ابن سنسول، وبرع في الرياضيات وأعمال الأوفاق والاستخدام، وغير دلك من متعلق هذه العلوم، وتخرج في الأدب على يد الشيخ عبد الباقي بن أحمد السمان الدمشقي. وكانت وفاته في سنة سبع عشرة ومائة وألف، ودفن بتربة باب الصغير. ا.هـ . سلك الدرر (١/ ١٥).

(١) الجؤذر: ولد البقر. انظر لسان العرب، مادة: /جذر/ .

Marfat.com

وكتب إليَّ، ويخرج منه اسم محمد بطريق التَّعميَة: [الطويل]

مولايَ هل تَحظَى بقُرْبِكَ مهجةٌ أطَلْتَ بنيرانِ البِعاد عذابهَا
وهل لأُوام القلب يُوجَدُ مُخْمِدٌ فحبَّتَه حَرُّ الفؤاد أذابهَا

فأنشدته قولي، ويخرج منه اسم إبراهيم: [الطويل]

إذا أغوَز الرِّيُّ المُجِدَّ بهمَّةٍ ونازَله كربٌ مُلِحٌّ وتَبْريحُ
فذكرُكَ ماءٌ للسبيلِ ارْتَوى به صَداه وفيه الرَّاحُ للقلبِ والروحُ

وعمله كان فارسيّ، وإليه الإشارة بالرَّيّ البلدة المشهورة في العجم، والماء: آب، والسبيل: راه، وره، كما يقولون للقمر: ماه، ومه.

وفيه صنعة باعتبار أن إبراهيم يُكتَب بألف وبدونها، فلك الخِيار فيه.

والراح: مي، وقلبها يم.

وسمِع قولي، من أبيات: [الطويل]

إذا فوَّقتْ سهمَ المَنُون جفونُه لقلبٍ سوى قلبي تمَنَّيْتُه قلبِي

فجاءني يوماً وقد نظمَ هذا المعنى، وتصرف فيه تصرُّفات شتَّى.

فمنها ما أنشدنيه، وهو قوله: [البسيط]

وراشقٍ لم يطِشْ سهمٌ لمُقْلتِه ولم أكُنْ عن هَواهُ قطُّ منصرِفَا
فكلما فوَّقَتْ نَبْلاً عرضْتُ له كيلا يكونَ سوى قلبى له هدفَا

ومنها قوله: [الكامل]

رِيمٌ تصدَّى للرمايةِ لَحظُه يُضمِي القلوبَ ولا جُناحَ عليْه
فإذا رَمَتْ سهماً إليَّ جفونُه جَاراه قلبي في المَسِيرِ إليْهِ

ومنها ما قاله مضمّناً: [البسيط]

ومثبُتٍ سهمَ نَجْلاوَيْه في كبدي كأنه الرِّيمُ يَغطُو نحو مَرتعِهِ
يقول قلبي لسهم قد رماه به أهلاً لما لم أكن أهلاً لمَوقعِهِ

وأنشدني من لفظه لنفسه: [الكامل]

يا لُؤلُؤاً أضدافُهُ الياقوتُ قلبي عليك صَبابةً مفتوتُ
لقد ابْتَسَمْتَ فلاح منك لناظِري سِمْطٌ بكلِّ ملاحةٍ منعُوتُ
أحببْ به سِمْطاً تناسَقَ دُرُّه فأتى بديعَ النظم وهو شتيتُ
يستوقفُ الأبْصارَ باهرُ حسنِه فالطَّرْفُ في لألائه مبْهُوتُ
عَجَباً له دُرّاً على ما فيه من صِغرٍ له بين الجَواهر صيتُ
عَزَّ الوصولُ إليه يا قلبي فمُتْ كَمَداً فحارسُ كنزه هاروتُ

قلت: هذا شعرٌ هاروتُ تلميذُ إفادتِه، وشاعرُه فتْحُ خزائنِ الجواهر في كفّ إرادته.

Marfat.com

وأنشدني قوله: [الكامل]

خَلِّ الذنوبَ ولا تهُمَّ بفِعْلها ... فأخو الذنوبِ طويلةٌ حَسَراتُهُ
واجْنَحْ إلى التقوى فطُوبَى لامرئٍ ... غلبتْ على آحادِه عشَراتُهُ

وقوله: [الكامل]

حاذِر إذا وافيْت جَرْعاءَ الحمَى ... رِيماً هناك من الصِّبا في شَرْخِهِ
لا يخْدعنَّكَ تحت عَطْفةِ صُدْغِه ... خالٌ فذاك الخالُ حَبَّةُ فَخِّهِ

تصيَّده من قول بعضهم: [الكامل]

لا غَرْوَ أن صاد الفؤادَ بنظرةٍ ... رِيمُ المَها فله بذاكَ أشايِرُ
في خدِّه فَخٌّ لعِطْفة صُدْغِه ... الخالُ حبَّتُه وقلبي الطائرُ

وأنشدني من لفظه لنفسه، ما هو منه في صيَّاد: [الكامل]

أفْدِيه صيَّاداً تعوَّدَ في الهوَى ... أخْذَ القلُوب بمَكْرِه وبِكَيْدِه
كم صاد قلباً طار نحو جمالِه ... والخالُ تحت الصُّدْغِ آلةُ صَيْدِه

وأنشدني قوله: [المنسرح]

أرْسلَ فوق الجبِين طُرَّتَه ... وفَوَّق اللحظَ سهمُه النافِذْ
فيا جريحَ الفؤاد زِدْ سهراً ... فلَيلُه من نهارِه آخِذْ

وأنشدني قوله، معمِّياً في اسم حَيْدر: [الوافر]

رأى زيدٌ وعمرٌو وجهَ من قد ... أقام عِذارُهُ في الحبِّ عُذْرِي
فنكَّسَ رأسَه زيدٌ حَياءً ... وولَّى وهْو يسحب ذيلَ عمرِو

أراد بتنكيس رأس زيد عددَه الهنديّ، وذيل عمرو، هو الراء هنا؛ لأن القافية هنا دالَّة على الفرق بينه وبين عمر، وهم ذكروا أن الواو لا تثبتُ إلاّ للفرق.

وأنشدني قوله أيضاً: [الطويل].

ذكرتُ له يوماً بمجلِسِ أُنسِه ... أبا الدُّرّ ياقُوتاً وأطْنبتُ في الذِّكْرِ
فقال فَذا وصفٌ يقوم بِمَبْسَمِي ... فَمَبْسَمِيَ الياقوتُ وهو أبو الدُّرِّ

وقوله منه أيضاً: [البسيط]

يقول لي جِيدُه الفِضِّيُّ حين زَهَا ... بِمِسْكِ خالٍ على ذاك البياضِ نقَطْ
كَنَوْا أبا المِسْكِ كافوراً لقد غَلِطُوا ... أنا أبو المسكِ كافورٌ بغيرِ غَلَطْ

وأنشدني قوله، وهو معنى أبرزَه ولم يُسْبَقْ إليه، فاستحقَّ به التَّبْرِيز، وجاء به أنفس من الإبْرِيز: [الكامل]

كُفُّوا المَلامَ ولا تَعِيبُوا زهرةً ... في وَجْنَتَيْه تلوحُ كالتِّطْرِيزِ

Marfat.com

فالحسنُ لمّا خَطَّ سطر عِذَارِه ... ألْقى عليه قُراضَةَ الإبْرِيزِ

وأنشدني هذه السّينِيَّة السَّنِيَّة التي هي أشهى من الأُمْنِيَّة، تفَلَّتَتْ من المنيَّة: [الخفيف]

خَلِّ طَيَّ الفلا لِحادِي العِيسِ ... وانْفِ همّي بالقهوةِ الخَنْدَرِيسِ[1]

طُفْ بها كي ترى النواظرُ فيها ... عسْجَداً ذاب في لُجَيْنِ الكؤوسِ

ولتُرَنِّخ عِطْفِي بِرقَّةِ لفظٍ ... منه عُوِّذْتُ لَقْطَ دُرِّ نفيسِ

في رِياضٍ كأنّما لبِسَتْ من ... حَوك صَنْعاءَ أفْخَرَ الملْبُوسِ

قد تحلَّتْ من طَلِّها بعُقودٍ ... وتَجَلَّتْ في حُلَّةِ الطاووسِ

وزكَا عَرْفُ طِيبِها فحسِبْنَا ... نَفْحَةً قد سرتْ من الفردَوْسِ

وتَغَنَّى مُبَهْرَمُ الكفِّ فيها ... بغناءٍ يشُوق شَجْوَ النفُوسِ

قد أتيْنا مسلِّمين فردَّتْ ... هِيَفُ باناتِها بخَفْضِ الرُّؤوسِ

قُمْ نُجَدِّدْ عهُودنا يا ابن أُنْسِي ... في رُباها فأنْتَ خيرُ أنيسِ

فأنا في هواك محزونُ قلبٍ ... بين شوق مُقلَّبٍ ورَسِيسِ[2]

وامْنَحِ العينَ أن ترَى منك يوماً ... حُسْنَ وجهٍ يُخْفِي ضياءَ الشموسِ

وسطوراً كالمِسْكِ فوق طروسٍ ... من شَقِيقٍ أخبِبْ بها من طُروسِ

وأمِطْ لي عن سِين تلك الثَّنايَا ... فعساها تكون للتَّنْفِيسِ

وأنشدني قوله: [م. الكامل]

حتى مَ يا ظَبْيَ الكِناسِ ... أحنُو عليكَ وأنت قاسِ

أغْرَيْتَ بي سُقْمَ الجفو ... نِ فمَلَّ مني كلُّ آسِ

ونسيتَ عهداً لم أكُنْ ... أبداً له وأبيك ناسِ

مولايَ لا تمْتَدَّ في ... هجْرِي فقد عَزَّ المُواسِي

مُرْنِي فأمْرُكَ بالذي ... تَهْوَى على عيْني وراسِي

هذي الرِّياضُ قد انجلتْ ... في حُلَّتَيْ وردٍ وآسِ

فَاجْلُ المُدام أبا الحُسَيْـ ... ـنِ وحيِّني منها بكاسِ

واسْتَنْطِقِ الوترَ الرَّخيـ ... ـمَ عن الفُؤاد وما يُقاسِي

وأنشدني قوله: [الكامل]

يا صاحِبي عُجْ بالمَطِيِّ على الحمى ... فعسى تلوح لناظريْ شموسُهْ

---

(١) القهوة الخندريس: الخمر القديم. انظر لسان العرب، مادة: /قهوا/، و/خندرس/.

(٢) الرسيس: الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه. لسان العرب، مادة: /رسس/.

Marfat.com

فهناكَ يستمْلِي ابنُ مُقْلَةَ قصةً ... منِّي فيكتبُ والخدودُ طروسُهُ
وأُرِيكَ شوقاً لا يُقاسُ بغيره ... بتوقُّدِ الجمراتِ كنتَ تقيسُهُ
بانَ الخَليطُ فلا تَسَلْ عن حالَتِي ... ما حالُ من قَد بان عنه أنيسُهُ
ودَّعتُه ورجعتُ عنه كأنَّني ... ذو نَشْوَةٍ دارَتْ عليه كُؤُوسُهُ
لم أنسَ إذ غنَّى له الحادِي ضُحىً ... وتَراقَصَتْ تحت الهوادِجِ عيسُهُ
ورمى ابنُ عمِّ الظَّبْيِ لي بإشارةٍ ... أخَذ الفؤادَ بها فهاجَ رَسِيسُهُ
لا غَرْوَ أن جَذبَ الفؤادَ بِنَظْرَةٍ ... فَرُتُوُّ نَجْلاوَيْهِ مِغْناطِيسُهُ

وأنشدني لنفسه قوله: [الكامل]

رشق الفؤادَ بأسْهُمٍ لم تُخْطِه ... ريمٌ يشُوق الرِّيمَ مَهْوَى قُرْطِهِ
مَن ذا عَذِيري في هوًى مُتَلاعِبٍ ... قد راح يمزُج لي رِضاهُ بسُخْطِهِ
أعطيتُه قلبي وقلتُ يصونُه ... فأضاعه يا ليتني لم أُعْطِهِ
وثَنَاهُ عن مَحْضِ المودَّة رَهْطُه ... فعَناءُ قلبي في الهوى من رهطِهِ
وقد اشْتَرَطْنا أن نَدومَ على الوَفَا ... ما كنت أحسَبه يُخِلُّ بشرْطِهِ
كيف الخلاصُ ركبتُ بحراً من هوىً ... شوقاً إليه فشطَّ بي عن شَطِّهِ
عُلِّقْتُه رَيَّانَ من ماء الصِّبا ... كالرَّوضِ أخْضَله الغمامُ بنَقْطِهِ
غَضَّ الشبابِ وهذه وَجَناتُه ... قد كان يقطُرُ ماؤُها من فَرْطِهِ
يَجْلُو عليك صحائِفاً وَرْدِيَّةً ... رقَم الجمالُ بها بدائعَ خَطِّهِ
وتُرِيكَ هاتيكَ المعاطِفُ بانَةً ... تهْتَزُّ لِينَاً في مُنَمْنَمِ مِرْطِهِ
وتُخامِرُ الألْبابَ منه فكاهةٌ ... تُلْهِي حليفَ الكأسِ عن إسْفَنْطِهِ[1]
لو بتَّ تستملي لطائفَه التي ... ضاهَتْ بِرَوْنَقِها جواهِرَ سِمْطِهِ
لدَهِشْتَ إعْجاباً بلُؤلُؤ لفظِهِ ... ومدَدْت كفَّكَ طامعاً في لَقْطِهِ

قلت: هذا الشعر من الأشعار الباسقة، ما مُدَّت الأيدي لالْتِقاطِ مثل دُرَرِه المُتناسِقة.

وأنشدني قوله: [م. الكامل]

يا زَوْرَةً سمحَ الخيا ... لُ بها ويات مُعانِقِي
خاضَ الدُّجُنَّةَ طارقاً ... أكرِمْ به من طارِقِ
وأتَمَّ ساحَةَ عاشِقٍ ... في جُنْحِ ليلٍ غاسِقِ
وأتَى يُجَدِّدُ بالصِّبا ... بَةِ عهدَ صَبٍّ وامقِ

(١) الإسْفَنْط: ضرب من الاشربة. ا.هـ. لسان العرب، مادة: /سفط/.

Marfat.com

فجرتْ لطائفُ بين مغـ ... شوقٍ هناك وعاشِقِ
وخِلالَها قُبَلٌ تَلَذُّ ... ورَشْفُ رِيقٍ رائقِ
وسألتُ ذاك الرِّيمَ عن ... سببِ الصدودِ السابقِ
فانْهَلَّ منه ما يُريـ ... ك الطَّلُّ فوق شقائقِ
وافْتَرَّ لي ياقُوتُهُ ... عن لُؤلُؤٍ متناسقِ
وصَفا هنالك مَورِدٌ ... بينَ العُذَيبِ وبارِقِ

وأنشدني قوله: [الطويل]

أقولُ لقلبي وهْو عند اضْطِرابِه ... وقاتلُه لم يَمضِ لم تُحْسِنِ العشْقَا
فقال اضْطِرابِي خَشْيَةً من فراقِهِ ... وفِيَّ حياةٌ ليس يحسُنُ أن تَبْقَى

وقوله معمّياً باسم دولار: [الدوبيت]

قد أبْرَزَها من باطِن الإبْرِيقِ ... صهبا تُحاكِي وَجْنَةَ المعْشُوقِ
ما ضَرَّ شُوَيْدِناً جَلاَ أكْؤُسَها ... لو دار بها ممزوجةً بالرِّيقِ

وقوله: [الكامل]

إن غَضَّ عن تلك العوارضِ عاذِلي ... طَرْفاً فقد أضْبَحْتُ من عُشَّاقِهَا
وتجنُّب الأفعى الزُّمُرُّدَ إنما ... هو غَيْرةٌ منه على أخداقِها

من خاصّيّة الزُّمرُّد أن الحيّات إذا نظرتْ إليه سالت أعيُنها.

ومثله ما ذكروه في خواصّ العَقيق، أن التخَتُّمَ به يُبطِل السِّحر.

وللصَّفِيِّ الحِلِّيّ[1]: [الخفيف]

قِيلَ إن العقيقَ قد يبطِل السِّحـ ... ـرَ بتختِيمِه لِسِرُّ حَقيقِي
وأرَى مُقْلتَيْكَ تنفُثُ سِحْـ ... ـراً وعلى فِيكَ خاتَمٌ من عقيقِ

ومن الخواص المذكورة للرّيق، أنّه يقتل العقرب.

قال أبو الصَّلْتَ الإشْبِيلِيّ[2]: [الكامل]

دبَّ العِذارُ بِخَدِّهِ ثم انْثَنى ... عن لثْمِ مبْسمِه البَرُودِ الأشْنبِ
لا غَرْوَ أن خَشِيَ الرّدَى في لثْمِه ... فالرِّيقُ سَمٌّ قاتِلٌ للعقْرَبِ

وأنشدني لنفسه قطعتين، ما أظنهما إلاّ من رياض الجِنان مُقْتَطَعَتَيْن.

فالأُولى هذه: [الخفيف]

قد نَضَى طَرْفُه الكحيلُ حُسَامَهْ ... فاسْألِ الله يا فُؤادِي السَّلامَهْ

---

(١) انظر ديوانه (٢٧٨).

(٢) انظر البيتان في نفح الطيب (٢/ ٣١٠)، وفيات الأعيان (١/ ٢٥٢).

Marfat.com

فـاتِـكٌ قـد سَطَـا بـألْـحـاظِ رِيـمٍ بـلّـغَـتْـهُ مـن الـقـلـوبِ مَـرامَـهْ
نـاقـضٌ لـلـعـهـودِ لـيـس يُـراعِـي ذِمّـةً لـلـذي يُـراعِـي ذِمـامَـهْ
قـد تـعـشّـقْـتُـهُ ربـيـعَ جـمـالٍ يـمـلأُ الـعـيْـنَ بـهـجـةً ووَسـامَـهْ
شَطَّ عـنّـي فـلـيـسَ لـي مُـذ تـنـاءَى مُـسْـعِـدٌ فـي هـواه إلاّ حَـمـامَـهْ
ذكّـرَتْـنـي عـصـراً رقـيـقَ الـحَـواشِـي بـالـحِـمـى ظَـلْـتُ نـاهـبـاً أيّـامَـهْ
مـا تـذكّـرْتُ عـيـشَـهُ الـغَـضَّ إلاّ هـطَـلَـتْ أدْمـعـي عـلـيـه نَـدامَـهْ
يـا نسيـماً من عَنْبَرِ الشّحرِ أهْدَى طِـيـبَ أنـفـاسِـه لـنـا شَـمّـامَـهْ
إن تـيَـمّـمْـتَ ساحـةَ الـحـيِّ وَشّـى ساحـةَ الـحـيِّ دُرُّ دَرِّ الـغـمـامَـهْ
حَـيِّ عـنّـي أقـاحِ تـلـك الـرَّوابِـي ثـم قَـبّـل ثُـغـورَه الـبَـسّـامَـهْ
والْـوِ عِـطْـفَ الـقـضـيـبِ نـحـو أخِـيْـهِ لـيُـطِـيـل اعْـتِـنـاقَـه والْـتِـزامَـهْ
واقـتَـطِـفْ مـن حـدائـقِ الـحـسـنِ ورداً نـقّـطـتْ فـوقـه مـن الـمـسـكِ شَـامَـهْ
وارتـشِـفْ مـن خِـلال تـلـك الـرَّوابِـي قـاطِـر الـشُّـهْـدِ خـالَـطَـتْـهُ مُـدامَـهْ
واعـتـنِـقْ فـي مُـنَـمْـنَـم الـبُـرْدِ خُـوطـاً رنّـحَـتْ خـمـرةُ الـشّـبـابِ قَـوامَـهْ
ولـتُـلاعِـبْ لـه ذُؤابَـةَ شَـعْـرٍ قـد تـدلّـتْ فـقـبّـلـتْ أقـدامَـهْ

وهذه الثانية: [م. الكامل]

يـا وردةً مـن فـوق بـانَـهْ سِـفْـرُ الـمـحـبّـةِ مَـن أبـانَـهْ
أخْـفَـيْـتُـه عـهـدِي وقَـدْ غَـلْـغَـلْـتُ فـي قـلـبـي مـكـانَـهْ
وكـتـمـتُ أمْـرَ صَـبـابـتِـي وسـدَلْـتُ أسْـتـارَ الـصّـيـانَـهْ
مـا كـنـتُ أحْـسَـبُ أن يـكـو ن الـدمـعُ يـومـاً تَـرْجُـمـانَـهْ
لـولا وُضـوحُ الأمـرِ مـا أغْـرَى بـنـا الـواشِـي لـسـانَـهْ
ولـوَى عِـنـانَـك عـن شَـنَـجٍ شَـوْقـاً إلـيـك لَـوَى عِـنـانَـهْ
يـا ظَـبْـيَـةَ الـبـانِ الـتـي عـنـد الـقـلـوبِ لـهـا مـكـانَـهْ
كُـفّـي الـصـدودَ فـلَـيْـتَـنِـي مـن طـولِ صَـدّي أرْوَنَـانَـهْ

يوم أرْوَنان، وليلة أرْوَنانَة: من الحرّ والغَمّ.

وقال القَيْسِيّ: الأرْوَنان: الصوت.

قـد أسْـكَـرَتْـنِـي مُـقـلَـتـا كِ كـأن فـي الأجْـفـانِ حَـانَـهْ
وكَـرَغـتِ فـي مـاءِ الـصِّـبـا فـفَـضَـحْـتِ لِـيـنَ الـخَـيْـزُرانَـهْ
أجـرَيْـتُ ذكـرَك بـالـحِـمـى وقـد اجْـتـلـى طَـرفِـي جِـنَـانَـهْ
فـلـوى الـقـضـيـبُ مَـعـاطِـفـاً نـظَـم الـنّـدَى فـيـهـا جُـمـانَـهْ

Marfat.com

واحـمـرَّ خـدُّ شَـقِـيـقِـهـا وافْـتـرَّ ثَـغْـرُ الأُقْـحُـوانَـة

وأنشدني قوله: [البسيط]

أفْدِي مليحاً يفوق البدْرَ مُسْتَتِراً تحت القِناعِ استِتارَ العينِ بالغَبَنِ

العينُ: الشمس. والغين: لغة في الغيم.

أنشاه مُبدِعُه كالبدرِ مكْتَمِلاً حُسْناً ووقَّاهُ شَرَّ العينِ والغَيْنِ

العين: النظرة. والغين: حجابٌ على القلب.

مُنِعْتُ من ثَغْرِه عَيْنِ الحياةِ وكم قد رُدَّ قاصِدُ هَذي العينِ بالغَيْنِ

العين: عين الحياة، والغين: العطش.

ورَاعَ قلبي فمُذ حاولتُ منه وفاً أتى بتَصْحِيفِ تلك العَيْنِ بالغَيْنِ

الحرفان المعلومان.

وأنشدني قوله: [الخفيف]

قال صِفْ فَرْعِي الذي قد تدلَّى فوق خَدِّي إن كنتَ من واصِفِيهِ

قلت ماذا أقول في وصفِ رَوْضٍ قد تدلَّتْ عرِيشَةُ الحُسْنِ فِيهِ

وذكر لي في بعض مُحاضراته أنَّه رأى قولَ بعض الأندلسيِّين[1]: [الكامل]

واللهِ لولا أن يُقال تَغيُّرا وصَبا وإن كان التَّصابِي أجْدَرَا

لأعذتُ تُفَّاحَ الخدودِ بَنَفْسَجاً لَثْماً وكافورَ الترائبِ عَنْبَرا

وقولَ أبي جعفر محمد المُختار من شعراء «الدُّمية»[2]: [السريع]

قلتُ هَبِي منكِ لنا قُبْلةً يا مُنْيَةَ النَّفْسِ ويا قُوتَهَا

فأغْمضتْ من عينِها مُؤْخِراً ورصَّعتْ بالدُّرِّ ياقوتَهَا

وقولَ الأمير مَنْجَك[3]: [الطويل]

لقد زارَنِي من بعد حَوْلٍ مُودِّعاً وطَوْقُ الدُّجَى قد صار في قَبْضَةِ الفجرِ

فأخْجلْتُهُ بالعَتْبِ حتى رأيتُه يُزِيحُ الثُّريَّا بالهلالِ عن البدرِ

فنَظم هذين البيتين يُلمِّح إلى هذه المقاطِع: [الكامل]

نظَرَ البَنَفْسَجُ في الشَّقِيقِ مؤثِّراً فارْتاعَ حتى انْهلَّ ماءُ جَمالِهِ

فغَدَا يرصِّعُ دُرُّهُ ياقُوتَه ويُزِيحُ أنْجُمَ بدرِه بهلالِهِ

---

(١) البيتان من قول تميم بن معد الفاطمي، صاحب مصر، وليسا من قول بعض الأندلسيين، وهما في يتيمة الدهر (١/ ٣٠٨).

(٢) انظر دمية القصر (٢٨٤)، وفيه:

قلت لها لا تمنعي قبلةً تشفي سقام النفس يا قوتها

(٣) انظر ديوانه (١٣١).

Marfat.com

وأنشدني من لفظه لنفسه: [الخفيف]

لا تكن وَيْكَ طامِعاً في سُلُوّي ... فالهوى قد نَمَا أشَدَّ نُمُوّ
شَفَّني ذلك الشُوَيْدِنُ حُبّاً ... ورَمانِي بسهمِ ذاك الرُّنُوّ
قمرٌ في ابْتِدائِه تَمَّ حُسْناً ... وسَمَا في الكمال أيَّ سُمُوّ
وقَضِيبٌ غضُّ النَّباتِ رطيبٌ ... عُلَّ من خمرة الشبابِ ورُوّي
حبُّه خَطَّ في فؤادِيَ سطْراً ... أمَدَ الدهرِ ليس بالمَمْحُوّ
يمزجُ الصَّدَّ بالوِصالِ دَلالاً ... فتَرى منه قسوةً في صُفُوّ
وهَواه ما زالَ يُورِي لهيباً ... بين جَنْبَيّ ما له من خُبُوّ
يا سقَى اللهُ عهْدَنا بلَيالٍ ... قد جَنَيْنا بها ثِمارَ الدُّنُوّ
جمعتْ شَمْلَنا بكأسِ سُلافٍ ... هي أصْفَى من دمعة المَجْفُوّ
كلما قلتُ يا ابنُ وُدِّيَ خُذْها ... قال لي هاتِ يا عَدُوّ عدُوّي

٤٧- السَّيِّد عبد الباقي بن مُغَيْزِل

من الزُّمرَة الأولى من أخِلاَّئِي، ومن به أشرقَ في إبَّان رَونَقِهِ وجهُ اجْتِلائِي.
فاستهلَّيْتُ أنا وإيَّاه العيْشَ بَدْرِيّاً، وهزَزْت أَغْصُنَ اللَّذات غصناً طرِيّاً.
في زمانٍ عيونُ سُعوده رَوَانٍ، والآمالُ فيه دَوَانٍ، ما بيْنَ بِكْرٍ وعَوان.
لم تبعدُ فيه أرضي عن أرضه، ولم نَألُ فيه من القيام بنَفْلِ الوُدِّ وفرضه.
ولم يتَنَسَّم أحدُنا أخاً، إلاَّ هَبَّ الآخَر معه رَخا.
وهو ممن خَلُصت ذاتُه خلوص الذهبِ عن اللهب، وتميَّزت بما أحرزَتْ من نسبٍ شريفٍ وحَسب، ونَشَب تليدٍ ومُكْتَسَب.
شمَّر في الطلب عن ساق، وأبْدَى بدائعَ ذاتَ حُسْنٍ واتِّساق.
وله براعةٌ تُعرِب عن لسانٍ ذَلِيق، وذهنٌ متوقِّدٌ يزِينه وجهٌ طلِيق.
وفضلٌ يسْتَغْنِي عن المَدْحِ، وشِعرٌ يعلِّم الحمامةَ الصَّدْح.

٤٧- هو السيد عبد الباقي بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن مغيزل، الشافعي، الدمشقي، الشريف لأمه لكون والدته ابنة السيد السند موسى الصمادي. الإمام، العالم، الفاضل، البارع، النحوي، المفنن.
ولد في حدود الستين بعد الألف، واشتغل بطلب العلم بعد أن تأهل لذلك، فأخذ الفقه عن الشيخ محمد العيشي، والشيخ علي الكاملي، والحديث عن الشيخ أبي المواهب، والنحو عن الشيخ نجم الدين الفرضي، والمعاني والبيان عن الشيخ إبراهيم الفتال وأصول الدين عن الشيخ يحيى الشاوي المغربي.
وبرع وساد ودرس في الجامع الأموي في فنون من العلم، وعكف عليه الطلبة للاستفادة وكان فصيحاً ذكياً. وكانت وفاته في سنة تسع وثلاثين ومائة وألف. ا.هـ . سلك الدرر (٢/ ٢٣١).

Marfat.com

قد استخرجتُ له ما هو كالروض المِعْطارِ، تضحك ثغورُ نُوّارِه عن بُكاء الأمطار. فمنه قوله، وأنشدنيه من لفظه: [البسيط]

أُوّاه من ذلك الخِشْف الذي سَنَحا ... مَن اكْسَبْ المستهَامَ المُبتَلَى بُرَحَا
لم أنْسَ إذ مرَّ مختالاً بقُرْطَقِهِ ... من دونهِ ذلك القَدُّ الذي رجَحَا
يزورُ لَحْظاً بطرفٍ زَانَه حَوَرٌ ... فكم طريحٍ على فرشِ الضَّنى طرحَا
وكم دَواعِي الهوى من كلِّ جارحةٍ ... تستَخْبِرُ القلبَ عنَّا أيَّةً جَنَحَا

وبعث إليَّ بهذه الأبيات، وكان وافاني يوماً ولم يجدْني في بيتي: [الكامل]

يا ماجِداً حازَ السِّيادَة يافِعاً ... وغدا بأثوابِ البراعةِ يزْتَدِي
من مُذْكِري عهدَ الشَّبِيبةِ والصِّبا ... والعيشَ مَعْ وَصْلِ الحسانِ الخرَّدِ[1]
كم مرَّةٍ قد جِئْتُ نحوَ حِماكُمُ ... كي أن أفوزَ برُؤْيَة الوجهِ النَّدِي
فلِسُوءِ حظِّي لم تجِدْكُم مُقْلتِي ... فرجعتُ من ذاكَ الحمى صِفْرَ اليَدِ

فكتبتُ إليه: [الكامل]

مولايَ من دون الأنامِ وسيِّدي ... بلَّغْتني بالسَّعْيِ أسنَى سُؤْدَدِ
قد جئْتني والبيتُ منِّي مُقْفِر ... من سوءِ حظِّي في الزَّمانِ الأنْكَدِ
هي عادةُ الأيَّامِ أرجُو صاحِباً ... فيصدُّه قدَرٌ عليَّ بمرْصَدِ
وإذا أبَيْتُ فتىً وعِفْت دُنُوَّه ... ألْفَيْتُه نَفسي يرُوح ويغْتَدِي

وأنشدني من لفظه لنفسه: [الرمل]

كلما رُمْتُ خَلاصاً من هَوَى ... ظَبْيِ إنسٍ حَبَّةَ القلبِ مَلَكْ
قال لي حُسْنُ هَواه كم له ... من شَجٍ مِثلِك مُلْقىً في الفَلَكْ

وأنشدني قوله: [م. الخفيف]

قلتُ إذْ جاءَ صاحِبي ... يشْتَكِي حُرْقَةَ النَّوَى
كيفَ شَكْواكَ إننا ... كلُّنا في الهوى سَوَا

وهذا المِضراع قد أكثر الناس من تضمينه، وأشهر تَضامينه قولُ بعضهم: [م. الخفيف]

قل لمن جاء يشْتَكي ... باهتمامٍ من الهوَى
لا تَفُهْ بالذي جَرَى ... كلُّنا فيَ الهوى سَوَا

وأنشدني قولَه في أرْمَد: [البسيط]

لا تحسَبُوا حُمْرَةً في مُقْلَتِي رمداً ... قد مسَّها بل لأمرٍ زاد في سَقَمِي
فإنَّها نَظرتْ شَزْراً لوجْنَةِ مَن ... هواه حلَّ فؤادي فانْتَشَتْ بِدَمِ

---

(١) الخُرّد: مفردها: الخريدة، والخريد والخَرُود: وهي البكر التي لم تمس قط. وقيل: هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخَفِرة المستترة. انظر لسان العرب، مادة: /خرد/.

Marfat.com

منه قول يوسف العِمْرانيّ[١]: [الكامل]

لا تنكروا رَمَدي وقد أبْصَرتُ مَن ... أهْوى ومن هو شمسُ حسنٍ باهِرِ
فالشمْسُ مهما إن أطلْت لنحوِها ... نظراً تؤثّر ضَعْفَ طرفِ النّاظِرِ
ولقد أطلتُ إلى احْمِرارِ خدودِه ... نظرِي فعكسُ خيالِها في ناظِرِي

وقوله[٢]: [الكامل]

رمدتْ جفوني عندما فارقتُ مَن ... قد كان كُحْلاً في نواظِرِ عبْدِهِ
وسرقْتُ حمرةَ ناظِري وسَقامَه ... عند النّوَى في مُقْلَتيْهِ وخَدِّهِ

وأنشدني قوله: [الطويل]

أقول لفَتّاكِ اللّواحِظِ أهْيَفِ ... يَصِيدُ لحبّاتِ القلوبِ من الهُدْبِ
وصُحْبتُه شخصٌ بَذِيٌّ مُذَمَّمٌ ... يَسُوءُ بِمرآهُ العيونَ مع القلْبِ
حبيبيَ ما هذا القرينُ فقال لي ... ولا بُدَّ للصّيادِ من صُحْبَةِ الكلبِ

وكأنه وقف على ما ذكره المَقْرِيزِيّ من أنّه ثار بمصر في بعض الأحايين ريحٌ شديدةٌ، سقط منها حجرٌ من بعض عضائِد جامع الحاكم، فقُلِب الحجر، فوُجِد عليه هذه الأبيات، وهو لغز عجيب، رقيقُ لفظُه: [الكامل]

إن الذي أسررتُ مَكْنُونَ اسمِه ... وكتَمْتُه كيْما أفوزَ بوصْلِهِ
مالٌ له جَذْرٌ تساوَى في الهِجَا ... طرَفاهُ يُضْربُ بعضُه في مثلِهِ
فيصير ذاك المالَ إلاّ أنّه ... في النّصفِ منه تُصاب أخرُفُ كُلِّهِ
وإذا نطقتَ برُبْعِه من كل ما ... من بعد أوّلِه نطقتَ بكُلِّهِ
لا نَقْطَ فيه إذا تكامَلَ عَدُّه ... فيصير منْقُوطاً بجُملَةِ شَكْلِهِ

فحلّه بقوله: [الكامل]

قد كاد هذا اللغزُ يُصْدِي فكرَتي ... لكن بحمدِ الله فُزْتُ بحلِّهِ
تاللهِ نَظْمُ الذِّكْرِ يخرجُ منه ما ... عنه أشار مُبَيِّناً لمحَلِّهِ
مالٌ أتَى من ضَرْبِ سِتٍّ بعضُه ... في سِتّةٍ وهي المرادُ بِمِثْلِهِ
فيصير منه النصفُ لكن مذ غدا ... مُتَساويَ الطرفينِ عاد كَكُلِّهِ
والنطقُ منه برُبْعِه أي ثالثٍ ... من بعد أوّله وثانٍ يُجْلِهِ
لا نَقْطَ في لفظِ الحروف وإنّما ... عينُ المُسَمّى أنْبأتْ عن شكْلِهِ
في عِقْدِ حاليَةِ العذارَى إن تَرُم ... إيضاحَ معنىً شاهدٍ عن أصلِه

وأنشدته يوماً قولي معمّياً باسم مُوَفَّق: [الخفيف]

---

(١) انظر ريحانة الألبا (١/١٠٦)، وفيه: أن الأبيات للشهاب الخفاجي، أنشدها العمراني.
(٢) وهذا البيتان أيضاً للشهاب الخفاجي، انظر ريحانة الألبا (١/١٠٧).

Marfat.com

مِن وُلاةِ الجمالِ سلطانُ حسنٍ حكّمتْهُ القلوبُ فازدادَ عُجْبُهْ
حدٌّ للقلب مذ سما حدَّ سِرٌّ نازلٍ في حَشاهُ ما راق حِبُّهْ

فحلّه وحلاّه، فقلت أخاطبه: [الكامل]

مَولايَ يا حَلاَّلَ كلِّ مُشكِلٍ بِفَهْمِه ورأيِهِ السَّدِيدِ
أفْدِيكَ مُذْ حلَّيْت ما عمَّيْتُهُ حلَّيْتَ قلبي وفمِي وجِيدِي

فقال هذا يُشْبِه قول العَفيف التِّلِمْسَانِيّ[1]: [مخلع البسيط]

قد قُلْتُ لمّا أرادَ شَدّاً بخَصْرِه يا مهفهَفَ القَدّْ
حَلَّيْتَ قلبي وعِقْد صَبْرِي وعاطلَ الخَصْرِ منك بالشَّدّْ

وطال ما جال في خَلَدي، من أيِّ نوعٍ هذا من أنواع البديع، فقلت له:

قد ذكرَ البدرُ الدَّمامِينِيّ، في «حاشِيَتِه، على شرح لاميَّة العجم»: أنّه من نوع الاستخْدام.

وأنشد منه قولُ ابنُ نُباتَة: [المنسرح]

رشَفْتُها في مكان خَلْوَتِها وجَيِّد الحسنِ ثَمَّ قد جُمِعَا
حلَّتْ مَذَاقاً ومشْرَباً وفماً والجِيدَ والشعرَ والصفاتِ معَا

وفيه استعمال كلمةٍ واحدة على ستِّ معان.

وقدَّم أن مثل هذا لم ينُصُّوا عليه في الاستخدام. انتهى.

وكتبت إليه أستدعيه إلى مُنْتَزَه بالشَّرَف الأعْلى، في يوم شَرَف الشمس:

سيِّدي، النفس خضراء والربيعُ أخضر، وأنا شريف وأنت شريف، فما علينا أن نهجر المَأْلَف والمَرْبَع، ونجمع بين هذه الفصول الأربع.

في زمَنٍ تعتدِل فيه الطِّباع، وتقِفُ عليه الخواطِرُ والأسْماع.

فانْهَض لنكون إِلْفَيْن، ولك الأعلى من الشَّرفَيْن.

في يومٍ حلَّ به شَرَفُ الشمسِ، واعتدلتْ الحواسُّ الخمس.

فهناكَ أُنْشِدك باللسان، مع موافقةِ الجوارح والجَنَان. [م. الكامل]

لِمَ لا أتيهُ في العُلى على جميعِ السَّلَفِ
والسيدُ الشريفُ قد شرَّفَني في الشَّرَفِ

٤٨- أحمد بن عبد الله العطّار، المعروف بابن جَدّي

سَمْحٌ سهل، لكل ثناء أهْل.

---

(١) انظر سلك الدرر (٢/ ٢٣٣)

٤٨- هو أحمد بن عبد الله بن بهاء الدين بن محفوظ بن رجب العطار المعروف بابن جدي، الدمشقي، الشيخ الفاضل، الأديب، الماهر، النظم، كان رقيق الحاشية، لطيف المذاكرة، وحسن الخط،

Marfat.com

كأنّما بينه وبين القلوب نَسَب، أو بينه وبين الحياة سَبَب.
بمُحاضَرَة أشْهَى من رِيق المحبوب، ومحاولة أصْفَى من رَيّق الشُّؤبُوب[1].
وعلى الجملة فما هو إلا تحفَة قادِم، وأُطْرُوفةُ مُنادِم.
وعَودة صحةٍ لمريض، واصْطِباحِ عيش في رَوْضة أرِيض.
وبيني وبينه أُخُوّة أواخيها مشْدودة، وأبوابُ التّمْويهات عنها مسْدُودة.
ما زلنا في خُلْسَة للوُدّ ونُهْزة، وأرْيَحِيَّةٍ للحظّ وهِزّة.
من حين رَضَعْنا للتّآلُفِ ذلك الدَّرّ، وجَرَيْنَا فيه على حكم عالِم الذَّرّ.
والله يصونُنا في بقيَّة العمر عن الغِيَر، كما صانَنا عن الشّوائِبِ فيما مضى وغَبَر.
فمن أريج عاطِرِه، الذي نَفَح به رَوْضُ خاطِرِه.
قوله مضمّناً: [الكامل]

وبَليَّتِي ساجِي اللِّحاظِ قَوامُه ... غُصْنٌ على دِعْصٍ تُثنّيه الصَّبَا
يهتزّ لِيناً حين يخطُر مائساً ... جذْلانَ من مَرَحِ الشَّبِيبة والصِّبَا
بدرٌ تقمَّصَ بالمَلاحةِ والبَهَا ... فغدا إلى كلّ القلوب مُحَبَّبَا
سَلَّتْ لَواحِظُه علينا مُرْهَفاً ... ما كان إلاّ في القلُوبِ مُجرّبَا
يَخْشَى على وردِ الخدود لِلافِح ... فغَدا بهَرْيحان العِذارِ مُنقَّبَا
ساوَمْتُه وَصْلاً فحدَّق لَحْظَهُ ... مُتَبوِّماً نَحْوِي وألْوَى مُغْضَبَا
فكأنَّ صفحة خَدِّهِ وعِذاره ... تُفّاحَةٌ رُمِيَتْ لِتَقْتُلَ عقرَبَا

وأنشدني من لفظِه لنفسه: [الطويل]

ولمَّا رأيتُ الفضْلَ في النَّاسِ ضائِعاً ... وأكثَرُ منه ضَيْعَةً فيهمُ الحُرُّ
بَخِلْتُ بشِعري حيث لم أرَ في الورَى ... فتىً إن رَأى شِعْراً يُحرِّكُه الشِّعْرُ
ورُحتُ بنفْسٍ لم يُرِقْ ماءَ وَجْهِها ... سؤالٌ حَداه العسرُ واقْتادَه اليُسْرُ

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه، قولَه من قصيدة طويلة، مطلعها:

عَتبِي على الدهرِ عَتْبٌ ليس يسْمعُه ... إذْ بالهوَى والنَّوَى قلبي يُرَوِّعُهُ
بانُوا فأصْبَحْتُ أشكو بعد ما رَحَلُوا ... لِلبَيْنِ ما بي يدُ التَّفْريق تَجْمعُهُ
شَكْوَى يكادُ لها صُمُّ الصَّفَا جَزَعاً ... كما تصدَّع قلبي منه يَصْدعُهُ

منها: [البسيط]

= وله مشاركة جيدة في كل فن.
وكانت وفاته في شوال سنة ست وعشرين ومائة وألف، ودفن بمرج الدحداح. أهـ. سلك الدرر (١/ ١٢٨)
(١) الشؤبوب: الدفعة من المطر. أهـ لسان العرب، مادة: /شأب/.

Marfat.com

بي من رَسِيسِ الهوَى داءٌ يُصانِعُنِي ... طولَ الزمان إلى ما الحب يصنعُهُ
وأنثني من لَظَى الأشواقِ في حُرَقٍ ... إذا وَمِيضُ الدجى يبْدو تَلمُّعُهُ
لم ألْقَ يومَ النَّوَى إلاَّ حَشاً قَلِقاً ... ومَذْمعاً بِأَتيِّ الدمعِ يشفعُهُ
يا صاحِ أينَ لَيالِينا التي سَلَفَتْ ... مرَّت سِراعاً وطِيبُ العيش أسرعُهُ
فاعْجَبْ لنارِ ضُلوعي كلَّما خَمَدتْ ... أشَبَّها من غُروبِ الجَفْنِ أدْمُعُهُ
وباتَ يُذْكِي ضِرامِي صادِحٌ غَرِدٌ ... في النَّيْرَبَيْن بتَرْنام يُرَجِّعُهُ
يا وُرْقُ مَهْلاً أذَا التَّرْجاعُ من فَرَح ... بالرَّوضِ أم فَقْدِ إلْفٍ عَزَّ مرجعُهُ

وأنشَدَني من لفظه لنفسه، قولَه: [الطويل]

أفِي كلِّ يومٍ بالنَّوى تَتَرَوَّعُ ... ومن حادِثاتِ الدهرِ يُشْجِيكَ مَوْقِعُ
وتَشْقَى برسْمٍ تَرَسَّمهُ البِلَى ... وتَسقِي ثَراهُ كلُّ نَكْباءَ زَعْزَعُ
وتَنْدُبُ أطلالاً تعفَّتْ رسومُها ... وتشكو لرَبْعٍ أعْجَمٍ ليس يسمَعُ
وتُسْبِلُ تَهْتَانَ المدامِعِ هاطِلاً ... على قَفْرَةٍ من دِيمَةٍ ليسَ تُقْلِعُ
وتُضْبِحُ هيماً بين قَفْرٍ تجُوسُه ... وتُمْسِي وَلْهاناً وأنتَ مُرَوَّعُ
وتَرْمِي بطَرْفَيْكَ الهِضَابَ عَشِيَّةً ... أفي كلِّ هَضْبٍ للأحبَّةِ مَطْلَعُ
وقائِلَةٍ فيما الوقوفُ وقد خلا ... من القومِ مُضطافٌ يروقُ ومَرْبَعُ
فقلتُ لها أذْرِي الدموعَ وهكذا ... أخو الشوقِ من فَرْطِ الصَّبابةِ يصْنَعُ
وما كنتُ أذرِي قبل وَشْكِ رَحيلِهِمْ ... بأنِّي إذا بانُوا عن الجِزْعِ أجْزَعُ
ولا أنَّ أنْفاسِي يصعِّدها الجَوَى ... إذا لاح بَرْقٌ في الدُّجُنَّةِ يلْمَعُ
فرُحْتُ ودمعُ العينِ تجْرِي غُرُوبُهُ ... على الخَدِّ منِّي والحمائِمُ تسجَعُ
تنوحُ بشَطِّ الوادِيَيْنِ ولِي حَشاً ... إذا ما انْبَرَى تَرْنامُها يتصدَّعُ
فلا كبِدي تهْدَا ولا الشَّوقُ مُقْصِرٌ ... ولا لَوْعَتِي تخبُو ولا العينُ تهجَعُ
وقد رحَلُوا عن أيْمُنِ الجِزْعِ غُدْوَةً ... فلم يبْقَ في قُرْبِ التَّزاوُرِ مَطْمَعُ

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه قولَه: [الكامل]

ومُعطِّفِ الأضْداغِ يخْتَلِسُ النُّهى ... أبْدَى التَّشاغُلَ عن مُحِبٍّ وَالِهِ
يُبْدِي تلفُّتَ شادِنٍ ويُديرُ لَحْـ ... ـظَى جُؤْذُرٍ والبدرُ جزءٌ جمالِهِ
تِمْثالُ شكلِ الحسنِ لا بل إنَّما ... الحسنُ مطبوعٌ على تِمْثالِهِ

وكنت أنشدته قولي: [الطويل]

ولمَّا أدارَ الشمسَ بدرٌ لأنْجُمٍ ... بأُفْقِ الهنا بين الهلالَيْن في الغَسَقْ
عجِبْتُ له يُبْدِي لنا البدْرَ طالِعاً ... وما غابَ عنَّا بَعْدُ في جِيدِه الشَّفَقْ

Marfat.com

فنَظمَ هذا المعنى، وأنشدنيه من لفظه: [الطويل]

وساقٍ مَيُودِ القَدِّ أحْوَرَ أوْطَفٍ ... إذا لم يُمِتْ بالصدِّ يقتلُ بالحَدَقْ
يُرِينا بأُفقِ الكأسِ شمساً توسَّطَتْ ... هلالَيْنِ يمحو نورُها آيَةَ الغسَقْ
ومذ هَمَّ يَخسُوها ترفَّعَ جِيدُه ... فبانَ لنا صبْحٌ وما غَرَبَ الشَّفَقْ

وكتبت إليه أستدْعيه إلى روض:

طلع علينا هذا اليوم في نَضارته، يكاد صَحْوُه يمطر من غَضارَتِهِ.

فلقيَنا زَهْرُه، ونظَمْنا نَثْرُه.

في روضٍ وُشِّيَ بخُسْرَوانِيِّ الدِّيباج، وغُشِّيَ بما يزْبو على أصْنافِ الجواهر في الابْتِهاج.

فمن نَوْرٍ مُدَرْهمُه بَهِج، وزَهْرٍ مُدَنَّرُه رَهِج.

يُضاحِكُ دُرَّه مُرجانُه، ويعبَق بصائِك المسك أزدانُه.

وللنَّسِيم فيه اعْتِلالُ إشْفاق، إذا ما رقد المخمورُ فيه أفاق.

والروضُ رَطْبُ الثَّرى طيِّب المَقِيل، وليس فيه غيرُ رِذْفِ الساقي ثَقِيل.

ولم نعدَم نَدَامَى بألْفاظٍ عِذَاب، كأنَّها قَنْد مُذاب.

معرفتُهم بأغْصان القُدود، وتُفَّاح الخدود.

لا بالنُّصول الحِداد، والقِسِيِّ الشِّداد.

ولَدَيْهم من الفُكاهة، ولُطْف البَداهة:

ما إذا جُلِيَ فما الرَّاح والتُّفاح، وما رَيْحانُ الأصْداغ إذا فَاح.

وإن شاؤُوا ألْحقُوها بِحِكَم مَتْلُوَّة، وأخْبارٍ في صحف الإحسانِ مَجْلُوَّة.

وعندنا لَحْنٌ يُثير الشَّجَن، ويبعث من الشوقِ ما أجَنّ

وحبيبٌ قرُب من عهد الصِّقال خَدُّه، فلم يجفَّ رَيْحانُه ولم يَذْوِ وَرْدُه.

يزِلُّ عن خدِّه الذَّرُّ فلا يَعْلَق، ويمشي عليه النملُ فيَزْلَق.

وقد تَمنَّينا فلم نجِدْ غيرَكَ أمْنِيَة، ولا مثلَ آدابِكَ غَضَّة جَنِيَّة.

وعلمنا أنَّه ليس للأُنس مع غَيْبِكَ بهجة، ولا للعيش دون لِقاكَ مُهْجَة.

فبالله إلاَّ ما أنْجَحْتَ الأوطار، وفتحتَ بمُذاكرتك عن جَوْنة العطَّار.

ولك الثَّناء الذي يتَجمَّل به الدهر، ويتَفَتَّقُ ريَّاه عن الروضِ فاح فيه أريجُ الزَّهْر.

٤٩- السَّيِّد سليمان، المعروف بالحَمَوِيِّ الكاتب

حِرْفَتُه الدَّواةُ والقلم، ولديْه البراعة تُلْقَى أعِنَّةُ السَّلَم.

٤٩- هو السيد سليمان بن نور الله بن عبد اللطيف الحموي ثم الدمشقي، المعروف بالسواري، الأديب، الماهر، الشاعر، الكاتب، أحد السابقين في ميدان الأدب. قدم دمشق واستقر بها آخراً نزيلاً عند نقيب الأشراف السيد محمد العجلاني، ثم من بعده عند أخيه السيد حمزة العجلاني النقيب وولده=

Marfat.com

وله طبع سبكتْ تِبْرَهُ الأيام، وصَقلَتْ حَديدَ ذِهْنِه من صَدَإِ الأوهام.
بوجهٍ فيه الفلاح يُتوسَّم، كأنه دُرٌّ يُوقِدُه ثغْرٌ تبسَّم.
وقد أوقفني من شعره على مُلَح غَضَّةِ الشُّفوف، فجرَّدتُ منها كلَّ بيتٍ كأنَّ الحسنَ عليه موقوف.

فمن ذلك قوله في الغزل: [المنسرح]

قُم يا نَديمي نُبَاكِرِ القَدَحا ... أما ترى الصبح زَنْدَه قدَحا
والجوُّ صافي الأدِيم من كَدَرٍ ... صَفْوَ امرِئٍ في وِدادِه نصَحا
وقام من فوقَ أيْكَةٍ غَرِدٌ ... يُذكرنا بالصُّبُوح إذ صَدَحا
وقد أهاجَتْ لنا الصَّبا شَجَناً ... بنَشْرِها العَنْبَرِيِّ إذ نَفحا
فحرَّكَتْ ساكنَ الفؤاد وما ... أسْأرَه الوجدُ فيه والبُرَحا
والدهْر أبْدى الرِّضَا وجادَ لنا ... بفرصةٍ والرَّقيبُ قد نَزَحا
فانهَض لنقضِي من الصِّبا وطَراً ... في غَفْلَةِ اللائِمينَ والنُّصَحا
وعاطِني قَرْقَفاً معتَّقةً ... صَهْباءَ تنْفِي الهمومَ والتَّرَحا
من كَفِّ ظَبْيٍ كأنَّما غفِلَتْ ... أعيُن رِضْوانَ عنه مذ سَرَحا
أخْورُ أخْوَى أغَنُّ ذو هَيَفٍ ... فِداؤه كلُّ مَن عليه لَحَى
قد أبْدع الله خَلْقَهُ فأتَى ... مُتَّزِراً بالجمال مُتَّشِحَا
رقَّتْ حَواشِي طباعِه فحكتْ ... رِقَّةَ ألْفاظِ مَن حَوى المُلَحَا

ومنه ما بعث به إليَّ في غرض له: [م. الكامل]

أنْعِم صَباحاً سيِّدِي ... يا ذَا العُلى والسُّؤْدُدِ
يا ابنَ الموالي الأكْرَمي ... نَ فداكَ كلُّ مُسوَّدِ
ياماجداً وطئَ الثُّها ... واختَلَّ فَرْقَ الفَرْقَدِ
بفضائلٍ ومآثِرٍ ... ومفاخرٍ لم تُجْحَدِ
وشواردٍ كعُقُودِ دُرٍّ ... فُصِّلَتْ بزَبَرْجَدِ
فاقتْ برَوْنَقِها نِظَا ... مَ البُختُرِيِّ وأخْمَدِ
وبديعِ نثْرٍ قد حَكَى ... ديباجةَ الروضِ النَّدِي
نابَتْ له حَبُّ القُلو ... بِ عن المِدادِ الأسْوَدِ
يا أيُّها المَولى الأمي ... نُ ونَخْبَلُ أكرمِ أمْجَدِ

= السيد حسن، وكان من أخصائهم ومن مداحهم وكاتبهم، وغالب قصائده في مدحهم، وأنزلوه منهم المنزلة الرحبة والمكانة العلية، وقاموا بلوازمه ومعاشه إلى أن مات بدمشق في سنة سبع عشرة ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير. ا.هـ . سلك الدرر (٢/ ١٦٧).

Marfat.com

أنـــتَ الـــذي يُـــزْجَـــى لـــد ... فْـــعِ خُـــطـــوبِ دهـــرٍ مُـلِـحَّـدِ
الـعـبـــدُ قـــد عـــبـــثَـــتْ بـــه ... أيْـــدِي الـــزمـــانِ الأنـــكَـــدِ
وحـــوادثٌ ضَـــيَّـــقْـــنَ فـــي ... عـــيْـــنَـــيْـــه رَحْـــبَ الـــفَـــدْفَـــدِ
والـصَّـبْـرُ لـيـس بـمُـمْـكِـنٍ ... والـحـظُّ لـيـس بِـمُـسْـعِـدِ
مـــولايَ هـــل مـــن عَـــطْـــفَـــةٍ ... مَـــمْـــزوجـــةٍ بـــتَـــودُّدِ
أو نـــظْـــرَةٍ تُـــدْنِـــي الـــفـــقـــيـــ ... ـرَ مـــن الـــجَـــنـــابَ الأسْـــعَـــدِ
تـــاللهِ لـــم أقْـــصِـــدْ سِـــوا ... كَ وهـــل سِـــواكَ بِـــمَـــقْـــصِـــدِ
فَـــبِـــحُـــرْمَـــةِ الآدابِ كُـــنْ ... مـــن جَـــوْرِ دهـــري مُـــسْـــعِـــدِي
لا زلـــتَ مـــقْـــصُـــوداً عـــلـــى ... رَغْـــمِ الـــحـــســـودِ الأنـــكَـــدِ

وأنشدني من لفظه لنفسه، قولَه: [البسيط]

يـا أيُّـهـا الـمـلِـكُ الـبـاهـي بـطـلْـعـتِـه ... ومَـن لـعَـهْـدِ وِدادِي فـي الـهـوى نَـبَـذَا
أفـسـدتَ قـلـبـيَ لـمَّـا أن نـزلْـتَ بـه ... فـقـال لِـي هـكَـذا إنَّ الـمـلُـوكَ إذَا

وهذا فيه الاقتباس مع الاكتفاء.

ولبعض المتقدِّمين عن عصرِنا: [البسيط]

مَلِيكَةَ الحُسْنِ جُودِي بالّلقا كرَماً ... لـمُـغْـرَمٍ قـلـبُـه قـد ذابَ فـيـكِ إذَا
أفْسدتِ قلبي فقالتْ تلك عادتُنا ... قـد قـال سـبـحـانَـه إنَّ الـمـلُـوكَ إذَا

وأنشدني من لفظه لنفسه، قولَه من قصيدة، مطلعها:

قـد نـبَّـهَـتْـنـا صَـوادِحُ الـقُـمْـرِي ... لـمَّـا تَـراءَتْ طـلائـعُ الـفـجْـرِ
وفـاحَ مـن نَـسْـمـة الـصَّـبَـا عَـبِـقٌ ... يـفُـوقُ رَيَّـاهُ عَـنْـبَـر الـشِّـحْـرِ
والـروضُ يـخْـتـالُ فـي مُـصـبَّـغَـةٍ ... تـجُـرُّ أذْيـالَـهـا عـلـى الـنَّـهْـرِ
وسَـرْوُه كـالـقِـيـانِ إذ خـطَـرَتْ ... لِـرَقْـصِـهَـا فـي مـآزِرٍ خُـضْـرِ

هذا مسبوق إليه في قول ابن طاهر الخَبَّاز: [السريع]

والـسَّـروُ فـيـهـا كَـعَـذَارَى غـدتْ ... تـرقُـص فـي أزدِيَـةٍ خُـضْـرِ

*****

والـطَّـلُّ فـي أعـيُـنِ الـزَّهْـرِ حَـكـى ... أدْمُـعَ صَـبٍّ أحَـسَّ بـالـشَّـرّ
والـجـوُّ قـد راقَ والـمُـدامَـةُ قـد ... رقَّـت كـطَـبْـعِ الـنَّـدِيـمِ أو شِـعْـرِي
ودار مـن فـوق وجـهِـهـا حَـبَـبٌ ... يُـخْـجِـل مـرآهُ نـاصِـعَ الـدُّرّ
فـانَـهَـضْ فَـدَتْـكَ الـنـفـوسُ مُـبْـتَـكِـراً ... وهـاتِـهـا قـبـل ضَـيْـعَـةِ الـعُـمْـرِ
صَـهْـبَـاءَ تـنْـفِـي هـمـومَ ذي تَـرَحٍ ... إن بـرزَتْ كـالـعـروسِ مـن خِـدْرِ

Marfat.com

طيِّبَةَ النَّشْرِ في الكؤُوسِ وهل ... بعد عَرُوسٍ يكون من عِطْرِ
يُديرُها أهْيَفُ القَوامِ رَشَاً ... مُخْتَصَرُ الخَصْرِ باسمُ الثَّغْرِ
ساقِ صَنِيْعٌ أغَرُّ مُقْلَتُه ... قد عَرَّفتنا بدائعَ السِّحْرِ
يسْقِي قليلَ المُدام عن ثِقَةٍ ... منه بما في الجفونِ من خَمْرِ

وأنشدته يوماً قولي: [المتقارب]

بِرُوحِيَ من وجهُه آيةٌ ... تدلُّ على خَلْقِه المُتْقَنِ
أُحاوِلُ في صُدْغِهِ لَحْظَةً ... فتَمْنَعُنِي زَخْمةُ الأعْيُنِ

فأنشَدَنِي في معارضته بَدِيهاً: [الخفيف]

كلَّما رُمْتُ نَظْرَةً والتِماحاً ... لِعِذارٍ على الخدود أدارَهْ
لم يجِدْ ناظِري إليه طريقاً ... لازْدِحامِ اللواحِظِ النُّظَّارَهْ

وأنشدني من لفظه لنفسه: [البسيط]

لا تَحسَبوا أنَّ رَيْحانَ العِذارِ بدَا ... بوجْنةٍ صاغَها الرَّحمَنُ وابْتدَعَا
وإنَّما طَوْقُه السَّمُّورُ قابَلَها ... فشكْلُه في حواشِيها قد انْطَبَعَا[1]

مثله للشِّهاب الخَفاجِيّ[2]: [الطويل]

وظَبيٍ من السَّمُّورِ ألبِس فَرْوَةً ... ومال كما هزَّتْ صَباً سُخرَةً سَرْوَا
وإلا عيونُ النَّاسِ من دَهْشَةٍ به ... تُخايِلُ أهْداباً فتحسَبُه فَرْوَا

وأنشدني من لفظه لنفسه: [الخفيف]

نَبِّه الصَّحْبَ لازْتِشافِ سُلافِ ... وادِزْها بين النُّدامَى الظِّرافِ
وامْسَحِ الطَّرْفَ من فُتُورِ نُعاسٍ ... بذُيول الصَّبا الرِّقاقِ اللِّطافِ
يا فَدَتْكَ النفوسُ دَاوِ بِصَرْفِ الرَّ ... احِ رُوحاً تعرَّضَتْ للتِّلافِ
واسْقِنِيها مِن كَفِّ ظبيٍ غَرِيرٍ ... لَيِّنِ المُلْتَوَى قليلِ الخلافِ
مُخْطَفِ الخَصْرِ يختفي البَنْدُ منه ... بين طَيِّ الأعْكانِ والأزداف
في رِياضٍ حُفَّتْ بسَرْوٍ نضيرٍ ... كجوارٍ ميَّالةِ الأعْطافِ
باكَرَتْها غُرُّ السَّحابِ بصَوْبٍ ... دائِمِ السَّكْبِ هاطِلٍ مِدْرافِ
خدمتْ زُهْرُها النجومَ فأبْدَتْ ... شَكْلَها في غَدِيرِها الشَّفَّافِ

وقرأتُ له يوماً الدِّيباجة التي عملتُها لديوان شعري، ومنها قولي في معرض غزَل: كأنَّ خالَه بين الحاجِبيْن، هندِيٌّ يلعَبُ بسَيْفيْن، أو جارِحٌ يختطفُ الجوارِحَ بجناحَيْن.

---

(١) السَّمور: دابة معروفة تسوّى من جلودها فِراء غالية الأثمان. ا.هـ لسان العرب، مادة: /سمر/.
(٢) انظر ريحانة الألبا (١/ ٤١٨)، سلك الدرر (٢/ ١٧٨).

Marfat.com

فأعجبه ما قلتُه وراقَه، وألْقَى عليه أوْراقَه، وجاءني بعد أيام وقد نَظَم هذا في مقْطُوع، وأنشدْنيه، وهو: [البسيط]

كأنما الخالُ بين الحاجبيْن فتىً ... يَرْمِي بقوْسَيْنِ أو يَسْطُو بسَيْفَيْنِ
أو طائرٍ جارِحٍ أهْوَى على شَرَفٍ ... ليخطِف القلبَ منّي بالجناحيْنِ

ونظمت وأنا بالقاهرة قصيدة، وصفْتُ بها بِرْكَة الأزْبكِيّةِ، وتخلّصت إلى مدْح بِرْكَةٍ خطَّها الأستاذ زين العابدين، لا بَرِح المجدُ ينطِق بلسانِه، والجود يشْكُر موارِدَ إحْسَانِه.

فلما وصَلَتْ إلى دمشق، وقف عليها المترجَم، فكتب إليّ قصيدةً على وزْنِها ورَويِّها، وصدَّرها بإنشاءٍ من نَسْجِ قلمِه.

فأما قصيدتي، فهذه: [م. الكامل]

يا حبَّذا خُضْرُ الخما ... ئلِ في رِياضِ الأزْبَكِيّهْ
وخفُوقُ أزْدِيةِ النَّسِي ... مِ سَرَى بِبُقْعتِها النَّدِيّهْ
أرْضٌ تكنَّفَها الحدا ... ئِقُ والرِّياضُ الأرْيَضِيّهْ
وتعطَّرَتْ أرجاؤُها ... بالرَّائِحاتِ المَنْدَلِيّهْ[1]
فوَّاحةٌ بشَذا العَبِي ... رِ وعابِقاتٌ عَنْبَرِيّهْ
وترنَّمتْ أطْيارُها ... سَحَراً بأصواتٍ شجِيّهْ
وإذا تأمَّلْتَ القُصو ... رَ بِها عَرفْتَ بها المَزِيّهْ
ومُنِيتَ ما تَخْتارُ مِن ... طُرَفِ المُراداتِ البهيّهْ
ومُنِيتَ ما تَهْواهُ من ... تلك الوجوهِ الأصْبَحِيّهْ
وتمايلَتْ شوقاً لطَلْـ ... ـعتِكَ القدودُ السُّمْهَرِيّهْ[2]
وقَصَرْتَ كلَّ هوىً على ... خَضَرِ الخصورِ الخاتِمِيّهْ
وخلُصتَ من سهم العيُو ... ن وأنت يا قلبي الرَّمِيّهْ
من كلِّ مَزْهُوبِ الشَّبَا ... في لحْظِه رُسُلُ المَنيّهْ
وإذا أشارَ مُلاطِفاً ... وَيْلاهُ من تلك البَلِيّهْ
يدعو النفوس إلى التَّلا ... فِ وليس يدري ما القَضِيّهْ
وعلى تلفُّتِ جِيدِه ... كم حارَ مُرْتادُ التَّقِيّهْ
ونصيبُه في الحسن حيْـ ... ـثُ الشمسُ غُرَّتُه المُضِيّهْ
فاختَر هنالكَ مَرْبَعاً ... تُكْفَى به كلَّ البليّهْ

---

(١) المندل: العود الرطب. ا.هـ لسان العرب، مادة: /مندل/.
(٢) اسمهرّ: اعتدل. ا.هـ القاموس المحيط، مادة: /سمهر/.

Marfat.com

وتُقيمُ مَوْقُورَ المُنَى ... وتحُفُّكَ المِنَنُ الحَفِيَّهْ
في ظلِّ زين العابدين ... بن الشَّهمِ أستاذِ البَرِيَّهْ
مَوْلَى أناخَ المجدُ في ... أعْقابِه البيضِ النَّقِيَّهْ
وتشرَّفَتْ بجَنابِه ... شَرَفُ القُرومِ المَوْلَوِيَّهْ
فالفضلُ فضلُ فتىً له الـ ... إنعامُ والحسنَى سجِيَّهْ
والفخرُ شِنْشِنَةٌ له ... ولقد أراها أخْزَمِيَّهْ
والحِلْمُ وصفٌ قصَّرتْ ... عنه السَّجايا الأحْنَفِيَّهْ
والجُودُ كلُّ الجودِ في ... شِيَمٍ غذَتْهُ حاتِمِيَّهْ
ضَاهَى بمقعدِه السُّها ... فغَدَتْ مَنازِلَهُ العليَّهْ
وجرى القضاءُ بِوَفْقِ ما ... يرجُوه من حُسْنِ الطَّوِيَّهْ
مولايَ حيِّى اللهُ وخْـ ... ـهك بالتَّحيَّاتِ الزَّكيَّهْ
ورَعاكَ ما دامَ الدوا ... مُ بعِيشةِ العُمْرِ الهَنِيَّهْ
أنا من عرفْتَ بأنَّه ... منسوبُ سُدَّتِك السنِيَّهْ
وإليكَ لي حقُّ انتِما ... ءٍ فاخرٍ حقَّ المالكيَّهْ
وأقِلْ عِثارِي إن سَقَطْـ ... ـتُ لضَعْفِ حالِي في الهَوِيَّهْ
فأنا الذي خطَّيْتُ رَخْـ ... ـلِي في حِماكَ حِمَى الحَمِيَّهْ
وأرَخْتُ من تَعَبِ الحيا ... ةِ هناكَ جسمِي والمَطِيَّهْ
ما لِي براحٌ ما برِحْـ ... ـتُ وكان في عُمرِي بقيَّهْ
ما الكَدُّ في دارِي لا ولا ... أرضِ القِلاَعِ الأغْصَمِيَّهْ
كلاَّ ولا لي ما حَبِيـ ... ـتُ بِجِلِّقٍ والروم نِيَّهْ
إلاَّ جِوارُكَ مُنْيَتِي ... حيث الهباتُ الأزيَجِيَّهْ
حيثُ الأخلاَّءُ الكرا ... مُ ذَوُو الفُكاهاتِ الجَنِيَّهْ
من كلِّ وضَّاحِ الصَّبِيـ ... ـحةِ وهو بَسَّامُ العَشِيَّهْ
لا زلتَ تخدُمكَ الأفا ... ضلُ والسَّراةُ اللَّوذَعِيَّهْ
وإليكَها مختارةً ... من جِلَّقِ الشامِ الزَّهيَّهْ
غَنَّاءَ حاليَةَ المُقَلَّـ ... ـدِ بالعقودِ الجَوْهَرِيَّهْ
غُذِيَتْ أوَانَ شبابِها ... بشَمِيمِ سَفْحِ الصَّالِحِيَّهْ
وتروَّحتْ بالشِّيحِ والـ ... قَيْصُومِ من تربٍ زكيَّهْ
وكَسَا معاطِفَها الدَّلا ... لُ حُلَى الجمالِ السُّنْدُسِيَّهْ

Marfat.com

تُولِيكَ من طَرَفَ المقو ... لِ نفائسَ الدُّرِّ السنِيَّهْ
وتبُثُّ مَدْحَكَ في الورى ... بصفاتِكَ الغُرِّ الرَضِيَّهْ
فاهْنَأْ بها وبِمِثلِها ... من خالِصِ الطُّرَفِ الطَّرِيَّهْ
وبَقِيتَ ما بَقِيَ البَقا ... ءُ وأنتَ ميزانُ البريَّهْ
تَخْبُوكَ في أمرِ المُنَى ... ألْطافُ مَوْلاكَ الخفيَّهْ

وهذا ما كتبَه إليَّ من إنشائه، ويتْلوهُ قَصيدته:

إن أشرَفَ ما نمَّقَهُ قلم، وأتْحفَ ما نَمْنَمهُ رقم.

وأبْهَجَ ما تزيَّنَ به طِرْس، وأبْدعَ ما جرى به نِقْس.

سلامٌ أضْوَعُ من شَمِيمِ الكِبَا، وألطفُ من نسيم الصَّبا.

وأعطرُ من أرَج أزهارَ الرياض، وأسحر من تغازُل الأجْفان المِراض.

وأثْنيةٌ لا يُحْصَى عدُّها، وأذْعِيةٌ لا ينقطِع مَددُها.

اهْدِي ذلك إلى جناب من لا أُسمِّيه؛ لجلالتِه، ولا أكْنِيه، وقدرُه المُغْتلِي عن ذلك يُغْنِيهِ.

حرس الله ذاتَه العليَّة، وجمَّل الوجودَ بصفاتِه السَّنيَّة.

وبعد، فإنْ تفضَّل المولى بالسؤال، عن كيفيَّة الحال.

فالعبد لله الحمد ذِي المِنَن الوافية، في بَحْبُوحَة الصحة والعافية.

غير أن الشوق، شَبَّ عَمْرُه عن الطَّوْق.

يسَّر الله الاجتماعَ بكم إنه وَلِيُّ التَّيْسير، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

والذي يعرِضهُ هذا الدَّاعِي، أن المولى من حين أشْرَقَ في فَلَك مصر بدرُه الكامِلُ، وغابَ عن أُفُقِ شامِنا الذي هو للمحاسِن شامِل.

لم يزَلْ العبْدُ لألَم البَيْنِ مُكابِدَ القلق والضَّجَر، مُتطلِّعاً لأخبارِكُم السارَّة حتى ظفرَ منها بأبْلَغ أثَر.

وذلك قصيدتكم الرَّافلةُ في الحُلَل البهيَّة، المتضمِّنة لمدْح الأستاذ ووصف بِرْكة الأزْبَكِيَّة.

التي سجد لبلاغةِ نِظامِها مَن هو أبْلَغُ من الوَليد، والفرِيدة التي كلُّ بيتٍ منها بألْفِ قَصِيد.

لا برِحتْ جواهرُ ألفاظ مولانا قلائدَ لذَوِي التَّحقيق، وعرائسُ أبْكار أفْكارِه مُحلاَّةً بمدائِح آلِ الصِّدِّيق.

فعند ذلك توسَّلْتُ إلى الله تعالى بسيِّد الكَوْنَيْن، أنه كما سرَّني برُؤيَةِ الأثَرِ أن يُقِرَّ الأعيُنَ بالعَيْن.

Marfat.com

وتصدَّيْتُ لعَرْضِ أشواقِي التي خرجتْ عن حَدِّ الحَصْر، بأن أُعارِضَها بقصيدةٍ أهدِيْها لأوْحَدِ العصر.

لتكون لأثَرِ الشوقِ قافِية، فأشْبَهَتْهَا ولكن وَزْناً وقافِية.

ومَن يَقْوَى لمُعارضةِ البحر الكامل، وأين الثُّريَّا من يدِ المتناوِل.

وها هي واصلةٌ إليكَ، وقادمةٌ عليك.

وصَل اللهُ لك أسْبابَ نتائجَ الأمل، مُتلَفِّعةً بأسْمالِها، تعثُر في ذيْلِها من الخَجَل.

فَتَلَقَّها بالبِشرِ والقبُول، وأنْزِلْها منك بأحْسَن مَنْزُول.

وأسْبِل عليها من حُلَلِ إحسانِك سِتْراً، لأنَّك من أهلِ البيتِ وصاحبُ البيتِ أدْرَى.

والقصيدة هي هذه: [م. الكامل]

أسَقِيطُ طَلٍّ جال في ... زُهْرِ الرياضِ السُّنْدُسيَّهْ
أم ثَغْرُ وَضَّاحِ اللَّمَبا ... سِمِ ذي الثَّنايا اللُّؤْلُؤيَّهْ
أم وَحْيُ حَوْرَاءِ اللَّوا ... حِظِ أم عقودٌ جوهريَّهْ
أم نَسْمةٌ شِخْرِيَّةٌ ... نفَحَتْ فجاءتْ عنْبَريَّهْ
أم روضةٌ غَنَّاءُ يا ... نِعمةٌ أزاهِرُها زَهِيَّهْ
أم ذاكَ نفْثُ السِّحْرِ من ... مولايَ أرسلَه هديَّهْ
أعني الأمينَ أمينَ كنْـ ... ـزِ الفضلِ بَسَّامَ العشيَّهْ
حاوِي الفصاحةِ والبلا ... غَةِ والصفاتِ الأَلْمَعيَّهْ
ساد الورَى بشمائِلٍ ... عنوانُها النفسُ الزَّكيَّهْ
فرعٌ زَكِيٌّ أصلُه ... خيرُ الخلائقِ والبريَّهْ
يا مُخْجِلِياً بِكْرَ المعا ... نِي الغُرِّ بالكَلِمِ الجليَّهْ
للهِ دَرُّ عَقِيلةٍ ... أَلْبَسْتَها الحُلَلَ السَّنيَّهْ
وبعثْتَها تَزْوِي أحا ... ديثَ الكرامِ الأزيَحيَّهْ
مَن ذَا يُساجِلُكَ النَّظا ... مَ وأنتَ سَحَّاحُ السَّجيَّهْ
أدبٌ كأزْهارِ الرُّبَى ... سُقِيَتْ بأخلاقٍ رَوِيَّهْ
وشوارِدٌ سارَتْ بها الرُّ ... كْبانُ للمُدُنِ القصيَّهْ
غُرَرٌ كأنَّ رَوِيَّها ... درُّ الثُّغُورِ الأَلْعَسِيَّهْ
كادَتْ لرِقَّتِها تَسِيـ ... ـلُ فتَرْتَوِي كَبِدٌ صَدِيَّهْ
يا سيِّداً كم رَاضَ لِي ... في النَّظْمِ قافيةً عَصِيَّهْ
يا أوْحَدَ العصرِ الذي ... حازَ الهِباتِ الحاتميَّهْ
أوَما كفى بِفراقِ طَلْـ ... ـعَتِك البهيَّةِ لِي بَلِيَّهْ

Marfat.com

حتّى نَسِيتَ، عهودَ وُدٍّ ... ي بعد إخْلاصِ الطَّوِيَّهْ
ثم انْثنيتَ فهِجْتَ لِي ... شَجَناً بِذِكْرِ الأزْبَكِيَّهْ
وسلَوْتَ عن وادي دِمَشْـ ... ـقَ وما حَوَى والصَّالِحِيَّهْ
ذاتِ المنارَة والجوَا ... سِقِ والرِّياضِ الأزْيَضِيَّهْ
والنَّيْرَبَيْن الأفْيَحَيْـ ... ـنِ بها وغُوطَتِها البَهِيَّهْ
والسَّبْعَةِ الأنهارِ تَجْـ ... ـرِي في البِقاعِ الأقْدَسِيَّهْ
والوُرْقِ يُبْدِي لحنُها ... بالجُنْكِ أصْواتاً شجِيَّهْ
وعليلِ مِسْكِيِّ الصَّبا ... يَهْفُو بأنْفاسٍ نَدِيَّهْ
والمَرْجَةِ الخَضْراءِ إذْ ... فُرِشَتْ بِبُسْطٍ عَبْقَرِيَّهْ
ومسارحِ الآرامِ في ... أرْجائِها وَقْتَ العَشِيَّهْ
من كلِّ أغْيَدَ مُشْرِقٍ ... أبهَى من الشَّمس المُضِيَّهْ
يفْترُّ عن شَنَبٍ أغَرّ ... حوَى صِحَاحَ الجَوهَرِيَّهْ
وَجَناتُه الياقوتُ والـ ... ـخِيلاَنُ أضْحتْ عبْقَرِيَّهْ
ولِحاظُه فعلتْ بنا ... أضعافَ فعلِ المَشْرَفِيَّهْ
عن بابلٍ أخذتْ فنو ... نَ السِّحرِ فهْي البابِلِيَّهْ
يزنو فيرمِي أسهماً ... منهُنَّا وحاجبُه الحَنِيَّهْ
يُضمِي ولا يدري بأنَّ ... فؤادَ مُضْنَاهُ الرَّمِيَّهْ
لَذْنُ المَعاطِفِ قَدُّهُ ... قدُّ الرِّماحِ السَّمْهَرِيَّهْ
نَشْوانُ من خمرِ الدَّلا ... لِ سُقِي بكاساتٍ رَوِيَّهْ
فكأنه مَلِكٌ وألْـ ... ـبَابُ الأنامِ له رعِيَّهْ
هذي محاسِنُ جِلَّقَ الـ ... ـفَيْحاءِ تَفْديك البريَّهْ
أنموذَجاً منها وصفْـ ... ـتُ وأنت أدْرَى بالبقيَّهْ
فبأيِّ عذرٍ مِلْتَ عن ... رُؤيا محاسِنِها الشَّهيَّهْ
حيّا الإلَهُ جمالَ وَجْـ ... ـهِكَ بالرضا أسْنَى تحيَّهْ
مولايَ هل من نَظْرَةٍ ... صِدْقُ الوِدادِ لها مَزِيَّهْ
فلَواعِجُ الأشْواقِ في الـ ... أحْشاءِ جمرتُها ذَكيَّهْ
أنا عبدُكَ الخِلُّ الوَفيُّ ... وليس حالاتي خفيَّهْ
فاسْلَم فَدِيتُك حيثُ كُنـ ... ـتَ ودُمْ بعِيشتِك الرَّخِيَّهْ
وإليكها رُغْبُوبةً ... تُنْبِيكَ عن حُسْنِ الطَّوِيَّهْ

Marfat.com

حَـمَـوِيَّـةً شـامِـيَّـةً وَافَـتْ بـفـاكِـهـةٍ جَـنِـيَّـه
فـاسْـبِـلْ عـلـيـهـا مـن جـمـيـ ـلِ الـسِّـتْـرِ أزدِيَـةً نـقـيَّـه
لا زلـتَ مـمـدوحَ الـصِّـفـا تِ الـغُـرِّ مـحـمـودَ الـسـجـيَّـه
مـا غَـرَّدَتْ وُرْقُ الـحـمـا ئِـم فـي الـريـاض الـسـنـدسـيَّـه

ولما وردت عليَّ وكنت مقيماً ببُولاق، وأنا حَليفُ أخلاقٍ أخْلاق.

وذلكَ لفَقْدِ الأنيس، حتى اليعافيرُ والعِيسِ.

لا أرَى رَدِيفاً إلاَّ من القافِيَة، ولا أطلب صديقاً إلاَّ من العافية.

ولا ذُقتُ إلاَّ ماءَ عيني مَشْرَباً، ولا نِلتُ إلاَّ لحمَ كفِّي مَطْعَماً.

وقد عرَفتُ شأني وزماني، وخلعتُ من عنقي رِبْقَة الأماني.

لا تُزعِجني المُهِمَّة، إلى اسْتِعمال الهِمَّة، وأنا ناظِرٌ إلى نفسِي بالذنب والتُّهمة.

فقد اجْتَرَمْت الخَطايا، وركبتُ الأجْرامَ رواحِلَ ومَطايا.

وفارقتُ العيونَ الصِّحاح، والألفاظَ الفِصاح.

والرِّياضَ النَّواسِم، والثَّغورَ البواسِم.

والمواطِن التي عرفتُ بافتراعِ الأحاسِنِ ناسَها، وألقيْتُ بها أزِمَّةَ الآدابِ تَرُوقُ أنواعَها وأجْناسَها.

فكتبتُ إليه وضَرورتي مشْروحة، ودَعْوَى التَّحامُل عن كَتِفي مَطْرُوحَة.

وأسْتَوهِب الله رَحْمةً تجعل عِناني في يد التَّوفيق، وتَصرِفُ عَياني عن هذه الوَحْدَة إلى الفريق الرَّفيق:

وصل كِتابُك فاتَّفقتِ القلوب على تفضيله، واختلفت الألسنةُ في تمْثيلة.

فمِن مُدَّعٍ أنَّه رُقْيَةُ الوَصْل، ورِيقةُ النحل.

ومُنْتَحِلٍ أنَّه دُرَّةُ النَّحْر، ولؤلؤةُ البحر.

وقائِلٍ هو السُّكَّرُ المعقود، وسُلافُ العنقود.

فأمَّا أنا فتركتُ التَّشْبِيه، وقلت ما له مَثِيل ولا شَبِيه.

بَنَتِ البلاغةُ سماءَ بَيانِه، وحُشِرَ الحسنُ بين قلم مُنْشِيه وبَنانِه.

فعَيْنُ الله على هذه الألفاظ الغُرّ، التي يحسِدها على اتِّساقِها الياقوتُ والدُّرّ.

وقد عرَّفْتَني من خَبَرِ سلامَتِك ما رَجوْتُ له الدوام، ودعوتُ له بالحِفْظِ من حوادِث الأيّام.

وكان سَرَى خيالك فشَوَّق، واستطار بَرْقُك فأرّق.

فأجْفانُ الإخلاصِ ناظرةٌ إليك، ويَدُ القبول مُسلِّمةٌ عليك.

وأما القصيدة التي هي دُرَّةُ التَّقاصِيرِ، ورَبيبةُ تلك المَقاصِير.

فقد وردتْ مُؤكِّدة لك المحبَّةَ في القلوب، والرَّغْبةَ في الوُدّ المطلوب.

Marfat.com

وفطنتْ بتلك النيَّة، وما أظنُّها كانتْ عن رَوِيَّة.
فهي كدَغوة السَّائل، إنَّما تجْرِي لتأكيد الوسائل.
كيف ومَحَلُّها مُنْطَمِسٌ بغُبار الأغْيار، وحُقَّ لمن رأى غُبارَ بُولاق أن يشْكُوَ صَدَأ الأكدار.
ولعل السيِّد نظر إلى بيْت العيون والرَّمِيَّة، فعلم أن النفْس من مُخالَسَتِها أبِيَّة.
[الطويل]
فلو قاصِراتُ الطرفِ أقْبَلْنَ كالمَهَا وقَبَّلْنَ رأسِي ما قبلتُ مَزارَها[1]
نعَم القلْبُ بعيُون الشَّام عَلِق، إلى أن يصير إلى ما منه خُلِق.
فأمَا وحَدَقِها المِراض، وسهامِها التي تتمنَّاها الأغْراض.
ورُنوِّها ولو لحْظَةً فان لها حقّاً، وتَلَفُّتِها ولو غَلْطَةً فإنِّي عبدُها رِقّاً.
إنِّي منذ ودَّعْتُ بها حلاوةَ الرِّضَا، ودَّعْتُ العيشَ المُرْتَضَى، وبِتُّ على جَمْرِ الغضَا، وحدِّ السيف المُنتضَى.
وأنا الآن بحُكْم الزمان، مُسْتَوْدَعٌ دارَ الهَوانِ.
أضحَكُ للبُوسَ، وأبَشُّ للوَجْه العَبُوس.
وأتصفَّحُ وُجوهاً لا أرْجُوها، وأرِيدُ أمدحُها والمروءةُ تَهجُوهَا.
أكثرهُم شيخٌ يَتَفَتَّى، ويَبْرُزُ في أطْوارٍ شَتَّى.
يأكل ما تأكل النَّاس، ويخالفُهم في المَشْرَبِ والْلِّباس.
له وَجْهٌ لا يشِفّ، وعَيْنٌ لا تَرِفّ.
إذا تكَلَّمَ، كَلَم، وإذا بَشَّ، أذْهَش وأوْحَش.
كلامُه في الرِّضا، مثْلُ هَزَّاتِ القَضا.
خلقَ الله ذاتَه عِبْرَةً للنَّوائِب.
وثَمَّ من رُزِقَ فَلْتَةً، ورُمِقَ بَغْتَة.
عُمْر غِناه قَصِير، وهو بطرِيق اللُّؤْم بَصِير.
فإذا رأيتَ رَثَاثَةَ حالِه ونعمتُه لديه، يُوشِكُ أن تدَّعِيَ غَضَبَ اللهِ عليها وعليه.
وقد مَقَتُّ بهم الأيامَ وتَصارِيفَها، وسَئِمْتُ الحياة وتكاليفَها.
ولو جهلت أن الحِذْق، لا يزيد الرِّزْق.
لَعَذَرْتُ نفْسِي في الرَّحْلِ أشُدُّه، والحبْلِ أمُدُّه.
ولكنِّي أعْلم هذا وأعمل ضِدَّه، وأسِيرُ سَيْراً يُنْكِر المرءُ فيه جُهْدَه.
وإلاَّ فَمن أخذني بالمَطار، في هذه الأقطار.

---

(١) وهو لعبد الرحمن بن محمد العمادي الشامي، انظر ريحانة الألبا (١/ ٢٢٤) وفيه:
«فلو صائدات القلب أقبلن كالمها»

Marfat.com

حتى تركَني أُنازِلُ المِحَن، وأعْتَب هذا الزَّمَن.
وأقول: قد بُلِيتُ فيه، بأيّام كأيّام رمضان ولَيالٍ كَلَيالِيه.
تلك كَظِلِّ الرُّمْح، وهذه تهْويمة الصُّبْح.
وكلاهما تارةً بنارِ الجحِيم يلتَهِب، وآونةً بِفَيْحِه للحارّ الغَريزِيّ ينْتهِب.
قد أخَلاَّ بالعادة، وجاوَزا المألوفَ بزيادَة.
وحَشْوُهما ذُباب يبْرَح ويَسْنَح، وبعَدَم مُبالاةٍ خُلَطائه لا يهِفُّ للبَراح ولا يَجْنَح.
وبَرْغُوثٌ كنقطةِ دَغَل، أو سُوَيْدَاء دَخَل.
يُدرِك بطعنٍ مُؤلِم، ويستحلُّ دَمَ كلّ مسلم.
وبَعُوضٌ يُطَيلُ الألم، ولا يفْنَى حتى يَرتَوِي من شُرْب دم.
وبَقٌّ خارجٌ عما يُعْهَد، يُلِحُّ في الوصول إلى العَظْمِ ويَجْهَد.
ووراء ذلك ضَجِيج، ولا ضجِيجُ الحَجِيج.
وزِحامٌ يُبْلي به الشخصُ من السَّحَر في الطريق، حتى يقول: ما هذه القِيامةُ على الرِّيق.
وأمّا حديثُ قلّة الأدب فِمن هنا يُؤْثَر، والأقَلُّ منهم تابعٌ للأكثر.
وكيف يُرْجَى منهم حِجاب، ومكانُ الحياء منهم خَراب.
إلى غير ذلك من قبائح تركْتُها حَذَراً من تلْويث الكتاب، وفضائحَ لا يُلْبَس عليها ثياب.
هذا وأنا أحْمَدُ الله الذي لا يُحْمَد على المكروه سواه، ولا يَعْرِف قدرَ نعمتِه إلاّ مَن عالَج بَلْواه.
فلولا العِلَّةُ لم تُحمَد الصحة، ولولا التَّرْحَةُ لم تُطلَب الفَرْحة.
فأنا فارقتُ الجنة تغلمة آدَم أبي، واسْتبْدلتُ نقِيضَها بطَرْفٍ نافرٍ وقلبٍ أبي.
وخُضْتُ غِمارَ المهالك والرَّدَى، ونظرتُ إلى الآخرة وأنا في الدنيا.
وتعوَّضْتُ عن تلك الوجوه بهذه الوجوه، واخْتلفتْ حالِي فأنا متناقِض معهم في كل ما أرْجُوه.
فما أشْبَهَني بكحلٍ في عين أعمى، ومصباحٍ عند أكْمَه، ونَغْمةِ عودٍ عند أصَمّ، وخاتم في أُصبُع أشَلّ.
ودُرَّةٍ في رأس قُرَوِيّ، وسُبْحَةٍ في يد بَدَوِيّ.
وسيفٍ في قبْضَةِ جبان، ومِصراعِ تضمين في شِعر ابن غزْلان، أو أبي الغزلان.
وإنّي إلى مواضع إيناسِي، ومَراتِع غِزْلان صَريمي وكِناسِي.
أحَنُّ من حمامةٍ لفرْخ، وأوْرَى شوقاً من عَفَار ومَرْخ.
وأنا مُقْدِم على أدوات التوسُّل، متوسِّل بصاحب الشفاعةِ في التَّوصُّل.
فعسَى أرَى وقتَ التَّلفُّت، ولا علِقَتْ لي بعدها لحظةٌ بالتلفُّت.

Marfat.com

وإن نبَذُوا بعدي الحَصاة، فلا أبَ لهم إن لم يَكْنِسُوا العَرَصات.
فإن عَمدُوا إلى أن يُوقِدُوا في أثَرِي النّار، فلْيُسْرِعُوا إلى أن يُثِيرُوا في قَفايَ الغُبار.
وضَراعتي إلى السميعِ المُجيب، أن يجعلَ ذلك أقربَ من كلّ قريب.
والسلام.

٥٠- محيي الدين السلطيّ

شيخُ الصَّنْعة ووليدُها، والمتوفِّر له طريفُها من الفنون وتَلِيدُها.
وابنُ بَجْدَتها في القَرِيض، وأخُو جُمْلتها في النَّفَسِ الطَّويل العريض، وأبُو عُذْرتِها في التَّصريح بالأغراض والتَّعْرِيض.
رأس بالاستحقاق الآن، وسهَّل طُرق الفنون وألاَن.
وهو شاعر لا يطمَع في لحَاقِه مُجارِيه، ولا يُخْشَى التُّراب إلا في وجهِ مُبارِيه.
وقد ناهزَ الثَّمانين، وسَما على العَرانِين.
فلو رآه ابن سَبْعين لمَا تَجاوزَ حَدَّه، أو الثَّمانِين لاسْتَنْجد بهمَّة جِدِّه.
وهو أغصفُ القوم رِيحاً، وأكثرُهم عن البيان تَصْرِيحاً.
قلبُه قَلِيبٌ واسع، وغَوْرُه بَعيْدٌ شاسِع.
لا يُقَرْطِسُ غرَضاً إلا أصْماه، ولا يُفوِّقُ سَهْماً إلا أصابَ مَرْماه.
وقد صَحِبْتُه مدةً فتَمتَّعْتُ بآدابِه، ورأيت التحوُّل في كلّ فنٍّ من دَابِه.
وتناولتُ من أشعارِه تُحفاً باديةَ الإغراب، وطُرَفاً أتْرابُها في اتِّفاقِ الصنعةِ تحت التراب.
فدونك منها ما لا يحْتاج حُسْنُه إلى إثبات، كالدُّرِّ يكْفيه من حُسْنِه نُحورٌ ولَبَّات.
فمن ذلك قوله من مقصورة، مستهلُّها: [السريع]

قَوامُهُ واللَّحْظُ منه يُقْتَنَى ... مُمَنَّعٌ بين الرِّماح والظُّبَى
مِن جَفْنِهِ كِسْرَى اسْتُبِيحَ اسمُهُ ... وللنَّجاشِي الحكمُ في الخالِ مَضَى
في حَرَكاتِ قَدِّه يُستحْسَن الضَّـ ... ـمُّ ومن أجْفانِه الكَسْرُ ازْتَوَى
وثغرُه قالوا العُذَيْبُ قلتُ مِن ... ذاك يُشامُ البرقُ منه أوْمَضَا

منها:

مَن لم يَذُقْ حُلْوَ الهوى ومُرَّهُ ... لم يَدْرِ ما بين الضلالِ والهدَى
يا صاحِ أغْني غيرَ صاحٍ من هوىً ... إن جُزْتَ سَلْعاً منه سَل عن ذِي نَبَا
أخَيِّمَ الأخْبابُ أم قدْ ظَعنوا ... فهاكَ آثارُ المَطِيِّ في طَوَى

وكنتُ طلبتُ منه شيئاً من أشعاره، لأُثبته في كتابي هذا، فوعد وسوَّف.
فكتبت إليه:

Marfat.com

أمــولايَ مُــخــيِــي رســومَ الأدبْ ... ومَــن حــاز فــيــه أجَــلَّ الــرُّتَــبْ
لــك اللهُ مــن مُــبْــدِعٍ فــي الــصــنِــيــعِ ... إذا فــاه يَــعْــجَــبُ مــنــه الــعَــجَــبْ
فــشــعْــرُكَ تَــطْــرَبُ مــنــه الــمُــدامُ ... ونَــثْــرُكَ يَــرْقُــص مــنــه الــحَــبَــبْ
وأنــت الــحــيــاةُ لــجــسْــمِ الــعُــلــى ... ولــلْــفَــضْــلِ رَوْنَــقُــهُ الــمُــكْــتَــسَــبْ
ولــولا وجُــودُك مــا شَــاقَــنِــي ... كــــلامٌ يــــروقُ وذاتٌ تُــــحَــــبّ
وعــدْتَ بــإرْســالِ بــعــضِ الــقَــرِيــضِ ... فــأنْــجِــزْ لأبــلُــغَ مــنــك الأرَبْ
فــهــذا الــربــيــعُ أتــى قــائــلاً ... خــذُوا طَــرَبــاً فــي أوانِ الــطــربْ

فأرسل إليَّ قِطَعاً من شِعره، وكتب معها:

مولاي، وصلتْ الغادةُ التي بسَماعِها عَرْبَدتِ الأفكار، وسكرتْ مذ شامَتْ أسطُرَها ولا سُكر بمُضْطار.

فيالها من غِرِّيدة غرَّدتْ فصدَح من سَماعِها الحَمام، وحَمامةٍ وَرْقاء فعلتْ بنا كما تفعل الرُّوح بالأجسام.

سجدتْ بين يديها البلغاءُ والفصحا، حتى سكر بخمرها المغْنَويّ مَن لا يشرب وبها صَحَا. فهي الدواءُ للجُهَّال والدَّوا، ومعناها المَرْوِيُّ والفخرُ لمن لها رَوَى.

داوَتْ بكلامها الكُلُوم، وسارتْ في مراتبها منازلَ النجوم.

أشرقتْ في آفاق الأفكار وضاءَت، وشرَّقت القاصدين عن الوصول بأذمُعِها ففاضت.

برزتْ من كِنِّ حاصِل الكمال جوهرةً فريدة، فشهدت بنو الفَجْر منها وتنهَّدت بدُرِّها عذارَى أبكار الأفكار فهي بها سعيدة.

بانَتْ فيها لُباناتُ الأغراض، مَيَّادة يُؤتَمُّ بجوها وتُلْغَى الأغراض.

بائية اكتسَبَتْ بصائرُنا صحةَ الإيضاح في المعاني، ببديع بيانها السَّامي على من يُعانِي.

تتجلَّى كأنَّها ذُكاء نوراً فتكُفُّ عن إدراكها العيون، فهي معلومةُ الذَّات بالصفات مجهولة الكُنْه كما قال الفاضلون.

خطفتْ بأشعَّة أنوارها من ظَنِّ السَّرابَ شراباً، وسلبتْ وكسَتْ فتلك عقولاً وهذه أسْباباً.

فيا لها من فاضلةٍ كبرى، وخافضة عن عبدها لخدمتها وِزْرا.
هذا وقد قلَّدتُها عُنُق دهْري فطال، ووطئت مَمْشاها بالعيون وَطْأةَ إذلال.
فقال كمالُها ارفعْ رَاساً، وتجلَّى جمالاً فأحَيِّي أنفاساً.
فهي السائدةُ على سُؤْدد السيادة، وكأنها لِمُرْسلها حُسْنى وزيادة.

Marfat.com

وقد ضاق وُسْع هذا الدَّاعي عن هذا المدى، لكنه لحثالة حاله وقلّة رأس مالِه، قام منشدا: [المتقارب]

صَدُوحَةُ روضِ اللَّهَى والطربْ ... ومَغْنَى الفِصاحِ وكِنُّ الأدَبْ
غريدةُ بيتِ ولاءِ الوَلِيِّ ... نتيجةُ فخرِ لُغاتِ العرَبْ
عن الرَّاحِ تُغني بِحَسْوِ العقولِ ... فما الخمْرُ وَصْفاً وبِنْتُ العِنَبْ
بدتْ في خِمار اللَّهَى تنْثني ... فَعَرْبَدَ منها الحِجَى واضْطرَبْ
ولما استقرَّتْ برُاحِ الخَدِيمِ ... أراح مُنَاهُ وزِيحَ النَّصَبْ
كأنَّ أمينَ الوفا قد وفَا ... يُخاصِمُ دهراً حلِيفَ العَتَبْ
فأبْرزَ حِلْماً وحُكْماً له ... فهل يُسْتَطاعُ سِوى ما كتَبْ
أجَبْنَا نَجِيباً سمَا عصرُه ... بما قال أمراً وما قد طلَبْ
فهاكَ رُوَى عاجزٍ عن مدَى ... وَفاك وعن شأوِ أهلِ الحسَبْ

وهذا ما بعث به:

فمن ذلك قوله من قصيدة: هذا المُفْرَدُ في الغزَل اسْتَجَدْتُه فأفْرَدْته، وهو: [السريع]

وَجْهٌ إذا قابَلَ شمس الضُحى ... والبدرَ ليلاً فات وقتُ الصَّلاة

وقوله: [الطويل]

ومُحْتَضَرٍ أرثَتْه منِّي ضمائرٌ ... على ظنِّها لم تَدْرِ في أمْرِها السَّبَبْ
فكان كما أرْوِيهِ حقّاً بلا مِرَا ... إلى رحمةِ الله الرَّحيمِ هو الأدَبْ

أرثيْتُ لفلان، إذا رَفَقْتَ له. ورَثَى المَيِّتَ بالشعر، وربما قالوا أرْثأته بالشعر، ويُعَدّ من غَلَط البصريِّين.

وأما أرْثَيْتُه، فلم أرَه.

ومن ذلك قوله: [م. الكامل]

بي غادةٌ تُمْلِي الجوَى ... من شَرْحِ أسَوا مِحْنَتِي
ناظَرْتُها من خاطِرِي ... فأنا الذي وهي التِي

فيه إيداع لبيت ابن لُؤْلُؤ الذَّهَبيّ، وهو[1]: [الكامل]

فأنا الذي أُمْلِي الجوى من خاطرِي ... وهي التي تُمْلِي من الأوْراقِ

ومن ذلك قوله: من قصيدة، مطلعها: [الرجز]

إنَّ أضْلَدَ الزِّناد في الأيادِي ... ما أضْلَدَتْ قرائحُ الأكبادِ

---

(١) انظر ريحانة الألبا (٢/ ١٢٤) وفيه: «وأنا الذي أملي الهوى من خاطري».

Marfat.com

أورَتْ زَنائدي فنوناً قصَّرتْ ... عن نَعْتِها اللَّهَى من الأمْجادِ
من كلِّ معنىً بالبديع شأوُه ... له رَقَى على بيانِ الشَّادِي
مَعْناهُ في لَطافةِ التركيب والـ ... مَعْنى كلُطْفِ الرُّوحِ في الأجْسادِ
بَرَعْتُ فيها فاليَراعُ خادِمي ... والطِّرْسُ مِلْكِي والرُّوَى أجْنادِي
سامَرْتُ فيما فُهْتُ رُوحِي في الدجى ... فآنَسَتْنِي مثلَ صوتِ الحادِي
للهِ ما نُجْبُ اليَعاسِيبِ انْتَشَتْ ... من الحُداةِ في رُوَى إنْشَادِي
تَعِيفُ بالمَفَازِ وِرْدَ الماء من ... مَساغِ نَظْمِي مُرتل التَّحادِي
تَمِيلُ في مَسْرَى سُراها جُفَّلاً ... تَبْغِي الحُداةَ لا حلى المزادِ

منها:

يا بُرَحاً زادتْ بنا أنْواؤه ... زَوْدَ الغَدِير عن رِوَى الصَّوادِي
جرَّعْتَنِي بعد الأُصَيْحابِ الأسَى ... فذُقْتُ منه وَضْمَةَ النُّكادِ
هلاً رحمت مُغْرَماً صَبّاً رَقَتْ ... دموعُه مَراقِيَ الوِسادِ
يسخرُ منه كل خِلْوٍ من هوىً ... يُشْفِق فيه مُغْرَمَ الوِدادِ
فالخِلْوُ ممْنوعُ الرِّضا وضِدُّه ... عن حالِه مُمنَّعُ السَّدادِ
أمَّنْتُ ناساً لقباً وما هم ... باهل وُدٍّ يُقصدون بادي
فعُذْتُ عَوْدَ نادِمٍ وهكذا ... من أمَّ غَيْرَ مثلِه في نادِي
فلا رجعْتَ يا أخاً الوُدِّ كما ... رجعتُ في عَوْدِي وفي تَزْدَادِي
سئِمْتَ منِّي فالورى أحقُّ مَن ... يُسْأَمُ منه أبَدَ الآبادِ

ومن ذلك قوله، من قصيدة، مستهلُّها: [الطويل]

إذا ما دعاني للهوى المحكَم العُذْرِي ... عِذَارُ الذي أهْوَى فماذا ترى عُذْرِي
وهل غيرُ ربِّ الآسِ صُدْغاً ونُكْهةً ... لداءِ كَلُوم في الحشَاءِ إلى الحشْرِ
عدِمتُ شفا وَرْدِ المراشِفِ حُلْوِهِ ... إذا لم أكنْ أقْوَى الخلائقِ للصبْرِ

وقوله من أخرى: [السريع]

طَيْفَ الكرى حُيِّيتَ من زائِر ... منحتَ بُرْءَ الداءِ من هاجِرِي
ما كان أحلى سِنَةَ الغَمْضِ في ... ليْلٍ سطا في ظُلْمِه كافِرِ
ليْلٍ كأنَّ الغَمْضَ فيه سرَى ... ضَلَّ الهُدَى فانْقادَ كالحائِرِ

وقوله: [الخفيف]

إن سُقْم الجفون أسْقم جَفْنِي ... وولاِني من السُّقام فُتُورا
ربِّ فاشْفِ السُّقامَ منهم بكَسْرٍ ... فهوَاهُمْ أضَلُّ خلْقاً كثيرا

Marfat.com

وقوله: [الخفيف]

دَعْ فُؤادِي عليك يذهب حَسْرَهْ ... أو فَيَكْفِيه منك في العمرِ نَظْرَهْ
ما صَنِيعِي وفيك عادَ مآلِي ... عودةً كالسَّرَابِ في أرضِ قَفْرَهْ

فصل

عقدتُه لجماعة من العلماء الأجلاَّء، يهتَدِي بمصابيح علومهم الأضِلاَّء.
ممَّن فضلُه واضِحٌ مُبَيَّن، والتبرُّك بذكرِه فرضٌ متعيّن.
وهم وإن كانت آثارُهم العليَّة غنيةً عن الوصف والإطالة، فلقد أتَوْا بأشياء من الشعر هي في الجملة خيرٌ من البَطالَة.
فمنهم:

٥١- نجمُ الدِّين الغَزِّيّ

النجمُ الأرْضِيّ، وابن البدر المُضيّ، وجدُّه الرَّضِيُّ المَرْضِيّ.
ثلاثة في نَسَق، طلَعوا فأناروا الغَسَق.
وقدَمُهم في النَّباهة، أعْلَى من قدمهم في الوَجاهَة.
فمَن يُسامِيهم، وإلى الكواكب مَرامِيهم.
وهم في القديم والحديث، أئمةُ التفسير والحديث. [البسيط]

لم يبْرحِ المجدُ يسمُو ذاهِباً بِهِمُ ... حتَّى أزاحَ الثُّريَّا وهو ما قَنَعَا

والنجمُ انعقدت العَشْرَةُ عليه، وسعتْ وُفُود العِناية مُسرِعة إليه.
فَ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢].

٥١- وهو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج بن بدر. محدث الشام ومسندها الشيخ الإمام نجم الدين أبو المكارم وأبو السعود بن بدر الدين بن رضي الدين الغزي، العامري، الدمشقي، الشافعي. تردد إلى مجلس الشيخ العلامة زين الدين عمر بن سلطان مفتي الحنفية وقرأ عليه الأجرومية ولزم درس شيخ الإسلام شهاب الدين العيثاوي، ولزم شيخ الإسلام أبا الفضل محمد محب الدين القاضي الحنفي، وقرأ على السيد محمد بن السيد محمد بن السيد حسن السعودي، وأجازه من المصريين شمس الدين الرملي المصري وزين العابدين البكري.
ومن مؤلفاته: «المنحة النجمية في شرح المنحة البدرية»، «الحلة البهية» ومنظومات أخرى في النحو والتصريف والحظ والمعاني والبيان وغير ذلك، وشرح أبياتاً للشيخ أبي الوفا الحموي العبدري في شروط تكبيرة الإحرام في شرحين الأول منثور سماه «الدرة المنيرة في شروط التكبيرة» والثاني منظوم سماه «تحفة النظام في تكبيرة الإحرام». ومن مؤلفاته أيضاً كتاب «عقد النظام لعقد الكلام». تصدر للإقراء والتدريس فدرس بالشامية البرانية. تفرغ له عنها الشهاب العيثاوي اختياراً وكذلك فرغ له عن تدريس بالعمرية وعن إمامة بالجامع الأموي، وأذن له بالكتابة على الفتوى قبل وفاته بنحو عشرين سنة. وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وألف عن ثلاث وثمانين سنة ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان. ا.هـ. خلاصة الأثر (٤/١٨٩).

Marfat.com

لَهُو الذي به يقْتدِي المقتدِي، وبسَمْتِه يهتدِي المُهتدِي. [المتقارب]

هـو الـنـجـمُ يَـهْـدِي جـمـيـعَ الـورى ... فـمِـن دونـه الـبـدرُ والـشـمـسُ دُونْ
وقد صار في الفضلِ حيثُ انْتَهَوْا ... وحـيـث انْـتَـحَـوْا فـبِـهِ يَـقْـتَـدُونْ
إذا ظُـلْـمَـةُ الـغَـيّ ألْـوَتْ بِـهِـمْ ... أضـاء فـبـالـنـجـمِ هـمْ يـهـتـدُونْ

وله دعاءٌ مستجاب؛ وخواطِرُ ليس بينها وبين اللهِ حجاب.

فلو حُذِّرَ به المنْهمك في غوايته لأمْسَك، أو خُوطِبَ به المُتهالِك في عِصْيانِه أناب وتنسَّك.

شغَل بالإفادة أيامه ولياليه، ونظَم على جِيد الأيام فرائدَه ولآليه.

وتأليفاتُه كاثَرَتْ رملَ النَّقا، وأزْبَتْ على الجواهر في الرَّوْنَقِ والنَّقا.

مع ما لَه من كرَم يُخجِل الأجْواد، وسخاءٍ أضْحَتْ عوارفُه كالأطواق في الأجْياد.

لم تُزوَ في التَّواريخ كأحادِيثه الحِسان، ولم تُسطَّر كآثارِه في صحائف الأزْمان بالحُسْن والإحْسَان.

وله شِعر كقَدْره ثمين، إلا أنه كالياسَمِين.

فيُكتَب لشَرفه، لا لكثْرَة طُرَفِه.

فمن ذلك هذه الزَّائيَّة، عارض بها قُطْبَ مكَّة الذي عليه المَدار، وقمرَ أُفُقها الذي يأبَى غَيْرَ الإبْدار

وقصيدته هي هذه: مخلع [البسيط]

سـبـحـانَ مَـن لـلـوجـودِ أبْـرَزْ ... رَشـاً بـحُـكْـم الـهـوى تـعـزَّزْ
زادَ عـلـى الـرِّيـم فـي دَلالٍ ... وعـن جـمـيـع الـمَـهـا تـمـيَّـزْ
أخْـوَى ولـلـظَّـرْفِ لـيـس مـنـه ... أخْـوَى ولا لِـلْـبَـهـاءِ أخْـوَزْ
لـقـد كـسـاهُ الـجـمـالُ ثـوبـاً ... بـألْـطـف الـلـطـفِ قـد تـطـرَّزْ
رنَـا بـطَـرْفٍ جَـآذِرِيٍّ ... كـأنـه لـلـوصـال ألْـغَـزْ
وَعْـداً ولـكـن بـلا نـهـارٍ ... يـا حـبَّـذا الـوعـدُ لـو تـنـجَّـزْ
بعثْتُ باثْنَينِ من خُضُوعي ... وثـالـثٍ بـعـد ذَيْـنِ عـزَّزْ
أرجُـو وِصـالاً مـنـه بِـعِـزٍّ ... مَـن عَـزَّ مـن وَصْـلِـه فـقـد بَـزَّ[1]
فـمـا رَثَـى لـي ولا وَفَـا لـي ... وقـد قَـسـا قـلـبُـه ولـزَّ[2]
وعَـفٌّ إلا عـن قـتـلِ مـثـلِـي ... فـإنَّـه عـنـه مـا تَـحـرَّزْ

قوله: «من عَزَّ بَزّ» مَثَل، معناه: مَن غلَب سَلَب.

---

(١) البزُّ: السَّلب، ومنه قولهم في المثل: من عز بز، معناه: من غلب سَلَب. ا.هـ. لسان العرب، مادة: /بزز/.

(٢) اللَّزّ: الشدة. ا.هـ لسان العرب، مادة (لزز).

Marfat.com

قال المُفَضَّل: أول من قال ذلك رجلٌ من طَيّ، يقال له: جابر بن رألان، أحد بني ثُعَل.

وكان من حديثه أنّه خرج ومعه صاحبان له؛ حتى إذا كانوا بظهر الحِيرة، وكان للمُنْذر بن ماء السماء يومٌ يركب فيه فلا يلْقى أحداً إلا قتَلَه، فلقي في ذلك اليوم جابراً وصاحبيه، فأخذتْهم الخَيْلُ بالثُّوَيَّة، فأُتِيَ بهم المُنذِر، فقال: اقْترِعُوا، فأيُكم قَرَع خلَّيْتُ سَبِيله، وقتلت الباقين.

فاقترعوا، فَقَرَعَهم جابر بن رألان
فخلّى سبيله، وقتل صاحِبَيْه.
فلما رآهُما يُقادان ليُقْتَلا، قال: مَن عَزَّ بَزَّ.
فأرسلها مثلاً.

وقصيدة القطب مطلعها[1]: [الرجز]

أقْبَلَ كالغُصْنِ حين يهْتَزّ في حُلَلٍ دون لُطْفِهَا الخَزّ

وهي مذكورة في «الريحانة».

وذكر الشهاب معها قصيدةً له عارضها بها، ومطلعها[2]: [الرجز]

مَن علَّمَ الغصْنَ حين يَهْتَزّ مَيْلَ قُدُودٍ تمِيلُ من الخَزّ

وللنَّجم: [السريع]

أخوكَ في الإسلامِ يُجْدِيك في علْمٍ ورأيٍ منه أو أُنْسِ
كأن قد احْتَجْتَ إلى نَفْعِهِ وإذْ به قد صار في الرَّمْسِ
أصْبَحتَ أسّافاً على صاحِبٍ قد كنتَ تأسَى منه بالأمْسِ
ما أخْوَجَ المرْءَ إلى خِلِّه وأخْوجَ الجنْسَ إلى الجنْسِ
وَيْلاهُ من عصرٍ رأينا به على افْتِقادِ الكُمَّلِ الخمْسِ
لسْنا نَرَى مِمَّن مَضَى واحداً ولو بلغْنا مَطْلَعَ الشَّمْسِ

هذا معنىً موجود في الأثر، وذلك ما أخرجه أبو نُعَيم في «الحلية»[3]، عن سُليمان بن موسى الأشْدَق، قال:

أخوك في الإسلام إن اسْتَشَرْتَهُ في دينكَ وجدتَ عنده علماً، وإن استشرتَه في دنياك وجدتَ عنده رأياً، ما لك وله، وإن فارَقَك فلمْ تَجِدْ منه خَلَفاً.

وسليمان هذا كان من أكابر السَّلَف.

---

(١) انظر القصيدة في الريحانة (١/ ٤٠٩)، شذرات الذهب (٨/ ٤٢٠).
(٢) انظر ريحانة الألبا (١/ ٤١٠).
(٣) انظر حلية الأولياء (٦/ ٨٧).

Marfat.com

قال الزُّهْرِيّ: إن مَكْحُولاً يأتينا، وسُليمان بن موسى - يعني لسماع الحديث - وأَيْمُ اللهِ إن سُليمان لأحْفَظُ الرجُلَيْن.

أخرجه في «الحلية» أيضاً.

ومن هذا ما نقله الشَّعْراوِي في «طَبَقاتِه» عن أبي المواهِب الشَّاذِليّ، أنه كان يقول: أهل الخُصوصيَّة مَزْهُود فيهم أيام حياتهم، مُتأسَّفٌ عليهم بعد مَماتِهم، وهناكَ يَعْرِف الناسُ قدرَهم، حين لم يجدُوا عند غيرِهِم ما كانوا يجدُونَه عندهم.

وقد قيل في المعنى: [السريع]

ترى الفتى يُنْكِرُ فضلَ الفتى ... ما دامَ حيّاً فإذا ما ذَهَبْ
لَجَّ به الحرصُ على نُكْتَةٍ ... يكتبُها عنه بماءِ الذَّهَبْ

ومن مقاطيعه قوله: [الطويل]

تَواضَعْ تكُنْ كالنجم لاح لِناظِرٍ ... على صفَحاتِ الماءِ وهْوَ رَفِيعُ
ولا تَكُ كالدُّخَانِ يعلُو بنفسِه ... إلى طبقاتِ الجَوِّ وهْو وَضِيْعُ

وقوله: [المجتث]

لا تَكْرَهَنَّ حسوداً ... يُجْدِيك نَشْرَ الفَضِيلَهْ
كم من حسودٍ مُفيدٍ ... ما لم تُفِدْهُ الفَضِيلَهْ

ومثله لوالده البدر[1]: [السريع]

الحمْدُ للهِ على فَضْلِهِ ... إذ صَيَّرَ الحاسِدَ لي يخْدِمُ
يجْهدُ في رَفْعِ مَقامِي وفي ... نشرِ علومي وهْو لا يعْلَمُ

ومثله لابن الوَرْدِيّ[2]: [السريع]

سبحان من سَخَّر لي حاسِدِي ... يُخدِث لي في غَيْبَتي ذِكْرَا
لا أكرَه الغِيبةَ من حاسِدٍ ... يُفيدني الشُّهْرَةَ والأجْرَا

ولأبي حيّان[3]: [الطويل]

عِداتي لهم فضلٌ عليّ ومِنَّةٌ ... فلا أذْهَبَ الرَّحمن عنّي الأعَادِيَا
همُ بَحَثُوا عن زَلَّتِي فاجْتَنَبْتُها ... وهُم نافَسُوني فاكْتَسَبْتُ المَعالِيَا

---

(١) انظر ريحانة الألبا (١/ ١٣٨)، شذرات الذهب (٨/ ٤٠٣).
(٢) انظر ديوانه (٢٥٥).
(٣) انظر كتاب «من شعر أبي حيان الأندلسي» (١٣٩).

Marfat.com

٥٢- الشيخ أيُّوب الخَلْوَتِيّ

الوليُّ العارف، ذو المعارف والعوارف.
أحد الراسخين في العلم الإلهي، والكاشفين عن أسْرار الحقائق كما هي.
حلَّ من جَفْنِ الشكرِ في سَوادِه، وتَبَوَّأ من صَدْرِ الإحسان في فؤاده.
فمحامِدُه تملأ المجامعَ والمسامع، ومناقِبُه تُنير المَطالِع وتبعث المطامع.
وعِلْمُه تُقَبِّل أمْواجُ البحر بين يديْه، وحِلْمُه يطيشُ شيخُ الجبال أبو قُبَيْس لديْه.
إلى ما حَوى من منظرٍ صَبيح، يسْتَنْطِق الأفْواهَ بالتَّسْبِيح.
وسخاءٍ لو رُكِّبَ في الطبائع لم يُوجَد شَحِيح من نَوْع الإنسان، وزهدٍ لو كان رُقْيَةً للصَّبابة لم يَبْقَ جَرِيحٌ من حَدَقِ الحِسان.
وأمَّا رقَّةُ طبعه فكلما ذُكِرَتْ تنزَّهَتْ في بخبُوحَة النعيم الخواطِر، واشتُقَّت من أنْفاسِ الهَجِير بين الرَّوضِ والنهر بمَراوح النَّسِيم العواطِر.
مع تلطُّفٍ بَلَغَ الغاية في الكمال، وسلامةٍ لم يَبْقَ منها فِتْنَةٌ إلا فتنةٌ بِجمال.
فهو بالهداية مُحَلًّى، وقد رفع الله له في العَلياء مَحَلاً.
وله من الأخْبارِ ما يُمْلِي التواريخَ المُخلَّدة، ومن الأشْعار ما يملأ الكتبَ المُجلَّدة.
فمن شِعْره قوله من قصيدة، يذكر فيها ليلةً مضتْ في روض عنْبَرِيّ النَّفْح، ويَتشَوَّق إليها تَشوُّق الشريفِ لليْلةِ السَّفْح: [الوافر]

ولَيْلَتِنا على قاسونَ لَمَّا ... خَرجْنا من منازِلنا ذهابَا
وسِرْنا والغزالُ لنا دليلٌ ... ووجْهُ غزالةِ الأفلاكِ غابَا
لِقَصْرِ أبي البَقَا شَرُف اعْتلاءً ... وطاب لنا منازلُه رحابَا
حَطَطْنا فيه أحْمالاً ثِقالاً ... عن الظهرِ الذي قد صار قابَا
ومن فضْلِ المُدامِ لقد حَظِينا ... بِشَمَّاسٍ يُديرُ لنا الشَّرابَا

٥٢- هو الشيخ أيوب بن أحمد بن أيوب الأستاذ الكبير، الحنفي، الخلوتي، الصالحي، أصل آبائه من البقاع العزيزي، ولد ونشأ بصالحية دمشق واشتغل في أنواع العلوم على القاضي محب الدين والمنلا نظام والمنلا أبي بكر السنديين، وعبد الحق الحجازي، وأخذ الحديث عن المحدث إبراهيم ابن الأحدب، وصحب في طريق الخلوتية العارف بالله أحمد العالي وأخذ عنه التصوف وصار شيخ وقته. وله تحريرات ورسائل لا يمكن حصرها منها: «ذخيرة الفتح» و«ذخيرة الأنوار وسميرة الأفكار» و«رسالة اليقين» و«الرسالة الأسمائية في طريق الخلوتية» وولي الإمامة بجامع السلطان سليم بالصالحية، وكان حسن الصوت والقراءة، عارفاً بالموسيقى، وحج مرتين، وسافر إلى بيت المقدس ست مرات، واستدعاه السلطان إبراهيم للاجتماع به فتوجه إليه واجتمع به ودعا له وعاد، وكان يقول: قد أظلمت في وجهي الدنيا منذ خرجت من دمشق حتى عدت إليها.
وكانت ولادته في سنة أربع وتسعين وتسعمائة وتوفي في صفر سنة إحدى وسبعين وألف، ودفن بمقبرة الفراديس. ا.هـ خلاصة الأثر (١/٤٢٨).

Marfat.com

بِـمِـذْرَعَـةٍ تـخَـال سـوادَ عَـيْـنِـي ... لِـتِـمْـثـالِ لـهـا حَـاكَـى قُـنـابَـا
وغـنَّـى والـظَّـلامُ لـنـا رضـيـعٌ ... وقـمـتُ وكـان رأسُ الـلَّـيـلِ شـابَـا
ونـادَى بـالأذانِ فـقـلـتُ أهْـلاً ... بـذاكَ وكـنْـتُ أول مـن أجَـابَـا
لأن الـصُـبْـحَ أشْـهَـرَ سَـيْـفَ حَـرْبٍ ... وَجُـنْـحَ الـلَّـيْـلِ كـان لـه قِـرابَـا

وله: [البسيط]

انْظُر إلى السِّحْر يجْري في لَوَاحِظِه ... وانْظُرْ إلى دَعَجٍ في طَرْفِه السَّاجِي
وانْظُر إلى شَعَراتٍ فوق وَجْنَتِه ... كأنما هُنَّ نَمْلٌ دَبَّ في عَاجِ

أحسَنُ منه قولُ بعضهم: [البسيط]

كأن عارِضَه والشَّعرُ عارَضَه ... آثارُ نَمْلٍ بدتْ في صفحَة الْعَاجِ
توحَّلَتْ في لَطِيمِ المِسْكِ أرْجُلُها ... فَعُذْنَ راجعةً مِن غَيْرِ مِنْهاجِ

وله: [الكامل]

الهَجْوُ أقْبَحُ ما يكون إذا بدا ... وإذا استجنَّ ففي الفؤادِ قَبِيحُ
فلِذاكَ لا يرْضاه إلا جاهِلٌ ... إن الجهولَ بما يقول جَرِيحُ

وله: [البسيط]

وليلةٍ بِتُّ فيها لا أرَى غِيَراً ... مع شادِنٍ وجهُه قد أخْجَل القَمَرَا
نادمْتُه قال هاتِ الكأسَ قلتُ له ... جَلَّ الذي لافْتِضاحِي فيكَ قد سَتَرَا
وقمتُ أرشُفُ من رِيقِ المُدامِ ومِن ... مُدامِ رِيقٍ وأقْضِي في الهوَى وَطَرَا
ولَفَّنا الشوقُ في ثَوْبَيْ تُقىً وهوًى ... وطالَ بالوصْل لي والليلُ قد قَصُرَا

وله: [الطويل]

ولَيْلتُنا بالأمْسِ كانت عجيبةً ... وفِينا غزالٌ أدْعَجُ الطَّرْفِ أحْورُ
سألتُ إلهي أن نَعُودَ لِمِثْلِها ... بِعَوْدِ التَّجلِّي قِيلَ لا يتكرَّرُ

وقوله: [البسيط]

وقد لامَني عاذِلي في الحبِّ قلتُ له ... حُبِّي شِفَائِي كما أن السّوى مرضِي
قد قال قَبْلِيَ شخصٌ لستُ أعْرِفُه ... لكنَّه قد قَضى من شِعْرِه غرَضِي
لكلِّ شيءٍ إذا فارَقْتَه عِوَضٌ ... وليس للهِ إن فارَقْتَ من عِوَضِ
فاصْبِرْ عليه تَنَلْ بالصبرِ وُصْلَتَهُ ... فالمُرُّ فيه حَلا والحكمُ فيه قُضِي
الحكمُ للهِ وهْو العَدْلُ فارْضَ به ... ما يغْلبُ الدهرَ إلا مَن بِذاكَ رَضِي

في الأمثال: «في اللهِ عِوَض من كل فائت».
قائلهُ عمرُ بن عبد العزيز.

Marfat.com

ورأى أبو جعفر المَغْدَنِيّ مكتوباً على جدار: [المنسرح]

لـكـلِّ شَـيْءٍ فـقـدْتَـهُ عِـوَضٌ ... ومـا لِـفَـقْـدِ الـحـبـيـبِ مـن عِـوَضِ

فأجازَه بقوله: [المنسرح]

ولـيـس فـي الـدَّهـرِ مـن شـدائـدِه ... أشـدُّ مـن فـاقَـةٍ عـلـى مَـرَضِ

وقوله: «ما يغلب الدهر...» إلخ، منه: [الرجز]

لـكـلِّ شـيْءٍ مُـدَّةٌ وتـنْـقَـضِـي ... مـا غـلَـب الأيَّـامَ إلا مـن رَضِـي

ومما يُنْسَب إليه: [البسيط]

قد لامَنِي الخَلْقُ في عِشْقِ الجمالِ ولم ... يَـذْرُوا مُـرَادِيَ فـيـه آهٍ لـو عَـرفُـوا

وصلتُ منه إلى الإطْلاقِ ثم سَرَى ... سِرّي إلى قَيْد حُسْنٍ عنده وقفُوا

وله تخميس الأبيات المنسوبة إلى العارف بالله تعالى أحمد الرِّفاعِيّ[1]: [الطويل]

أفُـوه إذا يـشْـدُوا الأنـامُ بـشُـكْـرِكـمْ ... وأكـتُـم سِـرّي لا أبُـوحُ بِـسِـرِّكُـمْ

أحِـبَّـتَـنـا مـن طِـيـب نَـشْـأةِ خـمـرِكـمْ ... إذا جَـنَّ لَـيْـلِـي هـامَ قـلـبِـي بِـذِكْـرِكُـمْ

أنُوح كما ناحَ الحمامُ المُطوَّقُ

عسى ولعلَ الدَّهْرَ يأتِي بهم عسَى ... لأشْهَدَهُم عند الصَّباحِ وفي المَسَا

فقلبيَ من فَقْدِ الأحبَّةِ قد قَسَا ... وفَوْقِي سحابٌ يمطِر الهمَّ والأسَى

وتحْتِي بحارٌ في الهوى تتدفَّقُ

إذا فـاح مـن نَـجْـدٍ بـقـلـبـي عَـبـيـرُهـا ... فـلا عَـجَـبٌ إن قـلـتُ أنِّـي سَـمِـيـرُهَـا

وإن خَـمَـدَتْ نـاري فَـوَجْـدِي يُـثِـيـرُهـا ... سَـلُـوا أمَّ عَـمْـرٍو كـيـف بـاتَ أسـيـرُهَـا

تُفكُّ الأسارَى دونه وهْو مُوثَقُ

وفـي تَـلَـفِ الأرواحِ كـم لـي إبـاحَـةٌ ... وفـي منـزلِ الـعُـشَّـاقِ كـم لـي سِـيـاحـةٌ

فـيـا وَيْـحَ صَـبٍّ أثْـخَـنَـتْـهُ جِـرَاحَـةٌ ... فـلا هـو مَـقْـتُـولٌ ففـي الـقَـتْـلِ راحَـةٌ

ولا هو مأسُورٌ يُفَكُّ فَيُطْلَقُ

وشعره كثير، ويكفي من الدَّلالة ما أبان الطُّرُق، ومن القِلادة ما أحاط بالعُنق.

ومن فُصوله القِصار، الجارية مَجْرَى الأمثال والحكم، قوله:

لا يتْرُك الوسائِط، مَن لم يصِرْ من البَسَائِط.

من صدقَتْ سريرتُه، انْفَتحتْ بَصيرتُه.

طُرُقُ الله لا تُحْصَى للإكْثار، وأقْربُها إليه الذُّلُّ والانْكِسَار.

الخُمول يُذهِب الحُجْب، والشهرةُ تُورِثُ العُجْب.

---

(١) انظر شذرات الذهب (٤/٢٥٩)، ووفيات الأعيان (١/١٧٢).

Marfat.com

من لم يَكْمُلْ عقلُه، لا يمكن نَقْلُه.
في القَرْن العاشر، احْذَر أن تُعاشِر.
في القرن العاشِر مِن القُرُون، تُسِيءُ بالصالحينَ الظُّنون.
المحبَّةُ تصْحيح النَّسَب، وثمرةُ المُكْتَسَب.
الأخُ مَن يَعْرِف حالَ أخيه، في حياته وبعد ما يُوارِيه.
إذا انْفَسَدَتْ أخوالُ الشَّرِيعَة، فأشْراطُ السَّاعةِ سَرِيعَة.
وله فروع بَسَقتْ في دَوْحَةِ بُسْتانِه، وتروَّتْ بِصَبِيبِ الأنواء من صَوْبِ هتَّانِه.
أشْرق مجدُهم إشراق الشَّمس، وقامُوا لِذَاتِ الفضْلِ مَقامَ الحواسِ الخمس؛ فمنهم:

٥٣- محمد الكبير

الذي لا يَفِي بوَصْفِه التَّعْبير.
قام بعد أبيه خلِيفَة، واتَّخَذَ الزهدَ سَمِيرَه وحلِيفَه.
فكأنه لم يَمُتْ، مَن خَلَفَه، ولا غابَ عن أهْلِه من اسْتَخْلَفَه.
فهو البقيَّةُ الصالحة وقد ذهبَ الكرام، والذَّاتُ الفالِحةُ اللائِقة بالإكْرام.
إلاَّ أنه لم يَطُلْ عمرُه، ولا خلُص من الوَهْن نَهْيُه وأمْرُه.
فماتَ ودُفِن عند أبيه ومُربِّيه، فلا زالت رحمَةُ اللهِ تُحيِّيه وتَحْبِيه.
ومن المعلوم أن المَوْرِد واحد، وسِيَّان فيه ولدٌ ووالد.
وهو معدودٌ من رجال الطريق، ومُنْخَرِط في سِلْكِ ذلك الفَريق.
وله فَضْلٌ ومَجْد، وأخلاق تَحْكِي صَبَا نَجْد.
مع تَبَتُّلٍ ورُكون، وإنابَةٍ إلى اللهِ في حَرَكَةٍ وسُكون.
وبالجُملة فمقدارُه عظيم، ولكنه يُقِلُّ من النَّثْرِ والنَّظِيم.
ولم يحضُرْني من شِعره، إلا قوله: [السريع]

يا صاحِ إن الشَّعْرَ يُزْرِي بِذِي الْـ ... حُسْنِ وإن كان بَهِيَّ الجَمالْ
أما ترى الأنْفُسَ من شَعْرَةٍ ... تَعافُ للماء الفُراتِ الزُّلالْ

وهذا معنى تَدَاولتْه الشعراء، والسابق إليه أبو إسحاق الغَزِّيّ، في قوله: [الطويل]

٥٣- هو محمد بن أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتي، الحنفي الدمشقي، وكان من فضلاء وقته، أديباً مطبوع الطبع، حسن المعاشرة، خفيف الروح مع صلاح وتقوى وعبادة.
أخذ العلم عن والده وغيره من علماء عصره، ولزم الشيخ أحمد بن علي المسالي مع والده في طريق الخلوتية. وكان مغرماً بالجمال، وله مجون مستعذب.
وكانت ولادته في سنة ست عشرة بعد الألف، وتوفي في سنة اثنتين وسبعين وألف، ودفن عند والده بمقبرة الفراديس. ا.هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٣٩٩).

Marfat.com

يقولونَ ماءُ الحُسْنِ تحت عِذارِه ... على الحالةِ الأُولَى وذاكَ غُرورُ
أَلَسْنا نَعافُ الشُّرْبَ من أجْلِ شَعْرَةٍ ... إذا وقعتْ في الماء وهْو نَميرُ

ثم خلَفه:

٥٤- أبو السُّعود

واسِطةُ عِقْدِهم المُقْتَنَى، وغصنُ رَوْضتِهم المُجْتَنَى.
وعَبيرُ ذكرِهم المُردَّد، ولسانُ حالِهم المُجدَّد.
يَرُوقُكَ مُجْتَلاه، ومَحَلُّه يهْزَأُ بالبدْرِ مُعْتَلاه.
كَرُم فَرْعاً وأصْلاً، وشَرُفَ جِنْساً وفَضْلاً.
وله فَضْلٌ أضْحَى تاجاً لرأس المنَاقِب، وأدبٌ تتوقَّد به نُجومُ الليلِ الثَّواقِب.
وبيني وبينه مُوَالاة مُحقَّقَة، وعهود مُوَثَّقَة، وثَناءٌ كَمائِمُه عن أذكَى من الزَّهْر غِبَّ القَطْرِ مُفَتَّقَة.
ورأيتُ له أشْعاراً في الذِّرْوَةِ من الانْطِباع ثاوِيَة، لها في كلِّ قلْبٍ بلُطْفِ مَوْقِعِها خَلْوَةٌ في زاوية.
وقد أثبتُّ منها قصيدةً شَطَّرَ بها سِينِيَّةَ ابنِ الفارِض، فناصَفها شطْر الحُسْن كما تناصَف حُسْنُ الخَدِّ بالعارِض.
وهي هذه: [البسيط]

قِفْ بالدِّيارِ وحَيِّ الأرْبُعَ الدُّرُسَا ... مخاطباً لرَسِيسِ الشوقِ مقْتبِسَا
واسْتَرْجِع القولَ يا ذا الرَّأْيِ مُختبِراً ... ونادِها فعساها أن تُجيبَ عَسَى
وإن أجَنَّكَ ليلٌ من تَوَحُّشِها ... فلا تكنْ آيِساً لا كان من أيِسَا
خُذْ من زِنادِ الجَوى ناراً مُشَعْشعةً ... فاشْعَلْ من الشَّوقِ في ظَلْمائِها قَبَسَا
يا هل دَرَى النَّفَرُ الغادُونَ عن كَلِفٍ ... مُوَلَّهٍ هائمٍ كَاسَ الغرامِ حَسَا
تَراهُ مُسْتَصْحِبَ الأفْكارِ ذَا حُرَقٍ ... يَبِيتُ جُنْحَ الليالي يرقُبُ الغَلَسَا
فإن بَكَى في قِفارِ خِلْتَها لُجَجاً ... ما شَامَها ناظِرٌ إلا هَمَى وجَسَا
وإن خَبَتْ نارُه هاجَ الغرامُ به ... وإن تنفَّسَ عادتْ كلُّها يَبَسَا

---

٥٤ هو أبو السعود بن أيوب بن أحمد بن أيوب الحنفي، الدمشقي، الخلوتي.
كان شيخاً مبجلاً، عابداً، متنسكاً، أديباً، ولد بدمشق في سنة اثنين وأربعين بعد الألف، ونشأ في كنف والده، وأخذ عنه الطريق، وقد أخذ أيضاً عن السيد العارف بالله تعالى محمد غازي الحلبي الخلوتي، خليفة الشيخ إخلاص، وجلس على سجادة المشيخة وكان أخاه الشيخ إبراهيم كبر سنه فانعزل عن المخالطة وعهد له في المشيخة، وأقام عهدهم بالتوحيد والذكر في محلهم بالجامع الأموي. وكانت وفاته في رجب سنة عشرة ومائة وألف، ودفن بتربتهم بمرج الدحداح بالقرب من والده. ا.هـ. سلك الدرر (١/ ٦٣).

Marfat.com

فذو المحَاسِنِ لا تُحْصَى محاسنُه ... إذا رآه عَـذُولٌ حـاسِـدٌ خَـنَـسَـا
ومـن أَبَـيْـتُ فـلا فَـقْـدٌ لـوَحْـشَـتِـه ... وبـارِعُ الأُنْـسِ لـم أغْـدَمْ بِـه أُنُـسَـا
قد زارني والدجَى يزْبَدُّ من حَنَقٍ ... وَحُسْنُ إشراقِه بالشُّهْب قد حُرِسَا
فـالـزُّهْـر تَـرْمُـقُـه عُـجْـبـاً بِـرَوْنَـقِـه ... والزَّهْرُ يبْسَمُ عن وَجْهِ الدُّجَى عبَسَا
وابْتَزَّ قلبيَ قَسْراً قلتُ مَظْلَمَةً ... فحَسْبِيَ اللهُ ممَّن قد جَنَى وقَسَا
حيَّرْتَنِي فأنا المُحتارُ وا أسَفِي ... يا حاكِمَ الحبِّ هذا القلبُ لِمْ حُبِسَا
زرعْتُ بالَّلحظِ وَرْداً فوق وَجْنتِه ... فأثمرتْ منه لي في ناظِرَيْه أسَى
إن رُمْتُ أقْطُفُ منه عِطْرَ رائِحةٍ ... حَقَّاً لطَرْفِيَ أن يَجْنِي الذي غَرَسَا
وإن أبى فالأقاحِي منه لي عِوَضٌ ... أوْرَدْتُه القلبَ حيث الحبُّ فيه رَسَا
جعلتُه رأسَ مالي مُذْ ربحتُ به ... مَن عُوِّض الثَّغْرَ عن دُرٍّ فما بُخِسَا
إن صَال صِلُّ عِذارَيْهِ فلا حَرَجٌ ... أن عاد منه صحيحُ الجسمِ مُنْتَكِسَا
فهذه سُنَّةٌ للعشْقِ واجبةٌ ... أن يَجْنِ لَسْعاً وأنّى أجْتَنِي لَعَسَا
كم باتَ طَوْعَ يدي والوصلُ يَجْمعُنا ... لم يخْطُر السُّوءُ في قلبي ولا هَجَسَا
وزادَنِي عِفَّةً إذ كان ذا ثقةٍ ... في بُرْدَتَيْهِ التُّقى لا يعرف الدَّنَسَا
تلك الليالي التي أغْدَدْتُ من عُمُرِي ... يا ليْتها بقِيَتْ والدهرُ ما نُكِسَا
ويا سَقَى الله أيّاماً لنا سَلَفَتْ ... مع الأحبَّةِ كانت كلُّها عُرسَا
لم يَخْلُ للعيْن شَيْءٌ بعد فُرْقتهم ... وما صَبَا دونها صَبُّ الجوى ونسَا
ولا شَمَمْتُ نَسِيماً أسْتَلِذُّ به ... والقلبُ مذ آنَسَ التَّذْكار ما أنِسَا
يا جنَّةً فَارَقَتْها النَفْسُ مُكرَهةً ... أبْقِي لصَبِّك في نَيْلِ المنى نَفَسَا
وحَقِّ مُوثَقِ عهْدٍ لا انْفِكاكَ له ... لولا التَّآسِي بدار الخُلْدِ مِتُّ أسَى

٥٥- أحمد بن محمد المهمنداريّ الحلبيّ المفتيّ

اتَّخَذَ الثُّريَّا مَضْعَداً، وورَد المَجَرَّةَ مَقْعَداً.

٥٥- هو أحمد بن محمد بن عبد الوهاب الحلبي، نزيل دمشق المفتي، الحنفي المعروف بها بالمهمنداري، العالم الجليل، المحقق، المدقق، البارع. كان من أفاضل الأجلاء، عالماً، ماهراً، متضلعاً من علوم شتى، حسن الخلق، متوداً مع الخلق، عفيفاً. ولد في سنة أربع وعشرين بعد الألف، وطلب العلم على جماعة منهم والده، والعالم المحقق الشيخ محمد نجم الدين الحلفاوي الحلبي وغيرهما. وأتقن كثيراً من العلوم وصار علماً لا يحتاج إلى إشارة، وقدم إلى دمشق واستوطنها وتصدر للإفادة والتدريس، وتولى الإفتاء بها في سنة ست وسبعين بعد الألف، وتولى نيابة الباب بدمشق وتدريس السليمانية.
وكانت وفاته في جمادى الثانية سنة خمس ومائة وألف ودفن بتربة الشيخ أرسلان. والمهمنداري نسبة إلى جامع المهمندار بحلب لكون جده كان إماماً به. ا.هـ. سلك الدرر (١/ ١٨٦).

Marfat.com

ثم طلع شَنَباً فكان في ثغْر الشام، وهبَّ نسيماً فحرّك طرباً أغصانَ البَشام.
واستقرَّ برَوْضِها الزاهر، اسْتقرارَ الغَمْض في الجَفن الساهر.
فقَيَّد الأعيُنَ بصفاته، كما عقَل الأفكار بِلَحْظِه والتِفاتِه.
وهو نسيجُ وَحْدِه اسْتِيلاءً على الفضل واشْتِمالاً، ووحيدُ نَسْجِه إبْداعاً لتحائِفِ المَقُول واغْتِمالاً.
يتحلَّى بخُلُق لو كان للروض ما ذَبُل في الشِّتاء نَوْرُه، وفكرٍ لا يُدْرَكُ غَوْرُه.
وحِلْم ما شِيبَ بوَهْن، وتَثَبُّتٍ لم يَخِفَّ له وَزْن.
يصعُبُ إغضابُه ويسهلُ اسْترضاؤُه، ويفيض إقباله ولا يُتوقَّع إغْضاؤُه.
ويقرب الزمن في عَطْفِه، ولا يترَاخَى المدَى إلى لُطْفِه.
وهناك أدَبٌ بِسَلْسَلِ الرِّقَّة يتدفَّق، وطبعٍ عن زَهْرِ الرِّياض يتَفَتَّق.
فإذا تفوَّه بُسِطَت الحجُور لالتقاطِ لآلِيهِ، وإذا أمْلَى ترك المَلأ إملاء أماليه.
وهو أحدُ من حضرْتُ عنده، واقتدَحْتُ في الاستفادة زَنْدَه.
وكان هو وأبي عَقِيدَيْ صُحْبَة، وأَلِيفَيْ مودَّة ومحبَّة.
وبينهما لُحْمَةٌ لَيْسَتْ سُدى، واتفاق ليس إلا بُبْرد فضل ونَدَى.
وكان أبي يقول فيه: لم أرَ مثلَه كَثْرَة إناءة، وتجنُّبَ بَذاءَةٍ وإساءَة.
وتناسُب ذاتٍ ونَعْت، وتَوافُق سجِيَّةٍ وسَمْت.
ترُوق أنوَارُ خِلاله، وأدبُه تتنفَّس الرياضُ في خِلاله.
وقد أوردتُ له من شعره الرَّقيق، ما هو أعْذب منْ ريق النَّدَى في ثُغُور الشقِيقِ.
فمن ذلك قوله من قصيدة مطلعها: [الخفيف]

دون رَشْفِ اللَّمَى وضَمِّ النُهودِ ... طَعَناتُ المثقَّفِ الأمْلُودِ
واقْتِحامُ المَنُونِ أجْدَرُ إنْ ... أعْقبَ وصلاً بحالِ كل لَمِيدِ
مُهَجُ العاشقين منذ قديم ... خلُصتْ للبلاءِ والتَّنْكِيدِ
مَن لقَلْبي بأغْيَدٍ قَصَم القلْـ ... ـبَ بعَضْبٍ من اللِّحاظِ حَدِيدِ
ألِفَ النُّفْرَةَ التي تَعْقِلُ العَقْـ ... ـلَ وتُذْري الدموعَ فوقَ الخُدُودِ

وكتب إلى والدي: [م. الكامل]

حيَّتْكَ فضلَ اللهِ دِيـ ... ـمَةُ سُؤْدُدٍ نشأتْ بمجْدِكْ
وعَلتْكَ أنوارُ السَّعا ... دةِ فاغْتَنِمْ إشراقَ سَعْدِكْ
وكذا الفضائلُ والمكا ... رِمُ حَشْوُ بُرْدِكْ
أما القريضُ ونَسْجُه ... فلأنْتَ فيه نسيجُ وَحْدِكْ
بك جِلَّقٌ فخَرَتْ كما ... بأبِيك قد فَخَرتْ وجدِّكْ
مولايَ فكري قاصرٌ ... عن أن يُحِيطَ بكُنْهِ حَدِّكْ

Marfat.com

فـــاعـــذُر ودُمْ بـــمَـــسَـــرَّةٍ ... تـبْـقَـى عـلـى الـدُنـيـا كـوُدِّكْ

فراجعه بقوله: [م. الكامل]

هـــل زهـــرُ روضٍ أم زَوا ... هـــرُ أنـــجُـــمٍ أو دُرُّ عِـــقْـــدِكْ
أم روضَـــةٌ قـــد فـــاح مـــن ... رَيَّـــا رُبَـــاهَـــا عَـــرْفُ نَـــدِّكْ
أم ذي بـــدورٌ أشْـــرَقَـــتْ ... فـي حَـيِّـنـا مـن أُفْـقِ سَـعْـدِكْ
يـا مُـفْـرَدَ الـعـصـرِ الـذي ... لـم تـسـمَـحِ الـشَّـهْـبَـا بِـنِـدِّكْ
أنـتَ الـذي افْـتَـخَـرَتْ بـفـضْـ ... ـلِـكَ أهـلُـهـا مـن عَـصْـرِ مَـهْـدِكْ
ولـك الـمـعـارِفُ والـعَـوا ... رِفُ والـلَّـطـائِـفُ قَـدْحُ زَنْـدِكْ
أرْسَـلْـتَ نَـخْـوِيَ غـادَةً ... أَلْـفـاظُـهـا شـهِـدَتْ بـشُـهْـدِكْ
حـيَّـتْ فـأحْـيَـتْ مُـغْـرَمـاً ... قـد كـان مـنـتَـظِـراً لِـوَعْـدِكْ
وإلـيـكَ مـنِّـي روضـةً ... بـالـوُدِّ ذاكِـيَـةً بِـحَـمْـدِكْ
وافَـتْ عـلـى ظَـمَـإٍ بـهـا ... تَـبْـغِـي الـوُرودَ لِـعَـذْبِ وِرْدِكْ
فـاقْـبَـل بـفـضْـلِـكَ عُـذْرَ مـن ... يَـرْعَـى الـوفَـا بـوَثِـيـق عَـهْـدِكْ.

ودَعاهُ الخطيب المَحاسِنيّ إلى داره، وقمر سَعْدِه إذ ذاك في إبْدارِه.

فلما طابَقَ خَبرُ المجلسِ مَخْبَرَه، وأطْلق فيه عُودَه وعَنْبره.

أنشد بَديهاً: [الخفيف]

قـد حَـلَـلْـنـا بـمـنـزلٍ فـاقَ حُـسْـنـاً ... وبـهـاءً وحـازَ لُـطْـفـاً عـجـيـبَـا
ضـاعَ مِـسْـكـاً وكـيـف يُـنْـكَـر هـذا ... مـنـذ ضَـمَّ الـخـطـيـبَ ضُـمْـخَ طِـيـبـا

وقد تناول هذا الجِناس من قول بعضهم: [م. الرمل]

مُـلِـئ الـمـنـبـرُ مـسـكـاً ... مُـذ بـه قـمـتَ خـطـيـبَـا
أتُـرى ضُـمَّ خَـطِـيـبـاً ... مـنـك أم ضُـمْـخَ طِـيـبَـا

وأنشدني من لفظه لنفسه معنىً ما زلت أُحَمْق به فكري، وأتمنّى لو كان لي بكلّ شعري، وهو هذا: [الرمل]

مـذ رأى الـوردُ عـلـى أغْـصـانِـه ... خَـدٌّ من أهـواه فـي الـروض الأنِـيـقْ
صـارَ مُـغْـمـىً فـلَـطِـيـف الـطَّـلّ قـدْ ... رُشَّ فـي وَجْـنَـتَـيْـه كـي يَـسْـتـفِـيـقْ

وقلت أمدحه: [الرجز]

يـدُ ابـنُ أحْـمـدٍ وفـضـلُ أحـمـدِ ... تُـعـلِّـمُ الـنـاس طـريـقَ الـرُّشْـدِ
لـولاه أصـبـح الـوجـودُ عـاطـلاً ... ولـم يَـبِـنْ فـي الدهرِ طيبُ المَحْتِدِ[1]

(١) المحتد: الأصل. انظر لسان العرب، مادة: /حتد/.

Marfat.com

مُفتِي دمشقَ الحَبْرُ مَن صفاتُه ... ألـذُّ مـن وَصْـلِ الـحـسـانِ الـخُـرَّدِ
مَـن عـنـده الـلَّـذةُ إدراكُ الـمُـنَـى ... وأنـكَـرُ الأصـواتِ صـوتُ مَـغْـبَـدِ
لا يـعـلـمُ الـهـزْلَ ولا يـحـبُّـه ... ولا يـمـيـلُ طـبـعُـه إلـى الـدِّدِ
تُـنْـهِـرُه الأفـكـارُ فـي مـفـاخـرٍ ... يُـبْـدِعـهـا أو مَـكْـرُمـاتٍ يَـبْـتَـدِي
يَـنْـظِـمُ مـنـثُـوراتِـهـا فـهْـي عـلـى ... جِـيـدِ الـعُـلَـى كـالـلـؤلـؤِ الـمُـنـضَّـدِ
مُـذْ حَـلَّ فـي بـلْـدَتِـنـا رِكـابُـه ... هُـدِي بـه مـن لـم يكن بـالـمُـهْـتَـدِي
وأصْـلَـح الـنـاسَ صـلاحُ سِـرِّه ... فـلـيـسَ مـن حَـدٌّ بـهـا أو قَـوَدِ
يـا جِـلَّـقَ الـشـامِ سَـقـاكِ عـارِضٌ ... مِن فَضْله يُمْطِر صَوْبَ العَسْجَدِ
مـا أنـتِ إلاّ فـي الـبِـقـاعِ مـثـلُـه ... فـي الـعُـلَـمـاءِ أوْحَـدٌ لأوْحَـدِ
مـا شـرَّف الـدِّيـارَ غـيـرُ أهـلِـهـا ... أحِـلْـيَـةُ الـعـيـونِ غـيـرُ الإثْـمِـدِ
مـا مـصـرُ إلا حـيـثُ حـلَّ يـوسـفٌ ... لا نَـسَـبٌ بـيـن امـرئٍ ومَـغْـهَـدِ
إن صـدَق الـظَّـنُّ فـقُـرْبُ رُتْـبَـةٍ ... مـن رُتْـبَـةٍ كـبَـلَـدٍ مـن بَـلَـدِ
أنْجَب فـينـا غُـصْـنَ فـضـلٍ مُـثْـمِـراً ... بـالـمـعـلـوات والـنَّـدَى والـسُّـؤدِدِ
تَـشَـابَـه الـغُـصْـنُ وروضُـه وقـد ... يـظـهـر فـي الـوالـدِ سِـرُّ الـولَـدِ
حَـكـاه فـي عِـفَّـتِـهِ وفـضـلِـه ... والـشِّـبْـلُ في المَخْبرِ مثلُ الأسَدِ
لا بَـرِحَـا فـي عِـزَّةٍ دائِـمَـةٍ ... لا تَـنْـقَـضِـي مـا بَـقِـيَـا لـلأبـدِ
فـإنَّ فـي بُـقْـيـاهُـمـا صَـوْنُ الـعُـلـى ... عـن أن تُـمَـسَّ بـيَـدٍ لأحَـدِ

٥٦- إبراهيم بن منصور الفتّال

شيخ الشيوخ ومُعْتَرَفُهم، وبحرُ العلماء ومُغْتَرَفُهم.

٥٦- هو الشيخ إبراهيم بن منصور، المعروف بالفتال الدمشقي، العالم العلم، الباهر الماهر، المحقق المدقق. وكان من الفضل في محل ذروته، ومن الحلم في مرتبة سنامه، وقوراً، حسن الهيئة، مطبوع العشرة، لطيف النادرة وله حذق وفراسة.
وكان في أول أمره فقيراً ثم أثرى، ونشأ في جد واجتهاد، وقرأ على علماء عصره منهم الملا محمود الكردي، وأخذ عن عبد الوهاب الفرفوري، وأحمد بن محمد القلعي، وحضر دروس النجم الغزي، وتصدر للإقراء في ابتداء أمره، واشتهر بحسن التأدية والتفهم، فأكبت عليه الطلبة ولزمته، وانتفع به من الفضلاء ما لا يحصى. وكان يقصد حلقة التدريس المقصورة وباب الخطابة من الجامع الأموي، ثم تحول إلى دار الحديث الأحمدية بالمشهد الشرقي، ثم لزم داره بالكلاسة غالباً، ودرس من الدروس في «مغني اللبيب» و«تفسير البيضاوي» والبخاري و«شرح الأربعين لابن حجر» و«الهداية» و«شرح الطوالع للأصبهاني»، ودرس بالمدرسة الإقبالية تدريس وظيفة. وكان يحب العزلة إلا أنه لا يتمكن منها، وله تعليقات تشهد بدقة نظره منها: «حاشية على شرح القطر للفاكهاني» وله تحريرات على مواطن من التفسير. وكانت وفاته في ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وألف وقد ناهز السبعين، ودفن بمقبرة الفراديس. ا.هـ. خلاصة الأثر (١/ ٥١).

Marfat.com

أما العلمُ فمنه وإليه، ومُعَوَّل أربابِ فنونِه عليه.
وأما الأدبُ فله فيه التَّبْرِيز، وإذا كان غيرهُ فيه الشِّيَةُ فهو الذهبُ الإبريز.
وله المنطِق الذي يسحَر العقول، والفكرُ الذي يصْدأ عنه الفِرِنْدُ المصقُول.
مع حديثٍ لا يُمَلّ، ومَنْظَرٍ يملأ عَيْنَي من تأمَّل.
تتنافسُ في مجلسِه دُرَرٌ لوامِع وحِلىَ جِياد، فلا تُعلَّق فيه إلا أقْراطٌ بآذان وقلائدُ بأجْياد.

وطبعهُ يُعير سحره عيونَ الحُور، ويفضح بعُقود آثارِه دُرَرَ البُحور.
تبتسِم الفضائلُ عن آثارِه، وتتفتَّحُ ثُغُورُها بلوامِع إيثارِه.
وقد ألقى الله عليه مِنْهُ مَحبَّة، جَلبَتْ إليه مَسْرَى القَبُول وَمَهَبَّه.
فلا تزال الأعيُنُ تُحدِّقُ إلى مُحَيَّاه، والألْسُن تدعو بانْفِساحِ مَحْيَاه.
وراحتُه مخْدُومةٌ بالقُبَل، وعيشُهُ أنْضَرُ من الربيعِ المُقْتَبَل.
تَودُّ كؤوس الراح في أفراحها، لو تعوَّضَتْ بلحْظَةِ أُنْسِه عن راحِها.
وإذا ذُكِر فالقلوبُ على ثنائِه ذاتُ اتِّفاق، وخبرُ فضلِه إذا تُلِيَ سَمَرَ القوادِمَ وحديثُ الرِّفاق.

وما أنا في ترنُّمِي بِذِكْرِه، وتعطُّرِي بحمْده وشكْرِه.
إلاَّ النسيمُ نَمَّ عن الحديقة بَرَيَّاه، والصبحُ بشَّرَ بالشَّمسِ ضوءُ مُحيَّاه. [المتقارب]

ولـي فـيـه مـا لـم يـقُـلْ شـاعـرٌ ... ومـا لـم يَـسِـرْ قَـمَـرٌ حـيـث سـارَا
وهُـنَّ إذا سِـرْنَ مـن مِـقْـوَلِـي ... وَثَـبْـنَ الـجـبـالَ وخُـضْـنَ الـبِـحـارَا

فإنه الذي ضربْتُ بحضْرَته أطْنابَ عمرِي، وأنفقتُ على فائدتِه أيَّامَ دَهْرِي.
وتَرَوَّيْتُ من المعرفةِ بروائعِ كلامه، وملأتُ سَمْعِي دُرَّ الأصْدافِ من آثار أقلامِه.
وكان يُنوِّه بي ويُشِيعُ أدبي، وبالجملة فكان لي مكانَ أبي.
فأنا من حين فقدْتُه فقدتُ كَهْفَاً آوِي إليه، وسَنَداً أعَوِّلُ في المآرب عليه.
فحُقَّ لفُؤادِي أن يَسْتَعِرَ بوَقْدِه، ولدَمْعِي أن يسيلَ دماً على فَقْدِه.
وأسأل الله أن يُزْلِفَه من رَحمتِه ويُدْنِيه، ويُقْطِفُه زَهْرَ رضوانه ويُجْنِيه.
فمما تناولتُه من نظْمه، قوله في مديح صاحب الشَّفاعة، ﷺ: [الخفيف]

كـلـنـا سـيِّـدي إلـيـكَ نَـؤُوبُ ... مـا لَـنـا لا نَـعِـي الـلِّـقـا ونـتُـوبُ
إنَّ عـمـرَ الـشَّـبـابِ ولَّـى وأبْـقَـى ... مـا جَـنَـاهُ فـيـه وذاك الـذُّنـوبُ
فـإلـى كـم هـذا الـتَّـوانِـي وقـد جـا ... ءَ نـذيـرُ الـحِـمـام وهْـو الـمَـشِـيـبُ

ما أحسن قول ابن نُباتَة: جاء النَّذيرُ العُرْيان وهو الشَّيْب، وابْيَضَّ بُرْدُه فظَهرَ في دنس العَيْب.

وآذَن صُبْحتُه بالتَّفْريق، ونُشِرَتْ بين السَّواد صفحتُه فَعُلِم أنها ورقةُ طريق.

Marfat.com

والنَّذير العريان: زُنَيْر، بالنون، بن عَمْرو الخَثْعَمِيّ.

كان ناكِحاً لامرأة من بني زُبَيد العريان. فأرادت زُبَيد أن تَغْزُوَ خَثْعَم، فحرسَه أربعةُ نفرٍ منهم، وطرحوا عليه ثوباً، فصادفَ غِرَّةً فحاضَرهم بعد أن رَمى ثيابَه، وكان من أجْوَدَ الناس شَدّاً.

وقال في ذلك: [الطويل]

أنا المُنْذِرُ العُرْيانُ ينْبُذُ ثوبَه ... لك الصدقُ لم ينْبُذْ لك الثوبَ كاذِبُ

*****

نَدَّعِي الحبَّ فِرْيَةً إنما الـ ... حُبُّ حَرِيٌّ بأن يُطاعَ الحبيبُ
ليس هذا دأْبُ المُحبِّينَ لكن ... قد نَحاه مُشَتِّتٌ مَخْجُوبُ
إن أعداءَنا توالتْ علينا ... نَفْسُنا والهوى وعقلٌ مُرِيبُ
كيف يرجُو الخَلاصَ منهم مُعَنًّى ... في عَماهُ مُكَبْكَلٌ مَجْبُوبُ
مَن نُرجِّي لدفْعِ داءِ عُضالٍ ... غيرَ خيرِ الورَى وذاك الطبيبُ
سيِّدُ المُرْسلِيْنَ خيرُ نَبِيٍّ ... شافعُ الخلق يوم تُتْلَى العيوبُ
مَبْدَأُ الكونِ خَتْمُ كلِّ نَبِيٍّ ... قد حَبَاهُ الحِبا قريبٌ مُجِيبُ
عَلَّهُ أن يقول في الحشرِ عنِّي ... إنَّ هذا لجاهِنا منسوبُ
وله عندنا وِدادٌ قديمٌ ... وعليْنا يومَ النِّدا محسُوبُ
مَن لهذا الحقيرِ غيرَ نصيرٍ ... أو شَفِيعٍ دعاؤُه يُسْتَجِيبُ
أنا عَوْنٌ له ويكْفِيهِ عَوْناً ... مِن سِوايَ ولي فِناءٌ رَحِيبُ
يا نَبِيَّ الهدى وغَوْثَ البَرايا ... ووحيداً وليس في ذا عجيبُ
خَصَّكَ اللهُ بالمراحم جَمعاً ... مَن يَعِي ذاك عاقلٌ ولبيبُ
كُلُّ فضلٍ مِصباحُه أنت حقّاً ... إنَّ هذا في المَكْرُمات غريبُ
كلُّ من لم يَرَ افتراضَ هواكمْ ... فهْو في النارِ حَقُّه التَّعْذِيبُ

وأنشدني من لفظه لنفسه: [البسيط]

ما نِلْتُ شيئاً إذا كنتُ المُقصِّرَ في ... تحصِيلِ أسْبابِ تَوْفِيقِي وإسْعادِي
إلاَّ ضَياعَ نَجاتِي وهْيَ نافِعتي ... يا رَبِّ هبْ ليَ يوم الحشرِ إنْجادِي

وله: [الكامل]

إن كان ذَنْبِي في الشَّدائِدِ مُوقِعي ... وبه لاقَيْتُ ما أنا فِيهِ
فالعفوُ منك يُزِيلُ ذاكَ تَكرُّماً ... كالشمس إن أتَتِ الدُّجى تَجْلِيهِ

ولما دُفِنَ في تربته أنشدت: [السريع]

يا تُرْبَةً قد غاضَ بحرُ النَّدى ... فيها وبدرُ التَّمِّ عند التَّمامْ
ما هيَ إلاَّ حُقَّةٌ أُودِعَتْ ... من طَيِّبِ العُنْصرِ مِسْكَ الختامْ

Marfat.com

٥٧- رمضان بن موسى العُطَيْفِيّ

فاضلٌ حظُّه في المعرفة وافِر، ووجهُ أمانِيهِ طَلْقٌ سافِر.

ما زال من الحال في أعْذبِها شِرْعة، ومن الحُظْوة في أسْوغِها جَرْعَة.

وكان مرفوعَ الحِجاب، منْزوع رِداءِ الإغجاب.

وله في الخُلُق والخَلْق من الرِّضْوان رِضْوان، وفي النَّثر والنظم من المُرْجان مَرْجان.

وأما عهْدُه فهو بالصِّدق مُحَلًّى، ووُدُّه يَبْلَى الجَدِيدانِ ولا يَبْلَى.

لا أقول إنه أصْفَى من الماء فقد يشْرق به الإنسان، ولا أضْوَأُ من قمر السَّماء فقد يدرِكه النُّقْصان.

وكنت وصِبائِي عاطرُ النَّفْحَة، لَدْنُ الغُصْن ناضِرُ الصَّفْحَة.

حَضرتُ دروسَه في العربيَّة، وأخذت عنه أشياءَ من الفنون الأدبيَّة.

ثم وقفْتُ له على بدائِعَ من آثارِه بهيَّة الإلْماعِ، فأثبتُّ منها ما هو عَبَقُ الأفْواه وحَلْيُ الأسماع.

فمن ذلك قوله من قطعة، كتب بها لبعض الأدباء، جواباً عن لغز، كتبه إليه في قَرَنْفُل:

يا من زيَّن سماء الدُّنيا بزُهْر النجوم، وزيَّن الأرضَ بزهْرِها المنثور والمنظوم.

نحمَدُكَ على ما أبْدَعَتْ حكمتُك في هذه الأغصار، من زاهِي الأزْهار.

ونصلِّي ونسلِّم على نبيِّكَ المختار، وآله الأخْيار، ما اختلفَ الليلُ والنهار، عدَدَ تَنَوُّعِ البَهَار.

أما بعد: فإن رقيقَ الكلام، ورشيقَ النِّظام.

مما يسحَر الألْباب، ويَنْسِجُ ما بينَ الأحباب.

ولا بِدْع فقد قال سيِّدُ الأنام، عليه أفضل الصلاة وأتمُّ السلام:

«إنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْراً، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرَ حِكْمَةً»(١).

هذا، وقد أخذ رائِقُ كلامِكم، وفائِقُ نِظامكم.

٥٧- هو رمضان بن موسى بن محمد بن أحمد، المعروف بابن عطيف الدمشقي، الحنفي. كان لطيف الطبع، حسن المعاشرة، منطرحاً. قرأ بدمشق على الجلة من المشايخ منهم العكاري والعمادي المفتي، والشيخ مصطفى بن محب الدين وغيرهم. وأخذ الحديث عن النجم الغزي، والشيخ غرس الدين الخليلي المدني وله مشايخ كثيرة غيرهم. وتصدر للإقراء مدة حياته في جامع السنانية والدرويشية، وانتفع به خلق كثير، وكتب الكثير بخطه، وجمع نفائس الكتب من كل فن.
وكانت ولادته في شهر رمضان سنة تسع عشرة وألف، وتوفي في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين، ودفن بمقبرة باب الصغير. ا.هـ. خلاصة الأثر (٢/ ١٦٨).

(١) أخرجه أبو دارد في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر (٥٠١١). وأحمد في مسنده، (٢٤٢٠).

Marfat.com

بهذا الصَبُّ أخذَ الأحْباب والأزواح، ولَعِبَ به ولا كالْتعابِ الرّاح.
كيف لا، وقد كُسِيَ حُلَلَ البهاء والجمال، وانتَظَم ولا كانْتِظام اللآل.
رَقَّ فاسْترَقَّ الأحرار، وحَلِيَ فتحلّى به أهلُ الشّعار.
وراق معْناه، فأشْرَقَ مَغْناه.
وحَسُن مُساقُه، فَحَلا مَذاقُه.
وفاح أرَج القرَنْفُل من رياضِه، وهبَّتْ نَسَمات الجِنان من غِياضِه.
فللّه دَرُّك ودَرُّ ما ألْغَزْت، وما أحْسَن ما بَعَّدْتَ وقرَّبْت، فقد أبدعتَ فأغْبَدت، وأغْرَبْتَ فأزغَبْت.
لُغْز كالغَزَل، في نَشْرِ طَيِّه حُلَل.
من طَوَّل في مدحِه فقد قصَّر، وما عسى أن يُمْدَح البحرُ والجوهر.
ولكن نعتذِر إليكم من هذه الشَّقْشَقَات التي أوردناها على سبيل البَدِيه، وكلٌ يُنْفِقُ ممَّا عنده ويُبْدِيه.
وحينَ مِلْتُ طرباً من مَيْلِ تلك اللأمات، قلتُ هذه الأبيات: [الطويل]

أتاني نِظامٌ منك يُزْرِي بِحُسْنِه ... قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ
وأشْمَمني منه أرِيجاً كأنه ... نسيمُ الصَّبا جاءتْ بريَّا القَرَنْفُلِ
فيا واحِدَ الدنيا وليس مُدافَعٌ ... ويا من غدا مَدْحِي له مَعْ تَغَزُّلِي
بعثتَ لنا عِقْداً ثميناً فلو رأى ... جواهرَه النِّظَّامُ ولّى بِمَعْزِلِ
ولو أن رآه امرُؤُ القيْسِ لم يقُلْ ... ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انْجَلِي
فمن يكُ نَظَّاماً فمثلُك فلْيَكُنْ ... فصاحة ألْفاظٍ بمعْنًى مُكَمَّلِ
رقيقٌ لطيفٌ رائقٌ مُتَحَبِّبٌ ... إلى كلِّ نفْسٍ وهو في العين كالحُلي
يفوحُ عبيرُ المِسْكِ من طَيِّ نَشْرِه ... فَبَكَيْفَ وقد ألْغَزْتَهُ في القَرَنْفُلِ
فلا زلتَ تخْبُونا بكلِّ فضيلةٍ ... ولا زلت تُخْيِينا بِعلْمٍ مُفضَّلِ
ولا زلتَ للدنيا إماماً وسيِّداً ... وعِلْمُكَ يُرْوَى كالحديثِ المُسَلْسَلِ

وله، جواباً عن سؤالٍ دُفِع إليه، في تحقيق معنى البيْتين المشهورين.
وهما: [الكامل]

عيْناه قد شهِدَتْ بأنّي مُخْطِئٌ ... وأتتْ بخَطِّ عِذَارِه تَذْكَارَا
يا حاكمَ الحبِّ اتَّئِدْ في قَتْلتِي ... فالخطُّ زُورٌ والشهودُ سُكارَى

تأملتُ البيتين المشتملين، على خَطِّ العِذَار وشهادة المُقْلتيْن.
فلم يظهرْ لي في الخطأ صواب، وقد بذلتُ طاقتي فلم يُفْتَح ليَ الباب.
ولم أسْمَع من الأشياخ الثّقاتْ الأخبار، ولا من الشُّبّان والرُّواة للأخبار.
مَن نقَدَ هذا النَّقْد، الذي هو أحْلَى من القَنْد.

Marfat.com

فتحقَّقْت أن مُبْدِيه من أُولي الألباب، القادرين على الإتْيانِ بكلِّ عجَب عُجاب.
وأن فكرتَه تتَّقِدُ كالزُّهْر في الدجى، فتُوَضِّح السُّبُلَ لأهْل الحِجا.
وأنه المتصرِّف في الدَّقائق كيف شاء، وذلك فضلُ الله يُؤتيه من يشاء[1]: [الكامل]

يـا مَـن كَـسـاهُ اللهُ أزْدِيَـةَ الـعُـلَـى ... وحَـبـاه عـطْـرَ ثـنـائِـهـا الـمُـتَـضَـوِّعِ[2]
وإذا نـظـرتُ إلـى مـحـاسِـنِ وجْـهِـه الْـ ... ـمَـسْـعُـودِ قـلـتُ لـمُـقـلَـتـي فـيـهـا ارْتَـعِـي
وإذا قَـرَيْـنَ الأُذْنِ شُـهْـدُ كـلامِـه ... قـلـتُ اسْـمَـعِـي وتَـمَـتَّـعِـي وازْعَـي وعِـي
وكـأنَّـمـا يُـوحَـى إلـى خَـطَـراتِـه ... فـي مَـطْـلَـعٍ أو مُـخْـلَـصٍ أو مَـقْـطَـعِ
لك في الـمحـاسِـنِ مُـعْـجِـزاتٌ جَـمَّـةٌ ... أبَـداً لـغـيْـرِكَ فـي الـورَى لـم تُـجْـمَـعِ
بَـحْـرانِ بـحـرٌ فـي الـبـلاغَـةِ شَـابَـهُ ... شعرُ الوَلِيدِ وحُسْنُ لَفْظِ الأصْمَعِي
شكراً فكَمْ من فَقْرَةٍ لك كالغِنَى ... وافَـى الـكـريـمَ بُـعَـيْـدَ فـقـرٍ مُـدْقِـعِ
وإذا تـفـتَّـقَ نَـوْرُ شِـعْـرِكَ نـاضِـراً ... فـالـحُـسْـنُ بـيـن مُـرَصَّـعٍ ومُـصَـرَّعِ
أرْجَلْتَ فرسانَ القريضِ ورُضْتَ فر ... سـان الـبـديـعِ وأنـتَ أفْـرَسُ مُـبْـدِعِ
ونقشْتَ في فَصِّي الزمانِ بدائِعاً ... تُـزْرِي بـآثـارِ الـرَّبـيـعِ الـمُـمْـرِعِ
وحَـوَيْـتَ مـا تُـكْـنَـى بـه طُـرّاً فـلـم ... تتْرُكْ لـغـيـرك فـيـه بـعـضَ الـمَـطْـمَـعِ

غير أن هذا العبدَ بعد البُعْد عن المَقام، ألمَّ به بعضَ إلْمام.

وهو أن خَطَأ هذا المُحِبّ إذْ قاد نفسَه لحَتْفِه في هَوى هذا الحبيب البعيد المَنال، القريب الوبَال، بحُسْن الدَّلال، كما قال من قال، وأحسن في المقال: [البسيط]

عـلـمـتُ أن الـعـيُـونَ الـسُّـودَ قـاتِـلـتـي ... وأنَّ عـاشـقَـهـا لا زال مـقْـتُـولا
وقـد تـعـشَّـقْـتـهـا طـفـلاً عـلـى خـطـاءٍ ... لـيَـقْـضِـيَ الـلـهُ أمـراً كـان مـفْـعُـولا

فكأنَّ هذا الحبيبَ طلب هذا المحبَّ لمجلس قاضِي الهوَى، وديوانِ أهْلِ الجوى.
وادَّعى عليه، وأحضَر حُجَّته وشاهِدَيْه.
وقرَّرَ في دَعْواه، بحضْرَةِ هذا الصَّبِّ الذي يَهْواه.
أنه قد وقع في إقدامِهِ لمحبِّتي على خطإٍ لا صواب، كيف لا وهو لا يذوق الأزيَ إلا بعد الشِّبَع من الصَّاب.
ولا يُمْكنه القُرْب إلا بعد البُعْد الطويل، ولا الوصلُ إلا بعد فِراقِه لكلِّ خليل.
وهذا خطْبٌ جليل، صاحبه إن لم يمُتْ فهو أبداً عَلِيل.

---

(١) هذه القصيدة لأبي المنصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي صاحب «يتيمة الدهر»، وهي في اليتيمة (٤/ ٣٥٥).
(٢) ضاع المسك وتضوّع وتضيّع، أي: تحرك فانتشرت رائحته. ا.هـ. لسان العرب، مادة: /ضوع/.

Marfat.com

يُكابِدُ الأشجان بالليل والنهار، وبعد ذلك إمّا إلى جنّةٍ وإمّا إلى نار.

وقلَّ مُحِبٌّ يحصُل على حبيبِه إلا بعد هذه الأهوال، وإنفاق الرُّوح فضلاً عن الأموال.

فلا يَكُنِ العارِفُ كالرّافض، لما قال ابنُ الفارِض[1]: [الطويل]

هو الحبُّ فاسْلَمْ بالحَشَا ما الهوى سَهْلُ ... فما اختارَهُ مَضْنىً به ولَه عَقْلُ

وعِشْ خالِياً فالحبُّ راحتُه عَناً ... فأوّلُه سُقْمٌ وآخِرُهُ قَتْلُ

هذا كلام سُلطان العُشّاق، المقْطوع بمعرفته المَحبّةَ على الإطْلاق.

فعند ذلك نظَر القاضِي لهذا العاشِق ولاطَفَه خِطاباً، وسأل سُؤالَه فلم يُحِر جواباً.

فكان كما قِيل، في حَقِّ العاشِق الذليل:

وكم من حديثٍ قد خبَّأناهُ لِلّقا ... فلما الْتَقَيْنا صِرْتُ أبْكَمَ أخْرَسَا

فلما أراد القاضي الحكمَ عليه، بما أبْدَى لديه.

قال ربُّ الجَمال في الحال، الغَيْرِ حَالّ:

وهاك أيُّها القاضي شاهدَيْن، عَدْلَيْن.

مُبْعِدَيْن للرِّيَبْ، مُقرِّبين لِلْلأرَب.

وأبدى من سحرِ العيُون، ما يهتك السِّرَّ المَصُون: [الطويل]

عيونٌ عن السِّحْرِ المُبِيْن تُبِينُ ... لها عنهَ تحْرِيكِ الجفُونِ سكُونُ

إذا أبْصَرَتْ قَلْباً خَلِيّاً عن الهوى ... تقولُ له كُن عاشِقاً فيكونُ

ثم قال: وهذا خَطُّ عِذاري، يوُضّح أعْذارِي.

فقال القاضي: حكمتُ بهذه الحجَج، التي ليس لك منها فَرَج.

فعند ذلك قال المُحِب، وقد اشتعل ناراً:

أيها القاضي: [الكامل]

«الخَطُّ زُور والشهود سُكارَى»

فكان هذا الجَرْحُ عَيْنَ التَّعْدِيل، وتَقْوِيَةً للدَّليل.

إذا ثبتَ هذا فلا شكَّ ولا رَيْب أن العاقل لا يرْمِي بنفسه في هذه المَهاوِي، وإن رَمَى فهو قَطْعاً لا شك هَاوِي.

وكيف يُخاصِم من بعضُه لبعْضِه شاهِد، وبعضُه حُجّةٌ تقْطع كلَّ خَصْم مُعانِد.

فهذا خطأٌ ولا صواب، عند أُولي الألْباب.

فإن قيلَ: كيفَ يصحُّ أن يشْهد البعضُ على البعْض؟

قلت: هذا له نظيرٌ بما سيقَع يومَ العَرْض.

كما أخْبر ربُّ العالمين، في كتابه المُبين.

---

(١) انظر ديوان ابن الفارض «بشرح البوريني والنابلسي» (٢/ ٨٦).

Marfat.com

وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ الآية [النور: ٢٤].
إلاّ أنه فرّق ما بين الدّارين، لعِظَم أحدِ الهَوْلَيْن.
وهذا لا يخْفَى على الفَطِن العارِف الحاذِق، الذي هو لِطَعْم المعارِف ذائِق.
وقد جاء ذلك كثيراً في أشعارِهم، وقُرِّرَ في قِصصهم وأخْبارهم.
كما قال أبو حفص المُطَوِّعِيّ، من شعراء «اليتيمة»[1]: [الطويل]

أيا مُنْيَةَ المُشْتاقِ فيمَ تَرَكْتَنِي ... كَئِيباً بلا عَقْلٍ قتِيلاً بلا عَقْلِ
فإن كنتَ أنْكَرْتَ الذي بي من الهوى ... أقمْتُ به من أدْمُعِي شاهِدَيْ عَدْلِ

وقال الآخر: [الطويل]

وعندي شهودٌ للصَّبابةِ والأسَى ... يُزَكُّونَ دَعْوَايَ إذا جئْتُ أدَّعِي
سَقامِي وتَسْهِيدي وشوقي وأنَّتِي ... ووَجْدِي وأشْجانِي وحُزنِي وأدْمُعِي

وقال آخر: [البسيط]

إن كنتَ تُنْكِرُ حالي في الغَرامِ وما ... ألْقَى وأنِّيَ في دَعْوايَ مُتَّهَمُ
فالليلُ والوَيْلُ والتَّسْهِيدُ يشهدُ لي ... والحزنُ والدمعُ والأشواقُ والسَّقَمُ

فإن قيل: لمَ اخْتَصَّ البعضَ بالعَيْنَيْن، ولم يأتِ باليَدَيْن والرِّجْلَيْن؟
قلنا: خَصَّ العينين، لما فيهما من الحُسْن الزائد، وكثرة الفوائد.
لأن أحسنَ ما في الإنسان وجهُه الجامِعَ لجَميع المنافِع، وأحْسَنُ ما فيه العينان من غيرِ مُنازِع. قال: [المتقارب]

وأحسنُ ما في الوُجُوهِ العيونُ ... وأشْبَهُ شيءٍ بها النَّرْجِسُ

فكانا أليَقَ بالمقَام، عند الخاصّ والعام.
فإن قلتَ: لم خَصَّ الحُجَّة بالعِذَار، الشَّبِيهِ بالليلِ الماحي لِضياء النهار؟
والحُجَّةُ يُطلَب فيها الإنارةُ والظهور، لا الظلامُ ولا السُّتور.
قلت: لأمْرَين، يظهران كالعَيْن للعَيْن.
أحدهما عَقْلِيّ، والآخر نَقْلِيّ.
أما العقلِيُّ: فإنَّ العِذَار يُشْبِهُ حروفَ الخَطِّ المَكْتُوب، فكان إتْيانُه حُجَّةً أليَقَ بالمطْلوب.
وأما النَّقليُّ: فإنَّ العِذَار خاصٌّ بهذه الدّارِ لأنه لا يُوجَدُ في الأخرى، فكان بهذه الخَصِيصَة أحْرَى.
كما قال بعضُ النَّاس، ناظِماً ما قال أبو نُوَاس: [الكامل]

قال الإمامُ أبو نُواسٍ وهْوَ في ... شِعْرِ الخلاعَةِ والمجُونِ يُقَلَّدُ

---

(١) انظر يتيمة الدهر (٤/ ٤٣٣).

Marfat.com

يـا أُمَّـةً تَـهْـوَى الـعِـذَارَ تَـمـتَّـعُـوا مـن لَـذَّةٍ فـي الـخُـلْـدِ لـيـسَـتْ تُـوجَـدُ
وقد طَغَى القلم، بما يُعْقِب السَّأَمَ.
والسلام.

٥٨- القاضي حسين بن محمود العَدَوِيّ الصَّالِحِيّ

هو للدهر حسنةٌ تكفُر ما جَنَى، وللزَّهْر خمِيلةٌ فيها ظِلٌّ وجَنَى.
توقَّد في الأدب ذهنُه، وشاخ ولم يعرِض فكره وَهْنُه.
وهو من أصْدقاء أبي الذين كان يُمَيِّزهم بالتقْريب، ويستحسِن ما يأتون به من النادِر الغريب.
وقد لزمْتُه في عهْدِه أدَبُجُ بتقْرِيراتِه مَهارِق الطُّروس، وأُعَطِّر بنفَحاتِ تخْريراتِه رِياضَ الأدبِ الرَّيانةِ الغُروس.
وتناولتُ من أشعارِه ما لو كان للروض ما ذَوَتْ أوراقُه، أو في البدر ما فارَقه إشْراقُه.

فمن ذلك قوله: [الطويل]

أرى كـلَّ إنـسـانٍ يـرى أن حـيـنَـه مـن الـخـطْـبِ خـالٍ إن ذاك لـمَـغْـرُورُ
وكيف وأصل البِنْيَةِ الماءُ والثَّرَى وسـوفَ إلـى تُـرْبِ الـقـبـورِ يـصـيـرُ
فـلا تَـغْـتَـبَـنْ خِـلاً إذا جـارَ أو جَـفـا فـأنـت وربُّ الـعـالـمـيـن كَـدُورُ
فإن جنَحَتْ منكَ الظنونُ لحادثٍ فـمـيْـلُكَ لـلـتَّـوحِـيـد يـا صـاحِ مَـبْـرورُ
فـإن بـقـاءَ الـعِـزِّ فـي وَحْـدةِ الـفـتَـى كـمـا أنَّ إكـثـار الـتَّـرَدُّدِ مـخـذورُ
ومـا مـذْهـبـي أنـي مَـلـولٌ لـرُفْـقـتِـي ولـكـنَّ مـسْـلـوب الـكـفـاءةِ مـغـذُورُ

لـقـد أصـاب فـي هـذا لُـبَّ الـصـواب، وإن كـان تـنـاوَلـه مِـن قـبـلـه ابـنُ الـجَـدِّ الأنْدَلُسِيّ[1]: [الطويل]

٥٨- هو القاضي حسين بن محمود بن محمد بن محمد بن عيسى بن موسى العدوي، الزوكاري، الصالحي، القاضي، الفقيه، الأديب، الشافعي، جيد الفهم، عجيب المطارحة، رقيق الطبع.
اشتغل في مباديه بدمشق على والده وأخذ عن الشمس الميداني، والنجم الغزي، ورحل إلى القاهرة بعد الثلاثين، وأخذ بها عن البرهان اللقاني وأبي العباس المقري، والشيخ علي الحلبي صاحب السيرة، والشمس البابلي، والعلا الأجهوري، والشيخ محمد الحموي، والشيخ عامر الشبراوي.
وحج وأخذ بالمدينة عن الشيخ غرس الدين الخليلي نزيل المدينة المنورة، وبمكة عن الشيخ محمد ابن علان الصديقي، وأقرأ بدمشق، وأفاد وضبط الكثير، وولي قضاء الشافعية بمحكمة الميدان والمحكمة الكبرى سنين، وأفتى على مذهبهم مدة. وكانت ولادته في سنة ثماني عشرة بعد الألف، وتوفي في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وألف، ودفن بسفح قاسيون. ا.هـ . خلاصة الأثر (٢/١١٦).

(١) انظر نفح الطيب (٤/٤٠٧).

Marfat.com

وإنّـي لـصَـبٌ لـلـتّـلاقِـي وإنّـمـا يـصُـدُّ رِكـابـي عـن مـعـاهِـدِك الـعُـسْـرُ
أذوبُ حَـيـاءً مـن زيـارةِ صـاحِـبٍ إذا لـم يُـسـاعِـدْنِـي عـلـى بـرّه الـوَفْـرُ

ولي من قطعة:

وإنّي بحُكم الزمان، أسْتَحْيي من زيارة الإخْوان.
حذراً من التّقصير، وعدم ظُهور المَعاذير.
فالعينُ بصيرة، واليَدُ قصيرة.
ويَا لَهفِي على عُمْرِ الكِرام، يمضي بخَيْبَة المَرام.
فلا يُقدَّر لهم في كلّ وَقْتٍ إسْداءَ نعمة، ولا اسْتِدْفاع نِقْمَة.
ولا مُكافأَة ذِي مِنَّة، ولا مُداواةَ أخِي مِحْنَة.

تتمة الأبيات:

أجَـلْ إنَّ أبْـنـاءَ الـزمـانِ تـفـاوَتَـتْ فـمـنـهـم خـبـيـرٌ بـالأمـور ونِـخـرِيـرُ
وبالجُملة التّحْقيق فالأُنْسُ مُوحِشٌ وعمَّا سوى الخلاّقِ شُغْلُكَ مَذْحُورُ
فيا ربِّ جُدْ بالعَفْوِ والصفْحِ والرِّضَا ففِغْلِيَ مذْمومٌ وفِعْلُكَ مَشْكُورُ

وله: [الطويل]

ولـيـلٍ أدَرْنـا فـضْـلَ قـاسـون بـيْـنـنـا فـكـادتْ قـلـوبُ الـسـامـعـيـنَ تـطـيـرُ
فلـم نَـذرِ إلا الـفـجْـرَ صـار دَلـيـلَـنـا إلـى سـفـحـه والـسـفـحُ فـيـه نـفـيـرُ
وفـيـنـا هُـداةٌ لـلـطّـريـقِ وقـادةٌ لـهـم كـلُّ فـضْـلٍ فـي الـورَى وصُـدورُ
فسِرْنا فلا واللهِ لـم نَـذرِ مـا الـذي قـطـعْـنـاهُ بـعـد الـمَـشْـيِ كـيـف يـصـيرُ
فلـمّـا وصَـلْـنـا الـمُـسْـتَـغـاثَ أغـاثَـنـا بـه الـغَـيْـثُ حـتـى غَـوْثُـنـا لـمـطِـيـرُ
فـزُرْنـا وكـلٌّ نـالَ مـا كـان نـاوِيـاً وفُـزْنـا بـوقـتٍ حـسـنـهُ لَـشَـهِـيـرُ
ومـنـه ركِـبْـنـا الـجـوَّ حـتـى كـأنّـنـا نـجـومُ سـمـاءٍ والـسـحـابُ ثَـبِـيـرُ[1]
إلـى أن هَـبَـطْـنـا قُـبّـة الـفَـلـك الـتـي تُـسـمّـى بـنـصْـرٍ مُـذْ أعـانَ نَـصِـيـرُ
رأيْـنـا بـهـا عِـقْـدَ الـثُـريّـا مُـعـلّـقـاً وعـيـنَ الـدّرارِي الـنّـيّـراتِ تُـشِـيـرُ
فـلـم نَـرَ بُـرْجـاً قـبـلَـهـا حـلّ مـنـزِلاً يـسـيـرُ إلـيـه الـنـاسُ وهْـو يَـسـيـرُ
وأعْـجَـبُ شَـيءٍ أن تـراهـا مُـقـيـمـةً وتَـمْـشِـي كـمـا يَـمْـشِـي الـفـتـى وتَـغُـورُ
وأعْـجَـبُ مـن هـذا تـراهـا عـقِـيـمـةً تُـرَبّـي بَـنـاتِ الـنّـعْـشِ وهْـي سَـريـرُ
وعُـدْنـا فـحـيّـانـا حَـيَـا فَـضْـل سُـحْـبِـهـا بـريـحٍ لـه وَقْـعُ الـغَـمـام صَـرِيـرُ
إلـى أن رَمَـتْـنـا بـعـد عـالِـي مـكـانِـنـا عـلـى مُـغْـرٍ فـيـهـا الـمُـقـامُ غُـرورُ
وجِـئْـنـا جِـمـانـا مـطـمـئِـنّـيـنَ أنـفُـسـاً عـلـى أن مَـرْقَـى الـمَـكْـرُمـاتِ عَـسِـيـرُ

(١) ثبير: جبل بمكة. ا.هـ. لسان العرب، مادة: /ثبر/.

Marfat.com

ودخل على شيخنا إبراهيم الخِيَارِيّ المدَنِيّ، حين قَدِمَ الشام زائِراً، أثر انْقِطاعٍ ربما أوْجَبَ تَهاجُراً.

فقابَله مُعْتذِراً، وأنشدني مَعْنىً مُبْتكَراً: وهو: [الطويل]

وما عاقَني عن لَثْمِ أذْيالِ فضلِكمْ ... سوى أنَّ عيْني منذ فارقتُكم رَمْدَا
فعاتَبْتُها حتى كأنّي حبيبُها ... فأبْدَتْ كلاماً كان قلبي له غِمْدَا
وقالتْ لقد كحَّلْتُ طَرْفِي بظَرْفِه ... فَأفْتَحُها سَهْواً وأُغْمِضُها عَمْدَا

فخاطبه الخِيَارِيّ بقوله[1]: [الطويل]

أيا فاضِلاً أبْدَى لنا في نِظامِه ... لَطيفَ اغتِذارٍ سكَّنَ الشَّوْقَ والوَجْدَا
وأشْفى بلُقْياهُ مريضَ بِعادِه ... وقد كان أشْفَى للبِعادِ وما أوْدَى
فصَانَ إلَهُ العرْشِ مُقْلَتَه التي ... ترى كلَّ معنىً دقَّ عن فَهْمنا جِدَّا
لئِنْ كُحِّلَتْ بالظَّرْفِ قد أسْكَرَتْ بما ... أدارَتْهُ من مَقْلُوبِ أخْداقِها شُهْدَا
فإن تَرَنِي أشْتَاقُ خَمْرَةَ قَرْقَفٍ ... فأطْلبُها سَهْواً وأتْركُها عَمْدَا

٥٩- عبد القادر بن عبد الهادي العُمَرِيّ

مِمَّن سابَق في مَيْدانِ البراعَة حتى أحْرَزَ مَداها، ودأَب في تَحْصِيلِ المعارف إلى أن وجَد على نارِ فكْرتِه هُداها.

فإذا قَدَح بالظَّنِّ أثْقَب، وإذا ولَّد بالرَجاء أنْجَب.

يَعرف النِّقاية فينْتقِيها، ولا يَمُرُّ بالنُّفايَةِ التي ينْتفِيها.

ويطالِع ما وراءَ العَواقِب، بمَرايا من التَّجارِب الثَّواقِب.

فلا تبِيتُ فكرتُه بهم مُرْتَبِطَةً، حتى تصبح بحَلِّ عُقْدَتِها مغتَبِطَة.

---

(١) انظر خلاصة الأثر (٢/ ١١٧).

٥٩- هو عبد القادر بن بهاء الدين بن نبهان بنْ جلال الدين بن تقي الدين، أبي بكر المعروف بابن عبد الهادي العمري الدمشقي، الشافعي.

المحقق، المدقق، الفطن الذيق، كان من الغواصين على المباحث وحل غوامضها وتبين مبهماتها، وكان أغلب معلوماته أصول الدين والفقه، وبهما تقوى وضبط التحقيقات والإتقان للعلوم الطبيعية والرياضية. وقرأ الكثير، وقيد وضبط واستفاد وأفاد. ومن مشايخه الذين أخذ عنهم: المنلا محمود الكردي والمنلا محمود أمين اللاري والشيخ إبراهيم الفتال، وحضر دروس السيد محمد نقيب الشام المعروف بابن حمزة في التفسير وغيره وجل انتفاعه به، وتصدر للإقراء فاشتغل عليه جمع كثير منهم ابن عمه عبد الجليل. وألف كتباً كثيرة منها: شرح على «عقيدة المقري» المسماة بـ «إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة» واختصر «الهمع» للسيوطي في النحو وشرحه شرحاً نفيساً. وله منظومات في علوم متفرقة ومسائل متنوعة. وسافر إلى الروم وكان وهو بالروم مات الشيخ الإمام عبد القادر الصفوري وكان مدرس دار الحديث الأشرفية فوجهت لصاحب الترجمة فقدم دمشق وأقام بها. وكان ابتلي بمرض المراقيا وعالجه مدة فلم يفد علاجه ثم استحكم فيه فكان سبب وفاته في سنة مائة وألف، ودفن بمقبرة الفراديس. ا.هـ. خلاصة الأثر (٢/ ٤٣٧).

Marfat.com

مع إحاطَة بأنواعٍ من الفنُون، لا تحُوم حولها الأوْهام والظُّنون.
وتآلِيفُه ألَّفَتْ بينَ التَّناسُق والتَّوافُق، وجمعتْ حسنَ التَّطابُق والتَّوافُق.
وله من الشِّعْرِ ما يُنيلُ المطلوب، ويمتَزِجُ لُطْفُه مع أجْزاء القلوب.
وهو أحَدُ أشْياخِي الذين قلبي بوُدهم مُعْتلِق، ولسان ثَنائِي بفضلِهم مُنْطَلِق.
ترَوَّيْتُ حِيناً بمائِه، واسْتَمْطَرْتُ الوَبْلَ من جانِبِ سَمائِه.
وكان أنشدني كثيراً من أشعاره الحِسان، أُنْسِيتُها منذ زمان، وقبَّحَ الله النِّسْيان.
ثم ظَفِرْتُ له بأشياء اقتَطفْتُ أناسِيَّ عيونِها، وجِئْتُ بمحاسِن أبكارِها وعُونِها.

فمنها قوله من قصيدة: [الكامل]

خطَرَتْ تميسُ كخُوطِ بَانٍ مُزْهِرِ ... لا الشمسُ منها والبدورُ بأنْوَرِ
عربيَّةُ الألفاظِ أعْرَبَ لفظُها ... عن سِحْر موردِها وطِيبِ المَصْدَرِ
هي كاسُ خَمْرٍ للعُقول يُديرُها ... كَفُّ البلاغةِ في خلالِ الأسْطُرِ
وجَرَتْ من الأسْماعِ جَرْيَ مُدامَةٍ ... مُزِجَت برائِقِ رِيقِ ظَبْيِ أخْوَرِ
وتكادُ من فَرْطِ البلاغةِ قد تَلَتْ ... في سُورةِ الإخْلاصِ ذِكْرَ الكَوْثَرِ
واللفْظُ يُنْبِئُنا وحسنُ مَذاقِها ... بالمَوْرِدِ العَذْبِ الهَنيِّ السُّكَّرِي
عجَباً لهاتِيكَ الفَصاحَة إنها ... حَوَتِ الفَصِيحَ من الصِّحاحِ الجَوْهَرِي
نُظِمَتْ قَوافِيَ للعقولِ تَخالُها ... نَظْمَ اللآلِي في نحُور البُكَّرِ
فكأنَّني وكأنَّها عند اللِّقا ... خِلاَّنِ قد جُمِعا بِرَوْضٍ مُزْهِرِ
أو زَورَةٌ مَنَّ الحبيبُ بها على ... مغشُوقِهِ أو لَثْمُ بَدْرٍ مُسْفِرِ

وقوله من أخرى، أولها: [البسيط]

هذا الغزالُ فإنِّي منه في شُغُلِ ... وصار وَجْدِي به ضَرْباً من المَثَلِ
وغَازَلَتْنِي منه العينُ فانْبَعثَتْ ... مِنِّي مَعانِي صحيحِ الشَّوْقِ والغَزَلِ
بَدْرٌ فما البدْرُ إلاَّ من تَكوُّنِه ... لكنَّه فاقَه بالحُلْيِ والخَجَلِ
فقدُّهُ خُوطُ بانٍ قد أمالَ به ... لُطْفُ النَّسِيمِ إلى وَصْلِي فلم يَمِلِ
وطرفُه الغَنِجُ الوَسْنانُ أوْدَعَهُ ... داعِي الهَوى حَوَراً لكن مع الكَحَلِ
وآسُهُ فوق ورد الخدِّ تحسَبُه ... وَشْياً من النَّمْلِ أو نوعاً من الرَّمَلِ
والخالُ يدعُو إلى رَيْحانِ عارضه ... أهلَ الغَرامِ على خَوفٍ من المُقَلِ
وقُرْطُه خافِقٌ كالقَلبِ من قَلَقٍ ... مُقبِلاً جِيدَه في زِيِّ مُشْتَغِلِ
يفْتَرُّ عن لُؤلُؤٍ في الثَّغْرِ مُنتَظِمٍ ... نَظْمَ الدَّرارِي بأجْيَادِ الدُّمَى العُطُلِ
وَرِيقُه الخَمْرُ عندي قد أبانَ بِهِ ... نَصّاً فحَلَّ مُدامُ الثغرِ كالعَسَلِ

Marfat.com

نَصُّ كلِّ شيءٍ مُنْتَهاه، فنَصُّ الرِّيق: مُنتهاه في اللُّطف. وبذلك تتم التَّزريَة في النَّصّ.

وكاسُنا الثغرُ قد راق المُدامُ بِه ... وعَلَّه مَنْهَلاً منه على عَلَلِ
نجْنِي الحَبابَ فلا نذري الجَنَى أبداً ... بغير رَشْفِ رُضابِ الثغرِ والقُبَلِ
في كلِّ حينٍ أُلاقِي من مضارِبِه ... سيْفاً من اللَّحْظِ أو طَعْناً من الأسَلِ
ولي بُعوثُ هَوىً ما زلتُ أُرْسِلُها ... منِّي إليه ولم تظْفَرْ على أمَلِ
ولمن تنَلْ رُسْلِي إلاَّ مُباعَدَةً ... من المزارِ وإلا لَسْعَةَ العَذَلِ
يا عَمْرَكَ اللهُ لا تسْألْ وكُن فَطِناً ... وعن مصارِع أرباب الهوى فَسَلِ

٦٠- ابن عمِّه عبد الجليل بن محمد

هو كابْن عمِّه، مُخْتَصٌّ من المَدْحِ بأعمُه.

اشْتَهرَ من صِغَره نُبْلُه، وأصاب الغرضَ مذ فَوَّق نَبْلَه.

ففيه ما شئْتَ من فضلٍ شَرُوق، وأدبٍ يُصفِّقُ عارضُه ويرُوق.

ونفسٍ كريمةِ الشَّمائِل، وفِكرةٍ تُوَشِّي بِحِبْرِها الخمائِل.

وله شِعْر إذا اسْتَجْلَيْتَه اسْتَحْلَيْتَه، وإذا لمحْتَه اسْتَمْلَحْته.

يفيضُ فيه فَيْضاً، وأراه يُحْسِن النثرَ أيضاً.

إلا أنه لم يُمْهلْه الدهرُ حتى يبلغ المدى، فاعْتُبِطَ وشبابُه يانعٌ بسَقِيطِ النَّدى.

ولم يبْلغْني من آثارِه إلا قدرٌ قليل، والقليلُ منه على الكثير دليل.

فمن ذلك قوله في الخال: [البسيط]

خالُ الحبيبِ بدا في الخدِّ مبتَهِجاً ... والقلبُ من شَغَفٍ للْخالِ قد جَنَحَا
قد عمَّه الحسنُ يا مَن خالُه حَسَنٌ ... والعمُّ في خدمةٍ للْخالِ ما برِحَا

٦٠- هو عبد الجليل بن محمد بن أحمد بن محمد بن تقي الدين أبي بكر المعروف بابن عبد الهادي، العمري، الدمشقي، الشافعي، الصوفي الفاضل، المتفوق الذيق، كان من نبلاء وقته، وله في أنواع الفنون خبرة تامة وقريحة متوقدة، أخذ العقائد والتصوف عن والده الأستاذ بركة الشام وقرأ فنون الأدب والمنطق على الشيخ إبراهيم الفتال، وابن عمه عبد القادر بن بهاء الدين العمري، وأخذ العلوم الرياضية عن الشيخ رجب بن حسين، والحديث عن الشيخ محمد بن سليمان المغربي، ورحل ؛إلى القاهرة، وأخذ بها عن النور الشبراملسي. وتصدر للإقراء بجامع الأموي مدة وانتفع به جماعته. وألف تآليف فائقة منها شرح الجزرية سماه «الدرة السنية» وله «الربع الجامع في الفلك في أعمال الليل والنهار» ورسالة سماها «الدر اللامع في العمل بالربع الجامع» ورسالة في الهندسة ورسالة في الرمل سماها "الممتنع السهل في علم الرمل" وله غير ذلك.
وكانت ولادته في ربيع الأول سنة خمس وخمسين وألف، وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين وألف بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع. ا.هـ . خلاصة الأثر (٢/ ٣٠٠).

Marfat.com

وقوله في العِذار: [م. الرمل]

نسج الفضلُ عليه حُلةً تَنْمو وَقَارَا
في المُحيَّا حين حَلَّتْ رقَم الحسنُ عِذارَا

وقوله، وفيه اقتباس، وتَوْرِيَة، واكْتِفاء: [م. الرمل]

يا لَقَوْمِي من غزالٍ خَنِثِ الأعْطافِ ألْمَى
إذ تَلَى سُورةَ حُسْنٍ وجهُه والحُسْنُ عَمَّا
سألُوا عن مُحْكَمِ الأوْ صافِ فيه قال عَمَّا

وقوله: [م. الكامل]

يا خَالهُ لمَّا بدا في عَرشِ خَدٍّ واسْتَوى
أوْحَى لصُدْغ آيَةً تَدْعو كِراماً للهَوَى

أصْله للحَاجِريّ: [م. الخفيف]

لكَ خالٌ فوقَ عَرْ شِ عَقِيقٍ قد اسْتَوَى
بَعَثَ الصُّدْغَ مُرْسَلاً يأمُر الناسَ بالهَوَى

ولبعضهم: [الطويل]

غدا خالُه ربَّ الجمالِ لأنه على عرشِ خدٍّ فوق كُرسِيِّه اسْتَوى
وأرسل بالألحاظِ رُسْلاً أعِزَّةً على فَتْرَةٍ يدعو الأنامَ إلى الهوَى

وله كلمات من فصول، قال فيها:

لا تزالُ في رِبْقَةِ الأمانِي، ما دمت في ساحة المبانِي.

البقاءُ مرآة التَّجلِّي، والفَناءُ مَنْهَل التَّخَلِّي، والجَمْعُ مَنَصَّةُ التَّحَلِّي.

والرُّكون للغيْر، قطِيعةٌ في السَّيْر.

الزهدُ في الظَّاهر، رغبةٌ في المَظاهِر.

إتْقانُ الحواسّ، وظِيفَةُ الإفْلاس.

ورُؤْيَة الإيناس، مَظِنَّةُ الوَسْوَاس.

وحركةُ الشَّوق، عصَا السَّوْق.

وأبوه في الزهْد قُدْوة، عُرْوَةُ متَمسِّك منه بعُرْوة.

وقد شمِلني دُعاه وهو للقَبْضَة مُناهِز، وما بين دُعائه وحظيرةِ القُدْس حاجز.

وقد مُلِئتْ صحيفةُ حسناتِه، واسْتراح صاحبُ شِماله من كتابة سيِّآتِه.

وأسلافُهم ما زالوا حِلىً في جِيد الزمن العاطِل، إلى أن ينتهُوا إلى جَدِّهم الفاروق بين الحقِّ والباطل.

رَضِيَ الله عنه وعن بَقِيَّة الأصحاب، وأعمل محبَّته ومحبَّتهم في قلوبنا على الاسْتِصْحَاب.

Marfat.com

٦١- عثمان بن محمود، المعروف بالقطّان

فتى الفضل وكهْلُه، وشيخُه الذي يُقال فيه هذا أهْلُه.
أطْلَع الله في جَبينِه غُرَّ السَّنَا، فثَنَا إليه من البصائِر أعِنَّةَ الثَّنَا.
مأمون المغِيب والمَخضَر، مَيْمُون النَّقِيبَة والمَنْظَر.
فهو كالشمس في حالَتَيْها يبدو نورُها، فينفع ظهورُها.
وتحْتَجِب أزْجاؤُها، فيُتَوقَّع ازْتِجاؤُها.
فعلى كلِّ حالٍ هو إنسان، كلُّه إحْسَان، وكلُّ عُضْوٍ في مدْحه لسان.
به الفُتُوَّة يسهُل صَعْبُها، ويلْتَئِمُ شِعْبُها.
وهو في صِدْق وَفائِه، ليس أحدٌ من أكْفَائِه.
وقد اتَّحذْتُ به من منذ عرفتُ الاتِّحاد، فما رَأيْتُه مالَ عن طريقِ المودَّة ولا حَاد.
وله عليَّ حقُّ مَشْيَخَةٍ أنا من بحرِها أغْتَرِف، وبألطافها الدائِمة أعْترف.
وكثيراً ما أرِدُ وِرْدَه، وأقْتَطِف رَيْحانَهُ ووَرْدَه.
فأنْتَشِقُ رائِحَةَ الجِنان، وأتعشَّق راحة الجَنان.
بمُحاضَرةٍ تهُزُّ المَعاطِف اهْتِزازَ الغصون، ورَوْنقِ لفظٍ لم يدَعْ قِيمة للدُّرِّ المَصُون.
إذا شاهَدَتْهُ العيونُ تقَرّ، وإذا ذُوكِرَت به نُوَبُ الأيّام تفِرّ.
في زمنٍ انْفصَمَتْ من أعلامه تلك العقُود، ولم يَبْقَ فيه إلا هو آخرُ العُنْقُود.
فإن شِئْتَ قُلْ: جعله اللهُ خلَفاً عن سلَف، وإن أردْتَ قُلْ: أبْقاهُ اللهُ عِوَضاً عن تلَف.

فمما أخذْتُه عنه من شِعره الذي قاله في عُنْفُوانِه، وجاء به كسَقِيطِ الطَّلِّ على وَرْدِ الروض وأقْحُوانِه.

قوله من قصيدة: [المديد]

بأبِي مَن مُهْجَتِي جرَحَا ... وإليه الشوقُ ما بَرِحَا
ذَأبُه حَزْبِي وسفْكُ دَمِي ... ليْتَه بالسِّلْمِ لو سَمَحَا

٦١- هو عثمان بن محمود بن حسن خطاب الكفرسوسي، الشافعي الشهير بالقطان، الشيخ الإمام العلامة، المحقق، المدقق، كان محقق وقته في العلوم النقلية والعقلية.
ولد في سنة إحدى وأربعين ومائة وألف. وطلب العلم فقرأ على جماعة منهم الشيخ إبراهيم الفتال، والشيخ محمود الكردي نزيل دمشق، والشيخ مصطفى بن سوار شيخ المحيا، وإبراهيم الكوراني، ومحمد البطنيني، والشيخ محمد البلباني الصالحي، والشيخ منصور الفرضي المحلي، والشيخ يحيى الشاوي المغربي. وكان بدمشق ممن اشتهر فضله وعلمه، ودرس بالجامع الأموي وبالمدرسة العادلية الكبرى، وانتفع به جماعة من العلماء والأفاضل. وكانت وفاته في شوال سنة خمس عشرة ومائة وألف، ودفن قرب أويس رضي الله عنه في التربة المقابلة للصابونية. ا.هـ. سلك الدرر (٣/ ١٦٧).

Marfat.com

غُـصْـنٌ بـانٍ مُـثْـمِـرٌ قـمـراً يـتـهـادَى قَـدُّه مَـرَحَـا
مـذ تَـثَـنَّـى غُـصْـنُ قـامـتِـه عَـنْـدَلِـيْـبُ الـوَجْـدِ قـد صَـدَحَـا
أيّ خـمْـرٍ أدارَ نـاظـرُه مـا سَـقـى عـقـلاً فـمـنـه صَـحَـا
إن رآنِـي بـاكِـيـاً حَـزِنـاً ظـلَّ عُـجْـبـاً ضـاحِـكـاً فَـرِحَـا
إن يَـكُـنْ حُـزْنِـي يُـسَـرُّ بـه فـأنـا أهْـوَى بـه الـبُـرَحَـا
وعَـذُولـي جـاء يَـنْـصَـحُـنـي قـلـتُ يـا مَـن لا مَـنـي ولَـحَـى
ضَـلَّ عـقْـلِـي والـفـؤادُ مـعـا لـيـس لـي وَعْـيٌ لـمـن نَـصَـحـا
جِـد وَجْـدِي عـادِمٌ جَـلَـدِي غـاضَ صَـبْـرِي والـهـوى طَـفَـحَـا
لـم يـزَل طَـرْفِـي يَـسِـحُّ دمـاً إذْ بـه طـيـرُ الـكـرَى ذبِـحـا

هذا معنى مُتَداوَل، منه قول الشِّهاب الخَفاجِيّ[1]: [المتقارب]

ولـو لَـم يَـكُـن ذابِـحـاً لـلـكَـرَى لـمـا سـال مـن مُـقْـلَـتَـيَّ الـنَّـجِـيـعُ

*****

آهِ واشَـوْقَـاهُ مِـتُّ أسـىً هـل دُنُـوٌّ لـلـذي نَـزَحَـا
إن شـدَتْ وَرْقـاءُ فـي فَـنَـن شَـدْوُهـا زَنـدَ الـجـوى قَـدَحَـا
وإذا مـا شـامَ طَـرْف الـشَّـا مِ طَـرْفِـي لـلـدِّمَـا سَـفَـحَـا
يـا سَـقَـى وادِي دِمـشـقَ حَـيـاً طـاب مُـغْـتَـبَـقـاً ومُـصْـطَـبـحـا

وكتبتُ إليه من مصر:

سيِّدي الذي له دُعائِي وثَنائِي، وإلى نَحْوه وانعطافِي وانْثنائي.

لا عَدِمَتِ الآمالُ توجُّهُها إليه، وكما أتَمَّ اللهُ النعمة به فأتمَّها عليه.

أُنهِي إليه دعاءً يَتَباهَى به يَراع ومِهْرَق، وثناءً يُجعَلُ طيبُه فوق سالفِ ومَفْرِق.

متمسِّكاً من الوُدِّ بحبْلٍ وثِيق، ومن العهدِ بما يتعطَّر به النَّشْرُ الفَتِيق.

ومتَذكِّراً عَيْشاً استجْلَيْتُ سَناه، واستخْلَيْتُ ثَناه.

وإني أتلهَّبُ على طُولِ نَواه، وحَرِّ جَواه.

وقد وَسَمْتَ بإقْبالِك أيّامِيَ الغُفْل، وفتَحْتَ بمذاكرتك عن خزانةِ قلبي القُفْل.

إلى أن صرف الدهرُ بحِدْثانِه، وحكمَ على ما هو شأنه بعُدْوانِه.

وأعادَ عليَّ العَيْنَ أثَراً، والخُبْرَ خَبَراً.

واللقاءَ توهُّماً، والمُناسَمَةَ توسُّماً.

فتذكرِي لأيّامِك التي لم أنْسَ عهدَها، تركَني لا أنْتَفِعُ بأيّامِ الناس بعدَها.

---

(١) انظر سلك الدرر (٣/ ١٦٨).

Marfat.com

وإني لا أرتاح إلا بذكْرِ فضائِلكَ، ولا أستأنِسُ إلا بكَرَم شَمائِلك.
أمزُج بها الضَّحايا فتَتَبَسَّم، وأستدعِي بها صَبَا القَبُولُ فتَتَنَسَّم.
ولولا اشْتعالُ النَّارِ في جَذْوَةِ الغَضَا لما كان يَذرِي المرْءُ ما نفْحَةُ النَّدّ
وأما الأشواقُ فإن القلْبَ مُسْتَقرُها ومُسْتَودَعُها، ومَحَلُّها ومُجْتَمعُها.
وهو عند مولاي فلْيَسْألْ به خبيراً، وأما الأثنِيةُ فإنّها على ألْسِنة الرُّكْبان فليَنْشُر بها حَبِيراً.
وإلى مثلِك يُتقرَّب بإخلاص الوِداد، ومن فضلِكَ تُجْتَنَى ثمرةُ حسن الاعْتقاد.
فسَلامِي على هاتيكَ الشَّمائِل، سلامُ النَّدَى على وَرَقِ الخمائِل.
وتحيَّتِي لتلك الحَضْرَة، تحيَّةُ النَّسِيم للماء والخُضْرَة.
وأما دِمَشْقُ فشوْقي إليها شوقُ البُلْبُل إلى الوَرْد، وامرُؤُ القيْس إلى الأبْلَق الفَرْد.
وأنا مُهْدِ تَسْلِيماتِي إلى كلّ يابِس من دَوْحِها وأخْضَر، ومُتَبَرِّج من ثَمراتِها في قِباء رُواءِ أنْضَر.
وأشْتاق عهدَها والعمرُ ربيع نَضْر، والروضُ جَرَّ عليه ذيْله الخِضْر: [المتقارب]

وما أنسَ أيّامَها والصِّبا أرَنُّ يجرُّ ذيولَ الجذَلْ
ومَسَّ رقيقُ رداءِ النَّسِيم على عاتِقِ الرَّوْض بعضُ البَلَلْ
إذِ الدهرُ مَيْتُ النَّوَى واللَّحَا ظُ عنّا وأحْداثُه تُغْتَقَلْ
وذَنْبِيَ فيه أميرُ الذُّنُوبِ ودوْلَتُه فوق تلك الدُّوَلْ

وأرجع فأقول: [الخفيف]

إن حُبِّي دِمَشْقَ إن عُدَّ ذَنْباً فذنُوبي أجلُّ من طاعاتِي

فمَدْحي لها لا ينقَطِع إلى أن تنقَطِع المدَائِح، وأثنِيتي عليها لا تَمَلُّ ولو ملّت التَّغْرِيدَ الحمائمُ الصَّوادِح.
وأنا مُؤمِّلٌ أوْبَةً تَسُرّ، فيُمتِّع الناظِرُ بتلك الوجوهِ الغُرّ، والمناظِر الزُّهْر.
وأُنشِد بلسان المَقال، إذا اسْتقامت الحال: [السريع]

إنَّ ذنوبَ الدهرِ مغْفُورَةٌ إن كان لُقْيَاك لها عُذْرَا

والسلام.
وهنا وقف الفكرُ، عن سَرْد من قصَدتهُ من العلماء بالذِّكْر.
وأجْنحُ إلى قول ابن بسَّام: إن شعرَ العلماء ليس فيه بارِقةٌ تُشام.
لأنّها بيِّنَة التكلُّف، ظاهرة النُّبُوّ عن الرِّقَّة والتخلُّف.
قلتُ: وعلَّةُ ذلك اشْتغال أفكارِهم بما يُعَنِّي، والشعر وإن سَمّوه تزويحَ الخاطر، لكنه مما لا يُثمِر فائِدةً ولا يُغْني.

Marfat.com

وشَتَّانَ بين مَن تَعاطاه في الشَّهْرِ مرّة، وبين من أنْفَقَ في تعاطِيه عمرَه.

وقد استثنى ابنُ بَسّام شعرَ خَلَف الأحمر، وقُطْرُبا.

أما خَلف فلقوله في صِفَة جواد: [الكامل]

وكـأنّـمـا جَـهِـدَتْ قـوائِـمـهُ أن لا تَـمـسّ الأرضَ أربَـعُـهُ

وأما قُطْرُبا فلقوله: [البسيط]

إن كنتَ لستَ معي فالذكرُ منك مَعِي تَرعاكَ عَيْنِي وإن غُيِّبْتَ عن نظَرِي

فالعينُ تُبْصِرُ مَن تَهْوَى وتُفْقِدُه وناظِرُ القلبِ لا يخلُو من النَّظَرِ

وأنا أستثْنِي شيخَنا المهمنداريّ، المقطوع الشَّقِيق، الحَقِيق بغاية الإطْراء عند التَّحقِيق.

ورأيتُ الشِّهابَ قد نَفَى الاستثْناء واسْتَنَد فيه إلى الإذْعان، وجعل حُسْنَ بعضِ أشعارِهم من قَبِيل دَعوةِ البَخِيل وحَمْلة الجبان.

وأنا أقول: إنه عالِمٌ، وكثيرٌ من أشعارِه عن الزَّيْف سالم.

فهو يناقِضُ نفسَه بنفسِه، إلاّ أن يتمحّض لوصْفِ الشاعريَّة بما تراءَى له في حَدْسِه.

آخر الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني، وأوّله:

بقية الباب الأول

في محاسن شعراء دمشق الشام ونواحيها

Marfat.com

فهرس تراجم الجزء الأول

ترجمة المؤلف ٣
مقدمة المؤلف ٥
الباب الأول: في محاسن شعراء دمشق الشام، ونواحيها ١٤
١- أبو بكر بن منصور العُمَرِيّ ١٤
٢- إبراهيم بن محمد الأكْرَميّ الصَالِحيّ ٢٤
٣- القاضي إسماعيل بن عبد الحق الحجازيّ ٣٦
٤- يوسف بن أبي الفتح ٤١
فصل: ذكرت فيه مما في الأصل أربعة من الرجال، فمنهم: ٤٩
٥- أبو الطَّيِّب الغَزِّي ٥٠
٦- أحمد بن شاهين ٥٦
٧- الأمير مَنْجَك بن محمد المنجكيّ ٧٧
٨- عبد اللطيف المِنْقاريّ ٩١
٩- محمد بن يوسف الكَريميّ ٩٤
١٠- أخوه أكمل ١٠١
١١- محمد بن علي، المعروف بالحريريّ الحَرْفوشِيّ ١٠٦
١٢- يوسف البَدِيعيّ ١١٤
١٣- محمد بن نور الدين، الشهير بابن الدَّرَّا ١٢١
١٤- عبد الباقي بن أحمد، المعروف بابن السَّمَّان ١٣٠
١٥- عبد الحي بن أبي بكر، المعروف بطرَّز الريحان ١٤٠
١٦- إبراهيم بن عبد الرحمن السُّؤالاتيّ ١٦١
١٧- أبو بكر العُصْفُوريّ ١٦٧
١٨- السيد أحمد بن علي الصَّفُّورِيّ ١٧٧
١٩- السيد محمد بن علي، المعروف بالقُدْسِيّ ١٧٩
٢٠- حفيده السيد محمد بن علي ١٨٣

Marfat.com

فهرس تراجم الجزء الأول ٣١٣
٢١- محمد الجوخيّ ١٨٦
٢٢- ولده أبو اللطف ١٨٧
٢٣- تاج الدين بن أحمد المحاسِنيّ ١٨٨
٢٤- ولده عبد الرحيم ١٩٠
٢٥- ولده محمد الخطيب ١٩٢
٢٦- أحمد بن محمد، المعروف بابن المِنْقار ١٩٦
٢٧- عبد اللطيف الجابي ١٩٨
٢٨- محمود المجتهد ١٩٩
٢٩- محمد بن تقيّ الدين الزُّهَيْرِيّ ٢٠١
٣٠- أمين الدين بن هلال الصالِحيّ ٢٠٤
٣١- عبد الكريم الطَّارانِيّ ٢٠٦
٣٢- محمد بن زين العابدين الجَوهَرِيّ ٢٠٨
٣٣- محمد بن حسين، المعروف بابن عين الملك وبالقاق ٢١٠
٣٤- القاضي إبراهيم الغزّاليّ ٢١١
٣٥- القاضي عمر الدُّوَيْكِيّ ٢١٣
٣٦- أبو بكر، المعروف بغُصَيْن البان ٢١٤
٣٧- عمر بن محمد، المعروف بابن الصُّغَيْر ٢١٥
٣٨- أحمد بن محمد الصَّفدِيّ، إمام الدَّزوِيشِيَّة ٢١٧
٣٩- زين الدين بن أحمد البُصْرَوِيّ ٢٢٤
٤٠- أحمد بن يحيى الأكْرَميّ الصالحيّ ٢٢٦
فصل: ذكرت فيه طائفة تتلو تلك، من الشعراء الذين كل منهم لزينة الحياة درة سلك. فمنهم: ٢٢٨
٤١- عبد الرحمن بن إبراهيم الموصليّ ٢٢٨
٤٢- السيد محمد الحُصَريّ ٢٣٤
٤٣- عبد الرحمن التَّاجِيّ الخطيب البَعْلِيّ ٢٣٦
٤٤- شاهين بن فتح الله ٢٣٨
٤٥- أخوه مصطفى ٢٤٦
٤٦ - إبراهيم بن محمد السَّفرْجَلانِيّ ٢٥١

Marfat.com

٤٧- السيد عبد الباقي بن مُغَيْزِل ٢٦٠
٤٨- أحمد بن عبد الله، المعروف بابن جَدّي ٢٦٣
٤٩- السيد سليمان، المعروف بالحموي الكاتب ٢٦٦
٥٠- محيي الدين السلطي ٢٧٨
فصل: عقدته لجماعة من العلماء الأجلاء. فمنهم: ٢٨٢
٥١- نجم الدين الغَزّيّ ٢٨٢
٥٢- الشيخ أيوب الخَلْوَتِيّ ٢٨٦
٥٣- ولده محمد الكبير ٢٨٩
٥٤- أبو السعود ٢٩٠
٥٥- أحمد بن محمد المهمنداريّ، الحلبيّ، المفتي ٢٩١
٥٦- إبراهيم بن منصور الفتّال ٢٩٤
٥٧- رمضان بن موسى العُطَيْفِيّ ٢٩٧
٥٨- القاضي حسين بن محمود العَدَوِيّ الصالحيّ ٣٠٢
٥٩- عبد القادر بن عبد الهادي العُمَرِيّ ٣٠٤
٦٠- ابن عمه: عبد الجليل بن محمد ٣٠٦
٦١- عثمان بن محمود، المعروف بالقطّان ٣٠٨

Marfat.com

Marfat.com

NAFḤATUR-RAYḤĀNAH
WA RAŠḤATU ṬILAᵓIL-ḤĀNAH

(Authors, Writers, and Poets' biographies)

by

Muḥammad Amīn Ben Fadlullah Al- Muḥipi

Edited by

Aḥmad ᶜInāyah

volume I

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon

Marfat.com

نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

وفي آخره

ذيل نفحة الريحانة

كلاهما تأليف

محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

المتوفى ١١١١ هـ

علق عليه ووضع حواشيه

أحمد عناية

الجزء الثاني

المحتويات :

تتمة الباب الأول

في محاسن شعراء دمشق ونواحيها

الباب الثاني

في نوادر أدباء حلب

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

Marfat.com

Marfat.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بقية الباب الأول في محاسن شعراء دمشق ونواحيها

فصل

ذكرت فيه مشاهير البيوت، التي هي في أفق دمشق كالثَّوَابت واضحة الثُّبوت فمنهم: بيت حمزة.

بيت حمزة

زُبْدة آل البيت، ونَقاوة ذلك العنصر لنُبَرَّأ من اللَّوْ واللَّيْت.

آل رسول الله ونعم الآل، والموارِد الصادقة إذا كذب الآل.

وسُراة لُؤَيّ بن غالب، ومُلتقى النور بين الزَّهراء وعليّ بن أبي طالب.

وهو بيت شُيِّدت دعائمه، وسمَتْ فيه سُعود الفلَك ونَعائمه.

عصابةُ فضل أخصب الدهرُ منهمُ ... فأصبح مُخضَرّاً وقد كان مُغْبَرّا

تكاد يَدِي تَنْدَى إذا ما لمستُه ... وتُنبِتُ في أطرافها ورقاً خَضْرا

لهم المجد السابق، وبهم يُضِئ الحَسب الباسِق[1].

ما ولَدوا غيرَ نجيب، ولا دعَوا إلا كان الدهرُ أوّلَ مُجيب.

وقد رأيتُ أبياتاً ذكرها صاحبُ «دمية القصر» لم أرَ من تتنزَّل عليه إلاّ هُم بأداة الحضر.

وهي: [المتقارب]

سقى آلَ حمزةَ صَوْبُ الحيا ... فهم في حساب العُلى الحاصِلْ

هم الزَّائدون هم الفاضلون ... وغيرُهُم الزائد الفاضِلْ

لساني عن حالهم سائلٌ ... ودمعي على إثرهم سائلْ

إذا كنتُ في ظِلّهم قائلاً ... فإني بفضلهمُ قائلْ

فمنهم:

---

(١) الباسق: الطويل. اللسان مادة (بسق)

Marfat.com

٦٢- السيد محمد بن السيد كمال الدين

الشريف الرَّضِيّ بِنقابته وكفايته، والسامي عليه برعاية التفنُّن وحفايته.

فهو البحر الذي لا يُدرَك شاطئُه، والرئيسُ الذي تُقبَّل بِشفاه الأجفان مواطئُه.

نصَب شباك الأفكار فاقْتنَص ما به كمالُ نوع الإنسان، ووفَّر الله له دواعيَ الحظ فجمع بين عجائب الحُسْن وغرائب الإحسان.

فاسْتدارت منطقةُ المجد حول مركز سيادته، واستنارت كواكبُ المعالي الزاهراتُ بأضْواء سعادته.

فكانت له الفِرْدوس حَضرة، ونعيمُ خُلْدها يرِفُّ عليه نَضْرة.

وأناتُه من رَجاح رَضْوَى[1]، وقسَماتُه من البدر أضْوا.

وله في عُلُوِّ الهمة مُحْكَم الذِّكر، وفي دَرَكِ المهمة الفكرةُ الثابتة والعَزْمة البكر.

فهناك تتوقَّى الأيام حَذِرة، وتأتيه الليالي مما لم تَجْنِ معتذرة.

ولـو أن هـارُوتَ الـبـيـانِ يـزورُه بـلا فـتـنـةٍ لـلـنـاس عـلَّـمـه الـسـحـرَا

وفضلاءُ الوقت لا تفارق جَمْعَه، والأمْداح من كل فمٍ تُقرِّظ سمعه.

ومجلسُه إمَّا عِلْم يُنِيلُه، أو بحث يُجِيلُه.

أو شعر يفترعه، أو بِكْر معنىً يخترعه.

٦٢- السيد محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني الحنفي.
ولد بدمشق، وربي في حجر والده، وقرأ القرآن على الشيخ المعمر الصالح أبي بكر السليمي الحنفي وجَوَّده عليه، ثم على الشيخ عبد الباقي الحنبلي، وأحضره والده على علماء عصره، فأخذ على عدد كبير من المشايخ، وأجازوه منهم: الشمس الميداني، والسيد أحمد بن علي الصفوري، والشيخ إبراهيم القبردي وغيرهم.
ولما رحل إلى دار السلطنة صحبه والده سنة أربعين وألف، لازم بها دروس الشيخ حسين بن عبد النبي الشعال الدمشقي، ولما حج في سنة خمسين وألف اجتمع بمحدث مكة المكرمة الشيخ علي ابن علان وقرأ عليه قطعة من الشفا للقاضي عياض، وأجازه بما يجوز له روايته، واجتمع بمحدث المدينة المنورة الشيخ عبد الرحمن الخياري وقرأ عليه قطعة من أول صحيح البخاري وأجازه بسائرهن وبما يجوز له روايته. ثم رجع إلى الشام وأقام بها وولي النيابة الكبرى بدمشق، وقسمة العسكر، ودرس بالتقوية، ولما توفي والده ولي مكانة النقابة، وانعقدت عليه صدارة الشام وألف التآليف الحسان من ذلك: (حاشية على شرح الخلاصة لابن الناظم) و(التحريرات على الهداية).
وكانت ولادته في رجب سنة أربع وعشرين وألف وتوفي في صفر سنة خمس وثمانين وألف، ودفن بمقبرة الفراديس. ا هـ. خلاصة الأثر (٤/ ١٢٤).

(١) رضوى: جبل بالمدينة. انظر معجم البلدان (٢/ ٤٠٨).

Marfat.com

وأخِصَّاؤه من الذين يعرفون القولَ ويتهافتون عليه، ويوَدُّون أن مسامعَهم وأبْصارهم لم تُصرَف إلا إليه. [الطويل]

ربيع مَعالٍ بالفضائل مُخْصِبٌ لذلك بردُ الآلِ في حَيِّهِ اخْضَرَّا
وفي بَحْر أنْسابٍ إذا غاص غائصٌ فليس بِرَاءٍ مثلَ جوهرِه دُرَّا

وله من شريف الكلام، ما تتشرَّف به الأقلام. فمن ذلك قوله في الغزل: [الخفيف]

أملٌ ليس ينْقضي في تمَنِّي نظْرةٍ تُسْتَعادُ عند الْتِفَاتِكْ
ليس أرْضاك مُسْرفاً تجنِّيـ ـكَ بحالٍ والحسنُ بعضُ صِفاتِك
لك في كل مهجةٍ راضَها الْـ ـحُبُّ هوىً يُسْتطاب في مَرْضاتِكْ
بقَوامٍ يُمْلي عليَّ إذا ما لَ حديثَ الرِّماحِ في لَفَتاتِكْ
ومُحيَّاً يُرِي ضئيلَ نُحولِي لعذُولي والصبح للسُّتْر هاتِكْ
وسَنا مَبْسَمٍ إلى الرُّشد يهدي هائماً ضلَّ في دُجَى مُرْسَلاتِكْ
يا بديعاً تحكي الرياض سَجايا ه أقِلْ مُهْجتي شَبا لَحظاتِكْ
أنا مَن لا يُحيله فَرْطُ إغرا ضِك عن مَذْهب الوَلاَ وحَياتِكْ
وعلى مقلتي رقيبٌ من الوجْـ ـدِ أرى في لِقاه بهجةَ ذاتِكْ
حَسْبُ قلبٍ وناظرٍ يتمنَّا كَ بأن لا يرَى سوى حسناتِكْ
مُلَحٌ تسلِب النُّهَى ومَزَايَا أيها يُستطاع واللَّحظُ فاتِكْ

ومن مقاطيعه قوله: [مخلع البسيط]

بين تَثَنِّيكَ واعتدالِكْ مكائدٌ تقطع المَهالِكْ
ودون ألْحاظِك المَواضِي مصائدٌ كم بهنَّ هالِكْ

ومن مُعمّياته قوله، ويخرج منه اسم جمال: [السريع]

وشادِنٍ أسْفَر عن وجهِه فأشرق الكونُ به واستنار
وقد رَنا نحوي بألْحاظِه وسهمُها فاق فدَار العذار

وقوله، ويخرج منه اسم خضر: [السريع]

سطَا بلَحْظٍ مُثْخِنٍ في الحَشا ظبيٌ جيوشُ الحسن أنصارُهْ
وكيف لا يُثخن قلبي سَطا سَفْك دم العشاق مِغْشارُهْ

Marfat.com

وقوله، ويخرج منه اسم مهدي: [المنسرح]

أهْواه كالغصن لَيِّناً بَهِجاً تلطَّف في سَلْب مهجتي خُدَعُهْ
مُعنِّفي فيه لا تكن خشِناً مَن ذا بقلبي مكانه أضَعُهْ

وقوله، ويخرج منه اسم شعبان: [الكامل]

قد أَثَّرتْ شمسُ النهار بوجه مَن أرْبَى على قمرِ السماءِ إذا اتَّسَقْ
ورقى العِذارُ على صحيفةِ خدِّه لـمَّا بدا من تحته ذاك الشَّفَقْ

وقوله، ويخرج منه اسم حسن: [الطويل]

دَعِ الجهل والْزم ساحة المجدِ واطَّرِحْ عُلُوقاً بأسْباب الزمان المماطلِ
فهل يُرْتَجَى دهرٌ يفُوهُ بلا فمٍ بخَفْضِ أعاليه ورفْع الأسافِل

وقوله، ويخرج منه اسم علي: [المتقارب]

بِرُوحي أنيسٌ نرى طَرْفَه مَخائلَ وصلٍ لِسلْبِ النُّهَى
يُقارب خَطْو تلافٍ نأَى وبالقلبِ يلهو ولا مُنْتهَى

وله فصول قصار، كل فصل منها تِقْصَار. فمنها:

حسن السِّيرة، خيرٌ من كثرة العَشِيرة.

كمال الوجاهة، أن يصون المرءُ عرضَه وجاهَه.

رَوْنَق المقال، أن يطابِق مقتَضى الحال.

كثرةُ المِرَا، تحُلُّ وثيق العُرَى.

صنائع المعروف، تقِي مصارفَ الصُّروف.

تقارُب الخُطَى، تحفظك من الخَطَا.

متابعة الهوى، تحيدك عن حدِّ الاسْتِوا.

من رفَق في الطلب، عَلِق بالأرَب.

مَن ساهَم مَن دونه، اتُّهم بالرُّعونة.

من تخلَّق بالأناة، تَمنْطَق بمناطِق النَّجاة.

من فوَّض أمرَه لمولاه، أمِن مما يحْذَرُه ويخْشاه.

****

Marfat.com

وكان يوماً في روضٍ فَيْنان، اخضَرّت فيه خمائلُ وأفْنان.
وهو منشرِح الصدر، ونُدَماؤُه حولَه كالنجوم أحاطت بالبدر.
وصَرْف الدهر عنه مصروف، وطَرفُه دون تطرُّف ساحتِه مطروف.
يترنّح في الخُطْوة يميناً وشِمالاً، ويقتطف من الحظِّ أمانيَّ وآمالا.
والروض يُحيِّيه بمباسِم زَهْره، ويرفع إليه رفْعَ الحمد ببَنان قُضْبه الناشئة من مِعْصَم نَهْره.

وهو يجلْوُ من أبْكاره، وعرائس أفكاره،
ما هو أمْتَع من بَواكير الرَّياحين، وأوْقع في الأسْماع من مُطرِبات التَّلاحِين.
فقُريء بحضْرته أبياتٌ غنَّت بها نُعْم الجارية بين يَدي المأمون، وهي: [الكامل]

ولقد أخذْتُم من فؤادِي أُنْسَهُ ... لا شَلَّ ربي كفَّ ذاك الآخِذِ
وزعمتِ أنّي ظالمٌ فهجرْتني ... ورميْتِ في قلبي بسهمٍ نافذِ
ونعَم هجرْتُكِ فاغْفري وتجاوزي ... هذا مقامُ المستجيرِ العائذِ
هذا مقامُ فتىً أضَرَّ به الهوى ... قَرِح الجفون بحُسْن وجهك لائذِ

فأنشد مضمِّناً لهذا المِصْراع قولَه: [الكامل]

نقَل العَذُول بأنني أفْشَيْتُ ما ... أخْفَى الحِفاظ من الغرام الواقِذ
هَبْني اقترفْتُ لما افْترى فاغْفرْهُ لي ... هذا مَقامُ المستجير العائذِ

فلم يَبْق أحدٌ ممن تضمنه المجلس إلا وبَدَا وبَدَه، وشَدا وشَدَه.
فمنْهم ولده السيد عبد الرحمن، قال مرتجلاً: [الكامل]

نَبذ العهودَ مُغاضِبي فألمّ بي ... في صورةِ الإشْفاق طَيْفُ النّابذ
فسألْتُه أن لا يفوه بما جرَى ... فيُحيله عنّي بقولِ نافذ
فمضى ونمَّ عليَّ فيما قلتُه ... فأتى يهدّدني بسيفٍ شاحذ
رُخماك قد صدق الخيالُ وإنما ... هذا مقام المستجير العائذ

ثم تلاه تِلْوه السيد عبد الكريم، فقال: [الكامل]

هَبْ قادني فيك الغرامُ فما الذي ... ألْجاكَ تغذيبي بهجرٍ واقذ
أضَراعتي أم ما افترتْه عَواذِلي ... عنّي إليك من الكلام النافذ

Marfat.com

رُحْماك بي لا تَرْعَ غيرَ مودّتي وحِفاظَ وُدّي لا تكنْ بالنّابذِ
فلديْكَ منكَ بك اسْتعذْتُ وإنه هذا مقام المستجير العائذِ

ثم اقتفى أثره شقيقُهما السيد إبراهيم، فقال: [الكامل]

نظَرتْ لواحظُه فأقْصدتِ الحشَا منّي بسهمٍ في الحُشاشةِ نافذِ
ما فَوّقتْ إلا وقلتُ لسهمِها هذا مقام المستجير العائذ

وقال الفاضل عبد الغني النّابُلُسِيّ، حفظه الله تعالى: [الكامل]

لاحَظْتُ خالاً تحت صفحةِ خدِّه مُتوارياً خلْف اللّهيبِ النافذِ
فسألْتُه ماذا المَقامُ فقال لي هذا مقام المستجيرِ العائذِ

وقال الفاضل عبد القادر بن عبد الهادي: [الكامل]

وافَى الحبيبُ بغير وعدٍ زائراً يرْنو بطرفٍ بالمَجامع آخذِ
أرْبَى بسُكْرِ هوىً وسكرِ مدامةٍ حتى إذا سُدَّتْ عليَّ مَنافِذي
نادَيْتُهُ حسْبي فدَيْتُك زائراً هذا مقام المستجير العائذِ

وقال العالم الشيخ عبد الحيّ العَكرِيّ: [الكامل]

أنْزلْتُ آمالي بوادٍ مُخْصِبٍ وحِمىً مَنِيع نعم كهفُ اللّائذِ
فلذاك ناداني يَقِيني مُعْلِناً هذا مقام المستجيرِ العائذِ

وقال الأديب زينُ الدين البُصْرَوِي: [الكامل]

وأغَنَّ فتّاكِ اللّواحظِ أدْعجِ يرْمي بنَبْلٍ في القلوبِ نوافذِ
نادَتْه أفْلاذي وقد فتكتْ بها هذا مقام المستجير العائذِ

وقال البارع عبد الرحمن البَغْلي: [الكامل]

ولقد وقفْتُ على الطُّلولِ عشيَّة التَّـ ـوديع يوم البَيْن وَقْفةَ لائذِ
فاسْتعْبَرتْ عيْنايَ لمَّا بان مَن أوْهَى بفُرقته جميعَ مآخذي
لام العَذُول وقد رآني وَالِهاً فأجبْتُه خفِّض عليك مُنابِذي
لَوْ راعَك البَيْن المُشِتُّ عذَرْتني هذا مقام المستجير العائذِ

وقال الألمعي إبراهيم بن محمد السَّفَرْجَلانيّ: [الكامل]

يا آل بيت المصطفى شِعرِي حَلا فيكم وطابتْ بالمديح لَذائذِي
وافيتُكم أبْغِي حماكم منشداً هذا مقام المستجير العائذِ

وقال الكامل محمد الذهَبِيّ: [الكامل]

Marfat.com

يـا مَـن إذا جـارَيْـتُـه فـي مَـسْلَـكٍ ... أَلـفَـيْـتُـهُ قـد سَـدَّ طُـرْق مَـنـافـذي
أهْـوِنْ بـمُـضْـنـاك الـذي حـيَّـرْتَـه ... هـذا مـقـام الـمـسـتـجـيـرِ الـعـائـذِ

ثم طُلب من الأمير المَنْجَكِيّ[1] تضْمينه، فقال: [الكامل]

بِـسـوَى حِـمـاكُـم لا تَـرانـي مُـقْـلـةٌ ... يـا مَـن لـهـم وُدّي الـمـؤكـد لائِـذي
فـإذا وقـفـتُ بـبـابـكـم مُـتـذلِّـلاً ... هـذا مـقـام الـمـسـتـجـيـر الـعـائـذِ

واتَّصل ذلك بالأديب الباهر الطريقة، عبد الرحمن المَوْصِليّ، فقال: [الكامل]

عـاهـدْتُـهُ أن لا يـمـيـلَ وقـد رأى ... نَـبْـذَ الـعـهـودِ فـدَيْـتُـه مـن نـابِـذِ
رَدَّ الـصـبـاحَ لـنـاظِـرَيَّ بـهـجْـرِهِ ... لـيْـلاً وسـدَّد بـالـصُّـدود مـنـافِـذي
نـاديْـتـهُ والـيـأسُ أمْـسـى ضـاحـكـاً ... وأنـامـلُ الآمـالِ تـحـت نـواجـذي
رِفْـقـاً بـقـلـبٍ لا يـمـيـلُ لـغـيـركـمْ ... هـذا مـقـام الـمـسـتـجـيـر الـعـائـذِ

قلت: والأبياتَ المتقدِّمة ذكرها ابن خلِّكان.

وقال: إن المأمون استعاد الصوت من نُعْم ثلاث مرات، وكان بحضرة اليَزِيدِيّ، فقال: يا يَزِيدِيّ، أيكون شيءٌ أحسنَ ممَّا نحن فيه؟.

قلت: نعم، يا أمير المؤمنين.

فقال: وما هو؟

قلت: الشكرُ لمن خَوَّلك هذا الإنْعام العظيم الجليل.

فقال: أحسنتَ، وصدقت.

ووَصلني، وأمر بمائة ألف درهم يتصدَّق بها، فكأنِّي أنظُر إلى البِدَر وقد أُخرجت، والمالِ يُفرَّق.

٦٣- أخوه السيد حسين

إذا كان ذاك الرِّضِي فهذا المُرْتَضى، وكلٌّ منهما الحُسام المجرَّد والسيفُ المُنْتَضى

---

(١) ديوان الأمير منجك ص (٢٦٢).

٦٣- السيد حسين بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني. اشتغل وبرع وسما قدره إلى معالي الأمور، ففر إلى الروم وأقام بها زماناً طويلاً، وتقلبت به الأحوال إلى أن قدم إلى دمشق ورأس فيها، وصار نائباً بالمحكمة الكبرى وقساماً للعسكر، ودرس بالمدرسة الفارسية برتبة الداخل، وكان فاضلاً كاملاً، وجيهاً، حسن المصاحبة، لطيف العشرة، أديباً، مطبوعاً. جمع كتاباً سماه (التذكرة الحسينية) ذكر فيه شعراء متقدمين كالشريف الرضي، ومن نحا نحوه، وختمه بذكر بعض معاصريه من الشعراء، ثم ذكر في آخره حصة وافية من نظمه.
وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين وألف، وتوفي في رمضان سنة اثنتين وسبعين وألف ودفن بتربة الأيجية في سفح قاسيون. ا.هـ خلاصة الأثر (٢/ ١٠٥).

Marfat.com

فهما في السيادة رَبيبان، يتضاءل لديهما الأقْعَسان.

اشتركا في البَراعَة اشتراك الشُمُول، وفاحا فوحة الزَّهر وهَبّا هبوب الشَّمول. فكأنَّ يدَ القادر الفتّاح، شقَّتهما من شِقَّي التُّفّاح.

ينظُر الأدبُ منهما عن مُقلَتيْن، ويتردَّد الأفاضل بينهما تردُّد النسمات بين روضتين.

وهذا وإن عاجَله الحِمام، فأستَسرَّ قبل التَّمام.

إلاَّ أنه اهْتَصر الأملَ لَدْنا، وتبَوَّأ من قَرارةِ العيش عَدْنا.

وقد ألان له الدهرُ مِعْطَفاً، وأجْناه ما شاء مَن الأماني مِقْطَفاً.

وناله قُبيل موته حالٌ سنيّة الخِلال، وسيادةٌ وَرِيفة الظِّلال.

فلم يقم داعي الهنا بإقْباله حتى قام ناعِي الأُمْنيَّة، ولا انتُقِد دينارُ عمرِه على مِحَكّ الانتقا حتى عُولج بصَرْف المنيَّة.

فرَوَّح اللهُ بِرُوحه في الجِنان، وعامله بمَحْض الفضْل والامْتنان.

وقد أثْبَتُّ من شعْره ما استوْفى أقْسام النَّضارة، واستكمل فصاحةَ البَداوة وهو من لُبِّ الحضارة.

فمنه قوله من قصيدة، مستهلها: [الطويل]

لـك الله هـل بَـرْقُ الـرُّبـوع يـلـوحُ ... وهـل بـان مـن لـيـلِ الـبِـعـادِ نُـزوحُ
وكـم يـا تـرى يـنـطُـو عـلـيَّ بـأذْهَـمٍ ... وأشْـهـبُ طِـرْفِ الـصُّبح عـه جَـمُـوحُ
أُراقِـبُ نَـجْـمَـاً ضـلَّ مَـسْـلَـك غَـربِـه ... وطَـرْفِـيَ هـامٍ والـفـؤادُ جـريـحُ
يـبـيتُ يـنـاجـيـني الـحـمَـام بـسـجْـعِـه ... ويـروي حـديثَ السُّقْمِ وهْوَ صـحـيحُ
أطارحُه وجْدِي ويشْكو من الجَوىَ ... وكـلٌ مَـشُـوقٍ بـالـغـرام يـبـوحُ
يـنُـوح ولا يـدْرِي الـبِـعـادَ وفَـرْخُـه ... لـدنْـه قـريـبٌ والـزمـانُ سَـمُـوحُ
عـلى غُـصْـنِـه الـمَـيَّـادِ أصـبـح شـادياً ... ونَـشْـر الـصَّـبـا يَـغْـدو لـه ويـروحُ
بِرَوْض بكتْه الغادياتُ فأضحكت ... ثُـغـورَ أقـاحٍ بـالـعـبـيـر تـفـوحُ
أقـول لـه والـوجـدُ يُـمـطِـر مـقْـلـتـي ... وقـلـبـيَ فـي نـارِ الـغـرام طـريـحُ
ألا يـا حَـمـامَ الأيْـك إلْـفُـك حـاضـرٌ ... وغـصـنُـك مَـيَّـادٌ فـفِـيـم تـنـوحُ
ألا يا حمامَ الأيْك تغْدُوْكَ حالُ مَن ... بـأخْـشـاه مـن حـرِّ الـبِـعـادِ قُـروحُ

Marfat.com

مُغادِرُ أفْراخِي صغاراً وليس لي ... جَناحٌ ولم يهبُبْ بفُلْكِيَ رِيحُ
فأيْن من النَّائِي عن الإلْفِ حاضرٌ ... وأين من الباكي النُّحُوبِ صَدوحُ
فهل يا ترى من مُنْقذٍ أو مساعدٍ ... يخلِّص مِن أيدي النَّوى ويُريحُ

وقوله، من أخرى: [الطويل]

مَعاذَ الهوى أن الضَّريعَ به يضْحُو ... ليعقِلَ ما يُمْلي على سَمْعِه النُّصْحُ
وكيف تُرجَّى منه يوماً إفاقةٌ ... وزَنْدُ الهوى في عقْله دَأْبُهُ القَدْحُ
دعِ القلبَ يشقى في طريقِ ضلالةٍ ... ففي رأيه أن الوصولَ بها نُجْحُ
تؤمِّل آمالاً مدى العمرِ دونها ... كأن مَطايا النائبات به جَمْحُ
يُكتِّمُ أسْرارَ الغرامِ فؤادُه ... ويفْضحُه من مُزْنِ مُقْلتِه السَّحُّ
لقد أَلِفتْ عيْناه أن تنفح الدِّما ... وتلك دِمَا لُبٍّ به أُخكِم الجرحُ
يَعاف الكرَى منه المحاجرَ كارهاً ... نُزولَ جراحٍ جُزْحُها شأنه الرَّشْحُ
له في انْتظارِ الطَّيْف جَفْنٌ مُؤرَّقٌ ... تَعوَّده من شدَّةِ الأرَقِ القَرْحُ
ولم يدْرِ أن الطيفَ يحْذَر أن يُرَى ... نزيلَ بيوتٍ دأْبُ أبوابها الفتحُ
غدا دهرُه بالهجرِ ليلاً جميعُه ... وحسْبُك دهرٌ بالنَّوى كلُّه جُنْحُ
كأن نجوم الأفْق فيه تنصَّرت ... فليس لغيْر الشَّرق وِجْهتُها تنْحُو
كأن الثُريَّا والنسور تخاصمَتْ ... وظَلاً على جِدٍّ يُجانبُه المَزْحُ
كأن به الشُّهْبَ الثواقبَ تنْبَرِي ... مَراسِيلَ ذاتِ البيْن يُرجى بها الصلحُ
كأنَّ به خَيْطَ المَجرَّة جدولٌ ... تَوارَدَه الجيْشانِ وازْدحم النُّزْحُ
كأن ظلامَ الليلِ في الجوِّ عِثْيَرٌ ... تَغشَّى صفوفَ الجيشِ من جَوْنِهِ فتْحُ
كأن به العَيُّوقَ مَلْكُ مُبجَّلٌ ... كأن اخْضرارَ الفجر في أُفقه صَرْحُ

وقوله من أخرى، مستهلها: [الكامل]

خَفِّضْ عليك أخا الظِّباءِ الغِيدِ ... وازْحَمْ مدامعَ جَفْنِيَ المَسْهودِ
كم ذا أُعلَّل بالأمانِي تارةً ... قلبي وطوْراً بانتظار وعُودِ
ولَكَمْ أبِيت بليلةِ المَلسُوعِ في ... أذني سميعٌ في التفات رَصيدِ

ليلة المَلْسوع، كناية عن السَّهَر المؤلِم.

Marfat.com

ومن اللطائف: دواء المَلْسُوع الصِّياح إلى الصباح.
والملسوع اسم مفعول، من لسعته الحيَّة أو العقرب.
وأول من استعمل هذه الكناية الشَّريف الرَّضِيّ، في قوله:

أتبِيتُ رَيَّانَ الجفونِ من الكَرَى وأَبِيتَ منك بلَيْلةِ المَلْسُوعِ[1]

ومن نوادر البيت، أن «تبيت» مضموم التاء، وهو للمخاطب، و«أبيت» مفتوح التاء وهو للمتكلم، والخطاب في الأول مُستفاد من تاء المضارعة، والتَّكلُّم في الثاني مستفاد من الهمزة، وأن الأول مرفوع، لحُلوله محلَّ الاسم، والثاني منصوب بأن مضمرة بعد واو المُصاحَبة. [الكامل]

يا مُسرِفاً في هجْرِه لمتيَّمٍ هجَرتْ محاجِرُه لذيذَ هُجودِ
أَهْوِنْ برغبتك القِلَى والجَهْد في تعْذيبِ شِلْوِ فؤادِيَ المفْؤُودِ

الشِّلْو: العُضو، وفي الحديث: «ائْتِنِي بشِلْوِهَا الأيْمَنِ»[2].
والشِّلْو: شِلْو الإنسان، وهو جسده بعد بِلاه، وكلاهما هنا مُحْتمِل.

لم يُبْقِ هَجْرُك فِيَّ قلباً خافقاً لسرُورِ وعدٍ أو لحزنِ وَعيدِ
وغدوتُ من فِعْل السَّقام كأنني أوْهامُ فكْرٍ في خيالِ بليدِ
أذْنَيْتَني حتى ملكْتَ حُشاشتِي وتركْتَنْي وَقْفاً على التَّنْكِيدِ

وله من أخرى، أولها: [الطويل]

عجبتُ لقلبي ما يُكِنّ من الوَجْدِ ونارِ جَوَىً لا تفْتُر الدهرَ عن وَقْدِ
سقى مَعْهدي والرَّبْعَ من أرضِ جِلَّقٍ أَسَحُّ غمامَيْ أدْمُعِيْ والحَيَا الرَّغْدِ
أُرِيدُ الحَيَا فالدمعَ أحْذَرُ إنَّه يُحرِّم منها ماءَها الطَّيِّبَ الوِرْدِ

من قول مِهْيار[3]: [الطويل]

بكيْتُ على الوادِي فحرَّمْتُ ماءَه وكيف يَحِلُّ الماءُ أكثرُه دَمُ

منها:

وناعِسِ طرفٍ بات يمزُج راحَه بريقَته مَزْجَ الضمائرِ بالوُدِّ
يُنادمني والسكرُ يخْفِضُ صوتَه كهَيْنَمَةٍ بالروضِ من نَسْمِة الرَّنْدِ[4]

---

(١) ديوان الشريف الرضي ١/ ٦٥٢ [الطويل].
(٢) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث، مادة /شلا/.
(٣) ديوان مهيار (٣/ ٣٤٤).
(٤) الرند: هو الآس. انظر اللسان، مادة /رند/.

Marfat.com

منها:

سَقاه غَمامُ الحسنِ صَوْبَ عِهادِه فأثْمرَ بدراً قد تنوَّر بالوَرْدِ

قلت: هذا شعر تجاوز في اللطف الحدّ، يَخْمَرُ له خجلاً وردُ الرُّبَى ووَرْد الخدّ ومن أحاسنه التي عطَّلت الياقوت والدُّرّ، ومن يْصبُو بمحاسنه فقد بان له العُذر، قوله:

إلى مَ ترَى ذا العهدِ يُتْلِفُه الغَدْرُ وحتَّى مَ وعدٌ دون إنجازِه الحَشْرُ
أبِيتُ ولي قلبٌ على جَمْرةِ الغضَا وأغباء أحزاني على مُهجتي وِقْرُ
وقد ضلَّ أُنسُ الأفقِ مَسْلك غَرْبِه بِحِنْدِسِ ليلٍ ليس يعقُبُه فَجْرُ
وباتتْ تُناجيني بشَجْوِ حمامةٌ لها تحت ذيلِ الليلِ في شأنها هَدْرُ
تنُوح على الغصن الرطيب فينْثنِي طَرُوباً كَمن مالتْ بأغطافِه الخَمْرُ
أَناشِدةٌ تشدو على فَنَنِ الرُّبَى مُفارِقةً إلْفاً وقد خانها الصبرُ
أراكِ مُنَدَّاة الجناحِ فخبِّري أَدَمْعي الذي نَدَّاه وَهْناً أم القَطْرُ

منها في الحماسة:

وإنِّي صبورٌ عند كل مُلِمَّةٍ يشِيبُ لها فَوْدٌ ويَخدَوْدَبُ الظهرُ
ولا ارْتاع لي قلبٌ لخطْبٍ إذا غدا علَيَّ له الإبْرامُ والنَّهْيُ والأمرُ
فلا خَيْر في قلبٍ أبَتْ أن تُذِيبَه خطوبٌ فلولا السَّبْكُ ما عُرِف التِّبْرُ
وقد زادني جَوْرُ الزمان تأرُّجاً كما زاد نَشْرَ المسك في سَحْقِه الفِهْرُ

هذا من قول سعيد بن هاشم الخالِدِيّ: [البسيط]

تَزِيدُني قسوة الأيّامِ طِيبَ ثَنا كأنني المسكُ بين الفِهْرِ والحجَرِ

والفهر: الحجر الذي يُسحَق عليه.

وإن لاح لي فوق السِّماكَيْن مَطْلَبٌ فلا المُرتَقَى صعبٌ عليَّ ولا وَعْرُ
ولستُ بِهيَّابٍ ليومٍ كريهةٍ وقد صافحتْ فيه المُهَنَّدَةُ البُتْرُ
فإن خانني دهرِي فما خانني الحِجَا وإن خذَلتني الصُّحْبُ لم يخذُل الصبرُ
ولا أشتكِي خطباً يُشدِّد وَطْأَةً عليَّ فلولا العسرُ ما خُلِق اليسرُ

منها:

ولستُ الذي يُمْضِي الليالي أمانياً يضِيع سُدىً في شأنها الوقتُ والفكرُ

Marfat.com

ولا أكره الخطْبَ المُلِمَّ فربما ... أتى النفعُ من حالٍ تراءى به الضُّرُّ
ولله ألطافٌ يدِقُّ خفاؤها ... فكم خِيفَ أمرٌ كان في ضِمْنه النصرُ
وكم عمَّني بالفضل والنِّعَمِ التي ... يقِلُّ عليها مِنِّيَ الحمدُ والشكرُ
إذا رُمْتُ أُحصي وصْفَها بِبيانها ... فهيْهات يُحْصَى الرَّملُ أو يُحصر القَطْرُ

وله من أخرى، مطلعها: [المتقارب]

أراني الزمانُ فِعَالاً خسيساً ... وخطْباً يبدِّل نُعْماه بُوسا

منها:

ومُذ أسكرتْني صُروفُ الزمانِ ... نسِيتُ بها الكأسَ والخَنْدَرِيسا[1]
وألزمتُ نفسيَ حالَ الخمولِ ... وعِفْتُ المُنى وهجرتُ الجليسا
فقد يمكثُ السيفُ في غِمْدِه ... مَصوناً ويستوطنُ اللَّيْثُ خِيسا[2]

ومنها في المديح:

بعزْمٍ تراه إذا ما بدا ... بمُعضِلِ أمرٍ يَفُلُّ الخَمِيسا
ولا يَملِك القلبَ منه الرَّدَاحُ ... ولو أشْبه الوجهُ منها الشموسا
ولو تكُ لو لم تَمِسْ ما اهتدتْ ... غصونُ الرِّياض إلى أن تميسا[3]

وله من أخرى، مستهلها: [الكامل]

خَفِّض عليك أخا الظِّباء الرُّتَّعِ ... أنت الشريكُ بما رميْتَ به معِي
أرسلتَ من أجفان لحْظِكَ أسهُماً ... مذ فُوِّقَتْ لم تُخْطِ قلبَ مُروِّعِ
قد ظلَّ موقعَها الفؤادُ وإنَّني ... لم ألق غَيْرَك ثَمَّ في ذا الموضعِ
كَلِفٌ بحبَّاتِ القلوبِ كأنما ... تبْغِي الوقوفَ على الضَّمير المُودَعِ
يا من غدا يسْطُو عليَّ بهجْرِه ... أوَما رحمتَ نَحيبَ صَبٍّ مُولَعِ
شيْئان تنْصدعُ الجوانحُ منهما ... تغْريدُ ساجعةٍ وأنَّةُ مُوجَعِ
كم رُمْتُ أخْفي عن سواك صَبابتي ... وبها ينُمُّ عليَّ شاهدُ أدْمُعِي
يهْفو لِغَيٍّ فيك قلبي ثم لا ... يُصغي لغِشِّ بالرَّشاد مُقَنِّعِ

---

(١) الخندريس: الخمر القديمة. لسان العرب، مادة /خندرس/.
(٢) الخيس: هو موضع إقامة الأسد. اللسان (خيس)
(٣) الميْس : هو الميل والتبختر. اللسان، مادة /مَيَسَ/.

Marfat.com

قل للعَذُول عليك يترك غِشَّه ... بالنُّصح لي فلذاك أُذنِي لا تَعِي
لم تُخْفِ قَطُّ بشاشةٌ لؤمَ الفتى ... فالطبعُ يفضح حالَةَ المتطبِّعِ
إن المَلامَ وحقِّ وجهك في الهوى ... مازاد غيرَ توَلُّهي وتوَلُّعِي
قد زاد فيك تألُّفِي بتألُّمِي ... وتفكُّري فيه انتهى لتمتُّعِي

الأبيات الثلاثة الأُوَل هي بعينها (ثلاثة المِهْيار)[1]:

أوْدِعْ فؤادي حُرَقاً أو دَعِ ... ذاتُك تُؤذَى أنتَ في أضلُعِي
أمْسِك سهامَ اللحظِ أو فازمِها ... أنتَ بما ترْمِي مصابٌ مَعِي
موقعُها القلبُ وأنت الذي ... مَسْكنُه في ذلك الموضعِ

ومن مقطَّعاته قوله: [الطويل]

إذا منَعتْ سُخْبُ العواذلِ وجهَه ... وحجَّب عني نورَه وهْو ساطعُ
فمن نارِ أحْشائِي تصاعد بَرْقُها ... وهاطلُها ما أمْطرته المدامعُ

وله في الغزل: [الطويل]

عجبْتُ لحُسادِي عليك ولَيْتهم ... دَرَوا أنَّني من نقْضِك العهدَ في ضَنْكِ
مضى ظنُّهم في مَيْنِ وعدِك صحةً ... وحقَّق إنْجازاً عَرِيّاً عن الشُّزْكِ
فبَيْن وعيدٍ صادقٍ لا تَحِيدهُ ... ووعدٍ كَذُوبٍ ليس يُوذن بالشَّكْ
غدَوْتُ ولي حالٌ كما تشتهي العِدَا ... وسُخْبُ دموعي أنبتَتْ كَلأَ الهَتْكِ
فلِلَّه مَن أخلصتُ دهرِيَ وُدَّه ... وعذَّبني بالغدْر والهجرِ والفَتْكِ

وقوله، وفي شخص اسمه موسى: [الطويل]

يناديك يا موسى فؤادٌ تكثَّرتْ ... عليه وُشاةٌ في هَواك خُصومُ
وليس عجيباً أن تَوَلَّه في الهوى ... وأنت له بين الأنام كليمُ

وله في غرض: [الكامل]

كم ذا تظَلُّ مُؤرِّقَ الأجفانِ ... ما عشتَ وثّاباً لنيل أمانِي
فبكلِّ وادٍ أنت رائدُ مطلبٍ ... وبكلِّ نادٍ أنت ناشدُ شانِ
تَرِدُ الخطوبَ لمَوردٍ هاعَتْ به ... أُسْد الفلا مذعورة الأغيانِ
لا تهْتدي فيه القَطا لورودها ... إلا بوزدِ الضَّيغم الظَّمآنِ

(١) ديوان مهيار (٣/ ١٣٤).

Marfat.com

وكأنما ريشُ النواهض حولَه ... وَقْعُ النِّبال عقِيب يوم طِعانِ
وترى المَطايا عُوِّضتْ من طائِها ... نُوناً لمُقْتَحِمٍ له ومُدانِ
فأتيْته والأُسْد تُوجِس خِيفةً ... فيه مفارِقة ثباتَ جَنانِ
وحَشَا خطوبٍ قد شققْتُ ضميرهَا ... بيدٍ تذُقُّ عَوالِيَ المُرّانِ
وغدوتَ تغْتسفُ الفَلا وتجوبُها ... لمطالبٍ قد زُيِّنتْ وأمانِي
وفَرَيْتَ وَفْر ظلامها بصوارم ... وصلتْ عُرَى الإصْباح باللَّمعانِ
وركبت متْن مَهامِهٍ متوخّياً ... دارَ العُلى فوصلتها بأمانِ
وبذلْت شَرْخَ العمرِ وهْو نفِيسُه ... في سُوقِ رغْبات الهوى النَّفسَاني
قسماً بأيامِ الشباب وطِيبِها ... وبنظمِ شَمْلٍ شَتَّه الحَدَثانِ
وبأنَّةِ القلبِ الصريعِ إذا نأى ... عنه الأليفُ وأقْفرتْه مَغَانِي
لَأَشَدُّ ما يلْقَى امرُؤٌ في دهرِه ... شيئان صدقُ قِلىَ ويُبْعد مُدانِي

وله مضمِّناً بيت الأرَّجانِيّ مرتجلاً: [الخفيف]

لستُ أنْسَى ليالياً قد تقضَّتْ ... بوصالٍ وطيبِ عيْشٍ بمغْنَى
كم قضَينا بها لُبانةَ أُنْسٍ ... وظفِرْنا بكلِّ ما نتمنَّى
حيثُ غُصْنُ الشبابِ رَيَّانُ من ما ... ءِ صِباه مع الهوى يتثنَّى
قد أتتْ بغتةً وولَّتْ سِراعاً ... كطُروقِ الخيال مُذْ زَار وَهْنا
أترى هل تعود لي بالتَّدانِي ... ومُحالٌ جَمْعِي بها أو تُثنَّى
غيرَ أني أعلِّلُ النفسَ عنها ... بالأماني الكِذابَ وَهْماً ووَهْنَا
أتمنَّى تلك الليالي المُنِيرا ... تِ وجهدُ المُحبِّ أنْ يتمنَّى

وله يخاطب مليحاً مرِض: [م. الكامل]

يا من تَعالاه السَّقا ... مُ لقد حكيْتَ بذاك جَفْنَكْ
إذ صار يا بدرَ السَّما ... ءِ مُضاعِفاً ذا الضعفُ حُسْنَكْ
لم ينتقِصْ بالسُّقْمِ حُسْـ ... ـنُكَ سيِّدي واللهِ إنَّكْ

يُشير إلى قول ابن سَناء المُلْك[1] في مليحٍ شَفَّه السَّقام: [المجتث]

(١) ديوانه (٥٣٢).

Marfat.com

أشْبَهْتَ جِسمي نحولاً فهل تعشَّقْتَ حسنَكْ
وكان جَفْنُك مُضنىً فصرتَ كلك جَفْنَكْ
وزادَك السُّقْمُ حسناً واللهِ إنَّك إنَّكْ

وللسيد محمد ثلاثة أبناء، كثلاثة هَقْعَة[1] الجوزاء، وإن أزبَوا عليها في السَّنا والسَّناء:

٦٤- السيد عبد الرحمن

هو في السِّن يكبُرهم، وفي الأخْذ بأطْراف الشِّعر يكثُرهم.
ومكانه منهم الأخطر الأنْفس، وصبح الفضلِ عن ابْتهاجه يتنفَّس.
وذاته شُغْلٌ للحبِّ الواجِد، وشأنُ القلوب في محبَّته شأنُ القلب الواحد.
قطَف الكلامَ لمَّا نوَّر، ورتَّب محاسن البديع في دُرَر كلماته وطَوَّر.
وقد فُجِعت به بنو الآداب في مَيْعة شبابه، وفَقدت منه سيِّداً ألَمَّ بخالِصة الأدب ولُبابِه.
فلا عُذْر للدمع إن لم يساجِل عليه المُزْن، ولا للنفس إن لم تُعاشر في مُصابه الحُزْن.
وأرجو الله سبحانه، أن يمنَحه رَوْحَه ورَوحانه.
وكنت صَحِبْتُه أياماً، نبَّهْت فيها حظوظاً نِياما.
فما زلت أترَوَّح نسيمَ لُطْفه وأنْتشقُه، وأقول فيه ما يقول المفْتونُ فيمن يعشقُه.
وكان أتْحفَني من أشعارِه بطُرَف تُرْوَى وتُنْقَل، وبمثلها يُجْلَى القلبُ من صَداه ويُصْقَل.

---

(١) الهقعة: ثلاثة كواكب نيّرة قريبة من بعضها. اللسان، مادة /هقع/.

٦٤- السيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد كمال الدين بن محمد بن الحسين، الدمشقي، المعروف بابن النقيب. وكان نادرة وقته في الفضل والأدب والذكاء وجودة القريحة وحسن التخيل، وكان مطلعاً على اللغة والشعر وأنواعه الاطلاع التام، وفضله أشهر من أن ينوه به. تخرج بوالده وغيره من فضلاء العصر حتى برع وأتقن فنوناً، تعانى الإنشاء ونظم الشعر في طليعة عمره فأحسن فيهما كل الإحسان وضرب فيهما بالقدح المعلى، وكان يتخيل التخيلات البعيدة البديعة في التشابيه العجيبة والنكات المتقنة، والمعميات العويصة، وتملك رق الإتقان والإبداع ويعرب وراءه من أدب كثير وحفظ غزير، وقريحة غير قريحة، وطبع غير طبع.
وكانت ولادته في سنة ثمان وأربعين وألف، وتوفي مطعوناً في ربيع الثاني سنة إحدى وثمانين وألف، ودفن بمقبرة الفراديس. ا.هـ خلاصة الأثر (٢/ ٣٩٠).

Marfat.com

وها أنا ذا أُورد منها ما نَلتزمه ونترك عنك دُرَر البحور، فإن بها زينةَ الصدور، وتلك بها زينةُ النُحور.

وكل ما أذكر له إما تشبيه زَهْرًا وزَهْر، أو وصفُ روض يُطلُّ على نَهْر.

وهو ممَّن أُغْرِيَ بهذين النوعيْن، فأتى منهما بجُمَل متكاثرة، ونظَم فيها بِدَعاً أضحت لها عقود التَّرائب مُتناثرة.

وذلك إما لميْلٍ غريزيّ في فطْرته، أو لأن دِمَشْق مُتَروَّحُ فِكْرته.

وحسبك من طبعٍ لو كان للسحبِ صَيَّرت الزمانَ فصلَ الربيع، وفكرةٍ لو كانت للنجوم السَّيَّارةِ جَرَيْن سَعْداً أكبر في التَّرْبيع.

ويكفيك من مُتَروَّح تَنْفتح العينُ منه على بهجةٍ ونَضارة، ومَسْرحٍ ينْجلي القلبُ منه بجِدَّة وغَضارة.

فمن ذلك مَقامته الربيعيَّة، كتبها للأمير حمزة الدَّفْتَرِيّ، بدمشق، وقد اختوت على مُعظَم تشبيهات الزهور. وهي: [الطويل]

إلـى روضـةِ الآداب رَيْـحـانـة الـنَّـدُ تَـحـايـا حِـفـاظٍ حـرَّكـتْـهـا يـدُ الـوُدّ
فـجاءَت كـأنـفـاسِ الـرِّيـاح تـسـحَّـبـتْ على رَشَحاتِ الطَّلّ من وَجْنة الوردِ

هذا، وقد عنَّ للخاطر يا سيدي أن يَزُفَّ إليك بوادِرَه، ويَجْلِيَ عليك نوادره.

إذ لا بد للنفوس أن تَمْرح، وللنَّوادر أن تُسْتباح وتُسْتَمْلح.

وقد أشعرت أني دُفِعت إلى مناجاة الفكر الفاتِر، عند قلة المحادثة والمُناظِر.

فخاطبني في ابْتكار النُخَب، وأغْراني بافْتراع أبْكار الأدب.

وقال: ما تقول في دُعابة تُقلِّص ذَيْلَ الوقار، وتُزري بأكْؤُس العُقار.

فقلت: إيه، يا نَبِيه. ثم لزمتُ الإصاخة لتلقِّيه.

فسلك بي طريقاً من الواهمة، كأنما أُعدّه لهذه المنادمة.

فأفْضَى إلى روض مُنَدًّى، كأنما تجلَّل بالنعيم وتردَّ.

وقد فُرِشتْ مُلاءة النَّوْرِ على مَيادِينه، وحرشت أيْدي النَّسيم بين رياحِينه.

يخترقه نهرٌ كأنما يَسيلُ من دُرَّة، أو ترقْرق من عَبْرة.

وعليه درٌّ من الفواقِع منْظوم، وبِسِماطَيْه وَشيٌ من الأزاهِر مَرْقوم.

فمن نَرْجسٍ نَعْتُه الفُتور، وورْدٍ كأنّما انْتُزِع من أوْجُه الحُور.

Marfat.com

وأقاحٍ كأنه ثَغْرُ الحبيب بلا مِرَا، وقصورٍ من العَسْجَد السَّبِيك مُشرِفَةِ الذُّرَى.
وياسَمين كأنه أثل الأبْكار، أو صُلْبانٌ من الفضة صِغار.
وبنَفْسَج كأنه العوارضُ الطَّريرة، أو رَصَّة القُرْط في سالِفةِ مهْمُومةٍ غرِيرة.
وشقِيقٍ كأنه أقْداحُ العقيق، قد رسَب بقَراراتها مسكٌ فَتِيق.
وآذَرْيُون كأنَّهُنَّ مَداهنُ عَسْجَد، على سواعِد زَبَرْجَد.
قد ضُمِّخت أوساطُها بغَالِية، وسَماوتُها من ذاك خالِية.
وسُوسان كبياضِ السَّوالف، أو جيادِ الوصائف.
وتُرُنْجان كأنها وشمٌ على زُنود، أو بِساطُ سُنْدُسٍ مَمْدود.
ومَرْدَقُوش[1] كأنما مَفْروقُهُ آذان خُرَّد، ومجْموعُهُ صَرْحٌ من الزُّمُرُّد مُمَرَّد.
ورَيْحان يُعِدُّه النديم ليوم الفَراغ، ويحْكيه الحبيبُ بسلاسِل الأصْداغ.
وقَرَنْفُل كأنما توقَّد بالجمْر، وانْعقَد من الخمْر.
على مكاحل خضرٍ معشوقة، وسواعدَ صُفْرٍ ممشوقة.
وسُنْبُل لازَوَرْديّ الأديم، عَنْبَرِيّ الشَّمِيم.
تخالُه بأكُفٍّ الولائد، كأنه شُنوف عُلِّقت إلى مَراود.
وبادورد، تَسَمَّى برائحة العنْبَر والورد.
كأنه هالَةُ البدر في القياس، أو شَمْسَةٌ تفكَّكتْ من الألْماس.
والطيرُ جَذْلان مبتهج، بين فارِدٍ ومُزْدَوَج.
قد صدَح ومرَح، وغنَّى بكل مُقتَرَح.
فمن عَنْدَليب قد أخذ من الغرام بنَصِيب، وحرَّك نوازعَ المحب للحبيب.
كأنما رُقِّش بِحُوَّةِ[2] اللَّعَس، أو قَدٌّ طوِّق من أديم الغَلَس.
ومن شُخْرور، قد أغْلَن بالسرور، وترنَّم خلف السُّتُور.
ثم برز لمُناغاة كل أوْرق صَدُوح، كأنه راهب في مُسوح.
وقد صِيغَتْ من الأبْنُوس قوائمُه، وصُبِغَت بعصارة المرْجان ملائِمُه.
ومن مُطوَّق قد حَنَّ إلى إلْفِه وتشوَّق، وترسَّل بالأغاريد وتنوَّق.
ومن قُمْرِيَ راح يُقَهْقِه بترْجِيعِه، ويحْكي إبريقَ المُدام عند سَفْك نَجِيعه.

---

(١) مردقوش: نبت طيّب الرائحة. الصحاح، مادة (مرد).
(٢) الحوّة: سواد مائل الخضرة. اللسان، مادة (حوا).

Marfat.com

ومن ساجعةٍ، ذات غُصَّة مُتراجِعة.
معشوقةِ التَّفْويف، مُعْلَمة الرَّمَل والخفيف.
ينْدَى بمرْتحَل الرَّذَاذ عاتقُها، وفي أحْشائها زفرةٌ من الشوق لا تُفَارقُها.
ومن ساقٍ حُرّ كأنما اكْتحل بنار الجوانح، وبَرز على مِنصّة المَناوح لكل مُطارِح.
جَوارٍ على قُضْبِ الأراكِ تناوَحتْ وما هي إلا للقلوبِ جوارحُ
وإذا بوِلْدان كأنّهن شواردُ آرام، أو بدور تَمام، يتطلَّعْن من فُروج الغَمام.
من كل ذي طَرْف مَنْهوك النَّظر، بادِي الفُتوْر والحَوَر.
بمُحيًّا وسيمٍ ينْدَى بمائه، قد أطْلَع فيه النعيمُ آية رُوائِه.
وجِيدٍ معشوق الغَيَد، على قوامٍ رهيف التَّثَنِّي والمَيَد.
كأنه الغصنُ يمرَح في بُرْدِهِ، والصبحُ ينْساخ نورُه من طَوْقه وعِقْدِه.
قد رفعوا سُجوف التكلُّف، وهصَروا بأغْصان التألُّف.
وعلى يدِ كلٍّ واحد كأسُ مُدام ، وإبْريقٌ منْزوع الفِدَام.
وهما يتعاقران السُّلاف على روض وغَدِير، وسماعٍ بَمٍّ و زِيْر.
حتى مرَج الدَّوْح بهم واضطرب، وجرَت الأكوابُ على الخَبَب.
فبينا أنا متعجِّب من هذه الآثار العبْقريَّة، ومتأمِّل في هذه المحاسن الربيعيّة.
وإذا بالفكر قد رفع الحجاب مُنشِداً، وإلى وجهِ الطرب مرشداً.
فقال: [البسيط]

إليك نزعَةُ آدابٍ يرِفُّ بها طيرُ الفصاحةِ إيناساً وتطْريباً
لا تعجَلِ اللَّومَ فيها واسْتشِفَّ لها معنىً يرفُّ ويندَى بَيْننا طِيباً
وربَّما أفصحتْ من بعد عُجْمَتِها وعاد تَرْجيعُها مَدْحاً وتشبيباً
فعادَ سَمْعُك مِئناسَ القريضِ بها فليس يألُوك إبْداعاً وتهْذيباً
فحيث ما جُلْتَ تلْقَى روضةً أُنُفاً منها ومسكاً على الأرْجاءِ مَنْهوباً
ومُتْرَفاً لم يزل بالدَّلِّ مُنْتطِقاً بالطَّرْفِ مُتَّشِحاً بالحسن مَعْصوباً
من حيث لا روضةٌ عند العَيانِ ترى فيها ولا مُسْمِعا يشْدُو ولا كُوباً
وإنما هو تَمْويهٌ على نَسَقٍ تخاله شارباً للذهن مشروباً

Marfat.com

والشِّعر ضربٌ من التَّصوير قد سلَكتْ ... فيه القرائحُ تذريجاً وترْتيباً
فالروضُ روضُ السَّجايا طاب منْبَتُها ... والزهرُ زهْرُ الثَّنا نُهْديه مَرغوباً
والكأسُ كأسُ الوداد المخْضِ مُرتَشَفاً ... والحسنُ حسنُ الوفَا تلقاه محبوباً
والطيرُ طيرُ بيانٍ ظلَّ مُغْترداً ... طُوبى لمن بات يقْري سمعَه طوبَى
والسجعُ طِيبُ حديثٍ ظلَّ جوهرهُ ... بين الأخلاَّءِ منْثوراً ومؤهوباً
وتلك أوصافُ مَن طابتْ مَكاسِرُه ... ومن غدا جوهراً للفضلِ منْخوباً
أغنِي به حمزةَ الرَّاقي إلى شَرَفٍ ... يرى به كوكب الجوْزاءِ مَجْنوباً
من راح مُنْتَدِباً للفضل يجمعُه ... والعُرْفُ يصنَعه بدءاً وتشْبيباً
والمَكْرُمات غدَتْ في طبعِه خُلُقاً ... ونِخْلَةُ الودِّ دَأْباً منه مَذْؤُوباً
إليك يا مَوْئل الآدابِ غانيةً ... تُهْدِي ثناءً كأنفاس الرُّبَى طِيباً
رَفِّهْ بعَيشِك سمعَ الوُدِّ منك بها ... وأولها بجميلِ القولِ ترحيباً

وقوله في تشْبيه الياسمين: «أو صلبان» إلخ، من قول ابن قُرْناص: [المنسرح]

انْظُر إلى خَيمةٍ وقد نُصِبَتْ ... خضراءَ عند الصَّباح مُبْيضَّهْ
كأنها قُبَّةٌ لِراهبةٍ ... وقد كستْها صُلْبانُ من فِضَّهْ

ومن التَّشابيهِ في البَنَفْسج قوله: [البسيط]

بَنَفْسَجٌ بذَكِيِّ المسك مخْصوصُ ... كخَدِّ أغْيَد بالتخْميشِ مقروصُ

وقال آخر: بنفْسَج كآثار العَضّ، في البدَن الغَضّ.

وقوله: «وشقيق، كأنه أقداح العقيق» إلخ، هذا نَقل فيه تشبيه الآذَرْيُونة من بيت قيل فيها، وهو: [الطويل]

وحَوْل آذَرْيُونةٍ فوق أُذْنِه ... ككاسِ عقيقٍ في قرارته مِسْكُ

وضمير «حول» يرجع إلى المحبوب.

والآذَرْيُون: نَوْر أصفر، معرّب آذركون، أي لون النار. والعرب كانت تجعله خلف أذنها تيمُّناً.

وأصله أن أرْدشير بن بَابَك، كان يوماً بقصْره، فرآه فأعجبه، ونزل لأخْذه فسقط قصره، فتيمَّن به.

وهو نَوْر خرِيفيّ، يُمَدّ ويُقْصَر.

Marfat.com

قاله الشِّهاب، في «شفاء الغليل».

وقال غيره: هو ورد مُدَوَّر له أوراق حُمْر، في وسطه سواد، له نُتوء وارْتفاع، فيُشبَّه بكأس عقيق كالأول، وقد يكون أصفر، وعليه قوله الآخر: وآذَرْيُون كأنَّهُنَّ مداهنُ عسْجد، على سواعد زَبَرْجَد. إلخ.

وهذا حلٌّ لأبيات لابن المُعْتَزّ[1]: [م. الرجز]

سَقْياً لروضاتٍ لنا ... من كلِّ نَوْرٍ حالِيَهْ
عيونُ آذَرْيُونِها ... للشَّمس فيها كالِيَهْ
مداهِنٌ من ذهبٍ ... فيها بَقايا غالِيَهْ

والمداهن جمع مُدْهُن.

قال الجَوْهَرِيّ: المُدْهُن، بالضم لا غير: قارورة الدُّهن، وهو أحد ما جاء على مُفْعُل، مما يستعمَل من الأدوات، والجمع المداهن.

ومعنى كَلاءة عيون الآذَرْيُون للشمس، أنها تستقبلُها وتدُور معها حيث دارت.

وقوله: «سنبل لازوردي الأديم»، قد استعمل هذا التشبيه في مَقْطوع له مشهور، يقول فيه: [الخفيف]

أضبح السُّنْبُلُ الجَنِيُّ لدينا ... فوقَ سُوقٍ فيها النَّدَى يتردَّدْ
كشُنوفٍ لطُفْنَ من لازَوَرْدٍ ... عُلِّقتْ في مَراوِدٍ من زَبَرْجَدْ

وله في السُّنْبُل أيضاً: [السريع]

وسُنْبُلٍ وافَى على سُوقِه ... غِبَّ الحَيَا في زُرقةٍ لا تُحَدّ
مَكْفوفةِ الْحافاتِ زَهْراتُه ... مَذْرُوبة الأوراق في كلِّ يَدْ
كأنما تغقِيف أطرافها ... مَحاجِنٌ صِيغتْ من اللازَوَرْدْ

وله أيضاً فيه: [السريع]

يا حُسنَه من سُنْبُلٍ ناصعٍ ... يبْدو لنا في قائمٍ أخْضرِ
كأنَّه من حَوْلِ زَهْراتِه ... زَرَافِنٌ صُفَّتْ من العَنْبَرِ

ومن تشابيهه النادرة، قوله في الورد: [البسيط]

وأقْبل الوردُ من بُرْعُومه خَجِلاً ... يُبْدِي لنا فوق رَيَّا نَشْره العَبِقِ

---

(١) ديوان ابن المعتز (١/ ٤١٣).

Marfat.com

دراهماً من يواقيتٍ على قُضُبٍ تراكمتْ تحت دِينارٍ على طَبَقِ
وقد أحاطتْ لِرقْصِ الدَّسْتَبَنْد بها من الزَّبَرْجَد حِيتانٌ من الوَرِقِ

البُرعُوم، والبُرْعُم، والبُرعُمة، والبُرعُومة، بضمّهن: زهرة الشجرة قبل أن تنفتح.

ورقص الدستبند: معروف للعجم، يأخذ بعضُهم بيد بعض، يقال له الفَنْزج، بفتح الفاء.

ولقد أتى بأبْدع ما يُستعذَب ويُستغرَب.

ومنْزعُه في هذا ما في كتاب «ازدهار الأزهار» للشَّقاشِقيّ، حيث أنشد فيه: [المنسرح]

وقد فتح الوردُ جُنْبُذاً بَهِجاً يكاد منه الدينارُ ينسبِكُ
عقِيقُ أوراقِها على ذهبٍ يخمله من زَبَرْجَدٍ سَمَكُ

قال: لم أسمعْ في زِرّ الورد الأخضر، الحاوي للزهر الأحمر، أبدعَ من هذا التشبيه، بل لم أسمع فيه شيئاً البَتَّة غيرَه، وهو من بدائِع التَّشْبيهات، ورائع التَّوْجيهات، التي يطرَب عليها الأديب، ويهْتَزُّ لها العاقل الأرِيب.

وقد أغار عليه الأمير طاهر، فقال: [م. الكامل]

انظُر إلى الورد الجَنِيِّ كأنه الخَدُّ المُورَّدْ
من حولِه وَرَقٌ كحيـ تانٍ خُلِقْنَ من الزَّبَرْجَدْ

ومما يُستبْدع ويُستظرف، قوله في تشبيه المُضْعَف: [البسيط]

ونَرْجِسُ الروضِ قد حَيَّى بمُضْعفِه في أصفرٍ فاقعٍ مع أبْيَضٍ يَقَقِ
كأنه وهْو في قُضُبٍ مُنعَّمةٍ يُلْقي النسيمُ عليها نفسَ مُعتنِقِ
أمْشاطُ دُرٍّ من الإبْريزِ في جُمَمٍ جَعْدٍ فما بين مجموعٍ ومُفْترِقِ

الجمم: جمع جُمَّة، وهي من الإنسان مُجْتَمَع شعر ناصيتِه.

وقوله في تشبيه الياسَمِين: [البسيط]

وأطْلع الياسَمينُ الغَضُّ حين بَدا دُرّاً يفُوح بنَشْرٍ منه مُنْفَتِقِ
كرَوْبَجاتِ صغارٍ سال في لُمعٍ من أُفقِها ذائبُ الياقوتِ في الشَّفَقِ[1]

وقوله في الزهر المعروف بالعنبر بوي، ومعناه رائحة العَنْبَر: [الطويل]

---

(١) الرويج: درهم يتعامل به أهل البصرة. ا.هـ لسان العرب، مادة /ربج/.

Marfat.com

وذِي قامةٍ في الزّهْر تنْدَى غَضارةً ... بَدَا فَاختِيّ اللونِ من عَنْبَرِ الشّحْرِ
له جمّمٌ زُغْبٌ تفكّك حولها ... من الزّهْر إفْرِيزٌ كأجرية العِطْرِ
تكوّن لطفاً فوق زِرٌ زَبَرْجَدٍ ... تكتّب بالألماسِ سَطْراً على سطرِ

وقوله في الأبيض منه: [الطويل]

وذي هالةٍ في الزهر أبْيَضَ ناصعٍ ... تكوّن للنّاشِي من العنْبَرِ الوردِ
يروُقُك هُدّابٌ به راح أشْيَباً ... تدثّر في زرٌ كبارزةِ الهنْدِ
أحاطتْ به للزهرِ في زيّ دارِه ... ظُروفٌ من الكافورِ منْتُوتة الزّنْدِ

وقوله في الزهر المعروف بِحَلْقَة المحبوب: [الطويل]

وزهرٍ كأمْثال الشُّنوفِ لَطافةً ... تَدَاخَلَ من أجزائِه البعضُ في البعضِ
لقد أحْكَمت إبْرامها المُزْنُ خِلْقةً ... لدَيْنَا وأعطتْه أماناً من النقضِ

ونقلتُ عنه، قال: أنشدني العلامة نسِيج وحده المرحوم أبو العباس أحمد المَقَّرِيّ المَغْرِبِي، في كتابه «أزهار الرياض في أخبار عياض» في جملة ما أورده من شعر ابن زَمْرَك الأندلسيّ، في كتاب ذكر أنه من تآليف بعض سلاطين تلْمِسان بَني الأحمر، وهو حفيد ابْن الأحمر المخلوع، سلطان الأندلس، الذي كتبْ إليه ابن زَمْرَك المذكور، بعد ابن الخطيب.

قال: وهو سِفْر ضخم، سماه بـ «البقيّة والمدرَك من شعر ابن زَمْرَك» ليس فيه إلا نظمه فقط.

فقال: ومن وصفه في زهر القَرَنْفُل الصّعْب الاجْتنا بجبَل الفتح، وقد وقّع له مولانا الغنيُّ بالله بذلك، فارْتجل قطَعاً..

منها: [الطويل]

أتَوْني بنُوَّارٍ يرُوق نَضارةً ... كخَدّ الذي أهْوَى وطِيبٍ تنفُّسِهْ
وجَاءوا به من شاهِقٍ مُتمنِّعٍ ... تمَنُّعَ ذاك الظَّبْيِ في ظل مَكْنسِهْ
رعى الله منه عاشقاً مُتَقنِّعاً ... بزَهرٍ حكى في الحُسْن خدّ مُؤنِّسِهْ
وإن هبَّ خفّاقُ النّسيم بنفْحةٍ ... حكى عَرْفَه طِيبا قَضى بتأنُّسِهْ

قال: وكنتُ من إعمال الفكر في عدة تماثيل، أصِف فيها ما تكوّن من هذا الزهر على حالة تحشر لها النفس بتحْريك نازع الاقْتدار؛ ويصرف عنها الخاطر إكباراً لأن

Marfat.com

أكون فاتح هذا الباب من غير وطئةٍ ثابتةٍ في اسمه ومنتهاه، حتى رأيت في ذكْر مَعْزاه ما ترى، فقلت فيه عدَّة مقاطيع. منها: [الخفيف]

وجَنِيٍّ من القَرَنْفُل يُنبْدِي ... لك عَرْفاً من نَشرِه بابْتسامِ
فوق سُوقٍ كأنها من أبارِيـ ... ـقِ الحُمَيَّا مَساكِبٌ للمُدامِ
وسدَّتْ فوقها السُّقاةُ خدوداً ... داميـاتٍ منها مكان الفِدامِ[1]

ومنها: [الخفيف]

قم بنا يا نديمُ فالطيرُ غرَّدْ ... للمُدامِ كؤُوسُه تتوقدْ
فلدينا قَرَنْفُلٌ قد نَماهُ ... جبلُ الفتْحِ نشْره قد تصعَّدْ
بين سُوقٍ عُوجِ الرِّقاب لِطافٍ ... شَعرات من لِينها تتجعَّدْ

ومنها: [المنسرح]

أهْدَى لنا الروضُ من قَرَنْفُلِهِ ... عبيرَ مسْكٍ لدنْه مَفْتوتِ
كأنما سُوقُه وما حمَلتْ ... من حسنِ زَهْرٍ بالطِّيب منْعوتِ
صَوالجٌ من زَبَرْجَدٍ خرَطتْ ... لها الغوادِي كُراتِ ياقوتِ

ومنها: [الوافر]

أرى زهْرَ القَرَنْفُل قد جَلتْهُ ... قُدودٌ تَرْجَحِنُّ به قيامُ
أخَال لَوَانَّها أغناقُ طيْرٍ ... نهضْن به لقلتُ هي النَّعامُ
توقَّد زَهْرُه جَمْراً لدينا ... وتلك لها من الجمْرِ الْتِقامُ

ومنها في الأبيض منه من أبيات: [الخفيف]

ما ترى ناصِعَ القَرَنْفُل وافَى ... بتَحايَا الشَّميم بين الزُّهورِ
قُضُبٌ من زَبَرْجَدٍ حاملاتٌ ... قِطعاً فُكْكتْ من الكافورِ

هذا ما وجدتُه منقولاً عنه.

ورأيت في أشعار بعض المتأخرين ممَّن تقدمَ تشبيهَ هذا الزهر.

فممَّن استعمله ممَّن أدركتُه أبو مُفْلح البيْلونيّ الحلبيّ، في مقصورة له، حيث قال: [الرجز]

---

(١) الفدام: بكسر الفاء: شيء تشدّه العجم على أفواهها عند السقي، والواحدة فدامة. اللسان، مادة (فدم).

Marfat.com

قَـرَنْـفُـل الـرَّوضِ شِـفـاهٌ ضـمَّـهـا لُـغـسـاً لـكـي يـلـثَـم نـاشـقـاً دنَـا[1]

واستعمله قبله الكمال محمد بن أبي اللُطْف المَقْدِسِيُ، المتوفّى سنة ثلاث وثلاثين وألف في قوله: [البسيط]

حكى القَرَنْفُلُ مُحمَرّاً على قُضُبٍ خُضرٍ لها صار بالتَّفْضِيل منعوتا
كفّاً على مِعْصَمٍ نَقْشٌ به خَضِرٌ غَـدا لـه كـافـر الـعُـذّال مَـبْـهـوتـا
أبْدَتْه خَوْدٌ وقد ضَمَّت أنامِلَها كأساً تُشعّر لُطْفاً صِيغَ ياقوتا

والذي حاز في تشْبيهه قصَب السَّبْق، فيما أعلم، الشهاب بن خَلُّوف الأنْدَلُسِيّ، أحد المشاهير المُجيدين، حيث قال، من قصيدة: [البسيط]

ولـلـقـرَنْـفُـل راحـاتٌ مُـخـضَّـبـةٌ عـلـى مَـعـاصِـمَ خُـضْـرٍ فـتْـنـةِ الـرّائـي
كـأنْـجُـمٍ مـن عـقـيـقٍ فـي ذُرَا فـلـكٍ مـن الـزُّجـاج أرَتْ أشْـطـان لألاءِ

وكان السيد المترجَم لمّا أنشأ هذه المقاطيع التي تقدَّمت اشتهر أمرُها، فحذَا حذْوَه في بابها جماعةٌ من أدباء الشام، ونظموا فيه تشابِيه متنوّعة.

فمنهم الأمير مَنْجَك[2]، حيث قال: [الطويل]

قَـرنْـفُـلُـنـا الـعـطـريُّ لـونـاً كـأنـه رُؤُوسُ الـعـذارَى ضُـمِّـخـتْ بـعـبـيـرِ
مـداهـنُ يـاقـوت بـأعـلـى زَبَـرْجَـدٍ لـقـد أُحـكـمـتْ صُـنـعـاً بـأمْـرِ قـديـرِ

ومنهم شيخنا المهْمَنْداريّ المفتي[3]، حيث قال: [المنسرح]

قَـرَنْـفُـلٌ فـي الـريـاضِ هـيْـئـتُـه تَـحْـكـي وقـد مَـدَّ لـلـسـحـابِ يَـدَا
فَـوّارةً مـن زبَـرْجَـدٍ فـتَـقـتْ فـفـار مـنـهـا الـعـقـيـقُ وانْـجـمَـدَا

وقال أيضاً: م. [الكامل]

هـذا الـقَـرَنْـفُـل قـد بـدا فـي لـونِـه الْـقـانِـي تَـجَـمَّـدْ
فـكـأن مَـرْآهُ الأنِـيـ ـقَ لـدَى الـريـاضِ إذا تَـنَـهَّـدْ
قِـطَـعُ الـعـقـيـقِ تـنـاثـرتْ فـتـخـطَّـفـتْـه يـدُ الـزَّبَـرْجَـدْ

ومنهم شيخُنا عبد الغنيّ النَّابُلُسِيّ[4]، في قوله: [الوافر]

---

(١) اللعس: سواد اللثة والشفة. اللسان (لعس) (٦/٢٠٧).
(٢) ديوان منجك ص (٢٤٢).
(٣) انظر خلاصة الأثر (٢/ ٣٩٥).
(٤) انظر خلاصة الأثر (٢/ ٣٩٥).

Marfat.com

كأن قَرنْفُلاً في الروضِ يَسْبي ... شذَا رَيّاه مُنتشِقَ الأنوفِ
سواعِدُ من زَبَرْجَدَ قائماتٌ ... بلا بدَنٍ مُخضَّبةُ الكفوفِ

وقوله: [البسيط]

قم يا نديمي لداعِي اللَّهْوِ منشرِحاً ... فقد ترنَّمتِ الورْقاءُ في الورقِ
وانظُرْ إلى حسنِ باقاتِ القَرَنْفُل ما ... بيْن الرُّبَى نفَحتْ كالمَنْدَلِ العَبِقِ
أطْفَى النسيمُ لهيباً من مشاعِلها ... في ظُلَّةِ الروضِ حتى جمرُهنَّ بَقِي

وقوله: [البسيط]

بين الحدائقِ أعْطافُ القَرَنْفُل في ... زهرٍ بريحِ الصَّبا الزَّاكِي وتمْثيلِ
مثلُ العرائسِ في خُضْرِ الملابسِ قد ... لاثَتْ على وجْهِها حُمْرَ المناديلِ

وقوله في الأبيض منه: [الكامل]

هيَّا بنا فالطيرُ صاحَ مُغرِّداً ... ما إن يُقاس لدى الورَى بمُغَرِّدِ
والروضُ مَدَّ من القَرَنْفُل للنَّدَى ... كاساتِ دُرٍّ في زُنودِ زَبَرْجَدِ

وقوله في الأبيض المُشرَب بحمرة: [الوافر]

وزهرِ قَرَنْفُلٍ في الروض يحكي ... قصورَ دمٍ على صفحات ماءِ
رأى وجَناتِ من أهْوَى فأغْضَى ... فبان بوجْهِه أثرُ الحياءِ

وقد تطفَّلت أنا على عادتي، فقلت: [م. الكامل]

وافى القَرَنْفُلُ مُعجباً ... فينا بمنْظرِه الأنِيق
يُبْدِي زُنُودَ زَبَرْجَدٍ ... حمَلت تُروساً من عَقِيقْ

هذا ما وصلني من التشبيهات التي نُظمت فيه، وإن ظفرتُ بشيء ألحقتُه. عَوداً على بَدْء.

ومن رَوْضيّاته قوله: [الخفيف]

قادني للرُّبَى مَرُوح العِنانِ ... نَفْحُ رَوْحِ النسيم في الرَّيْحانِ
واهْتزازُ الأوْراقِ في القُضْبِ الهِيـ ... ـف أرْتني في ساحةِ البستانِ
طُرَرَ الغِيدِ قد رقصْنَ بها عنْـ ... ـد اجْتلاء الطّلا على العيدانِ

وقوله:

كأنما شجَرات الدَّوْحِ في خُلَعٍ ... تنْدَى فيبلغ أقْصَى الحسن مبْلغُها

Marfat.com

أرواح دُرٍّ تبيتُ المُزْن في بشرٍ ... من الزُمُرُّد بالأنواءِ تُفْرِغُها
ماجَتْ بمُذرَجة الأنفاس واطَّرَدتْ ... كأنما حولَها أيدٍ تُدَغْدِغُها

وقوله: [البسيط]

والنهر يضْدَا بهاتيك الظِّلال كما ... يضْدَا من الغِمْدِ حدُّ الصارمِ الذَّكَرِ
والزهرُ يفْرِش في شطَّيه ما رقَمتْ ... فيها السحائبُ من رَيطٍ ومن حِبَرِ
رَبِيعةُ الوَشْيِ لا ينفكُّ زِبْرِجُها ... يجْلو لنا من حُلاها أحسنَ الصُّورِ

الزِّبْرج، بالكسر: الزينة من وَشْي أو جوهَر، أو نحو ذلك.

ويقال: الزِّبْرِج: الذهب، والزبرج: السحاب الرقيق فيه حمرة.

وله: [الكامل]

بادِرْ بعيْشك فالنعيمُ مُخيِّمٌ ... ومُلاءةُ البستانِ في تفْويفِ
والطيرُ مغْتردٌ عليه يشُوقُه ... جِيدٌ بأغْناق الغصون الهِيفِ
تُصْغي له أُذُنُ الطَّروبِ فينْثني ... والشوقُ مِلْءُ فؤادِيَ المَشْغوفِ

وله: [المنسرح]

ومجلسٍ حفَّتِ الغصونُ بنا ... فيه ووجهُ الرياضِ مُبْتهِجُ
كأن أوراقَها يرفُّ بها ... فوق النَّدامَى نسيمُها الأرِجُ
خُضْرٌ من الأُزْرِ لا تزال بها ... مناكبُ الرَّاقصات تَخْتلِجُ

وله في روض ألقتِ الأشجار ظلالَها عليه، فالشمس من فُرُوجها عيونٌ ناظرةٌ إليه: [الطويل]

وبطنٍ من الوادي حَلَلْنا مَسِيلَهُ ... خلالَ غصونٍ عاكفاتٍ على الشُّرْبِ
تُنَقِّط منه الشمسُ في مِسْكَة الثَّرى ... مَدَبَّ عِذارِ الظلِّ في وَجْنةِ التُّرْبِ
بخِيلانِ كافورِ الشُّعاع كأنما ... أبثَّ غير جلْدِ النَّمر يُفرَش بالسُّخْبِ

رأيت بخطِّه عقيب هذا: قلت: وما كنتُ أحسَبني زُوحِمت في هذا المعنى، ولا سُبِقت لهذا المغنى، حتى وقع إليَّ حال مطالعتي لـ«تتمة اليتيمة» من قول السيد أبي البركات العَلَوِيّ، في الأشجار والقَمر، ما صورته: [الهزج]

ألا صرِّفْ لنا خمراً ... فنفسُ الصَّبِّ مَذْهوشَهْ
على أذواحِ رَيْحانِ ... بماءِ الطَّلِّ مَرْشوشَهْ

Marfat.com

كـــأن الأرضَ مـــن حُـــسْـــنٍ بِـجـلْـدِ الـنـمـرِ مـفـروشَـة

فعجبت من مُواردتي إياه في اشتراك الخواطر، مع اقْتران المناسبة بين الشمس المنيرة والقمر الزَّاهر.

ثم وقع إليّ من أناشيد صاحب «الذخيرة» للتِّهاميّ أيضاً ما صُورته في تشبيه الثُّرَيَّا: [البسيط]

ولـلـثُـريـا ركُـودٌ فـوق أزحُـلِـنـا كـأنـهـا قـطـعـةٌ مـن فَـرْوة الـنـمِـر

قلتُ: وقد نزع في هذا المعنى البديع قول عبد المحسن الصُّورِيّ، من أناشيد الثَّعالِبيّ، وهو: [الخفيف]

فـاسْـقِـنـيـهـا مَـلأى فـقـد فـضـح الـلَّـيْـ لَ هـــلالٌ كـــأنـــه فِـــثْـــر زَنْـــدِ

والـثُّـرَيَّـا خَـفَّـاقَـةٌ بـجـنـاحِ الْـ غَـرْبِ تـهْـوى كـأنـهـا رأسُ فَـهْـدِ

وتشْبيه وقوع الشُّعاع قد أكثر فيه الشعراء القولَ.

فمنه قول المعوج الشاعر[1]: [الطويل]

كأن شعاعَ الشَّمْسِ في كُلِّ غُدْوَةٍ عـلـى ورَقِ الأشـجـار أوّل طـالـعِ

دَنـانـيـرُ فـي كَـفّ الأشَـلِّ يـضـمُّـهـا لـقـبْـضٍ تـهَـوَّتْ فـي فُـروجِ الأصـابـعِ

وهو مأخوذ من قول المُتَنبِّي[2]: [الوافر]

وألْـقَـى الـشـرقُ مـنـهـا فـي ثِـيـابِـي دنـانـيـراً تـفِـرُّ مـن الـبَـنـانِ

وأخذه القاضي الفاضل، فقال: [الكامل]

والشمسُ من بين الأرائِك قد حكتْ سـيـفـاً صَـقِـيـلاً فـي يَـدٍ رَعْـشـاءِ

وللنَّامِي[3]: [الطويل]

سماءُ غصونٍ تحجُب الشمسَ أن تُرَى عـلـى الأرضِ إلاّ مـثـلَ نَـثـر الـدراهـمِ

ومما يُضاهي هذا قولُ الصَّلاح الصَّفَدِيّ في القمر: [السريع]

كـأنّـمـا الأغْـصـانُ فـي دَوحِـهـا يـلُـوح لـي مـنـهـا سـنـا الـبـدر

تِـرْسٌ مـن الـتِّـبْـرِ غـدا لامـعـاً يـقِـيـسُـه أسْـوَدُ بـالـشِّـبْـرِ

---

(١) معاهد التنصيص ١/ ١٤٤ .
(٢) ديوان المتنبي ٤/ ٣٨٦ .
(٣) معاهد التنصيص ١/ ٤٤ .

Marfat.com

وقوله: [الكامل]

وكأنما الأغصانُ يُثْنِيها الصَّبا ... والبدرُ من خَلَلٍ يلُوح ويُحْجَبُ
حسناءُ قد عامَتْ وأزخَتْ شعرَها ... في لُجَّةٍ والمَوْجُ فيها يلْعَبُ

وقوله: [السريع]

كأنما الأغْصانُ لمَّا انْثنَتْ ... أمام بَدْرِ التّمِّ في غَيْهبِهْ
بنتُ مَليكٍ خلْف شُبَّاكِها ... تفَرَّجت منه على مَوْكِبِهْ

وللسيِّد في الغزل: [الطويل]

ولما تفاوضْنا الحديثَ عشِيَّةً ... ومالتْ بِعطْفيْه المُدامةُ فاسْتغْفَى
وضعتُ له كفِّي فوسَّد نُغْنُغَاً ... تناهتْ به مائِيَّةُ الحُسْنِ فاستكْفَى
وكنتُ أُراعيه بلحْظِي تسَرُّقاً ... فملَّكْتُ طَرْفِي منه من بعْدِ ما أغفَى

وله: [الخفيف]

قد لوى جِيدَه حَياءً وحيَّى ... بكؤُوسِ المُدامِ كأساً فكأسا
فَفضضْتُ اليدين عن يانع الزهـ ... ـرِ لمعنىً أجِدْ لي فيه أُنسا
نُغْنُغٌ في نَصاعةِ الزهرِ مَرْآ ... هُ لعيني وكالحريرةِ مَسّا

وله: [الخفيف]

قُمْ وسَقِّ المُدامَ كُوباً فكُوباَ ... فخطيبُ الرِّياضِ أضْحَى طَرُوبا
والنَّواويرُ في الأكِمَّةِ تُجْلِي ... حَبَباً من لُجَيْنها مقْلوبا
غيرَ أن الرياحَ قد مزَّقتْ عنـ ... ـد اغْتِناقِ الغصونِ منها الجيُوبا

وله: [الطويل]

توسَّمْتُه لما تكامل حسنُه ... وقد رقْرقتْ فيه الشَّبِيبةُ ماءَها
فخلْتُ بأن الحَوْلَ حان رَبيْعُهُ ... وأن الرِّياضَ الحَزْنَ أبْدتْ رُواءَها
فنفَّسْتُ عن طير الجوى بتأَوُّهي ... وأرسلتُ عيني بالدموعِ وراءَها

وله: [البسيط]

نبَّهْتُه سَحَراً والكأسُ فوق يدي ... والعودُ مضْطخِبُ الأوتار يُجْليهِ
فرفَّع الجيدَ عن كفِّي وقد فتَرتْ ... أطْرافُه وأنا أُذْنِيه من فيهِ

Marfat.com

كما ترفَّع غصنُ البان مُنتصِباً حالاً فحالاً إذا ما رُحتَ تثنِيهِ

وله: [الطويل]

وأهيفَ مغنوجِ اللَّواحظِ مُترفٍ رَهِيفِ التَّثَنِّي ناهَز العشرَ في السِّنْ
دَعاني إلى باكُورةِ الحسْنِ صَغرُه ولم أرَ شيْئاً مثلَ باكورةِ الحُسْنِ

وله في راقص: [الطويل]

وأهيفَ مهضومِ الحشَا كاد رقْصُه يُحكِّم فينا السُّخرَ من كلِّ جانبِ
يسيلُ به نَقْلُ الخُطَا فترُدُّه رَجاجةُ أعكان له ومَسارِبِ

ومما أنشدنيه من لفظه لنفسه هذه الأبيات، أحسن فيها المراجعة كل الإحسان: [الخفيف]

وجليسٍ مَنَّيْتُه طَرَف الأُنْـ ـسِ وذكَّرتُه قديمَ العهودِ
قلتُ كيف النَّديمُ قال يُحَيَّى ويُفدَّى بأنفُسٍ وجُدودِ
قلتُ كيف المُدامُ قال مع الرَّيْـ ـحانِ حيِّي بنَرجِسٍ وورودِ
قلت والنَّقْل قال تقْبِيل خَدٌّ من حبيبٍ ورشْفُ ثَغرٍ بَرُودِ
قلتُ والطِّيب قال طَشٌّ من الما وَزدٍ يُزجِي سحابَ نَدٍّ وعُودِ
قلت كيف القِيانُ قال إلَيْهنَّ انْقيادُ الأوتارِ عند النَّشِيدِ
قلت كيف الغِناءُ قال تظرَّفْـ ـت ولم يغْدُ فيه بيتَ القصيدِ
أشْتهي في الغناءِ بَحَّةَ حَلْقٍ ناعمِ الصوتِ مُشْعَبٍ مَكْدودِ
كأنِينِ المُحبِّ أنْحلَه البَيْـ ـنُ فضَاهَى به أنينَ العُودِ

ومن تشابيهه النُّجوميَّة، قوله من قصيدة، مستهلها: [الطويل]

لعَيْنَيْكَ في الأحشاءِ ما نَفث السحرُ وللحبِّ في الألباب ما فعل الخمرُ

منها: [الطويل]

كأن المُنَى ماءٌ كأنِّيَ ناهلٌ كأن الفَيافي البِيدَ ما بيْننا جِسْرُ
كأن الثُّرى أُفقٌ كأن مَطيَّتي هلالٌ كأن السَّيْرَ غايتُه الحشْرُ
كأن نَجاشِيَّ الظلامِ مُتيَّمٌ كأنِّي مُلْقىً في ضمائِره سِرُّ

منها:

ولم يبْقَ لي إلا تَعِلَّة مُعدِمٍ يجاذِبُها من كلِّ ناحيةٍ ذكَرُ

Marfat.com

لـيـالٍ بَـراهـا الـقـضْـرُ حـتـى كـأنـمـا تـكـنَّـفَـهـا مـن كـلِّ نـاحـيـةٍ فـجـرُ
كـأن دُجـاهـا فـي أدِيـمِ نـهـارِهـا عَـصـيـمُ مـدادٍ كـاد يـخْـحـدُه الـسَّـفْـرُ
كـأن بـه الـجـوزاءَ عِـقْـدُ لآلـيءٍ تـطـوَّقَـه مـن صَـدْرِ زنْـجـيَّـةٍ نَـحْـرُ
كـأن الـثـريَّـا فـي اخـتـلافِ نُـجـومِـهـا بـوادرُ آمـالٍ يُـحـاولُـهـا الـحـرُّ
كـأن الـسُّـهـا مـغـنـىً دقـيـقٌ فـيـخْـتَـفـي ويـبْـدو جِـهـاراً إن تـراجَـعـه الـفـكْـرُ

توارَد في هذا التشبيه مع الْبابِيّ الحلبيّ، في قوله: [الطويل]

كـأن الـسُّـهَـا مـعـنـىً يـجـولُ بـفـكْـرةٍ فـآونـةً يـخْـفَـى وآونـةً يـبْـدُو

ابن هانئ[1]: [الطويل]

كـأن سُـهـاهـا عـاشـقٌ بـيـن عُـوَّدٍ فـآونـةً يَـبْـدو وآونـةً يـخْـفَـى

ابن خفاجة[2]: [الطويل]

كـأن الـسُّـهـا إنـسـانُ عـيـنٍ غَـريـقـةٍ مـن الـدمـعِ يـبْـدو كـلـمـا ذرَفَـتْ ذرْفَـا

حازم[3]: [الطويل]

كـأن الـسُّـهـا قـد دَقَّ مـن فَـرْطِ شـوقِـه إلـيْـهـا كـمـا قـد دقَّـق الـكـاتـبُ الـنُّـقَـطَـا

ابن جانْدار: [الطويل]

كـأن الـسُّـهـا ذُو صَـبْـوةٍ غـالَـه الـنَّـوى فـأنـحَـلـه والـبَـيْـنُ لـلـصَّـبِّ يُـنْـحِـلُ

وله: [الطويل]

كـأنَّ بـنـي نَـغْـشٍ سَـفِـيـنٌ تـخـالـفَـت عـواصـفُـهـا وَهْـنـاً فـشـتَّـتـهـا الـبـحـرُ
كـأن سُـهَـيْـلاً حـيـن صـوَّب آفِـلاً فُـؤادُ مُـحِـبٍّ راح يُـزْجِـفـه الـهـجـرُ

ابن هانئ[4]: [الطويل]

كـأن سُـهَـيْـلاً فـي مَـطـالـع أُفْـقِـه مُـفـارِقُ إلْـفٍ لـم يـجـدْ بـعـده إلْـفـا

ابن خفاجة: [الطويل]

كـأن سُـهَـيْـلا فـارسٌ عـايَـنَ الـوغَـى فـفَـرَّ ولـم يـشْـهَـد طِـراداً ولا زَحْـفـا

---

(١) ديوان ابن هانئ (١٩٨).
(٢) غير مذكور في ديوانه.
(٣) البيت في نفح الطيب ٣/ ٣٤٢ .
(٤) ديوان ابن هانئ (٩٨١).

Marfat.com

حازم[1]: [الطويل]

كأن سُهَيْلاً إذْ تناءتْ وأنْجدَتْ ... غداً يائساً منها فأتْهَم وانْحطّا

وله: [الطويل]

كأن به الشِّعْرَى الغُمَيْصَاءَ خَلفَه ... شقيقته الخَنْساء يقدُمها صَخْرُ
كأن امْتدادَ الأُفْقِ فوق نُجومه ... قَساطِلُ حَرْبٍ زَغْفُ فرسانِها نَضْرُ
كأن عمودَ الصبحِ تحت هلالِه ... لتزْكيةٍ من تحت مِنْطقهِ خَضْرُ

وله مُعَمَّيَات في غايات الإتقان. فمنها قوله، في اسم محمد: [الخفيف]

رُبَّ ظبيٍ مُقَرْطَقٍ قد تبدَّى ... خلْتُ بدراً من فوقِه قد تلالا
لاح في الثَغْرِ جوهرٌ من ثنايا ... هُ فأبْدى في الخَدِّ خالاً بِلالا

وقوله في هاني: [الخفيف]

حين بان الخَلِيطُ وازْدادَ وجْدِي ... قلتُ والدمعُ في الخدود يَسيلُ
يا رسولي إليه رُوحِيَ خُذْها ... مُنْجداً إثْرَهُ بها يا رسولُ

وقوله في سليمان: [مخلع البسيط]

لقد سقاني الحبيبُ كأساً ... لم أزوِ منها ورُمْتُ أخرَى
فقال خُذْ ما بَقِي بكأسي ... سُؤْراً وأحسِنْ بذاك سؤرَا
فعندما جاد لي بما في ... أواخِرِ الكأسِ مُتُّ سُكْرَا

وقوله في رمضان: [الخفيف]

في يَدِ الارْتهانِ عَيْني تملَّتْ ... بعد عَشْرٍ بطَيْفِ من قد تولَّتْ
مُذ أغارتْ وأنْجَدتْ بفؤادِي ... من رهينٍ لحيثما هي حلَّتْ

وقوله في صالح: [الكامل]

لم أنْسَه وَسْنانَ ياسِر طرفُه ... عَرَضاً إذا ترك القلوب أسارى
صاد القلوبَ بطَرْفِهِ وقَوامِه ... من بعد ما قد حلَّ فيه ودارا

وقوله في عبد اللطيف: [المديد]

يا لَسَاقٍ ناشِرٍ للأدبِ ... دار مَغْ طَيٍّ بساط الأرب

---

(١) نفح الطيب ٣/ ٣٤٢ .

Marfat.com

لابسٍ من نَشْرِ ما دار به ثوبَ عَزْفٍ هزَّني للطَّرَبِ

وقوله في علي: [م. الكامل]

غَيْم رفيعٌ لم يكَدْ يبْدو لشمسِ الأُفقِ حاجِبْ
فغَدا يُقِلُّ الشمسَ لِيـ ـنُ قَوامِه من غير حاجِبْ

وقوله في سليم: [البسيط]

ورْقاءُ قلبيَ قد أضحتْ مُرفْرِفةً على قَوامِك يا مَن طرفُه عَجَمِي
وإنها هبَطتْ منه على غُصُنٍ فغُضَّ طَرْفَك وارْسلْه إلى القدَمِ

وهذا في غاية المنَعة، فلهذا تعرَّضت إلى حلِّه، فأقول:

أرادها من أنها بعمل التحليل وهي بستة، وبالعجمية شش، فإذا هبطت سارت سيناً والغَضُّ الألف، وهي يك، ولها اللام بالعدد الحسابيّ من أبْجَد، وغض مرادفه كف، وهي بمائة، فإذا هبطت، لها الياء والميم من الغاية.

٦٥- السيد عبد الكريم

هو منهم بيتُ القصِيد، وواسطةُ عِقْد المجْد النَّضيدْ.
تجسَّم من شرف مَخْض، وكرمٍ لا يحتاج خيرُه إلى خضٍّ ومخْض.
إلى ما حاز من أشْتات الكمال، والمعالي المُرْبية على الآمال.
وهو بعد أبِيه النَّقيب، ومحله فوق المُعَلَّى والرقِيب.
فمهما ترقَّى البدرُ فقاصِرٌ عن مَراقِيه، والبحر لو عَذُب لكان بعض سواقيه.
وله مع النَّباهة رُوح الفضل وجسمُه، ومن بِشْر أساريره ينهض أثرُ المجد ورسْمُه.
وبيني وبينه وُدٌّ مُورَّث في الأعقاب، وحُبٌّ خالد ما دامت الأحْقاب.

٦٥- السيد عبد الكريم بن السيد محمد بن السيد محمد كمال الدين الحسيني، المعروف بابن حمزة، الحنفي، الدمشقي.
ولد في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وألف، ونشأ بها في ظل أبيه، وقرأ وحصل بدمشق على جماعة منهم والده محدث دمشق الشام، والشيخ نجم الدين الغزي، والأستاذ الشيخ محمد البلباني الصالحي، وخير الدين بن أحمد الرملي، وأجاز له الشيخ محمد بن سليمان المغربي، وغيرهم.
وتولى نقابة الأشراف بدمشق مرات عديدة، وتولى تدريس القيمرية البرانية، وترددت إليه الناس لقضاء حوائجها، ورحل للروم، وأصيب بابن له نجيب فصبر واحتسب.
وكانت وفاته في رجب سنة ثمان عشرة ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح في المقبرة الغربية.
ا.هـ سلك الدرر (٣/٦٦).

Marfat.com

ولي في كل لَحْظٍ منه أمَلٌ يُنْشيه ويُعِيده، وفي مَرْأَى وجهه نَوْرُوز إذا مضى أقْبل عِيدُه.

وإذا أردتُ مدحَه أرسلتُ نفْسِي وما تجُود، فلا تنْتهي عند وصفٍ من أوصافه إلا وتقول أحسنَ الموجود.

وأنا أرجو الله تعالى في كل ما يشاؤه، وأسأل له (ما هو)[1] ما يدوم به ممتلِئاً رِشاؤه.

وقد أرودت له من نَفَثاته السُّخريَّة، ونسَماته الشُّخرِيَّة.

ما هو أحسنُ من نَوْر تفْتحه الصَّبا، وأوقعُ من خُلْسة الوصلِ في عهد الصِّبا.

فمن ذلك قوله: [المنسرح]

لقد دعانا إلى الرُّبى الطَّرَبُ ... فأجبناه حيْثَما يَجِبُ
واستبقَنا والشوقُ يجذِبُنا ... كأن أشْواقَنا لنا نُجُبُ
وشَمْلُنا والحظوظُ تُسعِدنا ... مُجتمِعٌ سِلْكُ عِقْدنا الأدبُ
فحَللْنا منها بمرْتَبَعٍ ... وهو للرَّائين مُنْتخبُ
وقد حبانا الربيعُ مقْتبِلاً ... بمزاياه والمُنَى تُخَبُ
فالروضُ مُخضلَّةٌ ملابسُه ... تجمَّع الحسنُ فيه والأرَبُ
وقد تناغَتْ به بلابلُه ... فمنهُم فاقِدٌ ومصطحِبُ
ومسوكبُ الزَّهرِ في حدائقِه ... مُنْتَزه بالعيونِ مُنْتهبُ
تُظِلُّ مَغْناه وهْو مُزدهِرٌ ... قِبابُ نَور كأنها سُحُبُ
يُنْعشنا العَرْفُ من شَمِيمِهما ... ومثل هذا العبيرِ تُكتَسبُ
والمَرجُ رَحِبُ الفِناء مُضْطحِبٌ ... عليه ذَيْلُ النسيمِ مُنْسحبُ
تخاله من زبرجدنضرِ ... بحراً غدا بالنسيم يضطربُ
يشوقُنا حسنُه ومنظرُه ... يَسُرُّنا حيث زانه الخصبُ
ولانسكابِ المياهِ حسنُ صَدىً ... يرقُص عند استماعه الحبَبُ
فمُذ نَعِمْنا بذا وذاك وقد ... تكنَّفتْنا بفيْئها القُضُبُ
أخصَب رَبْعُ المنى وطاب به الـ ... ـعيْشُ لنا واستفزَّنا الطَّربُ
فعاد للوجْدِ مُدْنَفٌ طَرِباً ... وهكذا مُدنَفُ الهوى طَرِبُ
ومال وَفْقَ الهوى وحُقَّ له ... ذلك إذْ ليس ما به لَعِبُ

(١) في سلك الدرر: «من الخير».

Marfat.com

وراح يُـمْـلِـي غـرامَـه ولَـهـاً ... فـي غَـزْلِ رَقَّ صَـوْغُـه عَـجَـبُ
ومـن يـكـن بـالـغـرامِ مُـمـتَـحَـناً ... لا غَـرْوَ بـالـشـوقِ قـلـبُـه يَـجِـبُ
يـا بـأبِـي مُـتْـرَفٌ أَلِـفْـتُ بـه الْـ ... وَجْـدَ ومـا غـيـر مِـحْـنَـتِـي الـسَّـبَـبُ
أطـغـتُ فـيـه الـهـوى ومَـغْـدِنُـه ... بـمِـغْـنَـطِـيـسِ الـجـمـال مُـنْـجـذِبُ
جـمـالُـه فـتـنـةٌ لِـذي نُـسُـكٍ ... مُـهـذَّبٍ زان حُـسْـنَـه الأدبُ
تـمـازجَ الـلـطـفُ والـعـفـافُ بـه ... كـذا لَـمَـى الـثَّـغْـر مـنـه والـشَّـنَـبُ
بَـدْرٌ مُـحـيَّـاه مـا بـه كَـلَـفٌ ... بـرَوْنَـق الـحـسـنِ راح يـنْـحـجِـبُ
وقَـدُّه الـسَّـمْـهَـرِيُّ مـن مَـرَحٍ ... مـا اهْـتَـزَّ إلاّ ازْدَهـتْ بـه الـقـضُـبُ[1]
ومـا بـطَـرْفٍ رَنَـا لـوامِـقِـه ... إلا وسـهـمُ الـلَّـحـاظ مُـنْـتَـشِـبُ
شَـهِـيُّ لَـفـظٍ تـكـاد رقَّـتُـه ... تـسْـتـرقُ الـلُّـبَّ وهْـو مُـخـتَـجِـبُ
مَـنـطـقُـه مُـسْـكِـر لـمـسـتـمعٍ ... وسُـكْـرُنـا مـن سـمـاعِـه طَـرَبُ
قـد مُـنِـحـتْ بـالـجـمـال صـورتُـه ... و قـد مُـنِـحـتْ الـهـوى ولا عَـتَـبُ
أوسَـعَـنـي فـيـه حـبـه وَلَـهـاً ... ولـيـس إلا هـواه لـي أربُ
وقـد أبـى غـيـر مُـهـجـتـي سـكـنـاً ... وهْـي لَـه مَـرْتَـعٌ ومُـنْـقَـلَـبُ
فـلا خَـلاَ مـن هـواه لـي خَـلَـدٌ ... وذاك بـيْـنـي وبـيـنـه نَـسَـبُ

وقوله: [الخفيف]

لا وصـدقِ انْـتِـمـا الـمُـحـبِّ الـودودِ ... لـغـرامٍ سـمـا بـه لـلـسُّـعـودِ
ونُـزولِ الـحـمَـى وقـد طـال نَـأْيٌ ... بـاشْـتـيـاقٍ نـمـا مـن الـمَـغْـمـودِ[2]
وارْتـضـاعٍ لـمـا جـلَـتْـهـا أَكُـفٌّ ... خـضَـبـتْـهـا دِمـا ابـنـةِ الـعـنـقـودِ
وارْتـشـافِ الـلَّـمَـى ولَـثْـم الـخـدودِ ... واعْـتـنـاقِ الـدُّمَـى ذواتِ الـنُّـهـودِ
مـا الـهـوى بـي كـمـا يـظُـنُّ جَـهـولٌ ... بـل غـرامـي بـمـا عـلـيـه شُـهـودي

وقوله: [الخفيف]

لـسـتُ إلا كَـلاًّ عـلـى إِشْـفـاقِـكْ ... فـبـرُحْـمـاك جُـزْ عـلـى أخْـلاقِـكْ
وأعِـذْ نـظـرةَ الـحـنـان لـيَـهْـدَا ... رَوْعُ مـن لـم يـزل عـلـى مِـيـثـاقِـكْ

---

(١) اسْمَهَرّ: اعتدل وقام. انظر القاموس المحيط، مادة /سمهر/.
(٢) المعمود: الذي بلغ به الحب مبلغاً. اللسان، مادة /عمد/.

Marfat.com

وازْعَ وُدًّا رضِيتُه منه حاشا نَبْذُ وُدٌّ أتى على مِضداقِكْ
إن قلباً حَلَلْتَه عَرَضٌ أنـ ـتَ به جوهرٌ على إطلاقكْ
كيف يرضَى دون التَّمَلِّي بلُقْيا كَ محبٌّ إقالةً من وَثاقِكْ

وقوله أيضاً في الغزل: [الخفيف]

امْنَحِ الطرفَ منك طَلْقَ العِنانِ لاجْتلاء الورود في الأغصانِ
والْثَمنْ باللِّحاظ منه خدوداً صِبْغُها من صنائع الرحمنِ
واغتنمْ طِيبَ وقْته فلَعَمْري إنَّه غُرَّةٌ بوجهِ الزمانِ
فانتهِزْ فيه فرصَةً لأمانيـ ـكَ وحسْبُ الشَّجيِّ نَيْل الأمانِي
حيث وجهُ الزمان طَلْقٌ ورَيْعا ن التَّصابِي إقْبالُه مُتدانِي
وبحيث المُنى يَسُرُّك منها ما تدانتْ قِطافُه للْبَنانِ
واضْطجِبْ للنَّدام كلَّ مُجيدٍ لقِصار الفصولِ ذات المعانِي
ألمَعِيِّ حُلْوِ الحديث يُجاريـ ـك بما تشْتهِيهِ ذي تِبيْانِ
واضْطَفِ للغناء كلَّ طَروبٍ ناعمِ الصوتِ مُتْقِن الألحانِ
يُوسِع السمعَ شَدْوُه طَرباً والـ قلبَ شَجْواً بأنَّةِ الألحانِ
واغْنَ يا صاحِ قبل فَوْتِك واستجْـ ـلِ عَرُوساً بمُطْرباتِ الأغانِي
واختسيها عذراءَ كاساً فكاسا يَتَلالاَ حَبابُها كالجُمانِ
يتَهادى بها إليك غَرِيرٌ خَنِثُ اللَّحْظِ فاترُ الأجْفانِ
لَيِّن العِطْفِ يسْتَبيك إذا ما قام يختالُ مثلَ خُوطِ البانِ
يُشْبه النَّوْرَ منه رَوْنَقُ وجهٍ وترى الخدَّ منه كالأُرْجُوانِ
واجتنِ للْمَشامِّ من يانِع الزَّ هرِ صنوفاً من روضِك الفَيْنانِ
وأطْلِق العودَ في المَجامِر والنُّدْ مانَ حَيْ بماءِ وردِ القِنانِ[1]
فلَعَمْري هذا هو العيشُ فاغْنَمْ فسِوى اللهِ كلُّ شيءٍ فانِ

وكتبتُ إليه أمدحه بقولي: [الطويل]

كتمتُ هواه لو يُفِيد التَّكَتُّمُ وكيف ودمعُ العين عنه يُتَرْجِمُ

(١) جمع قنينة وهي زجاجة يجعل فيها الشراب. اللسان، مادة (قنن).

Marfat.com

لك الله قلبي كم تُقاسي لَواعِجاً ... لها في الحشَا نارٌ من العشق تُضْرَمُ
بُلِيتُ بقاسٍ لا يزال يُذِيقني ... من الصَّدِّ ما لم يلْقَه قبلُ مغرمُ
فسلَّمتُ قلبي طائعاً غيرَ أنني ... أُؤخِّر رجلاً في الهوى وأقدِّمُ
وما كنْت أدري أن للعشقِ فتنةً ... وأن اجْتنابَ الشرِّ للحُرِّ أسْلمُ
فلما رأى وجْدِي عليه تغيَّرتْ ... خلائقُه ثم انثنى يتحكَّمُ
وصَدَّ وجازاني على الوُدِّ بالقِلَى ... وأعْرض عني وهْو بالحال يعلَمُ
وبَدَّل مِيثاقي وأضْحى مُجانباً ... يمُرُّ فيَثْني عِطْفَه لا يسلِّمُ
وأغْدق دمعي وهْو ماءٌ مُمنَّعٌ ... وحَلَّلَ قتْلي وهْو أمرٌ محرَّمُ
عفا الله عنه من بخيلٍ بقربِه ... وسامحه من ظالمٍ ليس يرحمُ
أُقضِّي به عمري مع اليأسِ والمُنى ... ولي من عَذُولي كلَّ وقتٍ مُهيْمُ
أبِيتُ أُعاني الوجدَ ليلة لم أكُنْ ... بغيْرِ ثَنا فَرْدِ الورى أترنَّمُ
عنيتُ النقيبَ السيد السَّنَد الذي ... غدا مثلَ بسم الله فهْو مُقدَّمُ
وحيدٌ له الأفْضال طبعٌ وشِيمةٌ ... وفيه انْتهى جودُ الورى والتَّكرُّمُ
إذا كان نُور الشمس لازِمَ جِرْمِها ... فطلْعتُه الزهراءُ نُورٌ مجسَّمُ
ونادِيه روضٌ بالفضائل مُزهِرٌ ... لسانِيَ فيه البُلبُلُ المترنِّمُ
تُعطِّر هَبَّاتِ النسيمِ خِلالُه ... فليْست بعَرْفٍ غيرِها تتنسَّمُ
ويفْترُّ عن لأْلاءِ بِشْرٍ كأنه ... مُقبَّل شادٍ ألْعَسٍ يتبسَّمُ
أمولايَ أنت الناسُ يا فوق فَوْقهم ... لأنَّك للطلاب رزقٌ مقسَّمُ
هواك بقلبي ليس يبْرَح لحظةً ... به أبْتدِي الودَّ الصحيحَ وأخْتِمُ
ولي في عُلاك الباهر المجْدِ في الورى ... عقودُ كلامٍ بالثناء تُنظَّمُ
قَوافٍ إذا ما أُنْشِدتْ بين أسرةٍ ... فقُسٌّ لديْها بالفصاحة أبْكمُ
وما هي إلاَّ الزَّاهراتُ فلو بدتْ ... لقامتْ مَقام الزُّهْرِ والليلُ مظلِمُ
تمتَّع بها من مادح ليس يرْتجِي ... من الدهرِ شيئاً غيرَ أنَّك تسلَمُ
وحسبُك شكري ما بقيتُ على المدى ... وقلبي وأعضائي تصدِّق والفمُ

فكتب إليَّ مراجعاً بقصيدة على رَويِّها، وكنت مريضاً، وهي:

Marfat.com

حَسْبُ المُنى حيث الحوادثُ نُوَّمُ ... وحواسِدي وعواذِلي واللُّوَّمُ
وافتْنِيَ الحسناءُ في دَاجِي ذَوا ... ئِبِها وللأشواقِ فيَّ مُخَيِّمُ
عذراءُ وافَتْ وهي تخترق الضِّيا ... من وجهِها مُذْ لاح فيه تبَسُّمُ
فتعطَّرتْ منها الرُّبوعُ وفاض في ... أنحائها منها السَّنا يتنَسَّمُ
ولَطالَما راقبْتُ من وَلَهِي بها ... طَيْفاً يُلِمُّ بزَوْرة تُتغنَّمُ
ومن اغْتذى ضَرْعَ الهوى هل عَيْنُه ... يوماً بتَهْويمِ الكرَى تتنعَّمُ[1]
كَلاَّ إذا الأحْشاء خامَرَها الهوى ... قِدْماً فلاَعِجُه بها متضرِّمُ
وافتْ فحُقَّ ليَ الهناءُ بها كما الـ ... ـواشون حُقَّ لهم بذاك توغُّمُ
فغدوتُ ذا طَرَبٍ قريرَ العين سِلْـ ... ـكُ الشَّمْلِ بالأحباب لي مُتنظِّمُ
لا بِدْعَ أن أزْهو إذاً وأجُرُّ ذَيْـ ... ـلَ العُجْبِ تِيهاً والهوى أتهكَّمُ
وأمِيدَ نَشْواناً بكأسِ حديثها ... وثناءِ ناظِم عِقْدها أترنَّمُ
لِم لا أكنْ بثَنائِه مُترنِّماً ... وهو الأمينُ وبالمُنى المتكرِّمُ
الأرْيَحِيُّ المَكرُمات ومن حَوى ... حسنَ الخُلا فيها غدا يتوسَّمُ
رَبُّ الفصاحةِ والنباهةِ مَن غدا ... وله من الفضل الجسيمِ تجسُّمُ
ما اللطفُ في النَّسَمات إلا من كَرِي ... مِ خِلالِه وبعَرْفها تتنسَّمُ
تخِذَ التَّطوُّل بالمكارِم عادةً ... فكأنه كَلِفٌ بذاك مُتيَّمُ
لا غَرْوَ أن ملأتْ محامدُه المسا ... مِعَ واستلذَّ سماعَها المترنِّمُ
يا فرعَ أبناءِ الكرام ومَن لهم ... في كل مجدٍ رُتبةٌ وتقدُّمُ
بُشْراك ما أُوتِيتَ من أجرٍ بما ... عاينْتَ من وَصَبٍ عِدَاك يُبيمُ
فتَهَنَّ مأجوراً ومسروراً بما ... فيةٍ أتتْك فلا عدَتْك تعمُّمُ
وعَدَتْك أسْقامٌ عَنَتْك وللعِدَى الـ ... ـعادِين وافتْ بينهم تتقسَّمُ
وبقيتَ في ظلِّ التَّهانِي سالماً ... والعيشُ مُخضَرّاً لديك مخيِّمُ
وإليكها قُسِّيَّةً ألفاظُها ... كالدُّرِّ في سِلْكِ الثناء تُنظَّمُ
جادت بها منِّي قريحةُ مُوقِنٍ ... بجمُودها إذ جاء منك مُهيِّمُ

---

(١) التهويم: النوم الخفيف. اللسان، مادة (هوم).

Marfat.com

فـاعـذُر وكـن بـثـنـائـهـا مـتـمـتِّـعـاً حسَب المُنَى حيث الحوادثُ نُوَّمُ

فكتبتُ إليه معتذراً عن مراجعته بقصيدة؛ لعارِض المرض، وما أقول إلا كما قال الدِّيباجيّ: كلامي في خطابه مماثِل لانْعكاس الناظِر، ورَدِّ الفوّارة ماءَ الغَمام الماطِر: [المنسرح]

لـيـس فَـمـي فـيـك يـبـلـغ الـشـكـرَا مـن بـعـد مـا قـد مـلأْتَـهُ دُرَّا
بـعـثْـتَ لـي بـالـحـيـاة فـي كَـلِـمٍ يـزيـد فـي الـعـمـر لـطـفُـهـا عُـمْـرَا
من كل لفظٍ في اللفظِ أحسَبُهُ يـنـفُـث هـاروتُ مـنـه لـي سِـحـرَا
لم تصْطنِع جَبْرَكَ القلوبَ لمن يـدعـوك إلاّ وتـقْـتـنـي أجْـرَا
يـا مـن هـو الـروضُ فـي خـلائِـقـه يَـعْـبَـق مـن نَـسْـمـةِ الـنَّـدَى نَـشْـرا
شَـوْقـي لـتـقْـبـيـل راحـتـيْـك لـقـد جـاوزَ حـتـى لـم يُـبْـقِ لـي صَـبْـرَا
لـكـنَّ عُـذْري إلـيـك مُـتَّـضِـحٌ فـاقـبَـلْ حَـمـاك الإلـه لـي عُـذْرَا

فبعث إليّ بهذه الأبيات: [الخفيف]

أيُّـهـا الـمُـوسِـعُ الـمـنـى بِـشْـرَا دُمـتَ تـسْـتـنـطِـق الـلَّـهَـى شُـكْـرَا
ودام ثـغـرُ الـوِداد يـبْـسَـم مـن بِـشْـرٍ مُـحـيَّـاك لافِـظـاً دُرَّا
وحـبَّـذا مـنـك ذا لآمـلـهِ فـهـوَ لَـعَـمْـري يـنـافِـس الـشَّـحْـرَا[1]
لـقـد مـنـحـت الـمُـحِـبَّ مـنـك بـمـا أثْـلَـج مـنـه الـفـؤادَ والـصـدرَا
مِن كل لفظٍ في اللطفِ أحْسَبُه يـنـفُـث هـاروتُ مـنـه لـي سِـحْـرَا
فـدُمْ لـنـا روضـةً نُـسَـرُّ بـهـا ومِـن رُبـاهـا نـسْـتـنـشِـق الـعِـطْـرَا
وفـيـك مـا دامـتْ لـنـا الـمُـنَـى أَمَـمٌ إن نـلْـتُـهـا كـان لـي بـهـا الـبُـشْـرَى

وكتب إليّ يستدعيني إلى مُنْتزه: [الخفيف]

أنـعـم الله لـلْـجـنـاب صَـبـاحَـهْ وبـإسْـعـادِه أراش جـنـاحَـهْ
وحَـبـانَـا حَـسْـبَ الـمُـنـى بـأمـالـيـ ـهِ وآدابِ فـضْـلـه الـمـسـتـبـاحَـهْ
وأقَـرَّ الـعـيـونَ مـنَّـا بـمـا مِـن غَـضِّ آدابِـه أجـاد اقْـتـراحَـهْ
يـا أمـيـنَ الـكـمـال وابـنَ ذوي الـفـضْـ ـلِ وخِـذْنَ الـعُـلـى ورَبَّ الـفـصـاحَـهْ
لا عـدِمْـتُ الـوفـاءَ مـنـك بـأوفـى صِـدْقِ عـهـد يُـجـدِي إلـيَّ نـجـاحَـهْ

(١) الشَّحز: هو الشاطئ. اللسان، مادة (شحر).

Marfat.com

فـأجِبْ داعـيـاً إلـى مـنـزلِ الـقـصْـ ـف صـبـاحـاً لـكـي نـنـال رَبـاحَـهْ
مُـسْـعِـداً حـظَّـه بِـبـشْـرٍ ولُـطـفٍ بـهـمـا الـصـدرُ راح يـلْـقَـى انْـشِـراحَـهْ
وابْقَ سَلْماً خَدِيمُك السَّعْدُ ما أسْـ عَـد خِـلٌّ إلـى خـلـيـلٍ صـبـاحَـهْ

فخاطبته مرتجلاً: [الخفيف]

أسـعـد الـلّـهُ مـن تـكـون صـبـاحَـهْ فـمُـحـيِّـاك لـلـصـبـاحِ صَـبـاحَـهْ
بـأبـي أنـت رائِـشـاً لـجـنـاحـي فـي زمـانٍ عـدمْـتُ فـيـه نـجـاحَـهْ
كـان قِـدْمـاً جـواد حَـظِّـي جَـمُـوحـاً فـلأنْـتَ الـذي أزَحْـتَ جِـمـاحَـهْ
قـد أتـتْـنـي أبـيـاتُـك الـغُـرُّ تـخْـتـا لُ وقـد أُوتِـيَـتْ جـمـيـعَ الـمـلاحَـهْ
مُـبْـدَعـاتٍ لا يـبـرحُ الـطـرفُ عـنـهـا فـهْـيَ قَـيْـدُ الـنَّـواظـر الـلَّـمَّـاحَـهْ
كـلُّ لـفـظٍ مـنـهـا كـوُسْـطَـى نِـظـامٍ زَيَّـن الـعـقْـدُ مـنـه جِـيـد الـفـصـاحَـهْ
قـد دعـتْـنـي إلـى اغْـتـنـام عُـهـودٍ أنـا مـنـهـا فـي غِـبـطـةٍ وارْتـيـاحَـهْ
ألـف سـمـع وطـاعـة ولـك الأمـ ـر الـذي مـا بـرحـت أرجـو نـجـاحَـهْ
وابْـقَ واسْـلَـمْ عـلـى الـمَـدى لـمُـحِـبٍّ لـك يـدْعُـو غُـدُوَّه ورواحَـهْ

وعزم يوماً على التَّنَزُّه في حديقة اتَّخذها مَأْلَف نشاطه، ومَحلَّ أُنسه وانْبِساطه.

فكتب إليَّ يسْتدعيني: [الخفيف]

نـتـفـدَّاك مُـسْـتـمـاحَ الـوِدادِ ثـابـتـاً فـي حِـفـاظِـه كـودادِي
مُـسْـتـبـاح الـجَـنـى وطَـلْـقَ الـمُـحـيَّـا ذا جَـنَـانٍ رَحْـبٍ وبِـشْـرٍ بـادِي
يـا كـريـمـاً خـصـالـهُ تـجْـذب الآ مـال طـبـعـاً لـفـضـلِـه الـمـسـتـفـادِ
إثْـمِـدٌ لـلـعـيـون بِـشْـرُ مُـحـيَّـا كَ فـكـن مُـفْـضِـلا بـذاك مُـهـادِي
وأجِـبْ مـسـعـداً بـلُـقْـيـاك داعٍ شَـفَّـه الـشـوقُ فـهْـو بـالـمـزصـادِ
وابْـقَ سَـلْـمـاً مـمـتَّـعـاً بـأمـا نِـيكَ عـلـى رَغْـم مُـغْـطِـسِ الـحُـسَّـادِ
مـا تـداعَـتْ إلـى الـتَّـدانِـي أمَـانٍ مـن مَـشـوقٍ أشـواقُـه فـي ازديـادِ

ولما قدمتُ من الحج كتب إليّ، فأهدى ليَ البدرَ من بيت شَرَفِه، والعيشَ في نَضْرة تَرَفِه: [البسيط]

بُشْرَى بمَقْدَمِ خيرٍ منك مسعودِ أهْدَى لنا رَوْحَ أُنسٍ منك معهود
أعاد أُنْسَ تدانينا وأسْعَدنا بعد التَّباعد حيناً في ذُرَا الجُود

Marfat.com

فلْيَهْنِ معشَرَ أحْبابٍ وحُقَّ لهم ... بأن يُهَنّوا ببشرٍ منك مشهودِ
كما يحقُّ هَناءٌ للْجَناب بما ... رَوِيت من زَمْزم المُشْفِي لمقْصودِ
بُشْراك بشراك ما بُلِّغت من نِعَمٍ ... وما نعِمْتَ به من فضلِ مَعْبودِ
مُخَيَّمٌ بِمنىً حيث المُنى أَمَمٌ ... قريرُ عينٍ بموجودٍ وموعودِ
مُتَمِّماً بطَوافٍ نُسْكَ حَجِّك مَقْـ ... ـرُوناً بحسْنِ قَبولٍ غيرِ مردودِ
مُيَمِّماً سيِّداً مَن زاره وجبتْ ... له الشفاعةُ حقّاً غير مَجْحودِ
عليه أفضلُ ما صلَّى الأنامُ على ... جَنَابِه مِن صلاةٍ عِذْلَ معدودِ
تُتْلى بأوْفى سلامٍ والرضا أبداً ... يَنْدَى على آلِهِ والصحبِ بالجودِ
مُثْنٍ عِنانَك فوراً نحو طَيْبَتِه ... عَوْداً لأحمد إذ هُو أحمدُ العودِ
فمن تطيَّب من دَارِيِّ تُرْبتِهِ ... يَشْتَمُّ ما عاش عَرْفَ المسكِ والعودِ
وابْشِر بحَمْدك في الأخرى سُراك غَداً ... فما السُّرَى عند صبحٍ غير محمودِ
ودُم حَلِيفَ مسراتٍ خَدينَ تقىً ... في ظلِّ سعدٍ نَدِيِّ العيشِ ممدودِ
واعذُر أخاك بما أبدتْ قريحتُه ... من رَوْحٍ أُنسِك لا من مثل جَلمودِ
واعْذُرْ تأخُّر خَجْلَى دون موعدها ... فماالقضاءُ بمنكورٍ ومجْحُودِ
فلا برِحْتَ نعيمَ البالِ مقتنِصاً ... بِيضَ الأمانِي بسَعْدٍ غير موروِدِ

وردت علينا سَنة من سِنِي يوسف لم تدع للأُنس وقتاً، ولم تبعث إلا إساءة ومَقْتاً.

فأقبل الربيعُ ووَلَّى، ولم نَدْرِ أجاء أو لا.

وقد طُمِست آثار المسرَّات، عندما قامتْ نوائب المَضرَّات.

فذكرتُ أوقاتي معه، حيث مآرِبي به مجتمِعة.

تُشرق بِحُلاه، وتبْتهج بِعُلاه.

وكان وعدَني بإرْسال بعض قِطَع، من نظْمه المبتَدع.

فكتبتُ إليه:

رُقْعتي إلى الحضرة الشَّرِيفة صدرَت عن ذهنٍ كَليل، وحَدٍّ فَلِيل، وقلقٍ كثير، وتصبُّر قليل.

وخاطِر مُنْقَبِض، وأسىً في الصدر مُعترِض.

كيف والأنسُ تقلَّص ذيلُه، وأظلم دون الأمل نهارُه وليلُه.

Marfat.com

وهِيضَ عَضُده، وغِيض ثمَدُه.

فلْيَبْك عليه الباكي، ولْيَبُثَّ ما يجده من فَقْده الشَّاكي.

فهذا الوَرْد كما جاء راح، وما تعطَّر به مجلسُ رَاح.

فهو لذلك شَقَّ جَيْبَه بل قلبه حُزْناً، واستعْبَر حتى فُقِدت دموعُه، فاستنْجد للبكاء طَلاً ومُزْنَاً.

وغطَّى رأسه بأكْمامه، خَجْلان من سَماجةِ أيَّامه.

وكان يقال له: اخْتشي ألمَ القطعِ فاخْتسَى الزَّعفران، وأمَّا الآن فقد اختساه ليُغيِّب حواسَّه عن آلام الزَّمان.

بل سمع بالنار تتسعَّر لاستقطاره، فناشَد بأن يُعجَّل بقبْض رُوحِه، وألاَّ يُعذَّب باسْتبْظاره.

وما زال يستجير من جَوْر الدهر الخَؤُون، إلى أن رَقَّ له النسيمُ وحنَتْ عليه الغصون.

فهذا حال الورد وهو زَهْر، فكيف حال صَبٍّ يذْرِي مواقع الدهر.

تُذكِّرك عهودُه الماضية، أيامَ كان بخدمتك في العيشة الرَّاضية.

وأنت تُغْنيه بنَضارة لَفْظك عن الورود المتنوِّعة، وبفنون حِفْظك عن الطُّرَف المتجمِّعة.

فأيُّ عيشٍ له بعدَها يَطيب، ولا روضٍ صَباه مُخْصِب ولا غُصْنه رَطِيب.

فإن رأيتَ ولك الرَّأيُ أن تتلافَى فيَّ بعضَ رَمَق، فلْتُهْدِ ليَ الحياةَ من أشعارِك الغضَّةِ في طَبَق.

لأستبدل بها من صدأ الهمِّ صِقالاً، وأُفَرِّج بها عن فكْرتي ارْتباطاً واغْتقالاً. فتعود كُهولتي صِبا، وتهُبَّ ريحي صَبا.

فعندها أقول للأمل: دع الأيام تكُن غِضاباً، إذا ما اجْتَنيْتَ من هذه المشافهة رُضاباً.

فمهما مَنَنْتَ، تطوَّلْتَ وأحسنت.

فالوقت إساءةٌ أنت إحْسانُه، وناظِر ليس إلاَّ أنت إنْسانُه.

فالله يُبْقيك ما انْهَشَّت بك أساريرُه، وقاومت بك عن ذنوبه مَعاذِيرُه.

فراجعني بقوله:

Marfat.com

سيِّدي الأمين، ومُؤيِّدي في كل حين.

حرس الله تعالى من الغِيَرِ حصنَ جِهاتك، ومن الكدَر صَفْو أوقاتك.

وتولَّى حفظ مَلَكِيِّ ذاتِك، وصَوْن مُضافاتِك من كل فاتك.

وشرح منك وبك الصدور، وأنْعم منك وبك البالَ وحَباك السرور.

لا زلت تُحْيِي برُوح تَلافيك الْتِياحِي، وتحْبى بريح تلافيك ارْتياحي.

فلقد وَايْمُ اللهِ أوْلَيْت من صَنيعك منه بما أمْليْت، فكأنما بلسانِي نطقْت، وعمَّا أغرَبه جَناني أغرَبْت.

فصديقُك في الحال قد واساك، ورفيقُك في المجال قد ساوَاك.

غير أنه وجَم عن بَثِّ أخْزانه، من تقلُّب وقْتِه وانْقِلاب عَيانِه. [المنسرح]

يـقـول إيـهِ وقـد وجَـمْـتُ ومَـن يَـنْـطـق أو مـن يُـطِـيـق مُـخْـتَـمِـلاَ[1]

كيف وقد تقلَّص من الوقت ذيلُ أُنْسِه، وصار من المَقْت يحسُد يومَه لأمسِه.

واغْتاض مُسْتامٌ جميلَ عوائدِه، بصَفْقة الخسْران من فوائِده.

فهناك الوردُ زاد فيه بُرهة وَجَلاً، وعاد سُرْعةً تادماً خجِلاً.

فحُقَّ له ما به قد وصفْتَه، بل وإنْ لم يعُد لمثلها لكنت أنصفْته.

هذا وهو زائر مُجتاز، فما حال من هو لِمَوَاقِعِ دهره الظَّلُوم مَجاز. [الطويل]

تـعـرَّض مـجـتـازاً فـكـان مُـذكِّـراً بعـهْـد اللِّوَى والـشيءُ بالشَّيءِ يُذكِرُ

فيا له من مُذكِّر مُصِيب، قد حَبانا من مآثره بأوْفَى نصيب.

حيث ذكَّر الفِطْنة السليمة، بسوابِق عوائدها الكريمة.

فجاءتْ جَزْياً على العادة، بما اسْتوجب منِّي الشكرَ وزيادة.

فعند ذلك تنفَّستُ نفَس المصدور، وهنالك نشِطْتُ كما نشِط المخمور.

وامتثلتُ الطَّلب، حيث كان عينَ الأدب.

واستدعيْتُ القريحة الخامدة، واستنطقتُ الفكرة الجامدة.

فأبدتْ هذا المَقول، حيث علِمتْ بأن العذرَ عندكم مقبول: [الخفيف]

أرْغـدُ الـعـيـش مـا وفَـاك زمـانُـهْ وتـــواخَـــاك يـــا أُخَـــيَّ أمـــانُـــهْ

وصـفـا مَـشْـرب الـتـأنُـس واسـتـدْ عـثْـك لـلـقـصـف والـهـنـا إخْـوانُـهْ

---

(١) وجم: بمعنى سكت على غيظ. لسان العرب، مادة /وجم/.

Marfat.com

وتـــدانـــتْ بـــه الأمـــانـــي وأزرت ... بـالـثُـريَّـا فـي نَـسْـقِـهـا نُـدمـانُـهْ
وتـداعَـى مـن الـمـحـبُّ حـنـيـنٌ ... وتـدانَـى مـن الـحـبـيـب جَـنَـانُـهْ
فـغَـدْوا والـمُـنـى لـهـم أمَـمٌ يـخـ ... ـسُ كـلُّ شـكـراً لـمـنْ ذا امْـتـنـانُـهْ
هـكـذا الـعـمـرُ يُـسـتـفـاد وحـقّـاً ... يُـسـتـجـاد اخـتـسـابُـه وبـيـانُـهْ
يـا حـبـا الله بـالأحـبَّـة مَـغْـنـىً ... فَـيَّـأَتْ غـصـنَ روضِـه أفْـنـانُـهْ
هـو لـلـقـضـف مـنـزلٌ مـسـتـطـابٌ ... طـال مـا ضـمّ شـمْـلَـنـا فَـيْـنـانُـهْ
جـاور الـسـفـح فـاكْـتـسـى عـاطـرَ النَّـ ... ـفـح فـأضـحـى ذاكِـي الـشَّـذى رَيْـحـانُـهْ
فـرَعَـى الـلّـهُ سـالـفَ الـعـهـد مـنـه ... حـيـث لـي بـالـسـعـودِ كـان اقْـتـرانُـهْ
وأمـانـيـنـا تـبـادرنـا مُـسْـتـبـقـا ... تٍ والـعـيـشُ طَـلْـقٌ عِـنـانُـهْ
وأمـــالـــيـــك تُـــســـتـــفـــاد وآدا ... بُـك روضٌ يـشُـوقـنـا عُـنْـوانُـهْ
حـيـث كـانـتْ تَـنْـدَى أراكـةُ حـظّـي ... مـن نَـدى لـفـظِـك الـشـهـيّ وِزانُـهْ
فـسـقـى الـلّـهُ بـالـحـيـا ذلـك الـسَّ ... ـفـحَ وحـيَّـى عـهـودَه رِضْـوانُـهْ
وحـبـانـا مـنـهـا بـأحـمـدِ عَـوْدٍ ... وأرانـي بـك الـمُـنـى إخـسـانُـهْ

٦٦- السيد إبراهيم

صغيرُهم الذي هو فَذْلكة حسابهم، والجامع الكبير لما تشعَّب من بحر أنسابهم.

٦٦- السيد إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني، الحنفي.
ولد في دمشق في ذي القعدة سنة أربع وخمسين بعد الألف، وبها نشأ في كنف والده، واشتغل بطلب العلم عليه وعلى شقيقه السيد عبد الرحمن وتخرج عليهما، وقرأ على جماعة من العلماء والشيوخ وأخذ عنهم، منهم: الشيخ محمد البطنيني الدمشقي، والشيخ محمد بن سليمان المغربي، والشيخ يحيى الشاوي المغربي الجزائري، والشيخ إبراهيم الفتال الدمشقي، والعلامة الحكصفي المفتي الدمشقي، والشيخ عبد الباقي الحنبلي، وغيرهم. وأجازه جماعة من الأعلام من دمشق وغيرها. وسافر إلى الروم وقرأ بها على جماعة منهم: المولى موسى القسطموني قاضي المدينة المنورة، والشيخ عبد القادر المقدسي، وغيرهم. وسافر إلى مصر متولياً نقابة الأشراف فيها، وأخذ عن علمائها. وتولى نيابة محكمة الباب الكبرى بدمشق، والقسمة العسكرية والنقابة مرات، ودرس بالماردنية في صالحية دمشق في الهداية بالفقه، ودرس بالمدرسة الأمجدية والمدرسة الجوزية.
ومن مؤلفاته: (أسباب الحديث) لخص فيه مصنف أبي البقاء العكبري وزاد عليه، و (حاشية على شرح الألفية لابن المصنف) لم تكتمل.
حج في سنة تسع عشرة ومائة وألف، فلما عاد مرض، ولم يزل حتى توفي بمنزلة ذات الحاج في صفر سنة عشرين، ودفن بها. ا.هـ سلك الدرر (١/ ٢٢).

Marfat.com

وله الاطِّلاع الذي يَخفى عنده صِيتُ ابن السَّمْعانِيّ ويعدَم ابنُ العَدِيم، والرِّواية التي يشفع حديثُها قديمَ الفضل فالحديث يشهد بفضله القديم.

وقد طلع من هذا الفلك بدراً تَستمِدُّ منه البدور، وحَلَّ من المجد صدراً تنشرح برؤيته الصدور.

وعُنِيَ بالرحلة من عهد رَيْعانه، فسطَع نُور فضله بين إشْراق الأمَلِ ولَمَعانه.

وهو أينما حلَّ حلا، وحيثما جلَّ جلا.

والقلوب على حبِّه مُتوافقة، وأخبار فضله مع نسمات القَبول مترافقة.

وكنت لقيتُه بالروم أوَّل ما حلَّيْتُها، فسرَّيْت كُرْبتي في تلك الغربة بلقائه وجلَّيْتُها. [الطويل]

ونسِيتُ ذَنْبَ الدهر لما رأيتُه ودهرٌ به ألْقاه ليس له ذنْبُ

وهو الآن بدمشق مقيم، بين رَوْح وريحان وجنة ونعيم.

تحيَّتُه فيها سلام، وآخر دَعْواه إجلال واحترام.

رغْبتُه إلى التوسُّع في المعلومات ممتدَّة، ونفسُه باقتناء محامد المعلوات مشتدَّة.

وله في الأدب بَسْطة وبَاع، وشعر مُتَحلٍّ برَوْنقه وانْطباع.

فمما رويتُه من نظمه الذي أتْحفني بإملائه، وجلا عن مرآة فكري صَداها باجْتلائه، قوله من قصيدة يذكر فيها نسبه ويفتخر: [الكامل]

غيري الذي يسْتام ربْحَ تَدانِ بمذلَّةٍ هي صفْقة الخُسْرانِ

ومن الردَى أن أرْتضي بمذلةٍ .وخلائقي تسمو على كِيوانِ

وأُضيعَ حقِّي والشهامة شِيمَةٌ متَّتْ إليَّ من النَّبِي العدنانِ

الهاشِميِّ محمدٍ مَنْ قد رقَى السَّـ ـبْعَ الطِّباق وخُصَّ بالقرآنِ

وبابنِ عمِّ المصطفى نسبي سما أعني عليّاً سيدَ الشجعانِ

وبفَرْعه سِبْطِ النَّبِي مجْدي نما أعني حسيناً سيدَ الشبانِ

وبزَيْن عُبَّاد الإلهِ وباقرٍ وبصادقٍ فخْري على الأقْرانِ

وكذا بإسماعيلَ ثم محمدٍ وكذا بإسماعيل وهْو الثاني

وبأحمدٍ ثم الحسينِ وفَرْعِه السَّـ ـامِي نقيبِ دمشقِ الحَرَّانِي

أعْني به اسْماعيلَ ثم بفرعِه أعني الحسينَ العارفَ الرَّبانِي

Marfat.com

ثم الشجاعِ عليٌ من حاز التُّقى ... وبناصرِ الدين الرفيع الشانِ
ومحمدِ النَّسَّابةِ الشهمِ الذَّكي ... وبحمْزةٍ ذي الفضل والعرفانِ
وبذي التُّقى الحسنِ البهيِّ وفَرْعهِ ... أعني عليّاً قدوةَ الأعيانِ
وبحافظِ العصرِ الهُمام محمدِ الْـ ... ـمدْعُو بشمسِ الدين ذي الإتقانِ
وعلِي نقيبِ دمشقَ مُسنِد عصرِه ... وبأحمدَ السَّامي بحُسْن بيانِ
وبحمزةٍ ذي الفضل والتأْليف في ... علم الحديثِ وحافظِ القرآنِ
ومحمدِ المدعُو كمالَ الدين مَن ... رحلتْ له الطلابُ من بَغْدانِ
مفتيٌ دارِ العدل ثم مُحقِّقِ الْـ ... ـعصرِ الحسينِ وفارس الميْدانِ
أعني محمداً النَّقيبَ بجلّقٍ ... ومحمدٍ وهو الكمالُ الثانِي
أعني نِقيبَ دمشقَ جدي مَن سما ... بنصيحةٍ لله في الإعْلانِ
وبوالدي الحَبْرِ الهمام محمدٍ ... من فاق في تحْقيقهِ الجُرْجانِي
وهو النقيبُ بجِلّقٍ أيضاً ولِي ... عِزٌّ بمَوْلى عزّه أسْمانِي
مولاي مَن عزَّ الذليلُ ببابِه السَّـ ... ـامِي مُفيضُ الفضل والإحسانِ
مفتي الأنامِ محمدٌ من قد رقَى ... بذُراهُ فخراً مذهبَ النُّعمانِ
فردُ الزمانِ وواحدُ العصر الذي ... وافتْ له الفتْوى ولا مِن ثانِ
واللَّهُ حقَّق ما رجوْتُ بفضِله ... فالعزُّ عزّي والزمانُ زماني
واللَّهَ أرجو أن يديمَ له البقا ... ويقِيه من شرّ الزمان الجانِي

ومحاسن هؤلاء الإخوان، لم يتمتَّع بمثلها أوَان، وأدبُهم كنَبْتِ الأرض ألوان، فلنصْرف عِنانَ الإطالة، ونسلِّمْ على السيادة الطاهرة الأَصالة.

ولي من فُصول الكلام، قصيدة في مدح آل رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وكان سببُ إنشائها ذِكْري لهؤلاء العصابة، وفي ظني أني قدختُ فيها زَنْد الإصابة.

فعَنَّ لي أن أذكرها هنا لهذا السبب، وأنا متوسّل إليهم بفضل النَّسَب.

والقصيدة هي هذه: [الكامل]

ما ضَرّه لو كان عَلَّل بالمنَى ... فلقد رضيتُ ولَذّ لي فيه المنا
اليأسُ أقْتل ما يكون لذي الهوى ... فعسى نُداوَى بالمنى ولعلّنا

Marfat.com

بل ما عليه لو سَخَا بخياله ... فيزورَ في بعض الليالي مَوهِنًا
زُرْ يا خيالُ ودغْ مراقبةَ العِدى ... فلَك الأمانُ لقد تساوينا ضَنَى
ولقد خفِيتُ عليك فاطلبْ مَضْجعي ... فوسادتي تَهْدِيك أنّي ها هنَا
أوْلاَ فمُرْني أن أزور كزَوْرتي ... والدارُ بالجَزْعاء جامعةٌ لنَا
قل للذي نزل الغَضَا متباعداً ... عنّي وكان له فؤادي مسكنا
هذا الغضا قلبي وسَفْحُ محَاجِري ... يجري العقِيقُ وذي ضُلوعي مُنْحَنى
ولقد عنَيتُ رشاً تخِذْتُ تولُّعي ... فيه إلى صدقِ الوفاء تديُّنَا
بدرٌ إذا شبَّهتُ باهرَ حسنِه ... بالبدرِ كان الوجهُ منه أحسنَا
نَشْوان من خمرِ الشَّبيبة والصِّبا ... لَحظاتُه شَرَكُ العقول إذا رَنَا
إن مرَّ بالأغصان خرَّتْ رُكَّعاً ... لقَوامه أو بالقَنا فضَح القنَا
ما أبْدع الرحمنُ طلْعةَ وجهِه ... إلا ليُودِعها الجمالَ المُمْكِنَا
جسدٌ يسيلُ لطافةً كالماءِ من ... تَرَفٍ أرَقَّ من الحرير وألْيَنَا
ستَر الجمالُ خُدودَه بعوارضٍ ... قتل النفوسَ بها وأخيَى الأعيُنَا
والشمسُ يمنعها اجْتلاها أن تُرَى ... فإذا أكْتستْ غيماً رقيقاً أمْكنَا
نادمْتُه والراحُ يعطِف عطْفَه ... كالغصنِ يعطِفه النسيمُ إذا انْثَنى
متألِّفيْن على الصَّبابة والهوى ... مُتَسرْبِليْن ردا الأمانةِ والمنَى
حيث الزمانُ كما نحبُّ وخُلْقُه ... سهلٌ وليس كأهْلِه مُتلوِّنَا
حتى تغيَّر عن حقيقةِ حاله ... وبطبْعِه أغدَتْه أولاد الزِّنَا
وعفتْ رسوم الودِّ وانْقَشع النَّدَى ... فالعيشُ قَفْرُ الرَّبْعِ مُغْبَرُّ الفِنَا
والدهرُ قد عمَّتْ مواقعُ خَطْبِه ... من لم يكن يجْنِي الذنوبَ ومَن جَنَى
كلٌّ على مِقْدارِه أخْطارُه ... فأحقُّهم بالمجدِ أكثرُهم عَنَا
ما ماسَ في بُرْدِ المعالي ناعماً ... إلا الذي لَبِسَ العَجاجَ الأدْكَنَا
رُوحِي فِدَا نفَرٍ بصبْرهمُ على ... ثُوَب النوائبِ أحرزوا فضلَ الثَّنَا
بلغتْ بهم علْياؤُهم رتباً غدا ... منها السناءُ مُفرَّعاً وكذا السَّنَا
وإذا دعا داعٍ بياخَيْرَ الورى ... كلٌّ يقول مرادُ ذا الداعِي أنَا

Marfat.com

وإذا العُلَى عِلِقتْ بغير حبالِهمْ رُميتْ وحاشاها بمشنُوءِ الثنَا
لا تقدرُ الفصحاءُ تحصُر فضلَهم لو أن ذَرَّ النملِ كانت ألْسُنَا
طالُوا السَّماكَ فمن أراد لَحاقَهُمْ أوْمَتْ مَساعيه إليه قِفْ هُنَا
لم تنتج الزَّهْراءُ إلا أزْهراً وشرافة الحسنيْن إلاَّ مُخْسِنَا
يا سادتي يا آلَ أحمدَ مدحُكمْ فرضاً يَراه مَنْ تسَمَّى مؤمِنا
أنا قد حُسِبتُ عليكمُ في نِسْبةٍ شَرُفتْ وتلك أجلُّ فخرٍ يُقْتَنَى
لا تمنعوا عنِّي عِناية فضْلِكمْ فأنا الفقيرُ وأنتمُ أهلُ الغِنَى

بيت العماد

بيت فضل وكرَم، دمشقُ بهم من عهد ذات العِماد إرَم.

بمثْل رتبتهم يَشْمخ الغِرُّ المُتقاعِس، وبمثْل طَلاقتهم يتنبَّه الحظُّ المُتناعِس، وفي ذلك المجد فلْيتنافَسِ المتنافِس.

فضْلهم على الكرام، فضلُ الحلال على الحرام.

ولهم من المَزيَّةِ على أهل الكمال، مَزِيَّة الصَّبا على الجَنُوب واليمينِ على الشِّمال. [المتقارب]

هم القومُ حازوا صِفاتِ العُلى بحسْن الطباعِ ولطفِ الشِّيَمْ
ودُنْياهمُ طلْعةُ المجْتَلِي ودهرُهُم واضحُ المُبْتَسَمْ
ومن حقِّهم شكرُ آلائهمْ ومن حقّ شانيهمُ أن يُذَمْ

٦٧- شهاب الدين بن عبد الرحمن

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٤].

لَهُو جَواد اسْتَبق فحاز السَّبْق، وانطلق فأبعد الطَّلْق.

٦٧- شهاب الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد العمادي الدمشقي الحنفي.
تربى في حجر والده، واشتغل في مبدأ أمره على الحسن البوريني، والعلامتين الشهابين أحمد العيثاوي وأحمد الوفائي، وعلى والده، وأخذ عن أبي العباس المقري، ولازم المولى السيد محمد بن السيد محمود الحميدي المعروف بشريف قاضي العسكر ونقيب الممالك العثمانية، وولي قضاء الركب الشامي، وحج وفي صحبته والده ووالدته وعمته وأخواه وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وألف. ودرس بعدة مدارس منها المدرسة النورية الكبرى، والناصرية الجوانية برتبة الداخل، وسافر هو وأخوه إبراهيم إلى الروم، وتطلب فتوى الشام فلم يتيسر له، وعاد إلى دمشق ثم فرغ له

Marfat.com

وشهاب تألّق، وشهمٌ قنَص وما حَلّق.
تبلّغ حتى لم يُبْقِ مَطْمَعاً، ولاح فأرى الشمسَ والبدر معاً.
وهو في عيشٍ موافق وزمن مُعِين، وروضة مُنىً طَلّة وماءٍ مَعِين.
والجود لا يُعْطَى إلا ببنَانه، والدهر لا يسطو إلا بجنَانِه.
إلا أنه تصرّفت به في آخره الأعمال، فقُبِض على فَتْرة من الآمال.
وله المآثر الغُرّ، يزَينُها خطٌّ أغْلى قيمةً من الدُّرّ.
فإذا دجا ليلُ قلمِه، وطلعت فيه شهبُ كَلِمِه،
لم يقعُد له بها شيطان مَقْعَداً، إلاّ وجد له شهاباً رَصَداً.
فأسرارُها مَصُونة عن كل خاطف، مطويّة بأيدي الصَّوْن عن كل قاطف.
وقد وقفتُ من آثاره على قِطع، كأنما الحسنُ منها مُقتطَع.
فأثبت منها ما هو سَلْوة المتعنّي، وشهدة المُتمعنِي.
ونزهة المُتلفِّظ، وكفاية المتحفِّظ.

فمنها قوله في الغزل: [الطويل]

بـرُوحِـيَ فـتّـانٌ بـلـحـظـيـه قـاتـلُ ... يُرينا[4] المنايا الحمرَ بالأعْين النُّجلِ
يـمـيل بقَدٍّ أخْجل الغصنَ والقَنا ... يَجِدُّ على قتل المحبّين بالهَزْلِ
عجبتُ لهذا الحبِّ تُرْضَى فعالُه ... وإن هـو بـعـد الـعـزِّ بـذّل بـالـذلّ

وقوله في دير مُرّان: [الطويل]

أيـا دَيْـر مُـرّانَ سـقـاكَ غـمـامُ ... تـروح وتَـغْـدُو غِـبُّـهُـنَّ سـلامُ
وحيّاك من دَيْرٍ وحيّى معاهداً ... بـمَـغْـنـاك مـا نـاح الـزمـانَ حَـمـامُ
وقـفـتُ عـلـى رَسْـمٍ بـه راح دارسـاً ... وقـد فـاح مـن عَـرْف الـريـاض خُـزامُ
فـقـلـتُ ولـي فـيـه رَسِـيـسُ صَـبـابـةٍ ... وفـي الـقـلـب مـنّـي لـوعـةٌ وغـرامُ

= أخوه عماد الدين عن المدرسة الشلبية، وبعد ذلك ولي تدريس السليمية، ولما مات أخوه عماد كان مفتياً فوجهت إليه الفتيا بتقدير قاضي دمشق، ثم في سنة ثلاث وسبعين صار مفتياً بعد عبد الوهاب الفرفوري، وأخذ الفتوى عنه قريباً العلاء الحصكفي، وأقام بدارهم لا يخالط أحداً، ولم يزل منغص العيش شاكياً لدهره، متلهفاً على ماضي عزه ومنصبه.
وكانت ولادته في سنة سبع بعد الألف، وتوفي في رجب سنة ثمان وسبعين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير تحت قدمي والديه. ا هـ. خلاصة الأثر (٢/ ٢٣١).

Marfat.com

كأن لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفا أنِيسٌ ولم تُهْرَقْ هناك مُدامُ

والبيتُ مُضمَّن، وأصلُه[1]: [الطويل]

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا أنِيسٌ ولم يسمُرْ بمكَّة سامرُ

بلى نحن كنا أهْلَها فأبادَنا صُروفُ الليالي والجدودُ العواثِرُ

ودير مُرّان معروف بدمشق، بالقرب من الرَّبْوة.

وقد تداولت ذكره النُّبغا، وحسبك من وصْفِه ماحكاه الثَّعالِبيّ عن البَبَّغا.

وهو دير قديم، مترنِّح ساقٍ ونديم.

دَيْر أطلَّ فوق وادٍ نَضِر، يرضع طفلُ نَوْره ثُدِيَّ المطر.

إلا أن الدهر عَفَّى صورةَ رَسْمه، ومَحا محاسن هيئةٍ كانت روحاً لجسمه.

وكانت به مقاصيرُ كأنها مقاصير جَنَّة، فأصبحت الآن وهي ملاعب جِنَّة.

فقد عمِيتْ أخبارُ قُطَّانه، ودثَرت آثارُ أوطانه.

من وَهْي بِنائه، وسكنِ الحوادث بفِنائه.

وقفتْ عليه السُّحْبُ وَقْفَةَ راحم فبَكتْ له بعيونِها وقلوبها

وهو أحد الدِّيارات المذكورة في الشعر القديم.

قال فيه الخليع[2]: [البسيط]

يا دَيْرَ مُرّان لا عُرِّيتَ من سكَنٍ قد هِجْتَ لي شجَناً يا ديرَ مُرّانَا

سَقْياً ورَعْياً لِمُرّانٍ وساكنِه يا حبَّذا قاطنٌ بالدير مَن كانَا

حُثَّ المُدامَ فإنَّ الكأسَ مُتْرعةً مِمّا يهِيج دواعِي الشوقِ أخيانَا

وحيث انساق الكلام إلى الدِّيارات، فلْنذكر مشاهيرَها على طريق الاختصار، فإن لها تعلُّقاً بما نحن فيه.

فمنها:

ديرُ القائم الأقصى[3]، على شاطىء الفُرات، بطريق الرَّقَّة.

يقول فيه هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ: [الهزج]

---

(١) البيتان لعمرو بن الحارث الجرهمي. ا.هـ. سيرة ابن هشام ١/ ١٤٤ .
(٢) الأبيات مذكورة في الأغاني ٤/ ١٢٥ .
(٣) ديوان ابن المعتز ٢/ ١٠٢ .

Marfat.com

بـدَيْـر الـقـائـم الأقـصـى غـــزالٌ شـــادِنٌ أحْـــلَـــوَى
بَـرَى حـبُّـي لـه جـسـمـي ولا يـــدْرِي بـــمـــا ألْـــقَـــى
وأُخـفـي حـبَّـه جُـهْـدِي ولا واللهِ لا يـــخْـــفَـــى

ومنها:

دير زَكَّا؛ موضعان.

قال أبو الفرج: دَيْر زَكَّا بالرُّها.

وقال الخالِدِيّ والشَّابُشْتيّ: دير زَكَّا من ناحية البَلِيخ.

قال الرَّشيد: [المتقارب]

غـزال مَـرابـعُـه بـالـبـلـيـخِ إلـى ديْـر زَكَّـا فـجـسـرِ الـخَـربْ

ومنها:

دير عَبْدُون، وهو بظاهر المَطِيرة، ببغداد.

يقول فيه ابن المُعْتزّ: [البسيط]

سقى المَطِيرةَ ذاتَ الظلِّ والشجرِ ودَيْـر عَـبْـدون هـطَّـالٌ مـن الـمـطـرِ

وقال ياقُوت، في المُشْتَرك: ديْر عَبْدون موضعان: أحدهما بسُرَّ مَن رَأى، إلى جانب المَطِيرة، من نواحي بغداد، سمي بعَبْدون أخي صاعد بن مَخْلَد، وزير المعتمد على الله، كان كثيرَ التردُّد إليه والمُقام به.

ودير عَبْدون قرب جزيرة ابن عمر، يليهما دِجْلة، وقد خرِب، وكان من مُنْتزهات الجزيرة.

والمَطِيرة، كسفينة: قرية بنواحي سُرَّ مَنْ رأى، والصواب المَطَريَّة، لأنه بناها مطر بن فَزارة الخارِجِيّ.

ومنها:

دير مَارَتَ مَرْيَم، وهو دير قديم من دِيارات الشام الأوَّليَّة.

يقول فيه ابن هُرْمُز: [البسيط]

نـعـمَ الـمـحـلُّ لـمـن يـسْـعَـى لـلَـذَّتِـه دَيـرٌ لـمـريـمَ فـوق الـظـهـرِ مـعـمـورُ
ظِـلّ ظـلـيـلٌ ومـاء غـيـرُ ذي أسَـنٍ وقـاصـراتٌ كـأمْـثـال الـدُّمـى حُـورُ[1]

(١) الأبيات ذكرها ياقوت في معجمه ٢/ ٦٧٨ .

Marfat.com

وزاد في «المشترك» ثانياً بواحي الحِيرَة، من بناء آل المنذر بين الخَوَرْنق والسَّدِير.

وثالثاً، قال الشَّابُشْتِيّ: دير أثْرِيب بمصر، يقال له دير مَارَتَ مَرْيم.

ومنها:

دَيْر مَرْجُرْجُسِ، كان بالمَزْرَفَة بينه وبين بغداد أربعة فراسخ، وكان من مُتَنَزَّهات بغداد.

وآخر بين بلَد وجزيرة ابن عمر، على ثلاثة فراسخ من بلَد، على جبل يظهر للرَّائي من فراسخ عِدَّة.

ومنها:

دَيْر العَذارَى، وهو بِسُرَّ مَن رأى.

يقول فيه جَحْظة البَرْمَكِيّ: [الطويل]

ألا هل إلى دَيْر العَذَارَى ونظْرةٍ إلى مَن به قبل المماتِ سبيلُ

وقال ياقوت: ديْر العَذَارَى ثلاثة مواضع؛ أحدُها بين أرض الموصل وبين بَاجَرْمَا من أعمال الرَّقَّة، وهو ديْر قديم، كان به نساء مُترهِّبات، وبذلك سُمِّي.

ودَيْر العذارى بقرب سُرَّ مَن رأى.

ودير العذارى، موضع بظاهر حلَب، فيه أكثر بساتينها.

ومنها:

ديْر سَمْعان؛ أربعة مواضع.

وسمعان هو شَمْعون الصفا، من الحواريِّين، وله دِيَرَة كثيرة،

والذي اشتهر هذه.

أحدُها في غُوطَة دمشق، وفيه دُفِن عمر بن عبد العزيز في الصحيح من الأخبار، ولا يعرف الآن.

ودير سمعان، من نَواحي أنْطاكِيَة، دير كبير كالمدينة.

ودير سَمْعان، قرب المَعَرَّة، يقال: فيه قبرُ عمر بن عبد العزيز، والأول أصحّ.

وديْر سَمْعان، من نواحي حلب، بين جبل بني عُلَيْم والجبل الأعلى.

ومنها:

ديْر هِنْد؛ موضعان، وهما بالحِيرَة، يقال لأحدهما: ديْر هند الكبرى، والآخر ديْر هند الصغرى.

Marfat.com

فأما هند الكبرى فهي بنت الحارث بن عمرو، آكل المِرار، وهي أم عمرو بن هند، بَنَتْهُ بظاهر الحِيرَة، وترهَّبت به.

وأما هند الصغرى فهي بنت النُّعمان بن المنذر، المعروفة بالحُرْقَة، صاحبة القصَّتيْن مع خالد بن الوليد والمُغيرة بن شُعْبة.

ومن شعر المترجم، ما كتبه لبعض أحبابه، في صدر رسالة: [الطويل]

سلامٌ على من في الفؤادِ وِدادُه ... وإن غاب عن طَرْفي فما غاب عن قلبي
وإنّي وإن غبتمْ وبِنْتُم عن الحمَى ... فحُبّي لكم يزداد في البعد والقربِ

وكتب إلى والدي، في صدر رسالة أرسلها إليه، وهو بالروم، تتضمَّن عتاباً، وكان عُزِل عن الفُتْيا: [الطويل]

أمولايَ فضلَ اللَّهِ دام لك الفضلُ ... ودمتَ به تزهو وأنت له أهلُ
يبعُد مني القلب ما عجَّ لَغْوُه ... بجِلّق حتى مَجَّهُ العقْلُ والنَّقْلُ
فلا تغْضَبنْ إن الشِّهابَ لَواثِقٌ ... برُكْنِ عمادٍ شَادَهُ المجدُ والفضلُ
وأنت لأذرَى بي وداداً وخُلَّةً ... وأنْ لَيْس يلْوِي القلبَ عن حُبّكمْ عَذْلُ
فقلْبِيَ قلبِي مثلُ ما قد عهِدْتَه. ... وقلبُك فيما أدَّعِي شاهدٌ عَدْلُ

فكتب والدي، رحمه الله تعالى، إليه:

ورد عليَّ كتاب، ذلك الجَناب.

لا زالت شهبُ الآفاق هدايةً لأصفيائه، ورُجُوماً لشياطين أعدائه.

فاستدعى شكرِي وحمدي، واستفْرغ في الثناء على مُرسِله عهدي، واستخْلص في الصَّفا ما عندي.

فكأنما اسْتُمْلِيَتْ معانيه مما عندي، واشْتملتْ على حقائق دقائق قصْدي.

فرتع ناظري منه في روضٍ أرِيض، وحظيتُ من الانْتعاش بورُوده بما يحْظى به المريض، لو لقِيَ بيمينه منْشور العمرِ الطويل العريض، بعدما حال الجَريض، دون القرِيض.

وإني وإن بلغتُ غاية الاجْتهاد، في أداء بعضِ ما يُوجب الخلوص والاتِّحاد، من نَشْرِ طيِّب الثناء في كلِّ ناد، ورفْع لواءِ الولا على رؤوس الأشْهاد،

وربما انْعكس ذلك إلى المسامع، لكن على كل خير مانع،

Marfat.com

فقد تجْرِي الرياح، بما لا تشتهي المُلاَّح. [الوافر]

فإن تكُ قد عُزلْتَ فلا عجيبٌ ضياءُ الشمس يمْحوهُ الظلامُ

ويعز عليَّ أن أنظر إلى ذلك الصَّدْر، وقد جلس فيه غيرُ ذلك البذْر.

وإني لأسْتحي لعيني أن أفتحها على الصغير، وقد جلس مجلس الكبير.

فإني لذلك ضَيِّقُ ساحةِ الصدر، قريب غَوْر الصبر.

كثير المُباراة، قليلُ المداراة.

فما أسْرع الأيام على الكريم فيما يضرُّه، وعلى اللئيم فيما يسرُّه.

فترفع كلَّ وغْد خسِيس، وتخْفِض كل حُرٍّ نفيس.

وكالبحر يسفُل فيه الجواهر اللطيفة، وتطْفُو فوقَه الجِيفة.

وكالميزان يرفع من الكِفَّة، ما يمِيلُ إلى الخِفَّة.

ويخْفِض ما يَفي بالرُّجْحان، ويبعد من النُّقصان.

لولا الحظُوظُ التي في عقلِها بَلَهٌ لما علاَ الشمسَ بَهْرامٌ ولا زُحَلُ

ولا بِدْع، فهي علامة، على قيام القيامة.

وهذا الخروج، مُقدِّمة يَأْجُوْج ومَأْجوج. [الكامل]

يا ضَيْعةَ الأعمارِ في طلبِ العلى بالعلمِ والنَّسب الذي بالشَّينِ

ولا غَرْو، فهي للدهر شِيمةٌ مألوفة، وسجيَّة في الكرام معروفة.

على أن المنصِب بصاحبه، والمَرْكِب براكبه.

فالصغير منه بالكبير كبير، والكبير منه بالصغير صغير. [البسيط]

أنت الكبيرُ الذي لا العزْلُ ينْقُصُه قدراً ولا المنصبُ العالي يُشرِّفُهُ[1]

ووقفت له على تحريرة كتبها على بيت المتنبِّي[2]: [الكامل]

وكذا الكريمُ إذا أقام ببلدةٍ سال النُّضارُ بها وقام الماءُ

قال فيها:

المفهوم من كلام الواحِدِيّ، أنه اختار كون قوله «وقام الماء» معطوفاً على الجزاء، أعني «سال»؛ فيكون داخلاً تحت الشرط؛ ليتمَّ التشبيه في خَرْق العادة في كلا الأمرين، ويظهرَ وجهُ الاتِّصال في البيتين كما قرَّره.

---

(١) البيت للأمير منجك في ديوانه ص(٥٥).

(٢) ديوان المتنبي ١/ ١٤٧ .

Marfat.com

ولا شك أن المعطوف على الجزاء جزاء، فيحتاج حينئذ إلى بيان وجه لزوم الجزاء للشرط، وتسَبُّبه عنه.

والذي يظهر في وجهِه، أن معنى «قام الماء» أن الماء جمَد تحيُّراً وخجلاً واستعظاماً، لمَّا رأى عظيمَ سخائه، وشاهدَ عميمَ جوده وعطائه.

وقد صرَّح بتفسير ذلك في البيت الذي بعده حتى صار جلِيّاً، بحيث يصلح أن يكون استئنافاً بيانيّاً، أعني قوله[1]: [الكامل]

جَمد القطار ولو رأته كما رأى بُهِتَتْ فلم تتَبَجَّسِ الأنواءُ

إذ الضمير في قوله: «كما رأى» يعود إلى القطار.

والمراد بالقطار، هو الماء المذكور في البيت الذي قبله، كما لا يخفى، وإلاَّ لم تظهر المناسبة والاتِّصال.

هذا ما خطر بالبال.

وأما ما استفدناه من تجْويز كون الواو للحال، فذلك الوجْه الوجِيه، تنحسم به مادَّة الإشكال، والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال.

ومن عجيب الاتِّفاق أنه وقع ما هو قريب من هذا الاستشهاد في تفسير بيت عويص، عرض من هذه القصيدة على سبيل الاستطراد، وهو قوله: [الكامل]

لا تكثُر الأموات كثرة قِلَّة إلا إذا شقِيتْ بك الأحياءُ[2]

مُحصَّل ما حكاه الواحِدِيّ من كلام ابن جِنِّيّ، في تفسير البيت، أنه على حذف مضاف، تقديره «شقيت بفقدك».

والمعنى، أنه لا تصير الأموات أكثرَ من الأحياء إلاَّ إذا مِتّ.

واستبعد الواحِدِيّ أن أحداً يخاطب ممدوحه بمثل هذا. ومحصَّل ما ذكره الواحدي في معنى البيت، أنه أراد بالأموات القتلى، وتقدير المضاف المحذوف شقيت بفضلك وقتْلِك إياهم.

والمعنى، إذا غضبْتَ على الأحياء، زادت الأمواتُ بمن يَنقُصهم قَتْلُك من الأحياء.

وفي كلٍّ من الوجهين تعسُّف لا يخفى، ولكن يشهد لقول ابن جِنِّيّ حكايةُ أبي عُمر السُّلَمِيّ، قال: عُدت أبا علي الأوْرَاجِيّ ممدوحَ المتنبِّيّ، في علَّته التي مات فيها بمصر، فأنشدني قوله فيه: «لا تكثر الأموات» إلخ، ثم لم يزل يكرِّره ويبكي حتى مات.

---

(١) ديوان المتنبي ١/١٤٧ .
(٢) ديوان المتنبي ١/١٥١ .

Marfat.com

وروى السُّلَمِيّ في حكايته: «فجعت» مكان «شقيت».

ويشهد لقول الواحِدِيّ، البيت الذي بعده، فإنه مناسب للمعنى الذي ذكَره.

ثم يساعد الأولَ، معاني الأبيات التي قبله، ومن وصف عموم كرمه وإحسانه للناس، فناسب أنهم يشْقَوْن بفقده، ويكادون يموتون من بعده. فليُتأمَّل.

وقال الواحِدِيّ، في تفسير قوله: «كثرة قلة»، أي: كثرة في الأموات تحصل عن قلة الأحياء.

ولا يخفى ما في هذا المعنى من كثرة السَّماجة، وقلَّة الجدوى، وتحصيل الحاصل، من غير دليل يدلُّ على أن كثرةَ الأموات مضافة إلى قلَّة غيرهم.

ولو أُريد بالقلَّة العدمُ، كما هو شائع واقع في الكلام الفصيح، لكان أقربَ، إذ كثرةُ الأموات في الحقيقة عدمٌ مَحْض، وصحَّ ذلك على كلٍّ من قولَي ابن جِنِّيّ والواحِدِيّ.

ولو أُريد بالقلَّة الإقلالُ، وقلةُ الجدوى، كما يقال: مات فلان من القلة، أي الفقر، بمعنى أنهم ماتوا من الإقلال حين انقطعت عنهم مكارمُه، لأمكن أيضاً.

وهذا الوجه إنما يجري على قول ابن جِنِّيّ، ولا بُعْد في ذلك، إذ الظاهر أن خطاب الممدوح بمثل ذلك لم يكن مُستهجَناً عند المتقدِّمين؛ لظهور حقيقة تيقُّن الموت، ألا ترى إلى قول أبي نُوَاس، في آخر قصيدته التي قالها في تهنئة جعفر البَرْمَكِيّ:

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقِدتُمُ ... بَنِي بَرْمَكٍ من رائحين وغادِ

وقوله: [م. الرمل]

إنما الدنيا حُمَيْدٌ ... وأياديه الجسامُ

فإذا ولَّى حُمَيْدٌ ... فعلى الدنيا السلامْ

لا سِيَّما إذا كان الممدوح من الأعيان، ولم يكن بذي سلطان. انتهى.

٦٨- أخوه إبراهيم

هذا الجناب الأفضل، والمحل الأمرع الأخضل.

٦٨- الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن عماد الدين بن محب الدين بن ناصر الدين بن عماد الدين الدمشقي، الحنفي، العمادي.
نشأ في نعمة أبيه مشمولاً بعنايته، مكفولاً برأفته. وكان في ابتداء أمره اشتغل على والده وعلى

Marfat.com

مكان القول فيه ذو سَعة، والألسنة كلها على مدحه مُجتمِعة.

فمن يتقدّم فلْيقُل ما شاء في وصف شمائله، وحُقّ على المدح أن يتباهَى بمخائل خمائِله.

وحسْبُك من امْرئٍ لم ترَ له ذامّاً ولا شانياً[1]، ولا ذاكراً يعلم اللهُ أن له في الفضل ثانياً.

فقد جمع إلى كرَم أصله، أعْظَمَ مَزيَّة من باهرِ فضله.

فقضى الحقَّ الواجبَ عليه، واستدْعى حِيازَةَ التّفضيل بالحجّة إليه.

فالدُّرُّ يُنثَر من يديهِ وفِيه، والخيرُ مجموعٌ لدَيْه وفيه.

وهو رَيَّانُ من كل فَنّ، سَمْح من غير تبجُّحٍ ومَنّ.

مجلسُه يأرَج أرَج الزَّهْر، وسماحُه يفيض فَيْض النّهْر.

وعيْنُه في اكْتساب المحامد ممنوعة السِّنات، وصحيفةُ وجهه كلها قُرُبات وحسنات.

وهو وحيدُ الدهر في الأدب وفريدُه، وألْمَعِيُّه الذي وفَّى البلاغة كلَّ ما تريده.

بِبَنَانٍ قد قَبَض على أزِمَّة البيان، ولِسان قد امْتطى صَهْوَة الإحسان.

وله من النظم بِدَعٌ جلائل، إلا أنها في العدد قلائل.

والنجومُ أجلُّها أغلاها، والمعادن أقلُّها أغلاها.

فمن شعره قوله: [الخفيف]

إن يكن زاد في الحسانِ جمالٌ ... أكّد الحسن فيهمُ تأكيداً

فلقد أسّس العذارُ بخدّيْ ... مُنْيَتِي رَوْنقاً ولطفاً مَزِيداً

وهو عَمْرِي لا شك أزْهَى وأبْهى ... حيْثُما قد أفاد معنى جديداً

= الحسن بن محمد البوريني في أنواع العلوم، وعليهما تخرج في الأدب، وأخذ الحديث عن الشهب الثلاثة النيرة أحمد: العيثاوي الشافعي، وأحمد الوفائي الحنبلي، وأحمد المقري المالكي. وبرع حتى أعاد لوالده في تفسير (الكشاف) ولازم المولى عبد الله بن محمود العباسي، ودرس بالمدرسة النورية الكبرى برتبة الداخل. وحج مرتين ثانيتهما قاضياً بالركب الشامي، وسافر إلى الروم عقب موت والده.
وكانت ولادته في سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ولحقه الفالج في آخر عمره فاستقر مريضاً به مدة سنة ونصف وتوفي في ربيع الثاني سنة ثمان وسبعين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير في قبر والده. ا هـ. خلاصة الأثر (١/٢٣).

(١) شانياً: بمعنى معيباً، والشين: هو العيب. اللسان، ج ١٣/ ٢٤٤ .

Marfat.com

وقوله: [الخفيف]

يا مليحاً قد حاز كلَّ الجمالِ ... وحبيباً تفديه رُوحي ومالِي
كلما زدتُ في هواك غراماً ... قلَّ صبْري وزاد فيك انْتحالِي
آهِ من حسنِ مَبْسمٍ لك كالدُّ ... رِّ ولحظٍ يَزوِي عن الغزَّالِي
جُذ لعبدٍ غدا قتيلَ عيونٍ ... قد رمتْه لحاظُها بِنبالِ
لك خَضرٌ قد صار مثلي نحِيلاً ... حمَّلته الأزدافُ ثُقْلَ الجبالِ
لك وجْه قد أخجل الشمسَ نوراً ... لك جِيدٌ قد فاق جِيدَ الغزالِ
لك قدٌّ كالرمح يهْتزُّ تِيهاً ... قد رماني بأسْمَرِ عسَّالِ
فترفَّقْ بعبدِ رِقٍّ عميدٍ ... قد غدا في هواك رَقَّ الخلالِ
نحلتْه الأسقامُ شوقاً ووجداً ... فغدا جسمُه من السُّقمِ بالِي
كلّ ما مَرَّ شَرْحُه بعضُ حالي ... وهو عندي إن كان يُرْضيك حالِي

وقوله في قصيدة، أولها: [الخفيف]

ما رياضٌ حِيكتْ بأيْدِي الغمامِ ... باكَرَتْها بصَوْب مُزْنٍ هامِي
عَلَّها وابلُ الحيَا بعد نَهْلٍ ... فأماطتْ عن ثَغْرها البَسَّامِ
وتحلَّتْ بنُورِ نَوْرٍ نضيرٍ ... من عَرارٍ ونرجِسٍ وبَشامِ
فعليلُ النسيم مِنها إذا هبَّ ... كَفيلٌ بصحةِ الأجسامِ
فهْي نوراً كبهجة الشمس حسناً ... وهْيَ لطفاً كالبُرْء للأسقامِ
كمُحيَّا الأستاذ مولاي يحيى ... دام يَحْيا على مدى الأيّامِ

وكتب إلى والدي، وهما بدار الخلافة، قوله: [الوافر]

إليك أخي نصيحةَ ذي اخْتبارِ ... له حزمٌ وزَنْدٌ فيه واري
إذا جار الزمانُ وكلُّ دهرٍ ... على أحراره في الجَوْر جاري
وأكْسبَك اغْتراباً وانتزاحاً ... فكُن متغرِّباً في أنكدارِ
ترى فيها ظباءَ سانحاتٍ ... بالحاظٍ يَصِدْنَ بها الضَّواري
وطوراً تلتقي غصناً رطيباً ... علاه حَدِيقة من جُلَّنارِ[1]

(١) جلّنار: هو زهر الرمان. اللسان، مادة (جلنر).

Marfat.com

فقَضْ العمرَ فيها في سرورٍ وصِلْ ليلَ التّواصُلِ بالنهارِ
وخَلِّ الأهْلَ عنك وقلْ سلامٌ على الأوطانِ منّي والديارِ

فراجعه بقوله: [الوافر]

أتتْك نصيحة من ربِّ فضلٍ إمامٍ في الفضائل والفخارِ
له في كل علمٍ طِيبُ مَجْنىً وفضلٌ زَانه كَرَمُ النِّجارِ
ونظمٌ يُعْجِز البلغاءَ لفظاً ونثرٌ كاللآلي والدرارِي
يقول وقولُه لا شكَّ صدقٌ عليك إذا اغتربتَ بأسْكدارِ[1]
نعم هي جَنَّةٌ حُفَّتْ بحُورٍ ووِلدانٍ حَلَتْ شمسَ النهارِ
ولكن لم أجدْ فيها خليلاً يُعينِ أخا الغرامِ على اضطبارِ
يساعدني على كَلَفِي بريمٍ يُعذِّب عاشقيه بالنِّفارِ
له لحظٌ يصولُ به دلالاً فيفْتِنُ رَبَّ نُسْكٍ ذا وقارِ
وقدٌّ إن تثنَّى فهْو غُصنٌ يُحرِّك من هوى نائِي الديارِ
فمالي والقرار بها وأنّى يطيبُ ليَ القرارُ بلا قرَارِ
قضاءٌ من إلهي ليسَ يجْري على قدرِ الإرادة باخْتيارِي

وطلب من والدي تأليفه «الرّحلة الرومية»، فبعثه إليه، وكتب معه: [الطويل]

تبسَّم عن ثغْرِ الأقاحِي لِثامُها وغنَّتْ على الأفنان صُبْحاً حمامُها
وغرَّدتِ الأطيارُ من بهجةِ الرُّبَى فمالتْ لها الأغصانُ وهو سلامُها
وحيَّتْ بخَدٍّ كالشقيق مُورَّدٍ ورقَّةِ خَضْر لان منه قَوامُها
فأخيَتْ عليلاً طال وقتُ انْتظارِه ووافتْ فَوافَى بالصباح ابْتسامُها
تقلَّدت الزُّهْرَ الدَّرارِي كأن من ثنايَ على ربِّ المعالي نظامُها
هُمامٌ أطاعتْه يَراعُ بَراعة يُراعُ مُعادِيها ويُرْعَى ذِمامُها
فحضرتُه العَلْيا إذا انْحطَّ قدْرها غدا فوق فِرْقِ الفَرْقَدَيْن مَقامُها
وها بِنْتَ فكرٍ قد أتتْ نحو بابِكمْ بغير يدَيْكم لم يُفَضَّ خِتامُها
وصُحْبتُها منّي الدعاءُ ورحْلتي تُشرَّف بالأنظار وهْو مَرامُها
وها هي قد جاءتْك تشكو من الظُّما بأذنى ابْتسامٍ منك يُرْوَى أوامُها

(١) أسكدار: بلدة في الروم. معجم البلدان

Marfat.com

فما القلبُ يصفُو إذ تزيد همومُه ... ولا الشمسَ تَبْدو إذ يُحيط غَمامُها
فلا زلْتَ تبْقى كلما رنَّحَ الصَّبا ... غصوناً وقد غنَّى عليها حَمامُها
مدَى الدهرِ ما أهْدَى لبِيبٌ رسالةً ... لرَوْضة فضلٍ فاح منها بَشَامُها

فأجابه بقوله: [الطويل]

أروضةُ زهرٍ جاد سَحّاً غَمامُها ... فأهْدَى لنا نَشْرَ العبير خُزامُها[1]
أم الرّاحُ في الأقداحِ لاحتْ فأسْكرتْ ... فؤادي ولمّا فُضَّ منها خِتامُها
تطوف بها ذاتُ الوشاح خَرِيدةٌ ... يروقُك مَرْآها ويحلو كلامُها
مريضةُ أجفانِ اللِّحاظ سليمةٌ ... وما صحةُ الأجْفان إلاّ سَقامُها
مُثقَّلةُ الأردافِ خفَّ وِشاحُها ... مُرنَّحة الأعطافِ لَدْنٌ قَوامُها
مُضمَّنَةٌ من ذِي وفاءٍ قصيدةً ... بليغةَ ألفاظٍ بديعٌ نِظامُها
أخي فِطْنةٍ رقَّتْ وراقتْ عذوبةً ... فللّهِ منها لُطْفُها وانسجامُها
أطاعتْه أبْكارُ المعاني وعُونُها ... بفضلٍ فأضْحَى في يديْه زِمامُها
وذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشا ... ويمْنحه نفساً عزيزاً مَرامُها
تُحاول منّي أن أرُدَّ جوابَها ... وفِكْرتِيَ استولى عليها قَتامُها
وقد لعبتْ أيْدِي المشيب بمَفْرِقي ... وتوَّجَنِي دُرّاً يسوءُ انتظامُها
رعى اللهُ أيامَ الشباب وعهدَه ... وأوقاتَ أُنسٍ ليت عمريَ عامُها
وحيَّى لُيَيْلاتٍ مضت وتصرَّمت ... ليالِيَ أنسٍ صُبحاً ظلامُها
يغازلني فيها أغَنُّ مهَفْهَفٌ ... لواحظُه وسْطَ الفؤاد سهامُها
وبِتُّ يُعاطيني كؤوسَ حديثِهِ ... فللّهِ من خمرٍ حلالٍ حَرامُها
وطوراً يُحيِّيني بوردةِ خدِّه ... وآونةً من خمر فيه مُدامُها
فريقتُه نَفْسُ الشّمولِ وثغرُه ... حَبابٌ لها يطْفو ومن فيه جامُها
وقد عِفْتُ أبيات القريضِ ونظْمَه ... وقُوّض من بين الفؤاد خيامُها
ولكن بحمْد الله جادتْ قريحتي ... وما خلتُ يوماً أن تجود جهامها
فدونكَها يا ابن الكرامِ بديعةً ... تؤُمُّ ذَرَى ناديك يُهْدَى سلامُها
ودُمْ وابْق ما أنْشا بليغٌ قصيدةً ... تضوّعَ مِسكاً بالثّناء خِتامُها

(١) الخزامى: نبت طيّب الريح. اللسان، مادة (خزم).

Marfat.com

٦٩- فضل الله بن شهاب الدين

الفضل التَّامُّ له مِنه جُلُّه، والحسنُ للناس بعضُه وله كلُّه.

والزيادة من فضل الله لا تنتهي، والنِّعَم لدَيْه منها ما يشتهِي.

وقد وُلد في طالع عنه الإقْبال يُتزْجِم، فكاد يقضي له بالسَّعد مَن لم يكن يُنَجِّم.

والحر تكْفيه عن تنْجيم وتقْويم، تسْنِحة خُلُق وخَلْقٍ له في أحْسن تقْويم.

فاقْترن باليُمن باسْتهْلاله، حتى كأن نُونَه خُطَّت من هلاله.

فودَّت الجَوْزاءُ لو كانت قِلادةَ تَراقِيه، والزُّهَرَة لو غدت عِوَض ذُؤابتِه التي تُراقِيه.

ونشأ في نعمة تتملى اقْتبالاً، وكرامةٍ تسْبغ سِرْبالاً.

ووقايةُ الله تحفظه، وعيون الألْطاف تحفُّه وتَلْحظه.

حتى جمع أرْيحيَّة الشباب، ونَجابة الكهول، وحلَّ من الفضل المحلَّ الساميَ والمَرْبَع المأهول.

وتقدّم إلى دقائق العلوم فتغلْغل في شِعابها، وتميَّز على نُظَرائه بحلِّ رموزها وتسْهيل صِعابها.

وهذه دعوةٌ شاهدُها مَن كان مثْلي بَرِيّاً من الرَّيْب، ولست أُخْبر عن الموتى ولا أستشهد الغيْب.

وقد بلغني من بدائع فكره المتلهِّب الوَقْد، وروائع شعره الخالي من التكلُّف والنَّقْد،

ما تتناثر على مُذْهَباتِه الدُّرَر، وتتكاثر على محاسنه الغُرَر.

فمن ذلك قوله: [البسيط]

٦٩- فضل الله بن شهاب الدين بن عبد الرحمن العمادي، الحنفي.
كان من فضلاء الوقت وبلغائه، وهو من المتنبلين في الأخذ بأطراف الفضائل، والاشتمال على كرم الشمائل، ويرجع مع ذلك إلى شعر باهر ونثر معجب، وكان من حين نشأته إلى مماته متفيئاً ظلال النعمة آخذاً من التنعم حظه وجاهه في دولة آبائه. وكان معتنياً بالاشتغال من طليعة عمره فقرأ فنون الأدب على إبراهيم الفتال، ومحمد العيثي، وتخرج بأبيه وعميه، حتى تفوق وبلغ من الفضل ما بلغ. وكان والده فرغ له عن المدرسة الشبلية، فدرس بها، وسافر إلى الروم واجتمع بشيخ الإسلام يحيى المنقاري فأقبل عليه ووجه إليه رتبة الداخل، ورجع إلى دمشق. ولما توفي والده أعطي مكانه قضاء بيروت على طريق التأبيد، ولم تبق عليه كثيراً، وكان وراءه للزيادة مواعد ماطله الزمان بها، فارتبط في داخل داره لأدب يقتبسه أو كتاب يطالعه.
وكانت ولادته في سنة خمس وأربعين وألف، وتوفي في رجب سنة ست وتسعين وألف، وصلي عليه بعد العصر في الجامع الأموي، ودفن بمقبرة باب الصغير. ا هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٢٧٢).

Marfat.com

مُذْ مال خرَّتْ له الأغصانُ ساجدةً ... خُوطٌ به من رحيق الثغرِ إسْكارُ[1]
حَطَّ اللِّثامَ فغاب البدرُ من خَجَلٍ ... وقد بدا في الدُّجَى للصبح إسْفارُ
أضحى كجسمي منه الخَصْر ليس يُرَى ... ومَنْطقَتْه من العشاق أبْصارُ
وشاحُه مثلُ قلبي خافقٌ أبداً ... ولحْظُه الفاتك الفتَّانُ سَحَّارُ
كأنَّما شعرُه في خالِ وجْنتِه ... دخانُ قطعةِ نَدٍّ تحتها نارُ

قلت هذه القطعة قطعة عمادية، والقول بأنها تُماثل نَزْعة عِنادية.

ولابن سَناء الملك فيما يُشبه هذا التشبيه، وإن لم يكن منه: [الرجز]

سمراءُ قد أزرتْ بكلِّ أسمرِ ... بلَوْنها ولِينها وقَدِّهَا
أنفاسُها دخانُ نَدٍّ خالِها ... وريقُها من ماء وردِ خدِّهَا

وأقرب منه قول السيد محمد العُرْضِيّ[2]: [الوافر]

على وجَناتِه خالٌ عليه ... تبدَّت شعرةٌ زادتْه لطفَا
كقطعةِ عنْبرٍ من فوق نارٍ ... بَدا منها دخانٌ طاب عَرْفَا

ومثله للسيد باكير بن النَّقيب: [الكامل]

في خدِّه القانِي المضَرَّجِ شامةٌ ... قد زِيد بالشَّعرات باهرُ شأنِهَا
كلهِيبِ جمْرٍ تحت قطعةِ عنبرٍ ... قد أُوقِدتْ فبدا ذَكِيُّ دُخانِهَا

وله: [الخفيف]

ومُديرٍ لنا المُدام بكأسٍ ... مثل عِقْدِ حَبابُه منظومُ
هو بدرٌ وفي اليمين هلالٌ ... فيه شمسٌ وقد علتْها النجومُ
من دنَا دَنُّه يشمُّ عبيراً ... من شذاه رحيقُه مختومُ
حَيِّ يا صاحِ بالفلاح عليها ... واضطجِعْها تنفكُّ عنك الهمومُ
ودعِ العمرَ ينْقضي بالتَّصابي ... وكذاك الوُشاة دعْهُم يلومُوا

قوله: «هو بدر» إلى آخر البيت، قد أحسن فيه، لكن تشبيه الكأس بالهلال محلُّ نظَر، والمُتعارَف تشْبيهه بالبدر، كما في قول ابن الفارض[3]: [الطويل]

---

(١) الخُوط: الغصن الناعم ا. هـ. لسان العرب، مادة /خوط/.
(٢) انظر خلاصة الأثر (٣/ ٢٧٤).
(٣) ديوان ابن الفارض: ١٤٠.

Marfat.com

لها البدرُ كأسٌ وهْي شمسٌ يُديرُها هلالٌ وكم يبدو إذا مُزِجتْ نَجْمُ

إلاّ أن يكون قصد الزَّوْرَق، فإنه شُبِّه به الهلال، كما في قول ابن المُعْتزّ[1]: [الكامل]

وانْظُرْ إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلته حمولةٌ من عَنْبَرِ

فعكَس التشبيه.

ويمكن أن يقال: إنه شبَّهه بالهلال، بالنَّظر إلى هيئته، إذا أمْسَكه السَّاقِي، كما يفعل الأعاجم في مُناولة إناء المشروب؛ وذلك أنهم يقْبضون بالإبهام والمُسبِّحة على الإناء من فوق، فينْستر نصفُ الكأس بالأصْبعيْن، ويبقى النصفُ ظاهراً كهيئة الهلال. انتهى.

وله: [الطويل]

ذَمَمْتُ النَّوَى من قبلُ منِّي جهالةً ولم أدرِ أنَّ البَيْنَ أصلُ شفائي
فحِبِّيَ لمَّا حازه البعد حازَني سَقامٌ فأخْفاني عن الرُّقباءِ
وصرتُ إذا شاء الزيارةَ زُرتُه ولم ترَني عينٌ لفَرْطِ خَفائِي

أخذه من قول كُشَاجِم[2]: [الطويل]

وما زال يَبْري أعْظُمَ الجسم حبُّها وينقُصها حتى لَطُفْنَ عن النَّقْصِ
فقد ذُبْتُ حتى صرتُ إن أنا زرتُها أمِنْتُ عليها أن يَرى أهلُها شخصِي

وله: [الطويل]

أطار الهوى مِن جمر خدَّيْه جَذْوةً فأصْلَى بها قلبي الذي ضم أضْلُعِي
وصعَّده مِنْ بعدما قد أذاقَهُ وقطَّرَهُ من مقلتي دَرَّ أدْمُعِي

أحسن منه قولُ ابن النَّبيه[3]: [الطويل]

تعلّمتُ علمَ الكيمياءِ بحبِّه غزالٌ بجسمي ما بعيْنيه من سُقْمِ
فصعَّدتُ أنفاسي وقطَّرتُ أدْمُعي فصحَّ من التَّقْطير تصغيرةُ الجسمِ

وللشِّهاب الخَفاجِيّ: [الرمل]

في بُكائِي راحةٌ من شَجَنِي بعد يأسٍ من أمانٍ يُطمعُ

---

(١) ديوان ابن المعتز: ٢/ ٥٣٤ .
(٢) ديوان كشاجم: ٢٣١ .
(٣) ديوان ابن النبيه: ٣٩٠ .

Marfat.com

فكأن الحزنَ من نار الجوَى ذاب حتى اسْتقْطَرتْه الأدْمُعُ

وله: [الطويل]

أيا شاهراً سيْفاً يُشابه لحْظَه يصُول به ضَرباً وموقعُه القلبُ
دعِ السيفَ وانظر نحْو مَنْ رُمْتَ قتْلَه فعيْناك كلٌّ منهما صارمٌ عَضْبُ

وله: [الخفيف]

دَائِيَ الحبُّ والأماني طبيبي والنَّوى والفِراقُ من عُوَّادِي
ودوائي ذكرُ اللِّوَى وسَميري ضَيْفُ طيفٍ مُوكَّل بسُهادِي

وله:

بِي ظَبْيُ إنْسٍ لاح في قُرْطُقٍ قد فضح الدُّرَّ سنَا ثغْرِه
ما فيه من عيْبٍ سوى أنه أشْبَهَ جسمِي بِضنَى خَصْرِه

وله: [البسيط]

تحجَّب البدرُ في غَيْمِ الصدودِ وفي ليلٍ من الهجرِ عن مأسورِ الْفاظِهْ
ومرَّ يبخلُ حتى بالسلام ترى مِن خَوْفِهِ لَقْط سمعي دُرَّ الْفاظِه

وله: [البسيط]

كأنَّ مَبْدَأَ نَبْت الشَّاربَيْن وقد بدا على شفَةٍ شطَّتْ عن الدَّنِفِ
زُبانَيَا عقْربَيْ صُدغَيْه قد حَمتَا رحيقَ رَيْقهِ عن رشْفِ مُرْتشِفِ

وله: [الوافر]

فديْتُك رَابني الإعراضُ عنِّي ولم أعرفْ له سبباً وحقِّك
سوى أنِّي المقيمُ على وِدادِي وأنِّي يا حبيبي عبدُ رِقِّك

وله: [الطويل]

إذا زارني ليلاً مَخافةَ عاذلٍ واسفر وجهاً صار صبحاً بغُرَّتِه
وإن زارني صُبْحاً وأزخى غدائراً على الوجهِ صار الصبحُ ليلاً بطُرَّتِه

وله: [الطويل]

وبدرٍ حكَتْه الشمسُ عند شروقِها إذا غرُبتْ في فِيه والليلُ سابلْ
إذا ما تثنَّى قَدُّه وَسْطَ روضةٍ تخِرُّ له الهِيفُ الغصونُ الموائلْ

Marfat.com

وله: [البسيط]

لمَّا غدا جِيدُك الحالي بِعِقْدك من ... قلائدٍ وعقودٍ عاطلَ الخالِ
دمِي تقلَّده ظلْماً ألستَ ترى ... نَقْطاً عليه دمي سَمُّوه بالخالِ

وله: [المنسرح]

ودَّعَني مَن نواهُ أوْدَعني ... شَوْقاً يزيد الفؤادَ نيرانا
وقال لي والبكاءُ يغلبُه ... يا ليت يومَ الفِراق لا كانَا

٧٠- علي بن إبراهيم

هو الآن في الحضرة الخَضِرة، مُتعيِّن في نُظَرائه بالمعالي النَّضِرة.
فيكاد يُشير إليه، من يُغْمِض عيْنيه.
ومن أراد أن يكون السَّعْدُ من خَدَمِه، فليضَعْ قدمَه مكان قدمِه.
فالإقْبال كأنما خُلِق لأجْلِه، واليُمْنُ في مَواطِئِه بخَيْلِه ورَجْلِه.
وهناك جَدٌّ لو كان بظُبَة صارمٍ ما نَبا غِرارُه، وبشْرٌ لو سال بصفحة البدر ما خِيف سِرارُه.
وأنا إذا جئتُ أصِفُه، ولا أُقَدِّر أنِّي أُنْصفه،
قلت: أعلى الله مكانَه، وشيَّد في أفق النَّباهة أرْكانَه.
فما زال الأمْنُ يواصل هَدُوَّه، والجَذَلُ يصاحب روَاحَه وغُدُوَّه.
وله السلامةُ التي يُهَنَّأ بها ويُحَيَّى، والدنيا التي لم تزل غَضَّةَ العهدِ طَلْقَة المُحيَّا.
وله عندي وراء ذلك ثناءٌ بَريءٌ من الكَلَف، وامْتداحٌ لو نالَه البدرُ لانْجلى عنه الكَلَف.

٧٠- علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين الحنفي الدمشقي، المعروف كأسلافه بالعمادي. صدر صدور دمشق، كان مهاباً، محتشماً، وقوراً عالماً، نحريراً، فقيهاً، أديباً، ماهراً، حاذقاً.
ولد في دمشق في شعبان سنة ثمان وأربعين وألف، ونشأ بها وقرأ على والده وعميه: شهاب الدين، وكمال الدين، والشيخ محمود الكردي، والشيخ إبراهيم الفتال، والشيخ رجب القصيفي الميداني وغيرهم. وتولى تدريس المدرسة السليمانية في الميدان الأخضر، وإفتاء الحنفية بدمشق، وعزل عنها.
وكانت وفاته في ذي الحجة سنة سبع عشر ومائة وألف، ودفن بمقبرتهم بباب الصغير. ا هـ. سلك الدرر (٣/ ١٩٦).

Marfat.com

وهو في الفضل كأبيه وجدِّه، وإذا قيس بهما فقد انتهى لأقصى حَدِّه.

وأما أدبُه فقد حلَّ من البراعة مكاناً عليًا، وهمَى وَدْقُه على رُبَى الإجادة وَسْمِياً ووَليًا.

فإذا جال يَراعه، ملأ القِرْطاس بلاغةً وبَراعة.

وإذا وشَّى الصحائف من حَبائر بَدِيهته وإملائه، فكأنما أفاض عليها من أنواره ولألائِه.

وقد أثبتُّ له ما يبهج الأدب ويَزِينه، وإذا وُزِن به الشعر رجَحتْ موازينُه.

فمنه قوله، فيما كَتبه إلى الأستاذ زَيْن العابدين الصِّدِّيقيَ، يستدعيه لدمشق: [البسيط]

قد أُلْبِس الروضُ أنواعاً من الحِبَر ... وتُوِّج الغصنُ إكْليلاً من الزَّهَرِ
ومدَّت الأرضُ وسطَ الروضِ حاشيةً ... من الزُّمُرُّدِ في مُسْتَنْزَهٍ نَضرِ
وقام كلُّ خطيبٍ في الرياضِ شَدَا ... بلحْنِ مَعْبَد وقْعَ النَّايِ والوترِ
وفاح نَشْرُ عَبيرٍ في دمشقَ غدا ... يغني بِطيبِ شَذا من عَنْبَرٍ عَطِرِ
كأن عطرَ غوانٍ قد ضَمَخْنَ به ... أتَتْ به من نُحورٍ نَسْمةُ السَّحَرِ
وراقبتْ فُرْصَةَ الإغْفاءِ فانْغَلسَتْ ... كالسحرِ بين مقر الجَفْنِ والشَّعَرِ
فاستبْضعتْ كلَّ لُطْفٍ مع لَطافتِها ... واستضحبتْ كلَّ عَرْفٍ طَيِّبِ الأثرِ
فقُمتُ أنشَق رَيَّاها وقلتُ لها ... جُودِي عليَّ فإني لاتَ مُضطَبَري
وخبِّريني أهذا العَرفُ منشأُه ... عن طيبِ مَخبرٍ أم عن طَيِّب الخبرِ
قالتْ أعندك من هذا النَّباءِ أما ... كفاك رَوْنَقُ هذا العام من خَبَر
فالشام شامِيَّةٌ والأرض نامِيةٌ ... والسحبُ هاميةٌ بالطَّلِّ والمطرِ
من أجلِ أنَّ إمام الوقتِ أغنِ به ... زَيْنَ الأنامِ وكهفَ البدوِ والحضَرِ
ذاك الهُمامُ الذي بالمجدِ قد بهَرتْ ... آياتُ مَخْتَدِه السامي على الزُّهُرِ
وابنُ الإمام الذي ما مثلُه أحدٌ ... إذْ كان في الغارِ ثاني سيِّد البشرِ
يرومُ جِلْقَ قَصْداً أن يشرِّفَها ... بالبشرِ منه فتُضحِي نُزهة النَّظرِ
فقلتُ أهلاً بما أدْنيتِ من نَبَإٍ ... أودعتِ في السمع منه أنضرَ الدُّرَرِ
وصِرتُ ألثَمُ فَاها فرحةً وهوًى ... ومَنْطِقاً وِزدُهُ أحلَى من الصَّدَر
فأنْجِزِ الوعدَ لُطْفاً منك سيِّدَنا ... فالشامُ إن جُزتَ صِينتْ عن يدِ الغِيَر

Marfat.com

فأغيُن الزهرِ وَسْطَ الروضِ شاخصةٌ ... لكي تراك فتحظَى منك بالبَصرِ

ومن بدائعه قوله: [الخفيف]

عزَّ هذا العزيزُ في سُلْطانِهْ ... ومضى والمِطالُ أكبرُ شانِهْ
وأرانا من سحرِ عينيْه هارو ... تَ وماروتَ من شَبا أجْفانِهْ
فاستمال القلوبَ نحو مُحَيّاً ... كان سَلْبُ القلوبِ من بُرهانِه
وحَبانا من جُلِّ ما نتمنَّى ... من شَذَا وَرْدِه ومن رَيْحانِهْ
وأرانا بَرْقَ الثَّنايا اختلاساً ... خَوْفَ واشٍ وحاسدٍ يَريانِهْ
ورأيتُ الفِدامَ في فِيه لَمَّا ... لاح فِرْقُ اللَّمى وضوءُ جُمانِهْ
فشهدتُ المُدامَ في الكونِ طُرّاً ... من لَماهُ والسكرَ في لَمَعانِهْ
وضروبَ الجمالِ قد جُمِّعَتْ فيـ ... ـهِ وفي شكلِه وفي ألْوانِهْ
قَدُّه كالقضيبِ من فوق رِدْفٍ ... ذِي أهتزازٍ يميسُ في أعكانِهْ
تحت وجهٍ كالروضِ أوْدَع فيه ... كلَّ معنىً يرُوق في إبّانِهْ
خدُّه كالشَّقِيقِ في اللونِ والصَّبْـ ... ـغُ كاسِ الرِّياضِ في عُنْفُوانِهْ
تحته جِيدُه الذي حَلَّ فيه ... خالِه مُخْتَفٍ لجُلِّ مكانِهْ
فافْتَتَنَّا بقامةٍ وبِجيدٍ ... وسَبانا زُمُرُّدِي هِمْيانِهْ
طَرَّ عقلي بطُرَّةٍ شكْل سِينٍ ... بيدَيْه قد طرَّها ويَنانِهْ

وقوله: [الكامل]

وكأنما المصباح وَسْطَ حديقةٍ ... مَخْفوفةٍ بالورد والنَّسْرينِ[1]
بدرٌ بدا تحت السحابِ أحاطَهُ ... قُزَحٌ بقوسٍ مُحْكَمِ التِّنْوينِ
أو غادةٌ قد أُلْبِست لبهائِها ... حُلَلَ الجمال بديعةَ التِّلْوينِ
أو شادِنٌ قد خُطَّ تحت جبِينِه ... بالطُّرَّةِ الدَّعْجاء شَكْلُ السِّينِ

وقوله: [البسيط]

باكِر صَبُوحَك مِن فيه مُشَعْشَعةً ... تُضِيء إن رُشِفتْ منه كمِصباحِ
بيْضاءَ مثلُ نهارِ الوصلِ رُؤْيتُها ... وحالةَ الوصلِ تُكْسَى لونَ تُفّاحِ

---

(١) النسرين: ضرب من الرياحين. اللسان، مادة (نسر).

Marfat.com

لأن مُـنْـبِـتَ دُرِّ الـثَّـغْـرِ حَـانـتُـهـا ... ودَنَّـهـا مِـن عـقـيـقِ الـلـونِ وَضَّـاحِ
وعـاذلٍ قـال مـا فـي الـرَّاحِ مَـغْـتَـبـةٌ ... فـاسْـتـغْـن عـنـهـا بـكـاسـاتٍ وأقْـداحِ
فقلت يا جاهلاً في الحبِّ معرفتي ... إليك عنِّي فلا أُصْغِي إلى الّلاحِي
لا أشربُ الرَّاحَ إلا من مُقبِّلِ مَن ... تقْبيلُ مَبْسمِه أشْهى من الرَّاحِ

وله في العِذار: [الكامل]

مـا كـنـتُ أحـسـب قـبْـل نَـبْـت عِـذارِه ... أن الـعِـذارَ لـحُـسْـنـه تـأكـيـدُ
حـتـى بـدَا فـي خـدِّه مُـتـجـعِّـداً ... كـفـتـيـتِ مـسْـكٍ لا يـلـيـنُ جـديـدُ
فـكـأنَّ مُـحَـمـرَّ الـخـدودِ شـقـائـقٌ ... عـن لَـثْـمِ أفْـواهِ الأنـامِ تَـحـيـدُ
وكـأنَّ مُـغـوَجَّ الـعِـذار بـصُـدغِـه ... شَـرَكٌ لـحَـبَّـاتِ الـقـلـوبِ يـصـيـدُ

وله، في البيت الأخير استخْدام: [المنسرح]

وعـاذلٍ قـال عَـقْـربٌ لَـدغـتْ ... أخْـمَـدَ نَـوْعِ الـجـمـالِ سَـيِّـدَهُ
قـلـتُ عـجـيـبٌ لـهـا مـا رهِـبـتْ ... عـقـربَ صُـدْغٍ رأت مُـمـدَّدَهُ
قـالـوا رأتْـه وأنـت تـخـبـره ... ذاك لِـلَـسْـعِ الـقـلـوب أرْصَـدَهُ
فـقـلـتُ إذْ بَـانَ عـقـربٌ بـكـمُ ... لـمـا أتـتْـه رأتْ تـأوُّدَهُ
خـافَـتْ عـلـى قـلـبـهـا يـمـزُقُـه ... فـزَخْـزحَـتْـه وقـبَّـلـتْ يَـدَهُ

وكتبتُ إليه أستأذنه في التنزُّه أيّاماً بقصْره، الذي أحاطت به السَّراء إحاطة النِّطاق بخَضْره:

سيدي وسنَدي، أنقذ الله على يديك الخواطرَ من هُمومها، وجَلّى عنها بحُسْن توجُّهك غياهب غُمومها.

الزمنُ وما أدْراك، لم يبْقَ فيه إدْراك،

من نكَباتٍ لولا طَيْشُ وِصالها لاتَّصلتْ اتّصال الشُؤبُوب، وصَدَماتٍ لولا تكسُّر نِصالها لكانت كالرُّمْح أنْبُوباً على أنْبُوب.

ولكن ثَمَّ نفوسٌ من الفكر طائشة، لا تحسَبُها إلا من ناهِلِ الحِمام عائشة.

فهي تسْتدعي بعضَ مألوفاتها عن رَوِيَّة، طامعةً في حسْوة من الأماني إمّا قَذِيَّة أو رَوِيَّة.

وذلك لدَفْع صائل، لا لتوقُّع طائل.

Marfat.com

وإلاَّ فكلنا يعرف زمانَه، ويعلم أن النهوضَ فيه زَمَانَة.

وقد طلبنا فلم نجد غيرَ قصْرك البهِيِّ من النَّوازِلِ مَقَرّاً، ولا مثل ساحتِه للأمْن من الغوائل مقَرّاً.

إذ هو القصر الذي أقرَّت له القصورُ بالقُصور، ولبست منه الشِّعْرَى العَبُور ثوبَ الغَيُور.

فعسى ما عزَّ على العَيان من لُقْياك، نستنشِق فيه من مَواطِنِك عَرْفَ رَيّاك.

فإن أذنْتَ فمثلُك مُنَزَّه عن التَّغاضي، ومثلُنا مُوَلَّه بالتَّقاضي.

ولك الفضل الذي إذا كشَّر الدهرُ عن نابِه، تُكشف الحوادث عَنّا به.

والثناءُ على سجِيَّتك ثناءُ الروضِ المُونِق، على الغدير المُغْدِق.

والسلامُ على خُلُقك العاطِر، سلامُ النسيم على الغصن الناضِر. [الكامل]

وبـقِـيـتَ فـي يـومٍ أغَـرَّ مُـبـشِّـرٍ بـسـعـادةٍ غَـرّاءَ تـطـلـعُ فـي غـدِ

لـتُـقـيـمَ كـلَّ مُـؤَوِّدٍ وتُـنِـيـم كُـلَّ مُـسَـهَّـدٍ وتـضـمَّ كـلَّ مُـبَـدَّدِ

[بيت النابلسي]

هذا البيت لي فيه نَسب، مُذْلٍ وربُّ البيت بنشَب.

وجدِّي من قِبَل الأُمَّهات كبيره إسماعيل ذلك الإمام، والفائق في الإضاءة على البدر التَّمام.

شيخُ التوفيق، وأحقُّ من يُدْعَى بالبَرِّ الشفِيق.

أحلَّه الله دار القَرار، وبَوَّأه منازلَ الأبرار.

٧١- حفيده إسماعيل

سَمِيُّه ووَلِيُّه، سقاه من الرِّضا وَسْميُّه ووَلِيُّه.

٧١- الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم، النابلسي الأصل، الدمشقي المولد والدار، العلامة الفقيه الحنفي.
قرأ بدمشق على الشرف الدمشقي، والمنلا محمود الكردي، والشيخ عمر القاري، والعمادي المفتي، وتفقه بالشيخ عبد اللطيف الجالقي، وأخذ الحديث عن النجم الغزي، وبرع في العلوم، ثم شرع في إلقاء الدروس في الجامع الأموي سنة تسع وثلاثين وألف، وسافر إلى الروم ولازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا، ثم عاد إلى دمشق، وكرر الذهاب إلى الروم، وأعطي المدرسة القيمرية بدمشق، ودخل حلب، وحج وقفل من الحجاز إلى القاهرة وأخذ بها عن الشهاب أحمد الشوبري =

Marfat.com

غرةُ وجهِ الدهر، والقمر نصفَ الشهر.

جرى ففات، واستغرق الصِّفات.

وأزبى على الأكفاء ويَرّز، وأغلَم حُلَّة الفضل وطَرّز.

فقصَّر في حَلْبة اليراعة مُجارِيه، واستشْعر فَوْت الطلب مُبارِيه.

وحاشِيتُه على «الدُّرّ» أقرَّ لها ابنُ عَزْمِي بانْحلال عَزْمه، واعْترف الْوَانِي بأنه وَانٍ عَن لَحاقها لعدم حَزْمِه.

فإذا أعمل لسانَه وفمَه، وأخذ دَواتَه وقلمَه،

تجارَى يَراعُه وطبعُه، وحدَّث عن البحر العُباب نَبْعُه.

فأبدى خاطرُه الشُّموسَ من الطُّروس، وأطْلع فكرُه النَّقا ونفائس الذخائر في سُوق العروس.

وتحائفُه في الأدب جواهر أصْداف، وزواهر أسْداف[1].

أوردتُ منها دُرّاً يلْفظه البحر، فيزيَّن به من المعلومات الغُرّ الصدرُ والنَّحر.

فمن ذلك قوله، وكتَبه في صدر رسالة لبعض أحبابه: [الخفيف]

إن طلبتُمْ أُبْدِي لكم شرحَ حالِي ... فهو أمرٌ يَكلُّ عنهُ مَقالِي

لا تقولوا مُسافرٌ بل مقيمٌ ... كلُّ يومٍ سرورُه في كمالِ

ثم ما قد أصابَنا من رفيقٍ ... وعزيزٍ ومنْبعِ الأفْضالِ

فهْو أمرٌ عجزتُ إذ رُمْتُ أُحْصِي ... منه حالاً فكيف بالأحْوالِ

غير أني قصدتُ من رَقْم هذا ... فهْمَكم حالنا على الإجْمالِ

وكتب أيضاً إلى بعض إخوانه: [المتقارب]

إذا قيل أيُّ إمامٍ هُمامٍ ... بليغٍ لقد فاق للْفاضِلِ

= الحنفي، والشيخ حسن الشرنبلالي، ثم توجه إلى الروم وضم له قضاء صيدا وعاد، ولما توفي المولى يوسف بن أبي الفتح إمام السلطان كان عليه تدريس جامع السلطان سليم بصالحية دمشق فوجه إليه وأخذ عنه بعد مدة فسار إلى الروم وقرره وصارت له رتبة مدارس الصحن، ولما رجع إلى وطنه انعزل عن الناس للتحرير والمدارسة ولزمه جماعة للأخذ عنه وبه انتفعوا. وصنف كتباً كثيرة أجلها كتابه (الإحكام شرح الدرر) في اثني عشر مجلداً.
وكانت ولادته في سنة سبع عشرة وألف، وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وستين وألف ودفن بمقبرة باب الصغير بالمدفن المعروف بهم وهو بالقرب من جامع جراح. ا هـ. خلاصة الأثر (٤٠٨/١).

(١) الأسداف: جمع سُدْفة وهي اختلاط الضوء والظلمة جميعاً، كوقت ما بين صلاة الفجر إلى أول الإسفار. اللسان، مادة (سدف).

Marfat.com

غـزيـرِ الـنَّـوال عـزيـزِ الـمـثـالِ شـريـفِ الـخـصـالِ وذي الـفـائـلِ
وحَـبْـرِ الأنـامِ وبـحـرِ الـكـرامِ لـخـيـرٍ يُـرام بـلا سـائـلِ
كـريـمِ الأُصـول ومُـخـيـي الـقَـبُـولِ وفـضـلاً يـصـولُ عـلـى الـجـاهـلِ
أشـار إلـيـك جـمـيـعُ الأنـامِ إشـارةَ غَـرْقَـى إلـى الـسـاحـلِ

أصلُه ما قاله في كتاب «العقد»[1]، لابن عبد ربِّه: أنه وقف بعضُ الشعراء على عبد الله بن طاهر، فأنشده: [المتقارب]

إذا قـيـلَ أيُّ فـتـىً تـعـلـمـون أَهَـشُّ إلـى الـبـاسِ والـنـائِـلِ
وأضـربَ لـلْـهـامِ يـومَ الـوغَـى وأطْـعَـم فـي الـزمـنِ الـمَـاحـلِ
أشـار إلـيـك جـمـيـعُ الأنـامِ إشـارة غَـرْقَـى إلـى الـسـاحـلِ

ومن شعره قوله: [الطويل]

لَوَى وجهَه عنِّي على زَعْمِ أنني أُداهِـنُـه مـن أجْـلِ أمـرٍ أُحـاوِلُـهْ
فقلتُ له خفِّضْ عليك فإنني تكلَّفْتُ هذا الأمرَ ممَّن أُخالِلُهْ

وقوله: [الطويل]

ولـو لـم يكـنْ عـلْـمِي بأنـك فاعـلٌ مـن الـخـيْـرِ أضـعـافَ الـذي أنـا قـائـلُ
لـمـا بـسَـطـتْ كـفِّـي إلـيـك وسـيـلةً ولا وصـلـتْ مـنِّـي إلـيـك الـرسـائـلُ

وله هذه الرباعية: [الدوبيت]

قـد أقـسـم لـي لـمَّـا اعْـتـرانِـي الـوَلَـهُ أن يـعـطِـف لـي لـكـنَّـه أوَّلَـهُ
لا يـسـمـحُ بـالـوِصـال إلا غـلَـطـاً فـي الـنـادِر والـنـادرُ لا حـكـمَ لَـهُ

٧٢- ولده عبد الغني

الوِرد الرَّوِيّ، والنَّهج السوِيّ.

---

(١) العقد الفريد (١/ ٣١٥).

٧٢- الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم النابلسي، الحنفي، الدمشقي، النقشبندي، القادري.
ولد بدمشق في ذي الحجة سنة خمسين وألف. وشغله والده بقراءة القرآن ثم بطلب العلم، وتوفي والده في سنة اثنتين وستين وألف فنشأ يتيماً موفقاً، واشتغل بقراءة العلم فقرأ على الشيخ أحمد القلعي الحنفي، والشيخ محمود الكردي، والشيخ عبد الباقي الحنبلي، والشيخ محمد المحاسني،=

Marfat.com

خلقه الله للفضل أهلاً، وأشرَق به العِدَى طفلاً وكَهْلاً.
فترشَّح للعلى، وتوشَّح بتلك الحُلا.
وما انفصل عن طَلِّه الوَبْل، وكما تعرفه البراعةُ من بعد تعرفه من قَبْل.
بحرُ علم لا يُدرَك غَورُه، وفلَك فضل على قُطْب الرجاء دَوْرُه.
ولم يقْنَع بالمَجاز عن الحقيقة، حتى تبوَّأ البُحْبُوحة من تلك الحديقة.
ولدَيْه من المعلومات ما يشقُّ على القلم حشْرُه، ويتعسَّر على الكَلِم نشرُه.
وتآليفه تُكاثِر السحبَ المواطِر، حشْوُها فوائدُ عُقْلةُ الأفكار وقيْدُ الخواطر.
وله أشعار أغلبُها في الزهد، إلا أنها في الحلاوة بمثَابة الشُّهد.
وهو ممن نَحوْت إلى كعبته، ورميتُ نُشَّاب البراعة من جُعْبته.
ومضى لي في صحبته حِين، لم أنْشَق به إلا شمَّامات ورياحين.
أسارع إليه مسارعةَ مُوَفٍّ لا مُقرِض، وأتعرَّض إلى خدمته تعرُّض مُقْبِل لا مُعْرِض.
فأستجلي أحاسنَ المحاسن، وتنْقاد لي بدائعُه ذُلَلَ المَراسِن[1].
وقد انْقبض حِيناً عن الناس، وعَدَّ الوحشةَ من الإيناس.
وانْعكف على دواوينه، وكَلِف بالعلم وأفانِينه.
ثم نَبَّه جَفْنَه بعض انْتباهة، فطار في أفق الشام بين نزاهة ونباهة.
وسافر ذكرُه للرُّكبان زاداً، كما أقام فضلُه للوارد عَتاداً.
وقد ورد القاهرة وأنا بها أُماطِل الشوقَ وهو غَرِيم، وأطلبُ فَيْض الدمعِ وهو كريم.

= والنجم الغزي، والشيخ محمد بن أحمد الأسطواني، والشيخ إبراهيم بن منصور الفتال، والشيخ عبد القادر بن مصطفى الصفوري الشافعي، والشيخ محمد العيثاوي، وغيرهم
وابتدأ في قراءة الدروس وإلقائها والتصنيف لما بلغ عشرين عاماً، وأدمن المطالعة في كتب الشيخ محي الدين بن العربي، وكتب السادة الصوفية، وشرع في إلقاء الدروس بالجامع الأموي في عدة فنون. وصدرت له في أول أمره أحوال غريبة وأطوار عجيبة، واستقام في داره الكائنة بقرب الجامع الأموي في سوق العنبرانيين مدة سبع سنوات لم يخرج منها. وارتحل أولاً إلى دار الخلافة فاستقام بها قليلاً ثم إلى البقاع وجبل لبنان ثم إلى القدس والخليل، ثم ذهب إلى مصر ومن ثم إلى الحجاز، ثم إلى طرابلس الشام.
وتآليفه ومصنفاته كثيرة جداً. وكانت وفاته في شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، ودفن بالقبة التي أنشأها في صالحية دمشق. ا هـ. سلك الدرر (٣/ ٣٠).

(١) المراسن: جمع مرسَن: الأنف. اللسان، مادة (ر س ن).

Marfat.com

فتألّفت معه في مجلس الأستاذ زيْن العابدين، لا زالتْ مطارح أعماله سعيدة، ومطامِحُ آماله قريبة والأكدارُ عنها بعيدة.

كما تألّف الأزيُ مع القَنْدِ، ونيطت الكفُّ إلى الزَّنْد.

ورَوَيْتُ غُلَلَ الشوقِ من تلك الرَّاح، بما لم يكن في قُدرةِ الماء القَراح.

وكتبتُ إليه لمّا دخل القاهرة: [السريع]

أهـلاً بـمـولـىً لـلـثـنـاءِ أهـلُ ... يَـفْـدِيـه مـنـي الـقـومُ والأهـلُ

مـن جَـلَّ عـن مَـثَـلٍ ومَـن مِـثْـلُـه ... عـيـهـات أن يُـلْـفَـى لـه مِـثْـلُ

فـضـلُ الـبـرايـا فـيـه مُـسـتـجـمِعٌ ... فـكـلُّـه إن تـخـتـبـرْ فـضـلُ

إن ذكـرتْ آيـاتِـه فـتـيـةٌ ... راح فَـمُ الـدهـرِ لـهـا يـثـلُـو

كـم طـال شـوقـي وغـرامـي لـه ... والـدهـرُ مـن عـاداتـه الـمَـطْـلُ

حـتـى قـضـى اللهُ لـنـا بـالـلُّـقـا ... فـتـمَّ لـي مـن قُـرْبِـه الـسُّـؤْلُ

وكـان لـي فـي فـضـلِ عِـرْفـانِـه ... عـن كـل شـغـلٍ فـي الـورى شُـغْـلُ

مولاي الذي سار في بُروج الفضل مَسيرَ الشمس، وقامت فضائلُه في جسم العالَم مقامَ الحواسّ الخمس.

لا زال في السكون والحركة، موافق اليُمْن والبرَكة.

يفرح به كلُّ فُطر ينازلُه، كأنه البدر والدنيا مَنازلُه.

ومن شايَعَه مسعودٌ يومُهُ وغدُه، وله من العيش أهْنَاه وأرْغدُه.

كتبتُ هذه الخدمةَ ولي قلبٌ على شوقك يتقلَّب، وما عهدتُه انْقلب إلى غيرك ولو يكون له ألفُ لَوْلَب.

كيف وأنا شُعبةٌ من دَوْحَتِك، وغُصْنٌ من سَرْحتِك.

بل نَبْتٌ سَقَتْهُ أياديك، وزهرٌ تفتح بما أفاضتْهُ غَوادِيك.

وكنت قبل أن يُسوِّد الدهرُ منْشورَ عِذاري، ويكلِّفني وقد رأى كَلالي إلى بَسْط أعْذاري.

ومَشْرب العيش لم يخْشَ غُصَّةَ لوم يشرَق بها من مَسْمعِ الصبِّ ناهِلُه، ومورِدُ الأُنس قد صفَا عذْبُه ولكن تكدَّر من خوفَ الوُشاة مَناهلُه.

وشرفُ الشام بك شرفُ الجُثمان بالرُّوح، وانْتعاشها بأنْفاسك انتعاشُ الغصنِ بالنسيم المَرُوح.

Marfat.com

أستغني بطُرَفك عن الثلاث المُذْهِبات، وأستكفي بتحائِفك التي علّقتُها بأذن سمْعي عن السَّبْع المُذْهَبَات.

إلى ما تناولتَهُ من دقائق حقائق، يحمرُّ لها خجلاً في روض مَذْهب النُّعمان شقائق.

وقد ربطْتُ بك جملتي فما أَعُدُّ سِواك وكيف لا، وإني ما أتيتُك إلا فريضة وآتي جميعَ الناس إلا تنفُّلاً.

ونظمتُ من مَدْحك في جِيد الدهر قلائد، يقول البحرُ من أين أخذ مثل هذه الفوائد.

وكنت أتمنّى أساهِمُك العمرَ وأشاطرك، على شَرْطِ ألاَّ أتصوَّر ما يُنفِّر خاطرَك.

فأبى الدهر إلاَّ تشْتِيتي عنك في البلاد، ولولا هَنِيئةُ لقائِك لقلتُ جَرّعني صَاب الفُرقة من ساعة الميلاد.

لكني أحمَد الله تعالى على أن تدارَكني مُدَّة غَيبتِك، بحضور معنىً من شَخْصك يُسلِيني في الجملة عن رُؤيتك.

ثم أرْدَف ذلك ولو بعد تَراخٍ في المُدَّة، باجْتماع كان النعمةَ الغيرَ المترقَّبةَ والفرجَ بعد الشِّدَّة.

حيث يُحمَد المَغْدَى والمَراح، ولو اقتُرح على الزمان مطْلَبٌ كان هو الاقْتراح.

فأمتعني الله فيه بمَقْدمِك، وأسْعدني بأغلى موطئِ قدمك.

فسَقْيا لوقتٍ جمع بيْننا، ورَغْيا لدهرٍ أزاح بَيْننا.

ولله بلدٌ موطِن مُنَى، وطَلاَّعةُ أقْمار سَنَا.

ومُترنَّح نعيم وحظّ، ومتمتَّع قلب ولَحْظ.

وأحسبها الآن نافستْ بفضل الكمال، وكمال الفضل، وستصْدُر بالأماني والآمال، مُوفَّاة بالثناء الجَزْل، والقول الفصْل.

ولها عندي على هذا الجميل ثناءُ الرَّوْض على الغَمام، والزَّهر على الأكْمام، والسَّارِي على القمر التّمام. [الكامل]

ولئِن نَسيتُ جميلَ مصرٍ بعدَها طولَ الزمان فلا بلغتُ الشَّامَا

ثم فارق مصر مُوفَّر الآمال، ودخل الحِجاز مختوماً له بصالح الأعمال.

فالله سبحانه وتعالى يقْرِن التوفيق بسكونه وحركته، ويُنْهِضنا إلى ما عرفْناه من يُمْنه وبركته.

Marfat.com

وقد اخترتُ من شعره الرائع التَّطْريز، ونثْره الخالص الإبْريز[1]، ما يَرُوق كما راقتْ ناجِمةُ الحَباب، ويشُوق كما تشُوق أحاديثُ الأحْباب.

فمن قوله في الغزل: [الكامل]

دَبَّ الـعِـذارُ بـخَـدِّه فـتـضـرَّجـا ... رَشأٌ أبـان عـلـى الـشـقـيـق بَـنَـفْـسـجَـا
وأمـالَـه سـكـرُ الـدلالِ فـعـزْبَـدتْ ... لَـحـظـاتُـه هـيْـهـات مـا أحـدٌ نَـجَـا
رَخْـصُ الـبـنـانِ أغَـنُّ أوْطـفُ أخـورٌ ... كـالـبـدر أبْـهـى مـن رأيـتُ وأبْـهـجَـا
لـم يـكْـفِـه دَعَـجُ الـعـيـون مَـلاحـةً ... حـتـى تـشَـزْبَـشَ بـالـبَـهـا وتـتـوَّجَـا
وتـفـضَّـضـتْ وجَـنـاتُـه وتـذهَّـبـتْ ... والـحـسـنُ دمَّـجَ سـالِـفـيْـه ودبَّـجَـا
يختالُ كالغصنِ الرَّطِيب بمَعطِفٍ ... لَـذنٍ أرانـا الـسَّـمْـهَـرِيّ مُـعـوَّجَـا
ويـظَـلُّ يـكـسِـر مُـقْـلـتـيـه تـدلُّـلاً ... أيـن الـنـجـاةُ لـعـاشـقٍ أيـن الـنَّـجَـا
ومُعَزْبِدِ اللَّحظاتِ أطلق حُسْنَه ... فـتـقـيَّـدتْ بـشُـهـوده مُـقَـلُ الـرَّجَـا
صَـلْـتُ الـجـبـيـن بَـدَا كـبـدرٍ زاهـرٍ ... يـا صـاحـبَـيّ قِـفـا هـنـا وتـفـرَّجَـا
قـد ذاب قـلـبـي فـي هـواه صَـبـابـةً ... وبـحُـسْـنـه لـكَـمِـيـنِ شـوقـي هَـيَّـجَـا
وفنَى اضْطِباري في الهوى وتجلُّدِيْ ... والـدمْـعُ أمْـطـر فـي الـجـفـون وأثْـلَـجَـا
يـا أيـهـا الـقـمـرُ الـذي الـقـمـرُ الـذي ... مِـن صُـدْغِـه مَـن صُـدغُـه لـيـلٌ سـجَـا
حتَّى مَ يلْحاني عليك سفَاهةً ... مَن ليس يَدرِي ما الهوى وَتبَهْرجَا
جُدْ بالوِصال فإنَّ لي بك مَدْخَلاً ... لم يُبْقِ لي عن حُسْنِ وجهك مَخْرَجَا
مَن لي بمن فضَح البدورَ مَلاحةً ... وبـطَـرْفِـه فـتـن الـغـزالَ الأدْعَـجَـا
فاضتْ مياهُ الحسْن في أعطافِه ... والـجـسـم أزْبَـد فـوق رِدْفٍ مَـوَّجَـا

وقوله: [م. الرجز]

يـا قَـدَّه مـا أزْشـقَـكْ ... يـا خَـدَّه مـا أشْـرقَـكْ
وأنـتَ يـا نـاظـرَه ... جـلَّ الـذي قـد خـلـقَـكْ
تُـرسـل نـحـوي أسْـهُـمـاً ... هـل كـان قـلـبـي دَرَقـكْ[2]
يـا أيـهـا الـعـاذلُ فـي ... هـواه مـاذا أطْـرَقـكْ

(١) الإبريز: الذهب الخالص. اللسان، مادة (برز).
(٢) الدرق: ترس ليس فيه خشب ولا عصب. اللسان، مادة (درق).

Marfat.com

أفْـحَـشْـتَ فـي لَـوْمِـك لـي ... أكْـثـرتَ فـيـنـا حَـنَـقَـكْ[1]
تـحُـوم حـول حُـسْـنِـه ... مـا تـخْـتَـشِـي أن يـحـرقَـكْ
بـالله قِـفْ يـا أمَـلـي ... إنَّ فـؤادي عـلِـقَـكْ
ومِـلْ أيـا مَـعـطِـفَـه ... سـبـحـان مـن قـد مَـشَـقَـكْ
لـكَـم أُنـادِي الـدمـعَ يـا ... دمـعِـي أقـفْ مُـغـرَوْرَقَـكْ[2]
وأُنـذِرُ الـقـلـبَ الـهـوى ... يـا قـلـبُ هـذا سـرقَـكْ
صَـبْـرِي قـضَـى ومـا قـضَـى ... مـنـك الـمُـنَـى مَـن عـشِـقَـكْ
دعْ عـنـك ذا الـهَـجـر وجُـدْ ... بـحـقّ مَـن قـد خـلـقَـكْ

وقوله: [السريع]

يـا قـمـراً يُـزْرِي بـشـمـس الـفـلَـكْ ... كـلُّ جـمـالٍ وبَـهـاء فـلَـكْ
مـلـكْـتَ قـلـبـي فـتـرفَّـقْ بـه ... مـا أنـت فـي حـسـنِـك إلا مَـلَـكْ
الـلَّـهَ الـلَّـهَ بـنـا يـا رشَـا ... فـإن قـلـبـي فـي الـهـوى قـد سـلَـكْ
أرسـلْـتَ لـي طَـيْـفـك تـحـت الـدُّجَـى ... يـا طَـيْـفُ حـيِّـى الـلَّـهُ مـن أرسـلَـكْ
مَـولايَ مـا ذنْـبـي إلـيـك اتَّـئِـدْ ... فـي قـتْـلـتـي مِـقْـدار أن أسـألَـكْ
إن كـنـت لـي أضـمـرتَ غَـدراً بـلا ... ذنـبٍ وحـقّ الله مـا حـلّ لَـكْ
اعـطِـفْ عـلـيـنـا وتـرفَّـقْ بـنـا ... وافـعـلْ جـمـيـلاً بـالـذي جـمَّـلَـكْ
قـد ذُبْـتَ يـا قـلـبـي عـلـيـه جَـوىً ... وَيْـحـك يـا قـلـبُ أمـا قـلـتُ لَـكْ
وأنـت يـا نـاظـر عَـيْـنـي اتَّـئِـدْ ... إيّـاك أن تـهْـلِـك فـيـمَـن هـلَـكْ

ومن نُتَفه قوله: [الطويل]

وروضٍ بَدا فيه الشقيقُ مقَهْقِهاً ... يُـشـاكِـلُـه خـدُّ الـحـبـيـب الـمُـورَّدُ
فقال له المعشوقُ يوماً وقد سرَتْ ... عـلـيـه الـصَّـبـا حـتّـى غـدا يـتَـبَـغْـدَدُ
سرقْـتَ خُـدودِي ثـم زَوَّرْتَ شـامَـتِـي ... ومـا ذاك إلا أن قَـلْـبَـك أسْـوَدُ

وقوله في بركة ماء: [السريع]

وبـركـةٍ تـذْهَـل الـعـقـولُ بـهـا ... تَـحـارُ فـي بـعـض وصْـفِـهـا الـفِـكَـرُ

---

(١) الحَنَقَ: الغيظ. اللسان، مادة (حنق).
(٢) المغرورق: اسم فاعل من اغرورقت عيناه امتلأتا بالدمع. اللسان، مادة (غرق).

Marfat.com

كـأنـهـا مُـقـلـةٌ مُـحـدَّقـةٌ عَبْرَى من الوجد نالَها السهرُ
تبكي وما فارقتْ لها وطناً يوماً ولا فات أهْلَها وطَرُ
يا حُسْن أُنْبُوبها لِصحَّتِه والماءُ يعلو به ويَنْحدرُ
كصَوْلَجانٍ من فضةٍ سُبِكتْ فواقعُ الماء تحتها أُكَرُ

والبيتان الأخيران مُضمَّنان.

ووقع لابن ظافِر، أنه دخل في أصحاب له يعُودون صاحباً لهم، وبين يديه بركةٌ رَقَّ ماؤُها، وصحَت سماؤُها.

وقد رُصَّ تحت دساتيرها نارَنْج فضَح الخُضَّار، وملأ بالمحاسن عيونَ النُّظَّار، فكأنما رُفعت صَوالجُ فضة على كُراتٍ من النُّضار.

فأشار الحاضرون إلى وصفها، فقال: [الكامل]

أبْدعْتَ يا ابنَ هلال في فَسْقِيَّةٍ جاءتْ محاسنُها بما لم يُعْهَدِ
عجباً لأمْواهِ الدَّساتِير التي فاضتْ على نارَنْجها المتوقِّدِ
فكأنَّهنَّ صوالجٌ من فضةٍ رُفعتْ لضَرْبِ كراةٍ خالصِ عَسْجَدِ[1]

وله: [الكامل]

كتب الجمالُ بطِرْسِ وَجْنتِه لنا سطراً به مُحِيَ الجمالُ المشرِقُ
فكأنما ذا أمْرُ سلطانِ البَهَا وَافَى لمَن يهْوَى ومن هو يعشقُ
تَقْرَا العيونُ على القلوبِ رسُومَه يا قومَنا خرَج الوِطاقُ تفرَّقُوا

وله: [الكامل]

وصديقةٍ وافَيْتُها مُتنزِّهاً ورؤُوس نَرْجِسِها طوارِق حُرَّكُ
والأقْحُوانُ يظلُّ يركع بالضَّبا فكأنما هو عابدٌ متنسِّكُ
فجلستُ بينهما كأني سُخْرةٌ هذاك يغْمِز ذا وهذا يضحكُ

ومن مقطَّعاته قوله: [الكامل]

خاطبتُ مَعْسول الرُّضابِ وقلت هل من رَشْفةٍ تشفِي الحشَا بشفائِها
فأجابنِي والثغرُ منه باسمٌ ما كلُّ بارِقَةٍ تجودُ بمائِها

ومن رُباعيَّاته قوله: [الدوبيت]

(١) العسجد: الذهب ا هـ. لسان العرب، مادة (عسجد).

Marfat.com

خُذْ حِذْرَك من عيونه يا قلبُ لَمّا يَزُنُو فإن هذا حَرْبُ
والعشقُ على النفوسِ سهلٌ صعبُ لا يعرف كيف الحالُ إلا الرَّبُ

وله:

لا تحسَبُوا شامةً في خدِّه طُبِعتْ هاتيك حَبَّةُ قلبٍ زادَه حُبّا
فدَبَّ ينْقُلها نملُ العذارِ له والنملُ من شأنِه أن ينْقل الحَبّا

أخذَه من قول بعضهم: [الطويل]

عوارضُه تسْبي العقولَ بحُسْنها وتنقُل حبَّاتِ القلوب نِمالُها

وأنشدني السيد سليمان الحَمَوِيّ، من لفظه لنفسه في هذا المعنى، وقد أحسن: [السريع]

وأَغْيَدٍ أفرط في تِيهِهِ حتى رأينا منه شيئاً عُجابْ
فأطْلَع اللّهُ له عارِضاً أمْطر خدَّيه أليمَ العذابْ
كأنْملٍ في التشْبيهِ لكنه نملٌ بدا ينقُل حبَّ الشبابْ

وله: [م. الكامل]

يا قلبُ صبْراً في هوَى من لم تَرُعْه صَبْوتُك
وأنت يا ناظرَه إنْ هي إلاّ فِتْنَتُك

وله: [الوافر]

[وذي] خدٌّ تعلَّق فيه قلبي فأحرق خدُّه قلبي بنارِ
وخافَ على الجمال يفِرُّ منه فقيَّده بسِلْسِلة العِذارِ

أحسنُ منه قولُ ابن سعيد الغِرْنَاطِيّ، في الخال: [السريع]

كأن خالاً لاح في خدِّه للعين في سِلْسِلةٍ من عِذاز
أسَيْوِرٌ يخْدِم في جَنَّةٍ قَيَّده مولاه خوفَ الفِراز

ومن قوله: «وخاف على الجمال» إلخ، تذكَّرت قولَ أحمد بن شاهين، في مناقضته: [السريع]

مذ نبَت العارضُ في خدِّه بُدِّلت الحمرةُ بالاصْفراز
كأنما العارضُ لمّا بدا قد صار للحسنِ جَناحاً فطاز

وبلغه أنه عيب عليه استعمالُ التكْرار في شعره، فقال:

Marfat.com

أعِيبَ تَكْرارُ لفظِ نظْمي ... والنظمُ من ذاك ما تُعَزّ
وأطْربُ النَّغْمةِ المَثانِي ... وأحسنُ السُّكْر المُكرّ

وله: [الخفيف]

قد أبختُ الخدودَ منه ودادِي ... فَرَمتْني الخدودُ في نارِ يَاسِي
وبَقي ذلك العذارُ حَماه الـ ... ـهُ حتى انتصفتُ من وَسْواسِي
صدق الناسُ ليس للوردِ وُدٌّ ... إنما الوُدُّ كلُّه لِلآسِ

نِسْبَتُه عدمَ الودِّ للورد بسبب قلّة مُكْثه، ونسبةُ الود للآس بسبب دوام لُبْثه.

وهذا مستَعمل في الأشعار كثيراً، كقول ابن زَيْدون[1]: [م. الرمل]

لا يكُنْ وُدُّكَ وَزْداً ... إنَّ وُدّي لك آسُ

وله: [السريع]

شبَّهْتُه بالغُصْنِ بين الرُّبَى ... ووجهه بالزَّهْرِ مُنْفضّا
فأصبح الغصنُ له مُطْرِقاً ... والزهرُ من فَرْطِ الحيَا غَضّا

وله في زهر البَلَسان: [الطويل]

وأشجارِ بَلَسانٍ بها لعب الصَّبا ... فبهْجَتُها بين الحدائق مُفْرِطَهْ
كأن بياض الزَّهر فوق غُصونِها ... كُفوفُ لُجَيْنٍ بالنُّضارِ مُنقَّطهْ

وله: [الكامل]

لمَّا تكاملَ حسنُه وجمالُه ... وزهَى كغصنٍ بالدَّلالِ رشيقِ
نزل العذارُ على الخدود كأنه ... طَلُّ الزَّبَرْجَدِ في رياضِ عَقيقِ

وله: [الطويل]

شكا لي نسِيمُ الروضِ ضَعْفاً أجَبْتُه ... وقلبِي بأثقالِ الغرامِ كليلُ
أعَلَّك غصنٌ عَلَّني صَدُّ مثلِه ... إذاً فكِلانَا يا نسيمُ عَلِيلُ

وله مضمّناً: [الطويل]

أدار علينا الكأسَ ظَبْيٌ مُهَفْهَفٌ ... قطعْنا الدُّجَى وَصْلاً به نتنعَّمُ
وغنَّى على النَّايِ الرَّخيمِ مُشبِّباً ... فنحن سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ

---

(١) ديوان ابن زيدون: /٨١/.

Marfat.com

مثله للشِّهاب الخَفاجِيّ: [الطويل]

لنا مجلسٌ فيه من اللهوِ مُطْربٌ ... وآدَابُنا ما بينه تترنَّمُ
ونايٌ يُناجِينا بأسْرارِ ربِّنا ... ونحن سكوتٌ والهوى يتكلمُ

وله في أزمَد: [البسيط]

يا قومِ لا تَحسبوا في عينهِ رمداً ... لقَد ألَمَّ بنا من قولكمْ ألَمُ
ماذا سوى أنه مذ رام يقْتُلني ... رَنَا إليَّ فأغْضى والسيوفُ دَمُ

مثلُه للصَّلاح الصَّفَدِيّ: [البسيط]

أيْقظْتُه من كَراه بعد ما رمَدتْ ... عيْناه لا مَسَّها من بعدها ألَمُ
قد زُرْتُه وسيوفُ الهند مُغْمدةٌ ... وقد نظرتُ إليه والسيوفُ دَمُ

وله، في مليح اسمه عثمان، وفي يده شمعة: [الكامل]

بأَبِي مليحٌ لاح يحملُ شمعةً ... في كفِّه ليلاً فَراقَ لعيْني
لمَّا بدا وأضاءَ نورُ جمالِه ... قلت انْظروا عثمانَ ذا النُّورَيْنِ

ولابن المُعْتَزّ في مثله، بيده شمعتان: [الكامل]

وافى إليَّ بشمعتين ووجهُه ... بضِيائه يزهو على القمرَيْنِ
نادَيْتُه ما الاسمُ يا كلَّ المُنَى ... فأجابَنِي: عثمان ذو النورَيْنِ

وكان السيد عبد الرحمن بن النَّقِيب أطْلَعه على دُعابة لبعض الأندلسيِّين، فعمل على أسلوبها مَقامةً، وهي هذه: [الكامل]

وأنا الذي أهْدَى أقلَّ بَهارِهِ ... حُسْناً لأحسنِ روضةٍ مِئْنافِ[1]

إن أحْلَى ما تُمزَج به كؤوسُ المودَّة، وأعْطَر ما تستنْشِقه مَشامُّ الخواطر المستعِدَّة، خبرٌ له الطَّربُ مُبتدأ، وحديث ترويه عن القريحة مُسْنَداً.

وذلك حين اسْتُفزَّت هوامِدُ السرور، وتغنَّى في دَوْحة الأنس كلُّ بُلبل وشُخرور. [الكامل]

وتنبَّهتْ ذاتُ الجناحِ بشُخرةٍ ... في الواديَيْن فنبَّهتْ أشواقِي
وأنا الذي أمْلِي الهوَى من خاطرِي ... وهي التي تُمْلِي من الأوراق

(١) البهار: كل شيء حسن منير. اللسان مادة (بهر).
روضة أُنف: أي لم يرعها أحد. اللسان، مادة (أنف).

Marfat.com

حتى خرجت أسواق مَطايا الأسى، لأبِيع كافورةَ الصُبْح وأشتريَ عنبَرَ المسَا.

[الكامل]

والـصـبـحُ قـد أهـدَى لـنـا كـافـورَهُ لـمّـا اسـتـردَّ الـلـيـلُ مـنّـا الـعـنْـبَـرَا

قاصداً ادْراعَ حُلَلِ اللهو، إلى حَوْمة الطرب والزَّهْو.

ومتحرِّشاً بأذْيال البُكور والأصائل، ومُعْتبِراً بقول القائل: [السريع]

بـاكِـرْ إلـى الـلـذاتِ واركـبْ لـهـا سـوابـقَ الـلـهـوِ ذوات الـمـراخ

من قبل أن تزْشِفَ شمسُ الضُحَى زِيـقَ الـغَـوَادي مـن ثُـغـور الأقـاح[1]

فبينما أنا كذلك وإذا بشقيق شفيق، ورفيقٍ هو بي في سائر الأمور رفيق.

فأقْبل عليَّ إقبالَ الكرام، وقد لمَعت بالبشِر صفحاتُ وجهِه بعد أن حيَّا بالسلام.

[المنسرح]

تـشـربُـه الـرَّاح وهـو يـشـربُـهـا يـطـربُ مـن حـسـنِ وجـهِـه الـطَّـربُ

فسألتُه في المُسايرة والمُنادمة، وحَثَثْتُه على المسامرة والمكالمة.

فأسْفَر وجهُه عن شموسِ الفرح، ونال ابتهالاً وابتهاجاً بنسَمات المسرَّة والمرَح.

وقال: مرحباً بقولك المسموع، ورأيِك الذي اتَّفقتْ عليه الجُموع. [الخفيف]

لِدَواعِي الـهـوى وحـكـمِ الـخـلاعَـهْ ألـفُ سـمـعٍ لا لـلـوقـارِ وطـاعَـهْ

فسِرْنا حتى أتيْنا مُنْتزهاً رَحْبَ الأكْناف، متناسِق النعوتِ والأوْصاف. [السريع]

نـسِـيـمُـه يـعـثـر فـي ذَيْـلِـهِ وزهـرُه يـضـحـكُ فـي كُـمِّـهِ

فوجدناه ذا ظِلٍّ ظليل، وماءٍ أعْذبَ من السَّلْسبِيل.

أشجاره ثابتة، وأغصانُه نابتة. [الخفيف]

نَـهْـرُه مـسـرعٌ جـرى وتـمـشَّـتْ فـي رُبـاهُ الـصَّـبـا قـلـيـلاً قـلـيـلاَ

تصْدَح حمائمهُ، وتسرح نسائمهُ، وتنفَح كَمائمُه. [البسيط]

ولـي مـن الـوُرْق فـي أوْراقِـهـا طَـرَبٌ كـأنّـهـن عـلـى الـعِـيـدانِ قَـيـنـاتُ

فصعدنا منه إلى قصير مَشِيد، مُتزَخْرِف الجوانب بألْوان الأطْلية وأنواع الشِّيد.

فيه الغُرَف الرفيعة ذاتُ التزيين، والمقاصِير المصنوعةُ لقاصِرات الطَّرْف عِين.

[الوافر]

---

(١) الأقاح: مفردها: الأقحوان: من نبات الربيع، مغرَّض الورق، دقيق العيدان، له نَور أبيض، كأنه ثغر جارية حدثة السن، وهو البابونج. انظر لسان العرب، مادة / قحا/.

Marfat.com

وإيـــوان يـــقـــول لـــمـــن يـــراه عـلـى قَـذرِي وفـوق الـكُـلِّ أشـرِفْ
ألـم تـرَ أن طـيـرَ الـعِـزِّ أضـحـى يـحُـوم بـسـاحَـتِـي وعـلـيَّ رَفْـرَفْ

وقد ظَلَّتْ شَبابِيكُه على تلك الأرْجاء المُونِقَة، والجداول المتدفِّقة.

وأرضُه مفروشة بأفخر الوَشْيِ والدِّيباج، وقد أُطلِقتْ فيه مباخرُ الطِّيب فزاد في الابْتهاج. [الطويل]

حوَى عجباً لم يخوِه قطُّ مجلسٌ على أنه في الحسنِ أُعجوبةُ الدهرِ

فجلستُ أنا وصاحبي على تلك الأريكة الممْنُوعة، والفُرُش المَرفوعة.

نتناشد الأشعار، ونتشبَّث بأذْيال الأفكار. [الكامل]

وحـديـثـه الـسـحـرُ الـحـلالُ لَـوَ انَّـه لم يجْنِ قتلَ المسلمِ المتحرِّز[1]
إن طال لـم يُمْلَلْ وإن هي أوْجزَتْ وَدَّ الـمـحـدَّثُ أنـهـا لـم تُـوجـزِ

ولم نزَلْ رافِلين في غلائل المسرَّة، ومتنَعِّمين بلطائف الأُنس على أوج هاتيك الأسرَّة.

حتى عُدْنا وقد شمَّرت الشمسُ لمغيبها الذيل، واصْفرَّ وجهُها خوفاً من هَجْمة عساكِر الليل. [البسيط]

الـشـمـسُ هـابـةٌ لـلـغَـرْب دارِعـةٌ بالنَّبْل مصفَرَّةٌ من هَجْمة الغَسَقِ

وقد ظهر الهلالُ في حمرة الشَّفق، كحاجِبِ الشائِب أو زَوْرق الوَرِق: [الخفيف]

لا تـظـنَّ الـظـلام قـد أخـذ الـشَّـمْـ ـسَ وأعـطـى الـنـهـار هـذا الـهـلالا
إنـمـا الـشـرقُ أقْـرضَ الـغـربَ دِيـنـا راً فـأعْـطـاه رَهْـنَـه خَـلْـخـالا

وبينا أنا راجعٌ مع صاحِبي في أُخْرَيات الطريق، وإذا برفيقٍ لي وهو على الحقيقة رفِيق.

فاعترضني وقال لي: أين كنت، ومن أين توجَّهت.

فقلت له: كنت مع صاحبي، الذي هو هذا اليوم مصاحبي،

في مُنْتزه هو فضاءُ الأرض، ذات الطُّول والعَرْض: [الكامل]

وصـدَقْـتُـه فـي كـل مـا حـاولْـتُـه مـمـا تـقـدَّم فـي الـكـلام الأوَّلِ

وغَيْمُ ذلك الفَضا هو الظلُّ الظَّلِيل، وغَيْثُه المُنْهمِر هو الأعْذَب من السَّلْسَبِيل.

وأشجارُه هي حبالُ الأمطار، وحمائمُه الصادحةُ أصوات الرعدِ في جوانب الأقْطار.

---

(١) ديوان ابن الرومي ٦٦ .

Marfat.com

وكمائمه حَبُّ البَرَد، ونسائمُهُ المعلومة فيما ورد.

وما ذلك القصرُ الموصوف، سوى جُبَّتي هذه وثوبي هذا الصُّوف.

والشَّبابيك جُيوبُه وأطواقُه، ولا عجب أن نَفحت فيه مباخرُ الطِّيب فإنها قراطيسُه وأوزاقهُ.

وبالقياس على هذا تأويلُ ما بقي من العبارات السابقة، والإشارات المتلاحقة.

وبذلك انتهى الكلام، وتم ما قصدناه من الدُّعابة والسلام.

والدُّعابة التي أطْلعته عليها هي هذه: [البسيط]

لابُدّ للنفس أحياناً إذا سئمتْ ... أن تستريحَ إلى الآدابِ والمُلَحِ

فَخُضْ بها من أحاديث النِّدام إذا ... أعْيَتْ مذاهبُها في كلِّ مُقْتَرَحِ

وهاهنا نزْعَة يختلف إليها النَّديم، ويغتلق بها الطبعُ السَّليم.

وذلك أني طُفْت الجنان، وبَلوْت الفروع والأغصان.

فلم أرَ مثلَ نبْعَة، في خير بقُعة.

حَسنة البِزَّةِ، يانعة الهِزَّة.

دَوْحُها مُغنٍّ، وطَيْرها مُرِنّ. [الطويل]

يُطارحني من بينهن ابنُ أيكَةٍ ... هتوفُ الضُّحى بعد العشيَّة مِزْنانُ

أجاذبُه هُدبَ الغرام وفي الحشا ... نزوعٌ إلى ذكر الأحبَّة حنَّانُ

فأسمعني خطابَه، وفرَّغ لِي وِطابَه.

فقلت: ما هذا الفَنَنَ، وعلى مَ هذا الشَّجَن.

فقال: أما الفنَن فمِنصَّة، وأما الشجْن فعن غُصَّة.

فتلكَّأتُ عنه تلكُّأَ الشَّاك، وقلت: مَن وَشاك.

فقال: لبستُ مُلاءةَ الربيع، وكتمتُ الغرامَ لو أستطيع.

فقلت: لأمرٍ ما خطبتْك الغِيد، وأعارتْك حُلَى الجِيدِ.

فقال: بل مَوَّهْتُ النُّحول، وأخفيْتُ عنوانَ الذُّبول.

وأما ما أحاط بالمُقلَّد فوَثاق، وقد تظرَّف مَن طبَع أغلال الهوى على قوالب الإطباق.

فلما نَعِمتُ بمُطارحتِه، ونَهِمْت بمفُاكهته، سايرْتُه بأرْسانه، وقاوَلْتُه بِلسانِه.

وقلت: إيه، فيما نحن فيه.

Marfat.com

غُضْن نضير، ووادٍ عطير.
روضُه حَزْن، ونسيمُه لَدْن.
وماؤُه صاف، ونديمُه وَصّاف.
فزِدْني من نِدامك، وأَصِخْ لَتَرْنامِك.
ففي أي الحالتين تُفيض، فلا بعدك مَعْبَد ولا دونك غَرِيض.
فقَهْقَه ورجّع، ثم أنشد فأسمع: [الخفيف]

خُذْ بنا في محاسِن الأوصافِ ... فهي نَقْلٌ ما بين أيدي الظِّرافِ
وانْتخبْ للنِّدامِ كلَّ حديثٍ ... من قِصارِ الفصول داني القطاف
يتمنَّى الجليسُ عمرَ مُعاذٍ ... لتلقِّي مُعادِه الشفَّافِ
واقْتحمْ لُجَّةَ القَريضِ بفكْرٍ ... ينْتقي الدُّرَّ في حَشَا الأصْدافِ
وتنَقَّلْ من الدُّعابَةِ للْجِدِّ ... وخَيِّمْ حيث المعاني اللِّطافِ

فلما أتى بِنَقْل قَرِيضِهِ، وألْمَع إليَّ بتغريضه،
ناب إليَّ أن أمْتخِض الفكر، وأكشِف قناعَ البِكْر. [الطويل]

فأبرزْتُها عذراءَ في زِيِّ غادةٍ ... تُزَفُّ على وجهِ الدُّعابةِ والهزْلِ
وما تَمَّ إلاّ نَبْعةُ الشعرِ نَبْعةٌ ... يَرِنُّ بها طيرُ الفصاحةِ والنُّبْلِ

[بيت الفرفور]

بيتٌ فضلُه موفور، وذنبُ الزمان بأهله مغفور.
وقد خرج منه جماعة أجِلاّء، فضلهم أبهر من النجوم السيَّارة وأجْلى.
فمنهم:

٧٣- احمد بن وليّ الدين

الأديب الأريب، واحدُ الخِبْرة والتَّجْريب.
نظم الشُّهب في الكتب، ورفع النُّقُب عن أسرار الحِقَب.

٧٣- الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمود، المعروف بابن الفرفور، الفقيه، الأديب، الحنفي، الدمشقي.
ولد بدمشق، وقرأ بها على عبد الحق الحجازي وعلى غيره، وكانت له مشاركة جيدة في الفقه

Marfat.com

وهو من كل المشارب شارب، وفي كل المسارب سارب.

فطوراً له طورٌ لِجدٌ مُدافعٍ ... ووقْتاً له سَمْتٌ لهزلٍ مُجانبُ
ولله منه جانبٌ لا يُضِيعُه ... وللّهْو منه والخلاعةِ جانبُ[1]

واتَّفق أن ضرب الدهر على صِماخيْه بِصمام من الصَّمَم، فزاده ثِقَل تلك الحاسَّة خفَّة تُنشِط الرِّمم.

فما برح يشرب صِرْف الهنا من أذنانه، ويهصِر غصنَ المُنَى في أفنانه،

حتى أثَّرت في ذوائبه أفاوِيفُ الشيْب، ودعاه الدّاعي الذي لا يعترِض إجابتَه الرَّيْب.

وهو شاعر لشعرِه حظٌّ من الحسن، كأنما تُغازله الجفونُ الوُسْن.

أثبتُّ له ما يهِيج الطرب، ويحلْو في الأفواه كما يحلو الضَّرَب.

فمن ذلك قوله في مراجعة العِمادِيّ المُفتِي، وقد كتب إليه قصيدةً، لم أر منها إلا قولَه: [م. الرجز]

مَن لي بظَبْيٍ كُحِّلتْ ... أجفانُه بالسُّقَمِ
يفترُّ عن ثغرٍ بَدا ... عذْبَ المَثَنايا شَبِمِ[2]
أجْرى دموعي في الهوى ... كمُعْقِدات الدِّيَمِ
وسَلَّ سيفَ لَحْظِه ... وهزَّ قَدّاً لَهْذَمِ
واختال في ثَوْب الصِّبا ... يسْحب كلَّ مُعْلَمِ
مصائبٌ ما جُمِّعتْ ... إلا لقتْل المُغرمِ
يا قاتلَ اللهُ الهوى ... بدِّل دمعي بالدمِ
فكم له في خَلَدِي ... سرائِرٌ لم تُعلَمِ

وهذا ما رأيته في جوابه: [م. الرجز]

= وغيره، ودرس بالقضاعية الشافعية، واتفق أن الدهر ضرب على صماخيه بصمام الصمم، فكأن ثقل تلك الحاسة زادته خفة فكان لا يجتمع إلا ببعض إخوان ألفهم وألفوه، وخلا بنفسه واشتغل بما هو الأهم من أمر معاشه ومعاده، وكان له ما يقوم به من وقف أجداده، وتعانى النظم وكان أكثر ما يميل طبعه إلى الأحاجي، وله في عملها وحلها اليد الطولى.
وكانت ولادته في صفر سنة أربع وثمانين وتسعمائة، وتوفي في المحرم سنة سبع وثلاثين بعد الألف، ودفن بتربتهم الملاصقة لضريح الشيخ أرسلان. ا هـ. خلاصة الأثر (١/ ٢٩٩).

(١) البيتان من: العقد الفريد (٣/ ١٢).
(٢) شَبِم: يقال ماء شبم: أي بارد. اللسان، مادة (شبم).

Marfat.com

دُرٌّ سَمتْ في القِيَم وسُمِّيت بالكَلِمِ
أم روضةٌ دامتْ علـ ـيْ ـها هاطلاتُ الدِّيَمِ
فلاح منها نُورُ ثَغْـ ـرِ نَوْرِها المبتسمِ
أم غادةٌ قلبي كَلِيـ ـمُ لَحْظِها المكلِّمِ
من بَيْضها وسُمْرِها في الطِّرْس قَتْلُ المغرَمِ
حيَّتْ فأحْيت بالـلُّقا قلباً إليها قد ظَمِي
لِمْ لا ومُهديها كريـ ـمٌ لكرامٍ ينتمِي
ألْفاظُه كالسحرِ إلاَّ أنها لم تحرُمِ
مُهذَّب أخلاقُه بحُسْن تلك الشِّيَمِ
كنَشْرِ روضٍ قد سرَى غِبَّ حَيا مُنسجِمِ

وكان بينه وبين أحمد بن شاهين صحبة وُدُّها شَرْع لا يُنسَخ، وعهْدها عَقد لا يُفسَخ.

وكلاهما من أول مَرْباه، كالغصن يترنح في رُباه.

متعاكفان على تعاطُف وائتلاف، ومتعارفان عن تهارُج واختلاف.

فعلِقا فتى ألْحَم بينهما بسِحْرِه الأُلفة، وأماط فيما بينهما حجاب الكُلفة.

وبقيا سِنين مُتلازمَيْن تلازمَ الدليل بالمدلول، والعلةِ بالمعلول.

ومتَّصلَيْن اتِّصال الأرواح بالأشْباح، والمساء بالصباح.

حتى اكْتسى خدُّ الفتى بالعِذَار، وطلع الشيبُ في عوارضِهما مُتْهماً بالإنْذار.

هناك تيقَّظ الفُرْفُورِيّ من سِناته، وعَدّى عما كان فيه من هَناتِه.

وكتب إلى الشَّاهِينيّ: [الوافر]

ولـمَّا أن بدا شَيبٌ بفَوْدِي خلُصتُ من الصبابةِ باختيالِ
وصرَّفتُ المحبة كيف شاءتْ كأن الحبَّ لم يخطُر ببالِي
فأحسنُ ما يُقال بأن قلبي سلا يسلُو سلُوّاً فهو سالِي

فكتب إليه قصيدة هزَّ بها إلى رَغْي حقوقه، واستدْفاع عقوقه.

وموافقته فيما إليه جَنح، متيمِّناً بما إليه طيرُ رَشادِه سنَح.

سيَّما وقد تبيَّن الرشدُ من الغيّ، وصار النشرُ إلى الطِّيّ.

Marfat.com

والقصيدةُ المذكورة، من أحاسن أشعاره المشهورة، إلا أنها طويلةٌ جدّاً، فاقتصرت من وابِلها على الطَّلّ، واكتفيتُ عن أكثرِها بالأقلّ. ومطلعها: [الكامل]

أقصيدتي مُورِي بجَهْدك مُورِي ... وتَيَمَّمِي خِذْنَ العُلى الفُرفُورِي
يا ألفَ مولايَ ولستُ بقائلٍ ... غيرَ الصوابِ لصاحبي وسميري
ما لي أراك مُفرِّطاً في صُحبتي ... فكأنني عِقْد بكفٍّ صغيرِ
خفِّض عليك فلستَ أوّلَ قاذفٍ ... من جوِّ شاهِقَةٍ لجوْف شَفِيرِ
أوَقد زعمتَ بأنني مُتهالكٌ ... في إثرِ روض ليس بالمَمْطورِ
ما الروضُ فيما قد حوينتَ مُحتَّمٌ ... كلاّ ولا للغيْرِ فضلُ خَضِيرِ
هيَ دِمْنةٌ خضراءُ لم يأنَسْ بها ... ريم وليس سَرابُها بعبيرِ
أنّى تقول ولا أخالُك قائلاً ... العَيْرُ عَيْرِي والنَّفيرُ نفيرِي
صدقتْ بناتُ الفكر فيما ألّفتْ ... إن العَباءةَ عندكم كحَبِيرِ
ما للفِراسةِ لم تُصدَّق فيكمُ ... والألْمَعيَّةِ لم تُعَنْ بنَصِيرِ

ومنها، وهو محلّ الشاهد:

فوَحقّ سَلْوتِيَ التي قد أصبحتْ ... بَرْداً علىّ كبدي لكل عَسِيرِ
هذا فؤادي مِلْءُ صدري حُزْنهُ ... وافَى بِجَفْن في السُّلُوّ قريرِ
ومَناكِبي أمْسَتْ تلاثم مضْجعي ... ثم ازْعَويتُ فما استعنْتُ زفيرِي
وغدوتُ أضحك مِلْءَ فِيَّ تعجُّباً ... حين استَمرّ على البِعاد مَرِيرِي
وتصافحتْ يُمْنايَ باليَسَر التي ... قد كانتا في غِلّ خيرِ خبيرِ
وتبدَّلتْ عيْنايَ أحسن مَنظراً ... وهي الصحائفُ في دُجىً وبكُورِ
للهِ أنتَ وما صنعتَ فإنما ... أنقذْتني من هُوَّةٍ وسعيرِ
وكذاك ينْجُو ذو الصداقةِ في الهوى ... وكذا بذنْبٍ يثْنِني مغْفورِ

٧٤- ولده عبد الوهاب

المفتي بحَقّ، والسّامي على رُتبةٍ هو بها أحَقّ.

٧٤- عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن عبد الله بن محمود الفرفوري، الدمشقي، الحنفي.
مفتي الشام، وأحد الفضلاء المبرزين، كان فقيهاً، وجيهاً جليل القدر، سامي الرتبة، قوي الحافظة، طويل الباع، وله أدب بارع، ومحاضرة جيدة. اشتغل في مباديه على الشيخ عبد =

Marfat.com

فقيهُ المذهب النُّعمانِي، ومن توفَّرتْ له في الشهرة الأمانِي.

فأُشير إليه بالجلال، وأُثْنِيَ عليه بكرَم الخِلال.

لم يزَل يصِلُ في الجِدِّ الليلةَ باليوم، ويغْتاض في الاشتغال السهرَ من النوم.

ويُنفق من الزَّاد، فيخْزِن في الفؤاد.

والعلم كما عرَفتَ بعيدُ المَرام، لا يُرَى في المنام، ولا يُورث عن الآباء والأعمام.

حتى بلغ مبلغاً يقصُر عنه أمَلُ المتطلِّع، وحلَّ محلاً تنْقطع دونه رغبة المتطمِّع.

ونزل من القلوب بمنْزلةٍ هي المُصافاة بين الماء والرَّاح، وأوْرد العيونَ الرياضَ وأورد القرائحَ القَراح.

فللنَّواظِر فيه مَرْتَع، وللخواطر منه مُتمتَّع.

وله الأيادِي البِيض، والطَّوْلُ الطويل العريض. [الكامل]

بارَتْ يداه السُّحْبَ فارْتجعتْ عنهـا ووابلُ وَدْقِها وَشَلُ[1]

فالرعْد في أخشائِها قَلِقٌ والبرقُ في حافاتِها خَجِلُ

ثم وَلِيَ الإفتاء فأُدِّيَتْ أمانةٌ إلى أهلها، وجاءتْه النِّعمُ تترَى ولكن على مَهَلِها.

فلم يلبث حتى تضمنَّه ضريحُه، وسَفَتْ عليه رِيحُه.

فلا زالت السحائبُ الحوامل، تضَع مَشْهد قبْرِه كلَّ طلٍّ ووابِل.

وله شعر ليس مثلُه عليه بمُستنْكَر، فالإتيان به غيرُ مُستكْثَر.

فمنه قوله: [البسيط]

قد يُلْبِس الشعرَ شوقي تارةً حُلَلاً كوشْيِ صَنْعاءَ يزهو فوق حَسْناءِ

= اللطيف الجالقي، والشرف الدمشقي، وأخذ الحديث عن الشيخ عمر القارئ. ثم لزم العمادي المفتي، ومال إليه العمادي بكليته فصيره معيد درسه في (صحيح البخاري)، وتخرج في كتابه الأسئلة المتعلقة بالفتيا على الشهاب أحمد بن قولاقسز، وعبد اللطيف المنقاري، ثم لازم ودرس على قاعدة الروم، وفرغ له أحمد بن شاهين عن تدريس الجقمقية قبل وفاته، ثم درس وأفاد وانتفع به جماعة. وتولى النيابة الكبرى مرات متعددة، ونال رتبة الداخل، ولما قدم الوزير أحمد باشا الفاضل إلى دمشق، أقبل عليه كثيراً لما رأى من فضله، فلما ولي الوزارة العظمى صيره مفتياً بالشام.

وكانت ولادته في سنة اثنتي عشرة وألف وتوفي في المحرم سنة ثلاث وسبعين وألف، ودفن بمقبرة أجداده بني الفرفوري، لصيق مزار الشيخ أرسلان. ا هـ خلاصة الأثر (٣/ ١٠٠).

(١) الوشل: الماء القليل يصب من جبل أو صخر قليلاً قليلاً. اللسان (وشل).

Marfat.com

وتارةً ليس شَمْلِي فيه مجتمِعاً ... فيغتريه فتورٌ عند إلْقائِي

وقوله: [الطويل]

دَعِ الحبَّ إن الحبَّ للعقلِ سالبُ ... وعِشْ خالياً فالحب فيه النَّوائبُ
فلا يصْلُحَنْ إلاَّ لمثْلي فإنني ... فتىً دون نَعْليْه السُّها والكواكبُ
فمَن كان مثْلي كان بالحبِّ لائقاً ... وإلاَّ فصَبٌّ بالصبابةِ لاعبُ

وقوله: [البسيط]

إن غبتَ عن ناظِري يا مَن كلِفتُ به ... فما أراك عَقِيبَ الآن في عمرِي
لأنّ عيْنيَ تجري بعد فُرْقتِكمْ ... دماً ويثبعُه ما طُلَّ من بَصَرِي

وقوله من الرباعيات: [الدوبيت]

واللَّهِ وحقِّ مُحكمَات السُّوَر ... ما غبْتَ عن الفؤادِ بل عن بَصَرِي
من منذ غَدوْتُ في هواكم دَنِفاً ... أيامُ نَواكَ لم تكنْ من عمري

وكتب إلى جَدِّي محبِّ الله: [الكامل]

يا مَن أياديهِ سحابٌ ممطِرٌ ... ولديْه حاتمُ في السَّخا لا يذكَرُ
وعليهِ من سِيَما الكرام دلالةٌ ... وشواهِدٌ تبدُو عليه وتظهرُ
طوَّقْتني من راحَتيْك بمِنَّةٍ ... أضحتْ على طُول الليالي تُنْشَرُ
لم أقْضِ حقَّ ثَنائها لو أن لي ... في كلِّ جارحةٍ لساناً يشكرُ

وله: [الخفيف]

أنا واللهِ ما الجفاءُ غرامي ... لا ولا الهجرُ والصدودُ مَرامِي
ولئِنْ غبتُ عنكمُ ففؤادِيْ ... مثلُ ما تعْهدون بل هو نامِي

وله: [الكامل]

للهِ بدرٌ قد حكى بخدودِه ... وردَ الرُّبى وشقائق النُّعمانِ
وبِثغْره زهرَ الأقاحِ مُنضَّدٍ ... وبَقدِّه المَيّاسِ غصنَ البانِ
وبِطيبه طِيبَ الرياض ونَشْرَها ... وبِصُدغه للآس والرَّيْحانِ
وإذا محاسنُه بَدتْ لعيونِنا ... تُجْلَى فلا تحتاجُ للبُستانِ

هذا فيه سِماتٌ من قول جَحْظَةَ البَرْمَكِيّ: [الخفيف]

خِلْتُه في المُعصْفَرات القَوانِي ... وردةً في شقائقِ النُّعمانِ

Marfat.com

أنتِ تُفّاحتي وفيك مع الثُفّا ... حِ رُمّانتانِ في غُصنِ بَانِ
لا أرى في سِواكِ ما فيكِ من طِيـ ... ـبٍ ومن بهجةٍ ومن رَيْحانِ
وإذا كنتِ لي وفيك الذي فيـ ... ـكِ فما حاجتي إلى البستانِ

[بيت القاري]

من البيوت التي تُقلّد فخرَها جِيدَ الدهر، واكتسب النسيمُ بعَرْف ثَراها أرَجَ الزَّهْر.
مدائحهم كصحائف المحسِنين بَياضاً ونَقا، وذِكْراهم كعهد المُوقنين وفاءً وتقى.
فمنهم:

٧٥- عمر بن محمد

علَم فضل وإنْصاف، وشَرَف نُعوت وأوصاف.
افْتَخر به الآباء والبَنُون، وتجمَّلتْ بفضائله الشهورُ والسّنون.
شهرتُه من العلم شُهرةُ القمر ليلةَ بَدْرِه، ومحلُّه من الكمال حيثُ يستمِدُّ كلُّ ذي قدرٍ قدرَه.
عمرَ الله به دارَ ابنِ عامر، وجاد نافعُ نَوالِه فهو لمسْتنْجد عاصِم ولمُجْتديه غامر.
وبالجود تحُوز المدحَ الأفاضل، كما أن الرياضَ تضْدح فيها البلابل.
تحلّتْ بفضائله للعلوم نُحور، وتجلّت له منها وِلْدان وحُور.
سطورُ سُبَح نُظِمت لآليها من الدُرّ النَثِير، إذا رأتها الأنام اشتغلتْ بالتّسْبيح والتكبير.

٧٥- عمر بن محمد بن أحمد، وقيل: عبد القادر بن أحمد بن عيسى، الملقب زين الدين. القاري الشافعي الدمشقي. كان إماماً مفنناً، بارعاً، محدثاً، فقيهاً أصولياً، حسن الرواء، متواضعاً، خلوقاً، جم الفائدة والأدب، طويل الباع، حسن الخط والتقرير.
قرأ العربية والمعاني والبيان على العماد الحنفي، والأصول على أبي الفداء إسماعيل النابلسي، وتفقه على جماعة منهم النور النسفي، وأخذ الحساب عن الشيخ محمد التنوري الميداني، والهيئة عن الشيخ عبد الملك البغدادي، وتلقى الإجازة في الحديث من البدر الغزي والشهاب أحمد بن أحمد الطيبي. وبرع في فنون كثيرة، وانتفع به كثير من الفضلاء منهم أحمد بن شاهين، وإسماعيل النابلسي الصغير، وعبد الوهاب الفرفوري، والسيد محمد بن حمزة النقيب وغيرهم، ودرس بالمدرسة الشامية الجوانية، وكان له بقعة تدريس بالجامع الأموي. ونال جاهاً وثروة بسبب أوقاف انتقلت إليه وانحصرت فيه.
وكانت ولادته في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وتوفي في جمادى الأولى سنة ست وأربعين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير. ا هـ خلاصة الأثر (٣/ ٢٢٣).

Marfat.com

وله أدب توشّعتْ بصَنْعةِ السحبِ وَشائعُه، وبلغ كلا الخافِقَيْن مشهورُه وشائعُه. وهو في القَرِيض قليلُ الكلام، إلا أن كلامَه يُكتَب لتشْريف الصحفِ والأقلام.

فمن شعره قوله: [السريع]

لولا ثلاثٌ هُنَّ أقْصى المُرادْ ... ما اخترتُ أن أبْقى بدار النَّفادْ
تهذيبُ نفْسِي بالعلوم التي ... بها لقد نِلْتُ جميعَ المُرادْ
وطاعةٌ أرجو بإخْلاصها ... نُوراً به تُشرقُ أرضُ الفؤادْ
كذاك عِرْفانُ الإلهِ الذي ... لأجْلِه كان وجودُ العبادْ
فأسألُ الرحمنَ بالمُصطفى ... وآلِه التَّوفيقَ فهْوَ الجَوادْ

هذه الثُلاثيّات نظَم فيها كثير من المتقدّمين والمتأخّرين.

فمنهم ابن صابر القَيْسِيّ، قال: [السريع]

لولا ثلاثٌ هُنَّ واللهِ منْ ... أكبرِ آمالي من الدنيَا
حجُّ لبيْتِ اللهِ أرجُو به ... أن يقبلَ النِّيَّةَ والسَّعْيَا
والعلمُ تحصيلاً ونشْراً إذا ... رَوَيْتُ أوسعْتُ الورى رأيَا
وأهلُ وُدٍّ أسألُ اللهَ أن ... يُمْتعِ بالبُقْيا إلى اللُّقْيَا
ما كنتُ أخْشَى الموتَ أنّى أتى ... بلَ لم أكنْ ألتذُّ بالمَخْيَا

ومثله لأبي حيّان: [الطويل]

أما إنه لولا ثلاثٌ أُحبُّها ... تمنَّيْتُ أنّي لا أُعَدُّ من الأحْيَا
فمنها رجائي أن أفوزَ بتوْبةٍ ... تُكفِّر لي ذَنْباً وتُنْجِح لي سَعْيَا
ومنهنَّ صَوْنُ النفسِ عن كل جاهلٍ ... لئيمٍ فلا أمْشِي إلى بابه مَشْيَا
ومنهنَّ أخْذِي بالحديث إذا الورَى ... نَسَوْا سُنَّةَ المختارِ واتَّبعوا الرأيَا
أأترك نصّاً للرسولِ وأقْتدي ... بشخصٍ لقد بُدِّلتُ بالرَّشَدِ الغَيّا

وكتب مقرّظاً على نظم: [الطويل]

تأمَّلتُ ذا النظمِ البديعِ وما حَوَتْ ... معانيه من حسنِ الصياغةِ والسَّبْكِ
فشاهدتُ رَوْضاً بالفضائلِ مُزهِراً ... وعاينْتُ دُرّاً قد تنظَّم في سِلْكِ

Marfat.com

٧٦- حفيده محمد بن علي

هو من بحْره خَليج، ولرَوْضه عَرْف وأريج.
بأنواره تُحاسَنُ الأقمار، وبأمْداحه تُعطَّر الأنْديةُ والأسْمار.
فهو شِربٌ سائغٌ بلا كَدَر، وسَمَرٌ مُمْتِع بلا سَهَر.
وصِحَّةٌ في نعمةٍ عَقِيب مَرَض، وفَرْحةُ رَام أُصِيب بسهْمه غَرَض.
وله شعر كالزُّلال النَّمِير، إذا صافح الأسمَاعَ تَبسم له القلبُ والضَّمير.
فمنه قوله: [الكامل]

خِلْتُ العيونَ الرَّامياتِ بأسهمٍ ... يَجْرَحْنَ قلباً بالبِعادِ مُعذَّبا
فاعْجَبْ لِلَحْظٍ قاتلٍ عُشَّاقَه ... في حالَتَيْه إذا مضَى وإذا نَبَا

وهذا معنى جيِّد جداً، وهو ينظر من طرَفٍ إلى قول ابن الرُّومِيّ[1]: [الكامل]

نظَرتْ فأقْصدتِ الفؤادَ بسهمِها ... ثم انْثنَتْ عنه فكاد يهيمُ
وَيْلاْيَ إن نَظرتْ وإن هي أعْرضتْ ... وَقْعُ السِهام ونَزْعهُنَّ أليمُ

وقد لطُف الخَفَاجِيّ، وأجاد كل الإجادة في قوله: [الوافر]

سِهامُ جُفونِه أعرضنَ عنِّي ... فأسرعَ فَتْكُها ونما جواها
فيالَكِ أسهُما تُصمِي الرَّمايَا ... إذا قصَدتْ إلى شيءٍ سِواهَا

٧٧- حسين بن محمد

فَرع طاب منه جَنىً ومهتَصر، فلو طلبت ماءَ الحياة لوجدته من صَباحته يُعتصَر.

٧٦- محمد بن علي بن عمر بن محمد، المشهور بابن القاري، الدمشقي، الحنفي. وكان فاضلاً، نبيلاً، شاعراً، لطيفاً، حسن المحاضرة، جيد الخط، له كرم أخلاق، وطلاقة وجه.
قرأ على جده، وعلى المفتي فضل الله بن عيسى البوسنوي، وأخذ العربية عن الشرف الدمشقي، وتفقه بالشيخ عبد اللطيف الجالقي، وأخذ الحديث عن أبي العباس المقري، ولازم المولى عبد الله ابن محمود العباسي. وفرغ له جده عن المدرسة الشامية الجوانية فدرس بها برتبة الداخل، وولي قضاء الحج في سنة إحدى وخمسين وألف، وسافر إلى الروم ونال جاهاً وحرمة بين أقرانه.
وكانت ولادته في سنة إحدى عشرة وألف، وسقط تاريخ وفاته من خلاصة الأثر إلا أنه ذكر أنه دفن بمقبرة باب الصغير. ا هـ خلاصة الأثر (٤/ ٥٤).

(١) البيتان في التمثيل والمحاضرة / ٢١٤/ .

٧٧- حسين بن محمد بن علي بن عمر بن محمد الحنفي، الدمشقي المعروف بالقاري، الفاضل، الأديب الكامل.
نشأ في كنف أخيه أحمد، واشتغل على الشيخ إبراهيم بن منصور الفتال وعلى غيره. وحصل .

Marfat.com

خَلقه الله نُوراً مصوَّراً، وأطلع غصنَ كمالِه غضَّاً منوَّراً.

بوجه يتْبَعه التهليل والتكبير عند شُروقه، وحسنِ أداء يشْربه السمعُ فتدبُّ نشوة الحُميَّا في عروقه.

فـي كـل نـادٍ مـنـه روضُ نَـمـاءِ وبـكـل خـدٌ مـنـه جـدولُ مـاءِ

ووجهُه المشرق بالجمال، يصف ما فيه من أنواع الكمال.

وقد عشق الأدبَ وزهرةُ حسنِه في أول ما انفْتقت عنها الكِمامة، فما ناهَز العشرين إلا وتسامت لوائحُ فكره من أن تساجلَها الغمامة.

فهنالك ما تشاءُ من نوادر مُرتصِفة، وآثار بأحسن القول مُتَّصِفة.

إن خطَّ فنَقْشُ العيد، على مَعاصم الحسانَ الغِيد.

وإن لَفظ فجوهر العقود، وعصير الخمر من العنقود.

إلا أنه لم تلْمحْه المُقَل، حتى اخْتار الملأَ الأعلى فانْتقل.

فقامت النَّواعِي ينْدُبْنَ بدار في أول كَماله خَسَف، ويبْكين غصناً في ابتداء نضْرته قَصَف. [الطويل]

فـحيَّت تُراباً ضَمَّه سُحْبُ رحمةٍ ليـخْضلَّ روضٌ جسمُه فيه موضعُ

فمما اخترته من شعره قوله: [الكامل]

أَفْديه ظبياً بالشراب مُولَّعاً يترشَّف الأقْداحَ وهو الأكْيسُ

فكأنه البدرُ المنير إذا بدَا من نُور طلْعته أضاء المجلسُ

وقوله مضمناً: [البسيط]

بالله سَلْ طَرْفِيَ السهرانَ هل هَجعا وما به الوجدُ والتبْريحُ قد صَنعَا

قد حدَّث الناسُ عن مُضنَى الهوى دَنِفاً وما أصابُوا ولكن شنَّعوا شَنَعَا

يا ابنَ الكرامِ ألا تذْنوا فتبْصرَ ما قد حدَّثوك فما راءٍ كمن سمِعَا

هذا البيت مما أُكثر تضْمينه قديماً وحديثاً، ولا أدري لمن هو. وفيه عَكْس التشبيه، إذ ليس السامع أرْقى حالاً من الرائي، وبه يتم غرَض الشاعر الذي استدلَّ لأجله.

= فضيلة باهرة، وكان يكتسب الخط التعليق المعجب، ودرس بالمدرسة الجهاركسية بصالحية دمشق، واشتهرت نجابته، وكان لطيف الشكل حسن الخطاب، جميل المنظر، طلق اللسان، عالي الهمة على صغر سنه، وطراوة عوده.
وكانت وفاته في سنة سبع وسبعين وألف عن سبع وعشرين سنة، ودفن بمقبرة باب الصغير. اهـ خلاصة الأثر (٢/ ١١٣).

Marfat.com

ومن شعره قوله: [الخفيف]

زار وَهْناً مُرنِّحَ الأعْطافِ ... بعد أن كان مائلاً للخلافِ
كم على صُدْغِه ورَاحِ لَماهُ ... رُحتُ سكرانَ سالِفِ وسُلافِ
صَدَّ ظُلماً ولم يكن ليَ ذنْبٌ ... غيرُ دمعٍ أذاع ما هو خافِ
أيها العاذِل الجَهولُ تأمَّلْ ... في مُحيَّاه ثم قُلْ بخِلافِ

ومما رأيته منسوباً إليه، ولا أتحقَّقه: [الطويل]

أُنادي إذا نام الهَجيع تأسُّفاً ... وقلبِيَ من بين الضلوعِ كَلِيمُ
هنيئاً لطَرْفٍ فيك لا يعرِف الكرَى ... وتَبّاً لقلبٍ ليس فيك يَهيمُ

ومن رباعياته قوله: [الدوبيت]

إن جُزْتَ بحيُّ مُنْيتي حيِّيه ... واخْبِرْهُ من المحبِّ ما يُرْضيهِ
إن زار فقد حَيِيتُ في زَوْرتِه ... أو صَدَّ فإن مُهْجتِي تَفْدِيهِ

[بيت المحبي]

بيت أبي وجَدِّي، ومَنْبِت عِرق مَحتِدي ومجدي.

ارْتضعتُ دَرَّه واغتذيْت، وإلى فضلِه انْتسبتُ واغتزيت.

والمجدُ ما افتخرت به العرب من القدم. [المتقارب]

وإنِّي من العرب الأقْدمين ... وقد مات من قبْل خَلْقِي الكَرَمْ

وفي كَرم العِرْق بالمَنْبِت الطيِّب، عَوْن على أثمار تروّتْ بالعارِض الصَّيِّب.

فأنا إذا افتخرت هزَّتْني أريحيَّة الطَّرَب، ونافستُ بآباءٍ تملكني عند ذِكْرهم حَمِيَّةُ العرب. [الطويل]

أولئك آبائي فجئْني بمثلِهمْ ... إذا جمعتْنا يا جريرُ المَجامِعُ[1]

فأولِ من سكَن منهم الشام، وشَام من بارِق إقْبالها ما شام:

٧٨- القاضي محبّ الدين

فضاهَى بغزارة علومه أنهارَها، وأخجل بمنثوره ومنظومه أزهارها.

بماذا أصِفه وأُحلِّيه، وأي مَنْقَبة من الجلالة أُولِيه.

وأطرافُ القلم بنُعوته لا تحيط، حتى يُنْزَح بمناقير العصافير البحرُ المحيط.

---

(١) ديوان الفرزدق: ١/ ٤١٨.

Marfat.com

إمام أئمة الفنون، المُستخرج من بحار البلاغة دُرّها المكنون.
فكان بالشام علَمها الذي يهتدي به المهتدي، ومُقْتفاها الذي يقتدِي به المُقتدِي.
فتدانت به القلوب المتباعدة، وتلاقت الآمال المتواعدة.
فما ولَدت أرحام الأرض من حُفال الأزهار والنبات، التي أرضعتْها الخضراءُ بدَرّ أخْلاف الأمطار وهي في حِجْر الصَّبا وحضانة النَّسَمات،
ألطفَ من شمائله التي عطَّرت أرْدان الصَّبا، وأعادت للقلب نَشْوةَ الصِّبا فصَبا.
ولم يزل يَحْلِي الليالي العواطِل، وتدين لسَقْيِه السحبُ الهواطِل.
ويُبْدع في آثاره صُدوراً وأعْجازاً، ويُطلع رسَائلَه مملوءةً بلاغة وإعْجازاً.
حتى ردَّاه الرَّدَى وعَدَّاه الحِمام من ذلك المَدى.
فأنَار الله مَثْواه، وجعل الجنة مَأْواه.
فخَلفه ثلاثة فتْيان ألَّف المجد بينهم، فإن قلت أين الحسن فانظُر أيّهم.
فالأوسط من مَرَض الشِّعر في عافية، لكنه قعد على طريق القافية.
وأما الكبير، وهو:

٧٩- عبد اللطيف

فعظيم الأَرُومة، ورَوْنق المَزيَّة المَرُومة.
أنبَت خَطِّيَّها وَشِيجهُ، وقوّم أغصانَها تخرْيجهُ.
يفترع الهضاب ببُعْد هَمِّه، ويُصيب الأغراض بمُسدَّد سَهْمِه.

٧٩- عبد اللطيف بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين.
أكثر قراءته على والده، ولما قدم الشام مع أبيه حضر عند البدر الغزي وأخذ عنه، وله مشايخ كثيرة. وسافر إلى الروم وأقام بها مدة، وسافر في أواخر الألف إلى مكة بنية المجاورة، وجاور سنة أو سنتين وصحب بمكة السلطان مسعود بن الشريف حسن بن أبي نمى، وصار له حظوة عندهم، ومدحهم بعدة قصائد. ثم عاد إلى دمشق، ثم سافر منها إلى الروم، وولي قضاء حماة وحصل منها مالاً طائلاً، ثم بعد عزله منها قدم إلى دمشق وعمر داره المعروفة به بسوق العنبرانيين عند باب الجامع الأموي. وولي نيابة الباب فيما بين مرات، وقضاء القسمة العسكرية، وكان له عفة ونزاهة، ولما مات والده وجه إليه المولى إبراهيم بن علي الأزنيقي قاضي قضاة الشام المدرسة الشامية البرانية عنه وكان بيده قبل ذلك تدريس الظاهرية فجمع له بينهما، ثم تفرغ عن الظاهرية وبقيت الشامية في يده. وألف تآليف تدل على تمكنه وإحاطته منها: تفسير على سورة الفتح، وكتاب جمعه في خمسة علوم التفسير والحديث والفقه والتصوف والأدب.
وكانت ولادته في شعبان سنة ست وستين وتسعمائة، وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين بعد الألف، ودفن في بيت صغير عمره بالخشابين خارج باب الشاغور. ا هـ خلاصة الأثر (٣/١٩).

Marfat.com

أصِيل الرأي والحزْم، مَلِيُّ التدبير والعزم.
ضاعَف الله له نِعمَاً يتقبَّلها، ما زال يُوفِي على ماضيها مستقبلُها.
بهِمَّة ترى الدنيا هبات مقسومة، ونُقطة من نُقط الدائرة مَوْهومة.
وفكرٍ يغْرِف من بحر، وعنده يصغُر عمرو بن بحر.
فوصْفُه واسع المجال، ومثْلُه قليلٌ في الرجال.
أسَّس وبنَى، وعطَف أعِنَّة المِدَح وثَنَى.

وله أشعار كما اتَسقت الَّلآلي، وسفَرت وجوهُ الحسان عن ضوئها المُتلالي.
أتيتُ منها بما تُكتَب بدائعُه على الأخداق، وتتنافَس كَلِمَهُ الأطواقُ في الأعناق.
فمنه قوله من قصيدة مستهلها: [الطويل]

هي الدار حيًّا عهدَها مدمعِي الجارِي ... عفَتْ غير سُخْمٍ ماثلاتٍ وأحجارِ
رسومٌ مَحاها كلُّ سافٍ وهاطلٍ ... فهُنَّ كجسمي أو غوامضِ أسرارِي
أقمنا حَيارَى سائرين فلم نجدْ ... مُجيباً سوى دمعٍ من البَيْن مِذرارِ
ولا عجبٌ لو أصبح الدمعُ حائراً ... كقلبِك في تلك المعاهد يا جارِي
معاهدُ لا أدري أمِن طيبِ تُرْبها ... نسيمُ الصَّبا حيْث أم العنْبَرُ الدَّارِي
وقفْنا بها حتى لِطُول وُقوفنا ... تخيَّلتُ أنَّا قد خُلِقْنا من الدَّارِ
أذَلْنا مَصُونات الدموع برَبْعها ... ولمَّا نَجِدْ من سَكبْنا الدمعَ من زَارِ
خلَتْ بعد ما كانت مَناخاً لراكبٍ ... ومَلعَبَ أترابٍ ومَجْمَع سُمَّارِ
ومَرْتعَ غزْلانٍ ترى الصَّيد صَيْدَها ... فقُل في غزالٍ يضرعُ الأسَدَ الضارِي
وعصرِ تصَاب قد فُجعتُ بفَقْدِه ... وماضي شبابٍ رحتُ من حَلْيه عارِي
لئِن قصُرتْ أيامُه فلَشدّ ما ... تولَّت وأبقت طولَ بثٍّ وتذكارِ
ألا فيَ أمانِ الله عصرٌ لفَقْدِه ... من العيش واللَّذاتِ قلَّمتُ أظفارِي
وقلتُ لِداعِي الغيِّ نَكْبْ فطالَما ... لغير رِضَى الرحمن أشغلتُ أفكارِي

وقوله، من قصيدة أخرى، يمتدح بها أستاذه محمد بن محمد بن إلياس، المعروف بابن جوى، مفتي السلطنة: [السريع]

عوَّضتَ معروفاً عن الياسِ ... يا خادماً باب ابن إلياس
فاضغَ لما أشرحُ من حالةٍ ... أسمُو بها ما بين أجناسي

Marfat.com

خدمتُ مفتي العصر وهْو الحَيَا ... فلم يدَع بِرّي وإيناسي
وصرتُ في خدمتِه ناعماً ... في نعمةٍ تُسدَى بلا باسِ
لا أعرف الهمَّ ولا أشتكِي ... خَطْباً بَلَى قلبي بوَسْواسِ
فسَيْبُه سيلٌ إذا رُمتَه ... ومجدُه كالشامخ الراسِي
إن كسَر الدهرُ فؤادَ امْرِئٍ ... تراه بالجَبْرِ هو الآسِي
إن رُمْتَ تذرِي بالنَّدَى سَحَّهُ ... فصَوْبُه مَعْ مَرِّ أنفاسِي
أما ترى رِقَّةَ مذحي له ... تُغنيك عن دنٍّ وعن طاسِ
قد أمر الفتحُ بأمرِ عُلَىً ... أجبْتُه طوعاً على راسِي
قل لبنِي الدنيَا ألا هكذا ... فليصْنعِ الناسُ مع الناسِ

البيت الأخير مُضمَّن، من ثلاثة أبيات للفتْح بن أبي حُصَيْنة[1].

ولها قصة، وذلك ما ذكر أنه امتدح نصر بن صالح بحلب؛ فقال له: تمَنَّ.

فقال له: أتمنَّى أن أكون أميراً بحلب.

فجعله أميراً، وخوطب بالأمير، وقرَّبه نصر، وصار يحضر في مجلسه في جملة الأمراء.

ثم وهبه أرضاً بحلب، قِبْلِيّ حمّام الواسَانِيّ، فعمرها داراً، وزخرفها، وقرنَصَها، وأتمَّ بناءها، وكمَّل زخارفها، ونقش على دائر الدَّرَابزين قوله: [السريع]

دارٌ بنيْناها وعشْنا بها ... في نعمةٍ من آلِ مِزْداسِ
قومٌ مَحَوْا بُؤسي ولم يتركوا ... عليَّ للأيام من باسِ
قل لبني الدنيا ألا هكْذا ... فليصْنع الناسُ مع الناسِ

فلما انتهى العمل بالدار عمل دعوة وأحضر نصرَ بن صالح.

فلما أكل الطعام، ورأى الدار، وحسنها، وحسن بنائها ونقوشها، وقرأ الأبيات؛ فقال: يا أمير، كم خسرت على هذه؟

فقال: والله يا مولانا ما للملوك علم، بل هذا الرجل وَلِيَ عِمارتها.

فلما حضر المِعْمار، قال له: كم لحِقكم غرامة على هذا البناء؟

فقال له المعمار: غرِمنا عليها ألفي دينار مصرية.

---

(١) ديوان أبي حصينة (٢١٤).

Marfat.com

فأحضر مِن ساعته ألفي دينار مصرية، وثوبَ أطْلَس، وعمامةً مُذهَّبة، وحصاناً أبْلَق، بطَوْق ذهب، وسَرْج ذهب، ودفع ذلك إلى الأمير الفتح، وقال له: [السريع]

قُـل لـبـنـي الـدنـيـا ألا هـكـذا فـلـيـضْـنـع الـنـاس مـع الـنـاس

وقد ضمَّن هذا البيت القاضي شهاب الدين بن حَجَر، في مدح البدر الدَّماميني، فأحسن جداً حيث قال: [السريع]

نـسـيـتُ أن أمـدح بـدرَ الـعُـلَـى فـلـم يـدعْ بِـرِّي وإيـنـاسِـي
قُـل لـبـنـي الـدنـيـا ألا هـكـذا فـلـيـصـنـعِ الـنـاسُ مـع الـنـاسِ

وله يصف منتزهاً في الروم، بالقرب من أق بابا: [البسيط]

حللت بالرُّوم دَوْحاً هاج أشْجاني حَنَا عـلـيَّ بـخـيْـراتٍ وإحـسـانِ
حوَى مع الأُنس ما يُسلِي اللبيبَ به عـن ادِّكـارِ شـآمٍ أو خُـراسـانِ
مَجامرُ الزَّهر في أرجائه نفَحت والـوُزق قـد صـدَحـتْ فـيـه بـأفـنـانِ
أشجارُه بسَقتْ أغصانُه اتَّسقتْ خِـيـامَ ظِـلٍّ ولـكـن ذاتُ أفْـنـانِ
والسَّرْوُ تختال في أزْهَى ملابسها كـأنـهـا الـغِـيـدُ فـي قَـدٍّ ومَـيـلان
تُـمِـيـلـهـا الـريـحُ إذْ تَـثْـنـي مـعَـاطـفَـهـا فـتـنـهـبُ الـلُّـبَّ مـن أحـشـاءِ وَلْـهـانِ
وقد رأى بَصَرِي من حسنِ رَوْنَقِه أضْعافَ ما وصَفُوا في شِعب بَوَّان
فدَام يسْقيه في الأسْحار فَيْضُ نَدَى وصَـوْبُ غـيـثٍ غـزيـرِ الـهـطْـل هَـتَّـانِ

٨٠- أخوه محبّ الله

هذا أصغرُهم الذي أنار الحَلَك، والسعدُ الأكبر بين كواكب هذا الفَلك.

وهو جدِّي الذي وصل خيرُه إليّ، وفرض الله تعالى حقَّه عليّ.

٨٠- محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين بن داود.
صَدْرُ الشام في زمنه ومرجع خاصتها وعامتها، وأقبلت عليه الدنيا إقبالاً عظيماً وتوفرت له دواعي المعالي، وملك من الذخائر والتحف ما لا يضبط بالإحصاء، ورزق الأبناء الكثير، مات منهم عن ثمانية. وولي المناصب العالية والمدارس السامية، واتفق له أنه تصرف في نيابة الشام وقسمتها العسكرية جمعاً بينهما ست عشرة سنة لم يعزل فيها إلا ثلاث مرات أو أربع مرات. ولما مات والده كان عمره ست عشرة سنة فوجهت إليه عن والده المدرسة الناصرية البرانية، واشتغل بطلب العلم فقرأ على أكثر تلامذة والده منهم: العلامة عبد الرحمن العمادي، وغيره. وسافر إلى الروم ولازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا وهو قاضي العسكر بروم إيلي، وبوسيلته والتقرب منه نال ما

Marfat.com

فأنا القائم بآثاره، وأحمَد الله على ما خصَّني به من إيثاره.

صاحبُ النَّسَب الوَضَّاح، المتقلِّد تلك المفاخر والأوْضاح.

بنُور وجهه جلَى الظلام بِخَيْطه، ومحاسن مجدٍ بَهَرْن بما كَسَينه من حِبَر المديح ورَيْطِهِ.

أهَّله الله لعظيم ما استوْفاه، وهيَّأ له الاسْتقلال بما اسْتكفاه.

فأطلق عِنان الاغْتنا، وتفنَّن في غرائب الاقْتنا.

فلم تضِق له ساحة، ولا قصُرت له رَاحة.

والمجدُ يرشِفه رُضابَه، والشرفُ يُرقيه هضابَه.

في حَوْزة مَحُوطة، وسعادة بالأماني مَنُوطة.

وبه الكفاية في الخَطْب إذا عَمّ، والمُلِمّ إذا ألمّ.

إلا أنه لم تطُل مُدَّته، ولم تتوسَّع في مُتصرَّفاتها عِدَّتُه.

فقُبِض في سِنِّ الكهولة، واسْتوحشتْ لفقْده المنازل المأهولة.

فالله يُحلّه في فسِيح الرِّضوان ورَخْبه، ويجعلُ الرحمات المتواليات من حِزْبه وصَخْبه.

وله نظم أثير، ودُرٌّ نَثير.

أثْبتُّ منها ما أُحكِم نَسقاً ورَصْفاً، وتناهى في الحسن تخليةً ووصْفاً.

فمن ذلك قوله: [م. الكامل]

أفْديك يا مَن حاز قلبي ... مُستأثراً بجميعِ لُبِّي

قُل لي بحقِّ أبيك مَن ... أغْراك في تَلَفِي وسَلْبِي

هل كان من ذنبٍ فإني ... تائب منه لربي

أو عن دَلالٍ فالذي ... تُختاره حظُّ المحبِّ

وله: [الخفيف]

= نال، وصار قاضي الحج وقاضي العسكر في صحبة أحمد باشا الوزير المعروف بالكوجك لما سافر علي بن معن، ودرس بالدرويشية برتبة الداخل، ثم أعطي رتبة قضاء القدس، وعظم قدره جداً وأثرى.

وكانت ولادته في سنة إحدى وألف، وتوفي في شعبان سنة سبع وأربعين وألف، ودفن على أبيه بالمدفن الخاص بهم، قرب جامع جراح. اهـ خلاصة الأثر (٣/٣٠٨).

Marfat.com

في سبيلِ الغرامِ قلبي مُعَنًّى ... أثْخَنَتْه نُجْلُ العيونِ جِراحَا
قيَّدتْه فليس يرجو خَلاصاً ... مِن هواها ولا يرُوم بَرَاحَا
يشتكي حُرْقة التَّباعُد حتى ... علَّم الوُرْق في الرِّياض النُّواحَا
وإذا ما أراد كَتْمَ هَواه ... زادَه دَمْعُ ناظِريْه افْتضاحَا

وقوله: [الطويل]

تظنُّ العِدى والظَّنُّ مُرْدٍ ومُتْلفُ ... بِأَنِّيَ أخْشَى من عظيمٍ وأفْرَقُ
وهيهات بل عفْو وحِلم وعفَّةٌ ... وما كنْت من شيءٍ سوى العارِ أُشفِقُ
ويبْغون أن أُغطِي قياداً ودونه ... تسيلُ دماءٌ من رجال وتُهْرَقُ

وكتب لبعض أحبابه:

لو وصفتُ أشواقي لأعربتُ عن حَصَر، ماءُ البيان في إحْصائه حَصِر، وطولُ الباع في البراعة عند اسْتقصائه قِصَر.

ولتكلَّفتُ ما ليس في الوُسْع والطاقة، ولاغترفتُ مع الوُجْد والغنى في البلاغة بالعُدْم والفاقة.

ولأقرزتُ مع القُدرة بالعجز، ولنبَا غربُ[1] عَضْبِي وإن كان لَدْنَ المَهزّ.

ولستُ أشرح وَجْداً لا يشرح، وحنيناً مُبرِّحاً لا يَبْرح.

ولا أصِف دمعاً يكفُ ولا يقف، ولا مقلةً تجافتْ عن الكرى ولا تجِفّ.

ولا أُعرِب عن شوق بنار الصَّبابة يتلهَّب، وقلبٍ على فراش الضَّنَى يتقلَّب.

وكيف لي بِعَدٍّ ما لا يُعَدّ، وقد غلَب الوجد.

وغاضَ الجَلَد، وقاض الكَمَد.

وخلَب الخلَب وسَلَب، وتَغلَّب الوجد على القلب فغَلب.

وجفا الجفنَ الكرى فما كَرّ، وخانه الصبرُ فما ثَبت ولا اسْتقرّ.

ولو أغْرقتُ في البَيان لخُضت في غِماره، وغرقتُ في تَيّاره، وعثُرت في مِضماره وكبَوْت ونَبَوْت، وضلِلت وزَلَلْت.

لكنّي حين عجزتُ أوْجزْت، ولمّا قصُرت اقْتصرت.

---

(١) نبا السيف: لم يقطع. اللسان (نبا).
غرب الشيء: حده ونهايته. اللسان مادة (غرب).
العضب: السيف القاطع، والمعنى: أن سيفي فرق العادة ولم يقطع بشكل جيد.

Marfat.com

فأضربْت عن ضُروبه، وأعرضتُ عن عُروضه.

واكتفيتُ عن ذِكْر كلِّه، بإبْداء بعضِه.

وأشفَقْت على الكتاب من الاختراق، إذا درجتُه على نِيران الأشواق، وطويتُه على لواقِح الفِراق.

٨١- محمد بن عبد اللطيف الشهير بالخَلْوَتِيّ

هذا الفرعُ نتيجة ذلك الأصل، فلهذا هو في حِدَّة الذكاء أمْضى من النَّصْل.

تحقَّق بالعلم الحديث والقديم، وتصرَّف في طريقه الواضح القويم.

وزهد زُهْد ابن أدْهَم، ورغب عن أن يقبِض على درهم.

فتنازعتْه الحُظْوة بين الأماني والأمان، ولم تدعْ له أيامُه مقتَرحاً على الزمان.

وكان له أخ أكبر منه، إلا أنه في ناحية، ولا أرى ذاك إلا الشمسَ المنكسِفة وهذا الشمس الضَّاحية.

وله في المحاضرة محاسنُ غلبت على الأقْمار التمائم، فهي زُهْر لها المحاسن بُروج وزهَرات لها القلوب كمائم.

فأين حلَّ فالمحلُّ به أنِيس، وهو إذا فارقه عليه حبِيس.

وله شعر أزْهى من الزَّهْر، وأبْهى من الحَباب على النَّهْر.

فمنه قوله: [الطويل]

٨١- محمد بن عبد اللطيف بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين المحبي، الخلوتي، الدمشقي، الحنفي، المعروف بشقير.
كان من الفضلاء المشار إليهم بالنباهة والبراعة، وكان قوي الحافظة للمسائل والشعر والأخبار، حسن الصحبة، كثير العبادة والمطالعة لكتب التفسير والتصوف، وله رسائل وتحريرات على مواطن من التفسير لطيفة. قرأ على الشيخ عبد اللطيف الجالقي، وعلى المفتي فضل الله بن عيسى البوسنوي، والمولى يوسف بن أبي الفتح. وأخذ عن جماعة كثيرين منهم: العمادي المفتي، والنجم الغزي والفتح البيلوني، والشيخ علي القبردي الصالحي، ولزم الشيخ أحمد العسالي وأخذ عنه طريق الخلوتية وداوم على قراءة الأوراد ودخل معه الخلوة مرات عديدة، وسافر إلى القدس والقاهرة، وحج من طريق مصر. ثم قدم إلى دمشق وأقام بخلوة له في مدرسة الكلاسة وعمرها عمارة فائقة، وحببت إليه العزلة واستمر عمره كله مجرداً، وكان نديم الرؤساء والكبراء يحاضرهم أحسن محاضرة، ويحسن اللغة التركية جداً، وكان مغرماً بالجمال وكان سخياً متعبداً، يصوم غالب الأيام.
وكانت ولادته في سنة ثمان عشرة وألف، وتوفي في صفر سنة اثنتين وسبعين وألف ودفن على أبيه بمقبرته التي أنشأها بالقرب من جامع جراح. ا هـ خلاصة الأثر (٤/ ١٥).

Marfat.com

ذا ربــعُ دَعْــدٍ بــالأجــارِع فــازْبَــعِ ... إن كنت مَن يرعى حقوقَ الأزْبَعِ[1]
لي مقلةٌ تسقِي الطلولَ ومَسْمَعٌ ... يدعو حمائمَهنَّ قُولِي أسمعِ
فأنا المُجيبُ لهنَّ عن شجْنٍ وهُنَّ ... سَجعْن عن طربٍ وفَرْطِ توجُّعِ
ما الصادحُ الجَذْلانُ مثل النَّادبِ الْ ... وَلْــهــانِ ذا داعٍ وذلــك مــدَّعِ
ولقد حبسْتُ على الديار ركائبي ... والــركــبُ بــيــن مُــودِّعٍ ومُــودَّعِ
وكلاهما يرضى بأن يقْضِي أسىً ... ويــكــونَ غــيــرَ مُــشــيِّــعٍ ومُــشــيَّــعِ
فلكم جَرعْنا الوجدَ مُرّاً طعمُه ... لــمــا تــزايــلْــنــا غــداةَ الأجْــرعِ
هي وقفةٌ في الدار لا بَلَّتْ صَدَى ... قــلــبــي ولا أرقــيْــتُ فــيــهــا أدْمُــعِــي
ماذا الذي يُجْديك نَدْبُ معاهدٍ ... أسَــدتْ بــهــا هُــوج الــريــاح الأزبَــعِ
سكانُها نقضوا العهودَ وضيَّعوا ... يــا حــافــظــاً لــلــعــهــد غــيــرَ مُــضــيِّــعِ
فاشْمَخْ بأنْفِكَ عن أُناسٍ خلَّفوا ... مــا أوْعــدوك وحــبــلَ وُدِّهِــمُ دعِ
واشكرْ لأغربةٍ نَعبْن ببَيْنِهم ... مــن أســودٍ يــدعــو الــزِّيــالَ وأبْــقــعِ[2]
واصدِف عن البرْق اللَّمُوع بأرضهمْ ... وارقُــدْ قــريــرَ الــجَــفْــنِ غــيــرَ مُــروَّعِ
مَن شاقه ريحُ الشَّمالِ فإنني ... لــم أُغْــطــه وجــهــاً ولــم أتــطــلَّــعِ
لا ساعدَ الرحمنُ قلباً ذاكراً ... أيــامَ مــن خــان الــعــهــودَ ولا رُعِــى
الناسُ بين مُجاهرٍ لك في الأذى ... ومُــوارِبٍ تــغْــلــي ضــمــائــرُه فَــعِ
أغفلتَ رأيَهم ورُمْتَ رشادَهم ... أنــت الــمــلــومُ فــذُقْ أذاهــم واجْــرَعِ
قابلتَ جهلَهم بحِلْمٍ واسعٍ ... قــل لــلــفــوادحِ عــنــد ذاك تــوسَّــعِــي
الفَتكُ عينُ الرأيِ في تدْبيرهم ... لــو لــم تــكــنْ لله لــم تــتــورَّعِ
خُلِقوا من الشرّ الصريحِ وصُوِّروا ... شَرَّ الورى سكنوا بشرّ الموضعِ
ما للزمانِ جرى على عاداتِه ... فــي رِفــعــةِ الأدنــى وخــفــضِ الأرفــعِ
وبنوُه قد جُبِلوا على أفعالِه ... فــالــحــر بــيــنــهــم بــحــالٍ أشْــنــعِ
دهرٌ قضى أن لا يطيبَ لماجدٍ ... قُــل لــلــيــالــي مــا بــدا لــكِ فــاصْــنــعِــي

---

(١) الأجارع: الأرض الرملة المستوية الطيبة المنبت. اللسان مادة (جرع).
(٢) أغربة: جمع غراب وهو طائر معروف. اللسان مادة (غرب).
نعبن: النعب: صوت الغراب. اللسان مادة (نعب).
الزِّيال: الفراق ا هـ. اللسان، مادة (زيل).

Marfat.com

فاغرِض عن الدهرِ الخؤونِ وأهلِه وافزَغ إلى ربِّ البرايا وارجعِ

وقوله من أخرى، كتب بها إلى محمد الكَرِيميّ: [المتقارب]

نراجع إلى الفضلِ أهلَ الكلامْ ونأخذُ عن كلِّ حَبْرٍ هُمامْ
ونسألُ مِن ساحةِ الأكرمين ونخضعُ للمجد لا للأنامْ
فنتْبع من رَفعتْه النفوسُ ونترُك من قدَّمتْه اللئامْ
فأختارُ طوراً زوايا الخمولِ وطوراً أحبُّ الأمورَ العظامْ
تراني على كلِّ حالٍ أُرَى أسيرَ الهوى ومليكَ الغرامْ
وما جرعَةُ الحب إلا المَنونُ وما لوعةُ الهجرِ إلا الهُيامْ
وما راحةُ العشقِ إلا العَنا ولا صحةُ الصَّبِّ إلا السَّقامْ
ولي حَسرةٌ بعد أخرى لها زفيرٌ وليس له انْحسامْ
يُذيب الحشا ويُثير الشُّجونَ بنارٍ غدا وَقْدُها كالضِّرامْ
وهل للهوى غيرُ مَن ذاقه فَنشكو له مُرّ سَمْع المَلامْ
ولا كلُّ مَن غاص بحرَ الهوى حوَى مِن جواهِره باغْتنامْ
ولا كلُّ من قد سما للعلومِ يقرِّر مُشكِلَها عن إمامْ
فذاك هو النَّذْبُ بدرُ العلومِ ومن لم يزل نورُه في التَّمامْ
كخِلِّي الكَريميُّ مَن فضلُه تلقَّعه يافعاً باهتمامْ
مُهذَّبُ أخلاقِ أهل الوفا حفيظٌ لعهدِ التقى والذِّمامْ

٨٢- السيد أبو الأمداد فضل الله بن محبّ الله

والدي الذي هو سببُ حياتي الفانية، تتْبعها حياتي الباقية.

٨٢- فضل الله بن محب الله بن محب الدين بن أبي بكر تقي الدين، الدمشقي المولد والوفاة، والد المؤلف.
كان حسن المعرفة بفنون الأدب يجمع تفاريق الكمالات، ويرجع معها إلى خط منسوب ولفظ عذب ومعرفة باللغتين الفارسية والتركية. استكثر في أوائله من القراءة على الشيخ أحمد بن شمس الدين الصفوري، ثم لزم الشيخ عبد اللطيف الجالقي فأخذ عنه الفقه، وسما في حداثة سنه إلى مراتب أعيان الأدباء، وكان قوي البديهة حسن المناسبة، ومات أبوه وسنه ست عشرة سنة فاتصل بخدمة العلامة عبد الرحمن العمادي المفتي، وأخذ الحديث عن النجم الغزي وأجازه إجازة عامة، ثم قصد طريق علماء الروم فسعى على الملازمة من شيخ الإسلام المولى يحيى بن زكريا، وسافر=

Marfat.com

فإني مِن صُلبه خرجتُ، عليه تخرّجتُ.

ولا أعُدُّ من الفضل، ما كثُر لَديَّ أو قَلّ. إلا منه ابتداؤُه، وإليه انتهاؤُه.

وكنتُ أطْوعَ له من قلمِه لِكَلِمه، وأوْفق من بنَانِه لبيَانه.

ما مِلْت عن نهْجِه ولا تنحيت، من حين دبَّيْت إلى حين الْتحيْت.

أرجو على يديه حسنَ التحلِّي، والاطِّلاعَ على أسرار التَّجلِّي.

حتى أسعدَ في آخرتي ودنْياي، وأفوزَ بالحسنى في ممَاتي ومَحْياي.

وكان هو حريصاً على فائدة يُلقْيها عليّ، وعائدة يجرُّ نفعَها إليّ.

حتى خصَّني بتعليم ما تفرَّد به من صنْعة الإنشاء، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء.

وأنا فيما ذكرتُه واصفُ نفسي، وأنا وَصْفُه فممَّا لا يقوم باسْتيفائه طِرْسِي ولا نِقْسي[1].

إن قلتُ: فاضل. فقد ساواه في الفضل مَن سِواه، أو قلتُ: ماجد. فقد شاركه في المجد مَن عَدَاه، وهو تعدَّاه.

وأنا لا أرضى له إلا التوحُّد، ولا أقبل له إلا التفرُّد.

فإنه من منْذ وُجِد، إلى أن فُقِد.

لم يزلْ ربيب نعْمة، غَذِيَ حِشْمة.

والجاهُ في زمن أبيه، يخْشى من أنَفتِه وتأبِّيه.

والأمْداد فضلُ الله، لأبي الأمداد فضلِ الله.

وله عَزْمة تُلين قَسْوة الدهر الأبِيّ، ويُتْلى حديثُها كما يُتْلى الحديثُ عن النبيّ.

إلى بِشْر يترقْرق ماؤُه في غُرَّته، وينْفَتِقُ نُور الشرف بين أسِرَّته.

= لأجلها إلى حلب، وفرغ له أبوه عن المدرسة الدرويشية، ودرس آخراً بالأمينية مضافاً إليها، ثم سافر إلى الروم وأقام بها مقدار سنة وانفصل عن مدرسة الأربعين، ثم رجع إلى دمشق وأقام مشتغلاً فيها بالتأليف، ومن مؤلفاته (شرحه على الآجرومية)، وجمع كتاباً من مرادفات الأبيات يحتاجها المنشئ في ترسلاته، ورتبها على أبواب، ورحل إلى مصر في خدمة قاضيها المولى محمد بن عبد الحليم البورسوي وناب عنه في محكمة الصالحية، ولما عزل البورسوي استقر هو بالقاهرة ولم يزل مدة إقامته مشتغلاً بأخذ العلم على كبراء الجامع الأزهر منهم: النوران علي الأجهوري، وعلي الشبراملسي، والشهاب الشوبري وغيرهم. وكانت ولادته في المحرم سنة إحدى وثلاثين وألف، وتوفي في جمادى الثانية سنة اثنتين وثمانين وألف، ودفن في مدفنهم الخاص. اهـ خلاصة الأثر (٣/ ٢٧٧).

(١) وهو بالكسر: أي المداد الذي يُكتب به. اللسان مادة (نقس).

Marfat.com

وله كلماتٌ كحديث الصديق، أو عتِيق الرّحيق، يجمع لذّةَ حلوِ الحديث إلى نَشْوة المرّ العتيق.

بخطٍّ ينطق من غير لسان، ويُفصِح من غير بَيان.

وشِعرٌ إذا رأيتَه، روَيْتَه.

ونثرٌ تحفظه، حين تلحظُه.

وله تآليفُ ضُربَت من الإجادة بسَهْم، وأقرَّ لها أهلُ البلاغة من كل شهْم.

هي لِعقْد الفضل واسطةُ النِّظام، ولمطْلَع المجد بيْتُ القصِيد وحسنُ الختام.

فمن شعره قوله، من قصيدة مطلعها: [الطويل]

حديثُ غرامي في هواك صحيحُ ... وقلبي كأقْوال الوُشاة جريحُ

وشوقي إلى لُقْياك شوقُ حمامةٍ ... لها فوق أفْنان الغصون صُدوحُ[1]

فتندُبُ أطْلالاً لها ومعاهداً ... وتظهِر أشْجاناً لها وتصيحُ

فلا مؤنسٌ في الدار لي غير صوتها ... إذا هاج وَجْدي والدموع تسيحُ

كلانا غريبٌ يشْتكي الهجرَ والنَّوَى ... فيبكي على إلفٍ له وينُوحُ

فقلبي وجَفْني ذا يذوبُ صَبابةً ... حَزِيناً وهذا بالدموع قَريحُ

ومُهجةِ صَبٍّ مُستَهامٍ مُتيَّم ... بها صار من داء الغرامِ قُروحُ

أهِيمُ غراماً حين أذكُر جِلَّقاً ... ودمعي بسفْح القاسِيُونِ سَفوحُ[2]

ولو كان طَرْفي في يَديَّ عِنانُه ... سعيْتُ ولكن عن مُناي جَمُوحُ

وقوله من أخرى، مستهلها: [الطويل]

رعى الله أيام الشَّبيبة من عَصْرِ ... وهزَّ نسيمُ العيش رَيْحانَة العمرِ

وحَيَّى بقاعاً تُنبت الحسنَ تُرْبُها ... وتُبْدِي لنا الأقمارَ من فَلك الخِدْرِ

حلَلْتُ بها والدهرُ أبيَضُ مُقبِلٌ ... وعَيْشِي مقيم في خمائله الخُضْرِ

تُحيط بيَ الغِيدُ الحسانُ أوانِساً ... كما اشْتبكَت زُهْر النجوم على البدرِ

هذا نقْل من قول ابن خَفاجة في النسيب[3]: [الطويل]

---

(١) صدوح: الصياح، شدة الصوت وحدته. اللسان، مادة (صدح).
(٢) جلّق: موضع بالشام. اللسان مادة (جلق).
(٣) ديوان ابن خفاجة ١٢٤ .

Marfat.com

غَـزالـيَّـةُ الألْـحـاظِ رِيـمـيَّـةُ الـطُّـلَـى مُـداميَّـةُ الألْـمَـى حَـبـابـيَّـةُ الـثـغـرِ[1]
تَـرنَّـح فـي مـوشِـيَّـةٍ ذهـبـيَّـةٍ كما اشتبكتْ زُهْرُ النجومِ على البذرِ

وفي المُقامة الحُلْوانِيَّة: وقد أحاطتْ به أخْلاط الزُّمَر، إحاطة الهالةِ بالقمر، والأكْمام بالثَّمَر.

وله من أخرى مستهلها: [الكامل]

طـيـفٌ يُـمـثِّـلـه الـغـرامُ بـفـكْـرِه ورَجـاً يَـحـارُ بـطَـيِّـه وبـنَـشْـرِهِ

منها في الغزل:

وبمُهْجتي نَشْوانُ من خمرِ الصِّبا لـعـبـتْ بـنـا قَـهْـراً سُـلافـةُ خـمْـرِهِ
يـزْنُـو إلـيَّ بـسـاحـرٍ مـن طَـرْفِـهِ عـنـه روَى هـاروتُ قـصـةَ سِـحْـرِهِ
بـدرٌ تـكـامَـل فـي الـمـحـاسِـن خَـلْـقُـهُ لـمَّـا غـدا مـنـه الـمَـحـاقُ بـخَـضْـرِهِ

هذا معنى أرقُّ من خَضرِ مليح، وفيه مع هذه المقابلة تنْشيط وتمْليح.

وأظنه رأى بيت المُطَّوِّعيّ فاسْتجاد معناه، وشيَّد بوصْف الكمال مَغْناه.

وبيت المُطَّوِّعِيّ: [الطويل]

قـضـيـبٌ ولـكـنْ مَـبْـسـمُ الـنَّـورِ ثـغـرُه وبـدرٌ ولـكـن الـمَـحـاقَ بـخَـضْـرِهِ

ولقد مرّ بي أبيات في هذا المعنى لابن مَخْلَد، لعبتْ بي لَعِبَ الشَّمُول[2]، بحُرّ العقول.

وهي: [م. الكامل]

لـعـبـتْ بـه نُـجُـلُ الـمَـحـاجِـرْ لَـعِـبَ الـخـنـاجِـر بـالـحَـنـاجِـرْ
بـأبـي رواقِـدُ فـي سُـوَيْـ ـداءِ الـقـلـوبِ وفـي الـنَّـواظِـرْ
هُـنَّ الـبـدورُ ولا مَـحـا قَ لـهُـنَّ إلا فـي الـخـواطِـرْ

تتمّة الأبيات من القصيدة:

قـد بـات يـسْـقـيـنـا مُـدامـة ثَـغْـرِهِ وتُـضـيءُ مـجـلـسَـنـا لآلـئُ دُرِّهِ
طَـرْفـي بـجـنَّـة حـسـنِـه مُـتـنـعِّـمٌ والـقـلـبُ فـي نـارِ الـجـحـيـم بـهَـجْـرِهِ
قـد لامَـنـي فـيـه الـعـذولُ جَـهـالـةً لـم يَـدْرِ مـا صَـخَـوُ الـهـوى مـن سُـكْـرِهِ

(١) الطُّلى: بالضم جمع طُلاة وهي العنق. اللسان مادة (طلي).
(٢) الشمول: الريح إذا تحولت جهة الشمال. اللسان مادة (شمل).

Marfat.com

بَحْرُ المحبَّةِ ليس يبلُغ غَوْرَه ... لم يُلْفِ ساحلَ بَرِّه من بَحرِهِ
يا قلبُ رِفْقاً كم تُحمِّلني الأسى ... أوَما ترى جور الزمان يِحُرِّهِ
مَهْلاً لقد حمَّلتني عِبْئاً لقد ... أعْيَى الجبالَ الشُّمَّ ثِمْلَةُ نَزْرِهِ
وأَلِفْتُ صَرْفَ الدهر حتى إنه ... سِيَّان عندي عُسْره مع يُسْرِهِ

من أحاسن محاسِنه قولُه: [الخفيف]

ومَصُونٍ عليه غَيْرةُ حُسْنٍ ... حجَبتْه عن أعْيُن الأوهامِ
حبُّه في القلوبِ سِرٌّ خَفيٌّ ... كخَفاءِ الأرواحِ في الأجسامِ
مِلْكٌ لم يَدَعْ من الحسنِ شَيْئا ... لسِواهُ بَراه في الأحْلامِ

وقوله: [الطويل]

ألا يابنَ الأُلَى سادُوا أراك تفوقُهمْ ... وتبلغُ إن شاء الإلهُ العُلَى حَتْمَا
فأنت هلالٌ والهلالُ نُموُّه ... دليلٌ له أن يغْتدِي قمراً تِمَّا

هذا من قول الآخر[1]: [الكامل]

إن الهلالَ إذا رأيتَ نُمُوَّه ... أيْقنْتَ،أن سيصيرُ بدراً كاملاَ

قلت: عامَّةُ أهل الأدب وغيرهم على أن نجاح الأمور وسعادتَها، ونحوستها وخيْبتها، بأوائلها.

وفي أمثال العامة:

«ليلة العيد من العصر ما تخْفَى».

«والليلة المُضيَّة تبان من عشِيَّة».

«واليوم المبارك من أوّله يبين».

ويقولون: «لو أراد يسعدني أيْش كان يقعدني».

كما قيل: [الوافر]

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً ... ولم يفْخَر فليس له افْتخارُ

وقال: [الكامل]

وإذا الفتى مرَّتْ له في عمرِه ... خمسونُ عاماً للتُّقى لا يجْنحُ
عكَفتْ عليه المُخْزِياتُ فما لهُ ... مُتحوَّلٌ عنها ولا مُتزحْزَحُ

(١) ديوان المتنبي ٣٨٠ .

Marfat.com

وإذا رأى إبْـلـيـسُ غُـرَّةَ وجـهِـه حَـيَّـى وقـال فَـدَيْـتُ مَـن لا يُـفـلِـحُ

والمنجِّمون على خلافه؛ فإنهم يقولون: هذا بحسَب الطالِع، فقد يكون في أول العمر، وقد يكون في أوْسطه، وفي آخره.

وكذا في الشرع، قد يُولد المرء مؤمناً أو كافراً في أول أمره، وفي أوسطه، وآخره، ثم يعرِض له خلافُه.

وما ذهبوا إليه أوهام. انتهى باختصار.

ومن كتاب اللآلي قال الشِّهاب: قلت: الواهم ابنُ أخت خالتِه؛ فإن الأول في وادٍ وهذا في آخر، بعيد عنه بمراحل؛ لأن الجمهور أرادوا أن الله خلق في كل أحدٍ استعداداً للسعد وغيره، تظهر علاماتُه عليه في أول أمره.

كما قال: [الكامل]

في الـمـهـدِ ينـطِـق عـن سـعـادةِ جَـدِّه أثـرُ الـنَّـجـابـةِ سـاطـعُ الـبُـرهـانِ

وأما برُوزهُ من القوَّة، فقد يُسرع وقد يُبْطِي، كما لا يخفى.

وله: [الخفيف]

أنـا مـا بـيـن زُمْـرةِ الأقْـرانِ خَـصَّ حَـظّـي الـزمـانُ بـالـحِـرْمـانِ

فـالـعُـلالاتُ لـي سـحـائـبُ يـبْـدُو بَـرْقُـهـا خُـلَّـبـاً مـكـانَ الأمـانِـي

هذا من قَوْل بعضهم: بَرْقٌ خُلَّب، وعُلالات للنفس وخُدَعٌ لها.

قال كعب[1]: [البسيط]

فـلا يُـغـرَّنْـكَ مـا مـنَّـتْ ومـا وعـدتْ إن الأمـانِـيَّ والأحـلامَ تـضـلـيـلُ

وقد استحسنوا قول بعض الحكماء: الأمانِيُّ أحلامُ المستيْقِظ.

ونظَمه القاضي محمد بن هبة الله الحُسَيْنِيّ الأنْدَلُسِيّ، فقال: [السريع]

كـم ضـيَّـعـتْ مـنـك الـمُـنَـى حـاصـلاً كـان مـن الـواجـبِ أن يُـخـفـظَـا

فـإن تـعـلَّـلـتَ بـأطْـمـاعِـهـا فـإنـمـا تَـخـلُـمُ مُـسـتـيْـقِـظَـا

ومن النوادر: [الطويل]

أحـاديـثُ نـفـسٍ كـاذبـاتٌ ومـا لَـهـا فـوائـدُ إلا أن تـسُـرَّ الـفـتـى الـعـانِـي

وأكـثـرُ مـا تُـمْـلـيـه يـظـهـرُ ضِـدُّه فـكـلُّ أمـانِـي الـقـلـبِ أحـلامُ يَـقْـظـانِ

(١) ديوان كعب: ٨٤ .

Marfat.com

وأحسن منه: [الخفيف]

إنـمـا هـذه الـحـيـاةُ مَـنـامٌ والأمـانـيُّ حُـلـمٌ بـهـا الـمـرءُ صَـبُّ
فـلـهـذا تـأتـي عـلـى الـعَـكْـسِ مـمّـا كـرِه الـنـاسُ دائـمـاً وأحَـبُّـوا

وشعره كثير مجموع في ديوان، والطِّرْس يُستدَل على ما فيه من العُنوان.

ومن مُنشآتِه، التي أعُدُّها من بدائع مَقُولاته.

ما كتبه على لسان فرسٍ إلى مُفْتٍ بالرُّوم، وجرى فيها على طريقة الوَهْرَانِيّ، في رُقعته التي كتبها على لسان بَغْلته، وعلَّقها في عنقها، وسيَّبها في دار الأمير عِزّ الدين مُوسَك.

فأما رُقعة أبي، رحمه الله تعالى، فهي:

الهُمام المِقْدام في حَلْبة الرِّهان، والإمام المُصلِّي به يقتدِي المجلِّي والثَّاني في مَيدان البيان.

غُرّةُ جبهة دُهْم الليالي، مَن شُهْب أيّامِه ربيعُ الفَخار والمعالي.

جعل اللهُ مُجْمل سعادتِه غنيّاً عن الإفْصاح، وجِيادَ أوصافه الحسنة متباريةً في ميدان المُدّاح.

بِجاه سيدنا محمد الذي علاَ على البُراق، وتشرَّفت به الآفاق.

أُنْهِي إلى عالي حضرته، بعد تقْبيل سامي سُدَّتِه.

أنه لا يخفَى ما ورَد عن النَّبيّ النَّبِيه، أهْدى الله إليه صَلاته وسلامَه: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

وإنني تلك الفرسُ الأصيلة الطَّرفيْن، والْحَجْر العريقة الجانبين.

فأبي من العِتاق المُعْنِقيَّة، وأمّي من الصَّافِنات الجياد السَّقلاويَّة.

نشأتُ بأراضي الشام، وشَمَمْتُ ذلك العَرار والبَشام(٢).

وقد كان شرَّفني المولى بالرُّكوب، وأمَّلْت منه المطلوب.

وفُزت بالمراد، وسَبقتُ الجياد.

وتقدَّمتِ الحياشيةُ أمامي، وحُمِلت الغاشيةُ قُدّامي.

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة (١٨٧٢)، وأحمد في مسنده (١٨٨٧٥).
(٢) العرار: اسم شجر طيب الريح. اللسان، مادة (عرر).
البشام: شجر طيب الريح والطعم يُستاك به. اللسان، مادة (بشم).

Marfat.com

ومشيْتُ بالأدب والوَقار، ولم يصدُر مني عثَار ولا نِفار.
وقد طرق سمعي أن المولى صار فارسَ الميدان، وسابقَ يوم الرِّهان.
وامْتطى الصدارةَ صَهْوةُ الإقبال، وسُحِب له جَنِيبُ العزِّ والإجلال.
ومَلك زمام الأمور، وشدَّ حِزام العزم في مصالح الجمهور.
فحصَل لي كمالُ السرور والنشاط، وكدت أن أفكَّ نفسي من الرِّباط.
وأجِدَّ في المَسِير، إلى تهنئة جَنابِه الخَطِير.
لكن أقْعدتْني الأيامُ عن ذلك، ومنعتْني عن سُلوك هذه المَسالك.
لِما حلَّ بي من مُواصلة الصِّيام، والركوع والسجود عند القِيام.
وتقدَّمني في المَسِير الرفيق، الذي اجتمعتُ أنا وإيَّاه في طريق.

إن العوائقَ عُقْنَ عنك ركائبي فلهُنَّ من طربٍ إليك هَدِيلُ

وكان بلَغني أنه ركَض في مَيْدان حضرتك بعضُ اللئام، ووضع قديمَ قوله حيثُ شاء من المَلام.
ونسَبني إلى البَطَر والجُموح، وسلوك طريقٍ من قلة الأدب مَطْروح.
وأن البحرَ عليّ تعكَّر والوِرْدَ الصافيَ تكدَّر.
فوالله ليس لما قيل، أصلٌ أصِيل.
وكنت أوَدُّ أن أتوصَّل إلى بِرِّه، وأكْرَعَ من فائض بحْره.
وأُورد موارِدَ إحسانه، وأفوزَ بلُطْفه وامْتنانه.
فلا خيرَ في حُبٍّ لا يُحمل أقْذاؤه، ولا يُشرَب على الكدَر ماؤه.
وقد علم أن البهائمَ لا تعلم شعرَ أبي تمَّام، ولا تعرف شعر أبي الطيّب الهُمام.
ولا تطرَب الخيلُ، إلا بسماع الكَيْل.
والعَلاَّف، لا يعرف مسائل الخلاف.
وصاحبي وإن كان هو الأصيل العريق، لكنه مُقتِّر للضيف في العَلِيق.
كثير الشّعر قليل الشَّعِير، يُنْشِد بلسان التقصير: [الوافر]

ومالي صنعةٌ إلا القوافي وشعرٌ لا يُباع ولا يُعارُ

فالشعيرُ أبعد من الشّعرَى العَبُور، ولا وُصولَ إليه ولا عُبور.
فالبطن ضامِر لا يشَدُّ عليه حِزَام، والفم خالٍ ليس فيه إلا اللِّجام.
وقد بُلِيت بعد الهُزال بالخَرَس، وأصبحت كما قيل: الجُلُّ خيرٌ من الفَرس.

Marfat.com

وغيري ممّن ليس له أصل ولا فضل، ولا أدب عنده ولا فضل،

يرتع في رياضِ الإنغام، ويجهل أنه من الأنعام. [المتقارب]

حـمـارٌ يُـسـيَّـبُ فـي روضـةٍ وطِـرْفٌ بـلا عَـلَـفٍ يُـربَـطُ

فإن أنعَم المولى بحَلّ وثاقي في يد الحِرمان، وأحلّني من ربيع فضلِه في رَبْوة الإحسان.

فأكرمُ الخيل أشدُّها حَنِيناً إلى وطنه، وأعْتق الإبِل أكثرها نِزاعاً إلى عَطَنِه[١].

فليَنْتهزْ فُرَص الاقْتدار، ويغْتنم التَّجاوُز عن عثرات الأحرار.

فالدابةُ تُضرَب على النِّفار، لا على العثَار.

فليس لي سواه أُعوّل عليه، وأرفع قصّتي إليه. [الطويل]

وهـيْـهـات أن يُـثْـنَـى إلـى غـيـر بـابِـهِ عِـنـانُ الـمـطـايـا أو يُـشَـدَّ حِـزامُ

وهذه رُقعة الوَهْرانِيّ، وهي من لطائف نزَعاته، ومحاسنِ مخُترعاته:

المملوكة ريحانة بَغْلة الوَهْرانِيّ، تقبِّل الأرض بين يدي الأمير عزِّ الدين، حُسام أمير المؤمنين.

نَجّاه الله من حَرّ السَّعير، وعظَّم بدارِه قوافل العِير.

ورزقه من التِّبن والشَّعير، وَسْق مائة ألف بعير.

واستجاب فيه أدْعية الجَمّ الغَفِير، من الخيل والبغال والحمير.

وتُنْهِي إليه ما تُقاسيه من مواصلة الصِّيام، والتعب في الليل والدَّوابُّ نيام.

قد أشرفَتْ مَملوكتُه على التَّلَف، وصاحبها لا يحمِل الكُلَف، ولا يُوقِن بالخَلَف، ولا يقول بالعَلَف.

وإنما يحُلّ به البلاءُ العظيم، في وقت حاجتي إلى القَضِيم[٢].

والشَّعير في بيته مثلُ المسك والعبير، والأطريفل[٣] الكبير.

أقلُّ من الأمانة في النصارى الأقْباط، والعقلِ في رأس قاضي سُنْباط[٤].

فشعيرُه أبْعد من الشِّعْرَى العَبُور، ولا وصولَ إليه ولا عبور.

---

(١) العطن: مكان مبرك الإبل. اللسان مادة (عطن).
(٢) القضيم: كل ما يقضم من الحبوب كالقمح والشعير وغيرها. اللسان مادة (قضم).
(٣) الأطريفل: اسم لدواء مركب. اللسان، مادة (طرفل).
(٤) سنباط: بليد حسن في جزيرة قُوَسينا من نواحي مصر. انظر معجم البلدان (٣/ ٧٧).

Marfat.com

وقزطُه أعزُّ من قُزطَي مَارِية، لا يخرجُه صدقةً ولا هبةً ولا عارية.

والتِّبْن، أحبُّ إليه من الابن.

والجُلُبَّان، أعز عنده من دُهن الْبَان.

والقَضِيم، بمنزلة الدُّرِّ النَّظيم.

والفصَّة، أجلُّ من سبائك الفِضَّة.

والفُول، دونه ألفُ باب مقْفول.

وما يهُون عليه يعلف الدوابّ، إلا بفنون الآداب، والفِقه اللُّباب، والسؤال والجواب، وما عند الله من الثواب.

ومن المعلوم أن الدوابَّ لا تُوصَف بالحُلوم، ولا تعيش بسماع العلوم.

ولا تطرَب إلى شعر أبي تمَّام، ولا تعرف الحارثَ بن هَمَّام.

ولا سيَّما البغال، التي تُستعمل في جميع الأشغال.

مَسْكَبة قَصِيل، أحب إليها من كتاب التَّحصيل.

وقُفَّة دَرِيس، أشْهى إليها من فقه محمد بن إدريس.

ولو أكل البغل كتاب المَقامات، لمات.

ولو لم يجد كتاب الرَّضاع، لضَاع.

ولو قيل له: أنت هالك، لم يأكل موطأ مالك.

وكذلك الجَمَل، لا يتغذَّى بشرح أبيات الجُمَل.

ووقوفُه في الكَلاَ، أحبُّ إليه من شعر أبي العَلا.

وليس عند طيِّب، شعرُ أبي الطيِّب.

وأما الخيل، فلا تطرَب إلا إلى استماع الكَيْل، وإن أكلت كتاب الذَّيْل، ماتت بالنهار قبل الليل، والوَيْل لها ثُمّ الويْل.

ولا تستغني الأكاديش، عن أكل الحشيش، بكل ما في الحماسة من شعر أبي الخريش.

وإذا أطعمت الحمار، شعر ابن عمَّار، حلَّ به الدمار.

وأصبح منفوخاً كالطبل، على باب الإسْطَبل.

وبعد هذا كله فقد راح صاحبُها إلى العَلاَّف، وعرض عليه مسائلَ الخلاف، وطلب من بيته عشر قِفاف، فقام إلى رأسه بالخِفاف.

فخاطبه بالتقْصير، وفسَّر له آيَةَ العِير، وطلب منه قُفَّة شعير، فحمل على عِياله ألفَ بَعِير.

Marfat.com

فانصرف الشيخُ منكسِر القلب، مغتاظاً من الثَّلْب[١]، وهو أخسُّ من ابن بنت الكلب.

فالتفت إلى المِسكينة، وقد سلبه الغيظُ ثوبَ السَّكينة.

وقال لها: إن شئتِ أن تَكَدِّي فكُدِّي، لا ذُقتِ شعيرة ما دمتِ عندي.

فبقيت المملوكة حائرة، لا قائمة ولا سائرة.

فقال لها العلاَّف: لا تجزعي من خَيالِه، ولا تلتفتي إلى سِبالِه.

ولا تنظري إلى نفقته، ولا يكنْ عندك أَخَسّ من عَنْفَقَتِه.

هذا الأمير عز الدين، سيف المجاهدين.

أنْدَى الغَمام، وأمْضَى من الحُسام، وأبهى من البدر ليلة التَّمام.

لا يردُّ سائلاً، ولا يخيِّب آمِلاً.

فلما سمعت المملوكة الكلام، جذَبت اللِّجام، ورفست الغلام، وقطعت الزِّمام، وشقت الزِّحام، حتى طَرحت خدَّها على الأقدام، ورأيُك العالي والسلام.

وله من رسالة كتبها إلى منصور الطبيب الغزواني، يشكو إليه علة لزمته، وبرداً وقع في ذلك العام، خارجاً عن مُعْتاد الشام: [الخفيف]

أنـا أصـبـحـتُ لا أُطـيـق حَـراكـاً كيف أصبحت أنت يا منصورُ[٢]

قد طالت العِلَّة، وطابت العُزلة.

فليس في الحركة، هذا الآن بَركة.

والانقطاع، أربحُ مَتاع، والاجتماع جالبُ الصُّداع.

والاختلاط، محرّك الأخلاط.

والوحشة استئناس، وأجْمَع للحَواسّ.

فهو زمان السكوت، وملازمة البيوت، وأوَان القَناعة بالقُوت، وذلك قُوت من لا يموت.

والحرّ حرٌّ، وإن مسَّه الضرّ.

فوَطْؤُه خفيف، وضالتُه رغيف. [الوافر]

---

(١) الثلب: اللوم والعيب. اللسان، مادة (ثلب).

(٢) البيت لأبي فراس الحمداني في يتيمة الدهر ١/٦٦ .

Marfat.com

لُـزوم الـبـيـت أزوَحُ فـي زمـانٍ عَـذِمِـنـا فـيـه فـائـدةَ الـبُـروزِ
فـلا الـسـلـطـانُ يـرفَـع مـن مَـحَـلّـي ولـسـتُ عـلـى الـرعـيّـة بـالـعـزيـزِ
ولـسـتُ بـواجـدٍ حُـرّاً كـريـمـاً أكـون لـديـه فـي حِـرزٍ حَـرِيـزِ

وإني لأشكو من تسَحُّب هذا الحساب، وتسلُّط هذا الرَّباب.

ولم أرَ قطُّ والله كالعام، الكثير الإنعام.

الذي مَن تَوَرَّط فيه غرق، ومن تنشَّط فيه عام.

سحابٌ مجنون، يُصِم الآذان برَعْده وبرقُهُ يغْشَى العيون.

وغمامٌ شديد الإيلام، كأنه صَوْبَه صَوْبُ مَلام، أو عَرَق حَمّام.

ومطرٌ كأفْواه القِرَب، وصوتُ رعدٍ يُميت الطَّرَب.

حتى كأن صوتَه صوتُ عذاب، أو سطوةُ ليوثِ غِضاب.

أو أنّهُ مهجور مُرْتاب، مِن تَصَرُّم أسباب وِداد الأحباب.

أو كأنه نُغْرةَ فيل، أو نَفْحة إسْرافيل.

أو شَقَّ السماء بشدّةٍ فانشقّتْ، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝﴾ [الانشقاق: ٢] .

ولـمَـعَ برقٌ خَفّاق جَلأب، مُشرق كالشمس إلا أنه شديدُ الاضطراب، سريع الاختجاب، لَمّاع دَفّاع، يُختار دونه لَمْعُ السَّراب، ومَنْع الشَّراب.

حتى قال قائلنا: ليت بِذي الغمام جَهام، وليت ذا البرق المتألّق خُلّب وسيفَه المَسْلول الصارمَ كَهام.

وليته كان كاذبَ المَخْيِلة، وليت لَقْحة نَوْئِه[1] هذا شحيحةٌ بخيلة.

ولم أرَ حالَ هذا السحاب الغَيْداق[2]، إلا كحال مُولّهٍ مُشتاق، شديدِ الأشواق، وَكّاف الآماق[3].

مشتعِل الزَّفَرات، متقاطِر العَبَرات.

فسبحان من أرسل السماءَ مِدْرارا، وجعل القُطار في هذه الأقْطار بِحارا.

ألا يُرى كيْف مَنّ الله سبحانه بالوقوف، على السُّقوف.

وبالثُّبُوْتِ، على البيُوت.

ولم يعلم هل هذا السحاب، أصبح يجود لسُقْيا رحمةٍ أم سُقْيا عذاب.

---

(١) اللقحة: هي الحلوب الغزيرة اللبن. اللسان، مادة (لقح).
والنوءة: هي المعاداة. اللسان مادة (نوء)، والمعنى (والله أعلم): ليت كثرة وغزارة معاداته كانت شيقة نجيلة.

(٢) الغيداق: السحاب الكثير المطر. اللسان، مادة (غدق).

(٣) وكّاف الآماق: سيّال العيون. وموق العين: مقدمها. انظر لسان العرب، مادة /وكف/ و /مأق/ .

Marfat.com

وأما الثلوج فإنها شيَّبتْ نواصيَ الجبال، مع شدة الاحتمال، فما الظنُّ بنَواصِي الرجال، مع تزاحُم الأهوال، وتراكُم الأثقال.

اللهم إنا نستعيذُ بك أن تقلب الأعيان، فتجعَلها سببَ المَوَتان، في الحيوان، أو أن تُعيد الطُّوفان، في آخر الزمان، وبالله المُستعان، وعليه التُّكلان.

وأبَقَ له عبدٌ وهو بالقاهرة، فكتب إلى دمشق، يُخبر بإباقتِه:

وأما ياقوت الممقوت، سوَّد الله وجهَه، وعامله بالنَّكال أيّما توجَّه.

قد أبَقَ في هذه الأيام، كما هو دَأْبُ جنسه الخسيس الخبيث فما عليه مَلام.

[الرجز]

واللـومُ لـلـحـرِّ مـقـيـمٌ رادعٌ والـعـبـد لا يـردعُـه إلا الـعـصَـا[1]

ولما بلَغنا ذهابَه من اليَمّ، تباشرْنا بزَوال الهمّ.

وأنشدنا: [الطويل]

إلى حيثُ ألْقَتْ رَحْلَها أمُّ قَشْعَم[2]

ولو طلبَ منا الإجازة أجزْناه، والمُكاتبة كاتبْناه ودَبَّرناه، وعن خِدْمتنا أبْعدناه.

ولو أردْنا تطلَّبْناه، وبما يَليق عامَلْناه. [الكامل]

وإذا رأيـتَ الـعـبـدَ، يـهـرُب ثـم لـم يُـطْـلَـبْ فـمـولى الـعبدِ منه هاربُ[3]

ولم يمكن لي في هذه السَّفْرة من الرِّبح الذي ليس به خَفَا، إلا ذَهاب هذه الغُمَّة السوداء لكَفى.

وفي الحديث الشريف: «اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ»[4]، ومِن أمثالهم: قَبحُ اللُّكَع ومَن يرجوهُ.

وقد كنَّا قديماً نسمع، أن الخادم بمنزلة النَّعل يُلبَس ويُخلَع.

والعبد لو كانت ذُؤابة رأسه ذهباً، لكان رصاصةً رِجْلاه.

ومن أبَقَ عن الخدمة، فقد يُعَدُّ بُعْدُه نعمة، وقُربُه نِقْمة.

فقد يفرُّ من عَلِيقه، ويطير الفَراش إلى حريقه.

---

(١) هذا البيت لابن دريد في شرح المقصورة للتبريزي.
(٢) عجز بيت لزهير. ديوانه ٦٤ .
(٣) البيت لناصح الدين الأرجاني في ديوانه ١٩٨ .
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٨١).

Marfat.com

فما كل شجرة تحلُو لذائِقها، ولا كل دار تُرحِّب بِطارِقها.
ومَن أبَقَ عن مَولاه مُغاضِباً، وجَانب إحسانَه الذي لم يكن له مُجانباً.
يجدُ من مفارقةِ معاهد الإحسان، ما يجدُه من مفارقة معاهد الأوطان.
ويكون ذنبُ عقابِه فيه، وكم عبدٍ أبَقَ من مَواليه.
وقد رُوِي مرفوعاً عن سيِّد الأُمة: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ».
وبالجملة فقد حصل لنا بذَهابه غايةُ المَسارّ، و: [الوافر]

إذا ذهب الحمارُ بأم عمرو فلا رجعتْ ولا رجع الحمار[1]

وله يصف فتى:
حسنُه يملأ القلوب والصدور، وليس البدرَ إلا أن فيه حسناً تلاشَتْ في دقائقه البدور.
رِيمٌ من الروم، خادم مخدوم.
قد كساه الزمان ملابس جمالِه، ووهبَه الأوان محاسنَ كمالِه. [الطويل]

بديعُ جمالٍ كل ما زاد ناظِري به نَظَراً زادتْ محاسنُه حسنَا

جرى فيه ماءُ النعيم والهَيَف، وتحكَّم فيه تِيهُ الحسن والصَّلَف.
بَاهٍ بقَدِّه، زَاهٍ بوَرْدِيِّ خَدِّه.
ألْصق بالقلْب، من علائق الحُبّ. [الخفيف]

كلَّما لاح وجهُه بمكانٍ كثُرتْ زحمةُ العيون عليهِ

ذو قدٍّ مَيَّاد مَيّال ، يُبدِي المَلال والدَّلال.
يتمايَل من خمْر الصِّبا، تمايُل الغصن إذا أمالتْه الصَّبا.
ويتصرَّف مع القلوب، كتصرُّف السحاب مع الجَنُوب.
فهو ألطفُ من نسيم الشَّمال، على أديم الماء الزُّلال. [الوافر]

كأن حديثَه خُلَسُ التَّشاكِي مع الأحباب أو قُبَلُ الوَداعِ

قد حلَّ بالشام، فازدهرتْ به ازْدهار الخدِّ بالوِشام.
وغرّدت أطيارُها، وتمايلتْ طرباً أشْجارها.
وتدانتْ ولا تَدانِيَ المُحبَّيْن، وتعانقت ولا تعانُق العاشقيْن.
وأحداقُ الحدائق باهتْ في رياضِ جمالِه، والأغصانُ تاهت في لين قَدِّه واعْتدالِه.
أسْفَر فرأيت البدر طالعاً من أطْواقه، وأقْبَل بِحُلة كأنما صُبِغتْ من دَم عُشّاقه.

---

(١) البيت في التمثيل والمحاضرة ٣٤٥ .

Marfat.com

فالشمسُ طالعة من أزرارِه، والبدرُ من مَشارق أنواره.

له مَبْسَم لو تبسَّم في الليل صيَّر الظلام نهاراً، ولو استعار الرَّاحُ منه الحَبَب لقال: [الخفيف]

شـغَـل الـحـلْـيَ أهـلُـه أن يُـعـارا[1]

شكل ظهر في طريق الحسن بالبَياض، وصحَّح حديثُه الحَسنُ أجْفانَ المِراض.

أوْقد نارِي، وأمات اضْطبارِي. [الوافر]

وكـم فـي الـنـاس مـن حـسَـنٍ ولـكـن عَـلـيـه لِـشـقْـوتـي وقـع اخْـتـيـارِي

فكلِف به بعضُ سُكَّانها، وهَام فيه بعضُ أعْيانها.

وقد تزايَد فيه الغرام، ومَن يعشَق يلَذّ له الغرام.

وقد هاجت بلابلُ بَلْبالِه، وقصد أن يرفع لحضْرتِه بعض خِصاله، في عَرْض حالِه.

فاللَّحظُ، يُعرِب عن اللفظ.

فما كانت إلا نَظْرة، أعقبتْ حسرة.

أتعبت الخاطر، وسرَّت الناظر.

وقد قيل: إن الحُسْن عليه زكاةٌ كزكاة المال، وليستِ زكاتُه عند علماء المَحبَّة إلا عبارةً عن الوِصال.

ولما دعاه داعي الهوى أخذ يُبْدِي الالْتفات، ويُريه الصَّدَّ تارات.

قد جرى بينهما في مَيْدان الصُّحبة بُذْهم الليالي والأيام، طِراد خيل اللهو في حَلْبة المَحبَّة والغرام.

وهو قانع منه بالقليل، راضٍ بالنظر إلى وجهه الجميل.

ومضتْ معه أوقاتٌ من مواسِم العمر مَحْسوبة، والسُّعود إلى طوالِعها مَنْسوبة.

حيث الزمانُ ربيع، والروضُ مَرِيع.

والنسيم عليل، والوقتُ سَحَر وأصِيل.

ألْطف من عِدَة الحبيب، وألذُّ من غَفْلة الرقيب. [الطويل]

وما تـفْـضُـل الأوقـاتُ أخـرى لِـذاتِـهـا ولـكـنَّ أوقـاتَ الـحـسـانِ حـسـانُ

فقد كانت أطيبَ من نَيْل المراد، ولكنها أقصرُ من ساعات الأعياد.

فلو كان دهري عِقْداً لكانت واسطتَه، أو كانت عمري جِيداً لكانت قِلادتَه.

فهيهات أن تُنْسَى، وعسى أن تعود عسى، ربما أحسن الزمان وإن كان قد أسا.

---

(١) انظر مجمع الأمثال (٢٠٢٦).

Marfat.com

هذا، فبينما هما على هذا الحال، في أرْغَد عيش وأنْعَم بال.

إذ دَنتْ شمسُ النَّوَى بالطلوع، وفضَح التطبُّعُ شِيمَة المطْبوع. [المتقارب]

وحارَبنِي فيه رَيْبُ الزمانِ كأن الزمانَ له عاشقُ

فعلمت من مقدار الفِراق ما كنت جهلتُه، ووجدت من شخصه ما كنت ضَلِلتُه.

وقد أظهر دمعي ما أضمرتُه، وأبان من وَجْدي ما أخفيتُه. [الكامل]

عجباً لقلبي يوم رَاعَنِيَ النوى ودَنَا التفرُّق كيف لا يتفطَّرُ

أُكَفْكِف بالأكُفِّ الدموع، وأطوي على نار الغَضا الضلوع.

وقد جزِعتُ ساعة وَداعِه، حتى خفتُ على تفطُّر كبدي بانصِداعه.

وما خُلِق الفِراق، إلا لتغذيب قلوب العشاق.

فتكلَّم الحُب عن لساني، وبرَّح الشوق بكتْماني. [الكامل]

لو كنتُ أعلم أن آخرَ عهْدِه يومُ الفِراقِ فعلتُ ما لم أفْعَلِ[1]

كأن قائل ذلك كان حاضراً معنا، أو كأنه قال ذلك لنا.

وقد انثنيْتُ بجسم ناحِل، أو بِتُّ من صَبْري على مَراحِل. [الكامل]

ما إن تركتُ وَداعَه عن جَفْوةٍ لكن جزِعتُ لبَيْنِه وفِراقِه

وما خلَوْتُ ساعة مذ تفارقنا من نَفَسٍ تتقيَّد له الأضْلُع، وذِكْرٍ تفيضُ له الأدمُع.

وتَشكِّي الفِراق، وتذكُّر أيام التَّلاق. [السريع]

وسهَّل التوديعَ يوم النوى ما كان قد وعَّرَه الهجْرُ

فالنظر إلى عين الشمس أسهل عليّ وأهْون على عيْني من أن أنظُر إلى ذلك الصَّدْر، وقد خلاَ من ذلك البدْر. [الطويل]

كفى حزَناً بالهائِم الصَّبِّ أن يرى منازلَ مَن يهوَى مُعطَّلة قَفْرَا

ما أعَوِّل إلا على العَوِيل لو كان يُغْني، ولا أستَنصِر غيرَ الوَجْد لو كان يُجْدِي.

والله سبحانه يقدُر التّلاق، ويضمُّ مُشتاقاً إلى مُشتاق.

فكم من حبيبيْن، فرَّق بينهما البيْن.

وأليفيْن، عادا بعد الفِراق للوصْل حَليفيْن. [الطويل]

---

(١) ديوان جرير: ٩٩٣.

Marfat.com

وقد يجمعُ الله الشّتيتيْن بَعْدما يظنّان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقِيَا[1]

وهنا أنْهيت الكلام على هذه العُضْبة، وختمت بهم عصابةً أحرزوا في مجال القصَبة.

وقد عَنَّ لي أن أذكر قصيدة جعلتها لجبْهةِ دمشق إكْليلاً، ووصفتُ بها من محاسنها روضاً أريضاً وظلاً ظَلِيلاً.

فلْتكُن مُنوِّهة بمحلِّ فضائل هذا الجَمْع، وخاتمةً لأوْصافهم التي هي آخرُ ما يقْرَع السَمع.

والقصيدة هي قولي: [الرجز]

سقَى دمشقَ موطنَ الأوطارِ دمعي وصَوْبُ العارِض الزَّخّارِ
حتى يُرَوِّيا بها كلَّ رُبىً تصوّرت في صُورةِ الأنوارِ
يسافرُ الطَّرْف بها إلى مَدى يُغنِي بها الخُبْرُ عن الأخبارِ
وباكرتْ نَيْرَبَها نُسَيْمةٌ عابقةٌ في رَوْضِهِ المِغْطارِ
من قبل أن تصْدَى بأنفاسِ الورى بَلِيلةُ الأذْيالِ في الأسْحارِ
فنبَّهتْ أطْفالَ نبْتٍ نُوَّماً ترضِعُ ثَدْي الدِّيمةِ المِغْطارِ
وللرِّياض طِيبُ أنفاسٍ بها تُهدِي الثناءَ الجَمَّ للأمْطارِ
يتلُو خطيبُها بصوتٍ شاكرٍ مِدْحتَه في منبرِ الأشجارِ
وينثُر الزَّهر فينظم الندى يا حسنَ ذاك النظمِ والنَّثارِ
لَوَى القضيبَ ثم جِيداً غَنِمَتْ تقْبيلَه مباسمُ الأنوارِ
والماءُ في خَريرِه مُنهمِكٌ والطيرُ عاكفٌ على التَّهْدارِ
إن ردَّه اللحنُ انْثنتْ غصونُها تسمعُ منه رَنَّةَ الأوتارِ
وربما انْحنتْ لتَقْرا أسطراً في النهرِ خَطَّها النسيمُ السّاري
والنَّورُ قد فتَّح عن أكْمامِه وفكُّكَ الوردُ عن الأزرارِ
والرَّبوةُ الغنّاءُ حَناها الصَّبا فنفَحتْ عن جَوْنةِ العطّارِ
أُعيذُ بالسَّبْعِ المَثانِي دَوْحَها على اخْتواءِ السَّبْعةِ الأنهارِ
ودَيْرُ مُرّان القديم لا عدَتْ سُحْبُ الحَيا ما فيه من آثارِ

---

(١) ديوان مجنون ليلى: ٢٢٥ .

Marfat.com

فيه حديث البَبَّغا وعهدُه ... حَلْيٌ لِجِيدِ سالفِ الأعصارِ
والمَرْجةُ الفيْحاءُ والوادِي الذي ... مَنْظرُه الباهِي جلاَ الأبْصارِ
معاهدٌ فيها النَّدامى أغْصُنٌ ... مُثْمرةٌ فواكهَ الأسْمارِ
من كلِّ وضَّاح الجبِينِ مُسْفرٍ ... عن طلعةٍ تهزَأُ بالأقمارِ
فالنجمُ سارٍ طالباً لقيته ... لذاك قد لُقِّب بالسَّيَّارِ
وشاب حُزْناً طَرفُه وما رأى ... شبيهَهُ في الفلَك الدّوارِ
يعرَق وجهُ الكأس بالحَباب إن ... فَاه وخدُّ الرَّوْضِ بالقُطارِ
مُنْتقِبٌ بالورد من خَجْلتِه ... جُوداً ومُرْتَدٍ حُلَى الوقارِ
وكلُّ مختارِ المعاني حسنُه ... قَيْدُ النُّهى وعُقْلةُ الأفكارِ
تلميذُهُ هاروتُ يروِي فَنَّه ... عن لفظِه عن طَرْفِه السَّحَّارِ
أهدَتْ لي السُّقْمَ عيونُه لذا ... وهبتُها النومَ عن اضطرارِ
خَطَّ الجمالُ فوق طِرْسِ خدِّه ... سطراً برأسِ القلم الغُبارِي
أرَى على وَجْنَته دائرةً ... حَرّرها الجمالُ بالبركار
فالخالُ في كُرسيِّها قد استوى ... كمركزٍ لذلك المِذْرارِ
قد كاد موجُ رِذْفِه يُغرقُه ... لولا اغتلاقُ الخَصْر بالزُّنَّارِ
وكاد أن يسيل لولا أنه ... جاذبه تشبُّثُ الإزارِ
أذكُر عهدَه فمن تأوُّهِي ... فحمُ الدجى مُحترقٌ بالنارِ
وإن تقَلْقتُ لماضِي عهدِهِ ... فإنَّ عُذْري سيدُ الأعذارِ
ولي إلى الجامعِ شوقٌ والهُ ... لا يفتُر الدهرَ عن التَّذْكارِ
للهِ أقوامٌ به أعزَّةٌ ... من خُلَّصِ الأخيار والأبرارِ
في جُنْحِ لَيْلاتِهم أذكارُهم ... تعرفُها بلابلُ الأسحارِ
كم دعوةٍ في المَحْلِ أضحتْ لهمُ ... تفْرِي جفونَ السُّحْبِ باستِغْبارِ
فارقتُهم لا عن رضًى وإنما ... عِنانُ عزمِي في يد الأقْدارِ
نَشوانُ خمرِ السُّهدِ طَرْفي نومُه ... أغرقه البكاءُ في تيَّارِ
وما بكائي غيرَ رَشِّ أدمُع ... يُوقِظ من نَوْمتِه اضطباري

Marfat.com

لـعـلَّ مـن لُـطْـفِ الإلـه مَـدَداً ... يُـوصِـلـنـي بـهـم إلـى ديـارِي
فـأكْـسِـبُ الـفـوزَ بـفـضْـلِ قُـرْبِـهـمْ ... فـربَّـمـا يُـجَـرُّ بـالـجِـوارِ
لا زال رَيْـحـانُ تـحـيَّـاتـي لـهـمْ ... يـرِفُّ فـي روضِ الـثَّـنـا الـمِـعـطـارِ
والـلـطـفُ مـا زال يُـحـيِّـي أرضَـهـمْ ... تـحـيـةَ الـنـسـيـمِ لـلأزهـارِ

وهذه فصول جعلتها لشعراء خِطَّة الشام من وُجوه قُطَّانها، المُنِيخين في أعْطانها، المقيمين بأوطانها.

ابتدأتُ منها بأهل المسجد الأقْصَى، وانتهيْتُ إلى أهل حَماة على الوجه المُستقصَى.

فصل في شعراء القُدْس

التي كانت قِبْلة القبَل، وروضةَ الشرف التي أنبتتْ غصونَ الكرامة مُثمَّرة بالقُبَل.

وناهِيك بِتُربة عُجِنت بماء الوَحيْ، وتوفَّر لقصْدها الوَخْد[1] والوَخْى.

وأهلها أصحابُ الذَّوات القدسيَّة، والبلاغة القُسِّية[2].

والآراء السَّديدة، والنفوس الشديدة: [البسيط]

عصابةٌ في رؤوسِ المجدِ إن ذُكِروا ... يفُوحُ مسكُ ثَناءِ البدوِ والحَضَرِ
ليت المَكارمَ لم تعشَقْ شمائلَهمْ ... فلِلْكمالِ رقيبٌ عائِنُ النَّظَرِ

فمن مشاهير بيوتها:

بيت العلمي

سلسلتُه لا يستقِلُّ بذكْرها قلم، ولا يُقطَع عَلَمٌ من وضفها إلا ويبْدو علَم.

ما منهم إلاَّ مَن شدَّ مِئزرَه للأمر، وروَى ظَمأ الآمال بنائِله الغَمْر.

عَفُّ الإزار، خفيفٌ من الأوْزار.

ازدادتْ به قبيلُه وعَشِيرُه، وظهرتْ فيه مخائلُ الرشد وتباشيرُه.

وأشهرهم:

---

(١) الوخد: نوع من مشي الإبل السريع. اللسان، مادة (وخد).
(٢) القُسِّيّة: صفة للقسُيس وهم العقلاء والحذّاق. اللسان، مادة (قسس).

Marfat.com

٨٣- محمد بن عمر الصُوفِي

إن كان أسرتُه بين الورَى علَماً فإنه علَم في ذلك العلَمِ

ملَك التصرُّف في التصوف، وأبْدَع التفرُّع في التعرُّف.

وطريقتُه في القوم، مُبرَّأة من المحْذور واللَّوْم.

تحَلَّى في إماطة الشُّبَه بالاتّقاء، وترقَّى في ذِرْوة المعارف حَدَّ الارْتقاء.

وهو على ودائع الأسرار مأمونٌ ثِقَة، والقلوبُ كلها على جَلالتِه مُتَّفقة.

ففَمُه قُفْل إجابة، ويدُه مفتاح إجابة.

وكلماتُه تدلُّ على تمكُّنه في علم الأخْيار، وتُعرِّف أن نظَرَه بمرآة الخيال مُجلاة من غُبار الأغْيار.

ولم يبلغْني من شعره إلا تائيَّة ابن حَبِيب، ومطلعها: [البسيط]

باسم الإله ابْتدائي في مُهمَّاتِي فذاك حِضْنيَ في كلِّ المُلِمَّاتِ

بيت أبي اللطف

ثَنِيَّةُ العلم والفُتُوَّة، وهضبة الحِلم والمُرُوّة.

ما منهم إلا من حَذَا برياسة، وتروَّى من نفاسة وكَياسة.

وأضاء بدراً وشمساً، وأفاض عشراً وخمساً: [المنسرح]

ألطافُهم لا تزال سابغةً سائغةً حُجِبتْ عن الرَّنَقِ

تطيبُ آثارُهم لأنَّهُمُ من طَيْب العُودِ طيْب الوَرقِ

وأقربهم عهداً:

٨٣- محمد بن عمر بن محمد سعد الدين بن تقي الدين بن القاضي ناصر الدين بن أبي بكر بن أحمد بن الأمير موسى، المعروف بالعلمي القدسي.
كان من أصلح صلحاء زمانه وأعرفهم بالله تعالى، له الطريقة الباهرة والسمت الحسن في مصطلحات الصوفية وذكرهم، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم. وكان في مبدأ أمره يسكن دمشق بخانقاه تقي الدين عمر الكردي في محلة القنوات، ثم حج وجاور، ولم يستقر بعد ذلك في دمشق فرحل إلى موطنه القدس وقطن بها، واعتقده أهلها وأحبوه، واشتهر صيته في الآفاق، وكان عالماً صالحاً سالكاً على نهج كبراء الصوفية، وله كرامات مشهورة. وكانت وفاته في سنة ثمان وثلاثين وألف، بجبل الطور ظاهر القدس. ا هـ خلاصة الأثر (٤/٧٨).

Marfat.com

٨٤- علي بن جار الله

أحدُ أمجادهم، ومتقلِّد نِجادِهم.
فاقَهم فضلاً وكرماً، وأضحى لزُوَّار المكارم مُناخاً وحَرَماً.
لا يرتجع وفدُ الآمال عن ساحتِه، ولا يزول لَقَبُ النَّدى عن راحتِه.
وهو رئيس الحرَم ومُفتيه، وملْتَمس الفضل ومُؤْتيه.
وله القدرُ العلِيّ، والفضل الجَلِيّ، وكلماتُه على صدور الغانيات من الحُلِيّ.
إلا أنه فسيحُ مَدى الافْتنان، ممْدود حِبال الامْتنان.
لم يزل في شِعاب الفُتَّاك يتوغَّل، وفي طريق الانتهاك يتغلْغَل.
وطفر آخراً طَفْرَةَ النَّظَّام، فتفرَّقت آراؤُه في أمورٍ أغْيَت على الانْتظام.
وكان أمير غَزّة ابن رِضوان ممن كثرت عليه عيونهُ، وساءت فيه ظُنونُه، فاخْتال عليه، في اسْتدنائه إليه.
حتى إذا حصَل على تلك الأغراض، فتك فيه على غِرَّة فَتْكةَ البَرّاض[1].
وذهب كأمس الذَّاهب، والدهر هكذا واهِب ناهِب.
فالله يُسهِم له مع أهل الثواب، ويلهمُه عند السؤال الجواب.
وقد أثبَتُّ له من أشعاره ما توَدُّ الشمس سَناه، والنسيمُ اللَّدْن رقَّةَ معناه.
فمنه قوله، من قصيدة مطلعها: [الطويل]

خليليَّ هذا الدهرُ دانتْ عجائبُه ... فطَمِّن فؤاداً إن نشَبْنَ مخالبُهْ
ولا تغتَبِنْه إلى تأخُّر ذو حِجاً ... فذا الدهرُ لم يُحْرِز سِباقاً مُعاتبُهْ
سكِرتُ بهذا الدهرِ لا من عُقارِه ... ولكن لِما أبْدتْه عندي عجائبُهْ
فما مُحرِم الإنسان إلا علومُه ... وما ذائِقُوه السَّمَّ إلا أقاربُهْ

٨٤- علي بن جار الله بن أبي بكر بن محمد بن أبي اللطيف، ويعرف بيتهم بالقدس ببني اللطيف، وعلى هذا نشأ، عليه سمت والده ومذهبه، وكان حنفياً، ومهر في فنون عديدة، وكان فاضلاً إلى الغاية، محققاً، قوي الحافظة أديباً، سمحاً، جواداً، ممدحاً، فرداً في وقته.
سافر إلى الروم مراراً، وولي إفتاء الحنفية بالقدس وخطابة المسجد الأقصى، وكان كثير المجون، متهتكاً في التعشق والصبابة.
وكانت وفاته بغزة هاشم في سنة سبعين وألف، قتله حاكمها الأمير حسين بن حسن، وقيل: عدواناً، وقيل: ورد فيه أمر شريف بقتله، وذلك لأمور منكرة كانت صدرت منه يرجع أكثرها إلى حب الدنيا والرياسة. ا هـ خلاصة الأثر (٣/ ١٥١).

(١) البرّاض: اسم علم للبرّاض بن قيس: الذي هاجت به حرب عكاظ، وهو أحد فتّاك العرب. اللسان، مادة (برض) والبرّاض: الذي يأكل كل شيء ويفسده.

Marfat.com

وهذا فيه إيماء إلى قول ابن العَمِيد: [م. الكامل]

آحِ الـــرجـــالَ مـــن الأبَـــا ... عِـــد والأقـــاربَ لا تُـــقـــارِبْ
إنَّ الأقـــاربَ كـــالـــعـــقـــا ... ربِ بـــل أضـــرُّ مـــن الـــعـــقـــاربْ

وفي المثل: ظلم الأقارب أشدُّ مَضَضاً من وَقْع السيف.

وقيل: إنما أخْشَى سَيْل تَلْعَتِي.

والتَّلْعة: مَسِيل الوادي، من السَّنَد إلى بطن الوادي.

ومعنى المثل، إنما أخاف شرَّ أقاربي، ويضر به مَن يخاف أن يُؤتى من مأمَنِه، ومن جهة خاصَّته وأقربائه.

وأما قولهم في مثل آخر: ما أقُوم بَسيْل تَلْعَتِك[1].

فمعناه: ما أطيق هِجاك وشَتْمك الذي تشتمني به، ولا أثبُت له.

ولبعضهم: [الرجز]

جانِبْ إذا أرْشدت أهْلَ القُدس من ... أبـــاعـــدِ تـــودّ أو أقـــاربِ
فـالـقُـدسُ طَـسْـتٌ ذهـبٍ لـكـنَّـه ... مـمـتـلـئٌ يُـقـال بـالـعـقـاربِ

وله من قصيدة مستهلها: [م. الرمل]

عِـذْ فـمُـضْـنـاك يُـعـاذ ... وابْـقَ فـالـفَـانِـي يُـعـاذ
وتـلافَـى مُـهـجـةً أتْـ ... ـلـفَـهـا مـنـك الـبِـعـاذ
وابْـقِ أخْـشـاءَ لـهـا ... مـنـك جُـرح وضِـمـاذ
أوْ فـعَـوِّضـنـيَ طَـيْـ ... ـفـاً مـنـك قـد أغْـيَـى الـسُّـهَـاذ
مِـخْـنَـتـي فـيـك وهِـجْـرا ... نُـك قَـذْخٌ وزِنـاذ
قـاتِـلـي والـقـتـلُ لـي ... فـي جَـدَدِ الـحُـبِّ مُـراذ
كـلُّ صَـبٍّ لا يَـرَى الْـ ... ـهَـتْـكَ تـعـذّاه الـرِّشـاذ
كـدَّر الـعـشـقُ لـنـا ... مـن صـفـاءٍ وصِـفـاذ
سَـلْـوتـي عـزَّتْ فـهـل ... شَـيْـمُ عـزيـزٍ لا يُـراذ
صـادَنـي لـحـظُـك يـا ... أهْـيـفُ والأُسْـدُ تُـصـاذ
كـنـتُ قـبـل الـعـشـقِ لا ... يـجـذِب آمـالـي عـنـاذ

(١) مثل عربي ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٢٧٨ .

Marfat.com

مُـمْـتَـطٍ صـهـوةَ أقْـ ... ـراحِ ولـلـدهـرِ انـقِـيـادْ
لـفـظَـتْـنـي شَـفَـةُ الـدَّ ... ـهـرِ فـخـافَـتـنـي الـبـلادْ
وكـذا بـمـا يـمـضُـغ الْـ ... ـأبْـخَـرُ تـغـفـوه الـجِـيـادْ
سـامَـنِـي الـدهـرُ فـآ ... مـالِـيَ عـكـسٌ واطِّـرادْ
يـتـمـنَّـى وَصـلَ إرْ ... غـامـي ومـثـلـي لا يُـكـادْ
لا تـضِـق يـا قـلـبُ فـالإ ... سـارُ لـلـيُـسـرى نِـجـادْ
وتـرَوَّ الـصـبـرَ لا يـخْ ... سُـنُ بـالـفـحـل حِـدادْ
إن تـبـرَّانـي فِـنـاءُ الْـ ... خَـانِ بـثْـنـا فـي الـوِهـادْ
لـيَ مـن قـومـي وقـوْ ... لـي ركـنُ عـزٍّ واعـتـمـادْ
نـحـن آل الـلـطـف أقْـ ... ـوامٌ أسـاورةٌ شِـدادْ
حَـلْـيُـنـا الـيـقْـظـةُ إذْ مَـا الْـ ... غـيـرُ خَـلاَّهُ الـرُّقـادْ
كـلَّ عـصـرٍ حـضـرةُ الـقـدْ ... سِ لـنـا مـنـهـا عـمـادْ
شـيـخُـنـا الـفـاروق فـي قِـرْ ... طـاسِ إنْـشـاهـا الـمـدادْ
عُـمـرُ الـلـيـث إذا صَـا ... لَ وإن طـمـال جَـوادْ
هـادئُ الـخُـلْـق إذا مـا ... عـنّ طـريـق الـحـقِّ حـادْ
كـعـبـةُ الـطـائـفِ والـرَّا ... جـي ولـلـعـافِـيـن زادْ
مـن نُـشـورٍ غـيـثُ نُـع ... مـاهُ ونـادِيـه مَـعـادْ
جـمـرةُ الـكـونِ ولـكـن ... لـيـس يـعـلـوهـا رَمـادْ
وأخـو الـمـجـدِ أبـو الـلـطْ ... فِ سَـمـا الـحـمـدِ الـمُـرادْ
مُـدرِك الـغـايَـة إنْ آ ... يـسَ فـي الـسـبـقِ الـجـوادْ

وله من أخرى يمتدح بها الأمير حسين، أمير غَزَّة: [م.الكامل]

احْـفـظ فـؤادَك يـا مُـفـدَّى ... نـارُ الـهـوى تـمْـتـار جـدّا
هـذا سـهـامُـك فـي الـحـشـا ... حَـمْـرا شَـواكـلُـهـا ومَـرْدَا
إن شـئْـتـهـا أبـدَيْـتـهـا ... مـن مُـقـلـتـي دمـعـاً وسُـهـدَا
نـعـمَ اهْـتـزازُ قَـوامِـك الـ ... ـمَـغْـسـولِ لا يـخـتـار رَدَّا
فـاغـمِـلْـه فـي حـركـاتِـه ... إن رمـتَ أن لا تُـبْـقِ فـردَا
أمُـعـذِّبـي بـئـس الـهـوى ... إن لـم يـكـن قـربـاً ويُـعـدَا

Marfat.com

فـامـنَـخْ فـؤاديَ نـظـرةً ... إن شـئـت لـلـتَّـعـذيـب مَـدَّا
نِـعْـم الـشـهـادةُ مُـنـجِـداً ... لـو سـوَّغـتْ لـلـوصـلِ شُـهـدَا
لـو أن فـعْـلـك لـلـزمـا ... نِ ردَدْتَـه كَـلاَّ ووَرْدَا
فـلَـكـمْ أتـى بـمـبـرِّج ... مـنـه اضـطـبـارِي كـان سَـدَّا
ولَـكـم أبـان مَـخـالـبـاً ... خَـلَّـيْـنَ لـلأهـدابِ نِـدَّا
يـا جـاعـلاً أحْـداقَـنـا ... قُـرطـاً ومِـنـطـقَـة وغـمـدَا
شـخَـصـت لـنـاظِـرك الـمُـكـحَّ ... لِ أنـفُـسٌ صـيـداً وأُسْـدَا
فـي مـوقـفٍ يـدَعُ الـنـفـو ... سَ ذوائـبـاً والـدمـعَ جَـمْـدَا
ويـقـسِّـم الأكْـبـاد حـسْـب الْـ ... ـوَصـفِ سَـوْسـانـا ووردَا
فـكـأنَّ سـيـف حـسـيـن يُـو ... ضِـح لـلـورى حَـدّاً وحـدَّا
ويُـرى لـكـلِّ مُـنـابـذٍ ... إفـرِنْـدَه بـالـرَّقْـم حَـدَّا[1]
فـكـأنـمـا إدريـسُ أوْ ... دعَ فـيـه مـا أخْـفـى وأبـدى
بـطـلٌ يُـشـيـر لـمـثـلِـه ... نَـفْـعـاً ولـلـمُـجـديـن رِفْـدَا
الـسـابـقُ الـشَّـمّ الأُنـو ... فَ أبـاً وأبـنـاءً وجَـدَّا
حـامِـي قِـبـابِ الـمـجـد مـا ... بـذلُـوا لـهـا شـرفـاً ومـجـدَاً
أمـظـلَّـلَ الأبْـطـالِ عِـقْـ ... ـبـانـاً وكـاسِـي الـفـقـر وُجْـدَا
أيْـسَـرْتَ غُـرَّةَ غَـزَّةٍ ... ومـنـحـتَـهـا لـلـفـخْـرِ عِـقْـدَا
حـتَّـى سـبَـتْ بِـنـظـامِـهـا ... عـجَـمـاً وأتـراكـاً وهـنـدَا
تِـيـهـاً أغَـزَّةُ إنـمـا ... أزبـاك عِـزٌّ لـيـس يَـضْـدا

وله من أخرى، أولها: [الرمل]

مِن دياجِي البعد هل للقربِ وَمْضُ ... أما بِمضْمارِ التهاني ثَمَّ رَكْضُ
لا أمَنِّي النفس ما لي والمُنى ... عاقَني من أذهم الأيام رَكْضُ
كن تَسَآلي مُخِلاً بالعَطا ... يومَ لا نَأْيٌ دنا والعيشُ غَضُّ
يومَ كان الشَّرْبُ سَمْعاً وأنا ... بُلْبُلٌ ثَمّ سما والكلُّ أرضُ
صاحِ عاطِيني ولا تسألْ لما ... جَفنُ كأسِي وجفوني لا تُغَضُّ
إن تقلْ جُرحُ زماني كاتمٌ ... منهمُ في القلب جُرحٌ لا يَمَضُّ
عَلِق القلبُ بلَحْظٍ إن رنا ... قاتلٌ أو كَفُّ ظنَّ الكفُّ غَمْضُ

(١) الإفْرِند: السيف إذا وشي. اللسان، مادة (فرند).

Marfat.com

مَن مُجيري من هوى مَن لُبْتُه ... في عَرِين القلب زَفراتٌ ورَبْضُ
كنت لا أعرفُ تمْزيق الكرَى ... فأراني كيف عَضْبَ الجَفْن يَنْضُو
ورأى طُغيان قلبي فرَنا ... ليُريه شُهُب الطاغِي تقُضُّ
فتناسيتُ بلَمْعِ بَرْقِه ... مذ بدا لي منه بَسْطٌ ثم قَبْضُ
قال لي والصَّخو ما خامرَه ... واستملَّى قَدّه طولٌ وعرضُ
هل تخمَّرت بنُور طُرَّتي ... أم جفون الشَّعر دَانَاهُنَّ غَمْضُ
قلتُ شَيْبي من سعيرِ مُهْجتي ... أبْرزَتْه زفراتُ القلب ومْضُ
أو سِنانٌ طاعنٌ قلبَ الصَّفَا ... أو شهابٌ إذ لِحَتْمِ العيشِ فضُّ
ودموعي ماءُ قلبي نارُه ... أخرجتْها من قُرُوحِ الجَفْنِ بَضُّ[1]
قال لي والغصنُ يثْنيه الهوى ... قد أتى من سائل الأجْفان عَرْضُ
فازجِع الدمعَ لتطْفى نارَه ... حيث لي في منزل الأشواقِ عَرْضُ
جِلْيَةُ العاشق قربٌ وقِلَى ... أيُّ وجدٍ لفؤادٍ لا يُرَضُّ

قلت: هذا شعر مقدارُه خطير، إلا أنه فَطِير.

٨٥ - حافظ الدين العَجَمِيّ

فارسُ مَجال، وربُّ رَوِيَّة وارْتجال.
تُؤخذ الفصاحةُ عن لفظه، وتُسْتملَى فنونُ البلاغة من حِفظه.
وله حظٌّ من الأدب عظيم، واختصاص بنَثِير ونَظِيم.
إلا أن شعرَه أمَلُ الكثرة، وهي كما عرفت متواخِيةٌ مع العَثْرة.
وكان نَبَا بِه في حَداثته وطنُه، وضاق ببعض الحوادث عَطَنُه[2].

---

(١) بض: بضّ الشيء إذا سال. اللسان، مادة (بضض).

٨٥- محمد بن جمال الدين بن أحمد، الملقب حافظ الدين العجمي القدسي، الحنفي، القاضي الأجل الفاضل، الأديب. كان من أفراد الزمان في الفضل وكثرة الإحاطة باللغة والآداب. قرأ ببلده وحصل وتفوق، وسافر مراراً إلى الروم، ولازم شيخ الإسلام محمد بن سعد الدين. وولي القضاء في إقليم مصر، وتصرف في عدة مناصب إلى أن انفصل عن قضاء المنصورة، ثم صار مفتياً بالقدس ومدرساً بالمدرسة العثمانية بها، وقدم إليها فلم يمتزج مع أهلها لطول غيبته عنها فترك المنصب، وورد إلى الشام وأقام بها مدة في محلة القنوات، ثم عجله بني كريم الدين، وتزوج بابنة القاضي برهان الدين البهنسي، وبعد مدة قليلة طلقها، وتنازع هو وأبوها وطال بينهما النزاع. ثم لم يقر له بدمشق قرار، فسافر إلى الروم وأقام بها، ثم أعطي قضاء طرابلس الشام، وبعد ما عزل عنها ورد إلى دمشق وأقام بها مدة، ثم سار إلى دار الخلافة وولي القضاء ببوسنه وصوفيه. وكانت وفاته في سنة خمس وخمسين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٤١٢).

(٢) العطن: هو مكان تبرك فيه الإبل. اللسان، مادة (عطن).

Marfat.com

فطار كلَّ مَطار، ولم يُعرِّج على أوطانٍ وأوطار.
ومع أنه يُراقبه من الجلالة حافظ، وهو له في كل شؤونه مُطالع مُلاحظ.
كان كَلِفاً بالغِلمان، مُعَنًّى بهم في كل الزمان.
وعشق بدمشق فتى اتخذه للخدمة، وهَام به هَيمان ذي الرُّمَّة.
وتحمَّل فيه أنواع المشاقّ، وشهد حتى مصارعَ العشاق.
وشرب بالفتى، ولم يقل السُّلوُّ متى.
وكان قد فضح النهارُ ليلَه، وأفْعم الهرَمُ في لهاتِه سَيْلَه.
فمضغَتْه أفواهُ التشْنِيع، وعضَّتْه أضراسُ النَّدامة على هذا الصَّنيع.
ثم خرج عنه الفتى مُجانباً، وخَلاَّه هو وكمده جانباً.
واتفَقَ له أنه كان في جمعٍ من الأعيان، ممَّن يضيق عن وصف تيقُّظهم نِطاقُ البيان.

إذ سقط الفتى سقوطَ النَّدَى، وحلَّ حلولَ الأمل في ذلك المُنْتدَى.
فلم يتمالك الشيخ أن وقع مَغْشيّاً عليه، وفمُه على ظاهر قدَميْه.
فاغتنم تلك الفرصة، وأطْفا بتقْبيلهما تلك الغُصَّة.
والفتى يُظهِر امتناعَه، والحيَا حَطَّ عليهِ قِناعه.
حتى زايل مكان زَلَّة القدم، هناك قرَع الشيخ سِنَّ الندم.
وشرع يطلب العفو، وينسُب ما وقع منه إلى الغَفْو.
ثم لم يقَرَّ به القرار، دون أن عزم على الفَرار.
وخرج إلى الروم حاملَ أثْقال، وهو بريدُ تَرَحُّل وانتقال.
وانتهى أمرُه إلى أن صار قاضياً بصُوفيه، وبها انتقل من ظلِّ العافية، إلى ظل الرحمة الوافرة الوافية.

وقد أثبتُّ من شعره ما له في إصابة شاكِلة الصواب اشْتهار، فإنه إن كان حاطبَ ليل فأنا في انتخاب أحاسِنه قاطفُ نهار.

فمن ذلك قوله: [الوافر]

رأى مـا حـلَّ مـن فَـرْط الْـتـهـابِـي ... ومـن مَـيْـل الـجـفـون إلـى انْـتـهـابـي
فـمـال إلـى انْـعطاف العِطْف نـحوِي ... وأخيَى القلب من رَشْف الرُّضابِ[1]
وقـام لـنـشْـر بُـرْدِ الـوصـل يـطـوِي ... بـأيـدي الـلُّـطـف أزْدِيَـة الـعِـتـاب
غـزالٌ كـالـغـزالـة قـد غَـزانِـي ... بـأجْـفـانٍ أصـابـث كـلَّ صـابِـي

(١) رشف: مص الرضاب أو الماء. والرضاب: هو الريق. اللسان، مادة (رشف).

Marfat.com

صَبا قلبي إليه فكلُّ صَبٍّ ... سليمُ الطبع مأسورُ التَّصابي
جرحتُ بنظرتي خَدَّيْه وَهْماً ... فقابلَني بأنواع العقابِ
أرى تعذيبَه للقلبِ عَذْباً ... لأُسْقَى من مراشِفه العِذابِ
متى حسَر النِّقابَ عن المُحيَّا ... سَبَى العقلا ويسْبِي في النِّقابِ
بكأسِ الثغرِ منه عِقْدُ دُرٍّ ... تكلّل مثلَ حَبَّات الحَبابِ
إذا أتبعتُه في المشْيِ طَرْفِي ... فلا أدري الضلالَ من الصوابِ
أدار على صباح الجِيد شعراً ... كلَيْلٍ جَلَّ حسناً عن خِضابِ
وسَيَّبه على الأزدافِ يسْعَى ... كأفعى في الْتِفاتٍ وانْسيابِ
قسا قلْباً ولكن لاَن عِطْفاً ... أما هذا مِن العَجَب العُجابِ
قضى بالقتْلِ للعشَّاق قطعاً ... بحُكْمٍ منه قَطْعِيِّ الجوابِ
وذلك حين أدْمَوْا منه خَدّاً ... بنَظْرتهم له خلفَ الحجابِ
ولم يُقِمِ الشهادةَ حالَ قتْلٍ ... لكيْ يحتاج فيها للنِّصابِ
يُصيب إذا رمى في القلبِ سهماً ... وكم بالجفْنِ منه مِن مُصابِ
قد اسْتَلب النُّهَى باللطفِ منِّي ... وبالَغ في فُنون الاسْتلابِ
فنارُ القلب منِّي في الْتهابٍ ... وطَرْفي الصَّبُّ منه في انْصبابِ

وقوله في الغزل: [الطويل]

أيا مَن يُحيِّي الحسنَ منه بدورُ ... وقد جذبتْه للخُدورِ بدورُ
أراك تجُوز الحيَّ بالقلب خائفاً ... رقيباً ومِن شأن المحبِّ يزورُ
أمالَك أن تَثْنِي العِنانَ لحَيٍّ من ... يُزار فمحبوبُ القلوبِ مَزُورُ
فكن مُصْغياً سمعاً فإن لسانَه ... يقول لأرباب المحبَّةِ زُورُوا
إذا زرتَ أحْياء الأحبَّة زُرْهُمُ ... وإلاّ فدَعْواك المحبَّةَ زُورُ

وقوله: [البسيط]

وأهْيَفٍ زارني والليلُ مُعتكِرٌ ... فأشرقتْ من سَنا لألائِهِ دورُ
قالت عقاربُ صُدْغَيْه نذُور على ... لَسْعِ الحشا قلتُ هاكُنَّ الحشَا دُورُوا

وهذا في باب التَّورية مُستظرف.

ومثله قول بعضهم: [البسيط]

هَوِيْتُ غصناً لأطْيارِ القلوب على ... قَوامِه في رياض الوجدِ تغْرِيدُ
قالتْ لَواحظُه إنا نَسُودُ على ... بِيض الظُّبا قلتُ أنتم أعينٌ سُودُوا

Marfat.com

وقوله من قصيدة، مطلعها: [الطويل]

هو الوجدُ في روضِ القلوب مَنازلُهْ ... يترجمُ عنه أين حَلّ مُنازِلُهْ
وأين خَلِيُّ السرِّ من عارف الهوى ... فَذَا عالمٌ فيه وذلك جاهلُهْ
ولولا الهوى ما مال قلبٌ إلى الهوى ... ولا غرّدتْ من فوق غصنٍ بَلابلُهْ
فهل حافظ فيه حديثاً مُعَنْعَناً ... يُسائلني عنه وعنه أسائلُهْ
فما لي وللأطلالِ لا طال ظِلُّها ... أُناشدُها عمّن تروح رواحلُه
وما لي وذِكْرِي للمَشِيبِ سَفاهةً ... وقد فعل التَّشبيبُ ما هو فاعلُهْ
ومالِي وللبَيْداءِ أقطع مَتْنَها ... على ظهرِ يَعْبوبٍ تناءتْ مَراحلُهْ
وما لي ورَسْمِ الدارِ والرسمُ قد عفَى ... وماذا عسى يوماً يُجاب مُسائلُهْ
وما لي ووصف الشيبِ لا بان صَحْبُه ... ولا ظهرتْ في العارِضَيْنِ مَخائلُهْ
ولا انفكَّ طِرْفُ اللهوِ يجرِي على الصَّفا ... بمِضْمار شوقٍ لا تكِلُّ جحافلُهْ
ولا قصُرتْ يوماً خُطاه ولا انثنتْ ... قوائمُه في السَّبْق عمّا تُحاولُهْ
ولا زِلْتُ في ليل الشَّبيبةِ والصِّبا ... تُضيءُ علينا بالسرورِ مَشاعلُهْ
ولا عُطِّلتْ أوقاتُ صَفْوٍ ولا خلَتْ ... من الأُنسِ ساحاتُ الهوى ومنازلُهْ
وما زال غصنُ العمرِ بالعِزِّ مُورِقاً ... ومَنْشؤُهُ صافِي المَناهلِ آهلُهْ
ولا برحت في الدهر مرآةُ عيْشِنا ... صَقِيلةَ وجهٍ لا تراه نوازِلُهْ[1]
ولا هَجرتْ ذاتُ السِّوار مُتيَّماً ... يقابلُها يوم اللقا وتقابلُه
ولا صَدَّ خالي العارِضَيْن ولا ثَنَى ... ولا مال عنّي مائلُ القَدْ مائلُهْ
غزالٌ متى ما رُمْتُ أُفْهِمُه الجوَى ... يغازلُني من جَفْنِه وأغازلُهْ

منها: [الطويل]

عواملُه في القلب قَدٌّ وحاجبٌ ... وجَفْنٌ وكم في الخلْقِ صالتْ عوامِلُهْ
فذلك رُمْحٌ والحواجبُ قَوْسُه ... وذلك سيفٌ قد حَمَتْه حواملُهْ
به صِرْتُ أوْهَى من خيالٍ إذا سَرَى ... لذلك جسمي زائدُ السُّقْمِ ناحِلُهْ

ورأى بدار الخلافة سِرباً من الظِّباء الغِيد، قد اعتَلَوْا النَّواعير في أيام العيد.

---

(١) الصقل: هو الجِلاء. اللسان، مادة (صقل).

Marfat.com

فدارت تلك الأفلاك، بهاتيك النجوم الممثَّلَة بالأملاك.

فقال يصفهم: [البسيط]

ما شاهدتْ مُقلتي في غُربْتي حسَناً ... إلاَّ بُـدورا بـدارِ الـرُّومِ قـد سُـلِـبُـوا
كـأن نَـاعـورَةً دارتْ بـهـم طَـرَبـاً ... قلبي فهم كيف ما شاؤوا به انْقلبُوا

وقال أيضاً: [البسيط]

ويـوم عـيـدٍ كـسـاه الأُنـسُ حُـلَّـتَـهُ ... كم من جميلٍ به في صُورةِ المَلَكِ
بُـدورُ تـمٌ بـأُفْـق الـحسـنِ قـد طـلّـعـوا ... فـزال مـا كـان فـي الأكْـوان من حَـلَـكِ
كـأنـهـم فـي نَـواعـيـرٍ تـدُورُ بـهـم ... نـجـومٌ أفْـقِ الـسَّـمـا فـي دَارَةِ الـفـلَـكِ.

ووقفتُ على «ديوان» جمعه لنفسه، وكتب على ظهره من نظمه، قولَه: [الطويل]

ستفنى الليالي واللآلِي بحالها ... وما هي إلا النظمُ من حافظ الوُدّ
فإن عشتُ أنْعشْتُ الزمانَ وإن أمُتْ ... فلي شاهدٌ بالنظمِ والنثرِ من بعدِي

٨٦ - مَرْعِيّ بن يوسف الكَرْمِي

مُقدَّم في العلوم الشرعية، غيرُ متأخِّر في العلوم الأُدبيَّة المَرْعِية.

فهو من الفضل في مُنتهاه، ومن الأدب في محل سُهاه.

وله جَودة إتقان، وتمسُّك بالهُدى وإيقان.

مع زهد يحُول بين القلوب ولذّاتها، وتبتُّل لا يرغَب في العبادة إلا لِذاتها.

نِقيٌّ مما يُصْدِئُ مرآة نُهاه، فما صَبا لظبْيٍ ولا اعْتلق بمَهاة.

يهِيم في صلاحٍ وسَداد، إذا هامتِ الشعراءُ في كلِّ واد.

٨٦- مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي، نسبة لطور كرم، قرية بنابلس، ثم المقدسي. أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر، كان إماماً محدثاً فقيهاً ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة.
أخذ عن الشيخ محمد المرداوي، وعن القاضي يحيى الحجاوي. ودخل مصر وتوطنها، وأخذ بها عن الشيخ الإمام محمد حجازي الواعظ، والمحقق أحمد الغنيمي، وكثير من المشايخ المصريين.
وأجازه شيخه وتصدر للإقراء والتدريس بجامع الأزهر ثم تولى المشيخة بجامع السلطان حسن.
وكان منهمكاً على العلوم انهماكاً كلياً فقطع زمانه بالإفتاء والتدريس والتحقيق والتصنيف، فسارت بتأليفه الركبان ومنها: كتاب (غاية المنتهى) في الفقه، من أربعين كراساً، و(دليل الطالب في الفقه) نحو عشرة كراريس، و(دليل الطالبين الكلام النحويين)، و(مقدمة الخائض في علم الفرائض)، وغيرها الكثير. وله ديوان شعر.
وكانت وفاته بمصر في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٤/٣٥٨).

Marfat.com

وهو أوحدُ من ألَّف وصنَّف، وأعظم من قرَّظ وشنَّف[١].

وله أشعار ومنشآت جلاَ أُفقَها، وجَلَّى طِرْفها وطُرقَها، وأطْلَع من تحت غصون الأقلام كالرياض ورقَها.

فمن شعره قوله: [الكامل]

لـمـا رأيـتُـك مـقـبـلاً مـتـبـسِّـمـاً ... والـحـسـنُ عـمّـك والـبَـهـا والـسُّـؤدَدُ
والـمِـسـكُ خـالُـك فـاح عـطـراً نَـشْـرُه ... والـورْدُ خـدُّك جـمـرُه يـتـوقَّـدُ
قـلـت ارْتـجـالاً بـيـتَ شـعـرٍ مـفـرداً ... أنـت الـمـرادُ وفـي الـمـحـاسِـن مُـفْـرَدُ
يـا واحـداً فـي حُـسْـنِـه وجـمـالِـه ... إنِّـي وحـقِّـك فـي هـواك مُـوحِّـدُ

وقوله: [الطويل]

أيـا مَـن حَـلا لـي ثـغـرُه ورحـيـقُـه ... رُوَيْـدَك إن الـقـلـبَ زاد حـريـقُـهُ
ويـا مـن تـجـلَّـى بـالـدَّلالِ ومَـلَّـنِـي ... ومِـن لَـحْـظِـه سَـيْـف يـلـوم بـريـقُـهُ
ويـا مـن حَـكـاه الـغـصـنُ وهْـو وَرِيـقُـه ... وورْدٌ وشُـهـد وَجْـنـتـاه وريـقُـهُ
تُـعـلِّـق آمـالـي بـذاك وتـثْـنِـي ... وهـل يـثْـنـي عـمَّـن يـحـبُّ مَـشُـوقُـهُ
وصيَّـرتَ لـي ذنـبـاً ولـم أكُ مُـذنـبـاً ... وحـمَّـلْـتـنـي بـالـهـجـرِ مـا لا أُطِـيـقُـهُ
صـبـرتُ ومُـرُّ الـصـبـر فـتَّـتَ مُـهـجـتـي ... وإن كـنـتَ فـي شـكٍّ فـسَـلْ مـن يـذوقُـهُ

وقوله: [الكامل]

مُذ غاب عن عيني وأعرض عامداً ... مَـن كـنـت أهـواه تـغـيُّـر حـالِـي
وأتـى الـعـذولُ مُـوبِّـخـاً ومـعـاتِـبـاً ... مـا مَـن يُـقـاسِـي مـثـلَ مـن هـو خـالِـي

ومن أمثالهم في هذا الباب:

الراكبُ لا يعرف حال الماشي.

والشبعان يفُتُّ للجوعان فتّاً بطِيّاً[٢].

مَن نام لا يشعُر بشَجو الأرِق[٣].

وله: [الطويل]

بـرُوحـي مَـن لـي فـي لِـقـاه وَلائـمُ ... وكـم فـي هـواه لـي عـذولٌ ولائـمُ
عـلـى وَجْـنـتـيْـه وزْدتـان وخـالُـه ... كمسكٍ لطيفِ الوصف والثغرُ باسمُ

(١) الشنف: ما يعجِبُ الناظر إليه. اللسان مادة (شنف).
(٢) مجمع الأمثال (١٩٨٦).
(٣) مجمع الأمثال (٤١٣٤).

Marfat.com

ذوائبُه ليلٌ وطلعةُ وجهِه نهارٌ تبدّى والثنايا كمائمُ
بديعُ التثنّي مرسِلٌ فوق خدِّه عِذاراً هوى العُذْرِي لديه مُلازمُ
ومِن عجَب أنّي حفظتُ وِدادَه وذلك عندي في المحبةِ لازمُ
وبيْني وبين الوصل منه تبايُنٌ وبيني وبين الفضْل منه تلازُمُ

وله: [الخفيف]

ليت في الدهر لو حظِيتُ بيومٍ فيه أخْلو من الهوى والغرامِ
خالِيَ القلبِ من تَباريح وجدٍ وصدودٍ وحرقةٍ وهيامِ[1]
كي يُراحَ الفؤادُ من طولِ شوقٍ قد سَقاه الهوى بكأسِ الحِمامِ

(ومن منشآته)

فصل في مُعاتبةِ بتصديق الوُشاة

المولى يعلم أن الواشيَ لا يخلو من أحد أمرين: إمّا أن يكون محباً ودوداً، أو عدوّاً حسوداً.

فإن كان الأول فيستحيل أن يقصِد المحبُّ لحبيبه ضَرَراً، ويحمِّله من الإثم وِزْراً.

وإن كان الثاني فمعلوم أنه يجتهد في أذِيَّته بكل طريق، ويحرص أن يُغْرِيَ عليه كلَّ عدو وصديق.

فصل في معاتبة

الصديقُ لفظ على الألسنة موجوذ، ومعناه في الحقيقة مفقود.

فهو كالكِبْريت الأحمر، يُذكَر ولا يُبصَر.

أو كالعنْقاء والغُول، لفظ يُوجَد بلا مَدْلول.

وما أحسن قول القائل: [البسيط]

صادُ الصديق وكافُ الكِيمياءِ معاً لا يُوجَدان فدَعْ عن نفسِك الطّمعَا

وقول الآخر: [الكامل]

لما رأيتُ بني الزمانِ وما بهم خِلٌّ وَفِيٌّ للصداقةِ أصطفي

---

(١) تباريح: يقال تباريح الشوق بمعنى توهجه واشتداده. اللسان مادة (برح).

Marfat.com

وأيْـقـنـتُ أن الـمـسـتـحـيـلَ ثـلاثـةٌ الـغُـول والـعـنْـقـاء والـخِـلُّ الـوَفِـي

وسئل بعض الحكماء عن الصديق فقال: اسم لا معنى له.

وهذه شِيَم غالب أبناء هذا الزمان، من الأخلاَّء والإخوان.

فمثلهم كمثل العَرَض لا يبقى زمانيْن، ويستحيل في أسرع من طَرْفة عيْن.

أو كلَمْع السَّراب، المستحيل فيه الشراب.

أو كالخيال الذي يبدو في المَنام، وهو في الحقيقة أضْغاث أحلام.

ومن كان بهذه الصِّفة، فلا ينْبغي الوُثوق به، ولا التأسُّف على فَقْده، ولا التألُّم على فُرقته، ولا الحزن على غَيْبته.

فصل في تهنئة بفَتْح

بعد تهنئة بتأييد عزائمه، وسَفْك دماء العِدى على ألْسنة صوارمه.

ظهرتْ في سماء السَّعد مَطالعه، وشرُفت أقلامٌ بها وقائعُه.

فهو الفتح، الذي قضى على دم العدى بالسَّفك ودموعِهم بالسَّفح، وتَلتْ لديه آياتُ التهاني: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

وسيوفُه وإن كانت باكية دماً فقواضبُها بهذا الفتح ضاحكة، وجنودُه منصورة كيف لا! ومن أنصاره الملائكة.

فصل في الحثّ على المواعيد

مثلُه من يُتبع قولَه بفعلِه، ويأنَف من تَكْرير عَطائه بمَطْله.

فإن مرارةَ المَطْل تذهِب حلاوة الإعْطا، وتكرير الطلب يشرَب ماءَ الحيا.

والمرجُوُّ تحْقيق رجاء العبد بالإنْجاز، وتبْليغُه ما أمّله وأمَّ له إنْ جاز.

فصل في شكوى حال غريب

ويُنْهِي أن غَيْن الغُربة قد أوقعْته في هاء الهواء، وكافَ الكُربة رمثه في ألف الأشْجان.

وأصبح صادُ صبره مفقوداً، ونون نَوالِه مطروداً.

فعسى لحْظَةٌ منك تخلِّصه من غَيْن غوائل الدهر، وتُنقِذه من قاف القهْر.

Marfat.com

فصل في مخاطبة محدِّث

سلامٌ يتَّصل به سَنَدُ المحبَّة والشوق، ويتسلْسل معه حديثُ الغرام والتَّوْق.

وقد صحَّت من الضَّعف آثارُه، وحسُنت من طريق المحبَّة أخبارُه.

من عُنْعِنتْ بالسَّنَد العالي أحاديثُ كمالهِ، من غير إبْهام ولا انْقطاع ولا إنْكار لمَسانِيد فضْله وأفْضاله.

فصل في مخاطبة مَنْطِقيّ

سلامٌ تنْطبق كُلِّيَّاته وجزئيَّاته على قضايا الأشواق، وتنْتهجُ مَقاماتُه من الأشكال ما يعجز عن وصف خاصَّة الرَّسْم والحدِّ من الاشْتياق.

فصل في مخاطبة نحويّ

سلام تبرُز ضمائر الشوق من «تَوْضيح» «مسالِك» معانِيه، وتظهَر عواملُ الغرام من مُعْرَبات مَبانيه.

يُهديه مُحبٌّ انتصَبتْ محبته على التمييز، وارتفعت مودَّتُه بماضِي عهدكم لأنه يرى أن العهدَ عزيز.

محبٌّ مُبتدَأُ أحواله لا يُعرب عنه الخبر، وأفعالُ أشواقِه لا يحْكيها إلاَّ من له خبر.

٨٧- بَشير الخَلِيليّ

أديب بلُطْف الطبع مذكور، وفضلُهُ غيرُ مجْحود ولا منكور.

له ذهن يكشِف الغامض، ويسبِق البارِق والوامِض.

ومذهبُه ينشرُه الأدب ويبسُطه، وطبعه يمرح به الزَّهْرُ ويُنْشِطه.

أقرَّ عينَ الخليلِ بالعَرُوض، واتَّخذ نَقْد القريض في ذِمَّته من الفروض. وهو ممن نُظمت كلماتُه نَظْم اللَّآل، إلا أنه غرَّتْه مطامعُه في المدائح غِرَّة الآل.

يتكثَّر من العِدَة، ويتقلَّل من الجِدَة.

٨٧- بشير بن محمد الخليلي، القدسي.
الأديب، الشاعر الفائق، وكان بالقدس أحد من تفرد بالشعر والأدب.
وكانت وفاته سنة ستين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (١/ ٤٥٢).

Marfat.com

فما أخْصب له وادٍ ولا نمَا، فكأنه العَروض بَحْرٌ بلا مَا.

وأنا لم أقِف من شعره إلا على قصيدة لاميَّة، راجع بها الإمام خيرَ الدين الرَّمْلِيّ عن قصيدة على وَزْنها. مطلعها: [البسيط]

ما كان مَرْمَى فؤادي حيث هُيِّئَ لِي ... فيه البناءُ بهنْدٍ بعد مُرْتَحَلِي

وقصيدته هي قوله:

صَوْبٌ من الغيثِ وافَى زائدَ الهَطَلِ ... أحيَا رُبَا القُدس بعد الجَدْب والمَحَلِ
أم شمسُ فضلٍ ترقَّتْ في مطالِعها ... أوْجَ الفَخارِ فحلَّت ذِروةَ الحَمَلِ
أم بدرُ أُفْقِ المعالي قد تنقَّل في ... برُوجِه وكمالُ البدر في النَّقَلِ
لا بل هو الجامعُ العَرْفَ الذي ملكتْ ... أوصافُه الغُرُّ رَحْبَ السهلِ والجبلِ
أرادَ ربُّك في تخريكِه حِكَماً ... وربَّما صحَّت الأجسامُ بالعِلَلِ
فزيَّن المسجدَ الأقصى بحِلْيته ... وشَوَّه الرَّملةَ الرَّمْلاء بالعَطَلِ
فاهتزَّ من طَرَبٍ هذا لزَوْرته ... وارتجَّ من حَرَبٍ هذا لمُرتَحَلِ
فكم على الساحل البَحْرِيّ من حَزَنٍ ... وكم على المسجد القُدسِيّ من جَذَلِ
وكيف لا وهو خيرٌ إن أقام على ... أرضٍ تسامتْ وإن يرحَلْ فلا تَسَلِ
تجمَّعتْ فيه أوصافُ الكمال كما ... تجمَّعتْ قِسَمُ التَّفْصيل والجُمَلِ
أحْيَى الدُّروسَ وقد أخْفَى الدُّروسُ بها ... وجاد وابِلُها الظمآنَ بالنَّهَلِ[1]
معالمٌ لو رأى الرَّازي حقائقَها ... لَبات بالرّيِّ يشكو أبْرَحَ الغُلَلِ[2]
بجُودِ كفٍّ لو الطائيُّ شاهدَه ... لقال لا ناقتي فيها ولا جملِي
ومنطقٍ يترُك الألْبابَ حائرةً ... والكاملَ العقْل مثلَ الشاربِ الثَّمِلِ
كم أنشَدتْ لذوِي الفتوى براعتُه ... أصالةُ الرأيِ صانتْني عن الخَطَلِ[3]
قلَّدت جِيدَ أهالي القدسِ عِقْدَ ثَنَا ... من دُرِّ ألفاظِك الخالي عن الخَلَلِ
قصيدةً ما لها مِثْلٌ يُناظرُها ... سارتْ بلاغتُها في الكونِ كالمَثَلِ
لو أنْصفُوا لم يكن موجودُهم بَدَلاً ... عنها وهل ليتيمِ الدُّرِّ من بَدَلِ
مِن أعْجب الأمرِ تقْريظي لها هَذراً ... ولو سترتُ عَوارِي كان أصلحَ لِي

---

(١) النَّهَل: أول الشرب. اللسان مادة (نهل).
(٢) الغلل: بفتح الغين هو الصواب: هو الماء الذي يجري بين الشجر كناية عن أنه كثير فاض عن مكانه. اللسان مادة (غلل).
(٣) الخطل: هو سرعة وخفة، وكل سريع ذو خفة، إما في الحركة أو الكلام يقال له: الأخطل. اللسان، مادة (خطل).

Marfat.com

فما نِظامِيَ لَمّا أن يُقاسَ بها ... إلا نظيرُ قياسِ الشمسِ مَعْ زُحَلِ
لكنْ رأيتُ انْتظاري مع قُصورِ يدِي ... في سِلْكِ مَذْحِكمُ عفواً من الزَّلَلِ
فرُمْتُهُ فأتَى يسعَى على عَجَلٍ ... فاعجَبْ له من بَسيطٍ جاء في رَمَلِ
ولَذَّ لي وصفُك الزّاهِي فأذهلني ... عن البَداءةِ بالتَّشْبيبِ والغَزَلِ
أنا البشيرُ وكلُّ اسمٍ لصاحِبه ... منه نصيبٌ بِنُجْحِ القَصْدِ والأملِ
فدُمْ فما زلتَ نُوراً يُستضاءُ به ... إلى الهدى وبعَوْنِ الله لم تزَلِ
تحْمِي حِمَى مِلّةِ الإسلامِ أشرف مَن ... نال الفَخَار من الأمْلاكِ والرُّسُلِ
صلّى عليه إلهي دائماً أبداً ... والآلِ والصحبِ أهلِ العلمِ والعملِ
ما أُنْشدت فاشتمالتْ عقلَ صاحبِها ... ما كَان مَرْمَى فؤادِي حيثُ هيَّئَ لِي

أدباء الرملة

٨٨ – خير الدين بن أحمد الحنفي

بقيّة السلف، وخيرُ الخلَف.
ذاتُه كاسمه، والفضل كلُّه برَسْمه.

٨٨- الشيخ خير الدين بن أحمد بن نور الدين علي بن زين الدين بن عبد الوهاب الأيوبي، العليمي، الفاروقي، الرملي. الإمام، المفسر، المحدث، الفقيه، اللغوي، الصرفي، النحوي، البياني، العروضي، المعمر، شيخ الحنيفة في عصره.
ولد بالرملة وبها نشأ وقرأ القرآن، ثم جوده على الشيخ موسى بن حسن الغبي الشافعي الرملي، وقرأ عليه شيئاً من أبي شجاع في فقه الشافعي، ولازمه في صغره وانتفع به، ثم رحل إلى مصر صحبة أخيه الكبير عبد النبي، والتحق بالجامع الأزهر، وجد واجتهد ودأب في تحصيل العلوم، وأخذها عن أهلها وفاق أخاه، ولازم الشيخ عبد الله بن محمد النحريري الحنفي عالم الأزهر في فقه الحنفية، وقرأ عليه، وأخذ عن محمد بن محمد سراج الدين الحانوتي وأجازه، وقرأ على الإمام أحمد بن محمد أمين الدين بن عبد العال، وعلى محمد بن بنت محمد، ومحمد بن بنت الشلبي، وأبي النجا سالم السنهوري، وعبد الرحمن البهني، وأبي بكر الشنواني، وسليمان بن عبد الدائم البابلي، وإبراهيم اللقاني. ثم قدم بلدة الرملة في سنة ثلاثة عشرة وألف وأقام بها، ثم أخذ في الإقراء والتعليم والإفتاء والتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واشتهر علمه وبَعُدَ صيته. واشتغل في غرس الكروم ومباشرتها بيده وكان يأكل منها وكسبه من حل، ولم يتعرض من الجهات والأوقاف لشيء.
وله من التآليف النافعة منها: (الفتاوي السائرة)، و(حواشيه على شرح الكنز للعيني)، و(حواشيه على منح الغفار) وغيرها من الكتابات والرسائل، وله ديوان شعر مرتب على حروف المعجم.
وكانت ولادته في رمضان سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة، وتوفي في رمضان سنة إحدى وثمانين وألف، ودفن بمكان بمحلة ابن شقردي. ا هـ. خلاصة الأثر (٢/ ١٣٤).

Marfat.com

وعلْمُه كلمةُ إجماع، ومدحُه عطر أفواه وحَلْيُ أسماع.
فهو في الفقه عالمُ الشرع، ومحرِّر الأصل والفرع.
وعلَمُ الشُّهرة المنْشور، إلى يوم البَعْث والنُّشور.
وأما في الفرائض فله السهم والنَّصيب، وإذا اقتُسِمت فريضةُ الشكر فله الحظُّ والتَّغْصيب.

إلى علوم غيرها أخذ جُلَّ خيرِها، وسار فيها سِيرةً اقتدَى الجهابذةُ بسَيْرها.
فهو من منذ حلَّ في الكون، مَدَدُه التوفيق والعَوْن.
رمَقتْه عينُ العناية، فدلت عليه كلمةُ الفضل بالصَّريح والكناية.
فسمتْ هِمَمُه، وكَرُمت ذِمَمُه، وانتعشتْ به من الفضل رِمَمُه.
وشُغْلُه علمٌ يُفيده، وفخرٌ يشِيده.
ورياسةٌ يتفيَّأ وارِفها[1]، وطهارةٌ يلْتحِف مَطارِفَها.
إلى وَقار ترزُن به الأرض، ومقدارٍ له النافلةُ من الحظوة والفَرْض.
فطار صِيتُه في الأقطار، وتغنَّى به راكبُ الفلْك وحادي القِطار.
وصُرِفت الأعنَّةُ إلى الْتماس خيره، وطارت القلوب بجَناح العزيمة تيمُّناً بطَيْره.
وكان على اعْتنائه بعلوم الشريعة، واختصاصِه منها بالمرتبة الرفيعة.
يُعنَى بالآداب فيُصيِّرها رَوْنَقاً متَسِقاً، وينْظِم لآلي نِكاتِها في أسْلاك الإجادة نَسَقاً.
ويقول الشعر في المرتبة العالية، ولا يختار من الثناء إلا القيم الغالية.
وقد أوقفني صاحبنا إبراهيم بن عبد العزيز الجِينيِنِيّ على «ديوان» نظمه، فجرَّدت منه أشياء حَظُّها الإصابة ونَصيبُها، وسهمُ الانْتقاد لا يُصيبها.
فمن مُطوَّلاتها قوله في الغزل: [المتقارب]

أمِـن ذِكْـر جـارٍ بـذات الـسَّـلَـمْ ... أرَقْـت دمـوعـاً جـرَت كـالـعَـنَـمْ[2]
وأم هـاجـتِ الـرِّيـحُ مـن جـانـبٍ ... بـه شـادنٌ أهْـيَـفٌ قـد ألَـمْ
أتـحـسـب أن الـهـوى مُـخْـتَـفٍ ... ودمـعُـك مـنـه جـرى وانـسـجـمْ
عـجـبـتُ لـخَـضـرٍ لـه نـاحِـلٍ ... عـلـى حَـمْـل رِدْفَـيْـه أنّـى الْـتـأمْ
إذا مـا رَنـا بـاهْـتـزازٍ فـقـد ... رَبـا عـنـده هَـيَـجـانُ الألَـمْ
فـلا عـجـبٌ إن نـأى مُـعـرِضـاً ... لأن الـظّـبـا لـم تـزلْ فـيـه لـمْ
وأُدْعَـى فـصـيـحـاً لـدَى عـثْـرتـي ... وأُدْعَـى لـديْـه بِـداءِ الـبَـكَـمْ

---

(١) الوارف: الناضر شديد الخضرة. اللسان مادة (ورف)
(٢) العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء. ا هـ القاموس المحيط، مادة / عنم/.
وكأنه قصد تشبيه لون الدموع بهذه الشجرة لا السيلان.

Marfat.com

ترفّق بقلبٍ غدا في يديْكَ رقيقاً وفَوّق بتلك السُّيَمْ
وضاهيْتُ خَضراً له ناحلاً ولازَمَني في هواه السّقَمْ
فذُبْ يا فؤادي بنارِ الجَوَى فكم ذا نهيْتُك عن ذا فلَمْ
أما آن أن ينْقضي ذا القِلَى وما آن منك أوَانُ الكَرَمْ

وكتب إليه بَشِير الخَلِيليّ، يسأله عن بيتيْن للمتنبّي، بقوله: [المتقارب]

أيا مَن غدا في البَرايا فريدا وفي العلم رُكْناً مَنِيعاً مَشِيدا
ومَن صار قُسُّ الذَّكا باقِلاً لَدَيْه وأضحى لَبيدٌ بَلِيدَا
يقول أبو الطيِّب المُجتَبى وأعني الإمامَ المجيدَ المُجِيدَا
طلبْنا رِضاه بتَرْك الذي رَضِينا له فتركْنا السجودَا[1]
ومنها له آخر بعده وجدْناه صعباً لدينا عَنِيدَا
كأن نَوالَك بعضُ القضاءِ فما نُغْطَ منه نَجِدْه جُدودَا[2]
فأوضِح لنا وجه معناهما بقيتَ على الدهر صَدْراً مُفيدا
ولا زلتَ تُوضِح للمشكلا تِ ما نظَم الناظمون القَصِيدا

فأجابه بقوله: [المتقارب]

رِضاهُ السجودَ لممدوحِه ومدوحُه ليس يرضى السجودا
ومعنى السجودِ الخضوعُ كما أتى لغةً مستفيضاً وُرودا
فمن حُسْن أخلاق ممدوحِه خضوعَ الأنام له لن يُريدا
وعِزُّ مَقام له مقتضٍ يكون الخضوعُ وجوباً أكيدا
ولكن أرى تركَه للرِّضا به لا بذاك صواباً سديدا
وبيتُ النوالِ جديرٌ بأن تميل إليه فؤاداً وفودا
فمعْنى الجُدود الحُظوظ التي تسيئُ بُخوتاً ويَعني السُّعودا
فما يُغْطَ ليس بحقٍّ له ولكن يراه اعتقاداً جُدودا
وإن القضاءَ لكل الورى على مقتَضى تلك فضلاً وجُودا
وقبل العطاءِ بلا مُوجبٍ هو الفضلُ إن تَبْغِ منه الوُرودا

(١) ديوان المتنبي: ٢/٨٧ .
(٢) ديوان المتنبي: ٢/٨٧ .

Marfat.com

فشابَهَ نفسَ القضا فعلُه وهذا بليغٌ فخُذْه مُفِيدا

وله من قصيدة مدح بها مفتي الروم يحيى بن زكريا: [الكامل]

أقَرِيحتي لِمَنِ الخطابُ تنبِّهِي وتشبَّتِي في القول لا تتبلَّهِي
هو للذي الأكبادُ تُضرَب نحوه من كل فَجٍّ تنْتهي إذ تنْتهِي
وبه استوى صُلْبُ الشريعة قائماً في كلِّ إقْليم وصُقْع فهْيَ هِي
مهلاً رُويداً رائدَ الروم اتَّئِدْ وبِه بِه لك إذْ تراهُ بِه بِه
واحملْ ثَنائي إنَّ وَهْني عاقِني عن أن أكون أبا المَضا بتوجُّهِي
مع أنني مع ذاك لا أدعُ الذي يُرْضِي الإلهَ وفيه عينُ تفكُّهِي
فحديثُه المَرْوِيُّ فيه وإن نأَى ما أكْتفِي ما أشْتفِي ما أشتهِي

قوله: «فهي هي»، أي عينُ الشريعة.

وهذا الأسلوب؛ إما يختلف فيه الضمير فيرجع الثاني إلى المذكور سابقاً كما هنا، وإما أن يُعاد بعينه.

قال الشَّرِيشِيّ: الأسباط إخوة يوسف عليه السلام، وهم هم.

أي: وهم أنبياء لم يتغيَّروا عن مراتبهم.

ويقال: «هو هو» أي: كما عهدتَه لم يتغيَّر. انتهى.

وقوله: «فحديثه» إلخ. في هذا البيت أسلوب لطيف، وهو أن يذكر لفظاً بعده ألفاظ يتعلَّق كلٌّ منها به، مع اختلاف المعنى، فالتقدير فيه: ما أكتفي فيه، ما أشتفي فيه، ما أشتهي فيه، وهو من البدائع.

والأصل فيه قول الصاحب ابن مَطْروح[1]: [الكامل]

لا أزْعَوِي لا أنْثني لا أنتهِي عن حبِّه فلْيَهْذِ فيه من هَذَى

ومن مقتطعاته قوله في تشبيه الزَّنْبق الذي يوجد في ساحل البحر الشامِيّ، ونُوَارُه[2] أبيض، قطعة واحدة ليس متفرقاً: [الطويل]

وزَنْبَقةٍ قد أشبهتْ كأسَ فضةٍ برأسِ قضِيب من زُمُرُّدةٍ عَجَبْ
سُداسِيُّ شكلٍ كلُّ زاويةٍ به على رأسِها الأعلى هلالٌ من الذهبْ

وقوله متغزلاً في الخال: [البسيط]

---

(١) ديوان الصاحب ابن مطروح (٢٠٤)

(٢) قال في القاموس: والنَّوْر والنَّوْرة وكرُمّان: الزهر، أو الأبيض منه. ا.هـ مادة /نور/.

Marfat.com

بالخدِّ منه شَقِيقٌ جلَّ واضِعُهُ أغْيَى الورى فيه شاماتٌ بحُمْرَتِهِ
أقولُ هذا ولا عِيٌّ ولا عَجَبٌ قلبُ الشَّقِيق الذي في وسْط وَجْنتِهِ

هذا معنى استعمله الشعراء كثيراً، ومن أجوده قول الحَاجِرِيّ: [الكامل]

لا تُنكروا الخالَ الذي في خدِّه كلُّ الشَّقِيق بنُقطةٍ سوداءِ

وقوله في العذار: [الخفيف]

عندما جَدَّ بالحبيبِ عِذارٌ أظهرتْ لأمِّه لفتْكِ البَرِيَّهْ
قالتِ الناسُ عند ذلك فيه قمرٌ تلك لأمِّه القَمريَّهْ

وله: [مخلع البسيط]

مُهَفْهَفُ القَدِّ مذ كَوانِي بحُمْرةِ الخدِّ منه في الحَيّ
فقلتُ بي أنت دَاوِنِي قا ل آخرُ الطبِّ عندنا الْكَيّ

وقوله: [السريع]

مَن شارَك الإنسانَ في اسْمِهِ فحقُّه قطعاً عليه وَجَبْ
لذاك مَن سُمِّيَ مِن خلقِه محمداً فاز بهذا السَّبَبْ

ولقد أجاد الأبُوصِيرِيّ، حيث قال: [البسيط]

فإنَّ لي ذمَّةً منه بتسْميتي محمَّداً وهْو أوْفَى الخلقِ بالذِّمم

وسمع قولَ القائل: [المتقارب]

مُحِبُّك يرعَى هواك فهلْ تعود لَيالٍ بضدِّ الأمَلْ
فمنْقُوطها قد بدا نَحْسُه ومُهمَلُها فهو سعدٌ حصَلْ

فقال منشئاً: [الطويل]

من الشهرِ حاذِرْ ثالثاً ثم خامساً وثالثَ عَشرٍ ثم سادسَ عَشرِهِ
كذال واحدٌ من بعد عشرين رابعٌ يليها وتالِيه تنَلْ مَحْضَ يُسْرِهِ

وكتب إلى آل العماد بدمشق، في صدر رسالة: [م. الوافر]

أيا مَن عَجَّ من لَغَبٍ فلم تظهرْ له نِيَّهْ
نصَحْتُك فاعتمِدْ أبداً مُراجعةَ العِماديَّهْ

فراجَعوه بقولهم: [الطويل]

Marfat.com

أمولايَ خيرَ الدين يا شيخَ عصرِنا ومَن فيه لا زلتَ الزمانَ اعتمادُنَا
فأنت عمادُ الدين بالحقِّ قائماً فشَاد إلهي مِن دُعاكَ عِمادَنَا

فكتب إليهم: [الكامل]

يا ربّ خيرُ الدين يدعو ضارعاً مُتذلِّلاً لك خاضعاً مُتواضعَا
بِصفَا فؤادٍ للعِمادِ وآلِه فهمُ الكرام سوابقاً وتوابِعَا

فكتبوا إليه: [الطويل]

سألت إلهي خاضعاً متواضعَا ولا شكَّ مَن يدعوه يلْقاه سامعَا
بقاءَك خيرَ الدين للناسِ عُمدةً ومكنَك يا مولايَ في الأرض نافعاً

وفيهم يقول أيضاً: [م. الرجز]

يا مَنْ همُ أعمِدةٌ كلُّ عمادٍ وحدَهْ
إن نزلتْ نائبةٌ بنا قصَدْنا قَضْدَهْ

والجِينينيّ المذكور، هو ببركاته اغتدّ، وبأسباب فوائِده اشْتد.

فتقلَّد به من الأدب ما تقلَّد، وبقيَ له ما دام ذكرُه وتخلَّد.

وهو الآن غُرَّة الزمن البَهِيم، تكْلَف الألبابُ بخِصاله الحميدة وتهِيم.

كما قلت فيه: [الخفيف]

لابن عبد العزيز إبراهيمَا خُصَلٌ كم بِهنَّ أبْرَا هِيمَا
أدبٌ يُخجِل الرياضَ ولفظٌ هِمْتُ فيه وحُقَّ لي أن أهِيمَا
وكمالٌ يهْفو له كل فهمٍ طبْع منه يطلب التَّفهيمَا
رأيُه الصبحُ والصباحُ إذا لا ح جَلا بالضِّياءِ ليلاً بَهِيمَا

٨٩ - نجم الدين بن خير الدين

هو من حين نَجَم، تهلَّل عارِضُه وانْسَجم.

ولم يَرْض بالأرض داراً، فَاتَّخذ ما فوق فلك الأفلاك مَداراً. [الكامل]

حتى النجومُ عدَت تقول تعجُّباً جاوزْتنا شرفاً فأين تُريدُ

---

(١) لم أعثر على ترجمة له.

Marfat.com

فأجابهنّ أُمِرتُ أن أرقى العُلى ما دام لي في الارتقاء مَزِيدُ
حتى تَرَيْني والسماءُ قواعدِي والشمسُ أرضٌ لي وأنتِ صَعِيدُ

أطْلعه الله الطلوعَ المُطَهَّر، وألبَسه أثوابَ النباهة العلم المشهَّر.

فقام على مَيْعةِ شبابِه مَقام أبيه في حَوْزته، ورَاز الأمرَ بتوْفيقِ الله مثلَ رَوْزته.

وبنَى مثلَ ما بنَى، وما لَوى يداً عن مكْرُمةٍ ولا ثَنى. [المتقارب]

تلافى أبوه العُلَى بالعُلى فبتَّ نَداه ووالَى جَداهْ
فلمَّا مضى وقضى نَحْبَه تلافى تلاَفِي المَعالي أبَاهْ

وكان بيني وبينه مودة على الغيب، مأمونة بعَوْن الله من الشَّائبة والرَّيْب.

وكنت لا أفكر في مُستحسَن سواه إلا أعرضْتُ دونه، ولا أرجو لقاء غائبٍ إلا رَجوْتُ أن يكونَه.

فلما مرَرْتُ على الرَّمْلة عند رحلتي إلى القاهرة، كان أوّل طالعٍ عليّ من آفاقِها الزاهرة.

ففاتحْتهُ بهذين البيتين: [الطويل]

لقد كنتَ في قلبي ولم يحصلِ اللّقا وأنتَه به أحْلَى من المَبْسمِ العَذْبِ
فقرَّت بحمدِ الله عيني بنظْرةٍ فلَم أرَ أحْلَى منك في العينِ والقلبِ

وكان في صُحبته أمين الدين القُدْسِيّ وأبو الهدى الرَّمْليّ، وهُما ما هما، جاد صَوْبُ فضلِهما وهمَى.

وبينه وبينهما مُصافاة تقتضي حقاً يُوَفَّى، وفرضاً يُؤدَّى، ووَضْفاً يُصفَّى.

فقلت أخاطب أمين الدين: [الرمل]

يا أميناً ذاتُه دُرٌّ ثمينُ أنت للعلْياء عينٌ ويمينُ
إن وُدّاً صادقاً أوْدَعتنِي أنا عنهُ عُمْرَ دهري لا أَمِينُ
حاضراً أخبُوك أصْناف الثَّنا وعلى غَيْبك أنّي لا أَمِينُ

وقلت في أبي الهدى: [م. الرجز]

هَداني النجمُ إلى مِدْحَةِ مَن تلفَّع المجدَ وبالفضلِ ارْتَدى
وكيف لا يُهْدَى إلى الرشادِ مَن دليلُه النجمُ إلى أبي الهُدَى

وهو الآن في تلك الخِطَّة رئيسُ الحَقْل، وإمام الفرض فيها والنَّفل.

Marfat.com

زَنْد مجدِه قادح، وما فيه طاعن ولا قادح.
فالله يجعل نتائجَ حياته، تابعةً لأحْسن مُقدِّماته.
وكان صدَر بيني وبينه محاورات، بأرَقّ مَعان وألطف عبارات.
تلاحظ بها أقمارُ المُنَى فتُشرِق، وتنظر إلى أكْناف الحِمَى فتراها بِصَيِّبها تُورِق.
فمما كتبته إليه هذه النونية: [الكامل]

رُدُّوا المسرَّة والكرى لجُفوني ... وهو القرار لقلبيَ المحزونِ
لم أذرِ قبل هواكمُ أن النوَى ... يُبْدِي من الأشجان كلَّ دَفِينِ
أو أن سلطانَ المحبةِ يقتضِي ... أن الأسودَ تبيتُ أسْرَى العينِ
أما النفوسُ فلم يدَعْ منها الجوَى ... إلاَّ بَقايا زَفْرةٍ وأنينِ
لما رآني الطيْفُ رَقَّ ترحُّماً ... وبكى عليّ بلُؤلُؤٍ مَكْنونِ
وسرى وأيْقَن أنه لو زارني ... أُخرى لأخطأني فلا يغْدُونِي
أهٍ وهل يشْفِي العليل تأوُّهٌ ... شوقاً لعهدٍ بالوفاء قَمِينِ[1]
أيّامَ يخدُونِي الصِّبا ويسُوقني ... قسراً إلى اللّذاتِ غير غَبِينِ[2]
لا أخْتشِي مَسَّ الحوادث آمِناً ... وأخو النُّهى مَن بات غيرَ أمينِ
والآن أبْكي إن أُصِبتُ بنعمةٍ ... قبل الزّوالِ لفطْنتي ويقينِي
ولقد سبَرْتُ بني الزمان فلم أجدْ ... خِلاّ إذا أرْضيْتهُ يُرضيني
فتركْت مَن كنت الضَّنينَ عليهِ مِن ... فَرْط الهوى وأراه غيرَ ضَنِينِ
وغدَوْتُ فيهم كالحُسام مُجرَّداً ... من غِمْدِه فرداً بغَيْر مُعِينِ
نَاءٍ عن اللذتِ إن بَخِل الحَيَا ... أغنيتها عنه بغيْثِ جُفونِي
لا أرْتضي شمس النهارِ قرينةً ... وأعاف ظلّي أن يكون قَرينِي
أستصغرُ العظماءَ حيث وجدتُهمْ ... وأرى مقاتل والثُّريّا دُونِي
ليس اختقاري للأنام تهاوُناً ... بهمُ ولا خطرُ الورى بظنُونِي
لكن أعُدُّ من البهائِم مَن خَلاَ ... عن فضلِ فردِ العصر نجمِ الدّينِ
مَولىً سواه هلالُ شَكٍّ في العلى ... وجَنابُه المحروس شمسُ يقينِ
قد كوَّن الرحمنُ جوهرَ ذاتِه ... ليُرِي العبادَ عجائب التّكْوينِ
وأظنُّه من فَرْط طاعتِه أتى ... للكونِ بعد الكاف قبل النونِ

---

(١) القمين: السريع والقريب. اللسان مادة (قمن).
(٢) الغبين: الرجل الضعيف في رأيه وعقله ودينه. اللسان مادة (غبن).

Marfat.com

بحرٌ بِحارُ الأرض تغرَق في نَدَى كَفَّيْه لستَ تُحيطُه بسَفِينِ[1]
لا يبلُغ المِكْثارُ عُشْرَ صِفاتِه لو خُفَّ بالتأييد من جِبْرِينِ
هو نجْل خير الدين شيخ العصر من غنِيتْ مآثره عن التَّدْوينِ
فسقَى ضريحاً ضَمَّه صَوبُ الحيَا يهْمِي عليه من الرِّضا بهَتُونِ[2]
أمعلِّمَ الشعراء وصفَ ذوي العُلى فتراه يهْدِيهم إلى المَضْمونِ
أنا مَن عرفتَ وِدادَه وجهلْتَه ولسوف تغنَم منه خيرَ خَدِينِ
فبقيتَ في حفظِ الإله ممتَّعاً بالعِزِّ والإسْعاف والتَّمكِينِ
فعُلاكَ فخرٌ للزمان وأهلِه وبَقاك أكبرُ نعمةٍ للدِّينِ
ولذاك لم أنْطِق بمدْحِك داعياً إلا أجاب الناسُ بالتَّأْمينِ

فكتب إليّ جوابها رسالةً، وشَّحها من نفائس أنفاسه نثراً وشعراً، ولم يُهْدِ النجم في مطالع البدائع إلا النَّثْرَة والشِّعْرَى: [الكامل]

أهلاً بطَيْفٍ من حبيبٍ زارَا أهدى حياةً شافهتْ أوْطارَا
أفدِيه من طيفٍ ألَمَّ بمضجعِي فأثار فِي أحشاءِ قلبيَ نارَا
شوقاً إلى خِلٍّ تذكُّرُ عهدِه لم يُهْنِ في قلبي الخَفُوقِ قَرارَا
أصْبُو إليه إذا تألَّق بارِقٌ وأحِنُّ إن رَكْبٌ إليه سارَا
وإذا ترنَّم صادحٌ في أيْكة من نحْوِه اختطف الفؤادَ وطارَا[3]

إن أبْهَى ما أفصح به اليَراع بَيْدَ أنه رضيع ثُدِيِّ المحابر، وأسْمَى ما خطب به القلمُ وهو على منابر الدفاتر.

سلامٌ أحْلَى من رحيقِ الأفواه لدى الصبّاح، وهِيامٌ أجْلَى عن عَقِيق الشِّفاه من الصَّباح، وأعْبق من عَبير ورد الخدود والتُّفاح، وأنْشَق من عبير شَقِيقها وقد فاح، وأنْسق من المُزْن في فم الأقَاح.

وبَثُّ أشْواق يقف لسانُ القلم عن إحْصائها، وتجِفُّ أقْواه المحابر عن إرادة اسْتقصائها.

إلى مَن أجْمع أهلُ الفضل على توحُّده في الدهر، واتَّفقَ أهلُ الحَلِّ والعقد على تفرُّده بالفخر.

---

(١) السفين: جمع سفينة. اللسان مادة (سفن).
(٢) يقال: هتنت السماء هتوناً: أمطرت مطراً خفيفاً دائماً. اللسان مادة (هتن).
(٣) الأريكة: هي الغيضة تنبت السدر والأراك وغيرها من الأشجار الناعمة. اللسان مادة (أيك).

Marfat.com

وظهرتْ مَعاليه ظهورَ الشمس في الإشراق، وعَمَّتْ أضواءُ إفاداتِه عمومَ ضِياءِ البدرِ في الآفاق.

وهيْهات تخْفى في الظلام مشاعل، أو تُستر على الأيام هذه الفضائل.

وقد هبَّتْ الشَّمال بنَشْرها، وسارت الرُّكبان بذِكْرها.

لا برِحت أنوارُها مشرقةً على الأنام، وآثارُها جِلاءً لقلوب الإخوان من غُصَص الأيام.

وقد وردتْ القصيدة التي هي شَرفُ الزمان، وفخر البراعة والبيان.

فلا زالتْ أيادي مولانا مشكورةً مقبولة، ومَبَرَّاتُه وصِلاتُه واصلةً موصولة.

ولا برحَت الأسماع تتحلَّى بدُرِّه الثمين، آمين آمين، وبالنبيِّ الأمين.

فكتبت إليه بهذه القصيدة، وهي: [الكامل]

أما المَشُوق فلا يُطيق قَرَارَا ... وأراه يقْضِي عمرَه تَذْكارا

يُضْبِيهِ مُعترِض البُروقِ إذا هفَا ... فيُحِسُّ منها في الحُشاشةِ نارا

وَجْدٌ لقد قصُرتْ مُناه على الظُّبَا ... أتَرُوم منه على الهوى إقْصارا

وأبِيك ما اخْترتُ السُّلُوَّ ولو جَفَا ... مَن كنت أهواه وشَطَّ مَزارا

بأبِي من النَّفَر القواتَلِ جُؤْذُرٌ ... تركَ الأسودَ بناظرِيه أَسارَى

رَقَم الجمالُ على صحيفةِ خدِّه ... سطراً فظنَّته الوُشاة عِذارا

يزْنُو بأكحلَ مُرْسِل من لحْظِه ... لِمَنيَّة المُضنَى شَباً بَتَّارا[1]

يا مُهلِك العشاقِ مهلاً في شَجٍ ... تَخِذَ التِّهتُّك في هواك شِعارا

لولاك لم يَهْوَ الحسانَ ولم يكنْ ... مِمَّن يَذلُّ لغيرِك استكبارا

لم أنْسَ عهدك والزمانُ بحالِه ... والعيشُ يمْنحُه المُنَى ما اخْتارا

أيامَ نأخذُها كُمَيْتاً سَلسَلاً ... لا مُرَّةً كلاّ ولا مُضطارا[2]

في روضةٍ فُرِشت بِساطاً أطْلَعتْ ... نُوّاره عَوْضَ النُّثار نِثارا

غَنَّاء نمْنَمَها الربيعُ فأظهرت ... حِكَماً لنا قد أبدعتْ أسرارا

طابتْ فكادت أن تُشابِه خُلْق مَن ... ساد الأنام فضائلاً وفَخارا

مولايَ نجمُ الدين أفضلُ ماجدٍ ... قد طاب فَرْعاً حيث طاب نِجارا

---

(١) شباً: مفردها شَبَاة وهو طرف السيف وحدّه. اللسان مادة (شبا).

(٢) الكميت: نوع من أنواع الخيل. اللسان مادة (كمت).
المضطار: المتغير الطعم. اللسان مادة (مصر)

Marfat.com

شَهْمٌ إذا بَخِل الغمامُ أفاض مِن ... كفَّيْه بحراً بالعَطا زَخَّارا
لو صادفتْ صُمَّ الصخورِ رَذاذةٌ ... منه لأنْبَتها الربيع بَهارا
طَلْقُ المُحيَّا لو يلُوح شُعاعُه ... في وَجْه حظِّي لحظةً لأنارا
أهْدَى إليَّ رسالةً في ضِمْنها ... أهْدَى إليَّ العمرَ والأوْطارا
من كلِّ لفظٍ شائقٍ يبدو به ... معنىً يُدير على العقول عُقارا
لا زلتَ تُوليني وِدادَك مُنْعِماً ... وبقيتَ تعلُو في الورى مقدارا
وإليك روض قد تفتَّح زهرُه ... فصدحتُ في عالي ذُراه هَزارا
من كل قافيةٍ غدَت من حسنِها ... نَجْماً كذاتِك في العلى سَيَّارا
كالرَّاح تلعب بالعقول وإن تَشا ... كالسحرِ في حَدَقِ الحسان تَوَارَى
واعْذُر إذا أخَّرتُ فيك مدائحي ... فلأنتَ ممَّن يقْبل الأعذارا
لولاك ما نَظَّمتُ عِقداً دُرُّه ... ينْحلُّ فيه عسْجَداً ونُضارا
فالسُّقمُ قد أفْنى رُواءَ قريحتي ... بَغْياً كأن له عليها ثَارا
أنا مَن عرفتَ مَحَلَّه من وُدِّه ... وسيعْتدي لثَرى نِعالِك جَارا
واسلمْ لنا ولسُؤْدَدٍ أصبحتَ في ... سامِيِّ حِماه تُزيِّن الأقْطارا

وكتب إليَّ من تَوالِيد طبعه المطبوع، قوله: [الطويل]

أحِبَّايَ إن شَطَّ الحبيبُ عن الحِبِّ ... وفارقَه يختاج طِبّاً على طِبِّ
فإن غابَ عن عيْني خيالُ أحبَّتِي ... فحبُّهمُ استولَى على حَبَّةِ القلبِ
وما عندكم من شِدَّة الشوقِ فهْو في ... فؤادِيَ فاسألْ إن شككْتَ عن الركبِ
أتاح إلهي قُربَكم ولِقاكمُ ... ليلْتئِمَ الشَّمْلُ المشتَّت بالقُرْبِ
فذاك اخْتياري ثم قصْدي وبُغْيتي ... ألا إنَّما الدنيا اجتماعُك بالحِبِّ
فلا خيرَ في عيشٍ بغير أفاضلٍ ... ولا خيرَ فيمن مالَه صاحبٌ يُنْبِي
فعندِيَ طِيبُ العيش صُحبةُ عالِمٍ ... بصحْبتِه يَنْزاح عن خاطري كربِي
فيا أخلصَ الإخوانِ قد جاء منكمُ ... رشاقةُ قولٍ رائقٍ رَيِّقٍ يَسْبِي
لقد كنت في ضيقٍ وهمٍّ وكربةٍ ... فلما أتى المكتوب طار به لُبِّي
ففَاح لنا من نَشْرِه طِيبُ عَنْبَرٍ ... به انْتعشتْ رُوحي وجسمِي مع القلبِ

Marfat.com

أدبَاء صفد وصيدا

٩٠- أحمد الخالدِيّ الصَّفَدِيّ

هو من الفضل في ثَنِيَّة، لا تتعدَّاها إلى غيرها أُمْنِيَّة.
معشوق الشِّيَم، فائضُ فَيْض الدِّيَم.
وآباؤه لهم ذكر بالجميل خالد، ومجدٌ تناولوه ولَداً عن والد.
وهو قد جَمع ما فيهم من المناقب، وأزبَى في توقُّد ذكائه على النجوم الثواقِب.
وله تآليف فائقة، وأشعارٌ رائقة.
فمما أستحسن من شعره، قوله في تخميس الهمزيَّة: [الخفيف]

كـنـتَ نُـوراً وكـان ثَـمّ عَـمـاءُ ونـبِـيّـاً ولـيـس طـيـنٌ ومـاءُ
فـإذا كـان مـن عُـلاك الـعَـلاءُ كـيـف تـرقَـى رُقِـيَّـك الأنـبـيـاءُ
يـا سـمـاءً مـا طـاولـتْـهـا سـمـاءُ

وله من قصيدة طويلة، مطلعها: [البسيط]

مَن لي بهيْفَاءَ لا أسْتطِيعُ سُلوانَا عنها وفي دمعِ عيني عَيْن سُلْوانَا
أجَلْ ومن حبِّها قد هِمْتُ ذا قَلَقٍ فسَلْ حنيناً وسلْ بدراً وسل آنَا
وقد حوتْ رقَّةً منها شهدتُ فلم أقدرْ على النفسِ لولا لطفُها جانَا
مذ أقبلتْ ناهزتْني في مُداعبةٍ فصرتُ منها عليلَ القلب حَيْرانَا

٩٠- الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الصفدي، المعروف بالخالدي، الفقيه، الأديب، الحنفي. كان إماماً، بارعاً، مطلعاً، وكان حسن المطارحة كثير الفنون. ولد بصفد وبها نشأ، ثم ارتحل إلى القاهرة، وأخذ بها عن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي البهنسي العقيلي الشافعي المصري، وأجازه بالبخاري، وعن أحمد بن محمد بن شعبان العمري الحنفي، وأجاز له جميع مروياته ومؤلفاته، وأجاز له أيضاً علي بن حسن الشرنبلاني، ومحمد بن محيي الدين النحريري الحنفان، وعمر بن منصور الحنفي، والشيخ عبد الله بن بهاء الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن نور الدين الطنبغا التركي الشهير نسبه بالعجمي الشنشوري الغرضي الشافعي الخطيب بالجامع الأزهر، والشيخ علي بن محمد بن علي المعروف بابن غانم الخزرجي، والشيخ إبراهيم العلقمي، وعبد الرحمن المسيري الحنفي المعروف بابن الذئب، وغيرهم. ورجع إلى صفد، ودرس، وأفتى، وناب في القضاء وألف، ومن تآليفه: (شرح على ألفية ابن مالك)، و(كتاب في العروض)، وله (رحلة إلى الحج) وغير ذلك. وكانت وفاته بصفد في سنة أربع وثلاثين وألف، ودفن بمصلى العيدين. والخالدي: نسبة إلى خالد بن الوليد الصحابي رضي الله عنه. اهـ. خلاصة الأثر (٢٩٧/١).

Marfat.com

٩١- حسن الدَّرْزِيّ العَيْلبُونِي

القول في عقيدته مُتشعِّب، والأمر في تبْرئته وعدمِها متصَعِّب.

وأنا لا أشكُّ في إيمانه، وأعتقد فيه ما يعتقدُه أهلُ زمانه.

وأقول إذا وصفْتُ شانَه: إن إطلاق الدَّرْزِيّ عليه مما شانَه.

كيف وتوْبةُ هذا الحِزب ردَّها الشرع، والحاكمُ بقَبُولها مُخالفٌ لأمْر الله في الأصل والفرع.

وقد جمعنِي وإيَّاه القضاء والقدر، في أوقاتٍ كنت لا أعرف فيها الغَمَّ والكدَر.

فرأيتُ رجلاً ذا لسان فصيح، جارياً من هَواه في مَيْدان لَهْوٍ فَسِيح.

لا يُصَدّ إذا صَمَّم، ولا يُرَدّ عما يَمَّم.

وهو يُغالي في شِعره، ويتشكَّى كسادَ سِعره.

ويزعُم قومٌ أنه يتنسَّك في مَلَئِه فتكاً، ويتهتَّك في وَحْدته هَتْكاً.

ويَحْبَط في الأعمال ويتْبَر، وهو يهلِّل ويكبِّر.

ويحسِّن ويقبِّح، وهو يستغفر ويسبِّح.

وكنت عزمتُ على أن لا أُطرِيَ له ذكرا، وأخلُص مِنْ أن آتي شيئاً نُكراً.

ثم عَنّ لي الإتْيانُ به، لمكان فضلِه وأدبِه.

ولم أقصِد بذكْر هذه العيوب، التي يعلم حقيقَتها علاَّم الغيوب بُغْضَ شخصٍ فات، واقْتَفَتْه يدُ الآفات.

وحاشا الله أن أكون ممَّن يصدُر ذلك من فِيه، ولكن عَملاً بما سمعتُه من الناس فيه.

والله يحْبوه منه لطفاً خفيًّاً، ويُنيله عْفواً يكون به حَفِيًّاً.

فمن شعره، وهو معنى لطيف: [البسيط]

حكى دخاناً سَما من فوق وَجْنَةِ من ... قد مَصَّ غلْيونَه إذ هزَّه الطربُ

غيمٌ على بدرِ تِمٍّ قد تقطَّع من ... أيدي النسيمِ فولَّى وهْو ينسحبُ

٩١- حسن الصفدي العيلبوني. الشاعر، اللبيب، الفائق، ويقال فيه أنه درزي، كان حسن المطارحة، طيب العشرة. رحل إلى مصر، وأخذ بها عن الشمس البابلي، والشيخ سلطان، والنور الشبراملسي، وغيرهم. ودخل دمشق، وجاور بها مدة بالخانقاه السميساطية ثم ارتحل من دمشق إلى عكا وأقام بها مدة، وبها توفي وكانت وفاته سنة خمس وثمانين وألف. والعيلبوني بفتح العين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة فلام فموحدة مضمومة بعدها واو ثم نون نسبة إلى عيلبون قرية من أعمال صفد. ا.هـ. خلاصة الأثر (٢/ ٧٩).

Marfat.com

فقلتُ والنارُ في قلبي لها لهبٌ لقد حكيْتَ ولكن فاتَك الشَّنَبُ[1]

والبيت الثاني، منه قولي: [البسيط]

ما كان إعطاؤُه الغلْيونَ عن مَلَلٍ منّا وحاشا بهذا قَطُّ ما عُرِفا
لكن أراد يُرِينا من بدائِعه بدراً تقطَّع عنه الغيمُ فانكشفَا

وكتب إلى عليّ بن بُجَع البَعْلِيّ وكان أعاره مجموعاً، فردَّه عليه: [الكامل]

أرسلتَ مَجْموعي وقد أمْسكتَ ما هو قلبيَ المؤْدُوع بين ضلوعِي
فبكيتُ من شَوْقِي إليه مَدامعاً حمراً وليْست غير صِرْفِ نَجِيعِي
فجرتْ على هذي البطاقةِ أحْرُفاً مجموعُها يُومِي بِسلْب جميعِي

تذكَّرت بالبيت الأول، ما يُروَى أن بعضَ الأدباء اسْتعار من آخر مجموعاً، ومطَله به، ثم اجتمعا في مجلس بعد تَراخ، فقال المستعير: إنّي متشوّق إليك، وقلبي عندك.

فقال الآخر: وأنا متشوّق إليك، ومجموعي عندك.

٩٢- محمد بن محيي الدين المعروف بالحَادِي الصَّيْدَاوِيّ

هو مع قلة أنْداده، واحدٌ في تهيئة مواد القبول وإعداده.

فاخْتلف إليه السعيُ رائحاً وغادياً، وأطْرب بذكْره الثناءُ شادياً وحادياً.

إلا أنه ترامَى في بَخْبُوحة التصلُّف[2]، وتكلّف والعلى لا تُنال بالتكلُّف.

---

(١) الشنب: ماء ورقة يجري على الثغر. وقيل: رقة وبرد وعذوبة في الأسنان. مادة (شنب) اللسان ج ١/ ٥٠٦.

٩٢- محمد بن عبد القادر المنعوت شمس الدين، الشهير بالحادي الصيداوي الشافعي. مفتي صيدا، الفاضل الأديب. أخذ عن الشمس بن المنقار، والقاضي محب الدين جد المؤلف، والملا أسد الدين بن معين الدين التبريزي، والشمس محمد الداودي، والشهاب العيثاوي، والشمس الميداني وبعض أدباء راسلهم وراسلوه. كان كثير النظم وله في عمل الألغاز وحلها اليد الطولى، وكان لطيف المحاضرة، لذيذ الصحبة، ممتع المؤانسة وكان رؤساء الشام يميلون إليه جداً ويعدونه ريحانة الندماء. وله كتاب (ألحان الحادي بين المراجع والبادي) وضعه على أسلوب (ألحان السواجع) للصلاح الصفدي. وكانت وفاته بمدينة صيدا في سنة اثنتين وأربعين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٤/ ١١).

(٢) التصلف: مصدر صلف ومعناه: قلة الخير. والمعنى: أن هذا مع كثرة ماله مع المنع كالغمامة كثيرة الرعد مع قلة المطر. اللسان مادة (صلف).

Marfat.com

ففوَّقَتْ إليه سهامَها لَواحظُ الظنون، وقِدْماً قيل أرضُ صَيْدا تُنبِت العيون.

وهو صاحب فكر حَدِيد، وأدبٍ وافر مَدِيد.

فاضلٌ ملءَ إهابِه، وعارفٌ بإيجاز الأدب وإسْهابِه.

وله كتاب «ألحان الحادي، في المراجع والمبادي» استحسنتُ من شعره فيه قطعة، رأيتها في مفازة وحدها منقطعة. وهي قولي من قصيدة: [الطويل]

إذا أنكرتْ دعوَى المحبِّ شهودُهُ ... فحسبِيَ أنّي في الغرامِ شهيدُهُ

فللّه شَوْقٌ لا يقَرُّ قَرارهُ ... من البُعدِ حتى مالَه من يعودُه

وقد مَلَّه عُوّادُه وهُو مُدنَفٌ ... حليفُ جَوىً صَبُّ الفؤادِ عَمِيدُهُ

رعى اللهُ أياماً تقضَّت بقُربهمْ ... ومَن لي بذاك القُرب مَن ذا يُعِيدُهُ

أيا عاذِلي عمَّن نَعيمِيَ وَعْدُهُ ... ونارُ جحيمي بُعدُه ووعيدُهُ

ولم يتعطَّف بالوِصال لمُغْرم ... وقد طال منه هَجرُه وصُدودُهُ

فهذا مَلامِي مَسْمَعِي لا يريدُه ... وهذا غرامي لا أزال أرُودُهُ

وإن كادَني دهرِي بجَوْر زَمانِه ... تخلَّصْتُ منه بالذي عَمّ جُودُهُ

قولي: «وقِدْماً قيل: أرض صَيْدا تُنبت العيون»، إشارة إلى قول ابن السَّاعاتِيّ[1]، وقد هرب غلام، فأُمِر أن يُمَرّ في نَرْجِسِ صَيْدا: [مخلع البسيط]

للهِ صَيْداءُ مِن بلادٍ ... لم تُبْقِ عندي هَمّاً دَفِينا

نَرْجِسُها حِيلةُ القَيافِي ... قد طبَّق السهلَ والحُزونَا

وكيف ينْجُو بها هَزِيمٌ ... وأرضُها تُنبتُ العيونَا

ومما يهزُّني إلى الطرب فصلٌ لابن شاهين، في وصف صَيْدا، قال فيه:

وأما صَيْدا، فإنها بين البلاد أُسْدُ البَيْدا.

وما أدري كيف يذمُّها بعض الناس، وأهلها يُعوِّذونها من شَرّ الوَسْواس الخَنَّاس ولَعَمْري إنها بلدة لولا حرارةُ مائها وهوائها، وبُرودة أوْضاعها وأبنائِها.

لكانت جنَّةَ المَأْوى، في الدنيا والأخرى.

اللهم إنا نسألك الإنصاف، ونعوذ بك من التعصُّب والاعْتِساف.

وكيف يشتمُ الإنسان بلدةً إذا جُلِب إليها الماء يكتسب حرارة، وإذا استُجلب إليها العذبُ السائغ ينْقَلب إلى عُفوصة[2] ومَرارة.

---

(١) ديوان ابن الساعاتي (١/١٦٨).

(٢) العفوصة: رديفة للمرارة يُقال: طعام عفص: بشع وفيه مرارة، يعسر ابتلاعه. اللسان مادة (عفص).

Marfat.com

وهي كما قال أبو الحسن الباخَرْزِيّ، في مَدْح محاسن الرَّيّ، ولُطْف هوائها ومائها[١]: [الكامل]

صادفتُ فيها كلَّ شَيْءٍ جائزاً أقصى حدودِ البردِ غيرَ الماءِ

وكيف لا يُمْدح الماء الحارّ، وهو الذي يجلب المَسارّ، ويدفع المَضارّ.

وينفع في الحمَّام، للاغْتسال والاستحمام، ويحلِّل الأورام، وإن شئت فقل يجلِب البِرسام[٢]، والسلام.

شعراء جبل عاملة

٩٣- حسين بن عبد الصمد الحارِثيّ

هو في الإشراق مُسْتَمَدُّ الشمس، وله مَزِيَّة اليوم على الأمس.

نبيه المقدار والمكانة، مُتحلٍّ بالتصلُّف والاسْتكانة.

رَكض في مَيْدان الطلب مَطايا الأشواق، وضرب آباطَها بعصا المَشارب والأذْواق.

حادِيه أملُه، ودليلُه عملُه، والراحلة عملُه.

وهو في الإسْآد[٣] والإغْناق، مُهدِي تُحَف القبول لجواهر الأعناق.

حَطَّ رَحْله ببلاد فارس، فطابت بها منه مجانٍ ومَغارِس.

ووجد مَشْرباً عَذْباً من الشَّاه فورَد، وقصَّرت النُّظراء عن مَداه فانْفَرد.

بطبعٍ ألْطفَ من نسيم السَّحَر، يمسَح عن عيون الأكمام ويعانق قُدود الشَّجَر، وأدبٍ يجري في ميدانه طَلْق العِنان، ويمضي في معركته ماضِيَ الظُّبَة[٤] والسِّنان.

ولم يزل يتردَّد من بلدةٍ إلى أخرى، وتتعاقب عليه مراتبُ لم تجدْ أحقَّ منه ولا أحْرَى. حتى اخْترمه الأجَل، ومضى لما عند الله عزَّ وجلّ.

وقد أثبتُّ من نَظْمه ما يُزْرِي ائْتِلافُه بلُؤلؤ العقود، ومن نَثْره ما يَزِين نقدُه النقود.

فمن ذلك قوله: [الخفيف]

فاحَ نَشْرُ الصَّبا وصاح الديكْ وانْثنى البانُ يشتكي التحريكْ

---

(١) ديوان الباخرزي.

(٢) البرسام: داء في الصدر نهايته الموت، وهي كلمة مركبة من البَرَ وهو الصدر والسام وهو الموت. وهي معرَّبة. اللسان مادة (برسم).

(٣) الإساد: الجرأة. اللسان مادة (أسد).

(٤) الظُّبةُ: طرف السيف. اللسان مادة (ظبب).

Marfat.com

قُم بنا نجتلي مُشَعشَعةً تاه من وجْدِه بها التِّيكْ
لو رآها المجوسُ عاكفةً وَحَّدُوها وجانبوا التَّشْريكْ
إن تَسِرْ نحونا تُسَرَّ وإن مِتَّ في السير دوننا تُخيكَ

وهو أول من اخترع هذا الوزن والقافية، واقتفَى أثره ابنُه البهاء، في قوله: [الخفيف]

يا نَدِيمي بمُهجتي أفديكْ قُمْ وهاتِ الكؤُوسَ من هاتِيكْ

ثم تداول الأدباءُ هذا الوزن والقافية، ولولا خوف الملل لذكرتُ من ذلك الجملة الكافية.

ومن شعره قوله: [م. الرمل]

ما شَمَمْتُ الوردَ إلا زادني شوقاً إليكَ
وإذا ما مال غصنٌ خِلتُه يحنُو عليكَ
لستَ تدري ما الذي قد حلَّ بي من مُقلتيْكَ
إن يكنْ جسمي تناءَى فالحشَا باقٍ لديْكَ
كلُّ حسنٍ في البرايا هو منسوبٌ إليكَ
رُشِق القلبُ بسهمٍ قوسُه من حاجبيْكَ
إنَّ ذاتي وذَواتِي يا مُنائي في يديكَ
آهِ لو أُسقى لأُشفَى خمرةً من شفتيْكَ

ورأى قول الوزير أبي الفضل الدَّارِمِيّ: [السريع]

أنبت ورداً ناضِراً ناظِري في وجْنتِه كالقمرِ الطالعِ
فلِمْ منعتُمْ شَفتي لَثمهُ والحقُّ أن الزرعَ للزَّارِعِ

فكتب: [السريع]

لأنَّ أهلَ الحبِّ في حَيِّنا عبيدُنا في شرعنا الواسعِ
والعبدُ لا مِلْكَ له عندنا فزرعُه للسيد المانعِ

وقد أجاب عنه بعض المغاربة بقوله: [السريع]

سلَّمتُ أن الحكمَ ما قلتُمُ وهو الذي نُصَّ عن الشارعِ

Marfat.com

فكيف تبْغى شَفَةٌ قَطْفَه وغيرُها المدعوُّ بالزارعِ

وردَّه الحافظ أبو عبد الله التِّنِّيسِي التِّلمِسانيّ: [السريع]

في ذا الذي قد قلتُمُ مَبْحَثٌ إذ فيه إبهامٌ على السَّامعِ

سلمتُمُ الحكمَ له مطلقاً وغيرُ ذا نُصَّ عن الشارعِ

يعني أنه يلزم على قول المحب أن يُباح له النظرُ مطلقاً، والشرع خلافُه.

وأجاب بعضُ أئمتنا الحنفية بقوله: [السريع]

لأن أهل الحب في حكمنا

البيتين اللذين أجاب بهما المترجَم.

وهو جواب حسن.

ولبعض المغاربة، مخاطباً أبا الفضل المذكور: [السريع]

قل لأبي الفضل الوزير الذي باهَى به مَغربنا الشرقُ

غرستَ ظلماً وأردت الجَنَى وما لِعرقٍ ظالمٍ حَقُّ

قلت قوله: «وما لعرق ظالم حق»، هذا بعض حديث رواه التِّرْمِذِيّ، وحسَّنه، في باب إحياء الموات: «مَنْ أحْيَى أرْضاً مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعِرْق ظَالِمٍ حَقٌّ».

رُوِي بالإضافة والتنوين.

والعرق: البناء، والأشجار، والبئر، والنهر. انتهى.

وكتب إلى ولده البهاء، هذا اللغز، وهو أغرب الألغاز وأصعبُها:

أيها الولد المؤيَّد بالإعْزاز، الموفَّق في حلّ المُعميَّات والألغاز.

أخبرْني عن اسم آخرُ أوله آخرُ الحروف، وآخر ثانيه بهذا الاسم معروف.

قَلْبا آخريه يتوافقان، وقلْبا أوّليْه متعانقان.

لولا ثالثهُ لصار الاسم حرفاً، ولولا ثانيه لصار الفعل ظرفاً.

ولولا رأسُه لصارت الرِّجل من النَّجاسات، ولولا رابعُه لما يتحقق رابع القياسات.

بعضه قاتل، وبعضه الآخر نصف قاتل.

طَرَفا أوله فعلُ أمر بحرفين، وطرفا ثانيه ما نُهِيت عن قوله للأبوَيْن.

وإن نقص رُبعه من رُبعه بقيَ ربعه، وإن زِيد رُبعه على ربعه حصل رُبعه.

صدرُه علامةُ قلب العاشق، وثانِيه علامة الرقيب المنافق.

ولولا ربُعه لم تتميز القبلية عن القابليّة، ولم تفترق المعاني عن علة الفاعلية.

Marfat.com

بعضه يمين، والبعض في اليسار كَمِين.
وبطرف آخرِه يبتدئ المَقام، وبطرفه الآخر ينتهي الكلام.
فأجابه:
يا سيِّدي وأبي وأستاذي، ومن إليه في العلوم استنادي.
هذا اسم رباعيّ الأعضا، ثلاثيّ الأجزا.
اثنا عشرىّ الأصول، عديم الحرف المفصول.
من الأسماء معدود، وإلى الأفعال مردود.
لولا ثُلث أوله لصار السَّخيف بالكرم موصوفاً، ولكان كل فقير بسواد الوجه معروفاً.
ولولا رابعُه لاتَّحدَت الماهيّة بالوجود، ولم يتميّز الحاسد من المحسود.
ولو عُدم ثانيه لم يكن جمْع الثمر ثماراً، ولصارت قرية بالرَّيّ حماراً.
ولو عُدِم ربُعه لم يكن القلبُ في الجسد، وتبدَّلت السكينة بالغِلّ والحسد.
ولصارت الهِرَّة بعض الأزهار، ولم تتميّز الحِنطة عن بعض الثِّمار.
أوله بالعراق وآخره بالشام، وبثُلثا رُبعه يتمُّ الإيمان والإسلام.
وبثُلث ثالثه يبتدئ السؤال، وبثاني ثانية ينتهي القِيل والقال.
وقد شرح السيد محمد المعروف بِكبْريت ألفاظ السؤال والجواب، وتكفل بهما فأصاب شاكِلة الصواب.
قال في شرح ألفاظ السؤال:
هي في اسم قاسم.
قوله: «آخر أوله»، أول الاسم قاف، وآخره بالنظر إلى بَسْطه مسمّى الفاء، وهو آخر حروف الحلق، كما ترى، و «آخر ثانيه» وهو الألف كذلك الفاء، وهو موصوف بهذا الوصف؛ لأنه هو هو.
قوله: «قلبا آخريه»، وهما السين والميم، «يتوافقان» لأن حقيقتهما الياء، «وقلبا أوليه» وهما الألف واللام من قاف، ولا حرفان «متعانقان، لولا ثالثه» وهي مسمّى السين «لصار الاسم حرف» عطف وهي أم، أي بعد حذْف السين من الاسم.
«ولولا ثانيه»، وهو الألف «لصارت الرجل» القدم «من النجاسات».
«ولولا ربعه» وهو الميم، «لم يتحقق» القياس التمثيليّ، وهو «رابع القياسات».
«بعضه قاتل»، وهو سَمّ، «وبعضه»، وهو: قا «نصف قاتل».

Marfat.com

«طرفا أوله»، وهما القاف والفاء «أمر بحرفيْن، وطرفا ثانيه» الذي هو ألف أُفّ.

قوله: «وإن نقَص ربعه»، الذي هو السين «من ربعه»، الذي هو القاف، «بقي ربعه» وهو الميم؛ لأن الباق يبعد طرح ستّين من مائة: أربعون.

«وإن زِيد ربعه» عكَس القضيّة.

قوله: «صدره علامة قلب العاشق»، أي ثاني حروفه، وهو الألف، والمراد منه جوهر لفظه، وهو فعلٌ من الأُلفة، ولم يزل قلب العاشق يألف قلبَ المعشوق، وكذا «الرقيب المنافق».

قوله: «لولا ربعه»، الذي هو الألف، «لم تتميَّز القبلية من القابلية»؛ لأن به الفرق في هذين اللفظين، ومثله الفعليّة والمفعولية.

قوله: «بعضه يمين»، يعني الميم؛ لأنه يُقال: مُ اللهِ، في أيمُن الله، أو المراد: ما عدا القاف، وهو اسم، و«البعض»، وهو السين في لفظ «اليسار كمين».

قوله: «وبطرف آخره»، الأول أو الآخر «يبتدئ المقام»، بل ويختم، «وبطرف آخره» كذلك «ينتهي الكلام»؛ لأن الميم نهايةُ لفظ الكلام.

وهذا شرح ألفاظ الجواب:

قوله: «رباعيّ الأعضاء»، أي حروف قاسم أربعة.

«ثلاثيّ الأجزاء»، أي جملته تنقسم ثلاثة، من غير عكس.

«اثنا عشري الأصول»؛ لأن كل حرف يشتمل على ثلاثة أحرف.

قوله: «عديم الحرف المفصول»؛ لأنه مركّب من حرفين فحرفْين.

وهو معدود من الأسماء؛ لأنه اسم وُضع لِمُسمّىً بعيْنه، ومردود إلى الأفعال؛ باعتبار أنه مشتق من القسم.

قوله: «لولا ثلث أوله»، الذي هو القاف، والمراد الفاء «لصار لفظ السخيف» بعد حذف الفاء: سخيّ، والسخيّ موصوف بالكرم.

قوله: وإذ حذف الفاء من لفظ فقير، بَقِيَ قير، وهو أسود الظاهر والباطن.

قوله: «ولولا رابعه» الذي هو الميم «لاتحدت الماهية بالموجود»؛ لأن وجود الشيء هيئتُه، فكأنه قال: لاتّحدت الهيئة بالماهية.

وفيه تسامُح: لأن المراد من الميم مُسمّاها، وهو مفرد، فكيف يُطلق على المركّب من الميم والألف.

ويُمكن أن يقال: تعدُّد المراد في هذا الباب كثير، وهو أدخل في الإلْغاز.

Marfat.com

قوله: «ولم يتميَّز الحاسد من المحسود»، كالأول، لأنه لا فرقَ بين المحسود والحاسد في أصل المعنى.

قوله: «لو عدم ثانيه» الذي هو الألف، من لفظ الثمار، بقي: ثمر، فلم يَبْقَ الجمع.

قوله: «قرية بالرِّيّ» أي وهي خار، وإذا لم تكن الألف فيه بقي: خر، وهو بالفارسية اسم الحمار.

قوله: «ولو عدم ربعه»، الذي هو السين «لم يكن» ذلك الربع «قلب الجسد»؛ لسُقوطه، «وتبدلت السكينة»، فكانت كينة، منْ قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وفي الصِّحاح: «وباتَ فلانٌ بِكَيْنَة سَوْءٍ بالكسر، أي بحالةِ سوء».

والاستكانة: الخضوع.

قوله: «الهرة»، المراد منه سِنَّوْر؛ بعَمل الترادف، وإذا لم تكن فيه السين كان نوراً.

قوله: «الحنطة»، المراد منه: سلت. على التَّسامح.

قوله: «أوله بالعراق»، يعني القاف، في لفظ العراق «وآخره»، وهو الميم في لفظ «الشام».

قوله: «وثلثا ربعه»، وهما السينُ والنون، منْ بَسْط الرابع وهو السين، «يتمُّ به الإيمان»؛ لأنه تمّ بالنون، «والإسلام»؛ لأن تَمامَه بالسين، ولا يلزم أن يكون آخراً.

قوله: «وثلث ثالثه»، الذي هو السين، وهو المراد من بَسْطِه «يبتدئ السؤال» حقيقةً، كما تَرى، «وبثاني ثانيه»، وهو اللام من الألف، «ينتهي القيل والقال».

٩٤- ولده بهاء الدين

الذي اسْتَرق النُّهَى، وأشرق بدراً في فلك الازْدِها.

٩٤- محمد بن حسين بن عبد الصمد، الملقب بهاء الدين بن عز الدين الحارثي، العاملي، الهمداني. ولد ببعلبك في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وانتقل به أبوه إلى بلاد العجم، وأخذ عن والده وغيره من الجهابذة كالعلامة عبد الله اليزدي. وحج بيت الله الحرام، ثم أخذ في السياحة فساح ثلاثين سنة واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أهل الفضل، ثم عاد وقطن بأرض العجم. ودخل مصر وألف بها كتاباً سماه: (الكشكول) ثم قدم القدس، ونزل دمشق. وألف المؤلفات الجليلة منها: التفسير المسمى بـ (العروة الوثقى والصراط المستقيم)، والتفسير المسمى بـ (عين الحياة)، و(شرح الأربعين)، وغيرها الكثير. وكانت وفاته في شوال سنة إحدى وثلاثين وألف بأصفهان، ونقل إلى طوس قبل دفنه فدفن بها في داره قريباً من الخفرة الرضوية. ا.هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٤٤٠).

Marfat.com

الهمام الفَذّ البَذّ، من تَطْرب بذكره الأسماع وتلْتذّ.
تحلّى من الفوائد العلمية بما تحلّى، واشتهر اشتهار الصبح إذا تجلّى.
وازدانتْ به الدنيا ازْديانَ العاطِل بالحَلْي، والمُشكل بالجَلْي.
والمَفرِق بالتاج، والمقدمة بالإنْتاج.
وحصل بينه وبين الفضل في الاتّحاد التساوِي، فأنْتج مطلبُه من الشكل الأوّل هذا اللازم المَساوِي.
وأنا أذكر لك خبَره على جليّته فاعتمد عليه، ولعلك تُلْغي ما لفَّقه الشهاب من ذكْر حالِه ولا تجْنَحْ إليه.
وذلك أنه كان بالشام تكوُّن خِلْقته، وبها بان رُشْده وأحسَبه من حين لَفَّتْه قابِلتُه في خِرْقته.
ثم انْتقل به أبوه إلى قَزْوِين وهلاله آخذٌ في تذْويره، وذهنُه في مَبادِي ملاحظته للدقائق وتصْويره.
فاستكمل ثَمّةَ فضائلَه المُعجِبة، وصيَّر عندها فضائلَ الأُوَل كالمتحجِّبة.
ولما طَنَّتْ حَصاتُه في العراق، وتجاوزت فيه المدائح من الغُلُوّ إلى الإغْراق.
استدعاه الشّاه فصيَّره رئيسَ العلماء في تَخْت مُلْكه، وحَلّى جِيدَ مملكته منه بجوهر عِقدٍ كلُّ جَهابِذَتِه شذراتٌ في سِلْكه.
ثم رغب في الفقر والسياحة، واسْتهبَّ من مَهابِّ القبول رياحَه.
فطلع طلوعَ الشارِد، يرِد البلادَ كالطَّيْف الوارد.
وهو يقْترِي[1] المسالك، ويقتفر المهالك، ويعاني الممالك. فحج البيت الحرام، ودخل مصرَ أمَّ الأهرام.
ثم ورد دمشق فنَمَّ عليه فضلُه كما نم ريحُ الورد على الورد، ومنها ظهر بحلب الشهباء كما ظهر العلَم الفَرْد.
فلم يُمْكنه إلا أن شدّ للعجَم نطاقَ التّنْيار، ولما وصلها حطّ بها رَحْلَ الاخْتيار، فصنّف وألّف، وأبدع حَدّ الإبداع وما تكلّف.
وابتسمت به دولةُ الشاه عباس، وأماطتْ أقوالُه فيها حَنادِسَ[2] الشُّبَه والالْتباس.

---

(١) يقتري: طلب القرى. اللسان (قرا).
(٢) حنادس: جمع حِنْدِس، وهي الظلمة. اللسان، مادة (حندس).

Marfat.com

مع عزم ينْفلق دونه الصخر الأصَمّ، وحِلم يقصُر عنه الطَّودُ الأشمّ.
ورأيٍ عليه المُعوّل، وفكرٍ هو المعقول الأوّل.
وهناك ما شئت من رقة ألفاظ، ولطافةِ معانٍ تتعلّم منها السحرَ غَمزَاتٌ وألْحاظ.
وتفَنُّن في العبارات يتحيَّر له اللاحِظ، وغرائبُ آدابٍ تكِلُّ في استخراج دقائقها عيونُ الجاحظ.
إذا طلعت أغصانُ أقلامهِ في رياض أدبِه الجَنِيَّة الغُروس، سجدتْ لها الأقلام سجدةَ الشكر في محاريب الطُرُوس.
فأقلام إفادتِه لا تُنْسَب بإعياءٍ قَطّ، وصحائف مجده لم تُشَنْ من حسودٍ بنَقْط.
وهو في اللُسانين فارسٌ بطل، فالعربيُّ من بعده تعجُّم والفارسيُّ بطَل.
وله من عقائل اللسانين كلُّ فاتنة الطَّرْف، استوفتْ في مدى البلاغة اللطفَ والظَّرْف.
فمن بدائعه قوله: [البسيط]

وأهْيفِ القَدِّ لَدنِ العِطْفِ معتدلِ ... بالطَّرْف والظَّرْف لا ينفكُّ قَتّالاَ
إن جال أهْدى لنا الآجالَ ناظِرُهُ ... أو صال قطّع بالهِجْران أوْصالاَ
وإن نظرتُ إلى مرآة وَجْنتِه ... حسبتُ إنْسانَ عيني فوقها خَالاَ
كأن عارِضَه بالمِسك عارَضنِي ... أو ليلَ طُرّتِه في خَدِّه سالاَ
أو طاف من نورِ خَدَّيْه على بصَرِي ... فخَطَّ بالليلِ فوق الصبح أشْكالاَ

وكتب إلى والده وهو بالهَراة[1]، في سنة تسع وسبعين وتسعمائة: [الكامل]

يا ساكني أرضَ الهَراةِ أما كفَى ... هذا الفِراقُ بلَى وحقِّ المصطَفى
عودُوا عليَّ فرَبْعُ صبرِي قد عفَا ... والجَفْن من بعد التَّباعُد ما غَفا
وخيالكم في بالِي ... والقلبُ في بَلْبالِ
إن أقبلتْ من نحوِكم ريحُ الصَّبا ... قلنا لها أهلاً وسهلاً مَرحبَا
وإليكمُ قلْب المتيَّم قد صَبا ... وفِراقكم للروح منه قد سبَا
والقلبُ ليس بخالِي ... من حبِّ ذات الْخالِ
يا حبَّذا رَبْعُ الحِمَى من مَرْبَعِ ... فغزالُه شَبَّ الغَضا في أضلُعِي

(١) هَرَاة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. انظر معجم البلدان (٤/ ٤٧١).

Marfat.com

لـم أنـسَـه يـوم الـفـراقِ مُـودِّعـي بـمَـدامـعٍ تـجـري وقـلـبٍ مُـوجَـعِ
والـصـبُ لـيـس بِـسـالِ عـن ثَـغْـرِه الـسَّـلْـسـالِ

وله، وهي من غُرَره: [الخفيف]

خـلِّـيـانـي ولَـوْعـتـي وغـرامـي يـا خـلـيـلـيَّ واذهـبـا بـسَـلامِ
قـد دعـاه الـهـوى فـلـبَّـاه قـلـبـي فـدَعـانـي ولا تُـطِـيـلا مَـلامِـي
إن مَـن ذاقَ نَـشْـوَة الـحـبِّ يـومـاً لا يُـبـالـي بـكـثـرة الـلُّـوّامِ
خـامَـرتْ خـمـرةُ الـمـحـبَّـة قـلـبـي وجـرَت فـي مـفـاصِـلـي وعـظـامِـي
فـعـلـى الـعـلـمِ والـوقـار صـلاةٌ وعـلـى الـعـقـل ألـفُ ألـفِ سـلامِ
هـل سـبـيـلٌ إلـى وقـوفـي بـوادي الـ ـجِـزْعِ يـا صـاحـبـيَّ أو إلْـمـامِـي
أيـهـا الـسـائـرُ الـمُـلِـغُّ إذ مـا جـئـتَ نَـجْـداً فـعُـجْ بـوادي الـخُـزامِ
وتـجـاوَزْ عـن ذِي الـمَـجـازِ وعـرِّج عـادِلاً عـن يـمـيـن ذاك الـمَـقـامِ
وإذا مـا بـلـغـتَ حُـزْوَي فـبـلِّـغْ جِـيـرةَ الـحـيِّ يـا أُخَـيَّ سـلامِـي
وانْـشُـدَنْ قـلـبـيَ الـمُـعَـنًّـى لـديـهـمْ فـلـقـد ضـاع بـيـن تـلـك الـخـيـامِ
وإذا مـا رَنَـوْا لـحـالـي فـسَـلْـهـمْ أن يـمُـنُّـوا ولـو بـطـيْـفِ مَـنـامِ
يـا نُـزولاً بـذِي الأراكِ إلـى كـمْ تـنْـقـضـي فـي فِـراقـكـمْ أعـوامِـي
مـا سـرَتْ نَـسْـمـةٌ ولا نـاح فـي الـدَّوْ حِ حَـمـامٌ إلا وحـان حِـمـامِـي
أيـن أيّـامُـنـا بَـشـرْقـيِّ نَـجْـدٍ يـا رعـاهـا الإلـهُ مـن أيـامِ
حيثُ غُضن الشبابِ غضٌّ ورَوضُ الـ ـعَـيـشِ قـد طـرَّزتْـه أيـدِي الـغَـمـامِ
وزمـانـي مـسـاعـدٌ وأيـادِي الـ ـلَـهْـوِ نَـحـو الـمُـنـى تـجـرُّ زِمـامِـي
أيـهـا الـمُـرتـقِـي ذُرَا الـمـجـد فـرداً والـمُـرجَّـى لـلْـفـادحـاتِ الـعِـظـام
يا حليفَ النَّدى الذي جُمِّعت فيـ ـهِ مَـزايـا تـفـرَّقـتْ فـي الأنـام
نِـلْـتَ فـي ذِرْوةِ الـفَـخـارِ مَـحَـلاً عَـسِـرَ الـمُـرتـقَـى عـزيـزَ الـمَـرام[1]
نَـسَـبٌ طـاهـر ومـجـدٌ أثِـيـلٌ وفَـخـارٌ عـالٍ وفـضـلٌ سـامِـي
قـد قَـرَنّـا مَـقـالـكـم بـمـقـالٍ وشَـفـعْـنـا كـلامَـكـم بـكَـلام
ونـظَـمْـنـا لـهـا مـع الـدُّرّ فـي سِـمْـ ـطٍ وقُـلـنـا الـعـبـيرُ مـثـلُ الـرَّغـام[2]

(١) أثيل: الأثيل: كل شيء له أصل قديم. اللسان مادة (اثل).
(٢) الرغام: ما يسيل من الأنف. اللسان مادة (رغم).

Marfat.com

لـم أكُـنْ مُـقْـدِمـاً عـلـى ذا ولـكـنْ كـان طَـوْعـاً لأمْـرِكـم إقْـدامِـي
عَـمْـرَك الله يـا نـدِيـمـيَ أنْـشِـدْ جـارَتـا كـيـف تُـحـسـنـيـن مَـلامِـي

وله: [البسيط]

أسحرُ بابِلَ في جَفْنَيْكِ أم سَقَمِي أم السيوفُ لقتْل العُرْب والعجمِ
والخالُ مَركَزُ دَوْرٍ للعِذار بدا أم ذاك نضْحُ عِثارِ الخَطِّ بالقلَمِ
أم حبَّةٌ وُضِعَتْ كيمْا تصيدَ بها حَبَّ القلوبِ فصادتْ كلَّ مُلتثِمِ
أم الفَراشُ هوَى طيرُ الفؤادِ على نارٍ بخَدِّك حتى صار كالفحمِ

قوله: «والخال»، البيت، من قول الرَّامِينِيّ الإسْتِرابَاذِيّ: [السريع]

هل نضَحتْ أقلامُ خَطِّ العِذارْ في مَشْقِها فالخالُ نَضْحُ العِثارْ
أم استدارَ الخدُّ لمَّا غَدَتْ نُقطتُه مَركزَ ذاكَ المَدارْ

قوله: «أم حبَّة»، هذا كثير، وقد تقدّم في ترجمة السَّفَرْجَلانِيّ.

وقوله: «أم الفراش»، هذا من قول عَوْن الدِّين العَجَمِيّ، وفيه زيادة: [الوافر]

لهيبُ الخدِّ حين بدا لعيْني هَوى قلبي عليه كالفَراشِ
فأحرقه فصار عليه خالاً وها أثرُ الدُّخان على الحَواشِي

ولَه يرثي والده، وقد توفِّيَ بالمُصلَّى من قُرى البَحْرين، لثمان خلَوْن من شهر ربيع الأول، سنة أربع وثمانين وتسعمائة، عن ست وستين سنة وشهرين وسبعة أيام: [البسيط]

قفْ بالطُّلولِ وسَلْها أين سَلْماهَا ورَوِّ مِن جُرَعِ الأجْفان جَزْعاهَا
وردِّد الطَّرف في أطرافِ ساحتِها وأرِّجِ الوصلَ من أزواحِ أرْجاهَا
فإن يَفُتْك من الأطْلالِ مَخْبرُها فلا يفوتَنَّكَ مَرْآها ورَيَّاها
رُبوعُ فضلٍ يُضاهِي التِّبْرَ تُربتُها ودارُ أُنسٍ يُحاكي الدُّرَّ حَصْباهَا
عدا على جِيرةٍ حَلُّوا بساحتها صَرْفُ الزمانِ فأبْلاهم وأبْلاهَا
بدورُ تِمٍّ غمامُ الموتِ جَلَّلها شموسُ فضلٍ سحابُ التُّرْبِ غَشَّاهَا
فالمجدُ يبكي عليها جازِعاً أسِفاً والدِّين يندُبها والفضلُ ينْعاهَا
يا حَبَّذا أزْمُنٌ في ظلِّهم سلَفتْ ما كان أقصرَها عُمْراً وأخلاهَا
أوقاتُ أُنسٍ قضيناها فما ذُكرت إلا وقطَّع قلب الصَّبِّ ذكراها

Marfat.com

باجِيرةً هجَروا واستوْطنُوا هَجَراً ... واهاً لقلبِ المُعنّى بعدكم وَاهَا
رَعيْاً للَيْلاتِ وَصْلٍ بالحِمَى سلفَتْ ... سَقْياً لأيّامنا بالخَيْفِ سُقياهَا
لفَقْدكم شُقّ جَيْبُ المجدِ وانْصدعتْ ... أركانُه وبكم ما كان أقْواهَا
وخَرّ من شامخاتِ العلم أرْفعُها ... وانْهَدّ من باذِخاتِ الفضلِ أرْساهَا
يا ثاوِياً بالمُصَلّى من قُرى هَجَرٍ ... كُسِيتَ من حُلَلِ الرّضْوان أضْفاهَا
أقمْتَ يا بحرُ بالبحرين فاجتمعتْ ... ثلاثةٌ كُنّ أمثالاً وأشْباهَا
ثلاثةٌ أنت أنْداها وأغزرُها ... جُوداً وأعذبُها طعماً وأضْفاهَا
حَويْتَ من دُرَرِ العلياءِ ما حَوَيا ... لكنّ دُرّك أغْلاها وأغْلاهَا
يا أعْظُما وَطئتْ هامَ السُّها شرَفاً ... سَقاكِ من دِيَمِ الوَسْمِيّ أسْماهَا[1]
ويا ضريحاً عَلا فوق السّماكِ عُلاً ... عليْك من صلواتِ الله أزْكاهَا
فيك انْطَوى من شموسِ الفضلِ أضْوءُها ... ومن مَعالمِ دينِ الله أسْناهَا
ومِن شوامِخِ أطْوادِ الفتوّةِ أز ... ساها وأرفعُها قدراً وأبْهاها
فاسْحَبْ على الفَلَكِ الأعْلى ذيولَ عُلاً ... فقد حوَيْتَ من العَلْياء عَلْياهَا
عليك مِنّا صلاةُ اللهِ ما صدَحتْ ... على غصونِ أرَاكِ الدَّوْحِ وَرْقاهَا

ومن مقطّعاته قوله: [المتقارب]

لعينيْك فضلٌ كثيرٌ عليَّ ... وذاك لأنّيَ يا قاتِلي
تعلّمتُ من سحرِها فعقدتُ ... لسان الرّقيبِ مع العاذلِ

وكتب من قَزْوِين إلى والده، وهو بالهَراة: [المتقارب]

بقَزْوين جسمي وروحي ثَوتْ ... بأرضِ الهَراةِ وسُكانِهَا
فهذا تغرّب عن أهْلِه ... وتلك أقامتْ بأوْطانِهَا

وله: [المديد]

إن هذا الموتَ يكرَهُه ... كلُّ من يمشِي على الغبْرَا
وبعيْن العقل لو نظروا ... لرأوْه الراحةَ الكبرى

اقْتفَى في هذا أثرَ ابن الرُّومِيّ، في مَدْح الموت، حيث قال: [الكامل]

قد قلتُ إذ مدحوا الحياةَ وأسْرفوا ... في الموت ألفُ فضيلةٍ لا تعرَفُ
منها أمانُ لِقائِه بلقائِه ... وفِراقُ كلّ مُعاندٍ لا ينْصِفُ

(١) السُّها: كوكب صغير خفي الضوء من بنات نعش الكبرى. اللسان مادة (سها).

Marfat.com

ومن رُباعيّاته، ما كتبه لبعض أحبابه، وهو في المشهد الأقدس الرَّضَوِيّ: [الدوبيت]

يـا رِيـحُ إذا أتَيْـت أرضَ الـجـمْـعِ أعـنِـي طُـوسـاً فـقُـل لأهـلِ الـرَّبْـع
مـا حَـلَّ بـرَوْضـةٍ بـهـائِـيُـكـمُ إلاَّ وسـقَـى ريـاضَـهـا بـالـدَّمْـعِ

وكتب إلى بعض أحبابه بالنجَف الأشرف: [الدوبيت]

يـا ريـحُ إذا أتـيـتَ أرضَ الـنَّـجَـفِ فـالْـثِـمْ عَـنِّـي تُـرابَـهـا ثـم قِـفِ[1]
واذْكُـر خَـبـرِي لـدى عُـريـب نـزلـوا وادِيَـه وقُـصَّ قـصَّـتـي وانْـصـرفِ

وله: [الدوبيت]

يـا عـاذلُ كـم تـطـيـلُ فـي إتْـعـابـي دَعْ لَـوْمَـك وانـصـرفْ كـفـانِـي مـا بِـي
لا لَـوْمَ إذا هِـمْـتُ مـن الـشـوقِ عـلـى قـلـبٍ مـا ذاق فُـرقـةَ الأحْـبـابِ

وله: [الدوبيت]

يـا بـدرَ دُجـىً بـوَصْـلِـه أحْـيـانِـي إذْ زار وكـمْ بـهـجْـره أفْـنـانِـي
بـاللهِ عـلـيـك عـجِّـلَـنْ سـفْـكَ دمـي لا طـاقـة لـي بـلـيْـلـةِ الـهـجـرانِ

٩٥- حسن بن زين الدِّين الشَّهيد

ركنُ مجدٍ رَكِين، مكانه في ذِرْوة الرياسة مَكِين.

رسَا في بُحْبُوحة البسالة ورسَخ، ونسَخ خطَّة الجهل بما خطَّ ونسَخ.

وهو من قومٍ تنُوس ذوائبُهم على هام الجبال، وتستمِدُّ الشموس من سَناهم فلذا تُرخِي عند المغيبَ الحبال.

تُقطَع إليهم الوُعور[2] فتُلْفَى بشوقهم صعيداً، وتُستبعد لغيرهم السَّماوة ولا يُرى السماءُ بقصْدهم بعيداً.

وأبوه زَيْن الدين ممن كان له صِيتٌ يفِلق الصَّخر، وتقدُّم فيما بينهم ينْفلق عنه فجرُ الفخْر.

---

(١) الثم: قبِّل. اللسان، مادة (لثم).

٩٥- حسن بن زيد الدين الشهيد، العاملي، الشهير بالشامي. نزيل مصر. المحقق، المدقق، المتفنن في جميع الفنون. ومن مصنفاته كتاب (منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان)، وكتاب (المعالم)، و(الاثني عشرية) و(منسك الحج) وغير ذلك. وكانت ولادته في سنة أربع وخمسين وتسعمائة تقريباً، وتوفي في سنة إحدى عشر بعد الألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٢/ ٢١).

(٢) الوعور: جمع وعر، والوعر: هو الطريق غير السوي. مادة (وعر)، اللسان ج ٥/ ٢٨٥ .

Marfat.com

إلا أن الأيام غالته بطوارِقها، ونازلَته برواعِدها وبوارِقها.
على جَهْد في قتلِه جَهِيد، حتى ألْقَى السمع وهو شَهِيد.
فخلفه ابنُه حسن، ومن حديثُ فضلِه صحيحٌ حسَن.
فقام مَقام الوَبْل في البلد المَحْل، وكان أنْدَى من الصَّبا وأشهى من جَنَى النحل.
ينْتدِر ويرْوِي، وينْقَع بزُلال أدبِه ويَرْوِي.
ويُمتِّع بأحاسن الأخْبار، ويقطع منها جانبَ الاعتبار.
مع فكرٍ ماؤُه يسِيح، وطبعٍ بُستانه فسِيح.

وله مؤلفات أحسَن فيها كلَّ الإحسان، أجلُّها «منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان».

وأما شعره فلبنان مَنْبت زهرِه الفوّاح، ونسيمه الطَّلْق راوِي حديث نفْحتِه للأرواح.

وقد أثبتُّ منها ما يردِّد محاسنَه الدهرُ ويرْويها، وينشر فضائله على كواهل الأدب ويطْويها.

فمنه قوله: [الوافر]

فـؤادِي ظـاعـنٌ إثْـرَ الـنِّـيـاقِ ... وجـسـمـي قـاطـنٌ أرضَ الـعـراقِ
ومن عَجبِ الزمانِ حياةُ شخصٍ ... تـرحّـل بـعـضُـه والـبـعـض بـاقِ
وحلَّ السُّقْمُ في بدني وأمْسَى ... لـه لـيـلُ الـنَّـوَى لـيـلَ الـمَـحـاقِ
وصَبْـرِي راحـلٌ عـمّـا قـلـيـلٍ ... لـشدة لَـوْعـتي ولَـظَـى اشْـتـيـاقِـي
وفَرْطُ الوَجْدِ أصبح بي خليقاً ... ولـمـا يـنْـوِ فـي الـدنـيـا فِـراقِـي
وتـعـبـثُ نـارُه فـي الـرُّوح حـيـنـاً ... فـيـوشـك أن تُـبـلِّـغَـهـا الـتـراقِـي
وأظْـمـانـي الـنَّـوى وأراق دمـعـي ... ولا أرْوَى ولا دمـــعـــي بِـــراقِ
وقـيَّـدنـي عـلـى حـالٍ شـديـدٍ ... فـمـا حِـرزُ الـرُّقَـى مـنـه بِـواقِ
أبَـى اللهُ الـمـهـيـمـنُ أن تـرانـي ... عـيـونُ الـخـلـق مـحـلـولَ الـوثـاقِ
أبِـيـتُ مَـدى الـزمـان لـنـار وَجْـدي ... عـلـى جـمـرٍ يـزيـد بـه احـتـراقـي
ومـا عـيـش امْـرِئٍ فـي بـحـرِ غَـمٍّ ... يُـضـاهِـي كـربُـه كَـرْبَ الـسِّـيـاقِ
يـوَدُّ مـن الـزمـان صـفـاءَ يـوم ... يـلُـوذُ بـظـلـه مـمّـا يُـلاقِـي
سـقـتْـنِـي نـائـبـاتُ الـدهـرِ كـأساً ... مَـريـراً مـن أبـاريـقِ الـفِـراقِ
ولـم يـخـطُـرْ بـبـالِـي قـبـلَ هـذا ... لـفَـرْطِ الـجـهـل أن الـدهـرَ سـاقِ

Marfat.com

وفاض الكأسُ بعد البَيْنِ حتى ... لعَمْرِي قد جرَتْ منه سَوَاقِ
فليس لِداءِ ما ألْقَى دواءٌ ... يُؤمَّل نفعُه إلاَّ التَّلاقِي

وقوله، وهو من أبدع ما هزَّ به الشوق، بعَصا السَّوْق. يتشوَّق إلى مَحلِّه، ويندُب بُعد ترحُّله عنه ومُرتَحلِه: [البسيط]

طولُ اغْترابِي بفَرْط الشوقِ أضْنانِي ... والبَيْنُ في غَمَراتِ الوَجْدِ ألْقانِي
يا بارِقاً من نواحِي الحيِّ عارَضنِي ... إليك عنِّي فقد هَيَّجْتَ أشْجانِي
فما رأيتُك في الآفاقِ مُعترضاً ... إلا وذكَّرْتني أهلي وأوْطانِي
ولا سمعتُ شَجا الورقاءِ نائحةً ... في الأيك إلا وشبَّتْ منه نيرانِي
كم ليلةٍ من ليالِ البَيْن بِتُّ بها ... أرْعَى النجومَ بطَرْفِي وهْي تَرْعانِي
كأن أيْدِي خُطوبِ الدهر منذ نأَوْا ... عن ناظِري كحَّلَتْ بالسُّهْدِ أجْفانِي
ويا نسيماً سرَى من حَيِّهم سحراً ... في طَيِّه نَشْرُ ذاك الرَّنْدِ والْبانِ
أحْيَيْت مَيْتاً بأرْضِ الشام مُهجَتُه ... وفي العراق له تَخْيِيلُ جُثْمانِي
وكم حييتُ وكم قد مِتُّ من شَجَنٍ ... ما ذاك أوَّلُ إحياءٍ ولا الثاني
يا لائِمِي كم بهذا اللَّوْمِ تُزْعِجني ... دَعْنِي فَلَوْمُك قد واللّهِ أغْرانِي
لا يسكُن الوجدُ ما دام الشَّبابُ ولا ... تصْفُو المشاربُ لِي إلاَّ بلُبْنانِ
في رَبْعِ أُنْسِي الذي حلَّ الشبابُ به ... تَمائِمِي وبه صَحْبِي وخِلانِي
كم قد عهدتُ بهاتيك المعاهِد مِن ... إخْوانِ صِدْقٍ لَعَمْري أيُّ إخوانِ
وكم تقضَّتْ لنا بالحيِّ آونةٌ ... على المَسرَّة في كَرْمٍ وبُستانِ
لم أدْرِ حالَ النَّوَى حتى علِقْتُ به ... فغَمْرتي من وقوعِي قبل عِرْفانِ
حتَّى مَ دهري على ذا الْهَوْنِ تُمسكني ... هلا جَنحتَ لتسريحٍ بإحْسانِ
أقسمتُ لولا رجاءُ القرْبِ يُسعِفني ... فكلَّما مُتُّ بالأشواقِ أحْيانِي
لكدتُ أقْضِي بها نحْبِي ولا عجبٌ ... كم أهلَك الوجدُ من شِيبٍ وشُبانِ
ياجيرةَ الحيِّ قلبي بعدَ بُعْدِكم ... في حيرةٍ بين أوصابٍ وأحزانِ
يمضي الزمانُ عليه وهو ملتزمٌ ... بحبِّكمْ لم يُدنِّسْه بسُلوانِ
باقٍ على العهدِ راعٍ للذِّمامِ فما ... يسوم عهدَكمُ يوماً بِنسيانِ
فإن بَرانِي سَقامِي أو نأَى رَشَدِي ... فلاعِجُ الشوقِ أوْهانِي وألْهانِي
وإن بكتْ مقلتي بعد الفِراقِ دَماً ... فمن تذكرِكم يا خيرَ جِيرانِ

Marfat.com

٩٦- سِبْطه زَيْن الدين بن محمد

هو السِّبْط، ذو البَنان السَّبْط، حازم الرأي في الحَلّ والربْط.
مجده نسَقَ الحديثَ مع القديم، وحُلاه تسوغ بها المُدامة إذا تكرَّرها النديم.
إلى ذاتٍ كاملة مكمَّلة، ونفسٍ بفعْل الجميل مُجمَّلة.
ملازِم كِنٍّ وعُزلة، مُتعاطٍ سهْلَ العيش وجَزْلَه.
ثم سمتْ همَّتُه إلى أن طار عن أهلِه، وخرج يتتبَّع عجائب الأقطار على مَهْلِه.
يرْتاد غير أرضِه أرضاً، ليقضَي من أمر الرحلة سُنَّة وفرضاً، حتى كان البيتُ الحرام آخرَ مَطافه، انْتقل إلى عفو الله وخفِيِّ ألطافِه.
وقد رأيتُ له شعراً يتجلَّى في أبْراد الإجادة، ويتحلَّى من الكلمات بالصَّقيلة المُستجادَة.
فأثبتُ منها ما ترقُص بسماعه معاطفُ وذوائب، وتُمسي قلوب العشاق من نار غرامه وهي ذوائب.
فمن ذلك قوله، يشكو طول نَواه، وينْدُب أوقاته بمحلّ ثُواه: [الكامل]

سئمتْ لفَرْط تنقُّلِي البَيْداءُ ... وشكتْ لعِظْم ترحُّلي الأنْضاءُ[1]
ما إن أرى في الدهرِ غير مُوَدِّع ... خِلاً وتوديعُ الخليل عَناءُ
أبْلَى النَّوى جلَدِي وأوْقد في الحشَا ... نِيرانَ وجدٍ ما لها إطْفاءُ
فقدتْ لطُول البَيْن عيني ماءَها ... فبكاؤُها بدل الدموع دماءُ
فارقتُ أوطاني وأهلَ مودَّتِي ... وحبائباً غِيداً لهنَّ وفاءُ
من كلِّ مائسةِ القَوامِ إذا بدتْ ... لجمالِ بهْجتها تغارُ ذُكاءُ
ما أسْفرتْ والليلُ مُزْخٍ سِتْره ... إلا تهتَّكُ دونها الظلماءُ
تزْمِي القلوبَ بأسهُمٍ تُضْمِي وما ... لجِراحهنَّ سوى الوصالِ دواءُ
شمسٌ تَغارُ لها الشموسُ مُضيئةً ... ولها قلوبُ العاشقين سَماءُ
هيفاءُ تختلس العقولَ إذا رنَتْ ... فكأنما لَحظاتُها الصَّهْباءُ[2]

٩٦- زين الدين بن محمد بن حسن بن زين الدين الشهيد الشامي، العاملي. أحد فضلاء الزمان، شرح الله صدره للعلوم، جاور في مكة، واجتمع بها بابن معصوم صاحب السلامة. وكانت وفاته في سنة اثنتين وستين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٢/ ١٩١).
(١) الأنضاء: جمع نضو وهو البعير المهزول. اللسان، مادة (نضا).
(٢) الصهباء: الخمر، سميت بذلك للونها المائل إلى البياض. اللسان، مادة (صهب).

Marfat.com

ومَعاشرٍ ما شَانَ صدقَ وفائهمْ نقضُ العهودِ ولا السوادَ مِراءُ
ما كنتُ أحسَب قبل يومِ فراقهمْ أن سوف يُقضى بعد ذاك بقاء
فسقَى رُبَى وادي دمشقَ وجادَها من هاطِل المزْنِ المُلِثِّ حَياءُ[1]
فيها أُهَيْلُ مودّتي ويثُربْها لجَليلِ وجدي والسَّقامِ شِفاءُ
ورعى ليالِينا التي في ظِلِّها سلَفتْ ومُقْلةُ دهْرنا عَمْياءُ
أترى الزمان يعود لي بإيابها ويباح لي بعد البعاد لقاء
فإلى متى يا دهْر تصدَعُ بالنَّوَى أغْشارَ قلبٍ ما لهُنَّ قواءُ[2]
وتسُومني فيك المُقامَ بذلّةٍ ولِهمّتي عمّا تسُوم إباءُ
فأجابني لولا التَّغرب ما ارتقى رتبَ العلا من قبلك الآباءُ
فاصبرْ على مُرّ الخطوب فإنما مِن دون كلِّ مسرّةٍ ضَرّاءُ
واترُكْ تذكُّرَك الشآمَ فإنما دون الشآمِ وأهلِها بَيْداءُ

وقوله من قصيدة في المدح، مستهلها: [الرمل]

شامَ بَرْقاً لاح بالأبْرَقِ وَهْنَا فصبَا شوقاً إلى الجِزْع وحَنّا
وجرى ذكْرُ أُثَيْلاتِ النَّقَا فشكَتْا من لاعِجِ الشوقِ وأنّا[3]
دَنِفٌ قد عاقه صَرْفُ الرَّدَى وخُطوب الدهرِ عمّا يتمَنّى
شَفَّه الشوقُ إلى بَانِ اللِّوَى فغدا مُنْهمِلَ الدمع مُعَنّى
أسلمتْهُ للرَّدَى أيْدِي الأسَى عندما أحْسنَ بالأيام ظَنّا
طالما أمَّلَ إلْمامَ الكرَى طَمَعاً في زَوْرةِ الطَّيْفِ وأنّى
كلَّما جَنَّ الدجى حَنَّ إلى زمنِ الوصلِ فأبْدَى ما أجَنّا
وإذا هبَّ نسيمٌ من رُبَى حاجِرٍ أهْدَى له سُقْماً وحُزْنَا
يا عريباً بالحِمَى لولاكُم ما صَبا قلبي إلى رِبْعٍ ومَغْنَى
كان لي صَبرٌ فأوْهاه النَّوى بعدَكم يا جِيرةَ الحيِّ وأفْنَى
قاتَلَ اللهُ النَّوى كم قرَّحتْ كَبِداً من ألمِ الشوق وجَفْنَا

---

(١) الملث: المقيم. اللسان مادة (لثث).
(٢) قِواء: الأصل: قِوى: جمع قوة، وإنما مد المقصور للقافية.
(٣) النقا: الخصر النحيل الدقيق الذي ليس فيه لحم كثير. اللسان مادة (نقا).

Marfat.com

كـــدَّرتْ مَـــورِدَ لَـــذَّاتـــي ومـــا تركتْ لي من جميل الصبرِ رُكْنَا
قـطـعـت أفـلاذ قـلـبـي والـحـشـا وكستني من جليل السقم وَهْنَا
فـإلـى كـم أشْـتـكـي جَـوْرَ الـهـوى وأُقـاسِـي مـن هـوى لـيـلـى ولُـبْـنَى
قد صَحَا قلبيَ من سُكْرِ الهوى بـعـد مـا أزْعـجـه الـسـكـرُ وعَـنَّـى
ونَـهـانِي عـن هـوى الـغِـيـدِ الـنُّـهـى وحَـبـانـي الـشَّـيـبُ إحـسـانـاً وحُـسْـنَـا
وتـــفـــرَّغْـــتُ إلـــى مَـــدْحِ فـــتـــىً سُـنَّـةَ الـمـعـروفِ والأفْـضـالِ سَـنَّـا

٩٧- السيد نور الدين بن أبي الحسن الحُسَيْنِيّ

هو نورٌ للمُجتلِي القابِس، وابتسامٌ في فم الزمان العابِس.
سما قدرُه بين فضلاء الأنام، وحلَّ من الأدب بين الذُّرْوة والسَّنام.
وصِيتُه في الحجاز أشهر من يوم بدر، وأنْور من ليلة القدر.
مع نزاهة عن الدنيا، ورفعة نِيطتْ بالثُّريّا، ولهجةٍ ترقْرق فيها ماءُ الحَيا، فأحْيَى وحيَّى.
وكرمُ طبعه مع حسن صمته، دليلٌ للرواة على حسن سَمْته.
فإذا حَبَا أنَّى تُوازَن به الغيوثُ السّواكب، وإذا احْتَبى هيهات أن تُشبِهه الجبالُ الرواسب.

وله فوائد تأنَّق فيها، وأشعارٌ أصبح جوهرُه سلك مُقتفِيها.
وقد أثبتُّ له ما يعجِب إحسانُه، ولا يُجحَد حسنه أو يُنكَر استحسانُه.
فمنه قوله، من قصيدة طويلة في المدح، مطلعها: [الطويل]

لك الفخرُ بالعَلْيا لك السَّعدُ راتبُ لـك الـعزُّ والإقـبـال والـنـصـر غـالـبُ
سَمَوْتَ على قَبِّ السَّراحِين صائلاً فكلَّتْ بكفَّيْك القَنا والقواضبُ[1]

٩٧- السيد علي بن أبي الحسن، الملقب نور الدين، الحسيني، الشامي، العاملي، الإمام، الهمام العالم، المنطيق. اشتهر في مبدأ أمره بالشام، ثم قطن بمكة واجتمع بها بابن معصوم صاحب السلافة، وكان قد أناف على التسعين. وكانت وفاته بمكة المشرفة في ذي الحجة سنة ثمان وستين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٣/ ١٣٢).

(١) القب: الفحل أو الرئيس. اللسان مادة (قبب)، السراحين: جمع سرحان وهو الذئب أو الأسد. اللسان مادة (سرح).
القواضب: جمع قضيب، والقضبة شجرة تصنع منها السهام. اللسان (قضب).

Marfat.com

وحُزْتَ رِهان السَّبق في حَلْبة العلى ... فأنت لها دون البريَّة صاحبُ
وجُلْتَ بحَوْماتِ الوغى جَوْل باسلٍ ... فرُدّت على أعْقابهن الكتائبُ
فلا الدَّارعاتُ المُقتماتِ تكنُّها ... ملابسُها لما تَحِقُّ المضاربُ[1]
ولا كثرةُ الأعداء تغنى جموعُها ... إذا لمعتْ منك النجومُ الثواقبُ
خُضِ الحَتْفَ لا تخشَ الورى واقْهرِ العدى ... فليس سوى الإقدام في الرأيِ صائبُ
وشمِّر ذيول الحزم عن ساقِ عزمها ... فما ازدحمت إلا عليك المراتبُ
إذا صدَقت للناظرين دلائلٌ ... فدَعْ عنك ما تُبدِي الظنونُ الكواذبُ
بِبيضِ المَواضي يُدرِك المرءُ شأوَهُ ... وبالسُّمْر إن ضاقتْ تهون المصاعبُ
لِأسْلافك الغُرِّ الكرام قواعدٌ ... على مثلها تُبنَى العلى والمناصبُ
زكَوْتَ وحُزْتَ الفضل مجداً ومحِتداً ... فآباؤك الصِّيد الكرام الأطايبُ
ومن يَزْكُ أصلاً في المعالي سمتْ به ... ذُرَا المجد وانْقادتْ إليه الرَّغائبُ
بَنُو عمِّكم لمَّا أضاءتْ مشارقٌ ... بكم أشرقت منهم علينا مغارب
وفيكم لنا بدرٌ من الغرب طالعٌ ... فلا غَرْو أن كانت لديه العجائبُ
هو الفخر مَدَّ الله في الأرض ظلَّه ... ولا زال تُجْلَى من سَناه الغياهِبُ
إلى حلبَ الشَّهباءِ منِّي بِشارةٌ ... تعطِّرها حتى تفوحَ الجوانبُ
إذا ما مضى من بعد عشرِ ثلاثةٌ ... من الدَّور فيها تُستَتمُّ المآربُ
لقد حدَّثتْ عنها أولو العلم مثلَما ... جرى وانقضت تلك السِّنونَ الجوادِبُ
بدا سعدُها لمَّا عليٌّ بدا بها ... ويا طالما قد أُنحستْ وهْو غاربُ
وفَوْزُ عليٍّ بالعُلَى فوزُها به ... فكُلٌّ إلى كلٍّ مضافٌ مناسبُ
كأنِّي بسيف الدولة الآن وارداً ... إليها يُلاقي ما جنتْه الثَّعالبُ
لقد جادَها صَوْبُ الحيا بعد مَحْلِها ... وشرَّفها مَن أحكمتْه التَّجارِبُ
كريمٌ إذا ما أمحلَ الغيْثُ أمطرتْ ... أيَادِيه جوداً منه تصفو المشارب
أديب أريب لو تجسَّم لفظُه ... أصابته عِقْداً للنُّحور الكواعبُ
فيا أيها المنصورُ بُشْراك رتبة ... بها السعدُ حقاً والسرورُ مُواظبُ
مدحتكُمُ والمدحُ فيه تجارةٌ ... بها تُثمِرُ النُّعمَى وتغْلو المكاسبُ
إلى باب عَلْياكم شدَدْت رواحِلِي ... ويا طالما شُدَّت إليه الركائبُ
بها الفضلُ منشورٌ بها الجودُ وافرٌ ... بها فتحُ من سُدَّتْ عليه المَذاهبُ

---

(١) الدارعات: جمع درع وهي الليالي السود الصدور، البيض الأعجاز من كل شهر. اللسان (درع).

Marfat.com

وماذا عسى أن يبلُغ الوصفُ فيكمُ ... إلى غايةٍ هل ينْقُص البحرَ شاربُ
فلا زلتمُ في أكْملِ السعدِ والهنا ... مدَى الدهر ما مالتْ وماسَتْ ذوائبُ

وله يتغزل: [البسيط]

يا مَن مَضَوْا بفؤادي عندما رحلُوا ... من بعد ما في سُوَيْدا القلبِ قد نزلوا
جارُوا على مُهْجتي ظلماً بلا سببٍ ... فليت شعرِي إلى مَن في الهوى عَدَلوا
وأطلقوا عَبْرتي من بعد بُعْدِهِمُ ... والعيْنُ أجفانها بالسُّهد قد كحَلُوا
يا من تعذَّب من تسْويفهم كبدي ... ما آنَ يوماً لقطْع الحبل أن تصِلوا
جادُوا على غيْرنا بالوَصْل مُتَّصِلاً ... وفي الزمان علينا مرَّةً بَخِلُوا
كيف السبيلُ إلى من في هواه مضَى ... عُمْري وما صدَّني عن ذكرِه شُغُلُ
وَاحَيْرتي ضاع ما أولَيْتُ من زمنٍ ... إذْ خاب في وَصْل مَن أهواهُم الأملُ
في أيِّ شَرْعٍ دماءُ العاشقين غدَتْ ... هَدْرَى وليس لها ثارٌ إذا قُتِلُوا
يا لَلرِّجال من البِيض الرِّشاق أما ... كفاهُمُ ما الذي بالناس قد فعلُوا
مَن مُنصِفي من غزَالٍ ما له شُغُلٌ ... عنِّي ولا عاقني عن حبِّه عملُ
نصبتُ أشْراكَ صَيْدي في مَراتِعِه ... والصَّيد فنِّي ولي في طُرْقه حِيَلُ
فصاح بي صائح خفِّض عليك فقد ... صِيدَ الغزال الذي تبغيه يا رجل
فصرتُ كالوالِه السَّاهي وفارقني ... عقلي وضاق عليَّ الأرضُ والسُّبُلُ
وقلْت بالله قل لي أين سارِبُه[1] ... مَن صادَه علُّهم في السَّير ما عجِلُوا
فقال لي كيف تَلْقاهم وقد رحلُوا ... مِن وقتهم واستجدَّت سيْرَها الإبلُ

٩٨- ولده السيد جمال الدين

هذا السيد كنت أسمع خبَره مُجمَلاً، ولا أرى لوصفه على غير الكمال مَحْمَلاً.

---

(١) السارب: يقال ظَبْية سارِبة أي: ذاهبة لمرعاها. اللسان (سرب).

٩٨- السيد جمال الدين بن نور الدين بن أبي الحسن الحسيني، الدمشقي. الشاعر الذيق، كان ألطف أبناء وقته دماثة خلق، وخلق حسن، معاشرة، لطيف الصحبة، شهي النكتة والنادرة. قرأ بدمشق وحصل وحضر مجالس العلامة السيد محمد بن حمزة نقيب الأشراف، ثم هاجر إلى مكة فجاور بها مدة، ثم دخل اليمن أيام الإمام أحمد بن الحسن، ثم فارق اليمن ودخل الهند، ووصل إلى حيدر أباد، وصاحبها يومئذ الملك أبو الحسن فاتخذه نديم مجلسه، فأقام عنده في بلهنية عيش وصفاء عشرة حتى طرقت أبا الحسن النكباء من طرف سلطان الهند الأعظم السلطان محيي الدين محمد الشهير بأورنك زيب، وقبض عليه وحبسه، فانقلب الدهر على السيد جمال الدين فبقي مدة في حيدر أباد، وقد ذهب إنسه إلى أن مات بها في سنة ثمان وتسعين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (١/ ٤٩٤).

Marfat.com

حتى عاشرت أخاه السيد عليّاً بمكة ففضّل ذلك الإجمال، وعرّفني أنه أُوتي الغايةَ من وصف الكمال والجمال.

وأوقفني على مالَه من النظم الرّصين في اللفظ الرّصيفِ، فتناولت منه ما هو أشهى من كأس الحُميّا طاف بها الساقي الوَصِيف.

وذكر لي أنه بعد ما أقام بالحرم المكّيّ مدة، وأعدَّ للتفرّد في طريق المُنادمة أحسنَ عُدَّة.

دخل حَيْدَر أباد بقصْد ملكها أبي الحسن، فنشِط لمُلاقاته نشاطَ الجَفْن للوَسَن.

وأحلَّه كنَفاً وسهلاً، وأراه جِيرةً للمدح أهلاً.

فبقيَ في سَرابيل إنْعامه رافِلاً[1]، وبِبَثّ مدائحه على رؤوس الأشْهاد حافِلاً.

ثم طرأتْ على أبي الحسن طارئة دَهْياء دَهْماء[2]، وفجَأته من تَغلُّب أورنك زيب عليه فاجئة عَمْياء صَمّا.

فتقلَّب في العجائب العُقْم، وتخامَر في النوائب الدُّهْم.

واقتطفت السيّد جمال الدين في أثر ذلك المَنيَّة، دون أن ينال من مواهبه كلَّ الأمنيَّة.

فما وصل إلى قبضة المُلمّات، حتى حصل في غُصَّة الممات.

وقد ذكرتُ له ما تعجبك طرائقُه، ويبعث طَرَبَك شائقُه ورائقُه.

فمن ذلك قوله، من قصيدة يمدح بها الإمام أحمد بن الحسن، أحد أئمة اليمن:

[الطويل]

خليليَّ عُودا لي فيا حبّذَا المَطْلُ ... إذا كان يُرجَى في عواقبه الوصلُ

خليليّ عودا واسْعِداني فأنتما ... أحقُّ من الأهْلِين بل أنتما الأهلُ

فقد طال سَيْرِي واضْمحلّت جوارحي ... وقد سئمتْ فَرْط السُّرَى العِيسُ والإبْلُ

فعادا وقالا صَحَّ ما بك من جَوىً ... وفي بعض ما لاقيْتَه شاهدٌ عَدْلُ

ولكنَّ طولَ السير ليس بضائر ... وغايتُه كنزُ النّدَى أحمدُ الشّبْلُ

منها:

---

(١) رافل: من يجر ذيلة بالمشي تبختراً. اللسان (رفل).

(٢) دهياء: شدائد الدهر. اللسان (دها).
دهماء: شدة السواد. اللسان(دهم).

Marfat.com

أبانتْ به الأيامُ كلَّ عجيبةٍ ... يسير بها الركبُ اليَمانيُ والقَفْلُ
فنيرانُ بأسٍ في بحارِ مكارمٍ ... ومِن فِعْله وصلٌ وفي قوله فَصلُ
أرانا عيَاناً ضِعف أضْعاف سمعِنا ... وعن جوده قد صحَّ بالنظر النقلُ

منها:

أقول وقد طفتُ البلاد وأهلها ... بلَوْتُهمُ قولاً يصدِّقه الفِعْلُ
إذا ما جرى ذكرُ البلاد وحِسنها ... فتلك فروعٌ والغِراسُ هي الأصلُ
وإن عُدَّ ذُو فضل ومجد مُؤثَّلٍ ... فأحمدُ من دون الأنام له الفضلُ
فلا غَرْوَ أن قصَّرتُ طولَ مدائحي ... ففي البعد قَصْرُ الفرضِ جاء به النَّقْلُ
إليك صَفِيَّ الدين منى خَريدةً ... فريدةَ حسنٍ لا يُصابُ لها مِثْلُ[1]
وأعظمُ ما ترجو القبولَ فإنما ... قبولُ الثَّنا بابٌ يتمُّ به السُّؤْلُ
فحقِّقْ رجاها واحْلِ عاطلَ جِيدها ... بما أنت يا نَجْل الكرام له أهلُ

ومن مقطَّعاته قوله معمِّيا باسم رجب: [الخفيف]

قُلتُ مذ حلَّ منزلي وصفا لِي ... كأسُ وقْتي من شَوْب واشٍ مُريبِ
حبَّذا منزلٌ به منتهى السُّؤْ ... لِ غدا نازِلاً بغيرِ رقيبِ

وقوله باسم هشام: [الكامل]

سَقْياً لأيامٍ لنا مع جِيرةٍ ... كانت إذا عزَّ النَّصيرُ مَلاذَا
مرَّت على عجَلٍ فلا واللهِ ما ... نظرَ المُتَيَّمُ بعدها استلذاذَا

وقوله في اسم سِنان: [البسيط]

للهِ مجلسُ أُنسٍ قد قضيتُ به ... يوماً يعادل عندي مدة العمرِ
تضاعَف الحسنُ فيه حين لاح لنا ... بدرُ الدجي من زوايا روضِهِ النَّضرِ

وقوله في اسم إبراهيم: [البسيط]

ظبيٌ من التُّرْك قاسٍ رُحْتُ أسأله ... وصلاً فقال مُجيباً مُذْ بِهِ بخَلاَ
صُنْ ماءَ وجهك عن ذلِّ السؤال تَجِد ... طريقَ عزٍّ ببحرِ المجد متَّصلاَ

---

(١) الخريدة: هي البكر التي لم تمس قط. ا هـ. مادة (خرد). اللسان ج ٣/ ١٦٢.

Marfat.com

٩٩- اخوه السيد علي

لقيتُه وقَدرُه كاسمه عليّ، وفضله من الأُفق الحجازيّ واضح جَلِيّ

وهو أديبٌ مَجاله فسيح، وشاعر بديع الشعر فصيح.

يسحر ببيَانه العقول، ويبهر الألباب بما يقول.

توخَّى سَمْتَ أخيه، فشُدَّت به أَواخِيه.

فلَكم تقلَّد منه دُرَّة فكر، فصيَّرها زينةَ إطْراء وذِكْر.

حتى حَكاه طبعاً ووصْفاً، وجاراه إتْقاناً ورَصْفاً.

فلئن كان الأول اخْتار لأشعاره الشَّعْرَى مِرْطاً[1]، فقد صيَّر الثاني الثُرَيَّا لآثاره قُرْطاً.

وقد أثبتُّ له ما يرُوق ويشُوق، ويُغني العاشقَ عن النظر في وجه المعشوق.

فمن ذلك قوله، من قصيدة، مستهلها: [م. الكامل]

ماستْ كخُوط البان قدّاً ... وزهَتْ بجِيدٍ زان عِقدا

حسرتْ عن البدر التَّما ... مِ دُجى الملْثامِ فهِمتُ وَجْدَا

وجلتْ لنا من ثَغْرِها ... دُرّاً ويَاقوتاً وشُهْدَا

ونضَتْ عن البِلَّوْرِ بُرْ ... داً أكْسب الأحشاءَ بَرْدَا

هيفاءُ كم من مغرمٍ ... في عشقِها قد مات صَدّا

مشغوفةٌ بالخُلْف لم ... تحفظْ لذِي الميثاقِ عهدَا

مَلَّكتها رِقّي على ... حُكمِ الغرامِ وصرتُ عبدا

عَذُب العذابُ بحبِّها ... والغَيُّ فيه أراه رُشْدَا

كم قد خصَمتُ مُعنِّفاً ... في حبها وقهرتُ ضِدّا

وجعلتُ بين مَسامِعي ... ومقالةِ العُذّالِ سَدّا

حتى غدتْ عينُ الرَّقِيـ ... ـبِ ليأسِه يا صاحِ رَمْدَا

ما الوردُ يُعجبني وقد ... قبَّلتُ من أسماءَ خَدّا

كلاَّ ولا الرُّمان يُشْـ ... ـجِيني وقد ضمَّنْت نَهْدا

---

(١) الشعرا: هي الفروة. اللسان (شعر).
مرطا: المرط هو نوع كساء. اللسان (مرط).

Marfat.com

واهــاً لــزَنْــدٍ مــنــه أوْ ... رَثْ فـي الـحَـشـا والـقـلـبِ زَنْـدَا
ولِـمِـعْـصَـم بَـرَد الـسَّـوا ... رُ عـلـيـه لـمـا ازْدَدْتُ وَقْـدَا
سَـلْ لـحـظَـهـا الـوَسْـنـانَ كـم ... قـد أوْرثَ الأجـفـان سُـهـدَا
أوَ مـا كـفـاه فـلِـمْ تـرى ... بـالـسُّـقْـم جسـمَ الـصَّـبِّ أغـدَى
وجَـبـيـنُـهـا الـفَـتَّـان كـيـ ... ـف لـمُـهـجـتـي الأشـجـان أهـدى
يـا نـظـرةً قـادتْ لـقـلْـ ... ـبِـي الـوَجـدَ لـيـس لـهـا مَـرَدّا
أيـحِـلُّ فـي شـرعِ الـهـوى ... أن تـهـجُـرِيـن الـصـبَّ عَـمْـدَا
يـا غـادةً تـنـتـلُ مـن ... ألـحـاظـهـا عَـضْـبـاً فِـرِنْـدَا
عـجَـبـاً لـطَـرْفـك وهْـو سـكْـ ... ـرانٌ يـقـيـمُ عـلـيَّ حَـدّا

وقوله: [الطويل]

أيا قلبُ بُخْ مُسْتَشْهِراً بهوى دَغْدِ ... وخُضْ جاسِراً لُجَّ الصبابةِ والوجدِ
ولا تَعْدِلَنْ عن حبها ولَوَ أنَّها ... صَلَتْك بنِيرانِ الصدودِ أو البُعْدِ
عليك بها عَذْرَاءَ مَغْسولةَ اللَّمَى ... مُعقْربةَ الصُّدْغَيْن مَمْشوقةَ القَدّ
مُدَمْلجةَ الساقَيْن مهْضومةَ الحَشا ... مُورَّدةَ الخدَّيْن فاحمةَ الجَعْدِ[1]
إذا ما غدتْ تختال في حُلَلِ البَها ... فيا خَجْلَةَ السُّمْر المُثقَّفة المُلْدِ[2]
عجبتُ لجِسمٍ كالحرير مُنعَّمٍ ... يضُمُّ فُؤاداً قُدَّ من حجَر صَلْدِ
لها الله من رُغْبوبةٍ سفكتْ دمي ... بمُرْهَفِ ماضِي اللَّحْظ قتْلاً على عَمْدِ
تعشَّقتُها أختَ المَهاةِ خَريدةٍ ... ثَوَى حبُّها في القلب مُذ كنتُ في المهدِ
فعَنِّي إليك اليومَ يا عاذِلي اتَّئِدْ ... أتحسَب أن النصحَ في حبِّها يُجْدِي
أتعذُلني في حبِّ دَغْدٍ جهالةً ... وتزعُم يا مغرورُ أنك في رُشْدِ
أيقبَل فيها اللومَ سمعِي وقد سرتْ ... محبَّتُها في الجسم بالعكْسِ والطَّرْدِ
وأُقْسِم بالمُسْوَدّ من مِسْك خالِها ... وبالشَّفق المُحمَرّ من صفحةِ الخَدّ
وبالمُقْلة النَّجْلاءِ والمَبْسم الذي ... تسَتَّر بالياقوت والمِرْشَفِ الشُّهْدِ
لوَ انَّك تشكو ما بقلبي عذَرْتني ... وما لُمْتَ لكن ليس عندك ماعندِي

(١) مدملجة: الدملجة: هي تسوية الشيء، والمعنى المراد: مستوية الساقين. اللسان (دمج).
(٢) الملد: جارية ملداء: ناعمة مستوية القامة. اللسان مادة (ملد).

Marfat.com

وله من قصيدة، أولها: [م. الكامل]

صَبٌّ لأجلِ ظِباءِ حاجِزْ ... صَبَّ الدموعَ من المَحاجِزْ
وغدا أسيراً عندما ... ملكَتْ جوارحَه الجآذِزْ[1]
حكمتْ عليه الغانيا ... تُ وأمْرُهنَّ على النَّواظِزْ
أن لا يزالَ مُعذَّباً ... وَلَهانَ طولَ الليلِ ساهِزْ
من كلِّ هَيْفاءِ القَوا ... مِ تَمِيسُ في حُلَلٍ نواضِزْ
دقَّتْ حشاً فتمنطقتْ ... فوق الغلاتلِ بالأساوِزْ
خَوْدٌ بِعامِلِ قَدِّها الـ ... ـمَسَّالِ كم كسَرتْ أكاسِزْ
عَجَباً لمُرهَف لَحْظِها الـ ... ـوَسْنانِ يفتك وهْو فاتِزْ
عَذْراءُ تغتذرُ البدُو ... رُ لها إذا رامتْ مُناظِزْ
ما دَغْدُ ما ذاتُ الوِشا ... حِ وما سعادُ وما تَماضِزْ
إن أسْفَرتْ عن مَنظرٍ ... زاهٍ يفوق الشمسَ زاهِزْ
يا حبَّذا ذاك المُحَيـ ... ـيَا والشُمُكحُلةِ السَّواحِزْ
والمَبْسم العذبِ الشَّهِيِّ ... ومأ حَواه من الجواهِزْ
وَاطُولَ شوقي لِلَّتِي ... قد أرسلتْ تلك الضَّفائِزْ
مألَكْتُها رِقِّي وسُلْـ ... ـطانُ الغرامِ عليَّ جائِزْ
وطفِقْتُ بالنَّفسِ النَّفيـ ... ـسَةِ في محبَّتها أُتاجِزْ
ومنحتُها رُوحِي علـ ... ـنى أنِّي أكون لها مُسامِزْ
فأبت وسوَّفتِ اللِّقا ... ءَ وأغرضتْ كالظَّبْيِ نافِزْ
واستعجبَتْ منِّي وقا ... لتْ مَهْ برُوحِك لا تُخاطِزْ
هيْهاتَ لا تُطمِعْ فؤادَك ... بالوِصالِ فلستَ قادِزْ
فرجعتُ أعثُر في ذُيُو ... لِ مَدامِعي والقلبُ حائِزْ
وأَيِستُ من قُرْب الحبيـ ... ـبِ وصرتُ فيه كقَيْسِ عامِزْ

وله مُشجِّراً: [المنسرح]

---

(١) الجآذر: جمع جوذر، وهو ولد البقر الوحشية. اللسان مادة (جذر).

Marfat.com

الـحـسـنُ لـفـظٌ وأنـت مـعـنـاهُ ومـنـتـهـى الـلـطـفِ مـنـك مَـبْـنـاهُ
بـفـاتِـر الـلـحْـظِ مـنـك رِقَّ وصِـلْ صَـبّـاً تـصُـبُّ الـدمـوعَ عـيْـنـاهُ
رِفْـقـاً فـكُـثْـرُ الـصـدودِ أنـحـلَـه جـسـمـاً وفَـرْطُ الـبِـعـادِ أضْـنـاهُ
أنـت الـذي حُـزْتَ كـلَّ مَـنْـقَـبـةٍ في الحسنِ أهلُ الهوى بها تاهُوا
هـذا مُـحـيّـاك لاح بَـدْرَ دُجـىً والـحـقُّ مـا الـشـمـسُ غـيـرَ مَـرْآهُ
يـحِـقُّ لـلـقـلـبِ أن يـهـيـمَ بـه وَجْـداً ولـلـمُـسْـتـهـامِ يَـهْـواهُ
مَـن ذا يـلـومُ الـمـحـبَّ فـي رَشـإٍ تـفـتَـرُّ عـن لُـؤلـؤٍ ثَـنـايـاهُ[1]
خِـشْـفٌ بِـلـيـنِ الـكـلامِ يـسـحـرنـي كـأن هـاروتَ سـاكـنٌ فَـاهُ[2]
أفْـدِيـه ظَـبـيـاً أغَـنَّ قـد جُـمِـعـتْ كـلُّ الـمَـسـرّات فـي مُـحَـيّـاهُ
نَـواه والـهـجـرُ أوْهـنَـا جَـلَـدِي إي والـــذي لا إلـــه إلاّ هُـــو

١٠٠- نجيب الدين بن محمد بن مَكّيّ

نجيب دعا الأماني فكان الكمالُ له أولَ مجيب، وتفرّد على كثرة النُظَراء وليس ذلك بعجيب من نجيب.

فإن الليالي مع أنها وَلُود بمثله لم تُنجب، والدهر على أنه أبو العَجَب إلا أنه بأغجب منه لم يُعجِب.

كان مقيماً بقرية جُبَع من جبل عامِلة، يركُض جواد طبعه في ميدان الفضل ويهزُّ عامِلَه.

حتى طوى على طيِّ شُقَّة الأرض، واستأذن من طِرْف الخَضِر في ذَرْع مساحتها من الطول والعرض.

فخرج يركض النّجائب، ويتّبع في سيره العجائب.

ويحِنّ ويئِنّ، وما له قلبٌ مطمئنّ.

وهو سالم المُهجة مع مَسّ الضُر، معافَى الحُشاشة مع الفقر المُرّ.

فلم يُفِذْه البعد عن أحبابه، إلا تبْييض مُسوَدّ شبابه.

فاغتاض عن السواد بالبياض، وبئس والله هذا الاغتياض.

---

(١) الرِشأ: الظبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه. اللسان مادة (رشأ).
(٢) الخِشفُ: هو الظبي أول ما يولد، وقيل: في أول مشيه يكون خِشْفاً. اللسان: مادة (خشف).

Marfat.com

ثم رجع إلى وطنه شاكياً وَعْثاءَ السفر، ومنشداً عند خيْبة المسعَى وتخلُّف الظَفر:

[الرجز]

نَجيبُ أبناء الزمان مَن به ... نَضارةُ الدهر ورَيْعانُ المنَى
طوَّف آفاقَ البلاد ليرى ... له نظيراً في الذَّكا فما رأى
فعاد بعد طول عمر نَأْيه ... بصفْقة المغْبون يُبدي المشتكى
وأصبحتْ عينُ البلاد بعده ... لبُعده مملوءةً من القَذَى

ونظم رحلة تتلاشَى عندها الرّحَل، وأودعها من أبكار أشعاره ما ليس بالدَّخيل ولا المُنتحَل.

وهو في النظم مُقدَّم غير مؤخَّر، وكأنما القلمُ لإطاعته مُسخَّر.

وقد أوردت له ما تبتهج به الأزمان، وتتنادم عليه في مجالس أُنسها النُّدمان.

فمنه قوله: [الخفيف]

عِزَّة النفس وانقطاع النصيب ... أوجبا ذِلَّتي وهجر الحبيبِ
فتعوَّضت عن مَرامي وقصدي ... بِبعادي عنه وقربِ الرَّقيبِ
وانقضى العمر في الأماني وما كنْـ ... ـتُ إلى الله راجعاً من قريبِ
هو دائي إذا يشَا ودوائي ... فهْو ما زال عِلَّتي وطبيبي

وقوله يمدح السيد مُبارك بن مُطَّلب حاكم الحُوَيْزة: [م. الرجز]

يا سائلي عن أرَبي ... في سفرِي ومَطْلبي
لي مطلبٌ مبارك ... مُبارَكُ بنُ مطلبِ
نجلُ عليٍّ المرتضَى ... سِبْطُ النبيِّ العربي
الطيِّب بن الطيبِ بْـ ... ـنِ الطيب بن الطيبِ
أمانُ كلِّ خائفِ ... غِياثُ كلِّ مُجدِبِ
مُنيلُ كلِّ نعمةٍ ... من فضةٍ وذهبِ
في فضلِه وجودِه ... تسمعُ كلَّ العجَبِ
الأسدُ الكاسر لا ... يخْشاه فَزْخُ الثعلبِ
كما السُّخالُ جملةً ... ترعى وجُزْدُ الأذْؤُبِ
والفُرْسُ والتُّرْك له ... دانتْ وكلُّ العربِ

Marfat.com

إذا حـــلَـــلْـــتُ أرضَـــه ... نـــســـيـــتُ أمـــي وأبِـــي
وأســـــرتـــــي وولـــــدي ... بـــنـــتـــاً يـــكـــون أو صـــبـــي
ومـــن يـــكـــنْ حَـــيْـــدرةٌ ... أبـــاه والـــجـــدُّ الـــنـــبـــي
فـــكـــلَّـــمـــا تـــصـــفُـــه ... مِـــن دون أدنـــى الـــرُّتَـــبِ

وله من قصيدة، مطلعها: [الطويل]

ألا هل لمُضنَى هجركم من يعودُه ... فيخضرُّ بعد الهجر بالعَوْد عُودُهُ
وهلاً وعدتُم إذ بَخِلتم بوصْلِه ... فقد تجبرُ القلبَ الكسيرَ وعُودُهُ
وتُحْيَى نفوسٌ صَوَّح الدهرُ نَبْتَها ... وتُجنى رياحينُ اللِّقا ووُرودُهُ
فقد هجرتْه لذَّةُ النومِ بعدكم ... ومَشْرَب صافي الودِّ عَزَّ وُرودُهُ
دنَوْتم فأحيَيْتم قلوباً بوصلكمْ ... وقلبي بِحَرِّ النأيِ مات وجودُهُ
بَخِلتُم على مُضناكُمُ وهْو عبدكمْ ... وما حاتمٌ إن عُدَّ يوماً وَجُودُهُ

وكتب إلى الحريريّ الحَرْفُوشِيّ: [الوافر]

سعِدتَ بلَثْم كَفٍّ يا كتابي ... لمولىً عالم عَلَم مُمَجَّدْ
فتىً في الفضل ليس له نظيرٌ ... عويصُ المشكِلات له تمهَّدْ
بنى رَبْعَ العلى بعد انهدام ... وجدَّد ما وَهَى منه وشيَّدْ
له قلمٌ إذا ما جال يوماً ... فما الخَطِّيُّ والعَضْب المهنَّدْ
فخُصَّ من السلام مَدى الليالي ... بتسليم جزيلٍ ليس ينفَدْ

اغْتناماً للفرصة، وحَذَراً من فَوْت ما ليس في تركه مَنْدوحة ولا رُخْصة.

وجّهت هذه العجالة، معتمداً على الاختصار مضرِباً عن الإطالة.

إلى من أشرقتْ شموس فضائله فأزاحت من الجهل ظُلَمَ الغياهِب، وأنارت بدورُ فواضله فأخجلت نَيِّرات الكواكب.

واستولَى على مدائن الفضل وحصونِه، فظفر من ذخائره وكنوزِه بمَصُونه ومخزونه.

بوسيلة إرْسال تسليمات يُحيي ذكرُها ميْتَ النفوس، وتتزيَّن بتسْطيرها متلحِّظات الطُّروس[1].

---

(١) الطروس: جمع طِرس وهي الصحيفة أو الورقة. اللسان (طرس).

Marfat.com

ومن بدائعه قوله: [الطويل]

ألا هل يُرى من عِلّة الصدِّ نافعُ ... سوى الوصلِ أو من غُلّة الوجد ناقعُ
وهل بعد شَتِّ الشَّمْل للجمعِ أوْبةٌ ... فتجمعنا من بعدُ تلك المجامعُ
سقى الله أياماً مضتْ في غضونها ... هصَرْنا غصوناً ما أقلّته يانعُ
ولي طمعٌ في القربِ والله قادرٌ ... وماذا عسى تُدْنِي البعيدَ المطامعُ
وفي كل حينٍ شارقُ الجِدِّ هابطٌ ... وغاربُ سوءِ الحظِّ في الناس طالعُ
ولي من أذًى من أرْتجِيه عظائمٌ ... مدَى الدهر عمّا أضْطفيه قواطعُ
مضى العمرُ لا الدينا حَظِيتُ بخيْرها ... ولا أنا عمّا يُسخِط الله راجعُ
ولله لا للناسِ شكْوايَ كلُّها ... من الدهرِ والأمرِ الذي هو واقعُ
تولّى خِصام الحسنِ قَهْراً بنفسِه ... فليس له منه حُماةٌ تُدافعُ
ولا سِيَّما مَن ظَنَّه عن تخيُّلٍ ... نجِيباً فبالبلْوى إليه يُسارعُ
فغايةُ مَن يرجوه أوْحَد دهرِه ... به تَرْكُهُ في حالِه وهو تابعُ
إذا كان ريحُ المسكِ يُنكَر ضائعاً ... بأرضٍ فذاك المسكُ لا شك ضائعُ
وقد يُترك المجرُوح في تَرْكِ شَمِّهِ ... ففي البيْن داءٌ ذلك الداءُ مانعُ
ولله صَبٌّ في الزمانِ تقدَّمتْ ... مقالتُه في مثل ما أنا والعُ
ألا فاخْشَ ما يُرجَى وجَدُّك هابِطٌ ... ولا تخْشَ ما يُخشَى وجدُّك رافعُ
فلا نافعٌ إلاّ مع النَّحْسِ ضائرٌ ... ولا ضائرٌ إلاّ مع السعدِ نافعُ

وقوله: [البسيط]

يا من يُحاول ما أمّلتَ بالحِيَلِ ... دَعْ ما تخالُ فهذا أولُ الخَلَلِ
واركبْ مُتون خيولِ السَّبقِ واسْرِ بها ... في جُنح ليلِ الهدى من غيرِ ما كَسَلِ
وجانبِ الجانبَ الأدْنَى فما ظفِرتْ ... بالقُرب منه ذوو الآمالِ بالأمَلِ
واقطعْ رَجاك من الدنيا فما صدَقتْ ... في وعدِها أحداً من سالفِ الأزَلِ
وصِل حِبالَك بالحبلِ المَتين فما ... يُعطِي ويمنعُ إلا علّةُ العِلَلِ
واسلُكْ سبيلَ رِضاهُ غيرَ مُتّئِدٍ ... فإنه للبرايا أوضحُ السُّبُلِ
وازْدَدْ على الهجر حُبّاً لا تَمَلّ فما ... في مِلّةِ الحب آذى من أذَى المَلَلِ

Marfat.com

وقوله على طريقة المِهْيار: [المتقارب]

يمينـاً بهم صادقاً لن يمينَا ... لقد خلّفونا وساروا يمينَا
مقيماً على عهدهم لا أحولُ ... ولو أنهم أصبحوا ظاعِنينَا
مَشُوقاً إلى سمْعِ أوصافهمْ ... فأوصافُهم تُطرب السامعينَا
عيونٌ تفِيض لتَذْكارهم ... فتخكِي إذا ما ذكرت العيونَا
وقلبي يحِنُّ لأخبارهم ... فتلْقَى له حين يُتْلَى حنِينَا
وعيشِيَ من بعدِهم لا يطيبُ ... على أيِّ حالٍ عسى أن يكونَا
ونَوْحِي ولو عِشْتُ ما عاش نُوحٌ ... يزيد على جملةِ النَّائحِينَا
وأعظمُ من بُعْدِهم حسرةً ... شَماتةُ من أصبحوا شامتينَا

وقوله: [الطويل]

عزيزٌ علينا أن تهُون نفوسُنا ... لذلك بالصبرِ الجميل أهَنّاهَا
وكنَّا نرى أنْ لو أتانا مُفاجِياً ... مُعَزٌّ لها فيها بذلك هنّاهَا
لنَزْعى نفوساً من نفوس زكيَّةٍ ... بأزواحنا لو تُفْتدَى لفديْناهَا

وقوله: [الخفيف]

لي نفسٌ أشكو إلى الله منها ... هي أصلٌ لكلّ ما أنا فيهِ
فجميلُ الخِلال لا يرْتضِينِي ... وقبيحُ الخلال لا أرتضيهِ
فالبَرايا لذاك أو ذا جميعاً ... لي خُصوم من عاقلٍ أو سفيهِ

ومن مقطّعاته قوله: [السريع]

علّةُ شيْبي قبل إبّانِه ... هجرُ حبيبي في المقال الفَصيخ
ويجعل العلّةَ في هجْرِه ... شيْبي وفي ذلك دَوْرٌ صحيخ

هذا الدَّوْر دار على الألسنة قديماً وحديثاً، ومن مشهوره قول بعضهم: [م. الرجز]

مسألةُ الدَّوْرِ جَرَتْ ... بيني وبين من أُحِبّ
لولا مشِيبِيَ ما جفا ... لولا جَفاه لم أشِبْ

ومثله لأبي العباس خطيب جامع دمشق: [الطويل]

مسائلُ دَوْرِ شيْبُ رأسِي وهجرُها ... وكلٌ على كلٌ له سبب يُنْبِي

Marfat.com

فأُقسِم لولا الهجر ما شاب مَفْرِقي وتُقسِم لولا الشَّيب ما كرهتْ قُرْبِي

وله: [السريع]

واعجباً منّا ومن حُبِّنا للمال ما ذلك إلا بَوارْ
فآخِرُ الدرهمِ هَمٌّ يُرى وآخرُ الدنيا ولا شك نارْ

البيت الثاني من الأول: [البسيط]

النارُ آخرُ دينارٍ نطقْتَ به والهمُّ آخر هذا الدرهم الجارِي
والمرءُ ما دام مشغوفاً بحبِّهما معذَّبُ القلب بين الهمِّ والنارِ

وله: [السريع]

المرءُ لا يسلَم من حاسدٍ أو شامتٍ في العسر واليُسرِ
فهو على الحالَيْن لا بدَّ أن يلْحقه نوعٌ من الشرِّ

وله: [الخفيف]

وإذا كانت الحياةُ إلى المو تِ فقَصْرُ الآمالِ أولى وأحرَى
فالخطايا تزْداد والعيشُ ضَنْكٌ فهو أولَى لا شكَّ أولى وأُخرَى

وله: [م. الكامل]

كلُّ امرئٍ دون أمرَيْ نِ من الأنام مُقصَّرْ
إمَّا امرؤٌ متوكِّلٌ أو آخَرٌ متهوِّرْ

وله: [م. الخفيف]

ما صفا الدهرُ لامرئٍ قَطُّ يوماً من البشَرْ
فإذا مَشْربٌ صفَا عانَد الدهرُ في أُخَرْ

وله: [السريع]

مالي على هَجْرِك من طاقةٍ ولا إلى وَصْلِك من مَقْدرَهْ
لكنني ما بين هذا وذا فرَّطتُ في دُنياياَ والآخرَهْ

وله في السيد خلف بن مُطَّلبْ، وأجاد في التورية: [البسيط]

إذا جرى ذكرُ ذي فضلٍ ومَكرُمةٍ ممَّن مضى قلتُ خَلُّوا ذكرَ من سلَفَا
الحمدُ لله أهلِ الحمد إنَّ لنا عن كلِّ ذي كَرَمٍ ممن مَضى خلَفَا

Marfat.com

وله في مِداد أحمر على ورق أصفر: [الرمل]

مَدمعي مثلُ مِدادي والورقْ لونه لَوْني ولكني أرَقْ
طلَّق النومُ جفوني فلذا عُوِّضتْ عنه بتزْوِيج الأرَقْ

ولبعضهم، وقد أعطى بعضَ الشعراء جائزة في كاغِد أحمر: [م. الرجز]

جائزتي في كاغدٍ أحـ ـمرَ وارِدٍ عليْكْ
أُشْرِبَ بعضَ خجلتي من قِلّة المُهدَى إليْكْ

ويُستظرَف قول الحسن البُورِينيّ، وقد كتب يستدعي بعض خِلاّنه بِفرْصاد لكونه لم يجد حبراً: [البسيط]

يا طائرَ الْبان خُذ منّي مكاتبةً ضَعْها لدى مَنْزِل الظَّبْيِ الذي سَنَحَا[1]
هي الشكايةُ من داءِ الغرام وقد كتبْتُها بدمِ القلب الذي جرحَا

ولنجيب الدين: [م. الكامل]

جُبْتُ البلاد فما وجدْ تُ بها صديقاً صادقَا
يا قلبُ فاحذَرْ لا تكن منها بِخِلٍّ واثِقَا

وله: [الطويل]

هو الدهرُ ربُّ الجاهِ فيه أخو الفضلِ ولو أنه عارٍ من الدين والعقلِ
وربُّ الحِجى والفضلِ والعلمِ والتقى إذا ما خَلا منه فذاك أبو جهلِ

وقال في رحلته، عند ذكر أمير المؤمنين، كرّم الله وجهه: [الرجز]

وقلتُ فيه بيت شعرٍ وَصْفا يحصُل منه أربعون ألْفَا
تلْحقها ثلاثةٌ مِئِينا كاملةً مضافةً عشرينَا
أبياتُ شِعرٍ عدُّها كما ذُكِرْ والبيتُ هذا فتأمّل واخبرْ
عليٌّ رَضِيٌ بَهِيٌ وَلِيٌ صَفِيٌ وَفِيٌ سَخِيٌ عَلِيٌ

يشتمل هذا البيت على أربعين ألفاً وثلاثمائة وعشرين بيتاً.

وبيان ذلك: أن البيت ثمانية أجزاء يمكن أن ينطبق كلُّ جزءٍ من أجزائه مع الآخر، فتنتقلَ كل كلمة ثمانية انتقالات.

فالجزءان الأولان «عليٌ رضيٌ» يُتصوّر فيهما صورتان؛ التقديم، والتأخير.

---

(١) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو نحو ذلك. اللسان مادة (سنح).

Marfat.com

ثم خُذ الجزءَ الثالث، فتحدث منه مع الأول ستُّ صُوَر؛ لأنه ثلاثة أحوال؛ تقدُّمه، وتوسُّطه، وتأخُّره، ولهما حالان، فاضربْ أحوالَه في الحالَيْن تكن ستة.

ثم خُذ الجزءَ الرابع، وله أربعة أحوال، فاضربها في الستة التي لما قبله، تكنْ أربعة وعشرين.

ثم خُذ الخامسَ، تجدْ له خمسة أحوال، فاضربها في الصُّوَر المتقدمة، وهي أربعة وعشرون، تكن مائة وعشرين.

ثم خذ السادسَ تجدْ له ستة أحوال، فاضربها في مائة وعشرين تكن سبعمائة وعشرين.

ثم خذ السابعَ، تجد له سبعةَ أحوال، فاضربْها في سبعمائة وعشرين، تكنْ خمسة آلاف وأربعين.

ثم خذ الثامن، تجدْ له ثمانية أحوال، فاضربْها في خمسة آلاف وأربعين، تكنْ أربعين ألفاً وثلاثمائة وعشرين بيتاً.

ومن فوائده فيها، عند ذكر الغِيْبَة، قوله: [الرجز]

وجوَّزُوا الغِيبةَ في مواضعِ ... لكنَّها قليلةُ المواقعِ
كرَدْعِ شخصٍ يفعلُ القبائحَا ... أو كان للشَّاهِد أيضاً جارحا
أو وصْفِه بما به يمتازُ ... بفعلِه كي يحصُل احترازُ
ففي الحديث الفاسقَ اذْكروهُ ... يعرفُه الناس فيحذروهُ
وكلُّ ذا مع عدَمِ التَّقيَّةِ ... والخوفِ من ذي الشَّيَمِ الرَّديَّةِ

ومما يُستحسَن له قوله: [الكاملْ]

مذَّت حبائلَها عيونُ العِينِ ... فاحفظْ فؤادَك يا نجِيبَ الدينِ
في هجْرِها الدنيا تضيعُ ووصْلُها ... فيه إذا وصلَتْ ضَياعُ الدينِ

وهو من قول الآخر: [السريع]

يا قلبُ دَعْ عنك الهوى واسترخْ ... فلستَ فيه حامداً أمْرَا
أضعتَ دنياك بهجرٍ وإن ... نلْتَ وِصالاً ضاعتِ الأخرَى

ومثله للْبابِيِّ: [الطويل]

طريقَ القضا لا بل طريقَ جهنَّمِ ... ركبتُ فأضحى حلوُ عيشي به مُرّا

Marfat.com

أمانٍ بها دنيايَ ضاعتْ فلم أنَلْ علَى أنني إن نِلْتُها ضاعتِ الأخرَى

وله: [الطويل]

لك الله من دهرٍ توالتْ صرُوفُه علينا فأوْلَى ضدّ ما نتمنّاهُ
فقرّبنا ممّن نَوَدُّ بِعادَه وأبْعدنا عمّن نحبُّ ونهْواهُ

وهو من قوْل المتنبّي: [الطويل]

أما تغلَط الأيامُ فيَّ بأن أرى بغيضاً تُنائِي أو حبيباً تُقرّبُ

١٠١- محمد بن حسن بن علي بن محمد، المعروف بالحُرّ

أغرّ، له الكلم الغُرّ، حُرّ، له النظم الحُرّ. [السريع]

إنّي أرى ألفاظَه الغُرّا عطّلتِ الياقوتَ والدُّرّا
له الكلامُ الحرُّ وهْو الذي ألفاظُه تستعبدُ الحُرّا

وهو أحد هدايا الجبل، وأجلُّ من انْعجن بالأدب وانْجبَل.

وله الشعر الذي جمّل به الأدب وَزانه، وزيّن مقاطيع الشعر وأوْزانه.

أطْلعه أرَقّ من خَصر أهيف يتلفت، وأشْهى من مُقبّل شادنٍ عليه القلوب تتفتّت.

وقد أثبتُّ له منه ما يُطرب بأناشيده المطربة المُطرية، ويُرقص الأغْطاف بأغاريده المُغربة المغرية.

فمن ذلك قوله: [الخفيف]

لاح وجهٌ من رَبْع ليلى جميلُ ورقابُ الرّكاب والرّكْبُ مِيلُ
بعد ما كاد أن يُلمّ بنا اليأْ سُ فزاد الرجاءُ والتّأميلُ
فظننّا الحبيبَ لاح وقلنا ذلك ما تشتهي القلوبُ فمِيلُوا

١٠١-محمد بن حسن بن علي بن محمد، المعروف بالحر، العاملي، الشامي، الأديب، المشهور.
قدم مكة في سنة سبع أو ثمان وثمانين وألف، وفي الثانية منها قتلت الأتراك بمكة جماعة من العجم، لما اتهموهم بتلويث البيت الشريف، وكان صاحب الترجمة قد أنذرهم قبل الواقعة بيومين وأمرهم بلزوم بيوتهم لمعرفته على ما زعموا بالرمل فلما حصلت المقتلة فيهم خاف على نفسه فالتجأ إلى السيد موسى بن سليمان أحد أشراف مكة الحسنيين وسأله أن يخرجه من مكة إلى نواحي اليمن، فأخرجه مع أحد رجاله إليها.
وكانت وفاته باليمن أو العجم في سنة تسع وسبعين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٤٣٢).

Marfat.com

ذلك السُّؤلُ والهوى والأماني ... للبرايا والقصدُ والمأمولُ
حدِّثونا فذا حديثٌ صحيحٌ ... حسَنٌ مُجْمَلٌ رواه جميلُ
كل دَمع فرضٌ على كل عينٍ ... وعلى العِيسِ وخْدُها والذَّمِيلُ[1]
ثم مِلْنا إلى ربيعِ رَبُوعٍ ... نحوها أنفسُ الجمادِ تميلُ
وكأن السُّهادَ للقوم كُحْلٌ ... وكأن الطريق للنَّوْم مِيلُ[2]
بِيَ نقْصٌ من الكمال ومنهم ... للمحبِّ التَّتْمِيمُ والتكميلُ
كل حيٍّ في ذلك الحيِّ نَشْوا ... نُ هوىً وهْو عاملٌ مَغْمولُ
عمَّهم يا ابن عمِّ مِن ألَمِ الحبِّ ... عمومٌ من الهوى وشُمولُ
كل شخصٍ منهم بدا قلتُ هذا ... مُستمالٌ في الحب بل يَسْتميلُ
كل مَن مات في الهوى أكْسبوه ... شُهرة ليس يعتريها خُمولُ
مَن رآهم في النوم أو يَقْظَةٍ ها ... مَ وأضْحى ودمعُه مَهمولُ
جنَّةٌ قد تجمَّعت في هَواها ... شهواتُ النفوس والمأمولُ
كم بتلك المَحاملِ اسْتأسرُوا قلْـ ... ـباً غداً وهْو في الجِمال حَمِيلُ
حَملوه وحمَّلوه البَلايا ... في الهوى فهْو حاملٌ محمولُ
بُعدوا بالحُمول عنَّا فلم تُبْـ ... ـقِ اختمالاً للقُرْب تلك الحُمولُ

وقوله، وهو من أجْود شعره: [الطويل]

رأيتُ غريبَ الحسن قد حُفَّ بالقَنا ... فلاحتْ أماراتُ السعادةِ والشُّومِ
وكلَّمني غِيدُ الحِمى وحُمَاتُه ... بقسْمين مظنونٍ لدينا ومعلومِ
فيا قوم رفْقاً بالفتى وهو ضيفكُم ... وما ضيفُ أمثالِ الكرام بمحرومِ
ويا ابْنةَ عمِّ الحُورِ وابنةَ عمَّةِ الْـ ... ـبدورِ أختَ النورِ بنتَ أخي الرِّيمِ
كلامُك كَلْمٌ للفؤادِ ولذةٌ ... فرفقاً بصبٍّ من كلامِكِ مكْلومِ

هذه أبيات تستحق أن تكتب بالنُّور، على صحائف وَجَنات الحُور.

لولا لفظة الشُّوم في ضربها، فكان الأحْرَى أن تُعزل من دَرْبِها.

وله: [الطويل]

---

(١) الذَّميل: نوع من سير الإبل. اللسان مادة (ذمل).
(٢) السهاد: الأرق. ا.هـ. لسان العرب، مادة /سهد/.

Marfat.com

وغانيةٍ شكلِ العروس بوجهها يقيم عليه لَحظُها كلَّ برهانِ
يبيِّن خَدَّاها لنا بإشارةٍ إلى رابعِ الأشكال أوضحَ تِبيانِ
بسالِفِها معْ حاجِبَيْها بدتْ لنا براهينُ أشكالٍ تُشير إلى الثانِي
وحاجبُها للحسنِ شكلٌ مُتمِّمٌ فيا ليْته مَقرونُ حُسْنٍ بإحْسانِ

وأنشدني لنفسه، السيد محمد بن حَيْدر المَكِّيّ، في مثل هذا التوجيه: [الطويل]

تبدَّى نَقِيُّ الخدِّ يزْهو بحُمرةٍ مُقارنةٍ فيه البياضَ بإتْقانِ
فقلتُ انْبساطاً إذ غدا القبْضُ خارجاً فذلك من أشكالنا كلُّ لَحيانِي

وأكثر ما يُتداول فيه هذه الأبيات: [الطويل]

تعلَّمتُ خطَّ الرملِ لما هجرتُمُ لعلِّي أرى فيه دليلاً على الوصلِ
فأعجبني فيه بياضٌ وحمرةٌ رأيتُهما في وَجْنةٍ سلبتْ عقلِي
وقالوا طريقٌ قلت يا ربِّ للِّقا وقالوا اجتماعٌ قلت يا ربِّ للشَّملِ
وقد صرتُ فيكم مثلَ مجنون عامرٍ فلا تعجبوا أنِّي أخطُّ على الرملِ

ومن جيِّد شعره قوله: [الكامل]

فضلُ الفتى بالبذْلِ والإحسانِ والجُود خيرُ الوصفِ للإنسانِ
أوَليس إبراهيمُ لما أصبحتْ أموالُه وَقْفاً على الضِّيفانِ
حتى إذا أفْنى اللُّهَى أخَذ ابْنَه فسخَا به للذَّبح والقُربان[1]
ثم ابتغى النمرود إحراقاً له فسخَا بمُهْجته على النِّيرانِ
بالمالِ جاد وبابْنِه وبنفسِه وبقلبه للواحد الدَّيَّانِ
أضْحى خليلَ الله جلَّ جلالُه ناهِيك فضلاً خُلَّةُ الرحمنِ
صحَّ الحديثُ به فيالَكِ رُتبة تعلو بأَخْمَصِها على الثَّيجانِ

أصلُ هذا حديث قُدسِيّ، رواه أبو الحسن المَسعُودِيّ في «أخبار الزمان».
قال: إن الله أوْحَى إلى إبراهيم عليه السلام: «إنك لما سلَّمت مالَك للضِّيفان، وولدَك للقُرْبان، ونفسَك للنِّيران، وقلبَك للرَّحمن اتَّخذْناك خليلاً».
وقوله: [السريع]

قد كنتُ أستنْشِق من مَطْلكمْ عَرْفَ شَذَا خيْبَةِ آمالي

(١) اللها: جمع لهوة بالضم وهي أفضل العطاء. اللسان، مادة (لَهَوَ) ١٥/ ٣٦١.

Marfat.com

فـالآن قـد بـان بـتـضـريـحـكـمْ أنّـي لـنِـيـرانِ الـجـفـا صـالِـي
إنّـي رأيـت الـيـأسَ عِـزّاً وفـي كـلّ رجـاءٍ نـوعُ إذلالِ
رَجـاؤكـمْ غُـلٌّ وهـا أنـتـمُ أطـلـقـتـمُ عـنّـيَ أغـلالِـي
والـمـالُ ظـلٌّ هـائـلٌ زائـلٌ لا دَرَّ دَرُّ الـجـامـعِ الـمـالِ
في مـذهـب الـمـجـدِ ودِيـن الـعُـلـى سِـيّـانِ إكـثـاري وإقـلالِـي

وقوله: [الخفيف]

حـجـبـوا عـنّـيَ الـحـبـيـبَ وحـالُـوا دونـه واسـتـمـرّ ذاك الـحـجـابُ
ضـربُـوا بـيـنـنـا بسُـورٍ مـنـيـعٍ مُـحـكـمٍ مـا لـذلـك الـسـورِ بـابُ
بـاطـنٌ فـيـه رحـمـةٌ لـكِـن الـظّـا هـرُ لـي مـنـه نِـقـمـةٌ وعـذابُ

ومن مقطّعاته قوله: [الخفيف]

قد ظننتُ النجاةَ والفوزَ في الحبّ بـأن ألْـثِـم الـثّـنـايـا الـعِـذابَـا
فـبِـتَـرْكـي والاخـتـيـاط وتـغـريـ ـدي لِي على الظنِّ ذقتُ هذا العذابَا

وقوله مورّياً بلقبه: [الخفيف]

قـلـتُ لـمـا لَـجـأتُ فـي هَـجْـوِ دهـرٍ بـذَلـتُ الـجُـهـدَ فـي احـتـفـاظِ الـجَـهُـولِ
كـيـفـي لا أشـتـكِـي صُـروفَ زمـانٍ تـرك الـحـرّ فـي زَوايـا الـخُـمـولِ

قلت: للشعراء المتقدّمين أشعارٌ كثيرة، تتعلّق بأسمائهم وألْقابهم، من ذلك قول السّراج الورّاق: [المتقارب]

بُـنَـيَّ اقْـتـدَى بـالـكـتـاب الـعـزيـزِ فـزاد سـروراً وزدتُ ابْـتـهـاجَـا
فـمـا قـال لـي أُفُّ فـي عـمـرِه لـكـوْنـي أبـاً ولـكـوْنـي سِـراجَـا

والذي أكثر من هذا حدّ الإكثار الشهابُ الخَفاجِيّ، فمن ذلك قوله: [الكامل]

قـالـوا نـراك سـقـطْـتَ مـن رُتَـبٍ أتـرى الـزمـانَ بـمـثـل ذا غـلِـطَـا
قـلـتُ الـشـيـاطـيـنُ الـلـئـامُ عَـلَـوْا ولـذا الـشـهـابُ مـن الـعُـلـى سـقـطَـا

وله: [الطويل]

يراكمْ بعيْن الشوقِ قلبي على النَّوَى فـيـحـسـدُه طَـرْفٌ فـتـنْـهـلُّ أدمـعِـي
ويحسد قلبي مَسْمَعِي عند ذكْركمْ فتذْكُو حراراتُ الجوى بين أضْلُعِي

ومن معميّاته قوله، في اسم عليّ: [الكامل]

Marfat.com

أفْـدِيـه وافِـيّ الـمـحـاسـنِ بـارِعـاً يـغْـلـو عـن الإنْـشـادِ والإنْـشـاءِ
يـا مِـخـنـتـي فـلـقـد تـعـرّض لَـحْـظُـه وعِـذارُه مـن قـبـلـهـا لـشَـقـائِـي

وقوله فيه أيضاً: [الخفيف]

بـفـؤادي أفْـدِي حـبـيـبـي وإن عَـنّـى فـؤادي بـالـوجْـدِ والـتـعـذيـبِ
مِـن مُـحَـيّـاه يـلـمـع الـنـورُ يـا مَـن لام هـلاّ شـاهـدتَ نُـورَ الـحـبـيـبِ

وقوله في اسم خالد: [السريع]

أطْـمَـعـنـي يـومَ الـلّـقـا فـي الـمُـنـى ثـم انْـثـنـى بـالـصـدّ والاجْـتـنـابْ
ولاح فـي وجْـنـتِـه حـمـرةٌ حـسِـبْـتُـهـا مـاءَ فـبـانـتْ سَـرابْ

وقوله في اسم عثمان: [الوافر]

وظَـبْـيٍ صـال فـي الـعـشـاقِ يـسْـطُـو بـألْـحـاظٍ أثـارتْ نـارَ حـربِـي
أصـاب بـعـيْـنـه قـلـبـي بـسـهـمٍ هـنـالـك بـعـدَهـا ودّعـتُ قـلـبِـي

وقوله في اسم أحمد: [الكامل]

أفْـدِيـه فـرداً مـالَـه مـن مُـشْـبِـهِ يـسْـطـو عـلـيّ بـحُـسْـنِـه وبـعُـجْـبِـهِ
داءُ الـسّـقـامِ أضَـرّ بـي فـي حـبّـه هـل مـن مُـجـرّدِ رأفَـةٍ مـن قـلـبِـهِ

وقوله في اسم عمر: [م. الكامل]

زار الـحـبـيـبُ وكـان شَـطّ عـلـى الـنـوَى مـنـه الـمَـزار
كَـزبٌ مَـحـتْـه يـدُ الـلّـقـا كـالـلـيـل أعْـقـبَـه الـنـهـار

وقوله في اسم عليّ: [الخفيف]

لا تـلُـمْـنِـي إن هِـمْـتُ وَجْـداً بـمـن فـاق الـورَى فـي جـمـالِـه والـكـمـال
جـاء فَـرْداً فـي كـلّ وَصْـفٍ بـديـعٍ وتـرقّـى فـفـاق أوْجَ الـمـعـالِـي

وقوله في اسم حسن: [البسيط]

طال اشْـتـيـاقـي إلـى ظَـبْـيٍ فُـتِـنـتُ بـه وزاد فـي حـبّـه وَجْـدي وبَـلْـبـالِـي
حـبٌّ بـلا آخـرٍ ضِـمْـنَ الـفـؤادِ رَقَـى وراح يـنْـهَـى عـن الإفْـراطِ عُـذّالِـي

وله أخْجِية في شَرَارِيف: [الكامل]

يـا واحـداً فـي فـضْـلِـه يـا مـن يُـلا ذُ بـظـلّـه عـنـد اشـتـبـاه الأجْـوِبَـة

Marfat.com

بيِّنْ لنا أحجيةً قد أشكلتْ ... ما مثل قولي ابتاع أرضاً مُخصِبَهْ

وله في بانياس[1]: [مخلع البسيط]

يا مَن عُلُوُّ الورى لديْهِ ... في درجاتِ العُلى هُبوطُ

أبِنْ جوابي فَدَتْك نفسِي ... ما مثلُ قولي بَدا قُنوطُ

وله في برغال[2]: [المتقارب]

أيا مَن عَلا فوق أوْجِ العُلى ... وفاق الأنامَ بفضلٍ مُبينْ

أبِنْ لي جوابي فأنت الإما ... مُ ما مثلُ قولي طعامٌ ثمينْ

١٠٢- محمد بن علي بن محمود الحشريّ

شاعر مِلْءَ فِيه، ومُبرِّز في الفن لا يُبارَى فيه.

فللأقلام قصَبات سَبْقٍ أخذَها يوم الفخر لدى الرِّهان، فلم يغْلَق غُبارُه بعيون الرَّائين ولم تلحق به خطرات الأذهان.

تَشِيم بارِقة السحر من نَفثاته، وتُشْتمّ عابِقة الشُّحر من تنفُّساته.

يملأ الآذان بجواهر كلامه اللوامع، فلذلك تضِيق عند استماع نقده المسامع.

بألفاظ أحسَن من فُتور ألْحاظ الغواني، ومَعانٍ أوقَع من تزْجيع أصوات الأغاني.

لا تَملُّ شعرَه الرقيق الخواطر، حتى تمَلَّ نسيم السَّحَر الرياضُ العواطر.

إلى أدب كزهر البستان، مُترَوٍّ بالصَّبِيب الهَتَّان.

وأنا بشعره مفْتون فتنةَ مسحور، ولي منه كلَّ آنٍ ابتهاجُ وِلدانِ حُور.

وقد أثبتُّ له ما يُطيل خُطَى الحظِّ ويبعث الانشراح، ويمْحو الهمومَ عن القلوب ويُثبتُ الأفراح.

---

(١) بانياس: اسم نهر معروف.

(٢) مجموع كلمتين (بئر) وهو القمح و(غالٍ) أي: ثمين غالي الثمن.

١٠٢- محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن محمد إبراهيم الشامي العاملي، الشهير بالحشري، الأديب، الشاعر، البليغ.

هاجر من الشام إلى الديار العجمية، فأقام بها برهة من الدهر محمود السيرة والسريرة، ولما ذاع صيته استدعاه أعظم وزراء سلطان الهند إلى حضرته وأحله من كنفه في بهجة العيش ونضرته، واتصل بوالد بن معصوم صاحب السلافة، وحج وأقام بمكة سنتين، ثم عاد، وفي عودته التقى بصاحب السلافة ببندر المخا، وأخذ عنه صاحب السلافة الفقه والنحو والبيان والحساب وتخرج عليه في النظم والنثر وفنون الآداب.

وكانت وفاته في نيف وتسعين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٤/ ٦٥).

Marfat.com

فمن ذلك قوله: [الوافر]

مَدذت إلى الطبيب يدي فولّى ... يُروّح راحتيهِ من الصّلاءِ[1]
فقلتُ أصابني عينٌ فأهْوَى ... إليّ وقال لي أثرُ الهواءِ

وقوله: [الكامل]

شرّقْ على حكم النّوى أو غرّبِ ... ما أنت أولُ ناشبٍ في مِخْلَبِ
في كل يومٍ أنت نَهْبُ محاسنٍ ... أو ذاهبٌ في إثر برقِ خُلّبِ
متألّق في الجوّ بين مُشرّقٍ ... غَصّ الفَضاء به وبين مُغرّبِ
يبكي ويضحك والرياضُ بواسمٌ ... ضَحِكَ المَشيب على العِذار الأشْيب
أزَعمتَ أن الذلّ ضربةُ لازِبٍ ... فنشبْتَ في مِخْلاب بازٍ أشْهبِ
لعبتْ بلُبّك كيف شاء لها الهوى ... مُقَلٌ متى تجدِ النواظرَ تلعبِ
زعمتْ عُثَيْمةُ أن قلبَك قد صَبا ... من لي بقلبٍ مثل قلبك قُلّبِ
قد كنت آمُل أن تموت صَبابتي ... حتى نظرتُ إليكِ يا ابْنة يَغْرُبِ
فطربتُ ما لم تطْربي ورغبتُ ما ... لم ترغبي ورهِبْتُ ما لم ترهبي
ولقد دَلفْتُ إليهم في فِئْيةٍ ... ركبوا من الأخْطار أصعبَ مَرْكَبِ
جعلوا العيونَ على القلوب طلِيعة ... ورَمُوا القِفارَ بكل حَرفٍ ذِعْلِبِ[2]
ترمي الفِجاجَ وقلبُها متصوّبٌ ... في البِيد إثرَ البارِقِ المُتصَوّبِ
هوجاءُ ما نفَضت يداً من سَبْسَبٍ ... إلا وقد غَمستْ يداً في سَبْسَبِ[3]
تسْري وقلبُ البرق يخفِق غِيرَةً ... منها وعينُ الشمسِ لم تتنقّب
تطْفُو وترْسب في السّراب كأنها ... فُلك يشقُّ عباب بحرٍ زَغْرَبِ[4]
تفْلِي بنا في البِيد ناصيةَ الفَلا ... حتى دُفِعتُ إلى عقيلة رِبْرِبِ[5]
وافتْكَ تخلِط نفسَها بلداتها ... والحسنُ يُظهِرها ظهورَ الكوكب
كفريدةٍ في غَيْهبٍ أو شادنٍ ... في رَبْرَبٍ أو فارس في موكِب

---

(١) الصّلاء: الشواء أو مايصلى بالنار. اللسان مادة (صلا).
(٢) ذعلب: الناقة السريعة العدو. اللسان مادة (ذعلب).
(٣) السبسب: الأرض المستوية البعيدة أو المفازة. اللسان (سبسب).
(٤) زغرب: بحر زغرب: كثير المياه. اللسان مادة (زغرب)
(٥) الرّبرب: القطيع من بقر الوحش. ا.هـ القاموس المحيط، مادة /ربب/.

Marfat.com

تمشِي فتعثُر في فُضول ردائِها ... بحياءِ بكرٍ لا بنَشْطةِ ثيِّبِ

وقوله: [الخفيف]

أين من أودعُوا هواهم بقلبي ... وصلَوْا نارَهم على كلِّ هَضْبِ[1]

كلما فوَّقُوا إلى الرَّكْبِ سهماً ... طاش عن صاحِبي وحلَّ بجنْبي

يشتكي ما اشتكيتُ من لَوْعةِ البَيْـ ... ـنِ كلانا دَامِي فؤادٍ وقلبِ

وقوله: [الكامل]

للهِ ما فعلَ المشِيْـ ... ـبُ على فراقِك في شبابِي

أقْذَى عيونَ الغانيا ... تِ وفَتَّ في عَضُد الصِّحابِ

ظُلَم كَسَفْنَ مطالبي ... وتفَلْنَ في وجهِ التَّصابي

غَبَّرْنَ في وجهِ النَّدِيـ ... ـمِ ورنَّقتْ صَفْوَ الشرابِ[2]

اللهُ لي من أبْقَعِ ... صبَغتْ حُلوكتُه ثيابي

أقْوَى وأبلغُ في القطِيـ ... ـعةِ من دعاءٍ مستجابِ

وافاك في بُرْدِ الغُرا ... بِ نَعَى،الصِّبا نَعْيَ الغُرابِ

ألْبستُه ثوبَ الشبا ... بِ فكان أكْذَبَ من سَرَابِ

وإذا خضَبْتُ بَياضَه ... ضَحِك المشِيبُ على خِضابِي

وقوله: [الخفيف]

كل شَمْلٍ وإن تجمَّع يوماً ... سوف يُمْنَى بفُرقةٍ وشَتاتِ

لا ألومُ النَّوى فرُبَّ اجتماعٍ ... كان أدْنَى إلى نَوىً وثباتِ

مثلما زِيدتِ السهامُ عُلوّاً ... في صُدورِ العِدى بقُرْبِ الرُّماةِ

وقوله: [الخفيف]

باجْتلاءِ المُدامِ في الأقداحِ ... وبمرآةِ وجهِك الوَضّاحِ

لا تذرْني على مَرارةِ عيشِي ... أكْلَ وَاشٍ ولا فريسةَ لاحِي

صاحِ كِلْني إلى المُدامِ ودَعْنِي ... والليالي تجوُل جَوْلَ القِداحِ

لا تخَفْ جَوْرَ حادثاتِ الليالي ... نحن في ذِمَّةِ الظُّبا والرِّماحِ

---

(١) الهضب: الجبل المنبسط. انظر لسان العرب، مادة / هضب/ .
(٢) رنَّقت : عكرت وكدرت. اللسان مادة (رنق).

Marfat.com

طوع أيدي الخُطوب رهن المنايا تتخطّى بها إليَّ صفاحي
قلّدتْني من المَشِيب لجاماً كفّ رأسِي شكيمُهُ عن جِماحِي
صاحِ إن الزّمانَ أقصرُ عُمْراً من بكاءٍ بدِمْنةٍ ونُواحِ
رَقَّ عنا مَلاحِفُ الجوِّ فاسمحْ برقيقٍ من طَبْعك المُرتاحِ
يا مَلِيك المِلاحِ إنْ زماناً أنت فيه زمانُ رَوْحٍ ورَاحِ
طاب وقتُ الزمانِ فاشربْ عَساهُ يا صَباحِي يطيبُ وقْتَ الصّباحِ
واسْقِنيها سُقِيتَ في فلَقِ الفَجْـ ـرِ على نَغْمةِ الطيورِ الفِصاحِ

وقوله: [الخفيف]

خلعتْ ثوبَها على التُّفّاحِ وترامتْ على خُدودِ الملاحِ
كلُّ رَيْحانةٍ أرقَّ من الرّا ح جَلاَ لِي شقِيقةَ الأرواحِ
وَزدةً فوق خَدِّه وقُروحاً بين جنْبَيّ دامِياتِ الجراح
حَبّذا مَيْعةُ الشبابِ وعيشٌ قد قطعْناه في ظِلال الرِّماحِ
زارني زَوْرةَ الخيال ووَلّى في كَرى النوم مُزعجَاً بالصّباح
لستُ أقْوَى على الجفونِ المَواضِي وَيْحَ نفسي من المِراضِ الصِّحاحِ
سامَح اللهُ من دَمِي وَجْنتيْهِ وعفَا عن بَنانِه الوَضّاحِ
لا تؤاخذْ جفونَه بفؤادي يا إلهي كلاهما غيرُ صاحِ

وقوله: [البسيط]

قُمْ هاتِها وضميرُ الليل منشرحُ والبدر في لُجّة الظّلْماء مستَبِحُ
عجِّل بها وحِجابُ الليل مُنسدِلٌ من قبْل يبدو لنا في وَكرِه الصُّبْحُ
واستضحك الدهر قد طال العُبوسُ به لا يضحك الدهر حتى يضحكَ القَدَحُ
فقام والسكرُ يغطو في مفاصِله يكاد يقطُر في أعطافِه المَرَحُ
يطوف والليلُ بالجَوْزاء مُنْتطِقٌ بها علينا رَشاً بالحسن مُتّشِحُ
في أُسرةٍ كنجوم الليل زاهرةً لا يستخفُّهمُ في مَحفلٍ فَرحُ
ورُقْيَةٍ من عَذُول طار طائرُه لا الجِدُّ يَثْنيه عن لَوْمِي ولا المَزحُ
قاسمْتُه قِسْمةً ضِيزَى مواهبُها لِيَ الهَنا وله من دُونيَ التّرَحُ[1]

(١) ضيزى: يقال قسمة ضيزى: يعني جائرة. ا.هـ. اللسان مادة (ضَيَزَ).

Marfat.com

وذي دَلالٍ كـــأنَّ الله صـــوَّره ... من جوهرِ الحسن إلاَّ أنه شَبَحُ
أسُوسُه وهو غضبانٌ وأبْسُطُهُ ... والسكرُ يخْفِض من صَوْتي فينْشرحُ
بِتْنا على غِرَّةِ الواشي وغُرَّتِه ... أغْتاظ منه بلا غَيْظٍ ونصطلحُ
جعلتُ عَتْبِي إلى تقْبيله سبباً ... والسكرُ يفتح باباً ليس ينْفتحُ
حتى إذا صيَّرَتْه الراحُ طَوْعَ يدي ... صدَفتُ عن بعض ما يأتي به النَّشَحُ[1]
فما تبسَّم في وجه الصَّبا قدَحٌ ... حتى تنفَّس من جَيْب الدجى وَضَحُ
ودَّعْتُه وجَبِين الصبح مُنزلقٌ ... وللظلام لسانٌ ليس يجْترحُ
ولا يطيبُ الهوى يوماً لمُغْتبِقٍ ... حتى يكون له في اليوم مُصْطَبحُ

وقوله: [الكامل]

غادرْتموني للخُطوب دريئةً ... تغْدو عليَّ صرُوفها وتروحُ
ما حركتْ قلبي الرياحُ إليكمُ ... إلا كما يتحرَّك المذبوحُ

وقوله: [الوافر]

وكنتُ إذا نزعْتُ إلى هَناتٍ ... جرينْتُ مع الصَّبا طَلْقَ الرياحِ
فقلدني المَشيبُ على عِذارِيْ ... لِجاماً كَفَّ رأسِي عن جِماحِي
وقلْت لعاذلي إيه فإنِّي ... وهبتُ اليومَ سمعِي للَّواحِي
هو القدرُ المتاحُ على الغواني ... فقلْ ما شئْتَ في القدر المُتاحِ
وما حُسْنُ العيون بلا بياضٍ ... وما ليلُ التَّمام بلا صباحِ
وما ضيفٌ أتاك بلا اخْتشامٍ ... وأنتَ من الرحيلِ على جَناحِ

وقوله: [الوافر]

أيا رِيحَ الصَّبا إن جئْت نَجْدا ... فجدِّد بالظُّباء العِين عهدا
فقد أرضَغْتني ثَدْيَ الأماني ... وشِبْتُ وما بلغْتُ به أشُدَّا
وكم رَفَّتْ عليَّ طوالَ ليلٍ ... ذوائبُ ذلك الرَّشَأ المُفدَّى
وما نَجْدٌ وأين ظباءُ نجدٍ ... سقى الرحمنُ ماءَ الحسن نجْدَا

وقوله من قصيدة، يمدح بها النِّظامَ بنَ مَغصوم، يقول فيها: [البسيط]

---

(١) النشح: يقال نَشَح: إذا شرب دون الرِّي. اللسان مادة (نشح).

Marfat.com

وإن في الشَّعَرات البِيض لو علموا ... نُوراً لعيني ونُوّاراً على عُودِي
بيضٌ وسُودٌ إذا ما استجْمَعا حَسُنَا ... حُسْنَ البياض على أحْداقِها السودِ
كم للزمانِ ولا أخْشَى بَوائِقَه ... من ضِنَّةٍ ولعيْن المُلك من جُودِ
عَفُّ الشَّبِيبة مَيْمون النَّقِيبة مَنْـ ... ـصورُ الكتيبة مأمونُ المواعيدِ[1]
أخلاقُ أحمدَ في تقْوى أبي حسَنٍ ... وحسنُ يوسف في مُلْك ابن داودِ
لا يحسُنُ الشعرُ إلا في مدائحِه ... كالدُّرّ أحسن ما يبدو على الجِيدِ

وقوله: [الرمل]

أنتَ يا شُغْلَ المحبِّ الواجدِ ... قِبلةُ الداعِي ووجهُ القاصدِ
فُتَّ آرامَ الفَلا حسناً فما ... قابلَتْ إلا بطَرْفٍ جامدِ
شأنُ قلْبينا إذا صحَّ الهوى ... يا حياتي شأنُ قلبٍ واحدِ
كثَّر الواشون فينا قولَهمْ ... ما علينْنا من مَقالِ الحاسدِ
لستُ أُصغِي لأراجِيف العِدى ... مَن يُغالي في المَتاع الكاسِد

وقوله: [الرمل]

زارني والبرقُ يرْمِي بالشَّرَرْ ... وعيوني شاخِصاتٌ في القمرْ
ذو دَلالٍ كلما مَرَّ حَلاَ ... آهِ ما أحْلَى هواه وأمَرّ
بينما نحن على وَفْقِ الهوى ... نتَشاكَى سَلَّ قلبي ونَفَرْ
وانْثَنى يعدُو وأغْدُو خلفَه ... وهو يرْميني بأطْرافِ النظرْ
وَيْكَ يا شامِيُّ لا تطمعْ على ... ضَعْف عينَيْه بأحْداقِ الخَزرْ[2]

وقوله من قصيدة: [الطويل]

وقد جعلتْ نفسي تحِنُّ إلى الهوى ... حَلاَ فيه عيشِي من بُثينة أو مرَّا
وأرسلتُ قلبي نحو تَيْماءَ رائداً ... إلى الخفِرات البيض والشُّدن العَفرَا
تعرَّف منها كلَّ لَمْياء خاذِلٍ ... هي الرِّيمُ لولا أن في طَرْفِها فترَا
من الظَّبياتِ الرُّودِ لو أنَّ حسنَها ... يكلُّمها أبدتْ على حسنِها كِبرَا
وآخرَ إن عرَّفْتُه الشوقَ راعني ... بصَدٍّ كأني قد أبنتُ له وَتْرَا

(١) النقيبة: النَّفس: يقال ميمون النقيبة: مبارك النفس. اللسان، مادة (نقب).
(٢) الخزر: حول إحدى العينين. اللسان مادة (خزر).

Marfat.com

أناشدُ فيه البدرَ والبدرُ غائرٌ ... وأسألُ عنه الرّيمَ وهْو به مُغرًى
فما ركِب البَيْداء لو لم يكن رَشاً ... ولا صدَع الدّيجورَ لو لم يكن بدرًا
لِحاظٌ كأن السحرَ فيها علامةٌ ... تُعلّم هاروتَ الكهانةَ والسحرًا
وقَدٌّ هو الغصنُ الرّطِيب كأنما ... كسَتْه تَلابيبُ الصّبا ورَقاً خَضْرًا
رتَقْتُ على الواشِين فيها مَسامِعاً ... طريقُ الرّدَى منها إلى كبدي وَعْرًا
أعاذِلتي واللومُ لؤمٌ أما تَرَىٰ ... كأنَّ بها من كل لائمةٍ وَقْرًا
بِفِيك الثَّرَى ما أنت والنُّصحُ إنما ... رَأَيْتُ بعيْنيك الخيانةَ والغَدْرًا
وما للصَّبا يا وَيْحَ نفسِي من الصَّبا ... تَبِيتُ تُناجِي طولَ ليلتها البدرًا
تطارحُه والقولُ حقٌّ وباطلٌ ... أحاديثَ لا تُبْقِي لمُستوْدَع سِرًّا
وتُلقِي على النَّمّامِ فَضْلَ ردائها ... فيَعرفُ للأشواقِ في طَيِّها نَشْرًا
يعانقها خوفَ النَّوَى ثم تنثنِي ... تمزّق من غيْظٍ على قَدِّك الأُزْرًا
ألمّا تَرَىٰ بَانَ النَّقا كيف هذه ... تميلُ بِعطْفَيْها حُنُوّاً على الأخرَى
وكيف وَشَى غُصنٌ إلى غُصنِ هوىً ... ومن رَشَأ يُوحِي إلى رَشأ ذِكْرًا
هما عذَلاني في الهوى غيرَ أنني ... عذَرْتُ الصّبا لو تقْبلينَ لها عُذْرًا
هبِيها فدتْكِ النفسُ راحت تُسِرُّه ... إليه فقد أبْدَتْه وهْي به سَكْرَى
على أنها لو شايَعتْ كُتُبَ النَّقا ... وشِيحَ الخُزامَى إنما حملتْ عِطْرًا[1]

وقوله من قصيدة: [الخفيف]

اغفِياني من وَقْفةٍ في الديارِ ... تمْترِي دَرَّةَ الجفونِ الغِزارِ[2]
ما انْتفاعِي بنَظْرة تطرِف العَيْـ ... ـنَ بتِلك الطُّلولِ والآثارِ
ما ترى البارِقَ الذي صدَع الجوَّ ... سَناه على رسومِ الديارِ
خَطِفاتٌ كأنّهن خيولٌ ... تجرحُ العينَ بالسيوف الهَوارِي
أذْكرتْني مَباسِماً وثغوراً ... حالياتٍ تَغصُّ بالأنْوارِ
وكؤوساً كأنما حنَّكُوها ... في صَباها بريقةِ الخَمّارِ
خلَعتْ بيننا العِذارَ ووافتْ ... في قميصٍ مُفكَّك الأزرارِ

(١) الخزامى: جمع خزاماة، نبت طيب الريح. اللسان مادة (خزم).
(٢) الغزار: جمع غزيرة أي كثيرة. اللسان مادة (غزر).

Marfat.com

لـو رآهـا الـعـذُول صُـمَّ صَـداهُ قـال مـا لـي ولـلْـعَـجـوزِ الـنَّـوارِ
لا تَـرُوعـا بِـكْـرَ الـزمـان بـقَـتْـلٍ إن ذَوْبَ الـلُّـجَـيْـن غِـشُّ الـنُّـضـارِ[1]
في سَنا الشمسِ ما علمتَ غَناءٌ عـن ضـيـاءِ الـنـجـوم والأقـمـارِ
طال عـمرُ الدجى عـليَّ وعـهـدِي بـالـلـيـالـي قـصـيـرةَ الأعْـمـارِ
ما اخْتسيْتُ الـمُدامَ إلا وغَـصَّـتْ لَـهَـواتُ الـدجـى بـضـوءِ الـنـهـارِ
حـبَّـذا طَـلْـعـةُ الـربـيـع وأهْـلاً بـمَـجـالِـي عـرائـس الأزهـارِ
وزمـانُ الـبَـهـارِ لـو عـاد فـيـه غـشَـيـانُ الـشـبـابِ عَـوْد الـبَـهـارِ
ومَـبِـيـتـي إذا نَـبَـا بـي مَـبِـيـتـي فـي ظـلال الـعـريـشِ والـنُّـوّارِ
كـم تـفـيَّـأْتُـهـا فـحـنَّـتْ عـلـيـنـا حَـنَّـةَ الأمَّـهـاتِ والأطْـيـارِ
مـرحـبـاً بـالـمَـشِـيـب لـولا زمـانٌ غَـضَّ مـنـي وحـطَّ مـن مـقـدارِي
لـو وفَـى لي الـصِّـبـا ولـو عُـمْـرَ حِـينٍ يـا زمـانـي أخـذتُ مـنـك بـثَـارِي

وقوله: [الكامل]

حَيَّتْ فأحْيَتْ بالـمُدام معاشراً حـضَـرُوا ومـا ألـبـابُـهـم بـحُـضـورِ
في حَيِّهم صَرْعَى وما شهدوا الوغَى نَـشْـوى ومـا مـزَجُـوا الـهـوى بـخُـمـورِ

وقوله: [الكامل]

إيـهٍ بـذكْـر مـعـاهـدٍ وأُنـاسِ طـابـتْ بـذكْـر حـديـثـهـم أنـفـاسِـي
أذْكـرتـنـي حـيـثُ الأحـبَّـةُ جِـيـرةٌ حـالـي بـهـم حـالٍ وكـأسِـيَ كـاسِ
هـلاً وقـفـتَ عـلـى مـنـازلـهـم مـعـي وبـكـيْـت نـاسـاً يـا لـهـم مـن نـاسِ
قـالـت عُـثَـيْـمـة والـخـطُـوبُ تـنُـوشُـنـي والـشَّـيْـب يـضـحـك مـن بـكـاءِ الآسـي
شـابـتْ شَـواتُـك والـزمـانُ مُـراهِـقٌ والـشَّـيْـبُ يـا شـامِـيُّ تـاجُ الـراسِ[2]

وقوله: [الكامل]

أمـا الـطُّـلـولُ فـإنـهـا خُـرسُ تـبـدُو لـعـيـنـيْـك ثـم تـلْـتـبِـسُ
يـا مَـرْبـعـاً عـبَـث الـبـلاءُ بـه عـهـدي بـرَبْـعِـك وهْـو مُـكْـتَـنِـسُ

---

(١) اللَجين: اسم للفضة. اللسان مادة (لجن).
النُضار: اسم للذهب والفضة معاً ولكنه غلب على الذهب. اللسان مادة (نضر).
(٢) الشواة: هي جلدة الرأس. اللسان مادة (شوا).

Marfat.com

رَمَتْ عليه يدُ الصَّبا صحُفاً ... تبدو لقارئها وتنطمسُ
وقف الهوى والدمعُ منطلِقٌ ... في جَوِّه والقلبُ مُنحبِسُ
للطيرِ جَرْسٌ في مَعالِمها ... فكأنما بحُلوقها جَرسُ
والوُرْقُ تخطُب في منابِرها ... فوق الغصونِ كأنها حُبُسُ
فارْشِفْ حصَاه فإنه شَنَبٌ ... والْثَم ثَراه فإنه لَعَسُ
كم ليلةٍ قضَّيْتها خُلَساً ... خوفَ العواذِل والهوى خُلَسُ
قصُرت عن الشكوى غَياهِبُها ... فكأنّها من قَصْرها نَفَسُ
بثْنا وشَمْلُ الليل مجتمِعٌ ... ويدُ النوَى في شملنا تَطِسُ(١)
في فتيةٍ رقَّت شمائلُهم ... فكأنها في أُفْقه شَمْسُ
بِيضُ الوجوه وجوهُهم سُرُجٌ ... تحت الدجى ومُدامُهم قَبَسُ
مالوا إلى اللَّذات من أَمَمٍ ... حتى إذا ضحك الطِّلاَ عَبَسُوا
والبدرُ يرْفُل في غلائِله ... بين النجوم وللدُّجَى عُرسُ(٢)
والماء بين مُصفَّقٍ طرباً ... فيه وآخر مُنْتَشٍ بَجِسُ(٣)
حتى إذا نطقتْ مَزاهِرُنَا ... خرِس العذولُ وما به خَرَسُ
غاب الرَّقيبُ ونام حاسدُنا ... فوشَى علينا الطِّيبُ والنَّفَسُ

وقوله: [البسيط]

ما في التَّصابِي على مَن شاب من بَاسِ ... أما ترى جَلْوَة الصَّهْباء في الكاسِ
الناسُ بالناسِ والدنيا بأجمعِها ... في دَرَّةٍ تعْطف الساقِي على الحاسِي
يئسْتُ واليأسُ إحْدى الراحتيْن وكم ... جَلَوْتُ منِّي صدَى الأطماع بالْياسِ

منها:

في كل غانيةٍ من أختِها بَدَلٌ ... إن لم تكن بنْتَ رأسٍ فابنة الراسِ
أودعتُ عقلي إلى الساقِي فَبدَّدَه ... في كَسْر جَفْنَيْهِ أو في مَيْلةِ الكاسِ
لا أوْحَش الله من غضبانَ أوْحشَني ... ما كان أبْطاهُ عن بِرِّي وإيناسِي

---

(١) وطس الشيء: إذا كسّره ودقّه. اللسان مادة (وطس).
(٢) رفل الرجل يرفل: إذا مشى يجرُّ ذيله تبختراً. اللسان مادة (رفل).
(٣) بَجَس الماء: إذا تفجّر من حجر أو صخر أو نحوه. اللسان مادة (بجس).

Marfat.com

سلمتُ يوم النوى منه وأسلمني ... إلى عدُوَّين نَمَّامٍ ووَسْواسِ
ذكَّرْتُه وهْو لاَهٍ في محاسنِه ... عهودَ لا ذاكرٍ عهدي ولا ناسِ
ودَدْتُ أن بعثُه روحي بلا ثمنٍ ... لو كنت أضربُ أخماساً لأسْداسِ
يا وَيْح من أنتِ يا لَمْياء بُغْيتُه ... ما كان أغْناه، عن فكرٍ ووَسْواسِ
قامتْ تغنّي بشعرٍ وهْي حاليةٌ ... به ألا حبّذا المكسْوُّ والكاسِي
تقول والسُكرُ يطْويها وينشرُها ... أيُّ الشَّرابيْن أحلَى في فم الكاسِ
يا حبَّذا أنت يا لَمْياءُ من سكنٍ ... وحبَّذا ساكنُ البَطْحاء من ناسِ
ما إن ذكرتُك إلا زاد بي طربي ... وطاب ريح الصَّبا من طيب أنفاسي
ولا ذكرتُ الصَّبا إلا وذكَّرنِي ... لَيالياً أرْضعْتني دَرَّةَ الكاسِ
وجيرةً لعبتْ أيدي الزمانِ بهم ... أنكرتُ من بعدهم نفسِي وجُلاَّسِي
أيامَ أخْتالُ في ثَوْبَيْ بُلَهْنِيةٍ ... ومَيْعةٍ من شبابٍ ناعمٍ عاسِ[1]
عارٍ من العار حالٍ بالصَّبا كاسِ ... كأنني والصَّبا في بُرْد أخماسِ
أنضيْتُ فيه مَطايا الجهل والباس ... عريتُ منه وما عَرَّيْتُ أفراسي
في صِبْيَةٍ كنجوم الليلِ أكياسِ ... كأن أيامَهم أيامُ أغراسِ
أسمُو إليهم سُمُوَّ النومِ للرَّاسِ ... أدُبُّ فيهم دبيبَ السكرِ في الحاسِي
باتوا بمَيْثاءَ صَرْعَى لا حَراك بهم ... وإنما صرعتهم صَدمةُ الكاسِ
يا عاذلي أنت أوْلَى بي فخُذ بيدي ... فأنت أوقعْتني فيهم على راسِي
ويا حمامَ اللّوَى هلاَّ بكيْتَ معِي ... على زمانٍ تقضَّى أو على ناسِ

وقوله: [الخفيف]

يا نسيمَ الصَّبا ويا عذْبَ الرّيـ ... ـحانِ هُبّي علي وانتفِضي
خبّريني عن اللّوَى خَبراً ... إنّ ذكرَ الرياضِ من غَرضِي
لأُقَضِّي من اللوى وَطَراً ... ليس يدري الوُشاة كيف قُضِي
ما لبرقٍ تجاه كاظمةٍ ... لم تُضِي في العَقِيقِ أين تُضِي
لست أرْضَى بصاحبٍ بدلاً ... فاسألا من صحبتُ كيف رضِي

---

(١) هو في بلهنية من العيش -بضم الباء- أي سعة ورفاهية. ا هـ القاموس المحيط، مادة /بلهن/.

Marfat.com

صـدّقـوا لـيـس عـنـهـم عـوَضٌ وجـمـيـعُ الـورى لـهـم عِـوَضِـي

وقوله من قصيدة: [الكامل]

أتـراك تـهـفُـو لـلـبـروق الـلُـمَّـعِ وتـظـن رَامَـة كـلَّ دارٍ بَـلْـقَـعِ
لـولا تـذكُـر مـن ذكـرْتَ بـرَامـةٍ مـا حَـنَّ قـلـبـي لِـلْـوَى والأجْـرَعِ
ريـمٌ بـأجْـويـةِ الـعـراق تَـرَكْـتُـهُ قَلِقَ الوسادِ قريرَ عينِ المَضْجَعِ
فـي الـسِّـرِّ مـن سـعـدٍ وسـعـدٌ هـامـةٌ رَغْـنـاءُ لـم تُـصـدَغْ ولـم تـتـضَـغْـضـعِ

منها:

قـالـتْ وقـد طـار الـمَـشِـيـبُ بـلُـبِّـهـا أنـشِـبْـتَ فـي حَـلْـقِ الـغـراب الأبْـقَـعِ[1]
وتـلـفَّـتـتْ والـسـحـرُ رائـدُ طَـرْفِـهـا نـحـوَ الـديـار بـمُـقـلـةٍ لـم تـخـشَـعِ
ولـكَـم بـعـثْـتُ إلـى الـديـارِ بـمـقـلـةٍ رجـعـتْ تَـعَـثَّـرُ فـي ذيـول الأدْمُـعِ
عـرفـتْ رسـومَ الـدار بـالـمـتَـربَّـعِ فـبـكـتْ ولـولا الـدارُ لـم تـتـقـشَّـعِ
أمَّـلـتُ لـو يـتـلَّـوم الـحـادي ومـا أمَّـلْـتُ إلا أنْ أقـول وتـسـمـعـي

وقوله:

لـم أنـسَ لا أنـسـى خـيـالاً سـرى يـسـتـرشِـدُ الـشـوقَ إلـى مَـضْـجـعِـي
حـسِـبـتُ بـدرَ الـتِّـمِّ قـد زارنـي فـبِـتُّ لا أقْـفُـو سِـوى الـمـطـلَـعِ
أسـأل عـنـه الـشـوق لا يـرْعـوِي وأنـشـدُ الـبَـيْـنَ بـه لـو يَـعِـي
آلـيْـتُ والـدارُ لـهـا حـرمـةٌ لا أسـأل الـدارَ وصـبـري مَـعِـي
كـان دمـي حَـجْـراً عـلـى حـاجِـرٍ فـلِـمْ أبـاحـتْـه مَـهـا الأجْـرُعِ
عُـلالَـةً كـان وُقـوفـي بـهـا أبْـغِـي شِـفَـا الـقـلـب من الـمُـوجِـعِ[2]

وقوله: [مخلع البسيط]

يـا لَـهْـفَ نـفـسـي عـلـى شـبـابٍ أفـنـيـتُ فـي عـصـرِه جَـمِـيـعِـي
كـان شَـفِـيـعـي إلـى الـغـوانـي فـمـن شـفـيـعـي إلـى شَـفِـيـعِـي
إن الـدَّرارِي عـلـى نَـواهـا أذنـى مـن الـغـادة الـشَّـمُـوعِ

---

(١) الأبقع: هو الأسود المرقّش بالبياض. اللسان مادة (بقع).
(٢) العُلالة: بقية اللبن أو نحوه، ويقولون لبقية السير العُلالة وهو المعنى المراد من البيت. اللسان مادة (علل).

Marfat.com

وقوله: [السريع]

لا تـجْـزعِـي يـا بَـانَـة الأجْـرَعِ ... حُوشيتِ من همّي ومن ضَيْلَعِي
كـأن قـلـبـي بـيـن شِـقَّـيْ عَـصَـا ... في حبّ من شَقّوا عصا المَجْمَعِ
حلُّوا من القلب بوادي الغَضا ... ونـارُهـم فـي مُـنْـحَـنـى الأضْـلُـعِ

وقوله: [الخفيف]

يـا عَـذُولـي ومـا أظـن عـذولـي ... يطمعُ اليوم في مَلامِي وقَذْعِي[1]
هَبْك ثقّلتَ بالمَلامةِ سَمْعي ... أخْـتـشِـي الـيـوم أن تُـثـقّـل طـبْـعِـي

وقوله: [الطويل]

أجِدَّكَ شايعْتَ الحَنين المُرجَّعا ... وغازلْتَ غِزْلانا على الجَيْف رُتَّعَا
وطالعْتَ أقماراً على وَجْرَةِ النَّقا ... وقد كنتُ أنْهَى العينَ أن تتطلّعَا
ولم أرَ مثلَ الغِيدِ أعْصَى على الهوى ... ولا مثلَ قلبي للصبابةِ أطْوعَا[2]
ومن شِيَمي والصبرُ مِنّيَ شِيمةٌ ... متى رام أطْلالاً بعيْنٍ تدمّعَا
وقورٌ على يأسِ الهوى ورجائِه ... فما أتحسّى الهمّ إلا تجرُّعَا
خَلِيلَيّ حالِي كلما هبَّ بارِقٌ ... تكاد حَصاةُ القلب أن تتصدّعَا
طوى الهجرُ أسبابَ المودّة بيننا ... فلم يَبْقَ في قَوْسِ التصبُّرِ مِنْزَعَا
إلى الله كم أغْضِي الجفونَ على القَذَى ... وأطْوِي على القلب الضلوعَ توجُّعَا
ألا حبّذا الطَّيْفُ الذي قصر الدجى ... وإن كان لا يلْقاك إلا مُودّعَا
ألَمّ كحَسْوِ الطيرِ صادَف مَنْهَلاً ... فأزعجه داعي الصَّباحِ فأسرعَا
وناضلْتُه باللَّحْظ حتى إذا رمَى ... بسطْتُ له حبلَ الهوى فتورّعَا
قَسمتُ صَفايَا الوُدّ بيني وبيْنَه ... سواءً ولكنّي حفظتُ وضيّعَا
وحزّتْ نِياطَ القلبِ أسبابُ نِيّةٍ ... فللّه قلبي ما أرَقّ وأجْزَعَا

وقوله: [الوافر]

سرى والليلُ مَمْدودُ الرُّواقِ ... وساعي الفجر يحجِل في وَثاقِ
خيالٌ من عُثَيْمة أو لُبَيْنَى ... أو الشّماءِ أخْتِ بني البُراقِ

---

(١) القذع: الفحش في الكلام. اللسان مادة (قذع).
(٢) الغيداء: المرأة الناعمة المتثنية في مشيتها من اللين. اللسان مادة (غيد).

Marfat.com

يُطوِّف في الشَّآم وفي عراقِ ... ويا بُعْدَ الشآمِ من العراقِ
أقول لها وقد خطَرتْ رِياحٌ ... من الزَّوْراءِ في حلل رِقاقِ[1]
وقد برَد السِّوارُ على يديْها ... فأخمَيْتُ القلائدَ بالعِناقِ

بَرْد السِّوار، وبَرْد الحُليّ، يكنِي به الشاعر عن الصَّباح.

في البديع: [مخلع البسيط]

قامت وقد بَرَد الحُلِيُّ ... تميسُ في ثَنْي الوشاح

ابن الزَّقَّاق[2]: [الكامل]

بَرْدُ الحُلِيِّ تنافرت عَضُدِي وقد ... هبَّ الصباحُ ونامَتِ الجَوْزَاءُ

ابن حَمْدِيس[3]: [البسيط]

وبتُّ أُحمِي بأنفاسِي حصَا دُرَرٍ ... ببَرْدِها في التَّلاقي تعرِف الفَلَقَا

وللشريف الرَّضِيّ[4]، رضي الله عنه، وهو مأْخَذ المترجَم: [م. الكامل]

حتى إذا هبتْ ريا ... حُ الفجرِ تُؤذِن بالفِراقِ
برَد السِّوار لها فأخـ ... ـمَيْتُ القلائدَ بالعِناقِ

وأحسن أبو الجوائز الواسِطِيّ في قوله: [الخفيف]

كلما نمَّ للفضول سِوارٌ ... كذَّبته قلائدٌ وعُقودُ

وبَرْد المَضْجع، وبَرْد الفراش، كناية عن الراحة والترفُّه، وعن زيادة القدرة، بحيث لا يقدر أحدٌ على إزعاجه، ويلزمه الشجاعة وعُلوُّ المقام.

قال: [الرجز]

أبيض بسَّام بَرُودٌ مَضْجَعُهْ

****

وأعْجَلنا النوَى حتى لَكِدْنا ... نُودِّع بعضَنا قبل التلاقِي
ولم يكُ غيرَ موقِفنا ونادَى ... مُنادِي الحيِّ حَيَّ على الفِراقِ
أثِيبِي فيَّ نَظْرةَ لا ضَنِينٍ ... بنائِله ولا تَرِفِ الخِناقِ

(١) الزوراء: يقال: فلاة زوراء أي: بعيدة. اللسان، مادة (زور).
(٢) ديوان ابن الزقاق (٦٣).
(٣) ديوان ابن حميدس (٣٣٦).
(٤) ديوان الشريف الرضي (٢/ ٧٧).

Marfat.com

يـرى شـبـحـاً بـلا ظِـلٍّ ونـفـسـاً ... يُـردِّدهـا الـتـنـفُّـس فـي الـتَّـراقِـي
بـنـاتُ الـشـوقِ تـفْـحَـص فـي فـؤادي ... وطِـفْـلُ الـدمـعِ يـغْـبَـثُ بـالـمَـآقِـي
وأنـت جـعـلْـتـنـي جَـزْرَ الأعـادِي ... ولـو أحـبَـبْـت مـا أكـلُـوا عُـراقِـي
تُـلوكـنـيَ الـخُـطـوب عـلـى هُـزالِـي ... ويـحـلُـو لـي لـهـا طـعـمُ الـزُّعـاقِ[1]
ولـو عـقَـل الـزمـانُ دَرَى بـأنِّـي ... عـلـى مَـن رامَـنِـي مُـرُّ الـمَـذاقِ
ولـم تـتْـرك صُـروف الـدهـرِ مـنِّـي ... ومـن عَـضْـبِي الـجـرازِ سـوى رَمـاقِ[2]
أمـا والـرَّاقـصـاتِ عـلـى لآلٍ ... ومَـن حُـمِـلـوا عـلـى الـكُـومِ الـعِـتـاقِ
لـقـد أضْـلَـلْـتُ فـي لـيـلِ الـتَّـصـابـي ... فـؤاداً غـيـرَ مـشـدود الـوَثـاقِ
ألا يـا صـاحـبَـيْ نَـجْـوَاي سـيـرا ... فـقـد قـعـد الـهـوى بـي عـن رِفـاقِـي
قِـفـا عـنِّـي بـأقْـرِيَـةِ الـفِـتـاقِ ... فَـواقـاً أو أقـلَّ مـن الـفَـواقِ
سـقـى اللهُ الـعـراقَ وسـاكِـنِـيـه ... وجـادَ مـراتِـعَ الـشُّـذْنِ الـطِّـلاقِ
إلـى أهـلِ الـعـراقِ يـحِـنُّ قـلـبـي ... فـواشَـوْقـي إلـى أهـلِ الـعـراقِ

وقوله: [الكامل]

أرأيـتَ مـا صـنـعـتْ يـدُ الـتَّـفْـريـقِ ... أعـلـمـتَ مَـن قـتـلـتْ بـسَـغْـيِ الـنُّـوقِ
رحلَ الخَليطُ وما قضيْتُ حقوقَهمْ ... بِـمُـنَى الـنفوسِ وما قَـضـيْـنَ حَـقـوقِـي
عـلِـقُـوا بـأذْيـالِ الـريـاحِ ووكَّـلُـوا ... لِـلْـبَـيْـن كـلَّ مُـعـرِّجٍ بـفـريـقِ
وغـدوْتُ أصرفُ ناجِذَيَّ على النَّوَى ... وأغَـصُّ مـن غَـيْـظ الـوُشـاة بـريـقِـي
هجروا وما صبَغَ الشبابُ عوارِضِي ... عَـجْـلان مـا عـلِـقَ الـمـشِـيـب بـزِيـقِـي
فـكـأنـنـي والـشـيـبُ أقْـربُ غـايـةٍ ... يـومَ الـفِـراق شـربْـتُ مـن رَاوُوقِ
لا راق بـعـدهـم الـخـيـالُ لـنـاظِـري ... إن حَـنَّ قـلـبـي بـعـدهـم لـرَحِـيـقِ
لـعـب الـفِـراقُ بـنـا فـشـرَّدَ مـن يـدي ... زَيْـحـانـتـيْ صـديـقـتِـي وصـديـقِـي
للهِ لـيـلـتُـنـا وقـد عـلِـقـتْ يـدي ... مـنـه بـعِـطْـفٍ كـالـقـنـاةِ رشـيـقِ
عـاطَـيْـتُـه حـلَـب الـعـصـيـرِ وصَـدَّنـا ... عـن وجـهِ حـاجِـبِـنـا يـدُ الـتَّـعـويـقِ

---

(١) زعاق: يقال: ماء زعاق أي: مرّ، أو طعام زعاق: كثير الملح. اللسان مادة (زعق).
(٢) الجراز: السيف القاطع. اللسان مادة (جزر).
الرماق: البقية من الشيء. اللسان مادة (رمق).

Marfat.com

ما كان أسرَع ما دحَتْه وإنما ... دُهِش السقاةُ به عن التَّزويقِ
أيقظْتُه والليلُ ينفُض صِبْغَه ... والسكرُ يخلِط شائقاً بمَشُوقِ
والنومُ يبعثُ بالجفونِ وكلَّما ... رقَّ النسيمُ قسَتْ قلوبُ النُّوقِ
والبرق يعثُر بالرِّحال وللصَّبا ... وقَفاتُ مُضغٍ للحديث رفيقِ
باتتْ تحرَّش والقَنا متبرِّمٌ ... بين الغصون وقَدُّه المَمْشوقِ
فأجابني والسكرُ يُعجِمُ صَوْتَه ... والكأسُ تضحك للثَّنايا الرُّوقِ
لولا الرَّقيبُ هَرَقْتُ مَضْمضةَ الكُرَى ... وغصَصتُ صافيةَ الدِّنانِ بريقِي
ثم انثنيْتُ وزَلْفُه بيد الصَّبا ... وشَمِيمُه في جَيْبِيَ المفْتوقِ

وقوله: [الوافر]

أرِقْتُ لبارِقٍ في جَوِّ رَاسِي ... جَرِضْتُ لصَوْبِ عارِضه برِيقِي
هدَتْه النَّائباتُ وأيُّ ضيفٍ ... هدَتْ يومَ الفِراق إلى فروقِي
رفعْتُ له بجُنْحِ الليل نارِي ... فخاض الليلَ يعسِف في الطريق
ودَدْتُ ولو بضَرْبِ الهامِ أنِّي ... رَعيْتُ له ولو بعضَ الحُقوقِ

وقوله: [الخفيف]

رُبَّ ساقٍ غمَزْتُه فتغابَى ... ثم أومى بناظرٍ لا يُطاقُ
قال لي والخُمارُ يُزْعِد كَفَّيْـ ... ـهِ ورُوحي على يديْه تُراقُ
أنتَ لا شك هالكٌ بجفوني ... قلتُ زِدْني فإنها دِرْياقُ
فانتضَى الكأسَ من يدَيَّ وأهْوَى ... نحو فِيه بالكأس وهْي دِهاقُ
قال لي هاكَها شَراباً طَهُوراً ... خلَّصتْها من حِنْثِها الأرْياقُ

وقوله: [الرمل]

آهِ يا غُصْنَ النَّقا ما أمْيَلَكْ ... جَلَّ يا غُصنَ النقا من عَدَّلَكْ
قد قضى لي بتَباريحِ الجوَى ... مَن قضى بالحبِّ لي والحسنِ لَكْ
أكل الحبُّ فؤادي بعدَما ... لاك منِّي ما تمنَّى وعَلَكْ
هلك الشامِيُّ وَجْداً وأسىً ... ما يُبالي يا حياتي لو هلَكْ
قلَّ لي فِيك غراماً وجَوىً ... قلَّل الله عَذُولاً قلَّلَكْ

Marfat.com

حـكـم الـلّـهُ لـفَـوْدَيَّ عـلـى نُسْخة الشَّيْب وتسْويد الحَلَكْ[1]
أتُـراهـم قـد رأَوا أيَّ دمٍ هـرَق الـواشِـي عـلـى تـلـك الـفـلـكْ
يـا غُـرابَ الـبَـيْـن لا كـنـتَ ولا كـان وَاشٍ دَبَّ فـيـهـم وسـلَـكْ
أخـذُوا مـنَّـا وأغـطَـوْا مـا اشْـتَـهَـوْا مـا كـذا يـحـكُـم فـيـنـا مـن مـلَـكْ
جُرتَ في الحُكْم على أهلِ الهوى لا تـخَـفْ فـالأمـرُ لله ولَـكْ
لـيـت شِـعْـرِي أمَـلـيـكٌ فـي الـورَى أنـتَ يـا إنـسـانَ عَـيْـنـي أم مَـلَـكْ
حـكَـم الـدهـرُ عـلـيـنـا بـالـنَّـوَى هـكـذا تـفـعـلُ أدوارُ الـفـلَـكْ

وقوله: [م. الرمل]

سـيـدي لا مِـثْـلَ مـثـلُـكْ صُـوِّر الـبـدرُ بـشـكـلِـكْ
مـا حَـكـاك الـبـدرُ لـكـن رامَ يـحـكـي شِـسْـعَ نَـعـلِـكْ
إنـمـا الـحـسْـن قـمـيـصٌ هـو قـد جِـيـكَ لأجْـلِـكْ
خُـلِـق الـعـشـقُ لـمـثـلـي وحـلاَ الـحـسـنُ لـمـثـلِـكْ

وقوله: [الرمل]

آهِ مـن داءيْـن بـادٍ ودخـيـلِ وخَـصِـيـمَـيْـن مَـشِـيـبٍ وعَـذُولْ
ما على مَن طال لَيْلِي بعدَهم لو أعانوني على ليلي الطويل
عاجلَ القلبُ إليهم ناظرِي ما أضرَّ الحسنَ بالقلب العجولْ
نادمَتْ منهم بنَانِي ناجذِي واشتشاط الوجدُ في إثر الخمولْ
وبأكْناف المُصَلَّى غادةٌ سنَحتْ لي مسنح الظبي الخذولْ
عرضتْ شرط المفدَّى في مَهاً يتعثَّرْن بأطْراف الذيولْ
قد عرَفْنا وَقْفة الرَّكْب دُجَىً في سنا الجوِّ وأنفاس القبولْ
إذْ شفيعي عند لَمْياءَ الصِّبا ورسولي خلْسة اللَّحظ الكليلْ
نظرتْ نحوي ورَقْراقُ السَّنا يخطف الأبصار عن طرْف كحيلْ
حكم اللّهُ لقلْبَيْنا على قلق القُرْط ووشواس الخجولْ
زاد شوقي يا حَمامات اللِّوَى علَّلينا ببكاءٍ وعويلْ

(١) الفود: جميع شعر الرأس مما يلي الأذن. اللسان مادة (فود).

Marfat.com

أنـــا أوْلَـــى بـــنُـــواحٍ وبُـــكـــا ... لا بُـلِـيـتُـنَّ بـوجْـدِي وغَـلـيـلِـي
لـيـت شِـعْـري والأمـانِـي ضَـلَّـةٌ ... هـل صَـبـا نَـجْـدٍ إلى الـغِـيـد رسـولِي
يـا صَـبـا نـجـد ومَـن لـي لـو وعَـتْ ... رَجْـعَ قـوْلـي أو أصـاخـتْ لِـسـتُـولِي
أنْـتِ أدْرَى يـا هَـنـاتِـي بـالـجـوَى ... خـبِّـريـهـم يـا لـكِ الـخـيـرُ وقُـولِي
لـو رأى وجـهَ سُـلَـيْـمَـى عـاذِلـي ... لـتـفـارقْـنـا عـلـى وجـهٍ جـمـيـلِ
بـشَّـرتْ سـلـمـى عَـذُولـي بـالـنَّـوَى ... آهِ مـمَّـا أوْدعـتْ سَـمْـعَ الـعَـذُولِ

وقوله: [الخفيف]

يـا أخـا الـبـدرِ رَوْنـقـاً وسـنـاءً ... وشـقـيـق الـمَـهَـا وتـرْبَ الـغـزالَـهْ
ساعَـد الـخـيـرُ يـومَ بِـغْـتُـك رُوحـي ... لا وعـيـنـيْـك لـسـتُ أبْـغِـي إقـالَـهْ
يـا عـلـيـلَ الـجـفـون عـلَّـلْـتَ قـلـبـي ... زاد عـيْـنـيـك عِـلَّـةً وذَبـالَـهْ
مـا لِـعـيْـنـيَّ كـلَّـمـا عـنَّ ذِكـرا ... كَ تـداعـتْ جـفـونُـهـا الـهَـطَّـالَـهْ
جُـنَّ طَـرْفـي مـذ غـاب عـنـه مُـحـيًّـا ... كَ جُـنـونِـي فـلا تَـسـلْ مـا جَـرى لَـهْ
كـنـتُ قـبـلَ الـهـوى ضَـنِـيـنـاً بـقـلـبـي ... خـدعَـتْـنِـيْ لِـحـاظُـك الـخَـتَّـالَـهْ[1]
لـك قَـدُّ الـقَـنـا وثـغـرُ الأقـاحِـي ... وجـفـونُ الـمَـهـا وجِـيـدُ الـغـزالَـهْ
مَـن تـنـاسَـى بـالـرَّقْـمـتـيْـن وِدادِي ... فـبـعـيْـنـي غـصـونُـه الـمَـيَّـالَـهْ
رُبَّ لـيـلٍ قـصَـرْتُـهُ بـغَـريـرٍ ... حـلَّ مـن عـقـد زُلْـفـه فـأطـالَـهْ
مَـن عَـذِيـري فـي حـبِّ طَـفْـلٍ لَـعُـوبٍ ... عـوَّدُوه سـفْـكَ الـدِّمـا فـحَـلالَـهْ
كـلَّـمـا صـدَّ عـنِّـي تـبـرُّمـاً ومَـلالَـهْ ... صَـدَّ عـنِّـي تـبـرُّمـاً ومَـلالَـهْ
لـسـتُ أنْـسَـى يـومَ الـفِـراق وقـد أذْ ... ركَ مـن شـمْـلـنـا الـنـوَى آمـالَـهْ
غـصَـب الـبَـيْـنُ مـن يـدِي كـلَّ غُـصْـنٍ ... سـرَق الـغـصـنُ لِـيـنَـه واغْـتـدالَـهْ
فَـرَّ نَـشْـوانَ مـن يـدِي يـتـكَـفَّـى ... ثـقَّـل الـوردُ غُـصْـنَـه فـأمـالَـهْ
لـم تـدعْ لَـوْعـةُ الـجـوى مـن حَـشـاهُ ... مـن حَـصـاةِ الـفُـؤادِ غـيـرَ ذُبـالَـهْ
يـا لُـواةَ الـدُّيُـون نَـفْـشـةُ مَـضْـدو ... رٍ أذابـتْ أنـفـاسُـه أوْصـالَـه
إن ذَوْبَ الـجـفـونِ فـي أثَـرِ الـغـا ... دِيـنَ أوْلَـى لـنـاظِـري أوْلَـى لَـهْ

(١) الختالة: الخادعة. اللسان (ختل).

Marfat.com

فلْيَلُمْني العذولُ ما شاء إنّي لستُ لي في هوى الحسانِ وَلاَ لَهْ

وقوله: [الطويل]

كِليني لهمٍّ لا ينامُ ونامِي فما الشامُ إن ضاقتْ عليَّ بشامِ
وما بي سوى أمِّ رَؤُومٍ وجيرةٍ عِزازٍ علينا يا عُثَيْمُ كِرَامِ[1]
وقد كنتُ قبل البَين جَلْداً على النَّوَى تطالبني نفسِي بكلِّ مَرامِ
لَصُوقاً بأكْباد الحسانِ مُحَبَّباً إلى الغِيد يَحلُو لي لَهْنَّ كلامي
يقودُونني قَوْدَ الجَنِيب إلى الهَوى فمالي مَنْبوذٌ إليَّ زِمامي[2]
وفي الركْب مَذلولُ اللِّحاظِ على الحشا يُدافِع عن أتْرَابِه ويُحامي
لقد كمَنتْ أمُّ المنايا بلَحْظه كمُونَ المنايا في شِفارِ حُسامِ
يُشايعُهُ من آل كسرى ضَراغِمٌ براثنُهم عند اللقاءِ دَوامي
يرُوحون والتِّيجانُ فوق رؤوسِهمْ ألا رُبَّ تِيجانٍ زَهَيْنَ بِهَامِ
برزْتُ لهم والحتْفُ منِّي على شَفَا أرى الموتَ خلفي تارةً وأمامي
أُوارِبُ عن صَحْبي وأعلمُ أنَّني لأوَّلُ مقتولٍ بأوَّلِ رام
فناضَلْتُهُ والرَّكْبُ بين مُفوَّقٍ وآخَر مقْرُوحِ الجوانحِ دَامي[3]
أصابتْ وكانت لا تُصِيبُ سِهامُه وطاشَتْ وكانت لا تَطِيشُ سِهامي
كذا الغيدُ يا عَثْماءُ إمَّا مُهاجِرٌ وإما خَتُولٌ لا يَفي بذِمامِ[4]

وقوله: [الخفيف]

لمن العِيسُ جُفَّلا كالنعامِ يترجْخن خِلْفةَ الآرامِ
يرْتقضْنَ الخُطى ارتقاص بَنَاتِ الشَّـ ـوقِ تحت الحشَى على الآكامِ
ووراءَ السُّجوف كلُّ أَناة الْـ خَطْوِ حَيُّ الحياءِ مَيْتُ الكلامِ[5]
كدُمَى العاجِ في المحاريب أو كالزْ هرِ غِبَّ القِطار في الأكمامِ[6]

---

(١) الرؤوم: الأم تعطف على ولدها. اللسان مادة (رأم).
(٢) الجنيب: الغريب. اللسان مادة (جنب).
(٣) المقروح: من به آثار الجراح. اللسان مادة (قرح).
(٤) الختول: الختل الخداع. اللسان مادة (ختل).
(٥) السجوف: جمع سجف: وهو طرف من الحجاب. اللسان مادة (سجف).
(٦) القطار: جمع قطرة: وهي من المطر. اللسان مادة (قطر).

Marfat.com

قد تقنّعنَ في الشُفوف كما قُنّـ ... ـعَ بدرُ الدجى بذيل الغمامِ
ما عهِدنا الظِّباء ترفُل في الوَشْـ ... ـيِ ولا الوَحْشَ في البُرَى والخِزامِ
قُسِّم الحسْن بين قاصِرة الطَّـ ... ـرفِ وأخرى مقصورةٍ في الخيامِ

منها:

كلُّ هَيْفاء حيث يُعتقَد الحبُّ ... سريع الخُطَى بطيء القيامِ
كلّما أقصدتْ فؤادَ كَمِيٍّ ... بسَمتْ عن مثل حبِّ الغَمامِ
رفعتْ طَرْفها إليَّ وقالتْ ... بأبي ما أرقَّ قلبَ الشامي
طالعتْ صاحبي ومالتْ إلى السِّرْ ... بِ بطَرْفٍ ولا كطرفيَ دَامِي
وسَبتْنِي وما أبَحْتُ حِماها ... بقَوامٍ آهاً له من قَوامِ
وعيونٍ أعاذَنا اللهُ منها ... لعبتْ بالعقول لعبَ المُدامِ
ورَسِيلٍ يُطيل ناشئةَ اللَّيْـ ... ـلِ وناهِيكُما بليْلِ التَّمامِ
ورمتْني وللمنيَّة أسبا ... بٌ فلله ما أخفَّ الرامي
حدِّثيني وفي الحديث شفاءٌ ... ما لعينيْك مُحمَلاتٌ سَقامي
فلْتطُل لَوْعتي عليك ووَجْدِي ... إن قلبي يصحُّ بالأسقامِ
يا نَدِيميَّ بالجَوَاء كلانا ... لهَناتٍ حسَرتُ عنها لِثامي
أغفياني من هَجْعة تملأُ العيْـ ... ـنَ غُروراً بطارِقٍ في المَنامِ
زارني والهوى يُخيِّل للعيْـ ... ـنِ سعاداً والليلُ مُزْخَى الزِّمام
فوفَى لي بكلِّ ما تشْتهي النفْـ ... ـسُ وولَّى والرَّكْبُ صَرْعَى غَرامِ
زارني في ذُرَا الشآمِ ودارِي ... بالمُنقَّى ودارُها بالرِّجامِ
طاف والليلُ مطبِق بعُراهُ ... يستقيل الكرَى من الإلْمامِ
قلتُ للطارِق الذي طرَق الجوَّ ... وشابتْ له فروع الظلام
كبُرتْ يا ظَلُومُ همةُ عيْنٍ ... طمعتْ أن تراك في الأحلامِ

وقوله: [الكامل]

رقَّتْ شمائلُه فقلتُ نسيمُ ... وزكَتْ خلائقُه فقلت شَمِيمُ
قَصر الكلامَ على المَلامِ وإنما ... لِلَّحظِ في وجَناتِه تكْليمُ
شرِقتْ معاطفُه بأمْواه الصِّبا ... وجرى عليه بَضاضَةٌ ونعيمُ[1]

(١) بضاضة: النعومة واللين، يقال: بضت المرأة بضاضة. اللسان مادة (بضض).

Marfat.com

قد كاد تشربُه العيونُ لَطافةً ... لكنَّ سيفَ لِحاظِه مسمومُ

وقوله: [الكامل]

رشَفتْ صُروف الدهر ماءَ نَضارتي ... عَجْلانَ ما أذمى الفؤادَ وما رَمَى
إن الذي صبَغ الحياءُ بياضَه ... لم يدْرِ كيف غرِقْتُ من خجلٍ دَمَا
إن الذي فارقْتمُوه ولم يمُتْ ... يا عَزُّ كان أعَقَّ منكِ وأظْلما

وقوله: [الرمل]

يا خليلَيَّ دعاني والهوى ... إنني عبدُ الهوى لو تعلمانِ
عَرِّجا نقْضي لُباناتِ الهوى ... في ربوعٍ أقْفرتْ منذ زمانِ[1]
مَربَعٌ أولع عيني بالبكا ... أمَر العينَ به ثم نَهانِي
وقُصارَى الخِلِّ وجدٌ وبكا ... فابْكياني قبل أن لا تبكيانِي
يا عُريباً مُنْحناهم أضلُعي ... وغَضاهم نارُ شوقي في جَنانِي
سوَّدُوا ما بين عيني والفَضا ... ومَحوْا عنها سوادَ الدَّيْدَبانِ[2]
إن قلباً أنتمُ سُكانُه ... ضاع مني بين شِعْب والقَنانِ

وقوله من خمرية: [الخفيف]

هاتِها هاتها سَبِيَّةَ حَوْلٍ ... قد توانتْ ولات حين توانِ
كسقِيط الندى على وجَنات الـ ... ـوردِ أو كالدموع في الأجفانِ
في يَدَيْ شادِنٍ رقيقِ الحواشِي ... فوق خدَّيْه وردةٌ كالدِّهانِ
هي في خدِّه سَبِيكُ نُضارٍ ... وبِفِيه عصارةُ العِقْيانِ[3]

منها:

نسخَتْ سحرَ بابلٍ مُقْلتاه ... فتنبَّى في فَتْرَة الأجفانِ

أحسن منه قول التِّنِّيسِيّ الأندلسِيّ: [الكامل]

لولا تحدِّيه بآيةِ سحرِهِ ... ما كنتُ ممتثِلاً شريعةَ أمرِهِ
رشأٌ أُصدِّقه وكاذبُ وعدِه ... يُبدي لعاشقه أدلَّة عُذرِهِ

---

(١) اللبانة: الحاجة من غير فاقة. اللسان مادة (لبن).
(٢) الديدبان: الطليعة أو المقدمة. اللسان مادة (دبب).
(٣) العقيان: اسم للذهب. اللسان مادة (عقن).

Marfat.com

ظـهـرتْ نُـبُـوَّةُ حـسـنِـه فـي فَـتْـرةٍ ... مـن جَـفْـنِـه وضـلالـةٍ مـن شَـعـرِهِ
فـي رُبـوعٍ كـأنـهـنَّ جِـنـانٌ ... عـطـفـتْ حُـورَهـا عـلـى الـوِلْـدانِ
ورِيـاضٍ كـأنـهـنَّ سـمـاءٌ ... أطْـلـعـتْ أنـجُـمـاً مـن الأُقـحُـوانِ
بـيـن وُرْقٍ كـأنـهـن قِـيـانٌ ... رُكِّـبَـتْ فـي حُـلـوقـهـنَّ مَـثـانِـي
وغـصـونٍ كـأنـهـنَّ نَـشـاوَى ... يـتـرقَّـضـنَ فـي قُـدود الـغـوانِـي[1]
وأقـاحٍ كـأنـهـنَّ ثُـغـورٌ ... يـتـبـسَّـمْـنَ عـن وجـوهِ الـحـسـانِ
ونـسـيـمُ الـصَّـبـا يـصِـحُّ ويـغْـتَـلُّ ... عـلـى بَـرْدِه وحَـرُّ جَـنـانِ
كـلـمـا غـنَّـتِ الـبـلابـلُ فـيـهـا ... رقَّـص الـدمـعُ بـالـبـكـا أجْـفـانِـي
عـطـفَـتْـنـي عـلـى الـريـاضِ قُـدودٌ ... خـلـعـتْ لِـيـنَـهـا عـلـى الأغـصـانِ
يـتـلـقَّـانِـيَ الأقـاحُ بـنَـشْـرٍ ... وغـصـونُ الـنَّـقـا عـلـيَّ حَـوانِ

منها:

أيـن قـلـبـي لا أيـن إلاَّ طـلـولاً ... أذْهـبـتْـهـا الـريـاحُ مـنـذ زمـانِ
أذْكـرتْـنـي مـعـاهـداً ورُبـوعـاً ... كـادَ يَـنْـمـي لـذِكْـرهـنَّ بَـنـانِـي
حيث غُـصْـنِي من الشبابِ رَطِيبٌ ... وعـيُـونُ الـمَـهـا إلـيَّ رَوانِـي
أطـرُد الـنـومَ عـن جـفـونٍ نَـشـاوَى ... بـحـديـثٍ أرَقَّ مـن جُـثْـمـانِـي
وقَـوافٍ لـو سَـاعـد الـجِـدُّ نِـيـطـتْ ... مـوضـعَ الـدُّرِّ مـن رِقـاب الـغـوانِـي
سـائـراتٌ بُـيـوتُـهـنَّ عـلـى الألْـ ... ـسُـنِ سَـيْـرَ الأمـثـالِ فـي الـبُـلـدانِ
قُـصُـدٌ كـالـفِـرِنْـدِ فـي صـفَـحـات الـدَّ ... ـهـرِ أو كـالـشُّـنـوفِ فـي الآذانِ[2]
عـاصِـيـاتٌ عـلـى الـطـبـاعِ ذَلُـولٌ ... يُـسْـتَـغَـنَّـى بـهـنَّ فـي الـرُّكْـبـانِ
سـاقَـطـتْ والـنـدَى يَـطُـلُّ عـلـيـنـا ... مـن عُـيـونِ الـمَـهـا حـصَـا الـمَـرجـانِ

وقوله: [الكامل]

لا يـتَّـهِـمْـنـي الـعـاذلـون عـلـى الـبُـكـا ... كـم عَـبْـرةٍ مَـوَّهْـتُـهـا بـبَـنـانِـي
يـا مَـن يـفـنِّـدنـي عـلـى ابْـنـةِ وائـلٍ ... عـنِّـي إلـيـك فـغـيـرُ شـانِـك شـانِـي
آلـيْـتُ لا فَـتـق الـعَـذول مَـسـامِـعـي ... يـومـاً ولا خـاط الـكـرَى أجـفـانِـي

(١) نشاوى: يقال امرأة نشوى والجمع نشاوى، والانتشاء: أول السكر. اللسان مادة (نشو).
(٢) الشنوف: جمع شَنف بالفتح وهو ما يوضع أعلى الأذن والقرط في أسفلها. اللسان مادة (شنف).

Marfat.com

قالت عُثَيْمة قد كبِرتَ عن الصِّبا ... ما لِلْكبير وصَبْوةِ الشُّبَّانِ
ما الشَّيْبُ إلا كالقَذاةِ لناظرِي ... فقليلُه وكثيرُه سِيَّانِ
سلَبتْ أساليبُ الصَّبابة من يدِي ... صَبْرِي وأغْرَتْ ناجِذِي ببنَانِي

وقوله: [الوافر]

إذا أبْصرتُ شخصَك قلتُ بدرٌ ... يلُوح وأنت إنسانُ العيونِ
جرى ماءُ الحياة بِفِيكَ حتى ... أمِنتُ عليك من رَيْب المَنونِ

وقوله: [الكامل]

هل في القضِيَّة أن يُشايِعك العِدَى ... في ليلةٍ ناجيتُ فيك سُهامَا
هَبْ أن للشامِيِّ فيها بالسُّهَا ... نَسَباً فأين همُ وبدرُ دُجامَا
ليت التي بعثَتْ إليَّ خيالَها ... أذِنتْ لعيني أن تذوق كَراها

وقوله: [الكامل]

طرقتْ تخطَّى رِقْبةَ الواشِين بي ... وعيونُهم مَطْروفةٌ بكرَاهَا
وأنا ومَوَّار اليدين نلُوذ في ... سُجْفِ الخيام كأننا طُنْباهَا[1]

قلتُ: هذا ما وصل من أشعاره إليّ، والمِنَّة لمن منَحني به عَلِيّ.

وقد قيل: من أحيى قلب صديق، بكلام رقيق، أمِنَ مِن كلّ حريق، وسَلِم في كل مَضِيق.

ولو استزَدْت لَزِدْت، وما قلتُ عسيت أو كِدت.

١٠٣- حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن يحيى

ابن جَانْدَار البِقاعِيّ الكَرْكِيّ

---

(١) موّار: يقال ناقة موّارة اليدين، سريعة سهلة المشي. اللسان مادة (مور).

١٠٣- الأديب حسين بن شهاب الدين حسين بن جاندار البقاعي الكركي، الشاعر الفائق.
كان شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر، جيد القريحة سهل اللفظ، حسن الإبداع والمعاني. واشتغل بعلم الطب في آخر عمره. ومن مصنفاته: (شرح نهج البلاغة) و (هداية الأبرار في أصول الدين)، و(مختصر الأغاني) و(الإسعاف) وغير ذلك.
وكانت وفاته في صفر سنة ست وسبعين وألف عن اربع وستين سنة. ا هـ. خلاصة الأثر (٢/ ٩٠).

Marfat.com

باقِعةُ البِقاع، المخجِل بغُرَره وجوهَ الرِّقاع.

طلعت محاسنُه طلوعَ النجوم الزواهِر، وسعِدتْ تلك البقاعُ بآدابه المعجِبة البواهر. [الكامل]

وإذا تـأمَّـلـتَ الـبـقـاعَ وجـدتَـهـا تشْقَى كما تشقى الرجالُ وتسعَدُ

وهو وحيدٌ في كرم ضرائِبه، متفرِّد بكثرة عجائبه وغرائبه.

تستوعِب محفوظاته المقروءَ والمسموع، وتجمع معلوماتُه ما هو في الحقيقة منتهى الجموع.

وله أدب جَزْل، وجِدٌّ مقرون إلى هَزْل.

وأما نظمه فبابِلُ منشأُ كلامِهِ، وما أُنزِل على المَلكيْن في ضِمْن أقلامه.

وكان في أُخريات أمره، حين لم يَبْقَ إلا قذىً في كأس عمره.

اشتغل بالطب فأتقن قواعدَه وأحكم، ولعب بالأرواح والأجسام كما شاء وتحكم.

ولكنه طاشتْ سهامُ رأيه عن أغراضها، وأصابت فما أخطأت النفوسَ في تخْليصها من آلامِ أمراضها.

فكم عليلٍ دَبَّ فيه علاجه ثم درَج، فأنشد: [البسيط]

أنـا الـقـتـيـلُ بـلا إثـمٍ ولا حَـرج

وتلاعبت به الظنون في مَهاوِي العربة، إلى أن دخل الهند وهو سفيرُ الفقر والكربة.

فاستقبله النِّظام بن مَغصوم ببريد كرمه، وأنزله حيث استردَّ شبابه بعد هَرَمه، إلا أنه لم تطُل مدته، حتى أخْلَقت بحادث الموْت جِدَّته.

وقد أوردت من محاسِنه التي بهرَ اتِّقادُها، وبعُد عن مَظانِّ أُولى النباهة انْتقادها.

ما تُستهدَى منه شَمال الرُّبَى آذنت لصحة الأجسام بالتكفُّل، ونسيم الصَّبا جاءت بعَرْف الصَّنْدَل وريَّا القَرَنْفُل.

فمنه قوله، من قصيدة، مستهلها: [الطويل]

هو الحب لا يبْقَى على النَّأْيِ بارِحَا فـصـبـراً وأنّـى يـردعُ الـصـبـرُ جـامِـحَـا

حـلـيـفَ غـرامٍ مُـدْنَـفٍ فـتـكـتْ بـه جـوارحُ ألْـحـاظٍ تُـذيـب الـجـوارحَـا

وهل يُرْتجَى بُرْءُ السليم الذي غدتْ عـلـيـه أمـاراتُ الـهـلاكِ روائـحَـا

Marfat.com

أراقتْ دمي بالسَّفْح غرّاء ناهدٌ على مثلِها أمستْ دموعي سوافِحَا
مضتْ غيرَ ما أبْقتْ من الوجدِ والأسَى لياليِ بنا نلْنَا المُنَى والمنائحَا
برَغمِي حلَلْت الدمعَ بين طلولُهم فلم أرَ مُرّاً يُرجِع القلبَ فارِحَا
خَلاَ مَلْعب أوْدَى بأرجائِه البِلَى تُلاعبُه هُوجُ الرياض روائحَا[1]
وعهدِي به بالأمْسِ للعينِ مألَفٌ فعُوِّضَ عنهنَّ ابنُ دَايةَ نائِحَا

ابن داية: الغراب، وهو علَم جنس ممنوع من الصرف، سُمّيَ به لأن أنثاه إذا طارت من بيضها حضَنها الذكرُ، فيكون كالداية للأنثى.

وكان جَلاء الناظرِيْن من القَذَى فأضحى يردُّ الطّرف بالدمعِ سافحَا
فيا مُمْتطِي كَوْماءَ كالهِقْل جَسْرَةٍ عَرَنْدية تطوِي الرُّبَى والأباطِحَا

الكوماء: الناقة الطويلة السَّنام.
والهقل: الفتِيُّ من النعام.
والجسرة: الناقة القوية، ويقال هي: الجرية.
والعرندية: الناقة القوية. [الطويل]

إذا عاينَتْ عيْناك كُثْبانَ رَامةٍ وجازتْ بك تلك الوَجْناءُ الصَّحاصِحَا
أنِخْها برَبْعٍ يَنْفح الرّيحُ رائحاً تجاهَك من رَيّا شَذاه الرّوائِحَا
وبلِّغ رعاك الله مني أُهَيْلَه سلاماً كنَشْر المَنْدَل الرّطْب نافحَا
وقل لهمُ خلّفتُ بالشامِ مُذْنَفاً صريعَ اشتياقٍ نائِيَ الدارِ نازِحَا
يئنُّ ويشكُو بانتحابٍ ولوعةٍ نَواكُم إذا أرْخَى الظلامُ المَسائحَا
عسى أوْبةٌ تطفِي لهيب جوانِحي إذا كنتَ لي فيما تحمَّلْتَ ناصِحاً
فبِي ظمأٌ لو كان بالتُّرْبِ ما عدَتْ على صفحةِ الأرض المِياهُ سوانحا
ولو أن أنفاسِي أصاب سعيرُها رياحَ الغَضا ما كُنَّ يوماً لواقِحَا
فيا قلبُ صبراً إن يكُ الصبرُ نافعاً فمن حارب الأيامَ لم يُلْفَ رابحا
رُوَيْداً هي الأيامُ لا تَزْجُ سُقْمَها فما كان منها غادياً كان رائحَا
وما كان منها دانِياً كان نائياً وما كان منها سانحاً كان بارِحَا

وقوله من أخرى، أولها: [الطويل]

(١) الهوج: هو جمع هوجاء وهي: الرياح المتلاحقة الهبوب. اللسان مادة (هوج).

Marfat.com

هو الحبُّ لا قُرْب بدوم ولا بُعْدُ ... وقد دقَّ معنىً أن يُحِيط به خَلْدُ
يَحَارُ أُولو الألباب في كُنْهِ ذاتِه ... فمِن جِدِّه هزلٌ ومن هزلِه جِدُّ
لك الله قلبي كم تُجِنُّ لواعِجاً ... يذوب لأدْنَى حَرِّها الحجر الصَّلْدُ
نصَحْتُك جُهْدِي لا قبلتَ نصيحتي ... فعذْلُ الهوى جَوْرٌ وحُرُّ الهوى عبدُ
لقد عالج الحبَّ المُحِبُّون قبلَنا ... فما نالَهم إلا القطيعةُ والصَّدُّ
فإن قال قومٌ إن في العشقِ لَذَّةً ... فما أنصفوا هذا خلافُ الذي يبْدُو
نعيمٌ هو البَلْوَى ورِيٌّ هو الظَّما ... وذاك فَناءُ الجسم يجْلبه الوَجْدُ
على أنني جرَّبْتُه وبلَوْتُه ... إذا أنه كالصَّابِ ذِيفَ به الشُّهْدُ[1]
وما قلتُ جهلاً بالغرام وإنما ... يُصدِّق قولي من له بالهوى عهدُ

وقوله من أخرى، أولها: [السريع]

ما لاح بَرْقٌ برُبَى حاجِرِ ... إلاَّ استهلَّ الدمعُ من ناظِري
ولا تذكَّرتُ عهودَ الحِمى ... إلا وسار القلبُ عن سائرِي
أوَّاهُ كم أحمل جَوْرَ الهوى ... ما أشْبهَ الأولَ بالآخرِ
يا هل ترى يدْرِي نَؤُومُ الضحى ... بحالٍ سَاهٍ في الدجى ساهرِ
تهُبُّ إن هبَّتْ يمانيَّةٌ ... أشْواقُه للرَّشأ النافرِ
يضربُ في الآفاقِ لا يأتلِي ... في جَوْبِها كالمثلِ السائرِ
طوراً تِهامِيّاً وطوراً له ... شوقٌ إلى من حلَّ في الحائِر
كأنَّ ممَّا رابَه قلبَه ... عُلِّق في قادِمَتَيْ طائرِ

أصل هذا المعنى لعُروة بن حِزام، قال[2]: [الطويل]

كأنَّ قَطاةً عُلِّقتْ بجناحِها ... على كبدِي من شِدَّةِ الخَفقانِ

وقوله، من أخرى: [الطويل]

لك الخيرُ لا زيدٌ يدوم ولا عمرُو ... ولا ماءَ يبْقَى في الدِّنانِ ولا خمرُ
فبادِرْ إلى اللَّذَّاتِ غيرَ مُراقبٍ ... فما لك إن قصَّرتَ في نَيْلها عذرُ
فإن قيل في الشَّيْب الوَقارُ لأهلِه ... فذاك كلامٌ منه في مَسْمعِي وَقْرُ

---

(١) الصاب: الصبيب الجليد. اللسان مادة (صبب). ذيف: الذوف: الخلط. اللسان، مادة (ذوف).
(٢) البيت في فوات الوفيات (١/ ٧٤).

Marfat.com

وقالوا نَذِيرُ الشيبِ جاء كما ترى ... فقلتُ لهم هيهات أن تُغْنِيَ النُّذُرُ
لئِن كان رأسِي غيَّر الشيبُ لونَه ... فرِقَّة طبعي لا يغيِّرها الدهرُ
يقولون دَعْ عنك الغواني فإنما ... قُصاراك لَحْظُ العين والنَّظر الشَّزرُ
وهل فيك للْغِيد الحسان بقيَّةٌ ... وقد ظهر المكنونُ وارتفع السِّتْرُ[1]
وما للغواني وابنِ سبعين حِجَّةً ... وحِلمُ الهوى جهلٌ ومعروفُه نُكْرُ
فقلتُ دعوني والهوى ذلك الهوى ... وما العمرُ إلا العامُ واليومُ والشهرُ
نشأتُ أُحِبُّ الغِيدَ طفلاً ويافِعاً ... وكهلاً ولو أَوفِي على المائة العُمْرُ
وهُنَّ وإن أعرضْنَ عني حَبائِبٌ ... لهُنَّ عليَّ الحكمُ والنَّهيُ والأمرُ
أُحاشِيك بي منهنَّ مَن لو تعرَّضتْ ... لنَوْءِ الثُّريَّا لاستهلَّ لها القَطْرُ
ترقْرَق ماءُ الحسن في نارِ خدِّها ... فماءٌ ولا ماءٌ وجمرٌ ولا جمرُ
فيا بُعْد ما بين الحسان وبينها ... لهُنَّ جميعاً شطره ولها الشطرُ
بَرَهْرَهَةٌ صِفْرُ الوِشاحِ إذا مشَتْ ... تجاذَب منها الرِّدْفُ والعِطْف والخَصْرُ
من البِيض لم تغْمِس يداً في لَطِيمةٍ ... وقد ملأ الآفاقَ من طِيبِها نَشْرُ
تَخرُّ لها زُهْر الكواكب سُجَّداً ... وتغنُو لها الشمسُ المنيرةُ والبدرُ
تَخالُ بجَفنيها من النومِ لَوْثةً ... وتحسَبُها سكرَى وليس بها سُكرُ
وقالوا إلى هاروتَ يُنسَب سحرُها ... أبى الله بل من لَحْظِها يُؤخَذ السحرُ
تخالَف حالي في الغرامِ وحالُها ... لها مَحْضُ وُدِّي في الهوى وليَ الهجرُ

وقوله من أخرى، أولها: [الطويل]

أرَبْعَ الندى لا زال نجْمُك مشرِقَا ... وسَحٌّ سحابُ العزِّ فيك وأغدقَا
ولا برِحتْ فيك السُّعودُ سوانِحاً ... لتجمعَ من مكْنونها ما تفرَّقَا
سقاك رُضاب الغانيات إذا أبَتْ ... عيونُ الغوادِي فيك أن تَترقْرَقَا
لتغْدُو رُباك السامياتُ كأنما ... كستْها يدُ الأنواءِ وَشْياً مُنمْقا
إذا ما ذوَى نبْتُ الرِّياضِ فَنَوْرُه ... نَضارتُه تبْقَى إذا الدهرُ أخْلَقَا
فكم قد نهَبْنا فيك أوقاتَ لَذَّةٍ ... رَقَمْنا بها في الدهر رَسْماً مُحقَّقَا
يدير علينا اللهوُ في طَيِّ نَشْرِها ... كؤوسَ الصِّبا لا البابِليَّ المُعتَّقَا

(١) الغيد: جمع غيداء، المرأة الناعمة المتثنية في مشيتها. اللسان مادة (غيد).

Marfat.com

وقوله من أخرى، أولها: [الطويل]

أشمسُ الضحى لا بل مُحيّاك أجملُ ... وخُوط النّقا لا بل قَوامُك أعْدل
سفَرْتِ لنا حيثُ النجومُ كأنها ... كواعبُ في سُود المطارِف ترفُلُ
وحيث الهزِيعُ الآبَنُوسِيُّ حالِكٌ ... كأن الدجى سِتْرٌ على الأرضِ مُسبَلُ
كأن غرابَ البَيْن قُصَّ جناحُه ... فليس له مَنْأَى ولا مُتحوَّلُ
كأن رياضاً من أقاحٍ ونَرْجِسٍ ... سقاهُنَّ من نهر المَجرّةِ جدولُ
كأن الثريّا إذ تَراءتْ لناظِري ... وِشاحٌ على زَنْد الزّمان مُفصّلُ
كأن سُهَيْلاً والنجومُ تؤُمُّه ... نوافِرُ وُزْقٍ خِلْنَ قد لاح أجْدَلُ
كأن السُّهَا ذو صَبْوةٍ غالَه النوى ... فأنحلَه والبَيْن للصبِّ يُنْحِلُ
كأنّا رأينا بالنّعائمِ إذ بدَتْ ... نعائمَ تجْتابُ الفَلا وهْيَ هُمَّلُ(١)
كأن السِّماكَيْن اسْتطارا لغارةٍ ... فهذا له رُمْحٌ وذلك أعْزَلُ(٢)
فلما بدا مَرْآك شابتْ فروعُه ... وقد كان مُسوَدَّ الغدائرِ أليَلُ
نزَحْت فلا غصنُ المَسرّة يانِعٌ ... ولا الماءُ سَلْسال ولا الروضُ مُخضَلُ
كأنّي غَداة البَيْن حاسِي سُلافةٍ ... إذا شُدَّ منه مَفْصِل هاضَ مَفصِلُ(٣)
تناولها صِرْفاً ليحيَى فقرَّبتْ ... إليه الرَّدَى مما يَعُلُّ ويَنْهَلُ
إذا رفعوه خَرَّ مُلْقىً كأنه ... نَقاً وكِلا أرجائه يتهيَّلُ
يُعاوده طوراً جنونٌ وتارةً ... لِما شربتْ من عقله الراحُ أخْيَلُ
وأنّكى جوىً يغْتادني لَومُ لائمٍ ... وهل يَرْعوِي ذو جِنّة ليس يعقلُ
أأسلُو وبي ما لو يُلِمّ بيَذْبُلٍ ... لَدُكَّ لما لاقَى من الوجد يَذْبُلُ(٤)
يرومون قتْلي بالمَلام تعمُّداً ... وما أكثروا التأنيبَ إلاّ ليفعلُوا
لك الحكمُ يا دهري بما شئتَ فازمِني ... أيجزعُ من حَرّ الضِّرامِ السَّمَنْدَلُ

السمندل: طائر هنديّ.

---

(١) النعائم: من منازل القمر وتسمى النعام الصادر. اللسان مادة (نعم).
(٢) السِّماكين: اسم لنجمين نيرين. اللسان مادة (سمك).
(٣) الحسو: هو الشرب. السلافة: اسم للخمر. اللسان مادة (حسا) (سلف).
هاض: كسر، وهاض العظم: كسره بعد ما كاد أن ينجبر (هيض).
(٤) يذبل: اسم لجبل بنجد. معجم البلدان ٤/١٠١٤ .

Marfat.com

قال بعضهم: هو ناريٌّ يعيش في النار كما يعيش طائر الماء في الماء.

وقال آخرون: هو طائر إذا هرِم دخل نار الأتُون أو ناراً جاحِمة غيرها، فيمكث فيها ساعات فيعود شاباً.

وإياه عني البَهْرانيّ بقوله: [السريع]

وطـائـرٍ يـسـبـح فـي جـاحـمٍ كـمـاهـرٍ يـسـبـحُ فـي غَـمْـرِ[1]

قال الجاحظ: وفي السَّمَنْدل آية غريبة، وصنعة عجيبة، وداعية للتفكير، وسبب للتعجب، وذلك أنه يدخل في أتون النار فلا تحترق له ريشة.

لَعاً لِعَثاري كيف لا أبلغ المنى وأُدرِك شـأواً نَـيْـلُـه لا يُـؤمَّـلُ
وقد شمِلتْني من أبي الجُود نظرةٌ فأشرق نجْمي بعدما كاد يأفُلُ

لَعاً: كلمة يُدعَى بها للعاثر، معناها الارتفاع.

قال ابن السيِّد: هي اسم فعل مبنيّ على السكون، والتنوين فيه علامة التنكير، كهو في صَهٍ ومَهٍ.

وقد بين القَزَّاز الفعلَ الذي لعاً اسمُه، فقال: يقال: لَعاك الله أي نعَشك الله ورفَعك، فلعًا اسم لنعَش، وتُكتب بالألف؛ لأن لامَها منقلبة عن واو.

وله من أخرى، أولها: [م. الكامل]

هـل طـالـبٌ بـدم الـقـتـيـلِ بـيـن الـمـعـاهـد والـطُّـلـولِ
سـلَـب الـجـمـالُ فـؤادَه ونـأى عـن الـصـبـرِ الـجـمـيـلِ
عـبـثـتْ بـه أيـدي الـهـوَى فـهـوَى بـوادِيـه الـمَـهـولِ
قـسَـمـاً بـأجْـيـاد الـظِّـبـا وتـحـيَّـةِ الـظـبْـيِ الـكـحـيـلِ
مـامِـلـتُ عـن نَـهْـج الـغـرا مِ إلـى مُـلاحـاةِ الـعَـذُولِ
وَيْـلاه كـم أظْـوِي الـضـلـو عَ أسـىً عـلـى الـداء الـدَّخِـيـلِ
مـا آن أن تـقْـضَـى لُـبـا نـاتِـي وأن يُـشْـفَـى غـلـيـلِـي
وبـمُـهـجـتِـي ظَـبْـيٌ شـمـا نـلْـه أرقُّ مـن الـشَّـمُـولِ
فَـغْـم الـمُـخَـلْـخَـل ساحـرُ الـلْـ ـحـظـاتِ كـالـرشـأ الـخَـذُولِ

الفَغْم: الملآن.

---

(١) البيت في كتاب الحيوان للجاحظ (٢/ ١١١).

Marfat.com

والمُخَلْخل: موضع الخَلْخال من الساق، ومثله المسوَّر موضع السِّوار من الذراع، والمُقلَّد: موضع القلادة من العنق، والمُقرَّط: موضع القُرط من الأذن.

والخَدُول: الممتلئ الأعضاء الدقيق العِظام.

يضطاد أفئدةَ الورى بحبائِل الشَّعر الرَّسِيلِ
قمرٌ يجِلُّ عن المَحا قِ ضياؤه وعن الأفولِ
أزتاعُ عند نهوضِه جزَعاً على الخَضرِ النحيلِ

أحسن منه قول دِيك الجِنّ: [الكامل]

وتمايلتْ فضحكتُ من أزدافِها عجَباً ولكنّي بكيتُ لخَضرِهَا

ومما يُستجاد له قوله، من أبيات: [الطويل]

لمن طَلَلٌ عافِي الرُّبوع بذي الضَّالِ ذكرتُ به ما مَرَّ من عيشِيَ الخالِي
حبستُ به طَرْفي وأرسلتُ مُقلتِي وبُذِّلت إرْشادي لديه بإضْلالِي
أُسائله والدمعُ يَنْهلُ وَدْقُه غراماً فلم ينْجَع بكائي وتَسْآلِي[1]

وله من قصيدة، مطلعها: [الكامل]

تلك الديارُ وهذه أعْلامُها فسَلِ المَدامع أن يجود سِجامُها[2]
واطلُب لها من طَرْفك السُّقْيا إذا أبَتِ الثُّريّا أن يَصُوب غَمامُها
واخبِسْ بعَقْوتها المَطِيَّ مُسائلاً في مَ اسْتباح دماءَنا آرامُها[3]
فلعل سُعْدَى أن تُساعد باللقا وعسى سُلَيمى أن يزور سلامها
لله مسرحُ لهوِها ومَراحُه ومحِلُّها حيث الهوى ومُقامُها
إذ كان بالبِيض الأوانِس جِيدُها حالٍ وظَلَّك أثْلُها وثُمامُها[4]
ومَرادُ طَرْفك كلُّ من فضَح القَنا وجَلا الظلامَ جَبِينُها وقَوامُها
لو أنها عرَضتْ لِذمٍّ كنيسةٍ سجدُوا وهانتْ عندهم أصْنامُها
أو خاطبَتْ مَيْتاً تقادَم عهدُه لأذاقَه طعمَ الحياة كلامُها

---

(١) الودقة: نقطة دم تكون في العين أو مرض يصيب العين. اللسان مادة (ودق).
(٢) السجام: الدمع. اللسان مادة (سجم).
(٣) الآرام: جمع إرَم: وهي الحجارة. اللسان مادة (ارم).
(٤) الثمام: نبات في البادية. اللسان مادة (ثمم).
الأثل: شجر عظيم، خشبه جيد. اللسان مادة (أثل).

Marfat.com

لَفّاء هيفاءُ القَوام سِبَخلَةٌ يُضْبِي الحليمَ جلوسُها وقيامُها[١]
أثْرَتْ رَوادِفها وأمْلَق خَصرُها فتكاملتْ قَصْداً وتمّ تمامُها
كيف التخلُّصُ من هوى فتّاكةٍ يفْتاد آسادَ العَرين غرامُها
رفع الجمالُ حجابَها لكنها كالشمسِ أعْيَى الطالبين مَرامُها
يا قلبُ دَعْ ذكرَ الصبابةِ للذي يحلُو بفِيه زُعافُها وسِمامُها[٢]

وله من أخرى، مستهلها: [الكامل]

ما صاح صاحِي الوُرْق في ألحانِه إلا وأذْكره بديعُ بيانِهِ
وإذا تنازَعه اللوائمُ في الهوى ذكر العَقِيقَ فسحّ من أجْفانِهِ
كَلِفٌ إذا هبّت به نَجْديّةٌ يذكو بها ما سَحّ من أجفانِهِ
مُغْرىً بذكْر العامريّةِ مغرمٌ ظامٍ إلى عذبِ العُذَيْبِ وبانِهِ
يُخْفي جَوىً لو حلّ يَذْبُلَ بعضُه دُكّت هِضابُ الشمّ من أركانِهِ
ويروم إغضاء الجفون على القذى فَرَقاً فيُعرب شأنُه عن شأنِهِ
يا لائِمِي في حبّ أهْيفَ لو بدا للبدرِ لم يَغْدُه من أقرانِهِ
مُتمنِّع يزْنُو بناظرِ جُؤذُرٍ وَيْلايَ من وَسْنانِه وسِنانِهِ[٣]
أأُذاد عن مِضْمارِ حَلْبة حبّه وأنا المُجلّي وَيْك خيلَ رِهانِهِ
أتلومُ من أودَى بمُهْجته الهوى لا كان إن يَكُ هَمَّ في سُلْوانِهِ
حسْبي بما ألْقاه من ألمِ الجوى ما قد ترى والعمرُ في رَيْعانِهِ
لو أن بالفلَك المُحيط ذُبالةً من حُزقتي ألهثْه عن دَوَرانِه[٤]
أو حَلّ وَجْدي بالكواكب لانْبَرَى بَهْرامُها يشكو إلى كيوانِه
أو غَال رَضْوَى بعضُ ما قد غالني لرأيتَه كالعِهْن قبل أوانِهِ[٥]
أو كان يُسعِدني على قَدْر الهوى دمعي لَثَمْ الأرض من طُوفانِه

---

(١) السبحلة: الضخمة. اللسان مادة (سبحل).
(٢) الزعاف: سمّ زعاف أي قاتل. اللسان مادة (زعف).
السِمام: جمع سمٌ. اللسان مادة (سمم).
(٣) جؤذر: ابن بقر الوحش. اللسان مادة (جذر).
(٤) الذبالة: الفتيلة التي يسرح بها. اللسان مادة (ذبل).
(٥) غال: أهلك. اللسان مادة (غول).

Marfat.com

ولقد سلكْتُ الحبَّ لا غِرّاً به وعرفتُ كُنْه خَفيِّه وعَيانِهِ
وعلمتُ إذ ذُقْت الغرامَ بأنني حاسٍ بكأس جَميلِه وأبانِهِ

١٠٤- عبد اللطيف البَهائيّ البَعْلِيّ

فاضلٌ مِلْءَ أبْرادِه، جَمُّ الفوائد في تحْريره وإيراده.

أدبه غَضّ، ومذهبه مُبْيَضّ.

ولُطف طبعه معتدل بين الإفراط والتفريط، وله نثر ونظم حَلّيا الأجْياد والآذان بالتنْظيم والتقْريط.

هو وإن كان بَعْليَّ الطِّينة، فهو دمشقيُّ المدينة.

ورَدها وعُنْفوانه زَاه وشَرْخُه، وفارقها وقد استمْجد في البراعة عَفارُه ومَرْخُه[1].

وبها كان تلْيين خُشونته، وتسهيل صعوبته وحُزونته.

إلا أنه نازَل همّاً مُمِضّاً، وسامَر أسفاً للمَضاجع مُقِضّاً.

وكان مُشاراً إليه بالنباهة، مرموقاً أن يتنبَّه حظُّه بعضَ انتباهَة.

ثم دخل الرُّوم فأسرع البَخْت[2] إلى إمْداده، وتمنَّت سُود الحَدَق لو كانت عِوَض مِدادِه.

فبقِيَ في ذلك الأُفق وهو مُلْتاح[3]، وكل قلب إلى تودُّده مُرتاح.

١٠٤- عبد اللطيف بن بهاء الدين بن عبد الباقي البعلي الحنفي، المعروف بالبهائي.
القاضي الأجل الأفضل، كان بارعاً في كثير من الفنون فارساً في البحث، نظاراً، مفرط الذكاء، قوي الحافظة، كثير الاشتغال، حسن القصيدة. قرأ ببلده بعلبك على جده لأمه العلامة محمد البهائي ثم قدم إلى دمشق وعمره ست وعشرون سنة ولزم بها الشرف الدمشقي، والإمام يوسف الفتحي، وأخذ عنهما وبرع، ثم سافر إلى الروم وسلك طريق القضاء إلى أن ولي أكبر المناصب ببلاد الروم، ثم انحاز إلى المفتي العلامة يحيى بن عمر المنقاري فقربه وأدناه ونقله من طريق القضاء إلى طريق الموالي فأعطاه قضاء طرابلس الشام ثم بلغراد، ثم قلبه. وألف تآليف حسنة تدل على قوة باعه في العلوم منها: (شرحه على فصوص ابن عربي)، ونظم متن المنار في الأصول في تسعمائة وثلاثة أبيات سماه (قرة عين الطالب) وهو عدد أبياته، ثم شرحه شرحاً لطيفاً وعنونه باسم الوزير أحمد باشا الفاضل، وله شرح على ديوان أبي فراس.
وكانت وفاته في سنة اثنتين وثمانين وألف، بقلبه وهو قاضٍ فيها. ا هـ. خلاصة الأثر (٣/ ١٤).

(١) العفار: شجر يتخذ منه الزناد.
المرخ: شجر سريع الوري، وهاتان الشجرتين من أكثر الشجر ناراً. اللسان مادة (مرخ).
(٢) البخت: الجد. اللسان مادة (بخت).
(٣) ملتاح: لاح إذا بدا وتلألأ. اللسان مادة (لاح).

Marfat.com

ثم ترامَى في وُسْع الفضا، فأصبح فيه كُرةً لصَوْلَجان[١] القَضا.

وما زال حتى نال من حظِّه أتمَّه، واستوفَى أجلَه المحتومَ ثمَّة.

فطواه الدهر طَيَّ السِّجِلّ، ومحا آثارَه التي تسمُو وتجِلّ.

ولقد أوردتُ له من شعره ما يقْضِي بجَودته المُتخيِّر، ويبْهر حسنُه الفكرَ فيغدو عليه كالواقف المتحيّر.

فمن ذلك قوله من فَتْحيّة للسلطان محمد، لما أرسل وزيره الفاضل ففتح إيوار، وزَند الدولة إذ ذاك وَار[٢]، وشخصُ تلاشِيها مُتَوار، ونافذُ أمرِها لمِغْصَم الامْتثال سِوار.

فحلَّ في ناحيتها بجيشٍ ضاق بهم فَضَاؤها، وتضَعْضَعت من رَحْبتهم أعْضاؤها.

ودارت بينه وبين الكفَّار للحرب كؤوس، ترامتْ منهم بسببها نحو الهُلْك أنفسٌ ورؤوس

فحامت المَنايا عليهم، وغدت ألْسنةُ البِيض تتلمَّظ عليهم.

فكأنهم هَشِيمٌ حصدتْه ظُبا السيوف، وقضتْ دُيونَ أنفسهم غرماءُ الحُتوف.

ثم افتتح القلعة، وسهَّل تلك الصعوبة والمَنعة.

وتواردت البشائر بأن الله وَهب الظفَر، وأحاق سُوءَ العذاب بمن كفَر.

فعمل البَهائيّ قصيدتَه هذه وسَيَّرها، وهي قصيدة معمورة ومطلعها: [الكامل]

بالفتح زاد الدِّينُ عزّاً واغْتِلاَ ... والله أعْظَمَ مِنَّةً وتفضُّلاَ

بالنَّصر أنجز وعدَه سبحانه ... وأعزّ جندَ المسلمين أولي الوَلاَ

هبُّوا كما هبَّ النسيمُ إذا سرى ... يغْتصُّ عُرْضُ الأرض منهم والفَلاَ

في جَحْفلٍ ستروا البسيطةَ كثرةً ... لم تُلْفِ مثلَهم النواظرُ جَحْفلاَ

أرْبَوْا على التَّعداد حصراً واعتلَوْا ... من حيث لا أدري أواخرهم ولاَ

فكأنَّ وجهَ الأرض حَلْقةُ خاتم ... بهمُ وماء البحر قطْر أُسبِلاَ

ثبتُوا ثَباتَ الرَّاسياتِ تصبُّراً ... من يَلْتقيهمْ يَلْقَ منهم أجْبُلاَ

---

(١) الصولجان: فارسي معرب وهو العصا يعطف طرفها يضرب به الكرة على الدواب. اللسان مادة (صلج).

(٢) الزند: موصل طرف الذراع بالكف. اللسان مادة (زند).
الواري: السمين من كل شيء. اللسان مادة (وري) وهي هنا كناية عن عظمة الدولة وقوتها.

Marfat.com

شاكي السِّلاحِ بكلِّ أبيَض مِخْذَمٍ ... ما شِيمَ إلا قد أصاب المقْتلاَ
حتى إذا حَمِيَ الوَطِيس لدى الوغى ... لم تلْقَ إلا باسلاً مُستبْسِلاَ
أنِفتْ سيوفُهمُ الغُمودَ فلا ترى ... إلا صَقِيلاً في نَجِيعِ أنْهلاَ
سالتْ به البَطْحاءُ حتى لا ترى ... طِرْفاً بغير دمِ الرِّقاب مُحجَّلاَ
من كلِّ عِلْجٍ ذاهلٍ عن نفسِه ... إذ لا يرى مَنْأىً ولا مُتحوَّلاَ
مُلِئَ اللعينُ مخافةً لمَّا رأى ... في الحربِ شدَّتَهم وزاد تَزَلْزُلاَ
فغدا يُنادِي حسرةً وتأسُّفاً ... يا ويْلتاه العمرُ ضاع سَبَهْلَلاَ
من بعد ما قد شَبَّ نِيرانَ الوغَى ... بغُرورِه تَغْساً له ما أشْعلاَ
عدَّ الهزيمةَ والفِرارَ غنيمةً ... أنِفَ الإقامة خوف أن يُستأصَلاَ
أوَ ما يحقُّ له الفرارُ وقد رأى ... ما لا يُطيق من الغُزاةِ تحمُّلاَ
جلَب الغُزاةُ بخيْلهم وبرَجْلهمْ ... جَلْباً عليهم ما أشدَّ وأثْقلاَ
فعُلوجُهم جَزْرُ الظُّبا ونساؤُهم ... أسْرَى تئِنُّ تذلُّلا وتهوُّلاَ
تبكي عليهنَّ البَطارِقُ حسرةً ... كالوُرقِ في جنح الدجى وتمَلْمُلا
وبقيَّةُ الأسياف منهم شذَّبُوا ... أيدٍي سَبَا تخِذُوا الهزيمة مَعْقِلاَ
ما ضَرَّهم لو سالموا من قبلُ أو ... أدَّوْا كما شُرِع الخَراجُ تبَذُّلاَ
ما كان قيصرُ أو هِرَقْل وتُبَّعٌ ... أو سيفُ ذِي يَزَنٍ وكسرى أوَّلاَ
وهلُمَّ جَرّاً مثل أدْنى خادمٍ ... لخليفةِ الله المعظَّم ذي العُلَى
ملكُ الورى أسَدُ الشَّرَى سامي الذُّرَى ... حامِي حِمَى الدينِ القويم المَوْئِلا[1]
شمسُ المعالي ابن بَجْدَتها الذي ... قد حلَّ في أوْج السعادة واعْتلَى
ملكٌ علا في المجد أعْلَى رُتبةٍ ... أنِفتْ تكون له الثُّريَّا منزِلاَ
تغنُوا ملوكُ الأرضِ قاطبةً له ... أبداً وتسعَى خِيفةً وتذَلُّلاَ
تخْشى سطاهُ الأُسدُ في آجامِها ... فتذوبُ منه تضاؤُلاً وتغَلْغُلاَ
قسَماً بطَلْعته إليْهَ صَادقٍ ... في حَلْفه بَرَّ اليمينِ إذا ائْتَلى
لم تسمحِ الأيامُ قطُّ بمثلِه ... ملِك تعمَّم بالتقى وتسَرْبَلاَ

(١) الشرى: طريق في سلمى كثيرة الأسود. اللسان مادة (شرى).
الموئل: الملجأ. اللسان مادة (وأل).

Marfat.com

لـم يُخصِ مادحُه جميلَ صفاتِه ... كلاً ولو أفنَى القريضَ تسلسُلاَ
لم يألُ جهداً في الجهاد ولم يزلْ ... يسعَى بإرسالِ الجيوش مُكمَّلاَ
في نُصْرة الدين المُبين مجاهداً ... بَرّاً وبحراً للعساكر مُرسِلاَ
عن حَوْمةِ الإسلام ذَبَّ عِداتِه ... وأباد عُبّادَ الصليبِ وزَيَّلاَ
ما زال يضرَع في الدعاءِ لربِّه ... سِرّاً وجَهْراً مُجمِلاً ومفصِّلاَ
مُتوجِّهاً بخلُوص قلبٍ صادقٍ ... فيما انتحاه تضرُّعاً وتبتُّلاَ
فأتتْه بُشْرى الفتح وهو مُلفَّعٌ ... ثوبَ السعادة بالجلال مُسَرْبَلاَ[1]
مُستيقِناً بحُصوله ومؤمِّلاً ... من ربِّه إتْمامَه متوكِّلاَ
لا زال تأتيه البشائرُ دائماً ... أبداً وتخدمه المفاخرُ والعُلَى
وأدامه عَوْناً وغَوْثاً للورى ... وحَباه ربُّ العرشِ عمراً أطْولاَ
بسَمِيِّه خيرِ الأنام محمدٍ ... والآلِ والصحبِ الكرامِ ذوِي الوَلاَ
ما لاح نجمٌ في السماء لناظرِ ... وأضاء بدرٌ في الدجى وتهلَّلاَ

وله في المدح: [المنسرح]

إليك دون الورَى انتَهى الكرمُ ... ومن أيادِيك تهْطِل النِّعَمُ
لن يبلُغ المدحُ فيك غايتَه ... بل دون مَعْناك تنفَدُ الكلِمُ
أنت الذي تُرتجَى مكارمُه ... وكم أناسٍ وجودُهم عَدَمُ
أنت الذي الدهرُ دون هِمَّتِه ... وفوق هامِ السَّما له قدمُ
مَن ذا يُضاهِيك هِمَّةً وعُلا ... وهل تَساوَى الأنوارُ والظُّلَمُ
طَوْدُ وَقار بالحِلْم مُشتمِلٌ ... بحرُ نَوالٍ بالجود مُلتطِمُ
يُخجِل صَوْبَ الغمام نائلُه ... بل دون هَتّان كفُّه الدِّيمُ[2]
أغتابُه مَأمَنٌ لداخِلها ... من كلِّ هَوْلٍ كأنها حَرَمُ

وله أيضاً: [الطويل]

بأيِّ لسانٍ يحصُر العبدُ شكرَ من ... دَمِي من أيادِيه ولحمِي وأعظُمِي
ومَن عشتُ دهرَاً تحت أكْنافِ ظِلِّه ... أروح بأفضالٍ وأغدُو بأنعُمِ

---

(١) الملفَّع: هو الملتحف بالثوب. اللسان مادة (لفع).
(٢) الهتان: المطر ويقال للسحاب تهتن إذا أمطرت. اللسان مادة (هتن).

Marfat.com

وفُزت بعلمٍ منه عَزَّ اكْتسابُه ... وذاك لَعَمْرِي حسرةُ المتعلِّمِ
ينزِّهنِي في ظاهرِي وسَرائرِي ... بإرْشادِه عن كل رَيْبٍ ومأثَمِ
ويمْنحني مَحْضَ النصيحةِ جاهداً ... يُعلِّمني طُرقَ العُلى والتَّكرُّمِ
ولولاه مَن عبدُ اللطيف ومَن له ... ومن يخدِم الأمْجادَ يشْرُفْ ويكرُمِ
وحسبِيَ من شكرِي اعْترافي بفضلِه ... وتصديقُ قلبي والجوارح والفمِ

وله أيضاً: [الطويل]

مَعاذَ الوَفا أن يُصبح العبدُ خاليَا ... عن الشكرِ للمولى الذي قد وفَا لِيَا
وأنعَمَ حتَّى لم يدعْ ليَ مَطلبَاً ... وأنكَى بما أسْدَى إليَّ الأعاديَا
وكلُّ الذي أمَّلْتُه من نَوالِهِ ... حَظِيتُ به بل فوق ما كنتُ راجِيَا
وفرَّغ عن قلبي سوى حُبِّه الذي ... تمكَّن في قلبي وأنعَم بالِيَا
فغايةُ سُؤْلِي في الزمان رِضاؤُه ... فأقصى المُنى أن كان عنِّي رَاضيَا
ولي نفسُ حُرٍّ قد أبتْ غيرَ حُبِّه ... وحاشا لمثْلي أن يُرَى عنه سالِيَا
وقلبٌ إذا ما البرقُ أوْمَض مَوْهِناً ... قدحْتُ به زَنداً من الشوق وارِيَا
تحكَّم فيه حبُّه واشْتياقُه ... له الحُكمُ فلْيَقْضِ الذي كان قاضيَا
فللَّهِ عيشٌ مَرَّ لي بظِلالِه ... أجُرُّ به ذيلَ المآربِ ضافِيَا
أرُوح بأفضالٍ وأغْدُو بأنْعُمٍ ... ويمْنحني وِرْدَ المحبَّة صافيَا
وفُزتُ بعلمٍ منه عزَّ اكْتسابُه ... وأصبحتُ من حَلْيِ الفضائل حَالِيَا
إذا ما دجَى بحثٌ وأظلم مُشكِلٌ ... أضاء بنور الفكر منه الدياجِيَا
يجول على نُجْبِ الذَّكاءِ بفكْرةٍ ... أبَتْ في الذي تُبدِيه إلاَّ التَّناهِيَا
يُغادر قدماً ذا الذكاء دقيقُها ... ولا عجبٌ فالشمسُ تخفِي الدَّرارِيَا
يفُوق على البحر الخِضَمِّ بعلمِه ... ويرْجَح في الحِلم الجبالَ الرَّواسِيَا
يُسابق أجْنادَ الرياحِ إلى النَدى ... ويفضحُ جَدْوَى راحتيْه الغوادِيَا
نظمتُ له عِقْدَ المديح مُنضَّداً ... جعلتُ مكان الدُّرِّ فيه القوافيَا
فلا زال مَلْحوظاً بعينِ عِنايةٍ ... من الله في أَوْج المفاخر راقيَا
مدى الدهر ما لاحت بُروق لناظر ... ودام على كرِّ الجديدين باقيا

Marfat.com

١٠٥- حسن بن درويش الكاتب الطَّرابُلُسِيّ

شاعر مادح، طيرُ فصاحته صادِح، وزَنْد براعته قادح.

ومُنْشٍ كاتب يجلُو دُمىَ كواعِب، بألباب الرجال لَواعِب.

خطُّه حسَن كاسْمِه، وله القيام على رَسْم الأدب ووَسْمِه.

فكأن مِدادَاه مركَّب من أجزاء القلوب، ففي كل قلبٍ من خطِّه شَهوة تدعُو إلى المطلوب.

وكان خرَج من بلده حَماة وهو كَهل، ورحل بطَرابُلُس بين كنَفِ رَخْبٍ ومسرحِ سهْل.

فاسترجع بها شبابَه، واستمْطر وَبْلَه ورَبابه.

فزهَتْ به أرجاؤُها وباهتْ، وفخَرت به سكَّانُها وتاهتْ.

فعكفَ في نَدِيِّها الخَضْر، يتقلَّب في العيش النَّضْر.

ويأتي من النظم بما هو أعطرُ من السَّحِيق، ومن النثر بما هو أبْهر من دَرِّ الحَباب على خدِّ الرحِيق.

وقد أثبتُّ له من شعره قصيدتين لكل منهما من الحسن علامة، فإحداهما كافيَّةٌ كافيَة والأخرى لاميَّة عليها من النُّضار لامَة.

فالأولى قوله، وقد مدح بها الأمير مَنْجَك[1]: [م. الرجز]

مـالِـكـتـي تـمـلْـكِـي ... الـنـفـسُ لـن تَـمـلْـكِ
وهْـيَ لـك أطـوعُ مـن ... رَعـيّـةٍ لـلـمـلِـكِ
إن تـأمـرِي تُـطِـعْ وإن ... تـذعِـي بـهـا تُـلـبَّـكِ
لِـم تـسْـتُـريـن طَـلْـعـةً ... فـيـهـا حَـلاَ تـهـتُـكِـي
مَـهْـلَـكِ بـي يـا مَـطْـلـبِـي ... دونَـك ألـفُ مَـهْـلَـكِ
فـإن بـعـذتِ تـخـرِقـي ... وإن دنَـوتِ تـفـتـكِـي
وإن صـبـرتُ لـم أُطِـقْ ... وإن خـضـعـتُ تـزمُـكِـي[2]
وإن طـرقـتُ خِـفـيـةً ... أهـلَـكُ بـيـن أهـلِـكِ

(١) تنسب الأرجوزة أيضاً إلى النحاس. انظر: ديوان ابن النحاس (١٩٩).
(٢) الزّمكة: السريع الغضب. اللسان (زمك).

Marfat.com

أيــن لِـطـيْـر مـهـجـتِـي الْـ ... خَــلاصُ مـــن ذا الـــشَّـــرَكِ
عـيـشُ الـخَـلِـيِّ قـد صـفَـا ... يـــا قـلـــبُ فـاسْـلُ واتْـرُكِ
واقـصِـد بـنـا سـبـيـلَ مـن ... راح خـلِـيّـاً واسْـلُـكِ
مـا مَـن يـبِـيـتُ شـاكـراً ... كـمـن يـبـيـتُ يـشْـتـكِـي
فـاخْـلَـعْ عـلـى الـعـشـاقِ ثـوْ ... بَ جـسـمِـك الـمُـنْـهـتِـكِ
وانـتـهـزِ الـفـرصـةَ قـبـ ... ـل فَـوْتِـهـا واسـتـدْرِكِ
هـذا الـربـيـعُ مـقـبِـلٌ ... يـصـحـبُ آلَ بَـرْمَـكِ
يـكـسُـو لأعـطـافِ الـرُّبَـى ... غـلائـلاً لـم تُـحَـكِ
وحـلَّ فـي نُـحـورِهـا ... عـقـودَ دُرِّ الـحُـبُـكِ[1]
حـتـى كـأنـمـا بـهـا ... مـجـلـسُـنـا فـي الـفَـلَـكِ
والـنَّـرْجِـس اصـطَـفَّ ومـا ... أحـسـنَ صَـفَّ الـمـلِـكِ
زَبَـرْجَـدٌ فـي فـضـةٍ ... فـي ذهـبٍ لـم يُـسْـبَـكِ
يـرنُـو بـلَـحْـظِ عـاشـقٍ ... بـمَـدْمـعِ الـطَّـلِّ بُـكِـي
والـوردُ مـن سَـكْـرتِـه ... عـلـى الـغُـصـونِ مُـتَّـكِـي
تُـمـسـك أذيـالُ الـصَّـبـا ... بـكـفِّـه الـمُـمَـسَّـكِ
كـوَجْـنـةِ الـعَـذْراءِ إن ... قـلـت لـهـا هَـيْـتُ لَـكِ
والـنَّـهـر فـي يـد الـنَّـسِـيـ ... ـم كـالـقـبـا الـمُـفـرَّكِ[2]

من قول القَيْسَرانِيّ في وصف غدير: [الكامل]

وإذا الـصَّـبـا هـبَّـتْ عـلـيْـ ... ـهِ أتـاك فـي ثَـوْبٍ مُـفَـرَّكْ

****

ولـلـغـصُـون حـولَـه ... دلائـلُ الـمُـتَـهـمِـكِ
ألـقـتْ شِـبـاكَ الـظِّـلِّ فـاضْـ ... ـطـادتْ خـيـالَ الـسَّـمَـكِ
والأقـحُـوان ضـاحِـكٌ ... بـمَـبْـسِـمٍ لـم يـضـحـكِ
والـيـاسَـمِـيـنُ عَـرْفـه الْـ ... غَـضُّ لـه عَـرْفٌ زَكِـي

---

(١) الحبك: النجوم. اللسان مادة (حبك).
(٢) القبا: تقويس الشيء وثنيه. اللسان مادة (قبا).

Marfat.com

والـــطـــيـــرُ مـــن مُـــغـــرِّدٍ ... ووَالِـــــهٍ مُـــــرتـــــبِـــــكِ
فـــي روضـــةٍ كـــأنـــهـــا ... وصـــفُ الأمـــيـــرِ مَـــنْـــجَـــكِ
مَـــن حـــار فـــي أوصـــافِـــه ... كـــلُّ لـــبـــيـــبٍ وذكِـــي
بـــحـــرٌ وفـــيـــه بـــالـــثَّـــنـــا ... ألـــسُـــنُـــنـــا كـــالـــفُـــلـــكِ
تـــرى الـــعـــيـــونُ عـــنـــده الْـــ ... ـــبـــحـــارَ مـــثـــلَ الـــبِـــرَكِ
لـــه أكـــفٌّ مُـــسْـــكـــتْ ... سُـــنَّـــة غـــيـــرِ مُـــمْـــسِـــكِ
تـــفْـــتـــك فـــي أمـــوالِـــه ... فَـــتْـــكَ الـــمَـــهَـــا فـــي نـــسُـــكِ
وفـــكـــرُه أهْـــدَى لـــنـــا ... وَشْـــيَ بـــلادِ الـــيَـــزْبـــكِ
مـــن كـــلِّ بـــيـــت يـــخـــتـــوِي ... ابْـــنَـــةَ كـــســـرى الـــمـــلِـــكِ
مَـــشَـــتْ بـــه لاهـــيـــةً ... عـــن عِـــقْـــدِهـــا الـــمُـــفـــكِّـــكِ
فـــالـــدُّرُّ مِـــلْءُ مـــسَـــمَـــعِـــي ... مـــنـــه ومِـــلءُ الـــحَـــنَـــكِ
مـــلـــكـــتَ رِقِّـــي ســـيـــدي ... أفـــدِيـــك مـــن مُـــمَـــأَلِـــكِ
أدركـــتَ كـــلَّ فـــائـــتٍ ... وفُـــتَّ كـــلَّ مُـــدْرَكِ
لـــك الـــمـــعـــالـــي وعـــلـــى الـــ ... ـــفـــضـــل ضـــمـــان الـــدَّرَكِ

هذا من قول ابن النَّبيهِ: [السريع]

واللهِ لا زلـــتُـــمْ مـــلـــوكَ الـــورى ... شـرقـاً وغـربـاً وعـلـيَّ الـضـمـانُ[1]

وللهزْمُزِيّ: [المتقارب]

بِـــنـــخْـــسِ أعـــادِيـــك دار الـــفـــلَـــكْ ... ومـــا دار يـــومـــاً بـــســـعْـــدٍ فَـــلَـــكْ
وإن هَـــمَّ دهـــرٌ بـــمـــا لا أقـــول ... فـــنـــفْـــسِـــي الـــفِـــدا وعـــلـــيَّ الـــدَّرَكْ

وهذه القصيدة الثانية، وهي في مدح الأمير أيضاً: [الخفيف]

غُـصـنٌ أيْـنـعـتْ قـطُـوفُ دَلالِـهْ ... يُـجْـتَـنى الـحـبُّ من رياض جـمـالِـهْ
ورَشـاً فـي مَـرابـضِ الأسْـد تـحـمِـيـ ... ـهِ وتُـذْعَـى بـعِـمْـه وبـخـالِـهْ
فـاتِـكٌ يـحْـذَر الـفـؤادُ تـمـنِّـيـ ... ـهِ ويـخْـشَى الـضـميرُ فكرَ وِصـالـهْ
أوْقـف الـسُّـهـدَ فـي طـريـق رقـادِي ... غَـيْـرةً أن يـزورنـي بـخَـيـالِـهْ
وتـرُدُّ الـعـيـونَ عـنـه عـيـونٌ ... قـتـلـتْ مَـن رآه قـبـل قـتـالِـهْ

(١) ديوان ابن النبيه (١٥٩).

Marfat.com

أعجز الشمسَ وهْي تنصُب في الأر ض حبَالاً وقوعُ صَيْدٍ ظلالِهْ
بل على وَضْلِه يُحِيل بوغْدٍ وأراه مُخادعاً بمِحالِهْ
كم كَسانِي بالوعدِ ثوبَ حياةٍ وغدا بالِياً بطُول مِطالِهْ
واحدُ الحسنِ كان من قبلُ لكن قد ترقّى مُذ شِمْتُ نقطة خالِهْ

يريد أنه بالترقّي صار عشرة جَزْياً على أن الحسَنة بعشر أمثالها.

وأفصح السيد محمد العُرْضِيّ عنها، في قوله: [الخفيف]

ألِفُ القَدّ زانَها نُقطةُ الْخا لِ فصارتْ وواحدُ الحسنِ عَشْرَهْ

وفي «شفاء الغليل» للشهاب: حسَنة بمعنى الشامة والخال، مولدة مشهورة. قال: [المنسرح]

بِخَدِّه شِمْتُ شامةً حُرِقتْ فقلتُ للقلبِ إذْ شكا شجَنَهْ
لا تَشْتكِي مِن نارِ مُهْجتي حُرَقاً فإنَّ في الخالِ أُسْوة حسنَهْ

****

لِيَ هُزْءٌ إذا تنفَّس بالمِسْـ ـكِ وهُزْءٌ إذا رنَا بغزالِهْ
وأرى البدرَ عنده لا يُساوِي دِرهماً والهلالَ إحدَى نِعالِهْ
هاك من ظُفْرِه هلالاً وإن شِئْـ ـتَ نجوماً هاك من خَلْخالِهْ
واستلمْ من يمينِه الكأسَ شمساً مثلها من إنائِها في شمالِهْ
وتأمَّلْ إذا تبسَّم دُرّاً وحَباباً طفَى على جِزيالِهْ
ملِكٌ كلُّ مُهْجة من رَعايا . هُ وكلُّ الغرامِ من عمّالِهْ
أنا والناسُ من هواه ومن صُذْ غَيْه في سِجْنِه وفي اغْلالِهْ
يسترِقُّ القلوب بالحُسن لكن مَنْجَكٌ يسترِقها بكمالِهْ
هو بحرٌ تموَّج الفضلُ فيه وبدا الدُّرُّ من فصيح مَقالِهْ
وهْو غَيْثٌ مَن استغاث يديْهِ أمْطرتْ بالغِنَى رُبَا آمالِهْ
وهْو للمجد دَوْحةٌ حيث أغنا قُ رَجانا مُطوّقاتُ نَوالِهْ
كلُّ أيامنا ربيعٌ بلُقْيا هُ ومن لُطْفه نسيمُ اعتدالِهْ
كلُّ روضٍ فمُخصِبٌ بسجايا هُ وغصنٍ فمثمِرٌ بخِصالِهْ
لبِس الفخرَ فالمكارمُ في أطْـ ـواقِه والعَفافُ في أذْيالِهْ

Marfat.com

كـلُّ وقـتٍ بـجُـوده فـي يـديـه غـارةٌ شَـنَّـهـا عـلـى أمْـوالِـهْ
لـم يـدعْ درهـمـاً ولا ديـنـاراً غـيـرَ شـاكٍ نُـقـوشـه عـرض حـالِـهْ
فـتـرى الـدهـرَ مُـسْـتـجـيـشـاً عـلـيـه وتـرى الـدهـرَ لا يـمـرُّ بـبـالِـهْ
شـغـلـتـه هِـبـاتُـه والـمـعـالِـي مـا رِضـاءُ الـزمـان مـن أشْـغـالِـهْ
شِـيَـمٌ لـم تـكـنْ لـغـيـرِ أبـيـهِ وأخـيـه وأقـربـاهُ وآلِـهْ
أشـرقـتْ شـمـسُـه وغـابُـوا نـجـومـاً ونـجـومُ الـبـاقـيـن حـول هـلالِـهْ
مـنـه أبْـقَـى الـزمـان واسِـطَـة الـعِـقْـدِ الـذي بَـدَّدتْـه أيـدي اغْـتـيـالِـهْ
هـو دُرٌّ فـمَـن رآه يـتـيـمـاً عـرف الـدهـرَ مـا جـنَـى بـفِـعـالِـهْ
يـا مُـعِـيـداً زمـان آبـائـه الـمـا ضِـي بـإقْـبـالِـه إلـى اسْـتـقـبـالِـهْ
أنـت لـلـجـودِ والـفـضـائـلِ ظـلٌّ لا أرانـا الإلـهُ وقـتَ زوالِـهْ

وله في التضمين: [البسيط]

قالت لنا قهوةُ العنقودِ حين رأتْ لـقـهـوة الـبُـنِّ قـدراً فـي الأنـام عَـلِـي
لـئِـن عـلانـيَ مَـن دونـي فـلا عـجـبٌ لي أُسْوةٌ بانْحطاطِ الشمس عن زُحَل

وقد سبقه مَاماي الرُّومِيّ، إلى هذا التضمين في قوله: [البسيط]

قد قالت القهوةُ الحمراءُ وافتخرتْ كـم قـد ملكتُ ملوكَ الأعصُرِ الأُوَلِ
وقـهـوة الـقِـذْرِ إن قَـذراً عـلـيَّ عـلَـتْ لي أُسْوةٌ بانْحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ

١٠٦- عبد الجليل بن محمد الطَّرَابُلُسِيّ

لقِيتُه بمكة مُجاورَ عزلةٍ وسكون، ومُعاهِد تبتُّلٍ إلى الله ورُكون.

وفيه سَجايا لِطاف، وانْجِذابٍ نحو القلوب وانْعطاف.

وبيني وبينه مُصافاة، أكَّدتْها بالقاهرة مُراعاة ومُوافاة.

وقد أنشدني أبياتاً من نتائج فكره، لم أرَ لاستحساني لها بُدّاً من ذِكْره.

وهي: [الوافر]

مـتـى خَـفَـقـانُ قـلـبٍ يـسْـتـكِـنُّ وقـلـبُ حـبِـيـبـيَ الـقـاسِـي يـجِـنُّ
ويُـنـعِـم بـالـلِّـقـا كـالـبـدرِ لـيـلاً ويـبْـسَـم عـن رِضـاً لـي مـنـه سِـنُّ
أقـول لـه ألا يـا أيُّـهـا الـ غـزالُ الأغْـيَـدُ الـرَّشـأُ الأغَـنُّ

Marfat.com

لـقـد أبـلَـيْـتَ بـالإعـراضِ صَـبّـاً إذا لـــم تُـــولِـــه وُدّاً يُـــجَـــنُّ
إذا عـرف الـحـبـيـبُ لـه وِدادِي فـــذلـــك مـــنـــه إحْـــســـانٌ ومَـــنُّ

١٠٧- رجب بن حجازي المعروف بالحرِيريّ الحِمْصِيّ

هذا رجب، الذي فيه العجب، شاعر ذَيّق، إلاّ أن خُلقه ضَيّق.
وعلى قدر ما توسَّع سَغْياً، حُرِم مَبَرّةً ورَغْياً.
لبَذاءة في لسانه، ووَحْشة ذهبتْ برَوْنق إنسانه.
يتلذَّذ بالعَيش الضَّنْك، تلذُّذ الأجرب بالحَكّ.
ولا يُرى إلا على جناح طائر، فليس يقَرُّ له قرار إلا وله عزيمة سائر.
كأنه الخبر الشَّرُود، أو الوحش المطْرود.
وهو باقِعة مُحاجاة، وبائقة مُهاجاة.
يتلفَّت إلى الهجا، تلفُّت القلوب إلى الرَّجا.
وله في المُجون فنون، عُدَّ فيها من أهل الأهواء والفُتون.
وأما غيرُها من الأشعار والأزْجال، فهو فيها كثير التردِّي قليلُ المَجال.
وقد أثبتُّ له ما لا أراه مُخِلاّ، بل تبوّأ للإحسان منزلاً ومحِلاّ.
فمنه قوله، من قصيدة طويلة مستهلها: [المتقارب]

أبَـى الـقـلـبُ إلا غـرامـاً ووجـدَا وطَـــرْفـــيَ إلا بُـــكـــاءً وسُـــهْـــدَا
فـلـم يـبـرحِ الـصـبَّ تـبْـريـحُـه ولا الـدمـعُ راق ولـم يُـطْـفِ وَقْـدَا
فـلـولا الـنَّـوَى مـا أِلـفْـتُ الـبـكْـا ولا كـان بـالـسُّـقـم جـسـمـي تـردَّى
ولا أُبْـتُ أرعَـى نـجـومَ الـدجـى ولا كـان عـنـي مَـنـامِـي تَـعـدَّى

١٠٧- رجب بن حجازي الحمصي الأصل، الدمشقي المولد، المعروف بالحريري.
كان صحيح التخيل في الأشياء إلا أنه يغلب عليه جانب الهجو في تخيله والإزراء حتى بنفسه، جيد النقد في الشعر، مع أنه لا يعرف العربية، وزاناً بالطبع وإن عرف شيئاً من العروض، وله الكثير من الأزجال، والرباعيات، والمواليا، والموشحات، والتواريخ، والأحاجي، وكل ذلك كان يقع له من غير تكلف روية بحيث أنه في ساعة واحدة ينظم مائة بيت ومثلها قطعة أو قطعتين من الزجل والموشح، وقس على ذلك البواقي، وكان قليل الحظ كثير السياحة، لم يسعه مكان ولم يقر له قرار وكانت سياحته مقصورة على حلب ومصر ودائرة الشام، وحج وجاور بالحرمين سنتين، ولم يزل شاكياً من دهره، باكياً على سوء بخته.
وكانت وفاته بحلب في صفر سنة إحدى وتسعين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٢/ ١٦٠).

Marfat.com

فـأوّاه صـبـري مـضَـى لـم يـعـدْ وأمـا اشْـتـيـاقـي فـلـم يُـخْـصَ عَـدّا
ومـالـي مُـعِـيـن سـوى أدمـعـي وقـلـبٍ لـصَـدُّ الـهـوى مـا تـصـدّى
فـلـو بـالـكـواكـب مـا بـي هـوَتْ وإلا عـلـى يَـذْبُـلٍ كـان هَـدّا
تُـذكّـرنـي سـاجـعـاتُ الـريـاض حـبـيـبـاً ورَبْـعـاً رَبِـيـعـاً ووُدّا
ومـا كـنـتُ أنـسـى ولـكـن تـزيـد وُلـوعِـيَ قُـرْبـاً وصـبـريَ بُـعْـدَا
رعـى اللهُ رَبْـعـاً نـعِـمْـنـا بـه وعـهـداً أِلـفْـنـاه حـيّـاه عـهـدَا
فـمـا راقـنـي غـيـرُه مـنـزِلاً ولا طـاب عـيـشـاً ولا راق وِزدَا
فـلـلّـه أيـامُ ظَـبْـيِ الـلّـوَى فـمـا كـان أحـلَـى جَـنـاهـا وأجْـدَى
فـيـا مُـنـشِـدي دِرْ مُـدامَ الـهـوى ودَعْ ذكـرَ هـنـدٍ ودع ذكـر سُـعـدَى
ومـالـي ومـا لِـلْـغـوانـي فـكـم تـنـاسـيـتُ مـنـهـنّ صَـدْراً ونَـهْـداً
وكـرِّر حـديـثَـك عـن أغْـيَـدٍ هـو الـظـبـيُ والـغـصـنُ لَـحْـظـاً وقَـدّا
وكـالـبـدر فـي سِـنِّـه والـسَّـنـا لـه نـاظـرٌ مُـرهـف جـاز حَـدّا
فـمـا رقَّ لـي كـالـصَّـفـا قـلـبُـه وقـد لان عِـطْـفـاً رقـيـقـاً وخَـدّا
إذا قـام يُـقـعـده رِدْفُـه فـلـولاه مـا قـلـتُ حُـيِّـيـتَ نَـجْـدَا
غـزالٌ رَبَـى فـي رُبَـا جِـلّـقٍ إذا مـا رنَـا لَـحـظُـه صـاد أُسْـدَا[1]
سـقـى اللهُ وادي دمـشـق الـحَـيَـا ولا زال دَهْـراً أَقـاحـاً ووَرْدَا
تـرى نـهـرَاً سـاكـنـاً صـارمـاً وإن هـبَّ ريـحٌ فـقـد هـبَّ سـردَا
فـلـلّـه مُـزْجِـي الـمـطـايـا إذا قـطـعـت الـفـيـافـي وَجِـيـفـاً ووَخْـدَا[2]
إذا جـئـت جِـلّـقَ وادي الـمُـنـى بـهـا فـاز مـن حَـلّ ضـيْـفـاً ووَفـدَا
فـسـلّـم بُـعَـيـد اسْـتـلام الـيـمـيـنِ عـلـى مـن تـسـامَـى مـقـامـاً ووجْـدَا

وقوله من أخرى، أولها: [المنسرح]

هـل عـنـد ذاك الـحـبـيـبِ مـا عـنـدي مـن الـهـوى والـحـنـيـن والـوُدّ
وهـل عـلـى الـعـهـدِ مـن وثِـقـتُ بـه كـمـا عـهِـدْنـا بـذلـك الـعـهـد
وهـل درَى مـا أصـاب مُـغـرَمَـه ومـا لـقِـي مـن وقـائـعِ الـبُـعْـدِ

(١) جلق: اسم موضع بالشام. اللسان مادة (جلق).
(٢) الوخد: نوع من سير الإبل. اللسان مادة (وخد).

Marfat.com

عـدِمتُ صبْـري والـشوقُ لازمني ... لـزومَ خـالِ الـمـلـيـحِ فـي الـخَـدِّ
وروضـةٍ قـد حـرسـتُـهـا زمـنـاً ... يا هل ترى كيف غصنُها بعدِي
ونَـضْـرةُ الـورد بـعـدنـا بـقـيـتْ ... أم لا بـقـاءَ لـدولـةِ الـوردِ
بِـتْـنـا ولا ثـالـثٌ يـراقـبـنـا ... غـيـرَ ابـنـةِ الـشُّـهْـد وابـنـةَ الـرَّنْـدِ[1]
كـصَـعْـدةٍ لـلـظـلام طـاعـنـةٍ ... سِـنـانُـهـا كـوكـبٌ لـنـا يَـهْـدِي
ومِـن نـعـيـمي بـحُـسـن طـلـعـتِـه ... ظـنـنـتُ أنـي بـجـنَّـةِ الـخُـلْـدِ
ثـمِـلـتُ مـن دُرِّ لـفْـظِـه وحَـلاَ ... لِـمَـسْـمـعـي كـالـسُّـلاف والـشُّـهْـدِ
إن قـلْـتُ مـولايَ قـال مـبـتـسِـمـاً ... لـبَّـيْـك مـاذا تُـريـد يـا عَـبْـدِي
أشكو سهامَ الجفونِ لي قصَدتْ ... وكـدتُ أقْـضـي بـقـولِ ذا قَـضْـدِي
كـأن بـالـسـحـرِ خـمـرةً مُـزِجـتْ ... سُقِيتُ منها فغبتُ عن رُشْدِي
مـا كـان إلا كـبـارقٍ ومَـضـى ... صَـفْـوِي وجـاء الـنـهـارُ بـالـضِّـدِّ
فـراع قـلـبـي الـصـبـاحُ صـارمُـه ... يـا لـيْـتـه كـان دام فـي الـغِـمْـدِ
والـدهـرُ إن راق لـلأديـب فـعَـن ... سَـهْـوٍ وجَـلْـبُ الـهـمـوم عـن عَـمْـدِ

وقوله من أخرى، مطلعها: [الوافر]

لـعَـمـرُك شـرحُ أشـواقـي يـطـولُ ... وأشْـجـانـي وأفـكـارِي تـجُـولُ
وعن صبرِي الجميلِ سألتُ قلبي ... فـقـال وأيـن يـا هـذا الـجـمـيـلُ
وهـا أنـا بـعـده مـالـي مُـقـامٌ ... ولـيـس إلـى تَـلاقـيـنـا سـبـيـلُ
وبـي ظَـمـأٌ إلـى وِرْدِ الـتَّـلاقـي ... ومـن جَـفْـنـي دَماً دَمْـعـي يـسـيـلُ
سُـقِـي زمـنُ الـتَّـدانـي حـيـث كُـنَّـا ... ولا كـان الـرَّقـيـبُ ولا الـعَـذُولُ
وغـصـنُ الـبـان أجْـنِـي مـنـه ورداً ... بـأخـداقِـي وفـي عـقـلـي يـمِـيـلُ
ويُـسـكـرنـي بـدُرٌّ مـن عـقِـيـقٍ ... فـتـخـجـل مـن شَـمـائـلِـه الـشَّـمُـولُ
رقـيـقٌ لان عِـطْـفـاً رَقَّ خَـضْـراً ... وجـار عـلـيَّ نـاظـرُه الـكـحِـيـلُ
يـذكِّـرنـي الـبُـروق لـه ابْـتـسـامٌ ... ويُـشْـجِـيـنـي مـن الـوُزْقِ الـهَـديـلُ
وشِـمْـت الـبـرقَ فـي الـظـلـمـاء سـيـفـاً ... عـلـى ضـعـف الـكـرى مـاضٍ يـصـولُ

---

(١) الرند: اسم نبت طيب الريح. اللسان مادة (رند).

Marfat.com

تُرى الأيام تنظِمنا بمصرٍ ... ويَحظَى في بُثَينته جميلُ
تُرَى ما حالُ ذاك البدر بعدي ... أزاهٍ أم كما عنه يقولوا
ولَيلٍ زارني منه خيالٌ ... سُرِرت به وقد رَقَّ المَلولُ
فأزشفني مُداماً من أقاحٍ ... وجاد بوردهِ الخدُّ الأسِيل[1]
وقد أنكرتُ فيه بنتَ آسٍ ... فقلتُ الآسُ يَهْواه العليلُ
وعهدي فيه كالمرآة صافٍ ... صَقيلٍ كم به فُتِنتْ عقولُ
وكالروضِ النَّضير فقال هذا ... سِياجٌ قلتُ كيف لنا دخولُ
فقال الوردُ ليس له بقاءٌ ... وعهد الآسِ باقٍ لا يحُولُ
فقلتُ الآسُ بغيةُ أهل مصرٍ ... وراغِبُه بِجلَّقنا قليلُ
رفُقتُ فلم أجدْ للوصلِ أصْلاً ... وبان الروضُ والظلُّ الظليلُ

وكان له بمصر رفيق خليع، خطف لِصٌّ عمامتَه وشجَّ رأسه، فكتب إليه يُسلِّيه:

[الوافر]

إمامَ الفضل مَن حاز الكرامَهْ ... لرُزْئِكَ قال طَرْفي للكرَى مَهْ
أقام وقوعُك الأحزانَ عندي ... وقد شاهدتُ أهوالَ القيامَهْ
فكيف وأنت لي خِلٌّ أنيسٌ ... ومِن دون الورى أهْوَى كلامَهْ
ليالينا بكُم سبقتْ تُحاكِي ... ليالٍ قد تقصَّت في تِهامَهْ
تُدير النظمَ ممزوجاً بنثرٍ ... فتُسكرنا ولا صِرْف المُدامَهْ
يمينُ اللِّصِ لا كانتْ وشَلَّتْ ... وعن قُربٍ يُرَى من غير هامَهْ
على خطْف العمامة قد تعدَّى ... ولكن سوف تُدركه النَّدامَهْ
ويأكل لحمَه عَضّاً ويبْكي ... إذا ما الصبحُ قد أبدى ابتسامَهْ
على شيءٍ إذا ما رام بَيْعاً ... فأغلَى قيمةً منه القُلامَهْ
ويقرع سِنَّه أسفاً وغَبْناً ... وليس يفيده قطع السُّلامَهْ
ويُذمِي رأسَه قهراً قِصاصاً ... كما أذماك لَطْماً في الدِّعامَهْ
كرَامٍ رامَ أن يَرْمِي ظَلِيماً ... فطاش السهمُ لم يبلُغ مَرامَهْ
وكانَ غلامُه بالقُرْب منه ... فأزماه ولم يُصب النَّعامَهْ

(١) الأقاحي: الأقحوان نبت طيب الريح وهو البابونج. اللسان مادة (قحا).

Marfat.com

فلا تأسفْ على نسجٍ ضعيفٍ كبيْت العنكبوت بلا إقامَهْ
وحقِّك ليس تنفعهُ بشيءٍ كما في الصيفِ لم تُجْدِ الغَمامَهْ
لقد طالت بحال النَّسْرِ عُمْراً وقد شهدتْ هوازن واليمامَهْ
مخضرمةٌ فلو نطقت لقالت شهدت مُهَلْهِلاً وأبا قُدامَهْ
كذا الرَّقَّا السَّرِيُّ صحبتُ دهراً قدِمتُ عليه بعد أبي دُلامَهْ
وكان مع الحريريِّ اتحادِي ولو لم يَقْضِ ألَّف بي مَقامَهْ

(فصل في وصف عمامة)

عمامة ولِعتْ بها أيدي الزمان، ورفَعت عنها من التمزيق الأمان.

كفؤاد عُزوة في الرِّقَّة، لو أخصيْت نفَقة رَفْوِها زادت على مال الرَّقَّة.

ولِطُول تَرْدادها إلى الرَّقَّا لو أفلتتْ لعرَفت مكانَه، وما جهِلت دُكَّانَه، ولأمكنتْ من قَطْع المسافة إمْكانَه. [الخفيف]

فكأن الأيامَ إذْا أُلْبِستْها نُسِجتْ فوق شَخْصِها العنكبوتُ

وللحرِيريّ مُعمّىً في اسم أحمد: [البسيط]

أفْدِي المليحَ الذي أوصافُه كمُلتْ كالظَّبْيِ لمَّا رنا والبدرِ حين بدَا
في القلب أنزلْتُه لي راق مَبْسمُه والغُصن لما تَثَنَّى قدُّهُ سجَدَا

وله في اسم يوسف: [الخفيف]

ومَليحٍ عزيزِ حُسْنٍ بمصرٍ قَدَّ قلبي وزاد حزني وأكْمَدْ
خَدُّه الشمسُ لاح والصدغُ بالخا لِ حَماهُ حُسامُ جَفْنٍ مُجرَّدْ

وله في اسم رمضان: [الطويل]

وبدرِ كمالٍ لاح في حُلَلِ البَهَا تبسَّم عن دُرٍّ نَظِيمٍ وعن شُهْدِ
كخاتمِ دُرٍّ ثَغْرُه وبلحْظِه حمَى حُسنَه والخالُ في صفحة الخدِّ

وله في اسم عثمان: [م. الكامل]

قد قلتُ يوماً للرَّشا سِرْ بي إلى روضِ الأزاهِرْ
فأجاب إن كان الرقيـ ـبُ هناك طِيبُ العيش نادِرْ

وله في اسم مصطفى: [البسيط]

Marfat.com

يا عاذِلي في أغَرِّ الوجه دعْ عَذَلِي ... لأجْلِه قد ألفتُ الوَجْدَ والحُرَقَا
كم دُرتُ مِحرابَه ظامي الفؤادِ كذا ... دُرْ أنت يا عاذِلي واعذُر فَتىً عشِقَا

وله في حيدر: [الطويل]

سقَى ليلةً زار الحبيبُ وعندما ... أقام وعن قلبي المَشُوقِ نفَى هَمَّهْ
لثمتُ مكانَ العِقْدِ من غير حاجبٍ ... وقلتُ لقلبي قد كفَاك بها نِعْمَهْ

١٠٨- عبد النافع بن عمر الحَمَوِي

ألْمَعِيٌ مشهود له بقوّة إدراكِه، وفيه قابليّة لاختصاصِه ببعض العلوم واشتراكِه.

بلسان أحدَّ من السيف إذا تجرّد من القِراب، وفكرٍ إذا أراد البحر أن يحكيَه في غَوْره وقع في الاضْطِراب.

وله أدب كالروض تفتّقتْ نَسماتُه، وشعرٍ كالصبح تألّقت قَسَماتُه.

لكنه نكّب عن المَطْبَع الجَزْل، وذهب مذهبَ الهَجْو والهَزْل.

إلا في النادر فربما جَدّ، ثم أخْلَق منه ما استجدّ.

وكان دخل طرابُلُس، وبنو سيفا في الوجود، والأمير محمد بينهم كالفضل بين البرامكة في الفضل والجود.

مُنِيل الأماني بلا مِنّة الحَقَب، مُتهلِّل يضَع الهِناء موضع النُّقَب.

وهو مَقصِدٌ يتزوَّد ذكرَه المسافر، ويعمل إلى لقائه الخُفُّ والحافر.

فحل عنده حلول النوم من الأحْداق والمُدام من الأقْداح، وبقِيَ عنده يُتْحفه بدُرِّ الأثنية ويجلب إليه غُرَر الأمْداح.

١٠٨- عبد النافع بن عمر الحموي، نزيل طرابلس الشام، الحنفي، الفاضل، الأديب المشهور.
كان في غاية من الذكاء والفطنة والتضلع من أنواع الفنون، وكان في أول أمره ساقط الرتبة فخدم القاضي محمد بن الأعوج بإقراء أولاده القرآن فجعله كاتباً بمحكمة حماة، ثم إنه ترقى إلى أن أفتى وانفرد بالفتوى من حمص إلى معرة النعمان. وألف، ومن تآليفه: منظومة في العقائد سماها (الرسالة الهادية إلى اعتقاد الفرقة الناجية)، و(تفسير سورة الإخلاص) في مجلد. وشاع ذكره في البلاد الشامية، وكان على شهامته بذي اللسان مغرى بالهجاء، وكان بينه وبين الحسن البوريني ما جرت العادة بمثله بين الفضلاء من التنافر والتنافس، وكل منهما له في حق الآخر أهاج شنيعة، ثم هجا بني الأعوج وأطلق فيهم لسانه، فضاق عليه حمى حماة، فأقلع إلى طرابلس الشام وسكنها، وهناك هجا الأمير ابن سيفا الذي صمم على قتله فهرب منه إلى حلب، وكان يتردد منها إلى البلدان التي بقربها ومنها إدلب الصغرى.
وكانت وفاته بإدلب الصغرى في إحدى الجماديين سنة ست عشرة وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٩٠).

Marfat.com

حتى دهمتْهم داهمة ابنِ جَانْبُولاذ، وتضَعْضع منهم ركنٌ يُحتَمى به في الدهر ويُلاذ.

عندها أقْلع إلى إدلب فكأنما دعاه إليه الأجَل، ومضى إلى الله تعالى على وجه السرعة والعَجَل.

وقد جئتُ من شعره بما هو أحلى في الأفواه من الشُهْد، وأشْهَى إلى العيون من النوم بعد السُهْد.

فمن ذلك قوله، من قصيدة: [الكامل]

أمُعذِّبي رِفْقاً بصَبٍّ مُغْرَمِ ... أضحى كمثل ابن السبيلِ الغارمِ
فلقد جعلت الدمعَ وَقْفاً جارياً ... يختار منه ذو البكاء الدائمِ
فاعجَبْ لدمعِي سائلاً متصدِّقاً ... واعجَبْ لواقِفة المُقيمِ الهائمِ
هل أنت راحمُ ما ترى يا مُتلِفِي ... من حالتي أم أنت لستَ براحمِ
فلقد جرى ما قد كفى ولقد كفى ... ما قد جرى من مَدْمعِي المتلاطمِ
يا رُبَّ ليلٍ طائلٍ ما تحته ... من طائِلٍ غير العَناءِ اللازمِ
مَدَّتْ به طُنُبُ الظلامِ فلا ترى ... إلاَّ نجوماً في سوادٍ فاحمِ[1]
فكأنها عطْشَى فتشرب ما بدَا ... من فجْره شُرْبَ النَّزِيف الحائمِ[2]
لو لم يكنْ فَزَعُ الحبيب مُشبَّهاً ... بسَوادِه لغدَوْتُ أبْلَغ شاتمِ
قاسيتُ فيه كلَّ هَوْلٍ هائلٍ ... وركبتُ منه كل مَتْنٍ قاتِمِ
حتى بدَا ضوءُ الصباح كأنه ... إشْراقُ وجهِ محمَّدِ بن القاسمِ

وقوله، وهو من بدائعه: [الطويل]

كأنَّ الدجَى ظَرْفٌ على الصبح مُوكَأٌ ... ولكن لطُول الامْتلا والبِلَى انْفَلَقْ
فسال فغطَّى أنْجُماً ما تعلَّمتْ ... لقصْر المدى سَبْحاً فأدركها الغَرَقْ

قلت: لقد أجاد، وإن كان تناوله من قول ابن تَمِيم: [الكامل]

انظُر إلى الصبح البديع وقد بدا ... يغْشَى الظلامَ بمائِه المتدفِّقِ
غرقت به زُهْرُ النجوم وإنما ... سَلِم الهلالُ لأنه كالزورقِ

---

(١) الطنب: الحبل يربط به الخباء. مادة (طنب).
(٢) الحائم: الشديد العطش. اللسان مادة (حوم).

Marfat.com

والضِّدُّ أقرب خُطوراً بالبال عند ذكر ضِدِّه.

تذكرت هنا قول أبي علي البَصِير، وفي الثاني نظَر: [الكامل]

وجُفونُ عينِك قد نَثَرْنَ من البكا ... فوق المَدامعِ لُؤلُؤاً وعَقِيقا

لو لم يكُنْ إنسانُ عينِك سابِحاً ... في بحرِ مُقْلتِه لَمات غريقَا

ولابن العطار في غرق الليل: [البسيط]

صبحٌ يلُوح وشخصُ الليل مُنْغمِسٌ ... فيه كما غَرِق الزِّنْجِيُّ في نَهَرِ

ومن أهاجي المترجم قوله في قاض بحمَاة: [السريع]

من شَرِّ بيتٍ شرُّ قاضٍ أتى ... حماته يا قُبْحَ ما استحسَنَتْ

أبُوه مُختالٌ دَنِيٌّ وكم ... في رأسِه من دَوْحةٍ أغْصَنَتْ

وأُمُّه مريم لكنها ... وعيشِكم ليس التي أخْصَنَتْ

١٠٩- الأمير حسن بن محمد، المعروف بابن الأعْوَج

حاكم حَماة صانها الله وحَماها، ولا زالت حَوامِل المُزْن تحُطُّ أثقالها بحِماها.

أميرٌ وابن أمير، وروض نضِير، أنشأه ماءٌ نمِير.

تلقَّى رايةَ المجد بيمين عَرابَة، وما أتى أمراً قَطُّ وفيه غَرابة. [الكامل]

وجلاَ الإمارةَ في رَفيفِ نضارِة ... جلَتِ الدُّجى في حُلْةِ الأنوارِ

في حيثُ وَشَّح لبَّه بِقِلادةٍ ... منها وحلَّى مِغصَماً بِسوارِ

فهو فارس مَيْدان اليَراع والصَّفاح[1]، وصاحب الرماح الخَطِّيّة والأقلام الفِصاح.

١٠٩- الأمير حسن محمد، الأمير الجليل أبو الفوارس المعروف بابن الأعوج، أمير حماة.
ولد بحماة ونشأ بها وهو من بيت أصيل الرياسة، عريق النسب من الجهتين، أما من جهة أبيه فهو أمير ابن أمير ورث السيادة كابراً عن كابر، وأما من جهة أمه فهي ابنة شيخ الإسلام محمد بن سلطان العارفين الشيخ علوان الحموي. وقرأ على علماء بلده بعلوم العربية والفنون الأدبية. وسافر إلى الروم في أيام السلطان مراد بن سليم شاه واجتمع بمعلمه المولى سعد الدين بن حسن جان ومدحه بعدة قصائد فأكرمه ومدحه للسلطان وجمعه به، فولاه ولاية حماة، وأقام حاكماً بها ثلاث سنين، ثم عزل، وأقام بمنزله، ثم بعد مدة ولي إمارة معرة النعمان، وتكرر له العزل عنها وعن حماة والتولية لهما، وعانده الدهر بعض الأحيان وكان صبوراً على نوائبه، وكان في جميع حالاته مشتغلاً بالأدب.
وكانت وفاته ليلة النصف من شعبان سنة تسع عشرة وألف، ودفن أمام داره بجامع المرابد عند والده وأجداده. ا هـ. خلاصة الأثر (٢/ ٤٥)

(١) اليراع: أولاد بقر الوحش. اللسان مادة (يرع).
الصفاح: الإبل العظيمة السنام. اللسان مادة (صفح).

Marfat.com

فالسيفُ من جملة خَدَمِه، والقلم يقوم في خدْمته على رأسه عِوَض قدمِه.

يكتب فيجعل للأقلام حُجَّةً قاطعةً على السيوف، وينْتَضي[1] سيفَه فيقول القلمُ مالي بارقةٌ في مَيْدان هذا الحُتوف.

وإن جرى أدْهمُ[2] قلمه في حَوْمة البراعة فهو سبّاقُ الغايات، وإن غرّدت حمائمُ نفَثاته[3] على غصون أقْلامه قيل جاء من الزّمْر ما غطّى على النّايات.

وهو جَواد مبسوط الكفّ، ما أعرض يوماً عن مَكرُمة ولا كَفّ.

فجوده يغني عن القَطْر إذا شمَّ الغمام، ونِعَمُهُ هي الأطواق والناس الحَمام.

وكان عصرُه كابتْسام البرق إذا خفَق، والصبحِ إذا تكشَّف عن الشَّفَق.

لم يتعلّق أرَجُ[4] الكرم بغير أثْوابِه، ولم يتعشَّق صَبُّ الثناء إلا ترابَ أبوابِه.

وأهل الأدب يروحون إليه على وَجْدٍ ويغْدون على وُجْد، ويتنافسون على مدائح أخلاقٍ خُلِقْنَ من مَحْض المجد.

وهو مع شُغْله بالمَنْصب، وتشتُّت فكره بغرض المتعصّب.

لا يخلو من مُطارحات تدلُّ على نُدَماء مجلسه بإيرادها، ومناظيمَ يجْلو بها عليهم الحُورَ العِينَ في أبْرادها.

وشعرُهُ مثقف المبَاني، له اتّحاد بالمثَالث والمَثاني.

أبْرَزْت منه إلى العَيان، ما هو ألَذُّ من عَزْف القِيَان.

فمنه قوله من قصيدة يشتكي فيها من الزمان: [الخفيف]

حاديَ العِيسِ سِرْ بغير ارْتيابِ ... فنفؤادي قد حَنّ للاغْترابِ
لا أُريد الأوطانَ والذلَّ فيها ... واضِعاً طوقَه بأعلى الرّقابِ
ولو أنّي قضَّيتُ فيها سروراً ... في شبابي لم أكتئِبْ لمُصابِي
بل تولّتْ نَضَارةُ العمرِ منّي ... بين عَيْشٍ ضَنْكٍ وفَرْطِ اكْتئابِ
فالفرارَ الفرارَ من دار هُونٍ ... تركَتْني أشكو زمانَ الشبابِ
وإذا الضَّيْم ما أقام فأخْبِبْ ... بجيادٍ تَمُرُّ مَرَّ السحابِ

---

(١) ينتضي السيف: يخرجه من غمده. (نضو).
(٢) الأدهم: الحصان الأسود، استعمله هنا للمداد. اللسان مادة (دهم).
(٣) نفثاته: قريب من النفخ. اللسان مادة (نفث).
(٤) الأرج: طيب الرائحة. اللسان مادة (أرج).

Marfat.com

لم يكن في مُقامِ ذَا اللُّبُّ فضلٌ قطَع السيفُ وهو ضِمْنُ القِرابِ
أدرَك المسكُ بالتنقُّل شأواً وهو في أرضِه دُوَينُ الترابِ
فالفتى الشهمُ من إذا شام ضَيْماً لا يُبالِي بفُرْقة الأحبابِ

منها:

كيف مُكْثي ما بين أظْهُر قومٍ عهدُهم في ثَباتِه كسَرابِ
جارُهم إن غدا عزيزاً عليهمْ كان كالشَّاةِ في مَقِيلِ الذئابِ
هم إذا صادَرُوا أُسودَ شَراءٍ وإذا حارَبوا فدون الكلابِ
كم أناسٍ من دارِهم أخرجوهمْ ليسُومُونهم بسوءِ العذابِ
إن فِرْعَوْن ثم نَمْرودَ كانا دونهم في اختراع سوءِ العذاب
ومَساوِيهمُ التي مِثْلُ هذا عَدَدُ الرملِ والحصا والترابِ
ربِّ يا من أباد عَاداً وأوْدَى بثَمُودٍ ذوِي النفوسِ الصِّعابِ
لا تذَرْ منهمُ على الأرضِ شخْصاً إنهم جاحدون نَصَّ الكتابِ
وانتِقمْ مُسرِعاً وعجِّلْ عليهمْ ليس فينا صبرٌ ليوم الحسابِ

قوله: «قطع السيف» إلخ. من قول بعضهم:
السيفُ لا يقطَع في قِرابه، والليثُ لا يفترس في غَابِه.
وقوله: «أدرك المسك» من قولهم:
المَنْدَل الرَّطْب حطَب في أوطانه، والمِسك دمٌ في سُرَر غِزْلانه.
وله من قصيدة أخرى، أولها: [الطويل]

تبدَّت فأضْحى البدرُ في الأُفق غائبَا وشامَتْ فوَلَّى الظَبْيُ في البِيدِ هاربَا
رَبِيبةُ خِدْرٍ يحرس الحسنُ وجهَها بسهمِ لِحاظٍ يجعل القوسَ حاجِبَا
إذا ابْتسمتْ عن صُبْح ثَغْرٍ مُنوَّرٍ تُشاهد منها في النهار كواكبَا
وإن برزَتْ في أسْود الشَّعْرِ ضحوةً رأيتَ الدجى للصبحِ أضحى مُصاحبَا
فما دَوْحةٌ سَقى النَّدَى نَسْجَ بُرْدِها وحاكتْ جِبالُ الشمس منه جَلابَبَا
مُلوَّنةٌ من خَيْط ليلٍ وفجرِه مُنوَّعةُ الألوانِ تُبْدِي العجائبَا
إذا سائلُ الغُدران حَنَّ صَداؤه وطائرُها المَيْمون غنَّى مُجاوِبَا
بأبْهجَ منها حُلَّةً وطَراوةً واخصبَ مَرْعىً من حِماها وجانبا

Marfat.com

لـهـا لاِلـعَـزّ حُـقّ وَضـفُ كُـثَـيِّـرٍ وتَـوْبـة فـي لـيْـلَـى أعـادتْـه كـاذِبَـا

صِدْقُ تَوْبة ليلى مشهورٌ، وأصله ما رُوِيَ أنه لمّا شُغِف بها، واشتهر أمره وأمرها به، قال: [الطويل]

ولـو أنَّ لـيـلـى الأخْـيَـلِـيَّـةَ سـلَّـمـتْ عـلـيّ ودونـي جَـنْـدَلٌ وصـفـائـحُ

لـسـلَّـمـتُ تسـلِـيـمَ البَـشـاشـةِ أو زَقـا إليها صَدىً من جانب القبر صَائحُ[1]

فيُقال: إنها مرَّت على قبره، وهي راكبة على جمل، ومعها زوجُها، فقال لها زوجها: هذا قبر الكذَّاب، سلِّمِي عليه، حتى ننظُر وعدَه.

فقالت له: خَلِّه، فقد مات إلى رحمة الله تعالى.

فقال لها: لا بُدَّ من ذلك.

فسلَّمت عليه، فطار من جانب قبره طائرٌ، فهاج جملُها، فوقعتْ واندقَّت عنقُها، فدفنوها إلى جانِبه.

أخرجه صاحب «الأغاني» عن المَدائنيّ.

وله في النَّسِيب: [الخفيف]

آهِ مَـن لـي بـظَـبْـيـةٍ فَـتَّـانَـهْ وهْـيَ‌ءتـلْـهـو ومُـهـجـتِـي وَلْـهـانَـه

ذاتُ ثَـغْـرٍ كـأنـه الـلُّـؤلـؤُ الـرَّ طْـبُ حـكـى كـفَّـهـا وحـاكـى بَـنـانَـهْ

قولهم: «في اللؤلؤ الرطب» كناية عما فيه من ماء الرَّوْنَق والبَهاء، ونَعْمة البَشْرة وتمام النقاء؛ لأن الرطوبة فصل مقدَّم لذات الماء، فهي تنُوب عنه في الذكْر وليس يعني بالرطوبة فيه المعنى الذي هو نقيضُ اليبُوسة.

قاله أبو الرَّيْحان في كتابه «الجماهر».

وقوله: «حكى كفها وحاكى بنانه».

المراد بمُحاكاة كفِّها في تناسُب أصابعه واستوائها، وبمحاكاته لبَنانه في حُمْرتها؛ فيكون قصَد تشْبيهين: تشبيه أسنانها، وتشبيه شفتيْها.

هذا ما يظهر من البيت.

هـي فـي الـقَـدِّ غـصـنُ بـانٍ ولـكـن مَـن رأى الـنَّـهْـد قـال ذي رُمَّـانَـهْ

يـا عـجـيـبـاً مـنـهـا تـظُـن سُـلُـوّاً مـن فـؤادي وتـشْـتـكـي سُـلْـوانَـهْ

---

(١) زقا: صاح. انظر لسان العرب، مادة (زقا).

Marfat.com

يـا عـجـيـبـاً أنـى أُرِيـد رِضـاهـا وهْـيَ فـي حـالـةِ الـرضـا غَـضْـبـانَـهْ
لـسـتُ أخْـشَـى بـحـبِّـهـا مـن عَـذُولٍ فـدَعُـوه فـيـنـا يُـطِـيـل لـسـانَـهْ
حـاصـلُ الأمْـرِ أن يـقـول فُـلان طـار صِـيـتـاً بـحـبِّـه لـفُـلانَـهْ
أنـا صَـبٌّ بـحـبِّـهـا مُـسـتـهـامٌ مـلَـك الـحـبُّ سِـرَّه وعَـيـانَـهْ
لـسـتُ أنْـسَـى لـمَّـا أتـتْ ورَقِـيـبِـي عـيـنـهُ مـن يـد الـكـرَى مَـلآنَـهْ[1]
تـتـخـطَّـى الـعـيـونَ شـرقـاً وغـربـاً ضـمـنَ عـيـنٍ بـشَـزقـهـا غَـربَـانَـهْ
ضِـمْـنَ ثـوبٍ مـن الـتـقـى مُـسـتـعـارٍ بـعـفـافٍ قـد طَـيَّـبـتْ أزدانَـهْ[2]
وقـضـيْـنـا الـوِصَـال رَشْـفـاً وضَـمّـاً بـقـلـوبٍ هَـيْـمـانـةٍ حَـرَّانَـهْ
وأراد الـجُـمـوحَ طِـرْفُ الـتَّـصـابِـي فـلـويْـنـا عـمـا أراد عِـنـانَـهْ
ومـلـكْـنـا نـفـوسَـنـا بـرِضـاهـا وزَجـرْنـا بِـعـفَّـةٍ شـيـطـانَـهْ
فـدعِ الـعـاذلـيـن يـنـقُـلْـنَ عـنـي آه مَـن لـي بـظَـبْـيـةٍ فَـتَّـانَـهْ

وكان ليلة ألَّف مجلسَ راح، في موسم أفراح.
يحسد اتّساقَه[3] الدُّرّ، وتتمنَّى إشراقَهُ الزُّهر.
فلما محى عَنْبَر الظلام كافورُ الصباح، نادى مؤذن القَصْف: حَيَّ على الاضْطِباح.
وردتْ عليه رُقعةٌ من أحد أحبَّائه، الواقفين على سر حقيقة أنْبائه.
ومكتوب فيها: [الوافر]

عـلـى الـبـاب الـمُـعـظَّـم عَـبْـدُ رِقٍّ بـأنـواعِ الـحِـبـا مـنـكـم يـفُـوزُ
يـجُـوز الـبـابَ عـن إذنٍ كـريـمٍ وإلاّ فـهْـو شـيءٌ لا يـجـوزُ

فلما قرأها تهلَّل كأنما مُنِح بعُمْر مُعاد، أو حصل من حبيب مُماطِل على ميعاد.
ثم كتب إليه: [الوافر]

يـحـيـط بـعـلْـمـكـم أنّـا نَـشـاوَى وقـد جُـلِـيـتْ لـنـا بـكْـرٌ عـجـوز[4]
فـإن جـوّزْتـمُ مـا نـحـن فـيـه وإلاّ فـهْـو شـيءٌ لا يـجـوزُ

وحكى بعض ندمائه، قال: دخلتُ عليه في مرض موته، فصادفتُ بريداً جاء

(١) الكرى: النوم. اللسان مادة (كرى).
(٢) الأردان: جمع درن وهو الكم . اللسان مادة (ردن).
(٣) الاتساق: هو النظام. اللسان مادة (وسق).
(٤) النشاوى: يقال: قوم نشاوى، والانتشاء: بداية السُكر. اللسان مادة (نشا).

Marfat.com

بتقليد حَماة، بعد عَزْل وقع له، فالتفَت، وقال بصوت ضعيف: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] وحان من الحَيْن المُكتتَب ما حان.

فدعوتُ له بامتداد الأجل، وسلَّيْتُه عن ذلك الاضطراب والوَجَل.

فرأيته قد تجمَّع، وبكى مِلْءَ جفونه وتوجَّع.

وقال: والله ما أبكي إلاَّ من يَسوؤُه الآن بُعْدِي، وهو يتمنَّى الأوِدَّاء بَعْدِي.

ثم أنشد: [الكامل]

لا يحسَب الإنسانُ بعد ذَهابِه ... مُكْثَ الأسَى في عِشْرةٍ وقَرِينِ

في الحالِ يعْتاضُون عنه بغيرِه ... ويعود ربُّ الحزنِ غيرَ حزينِ

العَنْدلِيبُ الوردُ كان أمامَه ... لمَّا مضى غنَّى على النَّسْرِينِ

ثم فارقْتُه، ففي تلك الليلة تولاَّه مولاه، وفارق دنياه.

فبكى عليه السيفُ والقلم، وانْفَجع فيه العِلْم والعَلَم.

Marfat.com

الباب الثاني

في نوادِر أدَباء حَلب

وهي البلدة الطيِّبة الماء والهوا، التي توافقتْ على حُسن بنائها ولُطْف أبنائها الأهْوا.

أحْياها الله تحية تنْحطُّ بالخِصْب سُيولها، وتُجَرُّ باللطف على سَرْحة الرياض ذيُولها.

فيها التَّرحيب مذْخور للمقيم والظَّاعن، ولا محلَّ فيها يُلْفَى للقادِح والطاعِن.

ولها المَرْأَى الذي يسافر فيه الطَّرْف فيأخذ بحَظِّه، ويستولي عليه الفرحُ حتى يخاف على قلبه ولَحْظِه.

فبيْنا تحسَب الأرض نُضاراً تكتسِي بُرْدَ الضُحى فتحسبها عَسْجَداً، وبينا ترى جنَّاتِها أنبتتْ دُرّاً إذا هي أطلعت زَبَرْجَداً.

وهناك الحصن الذي عانق السِّماك، يكاد أهله يقتطفون نَرْجِسَ الكواكب من فلَك الأفلاك. [الطويل]

يـزُرُّ عـلـيـه الـجـوُّ جَـيْـبَ غـمـامِـه ويُلْبِسها من حَلْيهِ الأنْجُمَ الزُّهْرَا

وقد أحاط به الخندق إحاطة الهالَة بالقمر، والسُّوار بالمِعْصَم، وحوله الأبْنية الشامخة تستنزِل بحُسن رَوْنقِها النَّسْر المحلِّق والغرابَ الأعْصَم.

ولأهلِها من عهد بني حَمْدان أمراءِ الكلام، وأجلُّ من استُعملت في مدائحهم الدُّوِيّ واستُخدمت الأقلام.

اغتلاق بالأدب وارْتباط، وتفوُّق فيه يدعو إلى حسَد واغْتباط.

ولشعرهم في القلوب مكانة، كأنما شَيَّدوا بأهواء القلوب أركانَه.

فصبُّوا على قوالب النجوم، وغرائب المنثور المنظوم.

وباهوا غُرَر الضحى والأصائِل، بعجائب الأشعار والرسائل.

وقد ظهر منهم قريباً جماعةٌ تنازعوا الفضل في غاياتِ مُستبِق، وكلٌّ منهم وإن اختلفت حالُه فالقولُ في فضله متَّفِق. [الطويل]

Marfat.com

إذا عَنَّ ذِكْراهم فتَمْزيق مَلْبَسٍ يُرِيح بَناءَ الفكر من حَلَّة العُرى
بمِخراب صدر القلب مُعتكِف به هواهُم تلا من ذكْرهم ما تيسَّرَا

فمنهم:

١١٠- مصطفى بن عثمان الْبابيّ

اصطفيتُه مفتاحَ الباب؛ لكونه منسوباً إليه، وجعلت معرفة القشر من اللباب، متميِّزاً به ومُحالاً عليه.

وأحسَب أني أتَيتُ بأمر معقول، وإذا أرسلت نفسي في وصفِه ووصف بلدِه فأجدها تقول: [السريع]

البلدةُ الشهباءُ مشحونةٌ بلُطْف أشعارٍ وآدابِ
ممنوعةٌ بالسُّور لا يُبْتغَى دخولُها إلا من البابِ

وهو شرفٌ لعصره ومَفْخَر، وبحر يهْتاج عُبابه ويزْخَر.

تمادَى في ميْدان الشهباء طَلْقُه، واستوفَى الخَصْلة التي ناسب فيها خُلُقَه خَلْقُه.

وأصبح في الفضل وَحِيداً، ولم تجِد عنه النَّباهة مَحِيداً.

وناهِيك بمحاسن قلّدها، ومناقب أنْبتها وخلَّدها.

إذا تُلِيتْ في المَجامع، اهتزَّت الأعطافُ وتشنَّفت المَسامع.

وهكذا النَّسمات إذا هبت في الأسْحار، رفَّتْ لها أهدابُ النبات وطنَّت آذانُ الأشْجار.

تُروَّق بها الخمْرةُ في الكاس، وتجْلُو رُوَيْحات السَّحَر إذا صدَّتها البِشْرَ بالأنْفاس.

١١٠- مصطفى بن عبد الملك، وقيل: عثمان، البابي، الحلبي، الأديب، الفاضل، المتمكن من المعارف.
نشأ بحلب وأخذ بها العلوم عن جمع من أجلهم: الشيخ أبو الجود البتروني، والنجم الحلفاوي، والشيخ أبو الوفا العرضي، والمنلا إبراهيم الكردي، والشيخ جمال الدين البابولي. ودخل دمشق صحبة ابن حسام قاضي القضاة بدمشق في سنة إحدى وخمسين وألف، وأخذ بها عن الشيخ عبد الرحمن العمادي، والنجم الغزي وأجازه مشايخه. ورحل إلى الروم فدرس بها وانتفع به جماعة من فضلائها، ثم سلك طريق الموالي، وتولى قضاء طرابلس الشام، ثم مغنيسا، ثم بغداد، ثم المدينة المنورة في سنة إحدى وتسعين وألف، وحج في هذه السنة فتوفي بمكة ودفن بالمعلاة، بعد أن قضى مناسكه.
والبابي: نسبة إلى الباب قرية من قرى حلب لها واد مشهور بطيب الهواء وكثرة الرياض. ا هـ. خلاصة الأثر (٤/ ٣٧٧).

Marfat.com

إذا وُصِفتْ عُلاه عكفتْ طيور المعاني[1] على أوكار الفِكر، وإذا تُلِيتْ حُلاه تنبَّهت عيونُ الرياض من نسمات الآصال والبُكَر.

وشعره ملَّكهُ الحسن رِقَّه، فتكاد تشربُه الأسماع لُطْفاً ورِقة. [الوافر]

كـــلامٌ بـــل مُـــدامٌ بـــل نِـــظـــامٌ مـــن الـــمَـــرْجـــانِ أو حَـــبِّ الـــغَـــمـــامِ
يـــــروح كـــــأنـــــه رَوْحٌ ورَاحٌ ويـــجْـــرِي فـــي الـــعُـــروق وفـــي الـــعـــظـــامِ

وقد وافيتُك منه بما يُغالَى في مَدْحِه، ويُعلَم منه وُفورُ قِسْمه من الأدب وفَوْزُ قِدْحِه.

فمنه قوله يتوسَّل: [م. الكامل]

هـــوتِ الـــمـــشـــاعـــرُ والـــمـــدار كُ عـــن مـــعـــارجِ كـــبـــريـــائِـــكْ[2]
يـــا حـــيُّ يـــا قـــيُّـــوم قـــد بـــهـــر الـــعـــقـــولَ سَـــنـــا بَـــهـــائِـــكْ
أُثـــنِـــي عـــلـــيـــك بـــمـــا عـــلـــمْـــ ـتُ وأيـــن عِـــلْـــمـــي مـــن ثـــنـــائِـــكْ
مُـــتـــحـــجِّـــب فـــي غَـــيْـــبـــك الْـــ أخـــمَـــى مـــنـــيـــعٌ فـــي عَـــلائِـــكْ
فـــظـــهـــرْتَ بـــالآثـــار والْـــ أفـــعـــالِ بـــادٍ فـــي جَـــلائِـــكْ
عـــجـــبـــاً خَـــفـــاؤُك مـــن ظـــهـــو رِكَ أم ظـــهـــورُك مـــن خـــفـــائِـــكْ
مـــا الـــكـــون إلا ظـــلـــمـــةٌ قـــبَـــسَ الأشـــعَّـــة مـــن ضـــيـــائِـــك
وجـــمـــيـــعُ مـــا فـــي الـــكـــون فـــا نٍ مُـــســـتـــمِـــدٌ مـــن بـــقـــائِـــكْ
بـــل كـــلُّ مـــا فـــيـــه فـــقـــيــــ ـرٌ مُـــســـتـــمِـــيـــحٌ مـــن عـــطـــائِـــكْ
مـــا فـــي الـــعـــوالـــمِ ذَرَّةٌ فـــي جَـــنْـــبِ أرضِـــك أو ســـمـــائِـــكْ
إلاَّ ووِجْـــهـــتُـــهـــا إلـــيْـــــ ـكَ بـــالافْـــتـــقـــارِ إلـــى غِـــنـــائِـــكْ
إنـــي ســـألـــتُـــك بـــالـــذي جـــمَـــع الـــقـــلـــوبَ عـــلـــى وَلائِـــكْ
نـــورِ الـــوجـــود خُـــلاصـــةِ الْـــ كَـــوْنَـــيْـــن صـــفـــوةِ أولـــيـــائِـــكْ
إلاَّ نـــظـــرتَ لـــمُـــســـتـــغِـــيـــ ثٍ عـــائـــذٍ بـــك مـــن بَـــلائِـــكْ
قـــذفـــتْ بـــه مـــن شـــاهـــقٍ أيـــدي امْـــتـــحـــانِـــك وابْـــتـــلائِـــكْ
ورمـــتْـــه مـــن ظُـــلَـــم الـــعـــنَـــا صِـــر والـــطـــبـــائـــعِ فـــي شَـــبـــائِـــكْ

(١) يقال: طير عاني أي أسير. اللسان مادة (عنا).
(٢) القصيدة في ديوانه العقود الدرية (٥).

Marfat.com

وسَطَتْ عليه، لوازمُ الـ ... إمكانِ صَدّاً عن سنائِكْ
فإذا ازعوَى أو كاد نا ... دتْهُ القيودُ إلى ورائِكْ
فالْطُف به فيما جرَى ... في طَيّ عِلْمِك من قضائِكْ

وقوله من نبويَّة، مستهلها: [الطويل]

قَضَى عجَباً من دهرِه المتعجِّبُ ... يجِدُّ اشتعالاً رأسُه وهْو يلعبُ
ألم يأنِ أن يقْنِي الحياءَ مُؤنِّبُ ... بلى آن أن يقْنِي الحياءَ المؤنِّبُ
ومَن لم يدعْ شيْبُ المَفارقِ غَيَّه ... فلائمُه باللومِ أخرَى وأنسَبُ
أبِنْ لي على ماذا حصُلتَ من الدُّنَا ... فقد ذُقْتَ منها ما يمُرُّ ويعذُبُ
أكان سِوى طَيْفِ ألَمّ وعارِضٍ ... جَهامٍ وبَرْقٍ مخلِفِ النَّوْءِ خُلَّبُ
متَى أنت في العَمْياء غَادٍ فرَائحٌ ... تُصعِّد في بَهْمائِها وتُصوِّبُ
تُبارئُ بالعِضْيان من هو قادرٌ ... عليك وفي آلائه تتقلَّبُ
أحُدِّثتَ أن المرءَ في الأرضِ مُعجِزٌ ... لقد كذَبتْك النفسُ والنفسُ تكذِبُ
لقد لَزَّك التَّسويفُ في مارِق على ... شَفا حُفْرةٍ سَرعانَ ما تتصوَّبُ[1]
لَعَمْرُ المَنايا إنها لقريبةٌ ... على أنها من ساحةِ الشيبِ أقْرَبُ
وإنَّ مِراسَ الموت لا دَرَّ دَرُّه ... وإن كان صَعْباً فالذي بعدُ أصْعَبُ
تقلَّص ظلُّ العمر إلا صُبابةً ... ألا فانتهبْها قبل ما أنت تُنْهَبُ
وبادِرْ فإن الوقتَ ضاق عن الوَنَى ... وصَمِّمْ فسُكَّيتُ الرِّهانِ المُذبْذَبُ
وخذ للقاء اللهِ ما اسطعْتَ أُهْبةً ... فإن لقاءَ الله ما عنه مَهْرَبُ
وإن ضِقْتَ ذَرْعاً من تعاظُم ما مضى ... فلا تنْسَ عفوَ الله فالعفْو أرْحَبُ
ولُذْ بجنَاب الفاتحِ الخاتِم الذي ... به يطمئنُّ الخائفُ المترقِّبُ
هو العاقِبُ الماحِي الذي بزَغتْ به ... على الكون شمسٌ نورُها ليس يغرُبُ
تحُلُّ له الرُّسْل الكرامُ حِباهُمُ ... وإن ذُكِروا فهْو العُذَيْقِ المُرَجَّبُ[2]
إذا الخَطْب أبْدَى ناجِذَيْه فنادِهِ ... تجدْ خيرَ جارٍ في المُلمَّاتِ يُنْدَبُ
وإن لذَعتْك المُوبقاتُ فداوِها ... به فهْو تِرياق السموم المُجرَّبُ

---

(١) لزَّ الشيء: ألزمه به. اللسان مادة (لزز)
(٢) العذيق: تصغير عذق وهي النخلة. اللسان مادة (عذق). المرجّب: المعظم أو العظيم.

Marfat.com

إليكَ رسولَ الله قد جاء ضارعاً ... أخو عَثْرةٍ يرجو الإقالةَ مُذنبُ
فبابُك بابُ اللهِ ما عنه مهرَبٌ ... وطالبُه من غير بابِك يُحجَبُ
فليس لنا من منحةٍ بتفَضُّلٍ ... من الله إلا عن مَساعِيك تُجلَبُ
ولا مَسَّنا من محنةٍ أو يَمسُّنا ... بكسبِ يَدٍ إلا بيُمْنك تذهبُ

منها:

إذا قمتَ في وَعْد المَقام فإننا ... على ثقةٍ أن ليس فينا مُخيَّبُ
ألم يُرْضِك الرحمنُ في سورة الضحى ... وحاشاك أن ترضَى وفينا معذَّبُ
أترضَى مع الجاهِ الوجيهِ ضياعَنا ... ونحن إلى أعتاب بابِك نُنسَبُ
أترضَى مع العِرْضِ العريض بأن يُرى ... مَقامُك محموداً ونحن نُعذَّبُ
أتخذُل يا حامِي الذِّمار عصابةً ... بهَدْيِك دانتْ ما لها عنك مَذهبُ[1]
دعوْتَ فلبّيْنَاك سمعاً وطاعةً ... وحاشاك أن ندعوكَ ثم تُخيْبُ

منها:

عليك صلاةُ الله تثرَى مُسلَّماً ... مع الآلِ والأصحابِ ما انْهَلَّ صَيِّبُ
صلاةٌ تُوازِي قدرَ ذاتِك رفعةً ... بتَبْليغها عنِّي إلى الله أرْغَبُ

وقوله من قصيدة في المدح، أولها: [الطويل]

هو الفضلُ حتى لا تُعَدَّ المناقبُ ... بل العزمُ حتى تطلُبَنْك المَطالبُ
وما قدَر الإنسان إلاّ اقْتدارُه ... أجَلْ وعلى قدْرِ الرجال المراتبُ

منها:

وللمجدِ مثلُ الناس سُقْمٌ وصحةٌ ... وفيه كما فيهم صَدُوقٌ وكاذبُ

منها:

ومن خسِر الرّاحات يكتسِب العُلَى ... وبعضُ خَساراتِ الرجال مكاسبُ
فآب بما يُشجِي العِدى ويسرُّه ... فوائدُ قومٍ عند قومٍ مصائبُ
إليك إمامَ الفضلِ منا توجُّهتْ ... كتائبُ إلاّ أنّهُنَّ مواكبُ
مَعانٍ تُعِير العِينَ سحرَ عيونِها ... وتسخرُ منها بالعقودِ التَّرائبُ

(١) ذمار الرجل: وهو كل ما يلزمه حفظه وحمايته والدفاع عنه. اللسان مادة (ذمر).

Marfat.com

قد انسَدلتْ فوق الطُروسِ سطورُها ... كما انسدلتْ فوق الصدورِ الذَّوائبُ
لها من بَراحِ الشوقِ حادٍ وقائدٌ ... إليك ومن لُقْياك داعٍ وخاطبُ

ومن بدائعه قوله: [الخفيف]

ليت شعري ما الذي سخَّر السَّمْـ ... ـع لصوت السنطير حتى أصَاخَا
ثم ماذا أشار به النَّا ... يُ لرَكْب الأرواح حتى أناخَا
ثم ماذا الذي به استشعر الحِسُّ ... بجَسِّ الأوْتارِ حتى تراخَى
ذاك سِرٌ يذوقه من ترقَّى ... عن ذُرَا عالم الهيولى انسلاخَا[1]
وترقَّى به إلى قاب قَوْ ... سَيْن فألْقَى العصا ورام المُناخَا

وقوله من قصيدة، أولها: [المنسرح]

أشاردٌ يا غزال أم واجدْ ... وعابثٌ في النفوس أم عائدْ
أعند عينيْك أنَّ أنفسَنا ... حَبْسٌ على سَيْل نَبْلها الصاردْ[2]
بل كثرةُ العاشقين تُوهمه ... بأنَّ ماضي نفوسِهم عائدْ
مهلاً أبا الحُسْن قد فُجِعت به ... واستَبْق منَّا داعٍ له حامدْ
نحن بنو نَجْدة الهوى ولنا ... فيه فَخارُ الطَّريف والتَّالِدْ[3]
وكم لنا غارةٌ على ثَغَرٍ ... يصدُر عنها المُفتَّر البارِدْ
تلك عهودٌ قد كان لا بَعُدَ ... تْ طَرْفُ الليالي عنَّا بها راقدْ
وماسَها الدهرُ عن تفرُّقنا ... بل ظنَّنا لالْتئامِنا واحدْ

على هذا الالتئام والإتقان، تأمَّلْ قولي في الاتحاد عند العناق: [المنسرح]

يا طِيبَ ليلٍ حيِّي وقد غفلَتْ ... عنا عيونٌ تظَلُّ ترمُقنَا
بِتْنا كرُوحيْن في حشَا جسَدٍ ... تحيِّر النوم كيف يطرُقنَا

ولعز الدين الضرير ما هو منه: [الطويل]

توهَّم واشِينا بليلِ مَزارِه ... فهَمَّ ليسْعى بيننا بالتباعُدِ
فعانقْتُه حتى اتحدنا تعانُقاً ... فلما أتانا ما رأى غيرَ واحدِ

---

(١) الهيولى: جوهر بسيط لا يتم وجود الفعل دونه. التعريفات / ٨٠/ .
(٢) يقال: نبل صارد: يعني نافذ. اللسان مادة (صرد).
(٣) التالد: القديم الأصيل. اللسان مادة (تلد).

Marfat.com

ولخالد الكاتب: [السريع]

كأنني عانقتُ رَيْحانةً ... تنفستْ في ليلِها البارِدِ
فلو ترانا في قميصِ الدُّجى ... حسِبْتَنا في جسدٍ واحدِ

ولأحمد بن أبي العِصام: [المنسرح]

ضمَمْتُه ضَمَّ مُفْرِط الضمِّ ... لا كأبٍ مُشفِق ولا أمّ
ولم نزَلْ والظلامُ حارسُنا ... جسمين مُستودَعيْن في جسمِ

ولابن سَناء الملك[1]: [الطويل]

وليلَة بِتْنا بعد سُكْرِي وسُكرِهِ ... نَبذْتُ وِسادِي ثم وسَّدتُه يدِي
وبتْنا كجسمٍ واحد من عناقنا ... وكالحَرْفِ في لفظِ الكلام المُشدَّدِ

واعتُرض عليه بأن العَرُوضيِّين يعدّون المشدد بحرفين، فلو قال: في الخطّ. لحصل مطلوبه.

ليت درَى القاطنون في حلبٍ ... حالي وما حالُ من لهم فاقِدْ
يرقُب وفد الشَّآمِ ذا قَلقٍ ... عسى يراهُم بناظرِ الوافِدْ
فارقتُ مَثْوايَ في رِضا زمنٍ ... على ذوي الفضل لم يَزلْ واجِدْ
خرجتُ منه مع البُزاةِ عسى ... تصفُو الليالي ويصلُح الفاسِدْ

يشير إلى قوله: [الطويل]

إذا أنكرتْني بلدةٌ أو نكِرْتُها ... خرجتُ مع البازِي علَيّ سوادُ

ومن مديحها:

الحكَم العَدْلُ من عزائمُه ... قامتْ على الدهر فاكْتفى القاعِدْ
وأصبحتْ حَيْرةً حواسُدُه ... كأنها العُمْيُ ما لها قائِدْ

هذا أحسن من قول المتنبِّيَ: [المنسرح]

ما بال هذي النجوم حائرةً ... كأنها العُمْيُ ما لها قائِدْ[2]

وهو أخذه من قول العباس بن الأحنَف: [الكامل]

والنجمُ في كبد السماء كأنه ... أعْمَى تحيَّر ما له من قائدِ[3]

---

(١) ديوان ابن سناء الملك (١٨٢).
(٢) ديوان المتنبي (٥٦٨).
(٣) ديوان العباس بن الأحنف (٨٣).

Marfat.com

رَبُّ الـقـوافـي الـتـي لآلـئُـهـا ... تـوَدُّ لـو قُـلِّـدت بـهـا الـنـاهِـدْ
إذا تـأمَّـلْـتَـهـا وجـدتَ فـتـىً ... شُـهْـبَ الـديـاجـي بـفـكـرِه صـائِـدْ

وقوله من أخرى، أولها: [الطويل]

هو الشوقُ حتى يستوي القربُ والبعدُ ... وصـدقُ الـوفـا حـتـى كـأن القِـلَـى وُدُّ
فـلا رقَـدتْ عـيـنٌ يـؤرِّقـهـا هـوىً ... ولا خَـمـدت نـارٌ يـسـعّـرهـا خَـدُّ
ألا في سبيل الأغْيُن النُّجْل ما جرى ... بمُنْعرَج الجَرْعاء حيث انْطوى العهدُ
عـشـيّـة أدنـانـي وأقـصـاهُـم الـهـوى ... بـرَغْـمِـي وأرضـاهُـم وأسْـخـطنِي الـبـعـدُ
تذكّر عيشاً قد طوى نَشْرَه النوى ... وعُفْراً عفَى من سِرْبها الأجْرَعُ الفَرْدُ
خـلـيـلَـيَّ نَـجْـدٌ تـلـك أم أنـا حـالـمٌ ... لـقـد كـذَبـتْـنـي الـعـيـنُ مـا هـذه نـجـدُ
بـلـى هـذه نـجـدٌ فـأيـن ظِـبـاؤُهـا ... أأحـجـبـهـا عِـزٌّ أم اغْـتـالـهـا فَـقْـدُ
وما صنعتْ من بعدنا تلكمُ الدّمَى ... وكيف ذوَت هاتيكمُ القضُبُ المُلْدُ[1]
كَأنْ قد أضلّ البَيْنُ في عَرَصاتِها ... مُنىً أو عليها في فؤاد النوى حِقْدُ
لـقـد خـلـدتْ مـمَّـا دَهـاك جَـهَـنَّـمْ ... بـأخْـشـائـنـا يـا جـنَّـةً خـانـهـا الـخُـلْـدُ
خـلـيـلـيَّ مـا وُدَّاكُـمـا وُدَّ مـخـلـصٍ ... أمـا فـيـكـمـا هَـزْلٌ إذا لـم يـكـن جِـدُّ
أفـوق سـوادِ الـلـيـل تـبـغـى نـجـومُـه ... غـشـاء فـلِـم لـم تـضـحُ أعـيـنُـهـا الـرُّمْـدُ
كأن تعالى اللّهُ ذا البدرِ في السما ... مَـلِـيـك مُـطـاعٌ والـنـجـومُ لـه جُـنْـدُ
كـأن سـمـاء الـلـيـلِ روضٌ مُـنـمَّـقٌ ... خـمـائـلُـه مِـسْـك أزاهِـرُه نَـدُّ
كـأن الـدجـى والـبـرقَ والـزُّهْـرَ نـاهـدٌ ... من الزِّنْج يُزْهيها فيُضحكها العِقْدُ
كـأن الـثـريـا كـفُّ نـقّـادٍ اسـتـوى ... عـلـى نـطـع سـبـج فـوقـه نـثـر الـعـقـدُ
كـأن نـجـومَ الـلـيـلِ مـن حَـيْـرةٍ بـهـا ... ركائبُ تسْرِي ما لها في السُّرَى قَصْدُ
كأن وَمِيضَ البرقِ في حالِك الدجى ... صـفـاءٌ بـقـلـبٍ قـد تـوطّـنـه الـحِـقْـدُ
كأن الكرى سِرٌّ كأن الدجى حَشاً ... كـأن الـمُـنـى طِـفْـل كـأن الـرّجـا مَـهْـدُ
كـأن الـسُّـهَـا مـعـنـىً دقـيـقٌ بـفِـكْـرةٍ ... فـآونـةً يـخـفـى وآونـة يـبْـدُو
كـأن الـدجـى والـفـجـرُ يـفـتِـق زِيـقَـه ... مـواطـنُ غَـيٍّ قـد أنـاخ بـهـا الـرُّشْـدُ

---

(١) المُلْد: الناعمة. اللسان مادة (ملد).

Marfat.com

كأن الصَّبا رُسْلُ الصباح إلى الرُّبَى ... بسِرٍّ أذاع الشَّيحُ خافِيه والرَّنْدُ
كأن طِلابِي المجدَ والدهرُ دونه ... ترقُّب طَيْفٍ حال من دونه السُّهدُ[1]
كأن يَراعي غائصٌ بحرَ ظُلْمةٍ ... فيُلفَظ لي من فِيه جوهرُه الفَرْدُ
كأن المعاني السانِحاتِ لخاطِرِي ... كواعبُ زارتْ ما لزَوْرتها وَغْدُ

منها في المديح:

حديقةُ فضلٍ لا يُصَوِّح نَبْتُها ... ونهرُ عطاءٍ ما لسائِله رَدُّ
ورِقَّةُ أخلاقٍ يَسيرُ بها الصَّبا ... وبأسٌ له تزْمِي فرائسَها الأُسْدُ

وقوله من أخرى، أولها: [الطويل]

سرى عائداً حيثُ الضَّنى راع عُوَّدِي ... سُرَى البَدْرِ طَيْفٌ بالدُّجُنَّةِ مُرتدِ[2]
وما رَقَّ لو لم يَرْعَ حَيْنِي ولا سرَى ... على البُعد في ثوب الحدادِ لمَرقدِي
فأعجَبه شوقي إليه على النَّوى ... كذا كان حيث الشملُ لم يتبدَّدِ
وعاتبتُه والظنُّ أيأس طامعٍ ... فجاوبَني والقلبُ أطمعُ مجتدِ[3]
ولاطفْتُه حتى استملتُ فؤادَهُ ... فيا لك سَعْداً بعضُه لِينُ جَلْمَدِ
وبِتُّ كأن الدهرَ ألقى زِمامَه ... إليَّ وصافاني فأخرزْتُ مَقْصِدِي
وحَكَّمني مِن جِيده وهو عاطِلٌ ... فحَلاَّه دَمعي بالجُمان المُنضَّدِ
إلى أن نَعى بالبَيْن صُبْحٌ كأنه ... غرابُ النوى لكنه غيرُ أسودِ

من مديحها:

به دَرَّ ضَرْعُ المَكرُماتِ وثُقِّفتْ ... قَنا الفضلِ وانهلَّتْ غوارِبُ للصَّدِي
يُساقِط من فِيه المعاني كأنها ... فرائدُ دُرٍّ في ترائب خُرَّدِ[4]
ومن كلِّ سطرٍ فوق طِرْس كأنه ... عِذارٌ تدلَّى في عوارض أغْرِدِ

ومن مُقطَّعاته قوله مضمِّناً: [الرمل]

قلتُ لما أن بدَا في خدِّه ... زَرَدُ العارِض نَبْتاً وانتضَدْ
أنباتٌ لاح في خدِّيك أم ... نسجَ الرِّيحُ على الماء زَرَدْ

---

(١) السُّهد: الأرق. اللسان مادة (سهد).
(٢) الدجنة: الغيم المطبق أو الظلمة. اللسان مادة (دجن).
(٣) المجتدي: السائل. اللسان مادة (جدا).
(٤) الخرد: جمع خريدة وهي البكر التي لم تمس قط. اللسان مادة (خرد).

Marfat.com

قلتُ: أجاد في هذا التضمين، ولطُف في نقله.

وأصلُه ما قال صاحب بدائع البدائه: رُوي عن عبد الجبار بن حَمْديس الصِّقَلِّيّ، قال: صنع عبد الجليل بن وَهْبون المرْسِيّ الشاعر لنا نُزهة بوادي إشْبِيلِيَّة، فأقمنا فيه يومنا فلما دنت الشمسُ للغروب هبَّ نسيمٌ ضعيف غضّن وجه الماء، فقلت للجماعة: أجيزوا. [الرمل]

حـاكـتِ الـريـحُ مـن الـمـاءِ زَرَدْ

فأجازه كلٌ منهم بما تيسَّر له.

فقال لي أبو تمّام غالب بن رَباح الحجّام: كيف قلتَ يا أبا محمد؟

فأعدت القَسِيم له.

فقال: [الرمل]

أيُّ دِرْعٍ لـقـتـالٍ لـو جَـمـدْ

ثم قال صاحب البدائع، بعد ما سبَق: وقد نقله ابن حَمْدِيس إلى غير هذا الوصف، فقال: [الرمل]

نـثـرَ الـجـوُّ عـلـى الـتُّـرْبِ بَـرَدْ أيُّ دُرٍّ لِـنُـحـورٍ لـو جـمَـدْ[1]

فتناقض المعنى بذكر البَرَد لو جمَد، إذ ليس البَرَد إلا ما جمَّده البرْد، اللهم إلا أن يريد بقوله: «لو جمد» لو دام جمودُه، فيصح.

ومثل هذا قول المعتمِد بن عبَّاد، يصف فوّارة[2]: [الكامل]

ولـرُبـمـا سـلّـت لـنـا مـن مـائـهـا سـيـفـاً وكـان عـن الـنـواظـر مُـغْـمَـدَا

طـبـعـتْ لُـجَـيـنـاً ثـم زانـت صَـفْـحَـةً مـنـه ولـو جـمَـدتْ لـكـان مُـهـنَّـدَا

وقد أخذ المَقَّرِيّ هذا المعنى، فقال يصف روضاً: [الطويل]

لـو دام هـذا الـنَّـبْـتُ كـان زَبَـرْجَـداً ولـو جَـمـدتْ أنـهـارُه كُـنَّ بَـلُّـورَا

وهذا المعنى مأخوذ من قول علي التُّونُسِيّ الإياديّ، من قصيدته الطائية المشهورة: [البسيط]

أُلـؤلـؤٌ قَـطْـرُ هـذا الـجـوّ أم نُـقَـطُ مـا كـان أحـسـنَـه لـو كـان يُـلْـتـقَـطُ

والمعنى كثير للقدماء، قال ابن الرُّومِيّ، من قطعة في العنب الرَّازِقِيّ:

---

(١) ديوان ابن حمديس (١٦٩).

(٢) ديوان المعتمد بن عباد (٢٩).

Marfat.com

لـو أنـه يـبْـقَـى عـلـى الـدهـورِ قـرّط آذانَ الـحـسـان الـحُـورِ[1]

عوداً على بدء.

ومما يشبه ما حاوله في التّضمين قولُ عزّ الدين المَوْصِلِيّ: [السريع]

كـالـزّردِ الـمـنـظـومِ أضـداغُـه وخـدُّه كـالـوردِ لـمّـا ورذ

بـالـغـتُ فـي الـلّـثـم وقـبّـلـتُـه فـي الـخَـدّ تـقـبـيـلاً يـفُـكُّ الـزّرَذ

وللبابِيّ في ذم مَن تعذّر: [الخفيف]

قـد كـسَـا الله صُـبـحَ خـدَّيْـه لـيـلاً وطَـلـى ذلـك الـبـيـاضَ سَـوادَا

أصـبـحـتْ مـاءُ وَجْـنـتـيْـه سَـراباً وغـدَت جـمـرةُ الـجـمـال رَمـادَا

وله أيضاً: [مخلع البسيط]

نـادى لـوَ أن الـنّـدا يُـجـدِي قِـفـوا انـظـروا مـا أصـاب خَـدّي

قـد كـان ورداً بـغـيـر شـوكٍ فـصـار شـوكـاً بـغـيـر وردِ

مثله لذي الوزارتين أبي الحسن بن الحاجّ: [المتقارب]

أبـا جـعـفـرٍ مـات فـيـك الـكـمـالُ فـأظـهـر خَـدُّك لـبْـسَ الـحـدادِ

وقـد كـان يُـنـبِـت وردَ الـريـاض فـأصـبـح يـنـبـتُ شَـوْكَ الـقَـتـادِ

ولعَرْقَلة الكَلْبيّ: [الوافر]

إذا مـا الأمْـرَدُ الـمـصـقـول جـاءتْ عـوارضُـه فـنـقْـصٌ فـي ازديـادِ

وهـل يـستَـحـسـنُ الإنـسـانُ روضـاً إذا مـا حـلّـه شـوكُ الـقَـتـادِ

ومن بدائعه قوله من قصيدة، قالها وهو بالرُّوم يتشوّق إلى البَاب: [المتقارب]

تـذكّـر بـالـبـاب ظـبـيـاً غـرِيـرَا وعـيـشـاً رقـيـقَ الـحـواشِـي نَـضِـيـرَا

وعـهـداً تَـرِفُ أسـاريـرُه قـطـفـنـا بـه الـعـيـشَ غـضّـاً نـضـيـرَا

مَـسـاحِـبُ أذيـالِ لـهـوٍ بـهـا لـبِـسْـنـا الـشـبـابَ طـرِيّـاً طَـرِيـرَا

وفـي سَـفْـح تَـيْـمـاءَ وادٍ أغَـنّ ثَـراه تـراه يـفُـتُّ الـعَـبِـيـرَا

نـسـيـمـاً عـلـيـلاً وظـلاً ظـلـيـلاً ومـاءً نـمِـيـراً وروضـاً مـطِـيـرَا

تُـعـانِـق فـيـه الـغـصـونُ الـغـصـونَ ويـلْـطِـم فـيـه الـغـديـرُ الـغـديـرَا

ولـلـوُرْقِ صَـدْحٌ بـأفـنـانِـهـا كـألـحـانِ داود يَـتْـلـو الـزّبـورَا

(١) ديوان ابن الرُّومي (١٩٥).

Marfat.com

وأثـر فَـرْطُ اغـتـلال الـنـسـيـ ـمِ فـي حـركـات الـغـصـونِ فُـتـورَا
ولـلـرِّيـح بـالـطـيـرِ فـوق الـغـصـو ـنِ عـبَـثٌ بـه يـسـتـخِـفُّ الـوَقـورَا
فـبـيـنـا يـكـاد يـمَـسُّ الـثـرى بـهـا إذْ يـكـاد يَـمَـسُّ الأثِـيـرَا
ومـاءٌ يـسِـحُّ عـلـى وجـهِـه ويـسـرَح فـي كـل وادٍ مُـغِـيـرَا
فـلـولا تـشـبُّـثُ حَـضْـبـائِـه بـه كـاد مـن خِـفَّـة أن يـطـيـرَا
إذا مـا اسـتـدار خـلال الـريـاضِ تـخـال مَـعـاصِـم ضَـمَّـت خُـصـورَا

وقوله في الغزل: [البسيط]

كـأنـمـا أوْقـف الـلّـهُ الـعـيـونَ عـلـى رُؤيـا مـحـاسـنِـه لا صـابَـهـا ضَـرَرُ
فـلـو بَـدا مـن وَرا الـمـرآةِ لانـحـرفـتْ عـن أهـلِـهـا حـيـث دارتْ نـحَـوهُ الصُّوَرُ

وكثيراً ما يُسأل عن معنى البيت الثاني، وأحسن ما يُوجَّه به، أن قوله «من ورا» أي من خلف المرآة، «لانحرفت» الصور حيث سارت محاسنُه؛ لأن الأبصار وَقْفٌ على محاسنِه، والمراد من الصور المنحرفة الدّاخلة المرآة.

وإنما أفْردَ المرآة وجمع الصُّوَر، مع أن في المرآة صُورة واحدة؛ لأن المرآة الواحدة يمكن أن يُرسم فيها صورٌ كثيرة، على طريقة البَدليَّة، ولا تتعدد المرآة.

والصُّوَر فاعل انحرفت، وفاعل سارت ضميرٌ راجع إلى محاسنه.

وله: [الطويل]

ولـي نـفـسٌ حُـرٌ لا مُـنـىً تـسْـتـرقُّـهـا ولا مَـطـمَـعٌ نـحـو الـهَـوانِ يُـدِيـرُهَـا
متى استكْبرتْ نصْغُر وإن هي صُغِّرتْ تـسـاوَى لـديـهـا عـبـدُهـا وأمـيـرُهَـا
إذا لـمَـسـتْـهـا كـفُّ عِـزٍّ تـطـامـنَـتْ وإن لَـحَـظـتْـهـا عـيـنُ هُـونٍ تُـطِـيـرُهَـا[1]

وله، وهي من غُرَره: [الرمل]

كـاد يـسـعَـى لـلـتَّـصـابِـي أوْسـعَـى وَيْـحَـه مـا عـفَّ حـتـى نَـزَعَـا
الـصَّـبـا لا سـامـح الـلّـهُ الـصـبـا نـبَّـهـتْ مـن غَـيِّـه مـا هـجَـعَـا
واسـتـثـارتْ مـن أقـاصِـي لُـبِّـه صَـبْـوةً كـان رَثـاهـا ونـعَـى
قـد صَـبـا طَـوْعَ هـواه مـا صَـبـا ورعَـى شُـهْـبَ الـدياجِـي مـا رعَـى
هُـجَـنٌ سـتَّـرهـا لـيـلُ الـصَّـبـا غَـضَّ عـنـهـا صُـبـحَ فَـوْدٍ طـلَـعَـا[2]

---

(١) تطامنت: سكنت وهدأت. اللسان مادة (طمن).
(٢) فود: جميع الشعر مما يلي الأذن. اللسان مادة (فود).

Marfat.com

وعِـشـارٍ قـد أقـلَّـتْـه الـنُّـهَـى ... فـإن اسـتـأنـفـت فـيـه لالَـعَـا[1]
زعَـمـوا إن أسـكـتـتْـنـي ضِـنَّـةٌ ... بـالـقـوافـي أن طَـبْـعـي رجَـعـا
وتـنـاسَـوْا ذلـك الـنَّـظْـمَ الـذي ... زاد فـي الـرِّقـة حـتـى انْـقـطـعَـا
والـمـعـانـي الـلاَّي أنَّـى أُنْـشِـدتْ ... تـلْـمَـس الـعـقـدَ الـغـوانـي جـزَعَـا
غَـرّهـم مـنّـي سـكـوتٌ كـلُّـه ... كـلـمـاتٌ تُـسـمِـع الـصُّـمَّ الـدُّعَـا
وخُـمـود تـحـتـه جَـزْلُ الـغَـضـا ... وسـكـونٌ تـحـتـه الـرِّيُّ سـعَـى[2]
فـي جِـرامٌ الـشِّـعـر مـالـي ولـه ... خَـلَّـة سُـدَّتْ وغَـيٌّ أقْـلـعَـا

قوله: «زاد في الرقة» نَقلَه من قول ابن مَلِيك، في الغزل: [الرمل]

لَـيِّـنُ الأعـطـافِ مَـن خَـصْـرُه ... رَقَّ حـتـى كـاد أن يـنْـقـطـعَـا[3]

وقوله: «تلمس العقد الغواني»، من قول المَنازِيّ: [الوافر]

تـرُوع حـصَـاه حـالِـيـةَ الـعـذارَى ... فـتـلْـمسُ جـانـبَ الـعـقْـدِ الـنَّـظـيـمِ[4]

وله من قصيدة طويلة، مستهلها: [الخفيف]

حـوَّلـت عـهـدَ عـيْـشِـه الأهـوالُ ... واسـتـحـالـتْ مـن وُدِّهـا الأحـوالُ
سَـل رُسـوم الـرُّبـوع عـنـهـا ومـا يُـجْـ ... ـدي سـؤالٌ عـنـه الـجـواب الـسـؤالُ
قد وقفْنا نبكي الطلولَ بها حتّى ... بـكـتْـنَـا بـدمـعـهـا الأطـلالُ
وعـجـبـنـا لـرَبْـعـهـا كـيـف أقْـوَى ... مُـطـرقـاً واسْـتـحـال ذاك الـجـمـالُ
ساكنٌ في السكون منه اضْطرابٌ ... سـاكـتٌ فـي الـسـكـوت مـنـه مَـقـالُ
صـرَفـتْ نَـقْـده صُـروفُ الـلـيـالـي ... واسـتـخـفَّـتْ بـه الـخـطـوبُ الـثِّـقـالُ
عَـهْـدُنـا فـي ذُراه يُـسـتـأنَـسُ الأنْـ ... ـسُ وتُـسـتَـزوَح الـصَّـبـا والـشَّـمـالُ
غـادرَتْـه الأغْـيـارُ تُـسـتـوحَـش الـ ... ـوَحْـشَـةُ فـيـه وتُـوجَـل الأوْجَـالُ
يـا أُثَـيْـلاتِ مَـسْـرح أقـبـل الإذْ ... بـارُ فـيـه وأدبـر الإقْـبـالُ[5]
بـاكَـرتْـكُـنَّ عـن عـيـون الـغـوادِي ... إن عَـراكُـنَّ مـن دمـوعـي الـمِـلالُ

---

(١) اللاعي: الذي يفزع من أدنى شيء. اللسان مادة (لعا).
(٢) الجَزل: الحطب اليابس، أو الغليظ المظيم منه، والكثير من الشيء. ا.هـ القاموس، مادة (جزل).
الغضا: شجر. ا.هـ لسان العرب، مادة (غضا).
(٣) ديوان ابن ملين (النفحات الأدبية من الرياض الحموية) (٤٠).
(٤) البيت في وفيات الأعيان ١/ ١٤٠ .
(٥) الأثلة: المتاع أو الميرة أو اللباس. اللسان مادة (أثل).

Marfat.com

طالما بات للجمال مَقِيلٌ ... في ذُراكُنَّ والعِثارِ مقالُ
وزمانٍ ما طال بالوصلِ حتى ... قصَّرتْه أيامُ هَجْرٍ طِوالُ
أخلقتْ جِدَّةُ النَّوى ذلك العهْـ ... ـدَ ولبَّى داعي النعيم الخيالُ
أي ذنبٍ تُعاتب الدهرَ فيه ... وعتابُ الأيام داءٌ عُضالُ
أنا ما بين فُرقةٍ تجمع الشَّمْـ ... ـمَ ويُغدِ تدنُو به الآجالُ
وخُطوبٍ أَلِفْتُها يستعيذُ الـ ... ـخوفُ منها وتَذعَر الأهْوالُ
وأمانٍ تُجاذب الدهرَ ذيلَ الـ ... ـحظِّ والدهرُ جاذبٌ جَدَّالُ
هِمَّةٌ أرّقتْ جفونَ الأماني ... بسُعُودٍ للدهر فيها مِطالُ
واشتغالٍ فرَغْتُ فيه عن اللَّهْـ ... ـوِ بأمرٍ للحظِّ عنه اشتغالُ
أتمنَّى من الزمانِ وفاءً ... ووفاءُ الزمان أمرٌ مُحالُ

وله من أخرى، أولها: [الخفيف]

أقَبُول تنفَّست أم قُبولُ ... أم شَمالٌ دارتْ بنا أم شَمُولُ
نشرتْ نَشْرها النَّدِيَّ كأنَّ الـ ... ـأُفْقَ بُرْدٌ من الكِبَا مَبْلولُ
مَهَلاً يسترِخ سَنامُك من وَقْـ ... ـرِ الغَدَا فالأناةُ أمرٌ جميلُ
واسعِدينا بوَقْفةِ نَسْمَةِ الشَّـ ... ـآمِ فقد يرحمُ العليلَ العليلُ
كيف خلَّفْت دارَ أنسٍ وما الأُنْـ ... ـس فعَهْدي بالأُنس عهدٌ طويلُ
أيّ عصرٍ قطعتُ فيها وليلِي ... سَحَرٌ كلُّه ويومي أصِيلُ
بوجُوهٍ متى تبدَّتْ تبدَّى البَدْ ... رُ كبيرٌ من حولِهنَّ والتَّهْليلُ

التكبير والتهليل للتعجُّب، مما استعمله المُولَّدون.

قال المتنبيّ: [الكامل]

كبَّرتُ حول ديارهم لما بدَتْ ... تلك الشموسُ وليس فيها المشرِقُ[1]

ووقع في مجلس أبي بكر بن زُهْر، أن بعض أدباء الأندلس كان عنده، فدخل فاضل من أهل خُراسان عليهم، فأكرمه ابنُ زُهْر، وأجلَّه.

فقال الأندلُسِيّ: ما تقول في علماء الأندلس وأدبائهم وشعرائِهم؟

فقال: كبَّرتُ.

---

(١) ديوان أبي الطيب (٣/ ٧٧).

Marfat.com

فلم يفهم جوابَه، واستبْرده.

فلما فهم ابنُ زُهْر إنكارَه، قال: قرأتَ شعر المتنبيّ؟

قال: نعم، وحفظتُه.

قال: أما سمعتَ قوله: ... وأنشد البيت، فعلى نفسِك فلْتكبُر، ولفهْمِك اتّهِمْ وأنكر.

فخجل، واعتذر.

ومثله استعملوا «الصلاة على النبيّ ﷺ».

قال شيخُ الشيوخ بحمَاة: [مخلع البسيط]

فمَن رأى ذلك الوِشا ... حَ الصَّائمَ صلَّى على مُحمَّدْ

ولبعضهم في وصف خط: [الكامل]

خطٌّ كما انفتحتْ أزاهيرُ الرُّبَى ... مُتنَزَّه الألْبابِ قَيْدُ الأعْيُنِ

وبلاغةٌ مِلْءُ العيونِ مَلاحةً ... نال النبيُّ بها صلاةَ الألْسُنِ

وقد منعها النَّوَوِيُّ في مثل هذا شرعاً.

قال: والوارد في مثله «سبحان الله»، كذا ذكرَه في أذْكاره.

وقال الحَلِيمِيّ: إنه جائز بلا كَراهة.

وبيَّنوا وجهَه في فقههم.

وله من قصيدة، أولها: [المنسرح]

عُوجا على رَسْمِ ذلك الطَّلَلِ ... نَقْضِي حقوقَ الليالِي الأُوَلِ

لعلَّ نَشْنِي أعطافَه ثانيةً ... وقد ترجَّيْتُ غيرَ مُحتَمَلِ

فالدهرُ يأبَى إبقاءَ مُغتنَم ... فكيف يُزجَى لرَدِّ مُرتحِلِ

لكلِّ ماضٍ من شِبْهِه بدَلٌ ... وما لعهْدِ الشبابِ من بدلِ

سقى لوَيْلاتِنا بذي سَلَمٍ ... كلُّ مُلِثِّ الرِّبابِ مُنْهمِلِ[1]

معاهدٌ طال ما اقتطفتُ بها ... زهرَ الهنا من حدائقِ الجذَلِ[2]

وأطْلَع السعدُ في مَعالِمها ... بَدْرَ المُنى في غياهِب الأمَلِ

---

(١) الملث: الرجل يَعد دون أن يفي. اللسان مادة (ملث). الرباب: السحاب الأبيض. اللسان مادة (ربب).

(٢) الجذَل، بالتحريك: هو الفرح. اللسان مادة (جذل).

Marfat.com

حيث قُطوفُ اللّذّاتِ دانيةٌ ومَوْرِد اللّهوِ مُغْدِقُ النَّهَلِ[1]
نعثُر فيها بذَيْل لَذّتِنا في هِضاب العِناق والقُبَلِ
بكلِّ مُستوْقِف العيون سَناً يدعُو فراغَ القلوبِ للشُّغُلِ

الشغل فيها أربع لغات: شُغْل، وشُغُل، وشَغْل، وشَغَل.

أثْقَل أغْطافَه بخفّته لُطْفُ التّصابِي فخفّ بالثّقَلِ
وعُطِّلتْ من حَلْيِ النّباتِ عِذَا راهُ فحلاَه الحسنُ بالعَطَلِ
إذا رمتْنا من قَوْسِ حاجبِه سِهامُ جَفْنيْه ما بَنُو ثُعَلِ
وارَحْمتا العاشقين قد دَهَمَتْ هُمُ المَنايا في صورة المُقَلِ
وقد تفاءلْتُ من مَصارِعِهمْ أنّ تَلافِي بالأغْيُنِ النُّجُلِ
أسىً لقد جُرِّع الأسَى وهوىً أهْوَيْتُ من أجلِه على أجَلِي
فذا الذي حَجَبَتْ محاسنُه عنّا مَساوِي الصدودِ والنّقلِ
من كان عنّي قبلَ النَّوَى صَلِفاً أبْعدُ من مَسمعِي عن العَذَلِ[2]
ما زِدتُ عنه بُعداً بفُرقتِه لا وَاخَذ اللهُ البَيْنَ من قِبَلِي

منها في المدح:

أقام للفضل دولةً حسُنتْ والوصفُ بالفضل أفضلُ الدُّوَلِ
واسْتتَر الظلمُ من عدالتِه بين حُصون الظِّباء بالْكَحَلِ
يا أبيضَ العدلِ ما تركتَ بها سوادَ ظُلْمٍ إلا من المُقَلِ
واعتدلتْ حيث ما استمرَّ بها لولا قدودُ الحسانِ ذُو مَيَلِ
ما كنتُ أدري من قبل رُؤْيتِه كيف انحصار الأنامِ في رجلِ
حتى رأيتُ امْرَأً يقوم له الدَّ هْرُ على ساقِه من الوَجَلِ
إن ادَّعَى مبصرٌ له شبَهاً فاحكُم على ناظِريْه بالحَوَلِ

هذا في استعمالهم كثير، ومن أبلغه قولي في غلام أخول: [الطويل]

بنفْسِيَ من أخْلصتُ قلبي لأجْلِه فما اخترتُ عنه قَطُّ أن أتحوّلاَ
بديعُ جمالٍ لا يرى طرفُ ناظرٍ نظيراً له حُسْناً ولو كان أخْوَلاَ

---

(١) النهل: أول الشرب. اللسان مادة (نهل).
(٢) يقال: رجل صلف: قليل الخير. اللسان مادة (صلف).

Marfat.com

ومن قصائده، ميميّته التي أهداها شنَبا[1] لثَغْر الأدب الباسم، وبعثها رُوحا في مجارِي القَبول النّاسم: [م. الكامل]

تلك الطُّلولُ طلولُ سَلْمَى ... فافضُض بها للدمعِ خَتْمَا
دِمَنٌ غرَستُ بها الهوى ... فجنيْتُه كَمَداً وسُقْمَا
وانشُد هنالك مُهْجةً ... بصرِيعة الأخداق تُنْمَى
خلّفْتُها يوم النوى ... لسِهامها غرَضا ومَرْمَى
وأظنها لم يُبْقِ منْـ ... ـها حبُّ ذاك الظبيِ رَسْمَا
صنمٌ كأن اللّهَ صوَّ ... رَهُ من الأرواح جسْمَا
وكأنما مُزِج الصَّبا ... حتى تكوَّن منه بالْمَا
وجَناتُه رقّتْ فكا ... دتْ من خيالِ الوهمِ تَدْمَى
وَصَفتْ معاطفُه فكا ... د بها الغلائلُ أن تنمّى
نفِّسْ عليه يا نِطا ... قُ فقد كدَدْتَ الخَصْر ضَمَّا
واخفِفْ مُرورَك يا نسيـ ... ـمُ فقد خدَشْتَ الخدَّ لَثْمَا
إنّي غضضْتُ الطَّرفَ خوْ ... فاً أن يؤثّر فيه حَتْمَا
نَشْوانُ من خمرِ الدَّلا ... لِ مُعشَّقُ الحركاتِ ألْمَى
عُوِّضتُ فيه عن هُدا ... يَ وصحَّتي غَيّاً وسُقْمَا
إن الذي قسَم الهوى ... جعل القنا لي منه قِسْمَا
لا واخَذ اللّهُ الدُّمَى ... بدمِي فقد هدرَتْه ظُلْمَا
فإلى مَ يا ثَمِلَ الجفـ ... ـنِ وفي مَ تجْفوني ومِمَّا
قد تَاه سلطانُ العيـ ... ـنِ على القلوبِ وجار حُكْمَا
تلك الصِّفاحُ البيضُ لَـ ... ـكنْ للْمَنايا السُّودِ تُنْمَى
فكأنما راشَتْ لها ... عزَماتُ نجم الدين سَهْمَا
نجمٌ غدا للحائريـ ... ـن هُدىً وللأعداء رجْمَا
وله الأيادِي الغُرُّ تُز ... جِع أوْجُهَ الحسّادِ دُهْمَا
لو حاربَتْهُ الشُّهبُ لانـ ... ـقضّتْ لدينه تَرُوم سَلِمَا

(١) الشنب: ماء ورقة تجري على الثغر. اللسان مادة (شنب).

Marfat.com

منها:

خُـذْهـا إلـيـك أبـا الـقـوا فـي لا أراهـا اللهُ يُـتْـمَـا
قـد أطْـلـعـتْ مـن كـلِّ مَـغـ ـنىً فـي سـمَـا عَـلْـيـاك نَـجْـمَـا
أوْهـمْـتُـهـا مـدحَ الـسِّـوَى فـتـمـيّـزتْ بـالـغـيـظِ وَهْـمَـا

ومن مَصُوناته التي إذا اشتهرت اشتغل الناسُ بها عن كل منظوم، واحتفلوا بها احتفال بني تَغْلِب بقصيدة عمرو بن كُلْثوم، هذه الميميّة: [الخفيف]

عـاد فـانـقـاد لـلـهـوى بـذِمـامِ بـعـد مـا ودّع الـصِّـبـا بـسـلامِ
نـسْـمـةٌ مـن رُبـا الـغـديـر اسـتـفـزّتْ مـن أقـاصـي الـحـشَـى دَواعـي الـغـرامِ
نـشـأتْ مـن منـابِـت الـشِّـيـح والـقَـيْـ ـصـومِ تـروِي عـن رَنْـدِه والـخُـزامِ
ذكّـرتـه عـهـداً قـديـمـاً وكـم نـبّـ ـهَ ذكـرُ الـعـهـودِ جَـفْـنَ الـهُـيـامِ
بـوجـوهٍ تـجـلّـتْ صُـورَ الأقْـمـا رِ تـزنُـو عـن أعْـيُـن الآرامِ
كـل قَـدٍّ يـكـاد يـعـقِـده الـلّـيـ ـنُ وتَـثْـنـيـه خَـطْـرةُ الأوهـامِ
وفـمٍ طـيِّـب الـمُـقـبَّـل والـنَّـكْـ ـهـة تُـبـذي عـن مـثـل حَـبِّ الـغَـمـامِ
أبْـلَـجٌ واضـحُ الـدلـيـل بـأنَّ الْـ ـجـوهـرُ الـفـردَ قـابـلُ الانْـقـسـامِ
ولـذيـذُ الـحـديـث يـقـطُـرُ ظَـرْفـاً بـتـثـنّـي جِـيـدٍ وهَـزِّ قَـوامِ
لـكـلا الـعـاشـقـيْـن يـنـفـثُ سـحـراً شـكـلُ رُغْـبـوبـةٍ وزِيُّ غـلامِ

هذا البيت آخذٌ بطرَفي الحُسن، تتنبَّه له من غَيْرتها الجفون الوُسْن.

وقد ذكر البَاخَرْزِيُّ في مثله بيتاً، وهو: [الكامل]

لـمُـذكّـر الـخُـطـواتِ غـيـرِ مُـؤنّـثٍ ومُـؤنّـثِ الـخـلَـواتِ غـيـرِ مـذكّـرِ[1]

ثم قال، في وصفه: «هذا بيتُ شعر، يُساوي بيْتَ تبْر، ففيه قَلْبٌ يقبله كلُّ قلب».

ومما يُقارب هذا قولُ بعضهم: [الخفيف]

هـو تـحـت الـعَـجـاج لـيـثُ عَـرِيـنٍ وهْـو فـوق الـفِـراشِ ظَـبْـيُ كِـنـاسِ[2]

****

زمـن مَـرَّ كـلُّ عـام كـيـوم قِـصَـراً جَـرَّ كـلَّ يـومٍ كـعـامِ
هـكـذا كـلُّ مَـغْـنـمٍ فـهـو عـيـنُ الْـ ـمَـغْـرمِ والـوجـدُ زائـدُ الإعـدامِ

(١) دمية القصر (١/ ٤٢).
(٢) الكناس: المكان الموحش الذي تستكن الظباء فيه من الحر. اللسان مادة (كنس).

Marfat.com

ستـرى إن أعـارَك الـدهـرُ عـينـاً ... أن دَرّ الأيـــــامِ لـــــلأيـــــامِ
جلّ بـارِي الأمـورِ فـي صُـورِ الأضْـ ... ـدادِ أبْـــدَى الـــلـــذاتِ بـــالآلامِ
وجـلا الـعـزَّ فـي مـلابِـس ذُلّ ... وكـسَـا الـذُلّ صـورةَ الإغـظـامِ
وأراك الـمـخْـدومَ نـاعـمَ بـالٍ ... وهْـو أشْـقـى الـخـدام بـالـخُـدّامِ
حسبُك القَنع منصباً وكفى المَرْ ... ءَ نـعـيـمـاً مُـطـارَحـات الـكـرامِ
هـي أهْـنَـى مـواردِ الـعـيـش لـكـنْ ... كـدّرتْـهـا مَـؤُونـة الاخـتـشـامِ
مـن خـشـوعٍ ولات حـيـن صَـلاةٍ ... واخـتـراسٍ ولات حـيـن صِـدامِ
حـركـاتٍ تـجـري عـلـى غـيـر طـبـعٍ ... وقـعـودٍ مُـعـيَّـنٍ وقـيـامِ
وأشـدُّ الـبـلا عـلـى الـرأسِ تُـلْـفَـى ... عِـمَّـةٌ مـثـل ذِرْوةِ الأهـرامِ
ولـبـاسٌ يـغـري الـنَّـوائـبَ بـالأكْـ ... ـنـافِ ضـافـي الأذْيـال والأكْـمـامِ
صـاحِـبَـيّ ابْـغـيـا لـنـا خـارجَ الْـعـا ... لَـم داراً فـبـئْـس دارُ الـزِّحـامِ
واضْـدُقـانـي ألـسْـتُـمـا بـيـن لـيـلٍ ... ونـهـارٍ، مـا لـي حـلـيـفُ ظـلام
واسْـتـعـيـرا لـمُـقـلـتـي هَـجْـعَـةً عَـلّ ... مَـنـامـي يـعـودُ لـو فـي مـنـامِ
مـن أُمـور تَـقْـذِي الـعـيـونَ وأخـرى ... تـضْـدَع الـسـمعَ مـثـل وخْـزِ الـسـهـامِ
مَـشْـربٌ كـلُّـه قَـذىً سـوْغـتْـه ... إلـفُ هـذا الـنـفـوسِ بـالأجـسـامِ
مـا أرى مـوتَ مَـن فـقـدْنـا مـن الإخْـ ... ـوانِ إلا لـفَـرْط شـوقِ الـحِـمـامِ
هـلـكُـوا هِـمَّـةً وأدركـنـا الـلّـ ... ـهُ بـحُـمْـقٍ عـشْـنـا بـه فـي جَـمـامِ[1]
مَـن أراد الـعـيـش الـهَـنِـيّ فـلا يُـعْـ ... ـمِـلُ فـكـراً فـالـعـيـشُ عـيـش الـسّـوامِ
وَيْـكَ حـتـى م نـحـن غَـرْقَـى بـحـور الشْـ ... ـشِـر أسْـرَى سـلاسِـل الأزقـام
قـد عـكَـفْـنـا عـلـى غَـوايـتِـنـا نَـضْـ ... ـرِبُ مـنـهـا فـي غـارِبٍ وسَـنـام
قـد غـنَـيْـنـا عـن الـدُّروس بـمـا تُـمـ ... ـلِـي عـلـيـنـا صـحـائـفُ الأيـامِ
مـن عِـظـاتٍ تُـتْـلـى بـغـيـر لـسـان ... وسـطـورٍ خُـطّـت بـلا أقـلام
أزمُـسٍ دارِسـاتِ عـهـدٍ وأخـرى ... طـامِـسـاتِ الـصُّـوَى وأخـرى قِـدامِ[2]
ولـوَ أنَّ الـعـيـونَ زال غَـشـاهـا ... لـرأتْ كـلَّ أخـمـصٍ فـوق هـامِ

---

(١) الجمام، بالفتح: الراحة. اللسان مادة (جمم).
(٢) الصّوى: جمع صوّة وهي حجر يكون علامة على الطريق. اللسان مادة (صوى).

Marfat.com

بـل وفـي كـل وردةٍ ألـف خـدٌ وقـضـيـبٍ يـمـيـسُ ألـفَ قَـوامِ
فـلَـكٌ دائـرٌ ومـا هـو إلاّ أجَـلٌ سـاهـرٌ لـقـومٍ نـيـامِ
كـم قـرون طَـحَـنَّ أيضـاً وكـم تـطْـ ـحَـنُ أرحـاؤُهـنَّ بـالإقـدامِ

وقوله: «ولو أن العيون»، إلى آخر البيتين، معنى دقيق، وفي رُباعيّات عمر الخيّام بالفارسِيّ من نوعه أشياءُ كثيرة.

ولي في ترجمة رباعية من رباعياته: [الكامل]

في الاعْتبار بمَن مضى من قبلنا عِبَرٌ وتلك هدايةُ المسترشدِ
فلكم طوتْ تزباؤُنا أُمَماً وهل مَيْتٌ بغير ثَرائِها لم يُلْحَدِ
حتى كأن شَقِيقها دمُ أسرةٍ سفَكتْ دماءَهمُ عيونُ الخُرَّدِ
وبَنَفْسَجُ الروضِ النَّدِي كأنه خِيلانُ وَجناتِ الخدودِ الوُرَّدِ

ومن هذا قول المَنجَكِيّ[1]: [الكامل]

وإذا تأمَّلت الثَّرى ألْفَيْتَه غُرَرَ الملوكِ تُداسُ تحت الأرْجُلِ

وقول السيد عبد الرحمن بن النقيب[2]: [الكامل]

كم ضَمت التّرباءُ خَلْقاً قبلَنا من آخِرٍ يقْفو سبيلَ الأوّلِ
حتى كأن أدِيمَها ممّا حَوتْ حبّاتُ أفئدةِ الملوك العُدَّلِ

والمشهور فيه قولُ أبي العلاء المَعرّيّ، من مرثيّته الشائعة[3]: [الخفيف]

رُبَّ لَحْدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تَزاحُم الأضدادِ
صَاحِ هذي قُبورنا تملأت الرَّحْـ ـبَ فأين القبور من عَهد عادِ
خفِّفِ الوَطْءَ ما أظن أديم الـ ـأرضِ إلاّ من هذه الأجسادِ

وقد شاركه فيه مِهْيار، في قوله: [الطويل]

رُوَيداً بأخْفاف المَطِيِّ فإنما تُداسُ جِباهٌ في الثَّرَى وخدودُ[4]

ومنْزَع هذا كله قولُ أبي الطيِّب: [الوافر]

ويدفنُ بعضُنا بعضاً ويمشي أواخرُنا على هامِ الأوالِي[5]

---

(١) ديوان منجك (١٥٦).
(٢) ديوان ابن النقيب ٢٤٣، وينسبان إلى منجك في ديوانه (٢٩٤).
(٣) سقط الزند (٩٧١) .
(٤) ديوان مهيار (١/ ٣١٠).
(٥) ديوان المتنبي: ٣/ ١٥٠ .

Marfat.com

يريد بالأوالي الأوائل، وهو كثير في كلامهم، قال امرؤُ القيس: [الطويل]

وأمنع عِرْسِي أن يُزَنَّ بها الخالِي[1]

أي: الخائل. عَودا إلى ما نحن فيه. وما أحسن ظنَّه بربه، حيث قال: [السريع]

لا أُبالي إن قبضتُ على سُنَنِ الإسلامِ قَطُّ عَنَا
رحمةُ الله التي وسِعتْ كلَّ شيءٍ لا تضيقُ بنَا

وهنا أنهي ترجمته بموشَّح له يذكر فيه عين الذهب، ويندب عيشاً له فيها ذهَب: [الرمل]

بِأبي وَا بِأبِي وا بِأبي جَرْعةٌ من ماء عينِ الذهب
يا رعاهُ اللّهُ من وادٍ وسيمْ رَقَّ فيه الماءُ واعْتلَّ النسيمْ
تُعرف النَّضرةُ فيه والنعيمْ عيشُنا فيه رَخيٌّ اللَّبَب
غفلتْ عنه عيونُ النُّوَب
حيث ما يمَّمْتَ روضٌ وغديرْ وإلى جانبه ظَبْيٌ غَرِيرْ
وفِراشٌ مُتْقَنُ الوَشْيِ وَثِيرْ كمُلَتْ فيه دواعِي الطَّرَبِ[2]
يؤْخذ الصيدُ به عن كَثَبِ
ونديمٍ شَبَّ في حجرِ الدلالْ لو عصَرْتَ الظَّرْف من عِطْفَيْه سالْ
قمرٌ ينظر عن عيْنَيْ غزالْ وإذا ساجلْتَه بالأدب
يملأُ الدلوَ لعَقْدِ الكَرَب

هذا من قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، حيث يقول: [الرمل]

مَن يُساجِلْني يساجِلْ ماجداً يملأُ الدلو إلى عقد الكَرَبْ[3]

والكرب: الحبل الذي يُشدُّ في وسط العَراقيّ ثم يثلّث، ليكون هو الذي يملأ الماء فلا يَعفَن الحبل الكبير، وهو مثل يضرب لمن يُبالغ فيما يلي من الأمر.

قم بنا تنشَقْ رُوَيحاتِ السَّحَرْ قبل أن تصطادنا بالنفس البشرْ
هذه الوَرْق تغنَّت في الشَّجرْ وتناجتْ في رؤوس القُضُب
أن من ضيَّع ذا الوقت غبي

---

(١) ديوان امرئ القيس / ٢٧/ .
(٢) الوثير: الفراش الوثير الوطيء. اللسان مادة (وثر).
(٣) البيت في التمثيل والمحاضرة / ٢٩٩ .

Marfat.com

قوله: «قبل أن تصدا»، إلخ. من قول ابن الرُّومِيّ: [الطويل]

وغيرُ عجيب طِيبُ أنفاسِ روضةٍ مُنوَّرَةٍ باتتْ تُراحُ وتُمْطَرُ
كذلك أنفاسُ الرياضِ بسُحْرةٍ تطِيبُ وأنفاسُ الأنام تغيَّرُ

****

دَأْبُنَا شَمُّ ورودٍ وخدودْ وعناقٌ من غصونٍ أو قُدودْ
والهوى لَفُّ خصُورٍ بزُنودْ لذَّةٌ ما شابَها من اشَبِ[1]
خلُصتْ من مُوبِقات الرِّيَب
نفْحُ روحِ الرَّاح في جسم الزُّجاجْ إنها تُثمِر عن فَيْض المِزاجْ
أيها السَّاقي فبادِرْ بالعِلاجْ رَضْعِ الشمسَ لنا بالشُّهُبِ
واسْكُبِ الفضَّة فوق الذَّهَبِ

١١١- السيد موسى الرّامَحَمْدَانيّ

من صفوة آل أبي طالب، وسُراة لُؤَيّ بن غالب.

تُقتبسُ من مشْكاته أنوارُ الصلاح، وتُطلبُ من جانب طُورِه أطوارُ الفلاح.

طلع من قريته قبل أن يبلُغ أشُدَّه، وقد ربط نِطاق عَزْمِه وشَدّه.

ثم ورد حِمَى الشَّهْباء الأزْيَن، كما وَرد مُوسى مأْءَ مَدْيَنِ.

فوجد أمَّةً من الناس على مائها يُسيغون، كما وجد موسى على ماء مَدْين أمَّةً من الناس يسْقون.

فشرب من زُلالهم حتى ازْتوى، وحدَّث عنهم بما سمِع وروَى.

ومن خَوارقِه أنه خرق بحرَ القَرِيض في تراجُع أمرِه، وذلك بعد ما تجاوز عددَ المِيقات من سِنِي عُمْرِه: والشاعر يقول: [الوافر]

---

(١) الأشب: أشب الشيء: خلطه، والأشب: الشيء المخلوط. اللسان مادة (أشب).

١١١- السيد موسى الرام حمداني، الحلبي، البصير، الشافعي المذهب، فاضل حلب وأديب.
ولد برام حمدان من قرى حلب، ثم توطن حلب، واشتغل بتحصيل الفنون حتى تفنن في العلوم والرياضيات، وبرع في العلوم الحكمية، وأما معرفته بعلم الحرف فإنه المتصرف فيه، وكان مطلعاً على واقع العرب وغرر الأخبار، وأما علم الأدب والشعر فقد أبدع فيه غرائب أنواع السحر، وكان من المنتصرين لأبي العلاء المعري، ويحفظ أكثر شعره ويرويه. وله مؤلفات منها: (نظم الأسماء الحسنى).
وكانت ولادته في شوال سنة أربع بعد الألف، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٤/ ٤٣٥).

Marfat.com

وماذا يبتغي الشعراءُ منّي وقد جاوزْتُ حدَّ الأربعينِ[1]

فأظهر تلك البيضا في صنعة الشعر، وسحر بالبَداهة والمعهود أن يُبطل السحر.

فكان قلمُه كعصا سمِيِّه ثعبانَ البيان، يتلقف ما تُلقيه سحرةُ البلاغة بين اللسان والبَنان. [المتقارب]

إذا جاء موسى وألْقَى العصا فقد بطَل السحرُ والساحرُ[2]

ثم حُجِب بصرُه وكُفَّ، فأصبح لشرفِه محمولاً على الأكُفّ.

وهو في الشعر يوازِن شاعر مَعَرَّة النُّعْمان، لكنهُ مُنَزَّه الفطْرة عن مَعَرَّة العمْيان.

فمن غرائبه قصيدةٌ، أرسلها إلى دمشق، لأحمد شاهين، ضمْن كتاب ولم يذكر اسمه، وأرسله مع من يجهل حَدَّه ورَسْمه.

والقصيدة مطلعها قوله: [البسيط]

بانُوا فحدِّثْ عن الأحبابِ يا طَلَلُ

ومن جملتها:

أنّى توجَّهَت الأظعانُ أيْن سَرَوْا مَن في الهوادِج ماذا وارَتِ الكِلَلُ
عن يَمْنة الحيِّ أم عن يَسْرِه ظعَنوا أم شَمْالاً أم جَنُوباً سارت الإبلُ
بانُوا وفي العيْن منهم منْظرٌ حسَنٌ وفي الفؤاد كلُومٌ ليس تنْدمِلُ

فلما وصل الكتاب إلى الشّاهِينيّ، سأل ناقلَه عن مُرسله، فلم يزده على أنه رجل من أشراف حلب.

فأجابه الشاهينيّ بهذه الأبيات، وأرسلها مع ناقل الكتاب: [الطويل]

ومن عَجبٍ دون العجائب عاجِبِ كتابٌ أتانا ليس يُعْزَى لكاتبِ
كتابٌ كريمٌ حيث أُلْقِيَ بيْننا طربْنا وقلنا من أجلْ مُكاتِبِ
وأذْكَرنا لما أتانا مُنكَّراً سليمانَ إذ لم نَخْظ منه بصاحبِ
وقلنا كريمٌ من كريم وإنني لعِرفانِ مُنْشِيه لأطْلَبُ طالب
على أنه قبلاً سليمانُ لَم يكنْ ليكتُب إلا واسْمُه غيرُ غائبِ

فراجعه بقصيدة طويلة، قال في آخرها: [البسيط]

إن ابن شاهينَ لا تُنْسى صَنِيعتُه لو أنها نصفُ بيتٍ خُطَّ بالشعرِ

---

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي (الأصمعيات /١٩/).
(٢) البيت في التمثيل والمحاضرة / ٢١/ .

Marfat.com

أنـا الـكـلـيـمُ عَـصـاتِـي غـيـرُ خـافـيـةٍ ... إن شمْتها انْبَجستْ عينٌ من الحجَرِ
عينٌ من المجد ترْمي من جوانبها ... نَبْلَ القصيد فترمي الأُسْدَ بالذُّعَرِ
ونِسْبتي في قُصَيٍّ نِسْبةٌ وسَطٌ ... أعني بها نِسْبة المبعوثِ من مُضَرِ
ولستُ ذاكراً اسماً في مُراسلةٍ ... يُهْدَى بها النَّزْرُ من تَمْرٍ إلى هَجَرِ
هَضْماً لنفسِيَ عن قول الفقير كذا ... وهكذا في فُصول الآيِ والسُّوَرِ

وصل كتابُك فملأ العيون ضياء ونوراً، والقلب فرحة وسروراً.

لكن شمَمْتُ من اختصار نظمه إشارةً خفيَّةً، وتوسَّمتُ في أفانين نَثْره عبارةً جليّة، وتأولتُ الإشارة: الحرُّ بالقليل يقنع، وتأملت العبارةَ بما فيه كِفاية وَمقْنَع.

مُتَرَجِّياً وَصْلَ حِبال الوُدّ، متمنِّياً أمْراسِ الصَّدّ[1].

على أنا أهلُ بيت لا نُؤثر على الحب مَذْهباً، ولا نرغب عن قِنْطار منه بقنطار ذهباً.

وإن تواضع لنا الرفيعُ فبفضله، أو ترفَّع علينا الوضيعُ فعلى مَهلِه.

وإن رأى المولى إتْحاف العبد بما يلائم الفمَ عُذْراً، ويُحدِث لعَلِيٍّ مَحِلّه ثناءً وذِكْراً.

ويقطع لسانَ الملام، فذلك إليه والسلام.

فراجعه بقصيدة أولها. [البسيط]

ما روضةٌ دبَّجَتْها السُّحْبُ في السَّحَرِ ... فدبَّجتْها يدُ الأنواءِ بالزَّهَرِ

ويُستجاد منها قوله:

وقد عرفتُ اليدَ البيضا له كرماً ... أما العصا فهي للعاصِي بلا نكُرِ
أفْدِي الكليمَ الذي قد قال مُنبسِطاً ... هذه عصايَ ولم يضرِب سوى الحجَرِ
إن الكليمَ حديدٌ في جَلالتِه ... لا سِيَّما نَبْلُ رامي الأُسْد بالذُّعَرِ
والمُنْتَمِي المعتلِي في أوجِ نسْبته ... لمُودِع الحِلْمِ حدَّ الصارمِ الذَّكَرِ
يسمُو بجَدَّيْن جَدٌّ قد أناف به ... على الحُظوظ وجَدٌّ سيدُ البشرِ
وُجوهُنا ونَواصِينا وأعيُننا ... مبذولةٌ لِتُراب المصطفى العطِرِ
ثم الوَصِيُّ ونَجْلَيْه معاً وهما ... ريْحانتاه ومن يُنْمَى لذاك حَرِي

---

(١) الأمراس: جمع مرسة، وهي الحبل. اللسان مادة (مرس).

Marfat.com

منها:

مِن واصلٍ جاءنا حُرَّ القَريض وما ... من هاجرٍ جاءنا تمْرٌ إلى هَجَرِ[1]
وجاءنا الدُّرُّ محمولاً على صَدَفٍ ... وجاءنا العطْر يُذْكِي نَفْحَة الزَّهَرِ
وزارنا الغيثُ وَكَّافاً على جَدَدٍ ... وجاءنا البحرُ فيَّاضاً على النَّهَرِ[2]
من كل قافيةٍ غنَّاءَ مُطرِبَةٍ ... والشُّهْدُ فيما أتاني شِيبَ بالبَصَرِ
فرُحْتُ من راحِها المختوم مُنتشِياً ... لكن سكِرتُ بها في وَضمةِ العَكَرِ
وشعرُك الكاسُ قد سَرَّتْ أوائلُه ... لكن أواخرُه لم تخْلُ من كَدَرِ
لا بل هو الشُّهْدُ لا يصْفُو لعاسِله ... وليس يخْلُو مُجاجُ النحلِ من إبَرِ
لا بل هو الجيشُ سرَّتْني طلائعهُ ... وساءني بطْشُه بالبيضِ والسُّمُرِ
غادَرْنَ في منزلي أشياءَ من جَدَلٍ ... مُوسَّدٍ بين خَدْشِ النَّابِ والظُّفُرِ
هذا وهذا وما في القلب غيرُ هوىً ... قد حلَّ مني محلَّ النُّور من نَظَرِي
لكنَّ للشِّعر أطواراً يلُوح بها ... وللحديث شُجونٌ ليس كالغِيَرِ
مالي وللشِّعر والسِّتُّون قد أخذَتْ ... منِّي مآخذَها من سَطْوة الكِبَرِ

* * *

ولما وردتْ هذه القصيدة، خاطبه السيد أحمد بن النَّقيب، بقوله: [الطويل]

سَقيْتَ زُلالَ الشِّعر هِيماً من الظمَا ... بِجِلِّق حتى عن موارده كلُّوا
فجازُوك أن زَفُّوا إليك عقِيلةً ... كذلك قد جُوزِي سميُّك من قبلُ

وكتب إليه السيد المذكور أيضاً جواب أبيات: [الطويل]

لموسى يدٌ بيضاءُ في الشِّعر مالَها ... إذا ذُكِرتْ في محفل القوم منكرُ
وكنتُ أراه يُبْطِل السحرَ ماله ... بأشعاره يَسْبي العقول ويسحرُ
تشوَّقْتُه إذْ غاب عنِّي بُزهةً ... وأوْحشني بالهجر والهجرُ يعسُرُ
فآنَسَنِي منه بعَذْراءَ طَفْلةٍ ... شبيهةِ بدر التَّمِّ بل هي أنورُ
فكنتُ كأني حين زارتْ سميَّهُ ... وبنتُ شعيبٍ إذ أتتْ تتبخترُ
ولو أنني أمْهَرْتُها العمرَ كلَّه ... فما أنا في التَّحقيق إلا مُقصِّرُ

وكتب إليه أيضاً، يطلب مراجعته، بقوله: [مالكامل]

---

(١) القريض: الشعرز. اللسان مادة (قرض).
(٢) وكف وكوفاً: إذا سال. اللسان مادة (وكف).

Marfat.com

قسماً بمن جعل الفضا ... ئلَ والمعالي حَشْوَ بُرْدِكْ
وحَباك منه قريحةً ... كعصا سَمِيِّك في اشْتِدَّكْ
أبطلْتَ سحرَ بني القَرِيـ ... ـضِ بها فكنتَ نسيجَ وَحْدِكْ
وتلقَّفتْ ما يصنعو ... نَ فآمنوا رَغْماً بمجدِكْ
إن القوافي قد ملكْـ ... ـت زِمامَها بعُلوِّ جَدِّكْ
واخترْتَ كلَّ فريدةٍ ... منها تضيءُ بسِمْطِ عِقْدِكْ
وبلغْتَ منه ما ترُو ... مُ فلم يصلْ أحدٌ لحدِّكْ
فلأنتَ في شَهْبائنا ... مَلِكُ القريض برغم ضِدِّكْ
فاسلمْ ولا رُميتْ بنو الـ ... ـآدابِ في حلَبٍ بفَقْدِكْ

فراجعه بقصيدة طويلة، منها قوله: [م. الكامل]

فوق الشَّدَادِ تشرَّعتْ ... يا ابنَ النَّقيبِ قِبابُ مَجدِكْ
وأطاعك الشرفُ الرَّفيـ ... ـعُ فأنت فيه نسيجُ وَحْدِكْ
أتْعبتَ جَدَّ بني القَرِيـ ... ـضِ فقصَّرُوا عن نَيْل جَدِّكْ
وغدوْتَ تَزْفُل في العلىٰ ... تِيهاً وتُرغِم أنفَ ضِدِّكْ

وحكى السيد يحيى الصَّادِقيّ، أن السيد موسى انْتحل شيئاً من شعره، فكتب إليه يداعبه: [م. الكامل]

أقسمتُ بالسحرِ الحلا ... لِ وحُرمةِ الأدب الخطيرِ
ومصارعِ العشَّاقِ في ... لَحَظاتِ ذا الظَّبْيِ الغَريرِ
ومجالسِ الأُنس التي ... عُقِدتْ على عَقْدِ السرورِ
إن كان موسى ذُو الأيا ... دِي البِيض والأدب الغزيرِ
لم يُرجِع المغصوب من ... شِعرِي وما أبْدَى ضميرِي
لأُذيقُه مُرَّ العتا ... بِ لدى الكبيرِ مع الصغيرِ
بل والخِصامَ لدَى الهُما ... مِ رئيسِنا صدرِ الصُّدورِ
وأصُوغ من دُرِّ القوا ... فِي عِقْدَ لَوْمٍ مستنيرِ
يُنْسِي أُولي الألبابِ ما ... فعل الفَرزْدق مَعْ جريرِ

فأجابه بقصيدة طويلة، منها: [م. الكامل]

Marfat.com

مـالـي ولـلـقَـنْـصِ الـصَّـريـ ... حِ وهِـمَّـتِـي صـقـرُ الـصُّـقـورِ[1]
وعـصـايَ طـوعُ يـدي تـلـقَّـ ... فُ كـلَّ سـحـرٍ مُـسـتـطِـيـر
إن أُلْـقِـهـا انْـبـجَـسَـتْ عُـيـو ... نُ الـمـجـدِ مـن صُـمِّ الـصـخـورِ
وبـهـا عـلـى الـدُّرِّ الـثـمـيـ ... نِ أغـوصُ فـي لُـجَـجِ الـبـحـورِ
ولـيَ الـيـدُ الـبـيْـضـاء بـيْـ ... نَ الـجَـمْـعِ والـجَـمِّ الـغَـفِـيـرِ
أسـتـغـفـرُ الـرحـمـن مـن ... دَعْـوَى تُـدنِّـس بـالـفُـجـورِ
هـذي قـوافِـي الـشِّـعـر حـا ... ضـرةٌ لـدَى الـمـولـى الـكـبـيـرِ
نَـجْـلِ الـحُـسـام الـمـسـتـبـدِّ ... بـرأيـه الـلـيـثِ الـهَـصُـورِ
مَـن شُـرِّفـت حـلـبٌ بـه ... وعـلَـتْ عـلـى هـامِ الـنُّـسُـورِ
إن كـان مـا زعَـمُـوه حـقّـاً ... فـهْـو أذرَى بـالأُمـورِ

وله من قصيدة: [السريع]

وفـوْقـنـا الأغـصـانُ مَـغـكـوفـةً ... تحنُو علينا من جفاءِ الهَجِيرْ[2]
كـأنـهـا الـغِـيـدُ تـعـطَّـفـنَ مـن ... بـعـد زمـانٍ هَـجـرُه كـالـسـعـيـرْ
أو خَـيْـمـةٌ خـضـراءُ مـن سُـنْـدُسٍ ... مَـخـبـوكـةُ الأطـرافِ حَـبْـكَ الـحـريـرْ
والـروضُ قـد هـتَّـك مـن حُـسْـنِـه ... سَـرائـراً أخـفـيْـتُـهـا فـي الـضـمـيـرْ
مـذ غـنَّـتِ الـوُرْقُ عـلـى مُـلْـدِه ... أغْـنَـتْ عـن الـنَّـايِ الـرَّخِـيـم الـمُـثـيـرْ
يـا عَـنْـدَلِـيـبَ الـروضِ مـهـلاً فـقـد ... هـيَّـجْـتَ أشـجـانَ الـمُـعَـنَّـى الأسِـيـرْ
تشْدُو وصـوتُ الـنَّـجْـمِ يستوقف الـ ... أمـلاكَ والأفـلاكُ فـيـهـا الـمُـدِيـرْ
والـشـمـسُ مـن غُـرَّتِـه أشـرقـتْ ... والـبـدرُ مـن ذاك الـمُـحَـيَّـا الـمُـنِـيـرْ

ومن مقاطيعه قوله: [الطويل]

أشـدُّ مـن الـمـوت الـزُّؤام مَـرارةً ... وأصـعـبُ مـن قَـيْـد الـهـوانِ وحَـبْـسِـهِ
مُـعـاشـرةُ الإنـسـانِ مَـن لا يُـطـيـعـه ... وحَـشْـرُ الـفـتـى مَـعْ غـيـرِ أبـنـاء جـنـسِـهِ

ومن لطائفه:

أنه ذكر بحَضرته فتى إذا جرى في وصْف الحسان تصريح، فإنما هو لحسنه البديع تلميح.

---

(١) القنص: الصيد. اللسان مادة (قنص).
(٢) الهجير: وقت الظهر واشتداد حر الشمس. اللسان مادة (هجر).

Marfat.com

تُعِيذه من خجَلات الغرام، لمَّا ترمُقه عيون المَلام.
فشُغف به على السَّماع، وأوقف على حبِّه الأطْماع.
وما زال به هائماً، وفي بحار عشقه عائماً.
تأخذه حَيْرة التذكُّر، وتملِكه لَهْفة التفكُّر.
فأنشده يوماً بعضُ الأدباء أبيات أبي العزِّ الضرير، وقصد لَوْمَه في حب ذاك الظَّبيِ الغَرِير.

وهي: [م. الكامل]

قالوا عشِقتَ وأنت أغْمَى ... ظَبْياً كحِيلَ الطَّرْفِ ألْمَى[1]
وحُلاهُ ما عايَنْتَها ... فنقُول قد شغَلتْك وَهْمَا
من أيْن أرْسَل للفؤا ... دِ وأنت لم تنظُرْه سَهْمَا
وخيالُه بك في المنا ... مِ فما أطافَ وما ألَمَّا

فأتم جوابها من حفظه: [م. الكامل]

فأجبتُ إنِّي مُوسَوِيُّ ... العِشْقِ إنْصاتاً وفهمَا
أهْوَى بجارحةِ السَّما ... عِ ولا أرَى ذاتَ المُسَمَّى

١١٢- ابو مفلح محمد بن فتح الله البَيْلُونِيّ

ماجد أفلح رائدُه، وجلَّت فوائده وفرائدُه.
صفحتُه البدر إلا أنه مُشرِق، وحديثه الروضُ إلا أنه مُورِق.
وهو بمكان من النَّباهة مَكِين، يطْلع له من كل ناحية على جيش البلاغة كمين.
ومع وَقاره الذي به يُعرَف، يبدو له من النِّكات ما يُستمَلح ويُستظرف.
وبلغتْ به السنُّ وهو جوَّاب بلاد، ومُنْفِقٌ من رياشه كل طرِيف وتِلاد.
فجاءت أيامُه في تقلُّبات تقْتضيه، لكنها لم تخْلُ في الحظ من فلَتات تسْترضيه.

---

(١) ألمى: أسمر الشفتين. اللسان مادة (لمى).

١١٢- محمد بن فتح الله بن محمود بن محمد بن محمد بن حسن البيلوني الحلبي، القاضي، أبو مفلح. كان غرة في جبهة الفضل، كثير الأدب، راوية للشعر والوقائع، خبيراً بصنعة النقد، غواصاً على دقائق الأدب. ولد بحلب وبها نشأ وتأدب بوالده فتح الله، ورحل إلى الروم، وسلك طريق القضاء، فولي المناصب الستة في إقليم مصر.
وكانت وفاته في سنة خمس وثمانين وألف. ا هـ. خلاصة الأثر (٤/ ١٠٥).

Marfat.com

تصقُل الأصائلُ ديباجتَها، وتُشغشِع البُكَر زُجاجتَها.

فكم شُغِف به المدحُ المُحبَّر، وتشوَّق إليه الثناء المعطَّر.

حتى إذا قرُبت به النوى، وأذنت به على إلْمام من فضل الثَّوا.

طلع طلوعَ النجم في الآفاق، وهبَّ هبوبَ النسيم على أخلاق الرِّفاق.

وحلَّ من الجفون محلَّ الوِسَن، ونزل من القلوب نزولَ الفَأْل الحسَن.

وقد رأيتُه بدمشق ووالدي يُوسعه رَغْياً ومَبَرَّة، ويترنَّح باغْتنام مُحاضرته جذَلاً ومسَرَّة.

وصبُح وجهه يومئذ لم يبْقَ فيه أثرُ غَيْهب، وكُمَيت صِباه جرى فعاد وهْو أشْهب.

وتناولتُ بعدُ من أشعاره المتهدّلة الأغصان، أشياءَ تقرَّطت بزَهَرات الحسن والإحسان.

فمنها قوله، من قصيدة مستهلها: [الخفيف]

دُمْتَ يا مَرْبَع الأحبَّة تَنْدَى ... كاسياً بالزهور بُرْداً فبُرْدَا

يا له مربَعاً إذا جاده النَّو ... ءُ فساقِي الصَّبوح يقطِف وردَا

وإذا انْساب في جداولِه الما ... ءُ حساماً جلَى النسيمُ الفِرِنْدَا[1]

جَنَّةٌ والغصونُ في حُلَل الأزْ ... هارِ حُورٌ بها ترنَّح قَدَّا

وتهادَى مَعاطِفُ الْبانِ سُكْراً ... كتهادِي العناق أخْذاً وردَّا

وتُديرُ الصَّبا كؤوسَ شذَا النَّوْ ... رِ على نَغْمة البلابِل سَرْدَا

كيف جُزْتِ الطريقَ يوماً ومن خَو ... فِك دمعي بالسيلِ يسلُك سَدَّا

لو رعيتِ العهودَ أحسنتِ لكن ... قلَّما تحفظُ المليحةُ عهدَا

وقوله من أخرى، مستهلها: [البسيط]

وجهٌ يقابلني لكنه قمرُ ... في الليلِ يطلُع لكن ليلُه شعَرُ

نظرتُه فسَطا في القلب ناظرُه ... ورُبَّ خَتْفٍ به قد أوقع النظرُ

لله ما صنَعتْ بي وَجْنتاه ومَن ... للنَّار يقرُب لا ينفكُّ يستعِرُ

ظَبْيٌ سبَى اللبُّ إلا أنه ملَكٌ ... من الملائك لكن طبعُه بشَرُ

عُلِّقتُه بدوياً راق منظرُه ... ورقَّ حتى استعارتْ دَلَّه أُخَرُ

---

(١) الفِرند: ورد أحمر، دخيل معرَّب. اللسان مادة (فرد).

Marfat.com

للسحر من لفظه معنىً بقوّته ... عن العقول صوابُ الرأيِ مستترُ
ما شاقَني قبلَ رُؤْيا وجهِه قمرٌ ... ولم يُشَم بعد رَيّا نعلِه عَطِرُ
جمُّ المحاسن معسولُ الدَّلال له الـ ... قَدُّ الذي خَضرُه لا يُدرِكُ البصرُ
لا عيبَ فيه سوى أن المحاسنَ من ... دون الأنام جميعاً فيه تنحصرُ
عن كأسِه خدَّه سَلْ يا نديمُ لكي ... يُنبيك أن الحُمَيّا منه تُعتَصرُ[1]
وانظرْ محاسنَهُ دُرّاً كمَبسَمِه ... منه كدمعِك دُرُّ اللفظ ينتثرُ

منها:

عيْناه في القلب أغصانُ الهوى غُرِسَا ... ورُبَّ غَرْسٍ جَناه الصَّابُ والصَّبِرُ[2]
أوْلَيْتُ للشوقِ قلباً ليس يرجع من ... هجرٍ أيرجعُ ماءٌ حيث ينْحدرُ

ومن مديحها قوله:

يكاد بدرُ الدُّجَى يُنْمَى لطلْعِته ... لو كان يمشي على وجهِ الثرى القمرُ
قضى الإلهُ بأن يُفْدى بحاسدِه ... فما له حسَدٌ باق له عُمُرُ
والدهرُ لو أنه نَاواه لا نْقصَلتْ ... ظلالُه ورأينا الناسَ قد حُشِرُوا
له عزائمُ زان الحِلمُ سَطْوتَها ... ينْقَدُّ إن شامَها الصَّمْصامَةُ الذَّكَرُ[3]

منها:

وافَيتُ باكِرَ لا أرجو سواهُ وما ... سواه ليس به نفعٌ ولا ضَرَرُ
وجئتُ سَبْسَبَ خطْبٍ من مَناسِمِه ... بسيْل ذَوْب اضطباري تملأُ الحُفَرُ
وأيْنُقِي حين أخدُوها بمذْحكٍ لا ... يكاد يلْحقها من سُرعةٍ نَظَرُ
كأنها ابْتلعتْ بِيدَ الفَلا وسرتْ ... في السُّخْبِ تقصِد حيث الغيثُ ينْهمرُ
فظَهْرهُنَّ حرامٌ إذْ بَلَغْنَ إلى ... نادٍ يحِلُّ بمن قد حلَّه الوَطَرُ

منها:

وهذه مِدَحي في طَيِّ أسطُرها ... عَبِيرُ ذكرِك في الأقطار ينْتشرُ
عذراءُ ترفُل في ثوبِ البلاغ لها ... من القوافي حُجولٌ صاغَها الخَفَرُ[4]

---

(١) الحُميّا: اسم للخمر. اللسان مادة (حما).
(٢) الصّاب: عصارة شجرة مُرّ. اللسان مادة (صوب).
(٣) الصّمصامة: اسم للسيف القاطع. اللسان مادة (صمم).
(٤) الخفر: شدة الحياء. اللسان مادة (خفر).

Marfat.com

ألفاظُها كصخورٍ في متانتِها وكلُّ لفظٍ به معناه مُنتقرُ

وله من قصيدة، أولها: [المنسرح]

صَبابةٌ لا اضطبارَ يضمِرها ومهجةٌ لا خليلَ يعذُرُهَا
ودمعةٌ لا الزّفيرُ يُنضِبها وزفرةٌ لا الدمُوع تُضمرُهَا
وعَشْقةٌ قد أبان أوّلُها أن هلاكَ المحبِّ آخرُهَا
فكل نارٍ وإن علَتْ خمَدتْ سوى التي وَجْنةٌ تُسعّرُهَا
وَيْحَ جريحِ اللّحاظ عِلّتُه في الطبِّ حيث الطبيبُ خِنْجرُهَا
ثبات عين الحبيب ليلته كالنجم لكن أبيتُ أسْهَرُهَا
لولا الكرى قامت مُرنّحةً لم تكُ أيدي الجفونِ تهْصُرُهَا[1]
لي زَفْرةٌ لم أزلْ أُصعّدُها ودمعةٌ لم أزلْ أُقطّرُهَا
ما العشق إلا كالكيمياء أنا دون جميع الأنام أنا جابرُهَا
تبْسَم إن كُلِّمتْ مَشاكِلُها ودُرُّ دمعي غدا يُناظِرُهَا
هيفاءُ ما الغصنُ مثلَ قامتِها لكنّ أغْطافَه أشايِرُهَا
أعشق من أجْلها الكَثِيبَ إذا يضمُّ أمثالَه مَآزِرُهَا
وأحسِد البدرَ في محبَّتها فغيرُه لا يكاد يَنْظُرهَا
وألثَمُ المسكَ والعبيدَ عسى يكون مما فتَّتْ ظفائرُهَا
لله ما في الهوى أُعالجُ من لواعِجٍ في الهوى أُصابِرُهَا
يا حبّذَا خُلْسةٌ ظفرتُ بها في غَفلةٍ للزمان أشكرُهَا
حيث لعهْدٍ غدتْ تمُدُّ يداً لم تذرِ أسرارَها أساورُهَا
يسألها خاطرِي الوصالَ ولا يُجيب عنه إلاّ خواطرُهَا
ليت ليالي الوِصالِ لو رجعتْ أوْ ليتَ قلبي معي فيذكرُهَا

ومن مقاطيعه قوله: [الخفيف]

لا تلُمْ من شكا الزمانَ وإن لم تَشْفِ شكْواه علّةَ المجهودِ
إنما يُحوِج الكرامَ لشكْوَى شوقُ ما في طباعِهم من جُودِ

وهنا أذكر ثلاثة من بلغاء النثر والنظم، نسَقهم الشّهاب في مطالع خباياه نَسْق النظم.

فمنهم:

---

(١) الهصر: العطف والثني والإمالة. اللسان مادة (هصر).

Marfat.com

١١٣- السيد محمد بن عمر العُرْضِيّ

هو من أُلقيتْ إليه في كرم الطبع أعِنَّةُ السّلَم، فلولا توقُّد ذهنِه لاخضرَّ في يده القلم.

مكانته من الشهرة حيث ينْتبين للمُبصر النهار، وطبعه يتنفَّس عن المعاني تنفُّس الروض عن الأزهار.

وله عذبُ لفظٍ يلفِظ الدُّرر الزَّواهر، وفي غير هذا العذْب لا تتكوَّن الجواهر.

ينظم فيوزِّع على العقول سحراً، وينثُر فيفرِّق على الأفْواه دُرّاً.

فهو يذيب الشعرَ والشعرُ يُذيبُه، ويدعو القولَ والسحرُ يُجيبُه.

إذا خطَّ في الطِّرس نَمَّ ببدائع الآثار، وأطْرب حتى كأن قَلمَه مِضرابٌ وسطوره أوتار.

فيجيءُ من أبكار أفكاره، بما ينْتعير الرَّحيقُ السَّلْسَل من فضلِ إسْكاره.

وكان دخل الروم مقدِّراً أن المَتاع بأرضِه يُسترخَص، وأن المرء يبلغ مُناه في أيِّ وَجه يشخَص.

فلم يحصُل على ما يستحقه وُفور كمالِه، فقالٍ يذْكر ما لقيَه من تخلُّف آماله:

لما ضاقتْ رقاعُ بلادي، ونفِدَت حقيبةُ زادي.

فوَّقتُ سهامَ الاخْتيال، وأجَلْتُ قِداح الْفال.

فكان مُعَلاَّها السَّفر، سفينةُ النجاة والظَّفَر.

طفِقْت أتوكَّأُ على عَصا التَّسْيار، وأقتحم.موارد القِفار.

أفْرِي فَلاةً يبعُد دونها مَسْرَى النَّعِيّ، وألطِم خدودَ الأرض بأيدي المَطِيّ.

١١٣-محمد بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود بن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين العرضي، الحلبي.

كان من الفضل في مرتبة الآحاد، ومن الأدب في مرتبة لا تنال بالاجتهاد، وكان له سيادة من جهة أمه، فهو سيد قومه، وقد ولي القضاء مدة طويلة ثم درس بالمدرسة الكلتاوية والسعيدية، وولي إفتاء الحنفية بحلب مدة سنتين، ثم سافر إلى الروم وأقام بها مدة مديدة، وأخذ بها عنه الأدب جماعة من الصدور، ولما مات أخوه أبو الوفا صار مكانه مفتي الشافعية بحلب، وواعظاً بجامعها، وحصل له جذب إلهي، وتكلم في وعظه برموز ودقائق على لسان القوم، ووعظ أربع مرات ثم مات.

وكانت وفاته في صفر سنة إحدى وسبعين وألف، وبلغ من العمر نحو ستين سنة. ا هـ. خلاصة الأثر (٤/ ٨٩).

Marfat.com

فكنت فتى قذفَتْه رقّة الحال على بريد النَّوى، واعتنقَتْه الهمةُ العاقِر وألقحتْ بعزمه لواقح المنى.

أسايرُ عساكرَ النجوم والأفلاك، وقد ركَز الليلُ رُمح السِّماك.

فأنخْت راحلتي بمُخيَّم المجد، وقَرارة ماء السَّعد.

كعبةِ الأفاضل إلا أنهم يحجُون إليها كلَّ آن، وسوق عُكاظِهم إلا أنها تُنصَب فيها مَصاقِع الروم لا مصاقع عَدْنان.

فلما ألقتْني فيها أزْجوحة المقادير، فإذا هي فلَك العِزّ ومطلع التَّدبير.

إلا أن حالي تقسَّمتْ فيها بين الاغْتراب والاضطراب والاكتساب أثْلاثاً، فما نزلتُ منها منازلَ إلا حسِبتُها عليَّ أجْداثاً.

وسقتْني الدُّزدِيَّ من أول دَنِّها، وسوءُ العِشْرة باكورةُ فنِّها.

كل هذا وأنا أسْتلين مَسَّ خُشونتِها، وأُسِيغها على كُدْرتها.

وأقول: إذا لم تتمَّ الصدورُ فستتمُّ العواقب.

وإن لم تُرَش القوادِم فَسَتُرَيَّشُ الخوافي والجوانب.

وكتب إلى حلب لبعض أوِدّائه:

وايْمُ الله لقد طال حديثُ الفِراق واسْتطال عليّ سُلطانه، وقد قرأت كتابَه فما سرَّني خاتمتُه، بقدْر ما ساءني عُنْوانه.

وكلما مَحَت أناملُ وَشْكِ الملتقَى من أسطُره سطراً، خطَّتْ أقلامُ مُمْليه عِوَضَه عشْراً.

وكلما استنْهضتُ عزيمتي أقْعدتْها كلاكِلُ[1] التَّواني، وحالت بينها وبين مُخذَّرات الأماني.

فإلى الله عز وجل أرفعُ يدَ التضرُّع، وأُذْرِي في ساحة الدعاء دموعَ التفجُّع والتوجُّع.

أن ينظِم ذاتَ البَيْن، ويجْدَع بحدِّ الاجْتماع مَارِنَ البَيْن.

وكتب من تعزية بنقيب أشراف حلب:

ما أيقنتُ أن قُسْطنطِينيَّة هي الجزيرة السودا حتى وقع لديَّ طيرُ هذا النَّعِيّ، الذي ما زال حاملُه يلطِم خدود الأرض بأيْدي المَطِيّ.

فيا له من خبرٍ حَيْنٍ زاد في مرض القلوب، وشقّ الأكباد قبل الجُيوب.

وقرأتُ ما كتبتْه أقلامُ التفجُّع بأفْواه الجفون، ونثرتُ عندها عِقْدَ شمْلِيَ المَصُون.

---

(١) الكلاكل: الجماعات. اللسان مادة (كلل).

Marfat.com

حيث لم أدَّخِر لسفرِ هذه الفُرقة من زاد، ولا بَلَّيت غليلَها بيَراد.
وايْمُ الله ما ذكرتُ لطائمَ أخلاقِه الغُرّ، وحلاوةَ مَنْطقِه الحُرّ.
وقَطْفَه نَوْرَ الفضائل، وإهداءَه باكورةَ المسائل.
وإحْرازَه قصَب السَّبْق، وثبوتَ قدمه على جادَّة الصدق.
وإيواءَه لي في حَواشِي وُدِّه الخصِيب، وإلْباسِي كلَّ يوم رداءَ لفَقْده القَشِيب.
إلاَّ اتَّقدتُ عليه حَرّاً، وتأبَّطتُ على الحِمام شرّاً.
وأسأل الله تعالى أن يجعل وفاتَه خاتمةَ كتابِ الرَّزايا، وقافيةَ بيتِ البَلايا.
وأن يُقلِّم ظُفْرَ مُصابه بأنامِل الصبر، ويُذيقَكم عن مَرارةِ صَابِه حلاوةَ الأجْر.
ومن شعره في أيام اغترابه، يشتكي من كثرة اضطرابه: [الطويل]

أمَا لأسيرِ الروم فَكٌّ من الأسْرِ ... فقد ملكتْ آرامُها القلبَ بالأسْرِ
بها نثرُ شَمْلِي من ثغورٍ تنظَّمتْ ... فيالكَ من نَظْمٍ غدا داعيَ النَّثْرِ
ولا بِدْعَ في أرضِ الثغُورِ شتَاتُنا ... ومَن لي بلَثْمٍ سَدَّ ذَيّالك الثَّغرِ
يُذكِّرنا رَوْعَ العذارَى بمنْزلٍ ... أجادَ المنازِي وَصْفَه غابرَ الدَّهرِ[1]
إذا همستْ في شُكْرِ غيرِك ألْسُنٌ ... فأنت لك الأسفارُ تُعلن بالشُّكْرِ
بَقِيْتَ لك العلياءُ تُعْطِي قِيادَها ... بتلك اليْدِ البيضاءِ والبِيضِ والسُّمْرِ

وله يتشوَّق إلى أحبابه، ويحِنّ إلى معاهد صَبْوته وشبابه: [الخفيف]

يا بريدَ الأشواق أوْجِفْ لدارٍ ... هي مُضطاف لَوْعتي وشبابِي
واختبرْ أسْرةً أراهم بكاسِي ... ما تذكَّرتُهم بطافي الحَبابِ
هل هواهم بنا كما قد عهدْنا ... أم قضى شخصُه بحُبِّ اغْترابِي
فمن اللهِ أسْتعيدُ لِقاهُم ... وبه إن جفا الحميمُ احْتسابِي
فهو عَوْنُ النَّائِي الغريبِ إذا ما ... عَضَّه حادثُ الزمان بنَابِ

وقال: [الطويل]

أحِنُّ إلى شَهْبائنا وقُوَيْقِها ... إذا انْساب منه بالنِّيارِب سَلْسالُ[2]
وأظْمأُ حتى أرْتوِي منه باللَّمَى ... وألْثَم أرضاً دونها خَفَقَ الآلُ
ولم تشتمِلْني الرومُ شمسُ مُدامِها ... تُدار بكَفِّ البدرِ والمرءُ مَيَّالُ
فماءُ بلادي كان أنْجعَ مشرباً ... ولو أن ماءَ الرومِ صَهْباءُ جِرْيالُ

---

(١) المنازي: أبو نصر أحمد بن يوسف، تقدم ذكره في ترجمة رقم (١١٠).
(٢) اسم منطقة في حلب.

Marfat.com

قُوَيْق نهر حلب، أكثر الشعراء من وصفه، فممن وصفه الخطيب أبو عبد الله محمد بن حرب، في قوله: [الطويل]

لقد طُفْتُ في الآفاقِ شرقاً ومغرِبا ... وقلّبتُ طَرْفي بينها مُتقلّبَا
فلم أرَ كالشَّهْباءِ في الأرض منزلاً ... ولا كقُوَيقٍ في المَشارب مَشْربَا

وللصَّنَوْبَرِيّ فيه: [المتقارب]

قُوَيقٌ إذا شمَّ ريحَ الشتا ... ءِ أظهرَ تيهاً وكِبْراً عجيبَا
وناسَب دجْلةَ والنِّيلَ والـ ... فُراتَ بهاءً وحسناً وطِيبَا
وإن أقبَل الصيفُ أبصرْتَه ... ذليلاً حقيراً حزيناً كئيبَا
إذا ما الضفادعُ ناديْنَه ... قُوَيْقُ قُوَيْقُ أبَى أن يُجِيبَا
وتمْشِي الجرادةُ فيه فلا ... تكادُ قوائمها أن تغيبَا

وله فيه: [الطويل]

قُوَيقٌ على الصفراء رُكّب طبعُه ... رَباه بهذا شُهدُه وحدائقُهْ
فإن جَدَّ جِدُّ الصيفِ غادر جسمَه ... ضئيلاً ولكنَّ الشتاءَ يوافقُهْ

وله فيه، من قصيدة: [الطويل]

هو الماءُ إن يوصَفْ بكُنهِ صفاتِه ... فللْماء إغْضاءٌ لديه وإطْراقُ
ففي اللون بَلُّورٌ وفي اللَّمْعِ لُؤْلُؤٌ ... وفي الطِّيبِ قنْديدٌ وفي النَّفع دِرْياقُ
إذا عبثتْ أيْدي النسيم بوجْهِه ... وقد لاح وجهٌ منه أبيضُ بَرّاقُ
فطوراً عليه منه دَرَقٌ خفيفةٌ ... وطوراً عليه جَوْشَنٌ منه رَقْراقُ[1]
وقد عابه قومٌ وكلهمُ له ... على ما تعاطَوْه من العيْب عُشّاقُ
وقالوا أليس الصيفُ يُبْلي لِباسَه ... فقلتُ الفتى في الصيفِ يُقْنعه طَاقُ
وما الصبْح إلاّ آيِبٌ ثم غائبٌ ... تُوارِيه آفاقٌ وتُبدِيه آفاقُ
ولا البدرُ إلا زائدٌ ثم ناقِصٌ ... له في تَمام الشهرِ حَبْسٌ وإطلاقُ
ولو لم تَطاولْ غَيْبةُ الوردِ لم تَتُقْ ... إليه قلوبٌ تائقاتٌ وأحداقُ
ولو دام في الحبِّ الوصالُ ولم يكنْ ... فِراقٌ ولا هجرٌ لما اشْتاق مشتاقُ

---

(١) الجوشن: اسم الحديد الذي يلبس في الحرب على الصدر أو نحوه. ا.هـ اللسان مادة (جشن).

Marfat.com

وفضل الغنى لا يستبينُ لدَى الغِنَى ... إذا لم يكنْ في ذلك الفضلِ إملاقُ
تُوَيْقٌ رَسِيلُ الغيثِ يأتي وينقضي ... ويأتي انسياقاً تارةً ثم ينساقُ

وللعُرْضِيّ من مكاتبة: [البسيط]

هل من خليلٍ بشَهْبانَا نُخَالِلُهُ ... وهل غزالٌ إذا عُدنا نُغازِلُهُ
عهدْتُها وشموسُ الرّاحِ جاء بها ... بدرُ التّمام وغصنُ البان حاملُهُ
إن ماسَ من وَلَهٍ وَاذُلّ عاشِقه ... حتى م يفْنَى إذا ما اهتزّ عامِلُهُ
تُرَى إذا ما قرعْنا باب ساحتِه ... يُولِي الجميلَ وإلاّ خاب آملُهُ
وهل نَوَدُّ فتى شطّتْ منازلُه ... وزَنْعُه قد خلا والبَين نازلُهُ
ما حِيلتي وطُروق البَيْن أقْلقني ... كأنّ عيْشاً مضى ما زال زائلُهُ
طال الفِراقُ فلا وافٍ يُراسِلنا ... على البِعاد ولا آتٍ نُسائلُهُ

وله: [الطويل]

هم القومُ إن بانُوا عن العينِ أو بانُوا ... بهم رَبْعُ قلبي آهلٌ حيث ما كانُوا
أُنقِّلهُم من منزلٍ بعد منزلٍ ... ولولا انْتضاءُ السيفِ أصْداه أجْفانُ[1]
فطوْراً جعلتُ العينَ وادي عقِيقهمْ ... إذا سال منها بالمَدامع طُوفانُ
وطوراً لهم قلبي الغضا ما تضرّمتْ ... بتَذكار عيشٍ لمْ يدُم ليَ نِيرانُ
لئن فات عيني منهمُ اليوم بَهْجةٌ ... فقد ملأتْ دارَ الأحاديث آذانُ
وكم من مُحِبٍّ لم يشاهدْ حبيبَه ... كما تُغشَق الجنّاتُ روضٌ وأفْنانُ
أُؤَجِّج في الأحْشاء نارَ القِرَى عسى ... على ضوئِها تغشُو من الطَّيْفِ ضِيفانُ
فرشْتُ له جَفْناً بطائفة الكرَى ... وأين الكرَى هيهات قَوْليَ بُهتانُ
فما الطيفُ إلا البدر والنومُ فكرتي ... فها أنا يقظانٌ وها أنا وَسْنانُ
أمولايَ يا هذا الصَّلاحي الذي به ... صَلاحُ وِدادٍ قد وَهى عنه ثَهْلانُ[2]
لئن ظمئتْ عيني إلى مَنْهَلِ اللِّقا ... فقلبي برَيّا ذكرِك اليومَ رَيّانُ

ومن غُرَر قصائده في إبْداء التشوّق، قوله: [الطويل]

على أثَلاتِ الوادِيَيْن سلامُ ... وبعضُ تَحايا الزائرين غَرامُ[3]

---

(١) انتضاء: نضا السيف: إذا أخرجه من غمده. اللسان مادة (نضا).
أصداه: المصاداة: المدارة، وأصداه وصاداه: أي داراه. اللسان مادة (صدى).
(٢) ثهلان: اسمٌ لجبلٌ. اللسان مادة (ثهل).
(٣) أثلات: جمع أثل، وهو اسم شجرة. اللسان مادة (أثل).

Marfat.com

تـذكّـرتُ أيـامـي بـهـا وأحـبّـتـي ... إذ الـعـيـشُ غَـضٌ والـزمـان غـلامُ
وإلْـمامتي بالحيِّ حيثُ تواجهَتْ ... قـصـورٌ وأكْـنـافُ الـحـمَـى وخـيـامُ
أُلامُ عـلى هِـجْرانـهـم وهـمُ المُنَى ... وكـيـف يُـقـيـمُ الـحـرُّ وهْـو يُـضـامُ
هـمُ شـرَعـوا أنَّ الـجـفـاءَ مُـحـلَّـلٌ ... وهـم حـكـمـوا أن الـوفـاءَ حـرامُ
بـقـلـبـيَ رَوْحٌ مـنـهـمُ وضَـمـانـةٌ ... وعـنـديَ بُـزْءٌ مـنـهـم وسَـقـامُ
وأبْـلـجَ أمَّـا وجـهُـه حـيـن يُـجْـتَـلى ... فـشـمـسٌ وأمـا كـفُّـه فـغَـمـامُ
جرى طائري منه سَنِيحاً فعلَّني ... بـدَرِّ أيـادٍ مـا لـهُـنَّ فِـطـامُ
شَـرَدْتُ عـليـه غـيـرَ جـاحِـد نـعـمةٍ ... أُكـلِّـفُ خَـسْـفـاً بـعـده وأُسـامُ
وقد يُسلَب الرأيُ الفتى وهْو حازمٌ ... ويـنْـبُـو غَـرارُ الـسـيـفِ وهْـو حـسـامُ
فقد وجد الواشون سُوقاً ونفَّقوا ... بـضـائـع زودى مـا لـهُـنَّ دَوامُ
وبـعـضُ كـلام الـقـائـلـيـن تـزيُّـدٌ ... وبـعـضُ قـبـول الـسـامـعـيـن أثـامُ
فأصبح شَمْلُ الأُنس وهُو مُبدَّدٌ ... لـديـه وحـبـلُ الـقُـرْب وهْـو زِمـامُ
يُقَرِّب دوني من شَهدِتُ وغيَّبوا ... ويُوصِل قبلي من سهِرتُ ونامُوا
تـزاور حـتـى مـا يُـرجَّـى الْـتـفـاتَـةً ... وأغـرَض حـتـى مـا يَـرُدُّ سـلامُ
فـلا عَـطْـفَ إلاَّ لَـحْـظـةٌ وتـنـكُّـرٌ ... ولا رَدَّ إلا ضَـجْـرةٌ وسَـآمُ
فـإن يـكُ رأيٌ زَلَّ أو قَـدرٌ جـرى ... بـنـازِلـةٍ فـيـهـا عـلـيَّ سـلامُ
فـواللهِ مـا فـرَّقـتُ فـيـك جـنـايـةً ... أُعـابُ بـهـا فـي جَـخْـفَـلٍ وأُذامُ[1]
ولا قَرَّ لي بعد التفرُّق مَضْجَعٌ ... ولا طـابَ لـي بـعـد الـرَّحـيـلِ مُـقـامُ
ولا لـيَ إلاَّ فـي ولائـك مَـسْـرَحٌ ... ولا لـيَ إلاَّ فـي هـواك مَـسَـامُ
وإن أكُ قـد فـارقـتُ دارَك طـائـعـاً ... فـلـلـدهـرِ فـي شَـتِّ الـجـمـيـع غَـرامُ
فـقَـبْـلِـيَ مـا خـلَّـى عـليَّـاً شـقـيـقُـه ... وفـرَّ بـه بـعـد الـعِـراق شـآمُ
حـيـاءً فـإن الـصـفـحَ فـيـه مَـغَـبَّـةٌ ... ومَـعْـذرةً إن الـكـرامَ كِـرامُ
أَلِمْنا وأعْذرْتم فإن تبْلُغِ المَدَى ... مـن الـعَـتْـب تُـعْـذَر دونـكـم وتُـلامُ
وأحـسـنـتـمُ بَـدْءاً فـهـلاَّ أعـدتـمُ ... ففي العَوْد للفضلِ الجميل تَمامُ

(١) أذام: أغاب. انظر اللسان، مادة (ذيم).

Marfat.com

أُجِلُّك أن ألْقاك بالعُذْر صادقاً ... وبعض اغتذار المُذْنبين خِصامُ
أتبْعُد حتى ليس في البُعد مَطْمَعُ ... وتُغْرِض حتى ما تكاد تُرامُ
وتنْسى حقوقي عند أوّل زَلّةٍ ... وأنت لأهل المَكْرُمات إمامُ
ألم ألْقَ فيك الأسْرَ وهْو مُبَرِّحٌ ... وألْتذُّ طعمَ الموت وهْو زُؤَامُ
وأخْطو سوادَ الليل وهْو جَحافلٌ ... وأرْعَى نجومَ الأُفْق وهْيَ سِهامُ
هو الذنبُ بين العفو والسيفِ فاخْتكمْ ... بما شئتَ لا يعلو بفضْلك ذَامُ
ولا تَبْلُني بالبُعد عنك فإنما ... حياتيَ إلاّ في ذَراك حِمامُ
إذا ما جَزيْتَ السُّوءَ بالسُّوءِ لم يكنْ ... لفضلِك بين الأكْرمين مَقامُ
أعِدْ نظراً في حالتِي تَلْقَ باطناً ... سَلِيماً وسِرّي ما عليه قَتَامُ[1]
فمثلُك لم تغْلِب عوائدُ سُخْطِه ... رِضاه ولم يبْعُد عليه مَرامُ
فلا تُنْكرَنْ فيما تسَخَّطتَ ساعةً ... فقد مَرَّ عامٌ في رِضاك وعامُ
وإن عَزَّ ما أرْجوه منك فإنني ... لينفعني تسْليمةٌ ولَمامُ
فلا تُشعِرَنّي غِرّة اليأْسِ إنما ... أمامي وراءٌ والوراءُ أمامُ
أترْضى لفضْلِي أن يضيعَ ذِمامُه ... ومثْلُك لم يُحْقَر لديه ذِمامُ

ومن بدائعه قوله في قُسْطنْطِينيّة: [المتقارب]

تأوَّب مُخْتبِطاً للكرَمْ ... خيالٌ ألَمَّ شكا من ألَمْ
ديارٌ يخِرُّ لديها الخليجُ ... وتنْسَى المحاسنَ فيها إرَمْ
تعَدَّى العواصمَ ثم الدُّروبَ ... وكم ضَال في ضَالِها والعَلَمْ
يؤُمُّ الجزيرةَ دارَ العلوم ... ودَسْتَ المُلوك ومَرْعَى الهِمَمْ
أُسائِلُه لِمْ قرغْتَ الثغورَ ... وقَرْعُ الثغورِ دليلُ النَّدَمْ
وأُنموذَج من جِنان النعيمِ ... لقد عجَّل الله فيها النِّعَمْ

وعلِق بها فتى من بني زَرْقا العمامة، بصير بأسباب التبريح بَصَر زَرْقاء اليمامة.

عقَد على أدَقّ من الوهم الزُّنّار، وألقى قلبَ هذا المُوحِّد من شغَفه بالنار.

فملأَ من خمرةِ وَجْده كؤوساً لم يَذُنْ منها عكَر اللَّوم، ولم يَبْقَ قدحٌ في عهده إلاّ تطفَّح سوى هلالِ شهر الصوم.

---

(١) قتام: الغبار. اللسان مادة (قتم).

Marfat.com

واستمرّ يُعاني وُلوعَه، ويطوِي على يد الصَّبابة ضُلوعَه.
إلى أن هلك الغلام، فقرأ بعده على العشق السلام.
فمما قال فيه، من قصيدة: [الطويل]

وعصرٍ بقُسطَنْطينيَّةٍ قد قطعتُه ... على وَفْق ما قد كان في النفس والصدرِ
يميني بها كرّاسةٌ أجْتَلي بها ... علوماً لقد زاوَلْتُها غابِرَ الدهرِ
أُحرِّر منها في الطُّروسِ بدائعاً ... فأملا صدورَ القوم في الوِرْد والصَّدرِ
وطَوْراً أُحَلِّي من زمانيَ عاطلاً ... بِعِقْد نِظامٍ صاغَه صائغُ الفِكْرِ
مَعانٍ إذا ما صُرَّ دُرَّ وَعَى لها ... تراه بِصُرّ راح وهْو بلا دُرّ
أُضمِّنها سَلْوى الحزين ورُقْيةَ السَّـ ... ـليمِ وماخوذٌ من اللَّحظ بالسِّحرِ
وكفُّ شِمالي للشَّمُول يَنابِعٌ ... إذا اختشَّها الساقي أذاعتْ له سِرّي
من العبْقريِّين الذين تحمَّلوا ... نَقَا كَلْكَلِ الزُّنّارِ فوق وَهَى الخَصْرِ[1]
إذا اغتمَّ زرقاءَ اليمامةِ خِلْتَها ... سماءً بها قد لاح نُورُ سَنا البدر
وإن قام بين الشرب خلْتَ قوامَه ... قنا ألفٍ قامت على وسَط السَّطرِ
وإن أترَع الكاساتِ خلْتَ يمينَه ... لُجَيْناً تُحلِّيها مَقامعُ من تِبْرِ
وإن نظرتْه العينُ نظرةَ ذي الهوى ... سقاني بكأسِ العين خمراً على خمرِ
وأذْجُو بليلٍ من ذوائبِ شعرِه ... فيا رَبِّ هل في لَثْمتي الثَّغْرَ من فُجْرِ
أفكُر في يوم النوى ليلةَ اللِّقا ... فأذْرِي دماءَ العين من حيث لا أذرِي
فأمْسَحُ في كافورةِ الجيد مُقْلتي ... عسى أنّ بالكافور دمعِيَ لا يجرِي
فما زال في ثَوْبِ الخلاعةِ ظاهرِي ... وقلبي بذكْرِ الله يفتَرُّ عن دُرّ
إلى أن قذفْتُ الشِّرْك عن صَفْو خاطرِي ... كما تُقذَف الأدناسُ عن لُجّةِ البحرِ

وقال فيه، بعد ما هلَك: [الطويل]

ألا قُل لقُسطَنْطينيَّة الرُّوم إنني ... أُعادِي لقُسطنطين اسمَك والرَّسْمَا
لقد غيَّبْته في الثرى غير واجدٍ ... مُحِبّاً يُفاديه الحُشاشة والجِسْما
وقد تركتْني ساهرَ الطَّرْف بعده ... مُشَتَّتَ شَمْلِ البالِ أرْتقِب النَّجْمَا
سأهجرُ فيه خُلة الكأسِ والهوى ... وأجْتنبُ اللّذاتِ أن عُدْن لي خَصْما

(١) الكلكل: الصدر من كل شيء. اللسان مادة (كلل).

Marfat.com

ولما خلُص من هواه، وقفَل من الروم إلى أرض مَثواه. محّض أشعارَه إلى التَوسُّل والتشفُّع، وسَمتْ همتُه إلى التنصُّل عن المدح والتَّرفُّع. فمما قاله في غضون ذلك، من نبويّة: [الكامل]

ما زلتُ حَسّاناً له ولبيْته ... ولصَخْرِ ذاك البيتِ كالخنْساءِ
أبكي العقيقَ وساكِنيه وليْتني ... كنتُ المُخضَّب دونهم بدماءِ

وله، من مقصورة: [الرجز]

ومُذ نشرتْ صفحةُ البيد سُرَى ... رَسَمتْ بالمنْسَمِ واواً للنَّوَى

وله: [الخفيف]

قد أَلِفْتُ الهموم لمّا تجافتْ ... عن وِصالي الأفراحُ وازدَدْتُ كُرْبَهْ
فديارُ الهمومِ أوطانِيَ الغُرُّ ... ودارُ الأفراح لي دارُ غُرْبَهْ

وله: [الطويل]

لئن سلَبوني لُؤلؤاً كنتُ صُنْتُه ... بأضدافِ فكري لم يثقُبْه ثاقبُهْ
وإن غلبتْني الأغنياء وطيَّشَتْ ... سهامي وعيشي كان صَفْواً مشارِبُهْ
فللّهِ قوسٌ لا يَطيشُ سهامُها ... ولله سيفٌ ليس تنْبُو مَضارِبُهْ

وله: [الخفيف]

وَجْنَةً كالشقيق مِرآتُها اليوْ ... مَ صفَتْ من قَذاةِ عين الرّقيبِ
خُضِّبتْ من دَم القلوب فما تُبْـ ... ـصَرُ إلاّ تعلّقتْ بالقلوبِ

وله: [الكامل]

الصخرُ رقَّ لحالتي يا ذا الفتى ... مذ صرتُ خنساءَ وقلبي قد عَتَا
يا أيها الرِّيمُ الذي ألْحاظُه ... سلّتْ على العُشّاقِ سيفاً مُصْلَتَا
كم ذا أُعانِي فيك أهْواءً وكمْ ... أضلَى بنيرانِ الهوى وإلى متَى
الله أعلمُ لم أبُخْ بهواكمُ ... لكنما العينانِ فيها نَمّتَا
أتُرَى زماناً مَرَّ حُلْواً بالحمى ... هو عائدٌ والعيشُ غضٌّ ثَمّتَا
ما كان في ظنّي الفِراقُ وإنما ... قاضي الغرام عليَّ ذلك أثبتَا
كم ليلةٍ للوصلِ قرَّبتِ الكرَى ... عطَس الصّباحُ ولم أُجِبْهُ مُشمّتَا
وعلى الذي نطَق الكتابُ بمدْحِه ... وأتى الخطابُ له بسُورةِ هل أتَى

Marfat.com

مـنّـي صـلاةٌ أجْـتـنـي نُـوّارَهـا مـن جَـنّـةٍ عـيـنـايَ فـيـهـا نَـمّـتَـا

وله: [الخفيف]

إن يـغِـبْ كـلُّ صـاحـبٍ وصـديـقٍ والـرّزايـا بـسـاحـتـيـك أنـابَـتْ[1]

فـاسْـتـمِـدّنَّ رَوْحَ رُوحِ نَـبـيٍّ إنَّ رُوح الـنـبـيّ مـا قـطُّ غَـابَـتْ

وله، في مُوشَّم: [البسيط]

أفْـدِي غـزالاً تـعـرّى مـن مـلابـسِـه والـجسمُ من ترَفٍ أضْحى كفَالُوذَجْ

كـأنّـه وطِـرازُ الـوشـمِ دارَ بـه جسمٌ من الدُّرّ فيه نَقْشُ فَيْرُوزَجْ

وله، في صائغ: [البسيط]

وشـادِنٍ صـائـغ هـام الـفـؤادُ بـه وحبُّه في سُوَيْدا القلب قد رَسخَا

يا ليْتني كنتُ مِنْفاخاً على فَمِه حـتـى أُقـبّـل فَـاهُ كـلـمـا نـفـخَـا

وله: [م. الكامل]

رَيْـحـانُ خـدّك نـاسـخٌ مـا خَـطَّ يـاقـوتُ الـخـدُودْ

وقَـع الـغـبـارُ بـهـا كـمـا وقَـع الـغـبـارُ عـلـى الـورُودْ

وله في الدُّخان: [المنسرح]

كـأن قُـضْـبـانـنـا وأرْؤُسَـهـا تُـشَـبُّ نـيـرانُـهـا مـن الـوَقَـدِ

سُـمْـرُ الـقَـنـا بـالـدّمـا مُـعـمَّـمَـةٌ أو أنّـهـا مـثـلُ أغْـصُـنِ الـوَرْدِ

وله في حامل قِنْديل: [البسيط]

وشـادنٍ جـاء والـقِـنْـديـلُ فـي يـده مـا بـيْـنـنـا وظـلامُ الـلـيـلِ مُـعـتـكِـرُ

كـأنـه فـلَـكٌ والـمـاءُ فـيـه سَـمـا والـنـارُ شـمـسٌ بـه والـحـاملُ الـقـمـرُ

وله: [الطويل]

وقـالـوا تـركْـتَ الـشـعـرَ فـيـمـن تُـحِـبُّـه ولـم تـخـتـرع مـعـنـىً قـديـمـاً ولا بِـكْـرَا

فـقـلـت تـجـلّـى بـعـضُ أنـوارِ حُـسْـنِـه عـلـى طُـورِ أحـشـائـي فـأحـرقـتِ الـفِـكْـرَا

وله: [البسيط]

طـويـتُ رُقْـعـة حـالـي عـن شِـكـايـتِـهـا وقـد سـكـنـتُ زوايـا الـفَـقْـرِ والـبـاسِ

وقـد قـطـعـتُ حِـبـالـي عـن رجَـا بَـشـرٍ مُـعـوّضـاً بـسـهـام الـمـوتِ والـيـاس

(١) الرزايا: جمع رزيئة، وهي المصيبة. اللسان مادة (رزأ).

Marfat.com

حِيناً يجود وأحياناً تُبخِّلُه ... خلائقٌ أوحشته غِبَّ إيناسِ
وقد لَجأتُ إلى مَوْلىً أرَى ثقتي ... بفضله نسخَتْ أحكامَ وَسْواسِي
هو النَّصِير لعبدٍ لا نَصِيرَ له ... تزميه بالهُون ظُلْماً أعيُنُ الناسِ

وله: [البسيط]

أستودعُ الله بدراً لا أُودِّعُه ... كيلا يَنمَّ إلى واشٍيه أذمُعُهُ
ولو بكى لم يكنْ ذاك البُكا أسَفاً ... إذ لم تدغ بيَد التَّفريق أضلعُهُ
وإنَّما هو يسقِي سيفَ ناظرِه ... كيْما يُعجِّل للمشتاقِ مَضرعُهُ
أفدِيه من راحلٍ أتبعتُه نفساً ... ومُقلةً لم تزلْ دوني تُشيِّعُهُ

وامتدح بعضَ الأدباء بقوله[1]: [الكامل]

أبداً أناضِلُ فيك أفراسَ المُنى ... وأصونُ أوقاتي عن التَّفريقِ
وأظنُّ أن الدهرَ ليس بمُوحِشي ... وبأنه ببنِيه خيرُ رَفُوقِ
لكنَّ للأيام حكماً جائراً ... أمضَى شَباً من صارِم مطروقِ
يا صَيْقَلَ الفكرِ الكليلِ ورَوْنَقَ الـ ... ـعمرِ القصيرِ وزَوْرةَ المعشوقِ
انتَشْتني من بعد عَوْمِي في الرَّدَى ... وتقهلُبِي والنارُ دون حريقِي
أُمسِي كما يُمسِي السليمُ مُسهَّداً ... لا بالطَّليق أُرَى ولا الموثُوقِ[2]
شَوقي إليك وإن تقارب عهدُنا ... شوقِي إلى عهدِ الشَّبابِ الرُّوقِ

وله أيضاً: [الخفيف]

روضةٌ كالشباب شوقٌ ورُوقُ ... كم بها للنسيم ذيلٌ رقيقُ
ما سقاها السحابُ إلاَّ وبَثَّ الشُّـ ... ـكرَ عنها بَنَفْسَجٌ وشَقِيقُ
كلَّما انحَلَّ للسحائب خيْطٌ ... عاد للروض منه نسجٌ أنِيقُ
نثرتْ عَسْجَد الأصيلِ عليها ... راحةُ الشمسِ يغتريها خفُوقُ
كم ركَضْنا فيها بخَيْل الملاهِي ... يوم ماشَتْ للفريق فريقُ
وخطيبُ الأطْيار قام بسُوق الـ ... ـأُنسِ يشدو وعيشُنا مَرموقُ
ورياض الحِياضِ طاب وقد دَبَّ ... عِذارٌ من الظِّلال يَرُوقُ

---

(١) الأبيات للأمير منجك في ديوانه ٢٥٦ .
(٢) المسهّد: الذي أرّقه النوم. اللسان مادة (سهد).

Marfat.com

ومن رباعيّاته: [الدوبيت]

يـا بـدرَ مَـلامـةٍ لـه الـبـدرُ شـقـيـقْ القلبُ وحرمةِ الهوى منك شقِيقْ
عـهـدي بـجَـنَى خَـدِّك ورداً فـلـمـا قد عاد بلحْظِي ذلك الوردُ شقِيقْ

ومن بدائعه قوله: [السريع]

تـلـك الـثَّـنـايـا وَاشـقـائـي بـهـا باتتْ تُريني عند لَثْمِي الطَّرِيقْ
تـبـدَّدتْ مـن غَـيْـرةٍ عـنـدهـا سُبْحةُ دُرٍّ نُظِّمتْ من عَقِيقْ

من هذا قول العزّ البغداديّ: [السريع]

أشـبِّـه الـثـغـرَ عـلـى خـالِـه تـشـبـيـهَ مـن لا عـنـده شَـكُّ
بـسُـبْـحـةٍ مـن جـوهـر أُودعـتْ حُـقَّ عـقـيـقٍ خَـتْـمُـه الـمِـسْـكُ

وله: [السريع]

لله يـا عـصـرَ الـهـوى والـصِّـبـا مـا كـان أهْـنـاكَ وأخـلاكَـا
إذ فـيـك لـيـلَ الـخَـيْـف رَيْـحـانـةٌ أشْـتَـمُـهـا فـي ظـلِّ مَـمْـسـاكَـا
تـمـسَّـك الـلـيـلُ بـأذْيـالـنـا حـتـى حـسـبـتُ الـلـيـلَ لَـيْـلاكَـا

وله في السيد أحمد بن النقيب: [الكامل]

من مبلِغٍ عني الشِّهابِي أحمدَا نجلَ النقيب الشامخ المتعالِي
لا تفخَرنَّ عليك بعدُ بقيَّةً ما لم تنلْها لستَ بالمِفْضالِ
المرءُ يكرَع من مَناهلِ خالِه وشرابُ آلاَ كالسَّراب الآلِ
للهِ قاضي عصرِك العَدْلِ الذي أعطاك خالاً ثم صاحبَ خالِ
فبقدْر ما تهْواه من ذِي الخال قد أُغطيت عكسَ هَواك عند الخالِ

وله: [الطويل]

وحقِّك لولا أن جُودَك ماطرٌ لما اخْضَبتْ بالبِشرِ روضةُ آمالِي
وإنِّيَ عبدٌ وابنُ عبدٍ لديك في عُبوديّتي قد فُزت بالنَّسَب العالِي
وقد أقبَلَتْ نحوي الصروفُ بجيْشها فقابلَها شُجعانُ صبري وإقْلالِي
صروفٌ أمانيها المَنايا فلم تُرَعْ بصبرِي ولم ترجِعْ بعجْزي وإذْلالِي
فأدْرِك بألْطافٍ بقيّةَ مُهجةٍ اليفةِ بَلْبالِ حليفةِ أهوال

Marfat.com

فلي فيك ما يُحيي ظُنوناً خُطورُها ... على البالِ يُحيي مَيْتَ عِزّي وإقْبالِي
عسى عَطْفةٌ أنّي أفوزُ بسَعْدِها ... ومِن فوق هام الفخرِ أسحبُ أذْيالِي

وله: [الخفيف]

إن خالَ الحبيب ممّا شَجانِي ... وعَنانِي به الأسَى والمَلالُ
قلتُ إذْ طاب نَكْهةً وسَواداً ... قُمْ أرِحْنا بقُبلةٍ يا بِلالُ

وله: [الطويل]

خُلِقتُ مَلُولاً لو يطول بيَ الصُبا ... تلقَّيتُ شيْبي ضاحكَ السِّنِّ باسمَا
ولو لم أُرَجِّ الموتَ في كل ساعةٍ ... لقضَّيتُ هذا العمرَ ثَكْلانَ واجِما
ولولا انحطاطِي تارةً وترفُّعي ... لما طلبتْ نفْسي العلى والمَكارمَا
فمالي صديقٌ ترْتضيه صداقتي ... ولا لي عدوٌ أتَّقيه المظالمَا
فطوْراً جعلتُ الأصدقاءَ أعادِياً ... وطوراً عدوّي أرتضِيه مُسالمَا
ولا لي على حالٍ قَرارٌ ولا بَقَا ... وكيف وبي التَّبْديلُ أصبح قائمَا

منها:

أُشاهد هذا الخلقَ مثلَ سفينةٍ ... وسَفانُها المولى تبارَك دائمَا
فمن شاء يُنْجيه إلى ساحِل البَقَا ... ومن شاء يُلْقيه فيصبحُ عائمَا
كذا قُرْعةُ الأقدار قد حكَمتْ به ... فلا تقترحْ شيئاً فما أنتَ قاسمَا
فمُتْ مَوْتةً بالاخْتيار وجَرِّدَنْ ... ثيابَ السِّوى إن كنت بالله عالمَا
وكُن للقَضا كالمَيْتِ في يدِ غاسلٍ ... عساك من الأدْناسِ تظهر سالمَا
ولا تَقْفُ قُطّاع الطريق إلى الهدى ... فتصبحَ في تِيهِ الضلالةِ هائمَا

وله في أرمد: [السريع]

ذاك الذي طَلَّتْ دمي عينُه ... وراح يُسمَّى أرمدَ الاسْمِ
لمَّا رآني لدَمِي ثائراً ... عصَّبها بالمِطرَفِ المُغلَمِ
قولُوا له يكشفُ عن عيْنه ... فإنَّ فيها نُقَطاً من دمِي

وله: [م. الرمل]

وجهُه كعبةُ حُسْنٍ ... ولَماه ماءُ زمزمْ
خِلْتُ ذاك الخالَ منه ... حجرَ الأسودِ يُلْثَمْ

Marfat.com

ورأيتُ بخطه: ومما نسجْتُه في حِلْية مَن نسَج عليه العنكبوت، من حليته الشريفة وهو مثبوت: [الخفيف]

اسمعْ حِلْية النبيِّ المُكنَّى ... من لآلٍ فرائدٍ ذاتِ معنَى
أبيضُ اللون أنفُه كان أقْنَى ... ذو جبينٍ طَلْقٍ وأفرَقُ سِنَّا
خافضُ الطَّرْفِ هيبةً وحياءً ... وله حاجبٌ أزَجُّ مُثنَّى
وكثيفُ اللِّحَى مُجمَّع شَعْرٍ ... أسودُ العين كاسِرٌ لك جَفْنَا
هُذبُ عينيْه مثلُ أقدام نَسْرٍ ... وله راحةٌ غدتْ وهْي تُثْنَى
مثل ما رَقَّ أُنْمُلاً رَقَّ قلباً ... مثل ما طال أيْدِياً طال مَنَّا
يا لَسطرٍ من فوق مُهْرَقِ صَدْرٍ ... من شُعورٍ كالخَزِّ لِيناً وحُسْنَا
إن يسرْ سار جملةً كانحطاطٍ ... من عُلُوٍّ يجوز رُكْناً فركنَا
كاملُ القدِّ لم يُسايزْه قِرْنٌ ... في مَقامٍ إلاّ وقد طال قِرْنَا
وإذا رام منطقَ القوْ ... لِ بثَغْرٍ فيُوزن اللفظَ وَزْنَا
دائمُ الفكرِ مظهرٌ لسرورٍ ... في مُحيَّاه وهْو يكتمُ حُزْنَا
فعليه الصلاةُ كلَّ مساءٍ ... وصباحٍ ما صِيغَ في القول مَعنَى

وله في شريف، يُدعى بالحسن: [المنسرح]

في دَعَةِ الله إن ظعنْت وخلَّفْـ ... ـتُ شريفاً يا ليته ظَعَنَا
فرَّق بيني وبينه زمنٌ ... لاَيَنْتُه وهْو لم يزل خشِنَا
لا أبصرتْ مُقلتي محاسِنَهُ ... إن كنتُ أبصرتُ بعده حَسَنَا

وله مضمِّناً بيت الفرزْدق، وقد نسخه عن معناه الأول، وجعله في الدُّخان: [الطويل]

وظبي غريرٍ بات عضراً مؤانسِي ... وليس سِواه من جليس ونُدْمان
فقد أصبح الغلْيونُ قائد جوهرٍ ... بِثغْرٍ له يحكي عقودَ جُمانِ
يقودُ ليَ الرِّيقَ البُرادَ الذي به ... غدتْ تنْطفِي لَوْعاتُ قلبي ونِيرانِي
وأُضرِمه حيناً بنار حُشاشتي ... فللّهِ من ضِدَّين يغتلجانِ
وبتُّ أفدِّي الزَّادَ بيني وبينه ... على ضوء نارٍ بيْننا ودُخانِ

ومن بدائعه قوله: [السريع]

Marfat.com

وَيْلاه من جيدٍ كماءِ الحياة حَفَّ به زِيقٌ كشَطْ القُراة
كأنما أطْواقُه حولَه فَوّارةٌ تُمطرُ ماءَ الحياة

وقوله في القهوة، مضمّناً بيت المتنبّي في مدح كافُور: [الطويل]

برُوحِي غزالٌ راح يُتْرِع قهوةً براحتِه البيْضاءِ تحكي الغواليَا
فقرَّتْ به عينٌ تُطالع وجْهَه وثَغْرُ ثَنايَاه تُظِمْنَ لآلِيَا
فأخبِبْ بها سوداءَ مِسْكيَّةَ الشَّذَا ولولا سوادُ المِسْك ما كان غاليَا
لقد نظَمَت شَمْلَ المُحبِّ بِحِبِّه وأنْسَتْ بياضَ الماء مَن كان صَادِيَا[1]
فجاءتْ بنا إنْسانَ عين زمانِه وخلَّتْ بياضاً خلفها ومآقِيَا[2]

وقوله: [الخفيف]

قيل لي كم ولِمْ تُرى تَتمادَى في الهوى والطريقُ وَعْرٌ قَصِيُّ
قلتُ ظنِّي بالله ظنٌّ جميلٌ وبخيْر الأنام جَدِّي عليُّ
إن لله رحمةً تسَعُ الخَلْـ ـقَ جميعاً فمَن هو العُرْضِيُّ

١١٤- فتح الله بن النحّاس

أنا لا أجد عبارة تفي في حقه بالمدح، فأرسلتُ اليَراع وما يأتي به على الفتح.

وناهِيك بشاعر لم يطِنَّ مثل شعره في أذن الزمان، وساحرٍ إذا أُشربت كلماته العقول استغنتْ عن الكؤوس والنُّدْمان.

---

(١) الصادي: العطِش. اللسان مادة (صدى).
(٢) ديوان المتنبي ص (٤/٤٠٧).

١١٤- فتح الله، المعروف بابن النحاس، الحلبي.
الشاعر المشهور، فرد وقته في رقة النظم والنثر وانسجام الألفاظ، لم يكن أحد يوازيه في أسلوبه أو يوازنه في مقاصده، وكثير من أدباء العصر يناضل في المفاضلة بينه وبين الأمير منجك. وكان في حداثته من أحسن الناس منظراً وأبهاهم صباحة ورشاقة، وكان أبناء الغرام يومئذ يفدونه، وهو يعرض عنهم ويجافيهم حتى تبدلت محاسنه، فعطف عليهم يستمد ودادهم، وكانت النفوس قد أنفت منه فرمته في زاوية الهجران، ثم اندرج في مقولة الكيف، وتزيا بزي الزهاد، واتخذ من الشعر صدارة، حداداً على وفاة حسنه ووفاة جماله. ثم ملّ الإقامة بين عشيرته فخرج من حلب وطاف البلاد، وكان كثير التنقل لا يستقر بمكان إلا جدد لآخر عزماً، ودخل دمشق مرات، وأقام بها مدة، واتفق عند دخوله الأول جماعة من الأدباء المجيدين وكان لهم مجالس تجري بينهم فيها مفاكهات ومحاورات.
وكانت وفاته بالمدينة المنورة في صفر سنة اثنتين وخمسين وألف، ودفن ببقيع الغرقد، ا هـ.
خلاصة الأثر (٣/٢٥٧).

Marfat.com

سهام أفكاره تفك الزَّرَد، وكِنانةُ آرائه تجمع ما شَتَّ وشرَد.

فهو للمعاني الباهرة مخترِع، وآت منها بأشياء لم يكن بابُها قُرِع.

وباب الفتح لم يُغلَق، وكم في خزائن الغيب من أشياء لم تُخلَق.

فسارت بأشعاره الصَّبا والقَبول، وصادفت من الناس مواقع القبول.

كأنه نفَسُ الرَّيحان المُبتَلّ، يمزِجه بأنفاس النَّور نسيم الروض المعتلّ. [البسيط]

أسْرَى وأسْيَرُ في الآفاق من قَمرِ ومن نسيمٍ ومن طَيْفٍ ومن مَثَلِ

وقد أثبتُّ من منتخبات قصائده، وأدبه الذي علِقت القلوب في مصائده.

ما لم يتغَنَّ بمثل خبره الحادِي والملأَّح، ولم تزُهُ بأحسن من وصفِه قدودُ الحسان وخدود المِلاح.

قال البَدِيعيّ في وصفه، وذكْر ابتداء أمره، وإيراد لمع من نثره وشعره:

نشأ في الشهباء ووجهه نسخة البدر في إشراقه، يناجي العاذل عن عذر عشَّاقه.

وهناك ما شئتَ من منظر عجيب، ومنطق أريب.

كأن الجمال ملَّكه رِقَّه، ولم يرَ غيره من استحقَّه.

وهو مع تفرُّده بالحُسن، ولُوعٌ بالتجنِّي وسوءِ الظَّن.

بصير بأسباب العَتب، يبيتُ على سَلْمٍ ويغدو على حرب.

كم متيَّمٍ في حبه رعَى النجم فَرقاً من الهجر، لو رعاه زهادةً لأدرك ليلة القدر.

بخيل بنَزْر الكلام، يضِنُّ حتى بردِّ السلام، لا يُطمِع الدَّنِفَ بمَرْضاته ولو في المنام.

وأبناء الغرام يومئذ يفْدونه، ويرَون كلَّ حسن دونه. [السريع]

ومُذ بدا العارضُ في خدِّه بُدِّلت الحمرةُ بالاصفراز

كأنما العارِضُ لمَّا بدا قد صار للحسن جناحاً فطاز

ونُسِخت آيةُ جماله، وكُسِفت آية هلاله، وحال ذلك البَها عن حاله.

وصار ضياءُ محاسنه ظلاماً، وعِقْيانُ[1] مَلاحته رَغاماً[2]. [السريع]

لو فكَّر العاشقُ في مُنتهى حسنِ الذي يشبيه لم ينبِهِ

---

(١) عِقيان: الذهب الخالص. اللسان مادة (عقا).

(٢) الرغام: التراب أو الرمل. اللسان مادة (رغم).

Marfat.com

ولما بطَل سحرُ هاروتِ أخداقه، وفُكّت الأفئدة من وَثاقه.
عطف على مُحبِّيه يستمدُّ ودادَهم، ويستقي عِهادَهم.
وكان شأنه مع الجميع، شأنَ الفضل بن الربيع.
فاندرج في مَقُولة الكيْف، وعلم أن المحاسن سحابةُ الصيف.
وأصبح عبير وحدِه، وصدَّه مَن رِيع بصدِّه.
وجعل زِيَّ الزُّهاد شِعاره، واتَّخذ من الشَّعَر صِداره.
حداداً على وفاة حسنه البهيج، وفَوات جماله الأريج.
وما زال يرثي أيام أُنسِه، وينعي ما يتعاطاه من الكيف على نفسِه.
حتى ضاق نِطاقُ حضيرته، ومَلَّ الإقامة بين عشيرته.
فأعطى عِنانَه ليد البِعاد، وامْتَطى غاربَ الاتْهام والإنجاد. [الطويل]

كأنَّ بهَ ضِغْناً على كلِّ جانبٍ من الأرض أو شوقاً إلى كلِّ جانبِ

إلى أن بلَّغه الله غايةَ المأمول، ووفَّقه بأن استوْطن مدينةَ الرسول.
وأقام بجوار الشَّفيع، إلى أن غيَّبه بِقاع البَقِيع.
وفي كثرة أسفاره يقول: [الطويل]

أنا التاركُ الأوطانَ والنازحُ الذي تتبَّع ركبَ العشقِ في زِيِّ قائفِ
وما زلتُ أطوِي نَفْنَفاً بعد نَفْنَفِ كأنِّيَ مخلوقٌ لِطَيِّ النَّفانفِ[1]
فلا تعذِلوني إن رأيتم كتابتي بكلِّ مكان حلَّه كلُّ طائفِ
لعل الذي بايَنْتُ عيشِي لبَيْنِه وأفنيْتُ فيه تالِدِي ثم طارِفِي[2]
تكلِّفه الأيامُ أرضاً حلَلْتُها ألا إنما الأيامُ طَوْقُ التكالُفِ
فيُملي عليه الدهرُ ما قد كتبتُه فيعطِف نحوي غصن تلك المعاطِف

ومن بدائعه قصيدة ينعي بها نفسه على أكل الأفيون، ويتأسف على ماضي حسنه: [الكامل]

من يُدخِل الأفيونَ بيت لَهاتِه فلْيُلْق بين يديْه نقْدَ حياتِهِ
وإذا سمعتم بامرئٍ شرِب الرَّدَى عَزُّوه بعد حياته بمماتِهِ

(١) النفنف: المفازة والصحراء. اللسان مادة (نفنف).
(٢) التالد: القديم الأصيل. اللسان مادة (تلد).

Marfat.com

لو يا بُثَيْنُ رأيتِ صَبَّك قبل ما الـ ... أفيون أنخلَه وحلَّ بذاتِهِ
في مثل عمرِ البدر يرتَع في ريا ... ضِ الزَّهوِ مثل الظَّبْيِ في لَفَتاتِهِ
من فوق خدِّ الدهر يسحب ذيلَ ثو ... بِ مُناه أنَّى شاء وهو مُواتِهِ
وتراه إن عبَث النسيم بقَدِّه ... ينْقدُّ شَرْوَى الغُصْنِ في حركاتِهِ
وإذا مشى تِيهاً على عُشَّاقه ... تتقطَّر الآجالُ من خَطَراتِهِ
يزنُو فيفعلُ ما يشاء كأنما ... ملَكُ المَنيَّة صال مِن لَحَظاتِهِ
لرأيتِ شخصَ الحسنِ في مِرآتِهِ ... ودفغتِ بدرَ التَّمِّ عن عَتَباتِهِ

وقوله، من أخرى: [الكامل]

يا هذه إن أنتِ لم تدرِ الهوى ... لا تجْحديه ففي الهوى استخكامُ
وأبيكِ كنتُ أحَدَّ منك نواظراً ... وبكل قلبٍ من جَفايَ كِلامُ
والسحرُ إلاَّ في لساني منطقٌ ... والحسنُ إلا في يَديَّ خِتامُ
لَدْنَ القَوامِ مَصُونةً أعطافُه ... عن أن نَمُدَّ يداً له الأوْهامُ[1]
مُتمنِّعاً لا الوعد يُذنِي وَصْلَه ... يوماً ولا لخيالِه إلْمامُ
حتى خلقْتِ السقمَ فيه بنظْرةٍ ... ولقد يُلاقِي ظُلْمَه الظَّلاَّمُ
وتنوَّعتْ أدواؤه فبطرْفِه ... شكلُ الرقيبِ وفي الضْماخِ مَلامُ

ودخل دمشق فاتَّخذه الأمير مَنْجَك نَديمَ مجلسه، ومطمح أماني ترنُّحهِ وتأنُّسِه. فتوافق الليل والسَّمَر، واجتمع الشمس والقمر.

على السعد في هذا القِران، والتَّنافس من أماجِد الأقْران.

فجالس الفتحُ به القَعْقَاع، ولم يقل: الفضل للمتقدم. كما قال ابنُ الرِّقاع.

وله فيه قصائد منها داليته التي أولهَا: [م. الكامل]

نشر الربيعُ ذخائرَ النُّـ ... ـوّارِ من جَنِب العوادِي
وكسا الرُّبى حلَلا فَو ... اضلُها تُجرّ على الوهادِ
وكأن أنْفاس الجِنا ... نِ تنفَّستْ عنها البوادِي
والزَّيْزَفُون يفُتُّ غا ... لِيةً مُضمَّخةً بجادِي

(١) اللدن: اللَّيِّن من كل شيء. ا.هـ القاموس، مادة (لدن).

Marfat.com

يُلقِي بها للروض في ... وَرَق كأجنحة الجرادِ
هاج النفوسَ ولم يفُتْ ... ه غيرُ تهييجِ الجمادِ
والورد مخضوبُ البَنا ... نِ مُضرَّج الوَجنات نادِي
نُصِبتْ له سُرُر الزَّبَرْ ... جَدِ والخيامُ بكل وادِي
حرسته شوكةُ حسنِه ... من أن تُمَدَّ له الأيادِي
والعَندليبُ أمامه ... بفصِيح نَغْمته يُنادِي
مَن رام يعبَث بالخدو ... د فدونَها خَرْطُ القتادِ[1]
وحَذارِ مخضوبَ البَنا ... ن إذا تمكَّن من فؤادِ
فامسَخ بأذْيال الصَّبا ... عن مُقْلتيْك صدَى الرقادِ
هل هذه بُكَر الرُّبَى ... أم هذه غُرَر الرشادِ
وانهضْ لكسْب جديد عُمْـ ... ـرٍ من بُكورٍ مُستفادِ
واقنَعْ بظلِّك أو بظلّ ... الدَّوْحِ عن ظل العبادِ
ما راج مَنْ طَلَبَ المعيـ ... ـشةَ بين إخوان الكسادِ
لا يُعجبنَّك لِينُ من ... أبصرْتَه سهلَ القيادِ
وأبيك ما لانتْ لغيـ ... ـرِ العطنِ ألْسنةُ الصِّعادِ
لا تشتهي وجَعَ الفؤ ... ادِ مضى زمان الاتّحادِ
نفسِي الفِداءُ لمَنْجَك الْـ ... ـمُستعِزِّ بالانْفرادِ
لا يُجتنَى إلا بمجْـ ... ـلس فضلِه ثَمَرُ الودادِ
مُتكثِّر بغنى الشَّما ... ئل لا بعاجلةِ النِّفادِ
شِيَمُ الجواد هي الغنى ... لا ماحَوتْه يدُ الجوادِ
الدهر مغلُولُ اليدَيْـ ... ـن وذاك مَبْسوط الأيادِي

وله في أحمد بن شاهين، البائية التي أخذت من البلاغة أوفر الأنصباء والقِسَم، وأقسمت البراعة بقوافيها على أن مُبدعها مِحَكُّ الأدب ولا غَرْو فالباء من حروف القسم.

---

(١) خَرَط الشيء: انتزع الورق منه اجتذاباً.
القتاد: شجر صلب له شوكة كالإبر. انظر القاموس، مادة (خرط) و(قتد).

Marfat.com

ومستهلها: [الطويل]

أَلَذُّ الهوى ما طال فيه التجنُّبُ وأخلاه ما فيه الأحِبَّاء تَغتَبُ

يقول في مديحها:

يُمزِّق شَمْلَ المشكلاتِ لوقْتها إذا شِيمِ من فيه الحسامُ المُذَرَّبُ
توقَّد حتى ليس يخبو ذكاؤُه وكاد وحاشَا فكرُه يتلهَّبُ

وبيت ختامها:

ولا بَرِح الحسَّادُ صَرْعَى وكلُّهم على مثل ما في قلبِه يتقلَّبُ

واتفق له مع الأدباء مجالس تُؤثَر، وعليها الأرواحُ تُلقى وتُنثر.

فمن ذلك مجلس في روض أورقتْ أشجارُه، وتنفَّست عن المسْك أسحارُه.

غِبَّ سحاب أقْلع بعد هُتونِه[1]، ودار دُولابه يسْقيه بجفونه.

تُوسِّدهم أنهارُه مَعاصِمَ فضِّيَّة، وتنيمهم أفياؤُه تحت ذوائبَ مَرْخيَّة.

فقال: [الطويل]

وروضٍ أنيقٍ ضمَّنا منه مجلسٌ على نَوْره جَفنُ الدَّواليب ساكبُ
خَلا حسنه عن كل وَغْدٍ يَشِينه وما صَدَّنا لما أتيْناهُ حاجبُ
طَلعنا بدوراً في سَماه وبيننا جُمانُ حديثٍ هُنَّ فيه كواكبُ
وبِسْنا وأوراقُ الغصون غطاؤنا على فُرُشِ الأنهار والطيرُ نادِبُ
فنعم مكاناً ما به قطُّ قاطِنٌ وبيْتاً ولكن ما له الدهرَ صاحبُ

وهنا أذكر منتخَبات من شعره، مرتَّبة على حروف المعجم.

فمنها قوله يخاطب العِمادِيّ، مفتي الشام، وقد رمِدتْ عيناه: [البسيط]

فِدىً لعينِك دون الناس عينائي وكلُّ عضو فِداه كلُّ أعضائي
نَوَدُّ لو كان مَوْدُوعاً بأنفسِنا ما تشْتكيه بعينٍ منك رَمْداءِ
نَظَّارةٌ لكتابِ الله قد مُلئتْ خوفَ الوشاةِ بإشْفاق وإغْضاءِ
وأنتَ لا عن حجابٍ كنت ناظرَنا فارْفَع حجابَك وانظُر للأحبَّاءِ

وقوله من قصيدة، مستهلها: [م. الرمل]

(١) سحابة هتون: أي ممطرة. اللسان مادة (هتن)

Marfat.com

عـطَـف الـغـصـنُ الـرطـيـبُ وتَـلافـانـا الـحـبـيـبُ
أيُّ عـضـوٍ تـسـرح الأبْـ ـصـارُ مـنـه وتـؤوبُ
فـاتَّـقِ اللهَ وغُـضَّ الـطَّـ ـرفَ عـنـه لا يـذوبُ

أبو تمام: [م. الرمل]

قـد غَـضَـضْـنـا دونـك الأبْـ ـصـارَ خـوفـاً أن تـذُوبَـا[1]

وله: [م. الرمل]

مـا لـمـسْـنـاه ولـكـن كـاد مـن لَـحْـظٍ يـذوبُ
أيـهـا الـعـشَّـاقُ مَـخْـ ـزونُ الـهـوى مـنِّـي طَـرُوبُ
كـلَّ وقـتٍ لـيـس تـنْـ ـشَـقُّ قـلـوبٌ وجُـيـوبُ
إنـمـا يـمْـزَح بـي فـي لُـجَّـة الـعـشـق لَـعـوبُ
وإذا بَـدَّ سُـرورٌ وإذا نَـدَّ نـجِـيـبُ
والـذي يـهـجـر فـي الـحـبِّ لـلاحِـيـه نـسـيـبُ[2]
مـا عـلـى مَـن سَـرَّه الْـ ـوصـلُ إذا غِـيـظ الـرَّقـيـبُ
رَنَّـةُ الـقـوسِ لِـزَا مِـيعِـهـا ولـلـغـيـر الـنُّـدوبُ

منها:

وإذا أمـكـنـتِ الـفُـرْ صـةُ أجْـنـي وأتـوبُ
فـي الـهـوى صَـحَّ اجْـتـهـادِي فـأنـا الـمُـخْـطِـي الـمُـصـيـبُ

من مديحها:

ضـاحـكُ الـوجـه وهـل فـي طـلـعـةِ الـقُـطْـب قُـطـوبُ
جـنَّـةُ الـشـمـس لـهـا فِـيـ ـهِ شـروقٌ وغـروبُ
أيُّ قـلـبٍ حـلَّ مـنـي كـلُّ أعـضـايَ قـلـوبُ

ومن مختاره: [المنسرح]

وجـهُـك صـبـح الـمُـنـى ولـي زمـنٌ آمُـل إقْـبـالَـه وأرْتـقـبُ
تُـلْـقِـي الـمـعـانـي إليَّ زَهْـرتَـهـا فـأجْـتـنـيـهـا والـغـيـرُ يـخـتـطـبُ

---

(١) ديوان أبي تمام (٤٣٣).
(٢) لاحى الرجل: إذا شتمه وسبه. اللسان مادة (لحا).

Marfat.com

وكم بيوتٍ ملأتُها حِكَماً ... وهُنَّ إن شئتَ خُرَّدٌ عُرُبُ
أسُوغ من جَرْعة الزُلال على الـ ... ـقلبِ وفي قلبِ حاسدي لَهبُ

منها:

دارُ اغْترابي التي عنِيت بها ... مصرُ ودارِي وحبَّذا حلَبُ
دارٌ تُمِيتُ الهمومَ نفحتُها ... وتغتذي من عبيرِها الكُثُبُ
لا قُربُها للكرام مَضيعةٌ ... ولا حِماها للضَّيمِ مُنقلَبُ
عليّ أن لا تنام لَوْعتُها ... بين ضلوعِي همومُها شُعَبُ

منها:

لا أقبلُ الضَّيم كيف أقبله ... والمجدُ يأباه فيّ والحسَبُ
والشمسُ صَوْناً لضوءِ طَلْعتها ... خوفَ لَحاقِ الظلام تختجِبُ
يُظَن صَدْعِي لقَرْع نائِبةٍ ... وإنَّما من أحبّه النُّوَبُ
كأنني من زُجاجةٍ جسَدٌ ... أحِبَّتي في انكسارِه السببُ

وله هذه القصيدة، وهي من بدائعه: [م. الكامل]

طَمِّنْ فؤادَك أيُّ حُرّ ... لم يُرَع بالخَطْب قلبُه
ودعِ المَلام فداءُ مَن ... عالجْتَ بالتَّطمين طِبُّه
لا تُكثِرَنْ هلاً فعلْـ ... ـتَ عليه فالفعَّال ربُّه
المرءُ يصعُب جَهدُه ... ويلين بالمقْدور صَعْبُه
لا تتَّهمْني فالمُؤا ... خَذ في الزمان النَّذْلِ نَذْبُه
وأبيكَ من زمنِ التَّرغـ ... ـرُعِ لم يزلْ دأبي ودأبُه
ومن العجيبِ لَدَى اللِّئا ... مِ عَطاؤه ولديّ سَلْبُه
يا دهرُ مثلي لا يُقَلْـ ... ـقَلُ عن سَنام المجدِ جَنْبُه
أنا لا أُبالي إن رميـ ... ـت وسبَّ عرضِي من أسبُّه
السيفُ يُرمَى بالفُلو ... لِ إذا فشَا في الصَّلْد ضَرْبُه[1]
والعينُ يُدميها الذُبا ... بُ ويُعجِز الآسادَ ذَبُّه

(١) الصّلد: يقال: حجر صلد: صلب أملس. اللسان مادة (صلد).

Marfat.com

والتِّبرُ يعلوه التُّرا بُ ولا يضرُّ التِّبر تُربُهْ
وأبيك ما نُكِب اللبيـ ـبُ وفضلُه باقٍ ولُبُّهْ
هم يعرفون بأن نجـ ـمِي تحرِق الطاغين شُهبُهْ
والصبرَ يُرقيني إذا وثَب الزمان وعضّ كلبُهْ
إن مَجّني قومٌ فإن الموتَ ليس يسُوغ شُربُهْ
أو قيل قد مَلُّوه فالسّـ ـمُّ الزّعافُ يُمَلُّ قُربُه
أما المَلال فإنني عُوِّدتُه ممن أُحبُّهْ
وإذا تكلّف في الودا دِ أخو الوداد فكيف غربُهْ
فاطْوِ البساط فالانْبِسا طُ قد انْطوى في الناس سِربُهْ
والشِّعر أخْلَف نَوْؤه وتقشّعتْ في الجوّ سُحبُهْ
ما زال تلفحُه سُمو مُ البُخْل حتى جَفّ عُشْبُهْ
كم ترْتجِي صَنَماً سوا ءً فيه مِدحتُه وثَلْبُهْ
مُستنْكَر الأكْتاف جَعْـ ـدُ الكفّ جَعْدُ الوجهِ صُلْبُهْ
أأُخَيَّ من يَكُ شاعراً فالخالقُ الرزاقُ حَسْبُهْ
والرأسُ راسُ المالِ إن يسلَمْ فليس يقِلُّ كسْبُهْ
وكفى فتَى العِرفانِ خِلاً نَاً فضائلُه وكُتْبُهْ
فعلى مَ ترغبُ في سَرا بٍ من شُخوص الآلِ سِرْبُهْ
يتقلّبون مع الزما نِ كأن حِزْب هواك حِزْبُهْ
يشقَى النجيبُ بهم ويُسْـ ـلمُه إلى الأعداء صَحْبُهْ
وإذا جَنَى فكأن سُلْـ ـطانَ الذنوبِ الدُّهْمِ ذَنْبُهْ
فوجوههم طَلَلٌ به يومَ اللِّحَى قد طال نَدْبُهْ
وأكفُّهم قَفْرٌ أُمِيـ ـتَ الخِصْبُ فيه وعاش جَدْبُهْ
ذهب الذين يعيش مثـ ـلي بينهم ويموتُ كَرْبُهْ
وبَقي الذي تُضْنِي العُيو نَ حُلاه والأسماعَ كَذْبُهْ
من كلّ مخلولِ الوِكا ءِ مُثقّف البِيضان ثُقْبُهْ

Marfat.com

مـــن كـــلّ مَـــفْـــرِيّ الأديـــ ـــمِ بِـصَـغْـدةِ الـسِّـرْوالِ عـقْـبُـهْ
يـمـشـي ويـمـسـح مـن مَـعـا طِـفـه وكـعـبُ الـشُّـوم كَـغْـبُـهْ
طُـــول بـــلا طَـــوْلٍ وأشـــ ـــهَى مـا يُـرَى لـلـعـيـن صَـلْـبُـهْ
أأُخـيّ مـثـلـي لـيـس تُـهْـ ـدَى عـن مَـثـار الـنَّـقْـع شُـهْـبُـهْ
لا بُـدَّ مـــن شَـــرَرٍ يَـــعُـــمُّ الـــجـــوّ والأعـــدا مَـــصَـــبُّـــهْ
فـارقُـب خُـفـوقـي إن سـكـنْـ ـتُ فـعـاصِـفـي يُـزْجَـى مَـهَـبُّـهْ
لا تـنـظُـر الـحـسّـادُ حـا لـي إنـمـا الـمـنـظـورُ غِـبُّـهْ
أوَ مـــا دَرَوْا أن الـــحـــسَـــا مَ يُـفَـلُّ ثـم يُـحـدُّ غَـرْبُـهْ
والـبـدرُ يُـشـرِق فـي الـمـطـا لـعِ بـعـدمـا أخـفـاه غَـرْبُـهْ
والـروضُ يـذبُـل ثـم يُـكْـ ـسَـى الـنَّـوْرَ والأوراقَ قُـضْـبُـهْ
والـــداءُ إن يـــومـــاً يـــشِـــفَّ فـبـالـتَّـداوِي يَـشْـفِ رَبُّـهْ
والـدهـرُ إن يُـؤْمَـن بـغَـفْـ ـلِ لـذَّةً يـفـجـأهُ خَـطْـبُـهْ
لا يـخـدَعَـنَّـك سِـلْـمُـه فـوراء سِـلـم الـدهـرِ حَـرْبُـهْ

قلت: لله دَرُّه على ما أبدع من المعاني الغرائب، والألفاظِ المُزرية بُدرَر النحور والترائب.

ويُعرَف قدر الشاعر الفائق، بتنوُّع جَوَلانه في المَيْدان المُتضايق.

وله يصف بركة ماء: [الخفيف]

انـظُـر الـبـركـةَ الـتـي تـتـراءَى لِـمُـحـيّـا الـريـاضِ كـالـمِـرآةِ
تَـرَخـذاً مـثـلَ الـلُّـجَـيْـن تـحـلّـى بِـعـذارٍ مـن انـعـكـاسِ الـنَّـبـات

وهذه قطعة من حائيته التي سارت بها الرُّكبان، وطارت شهرتُها بخَوافِي النُّسُور وقوادِم العِقْبان: [الرمل]

بات ساجِي الطَّرْفِ والشوقُ يُلِحُّ والدجى إن يمْضِ جُنْحٌ يأتِ جُنْحُ
وكـأن الـشـرقَ بـابٌ لـلـدُّجـى مـا لـه خـوفَ هـجُـوم الـصـبـحِ فَـتْـحُ
يـقْـدَح الـنـجـمُ بـعـيـنـي شـرراً ولـزنْـد الـشـوقِ فـي الأحـشـاءِ قَـدْحُ
لا تسَلْ عن حال جَفْني والكرى لم يكنْ بيني وبين الدّمْعِ صُلْحُ

منها:

Marfat.com

كلُّ عَيْش ينْقضي ما لم يكنْ مَغْ مليحٍ ما لذاك العيشِ مِلْحُ

من مديحها في خُصَماه:

وإذا قيل ابنُ فَرُّوخٍ أتى سقطُوا لو أنَّ ذاك القولَ مَزْحُ
بطَلٌ لو شاء تمْزيقَ الدجى لأتاه من عمودِ الصبح رُمْحُ
كم سطورٍ بالقَنا يكتُبها وسطورٍ بلسانِ السيف يَمْحُو
كلُّ ما قد قيل في تَرْجِيحِه في النَّدَى أو في الوغَى فهْو الأصَحُّ

منها:

آهِ من جَوْر النَّوى لا سُقِيَتْ تُغْطِب الحُرَّ وما للحرِّ جُنْحُ
غُرْبةُ الأوطان أوْدتْ كبدي واغتراني ألَمٌ منها ويَزْحُ
حَسَّنوا القولَ وقالوا غُربةٌ إنما الغُربةُ للأحْرار ذَبْحُ
فانتقِذْني واتخذني بُلْبُلاً صَدْحُه بين يَدَيْ عَلْياك مَدْحُ
بِقَوافٍ كَسَقِيط الطَّلِّ أو أنَّها من وَجَنات الغِيد رَشْحُ

ومما علِق من مترنَّماته، وأغلق عليه باب مُسلَّماته. قوله: [الرجز]

قد نفدَتْ ذخائرُ الفؤادِ فكم أُرَبِّي الدمعَ للسُّهادِ
فُؤادُ من يُحبُّ مثلُ دمعِه ودمعُه مَظِنَّةُ النَّفادِ
إذا هدَى الليلُ فطفلُ مُقْلتي يبِيتُ بالنَّزيف غيرَ هادِ
ومن بكى من النوى فقد رأَى بعيْنه تقطُّع الأكْبادِ
تمايَلوا على الجِمال مَيْلةً فعلَّمُوها مِشْيةَ التَّهادِي
وما سمعتُ بالغصون قبلَهمْ مشتْ بها أكْثِبةُ البوادِي
فإن تجْد يَدِي على ترائِبي فلا تقُلْ لغَيْبة الفؤادِ
وإنما رفعتُها لأنها كانت لهم حمائلَ الأجْيادِ
حُمْرُ الخدود إن تغِبْ فشكلُها بناظريَّ داخلَ السوادِ
لأجْل ذا الدمعُ جَرى بِشوْقها فنظَّم الياقوت في نِجادِ
لا وأبي ومَن يقل وأبي فقد تَلاَ ألْيَةَ الأمْجادِ
ما عثَر الغَمْضُ بذيل ناظِري ولا انثنتْ لطَيْفهم وِسادِي
وهَبْ رَشاشَ مقلتي حبائلاً فأين منها زَلَق الرُّقادِ

Marfat.com

آهٍ وآهَ إن تكنْ مِلْءَ فمي ... فإنها مَضْمضةُ الصَّوادِي
قد نفَض السمعُ كلامَ غيرهم ... كما نفضْتُ الصبر من مَزادِي
أعاذِلي وللهوى غَوايةٌ ... بِغتُ بها كما ترى رَشادِي
ولِعتْ بي وشُغْلتي كمِينةٌ ... بقادحٍ يعبثُ في زِنادِي[1]
دعِ الهوى يغْبَث بي وإن تَشَا ... فعُدِّني من عذَباتِ وادِ
ما لحق اللَّومُ غبارَ عاشقٍ ... حَدا به من المَشِيب حادِي
أما ترى الأقاحَ حول لِمَّتِي ... حكى ابْتسامَ البرقِ في البوادي[2]
بشَّرني طلُوعه بأنَّ لي ... صبحَ وِصالٍ لدُجى بِعادِي
ولم أقلْ مَناصِلٌ تجرَّدتْ ... وأُزكِزت بجانبِ الأغْمادِ
كأن شِيبَ الشَعَرات ألْسُنٌ ... على ضَياع رَوْنقِي تُنادِي
لبِثتُ ما أضاعني فأُسْوتي ... كأُسْوةِ الجمرةِ في الرَّمادِ

ومن رباعياته قوله: [الدوبيت]

لا تُبْدِ لمن تحبُّه ما أُبْدِي ... واصبرْ فعلَّ الصبرَ يوماً يُجدِي
إظْهار مَحبَّتي لمن أعشَقُه ... صارتْ سبباً لطُول عُمرِ الصَّدْ

ومن بدائعه قوله: [الطويل]

تذكرتُ إذ مَرَّتْ بنا الغِيدُ بُكْرةً ... تلهُّبَ خالٍ في لَظَى خَدِّ أغْيَدِ
وردَّدْتُ طَرْفي ساعةً فرأيتُه ... فؤادي الذي قد ضاع في الحبِّ من يَدِي

وقوله، مضمِّناً في الدخان: [الطويل]

عكفتُ على شُرْبِ الدُّخان وفي الحشَا ... لهيبُ الجوَى فازْداد جَمْراً على جمرِ
فقلتُ أُداوِي نار قلْبي بمثْلها ... كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ

وقوله: [الدوبيت]

زُرْ واجْلِ لمَسْمعي كؤوسَ اللَّفْظِ ... واجعلْ كبدي غِمْداً لسيفِ اللَّحظِ
بل جُرْ واهْجُر ولا تخَفْ مَظْلمتِي ... ما أورَدني البلاءَ إلا حَظِّي

وقوله مضمِّناً: [الكامل]

---

(١) كمينة: بمعنى مختفية. اللسان مادة (كمن).
(٢) اللِّمة، بالكسر: شعر الرأس. اللسان مادة (لمم).

Marfat.com

لا يدَّعِي قمَرٌ لوجهِك نِسْبةً ... فأخاف أن يسْوَدَّ وجهُ المُدَّعِي
فالشمسُ لو علمتْ بأنك دونها ... هبَطتْ إليك من المَحَلِّ الأرفَعِ

قلت: هذا تضمين يليق أن يُكتب بالتِّبْر، فضلاً عن الحبر.

ومن رباعيّاته قوله: [الدوبيت]

مولايَ بقِيتَ قد بَراني الأسفُ ... من يُنصِفني منك وهل أنتصِفُ
مَن أسعده الحظُّ فإني دَنِفٌ ... أشقاه ولا شقِيتَ حَظٌّ دَنِفُ

وقوله: [الدوبيت]

مَن أرَّقني قد استلَذَّ الأرَقا ... ونِلاي ومَن أعشقُه قد عشِقَا
من يُنقذني منه ومَن يُنْقذُه ... أفنى حُرَقاً فيه ويفْنى حُرَقَا

وقوله: [الدوبيت]

يا ربِّ لا أقصِد بالشِّعر سواكْ ... والقصدُ يَردُّني إلى باب غِناكْ
يا مَن جعلتُ تُرابَه ناصِيتي ... قد صَوَّح نَبْتُها أغِثْني بنَداكْ[1]

وقوله: [الدوبيت]

القلبُ لديْك وهْو عندي الغالِي ... لا تتْركْه مَطِيَّةَ الإذلالِ
تَاللهِ لقد عجبتُ من أحْوالي ... يفنَى زمنِي بضيْعة الآمالِ

وقوله: [الدوبيت]

أصبحتُ ولَثْمُ أخْمَصيْهِ أملِي ... مع أنَّ له فماً شفاءَ العِلَلِ
لكنْ قدمٌ سعتْ به في تَلَفِي ... أعددْتُ لها جَوائزاً من قُبَلِي

وقوله: [السريع]

أحسنُ ما يُهْدِيه أمْثالُنا ... من طَيْبةٍ من عند خيرِ الأنامْ
بعضُ تُمَيْراتٍ إذا أمْكنتْ ... إهداؤُها ثم الدُّعا والسلامْ

ومن محاسنه قوله، من قصيدة أولها: [م. الكامل]

طرقَتْ طُروق الطيفِ وَهْنَا ... مَيّالَةُ الأعْطاف حَسْنَا
مضْقولةُ الخَدّين مثل السيْـ ... ـف ألْحاظاً ومَثْنَا

(١) صوَّح: أي يبس. اللسان مادة (صوح).

Marfat.com

أزخــتْ وشــاحــاً فــوق دِغْــ ـصِ فــوق غــصــنٍ قــد تــثَــنّــى
ومــشــتْ فــشــيَّــعــهــا عَــبِــيـ ـرُ الــروضِ مــنْ هَــنًــا وهَــنّــا
فــي حُــلّــةٍ مــن جِــنْــس مــا يــكــسُــو الــربــيعُ الــغــصــنَ دَكْــنَــا
الــدَّلُّ يــنــبُــتُ مــن مــســا حِــبِ ذيْــلــهــا والــحــســنُ يُــجْــنَــى
تَــمْــشــي قُــرادَى ثــم تــمْــ ـشِــي خــلْــفَــهــا الأرْدافُ مَــثْــنَــى
حَــوْراء إن ســمَــحــتْ بــكــشْــ ـفِ قِــنــاعــهــا مــلأتْــك حُــسْــنَــا
وإذا اشْــتــهــتْ رجــعــت عــلــيْــ ـكَ فــعــاد ذاك الــحــســنُ حُــزْنَــا
لــو خــاطــبــتْ وَثَــنــاً لَــحَــنَّ مــع الــجــمــودِ لــهــا وأنّــا
طــارحْــتُــهــا شــكــوَى الــنَّــوى ولــثــمــتُــهــا أغــلــى وأدْنَــى
وعــجــبْــت مــن وَلَــهِــي بــهــا ولِــهْــتُ بــهــا وَلَــهَ الــمُــعــنّــى
تــركــتْ يــداً وفــمــاً وجِــيـ ـداً وابْــتــدتْ ذيــلاً ورُدْنَــا
وأقــمــت أنْــصِــب نــحــوهــا طَــرْفــاً ونــحــوَ الــبــابِ أُذْنَــا
أخْــشَــى يُــحِــسَّ بــنــا الــنَّــسـ ـمُ فــيُــخــبــر الــروضَ الأغَــنّــا
ويُــولَــد الــوَسْــواس لــي جَــرْسُ الــحُــلِــيِّ إذا أرَنّــا
فــتــقــول مــســكــيــنُ الــمــتــيّـ ـمُ بــالــنــســيــمِ يــسِــيءُ ظَــنّــا
طــبْ يــا فــتــى نــفــســاً فــقــد نــامَــتْ عــيــونُ الــحــيِّ عــنّــا

جَرْس الحَلْي: صوته، ويقال فيه وَسْواس.

قال الشاعر: [م. الكامل]

كــم بــيــن وَسْــواسِ الــحُــلــيِّ وبــيــن وَسْــواس الــهــمــومِ

والوَسْوسة: ما لا يُفهَم من الأصوات.

وهذا أسلوب مُتداوَل، ومَنْزعه خَفْق الحليّ ورهَجُه؛ وذلك يخرج على قوالب من جُنَّة الحَلْي ونمْها وغير ذلك.

وقد يُغَيِّر في الأطراف الفَغْمة[1]، فيقال: إنها تُغِصُّ الحَلْيَ، وتُخرِس وَساوسها، وتُحيِّر الحَلْيَ.

وأحسن ما سُمِع فيه قولُ أبي كامل تميم بن المُفرِّج: [الوافر]

(١) الفغمة: الممتلئة. اللسان مادة (فغم).

Marfat.com

وأطْرافاً يَحارُ الحَلْيُ فيها فليس يكاد يضطرِبُ اضْطرابَا

قال صاحب الدُّمية: قوله: «يحار الحلي فيها» لم أسمع به إلا في شعره، وقد أتى بِبِدْع المُستعار وبِكْره.

وقد أنهيتُ الكلام على شعره، وهنا أذكر جانباً من نثره.

فمنه قوله يعاتب: [الطويل]

غرستُ لكم في المدح ما اخْضَرَّ عودُه وألقتْ إليه الزُّهْرُ عِقْداً من الزَهْرِ
وصارتْ عيون المشْفقين قلائداً عليه وعينُ الحِقْد تنظُر عن شَذْرِ
وقلتُ ستنْدَى بالثِّمارِ أنامِلي فما كان إلاّ أن قبضْتُ على جَمْرِ
وعدتُ كما عاد المُسيءُ مُذمَّماً أغَصُّ بشكْري وهْو يُحسَب من وِزْرِي
وما ساءَ حظّاً كالذي اجْتلب الهوى وأسْلَمه مَخْضُ الوِدادِ إلى الهجْرِ

إنّي لأعجب مني ومن تواضُع الشيخ في مناجاته إيّاي وهو الطَّود الأشَمّ، واتّخاذِه أُذني صَدَفاً لدُرَر عباراته وهو البحر الخِضَمّ.

واقْتراحِه عليَّ أن أُبْرِز من خِباء أبكارِ الشعر، رَبِيبةَ خِدْر، ونتيجةَ فكر.

تكون مُعْجزة ابن الحُسَيْن، ومُفحِمةَ الخالِدَيْن.

تنْطوي على مدْح ما انتشر عن ألْوية فضائل ذاتِه المُعجِزِ ألسُنَ الواصفين وصْفُها، وتتضمَّن نَشْر ما نَسم من طِيب أذْيال فواضل صفاتِه المُعطِّرِ مَشامَّ الناشِقين عَرْفُها.

وقِيامي له على قدَم الحَدّ، أفْرِي فَلَوات السّعي وأمْتطي صَهَوات الجِدّ.

أقْتنص الشوارِد، وأتناول الفَراقد.

وأغُوص على الغُرَر، من بَنات الفِكَر.

إلى أن تكامَل عِقدُها، وجاءت نسيجَ وَحْدِها.

من مستفِزّات القلوب، تهادَى أناةَ الخَطْو بكرَ عَرُوب.

تجُرُّ على مِهْيار الدَّيْلمِيّ ذيلَ دَلالها، وتُسكِر الشريف المُوسَوِيّ بِجرْيالها.

لو رآها المخَضْرَمون، لجاؤُوا إليها من كل حَدْب ينْسِلون.

وبعثتُ بها مع لطم الشكر، إلى جناب إمام العصر.

كيف حالَ الجريضُ[1] دُون القرِيض، وغاض زُلال راحتِه وهو الغَضِيض.

---

(١) الجريض: اختلاف الفكين عند الموت. اللسان مادة (جرض).

Marfat.com

ولم سَدَّ عني بابَ اعْتنائه، ومَحا ما كتَب من إمْلائه.

حتى استهْدفتْني ألسنةُ الشامِتين وأخْدقتْ إليَّ أعينُ العِدَى، وليس عندي منه ما يغُضُّ أجفانَهم ولا قَذى.

فيا ليت شِعري ما الذي أوجب هذا الصَّدّ، وإن لم يُحْسِن القبولَ فلْيحسن الرَّدّ.

ولْيكن بدون قوله ما أصنع بالقصائد دونه وشعره، حتى اسْودّ وجهُ آمالي ولم يبيضَّ حَجره.

بعدما خطفتْني منه مَخالبُ الظُّنون، ورجعتُ أقلِّب أكُفِّي بصَفْقة المغْبون.

أحاسَب عن أوْزار العباد، وأعاقَبُ بجِناية قوم عاد.

وعهدي بالشيخ جبلاً آوِي إليه، وحمىً أحوم حوله، وعماداً أعتمد بعد الله عليه.

فما بال الجبل لم يَأْوِ، والحِمى لم يَحْم، والعمادِ لم يَحْو.

وما باله في مسرَّاته وأنا في ليل الهموم، وأتوقَّع تنفُّس صُبْحِها، وأبْتهل إلى الله تعالى في طلوع شمسِها.

فعندما حلَّت أكُفُّ الابْتهال عُرَى الدجى، ولاح من تنفُّس صبح الوِصال أشعَّة شمس المُنى.

حال بين طَرْفي وسَناه قَذاةُ البَيْن، وأصبحتُ مُصاباً بعَين.

أعوذ بالله من أن يُلْهِيَ الشيخ عني زُخْرُف المُتمشْدِق، وتستميله أقاويل الدخيل وجنّة المتملِّق.

والزُّخْرف عتَبة التَّلاشي، والتَّمشْدق باب الهَوْل.

فالأقاويل مطيَّة الكذب، والدَّخِيل قَذال[1] يدِ الرَدّ، والتملُّق مِزْراب النفاق.

ولي في محبته الجنانُ الثابت، والقلبُ الصابر، واللسان الرَّطْب، والفمُ الشاكر.

وله مني الوِداد المحْض، والقصائد الغرُّ.

ولي منه أنّه المتوجِّع، ولوعةُ المصاب، وحُرقة المهجور، وخشْيةُ المُرتاب.

وما أراه من اقتفائه أثَر المُلتبِس عليهم الأمر، في كَسْر زجاجةِ وِدادي من زيد وعمرو.

ولا غَرْو قد يُذْمِي الجبين إكْليلُه، وتهجُر الحسامَ قُيونُه[2].

وكثيراً ما يُضلُّ المُدْلج دليلُه، وتخطئُ المؤمِّل ظنونُه.

---

(١) قذال: جماع مؤخرة الرأس. اللسان مادة (قذل).

(٢) قيون: جمع قين: وهو الحداد. اللسان مادة (قين).

Marfat.com

١١٥- السيد أحمد بن محمد المعروف بابن النَّقِيب

السيد المولى، من هو بكل ثناء أحقُّ وأوْلى.

حل من الشرف في ذِرْوته، وتحكم من الأدب في بَحْبوحتِه وعَقْوته.

وقد تمتعتِ الرياسةُ دهراً بعده النَّضر، وشرُفت النِّقابةُ له عَبْقريُّها الحسان ورَفْرفُها الخَضْر.

فألقتْ إليه السيادةُ أفْلاذَها، واتَّخذت السعادة طاعتَه عِصْمتها ومَلاذَها.

فرفع لأهل الأدب هِضاباً، وأرْشفَهم على ظماءٍ من ماء مكارمه رُضاباً.

فالفضائل مِلْءُ حقيبته، والآمال تُستنتج بيُمن نَقيبته.

ومآثرُه باديةُ الأوْضاح، ونِعَمه سائلةُ الغُرَر والأوْضاح.

ومجلسه بأصْناف المعارف حافِل، وفمهُ بحَلِّ ما يُعْيي الأفهام كافل.

وله القلمُ الذي يكاد من نَداوة بَنانِه، يبيِّض وجْهَ الطِّرس بتسْويد النُّقوش من بدائع بيانِه.

فهناك جِنان البلاغة لم يطْمِث أبكارَها إنْسٌ قبلَه ولا جَان، وأشجارُ البراعة لم يقطِف ثمارَها عينُ ناظر ولا يدُ جَان.

من كل لفظٍ مع معناه رُوح وجسد، إذا سمع الناس تركيبَه خلقْن له في القلوب الحسَد.

وقد ذكرت من كلامه الشريف، ولفظه العالي المُنيف.

ما تجعله سيِّدَ الكلام، وتقطع عن المُغالي في مدحه مادة المَلام.

كقوله:

حضرةٌ تقلَّدت أعناقُ الرجال بقلائِد نِعَمِها، وتدبَّجَتْ رياضُ الآمال بهواطِل سُحبِ كرمِها، وطافت أفهامُ الطُّلاَّب بكعبة حقائِقها وعلومِها، وسعتْ أفكارُ بني الآداب ما بين صَفا منثورها، ومَرْوة منْظومها.

١١٥- السيد أحمد بن محمد الحسني، المعروف بابن النقيب، الحلبي، الأديب، المفنن، البارع، المشهور.
ولد بحلب وبها نشأ وأخذ عن العلامة عمر العرضي وغيره، وتأدب بإبراهيم بن المنلا، وبرع ورحل إلى قسطنطينية، وولي القضاء برهة، ثم تقاعد عن رتبة القدس، وولي نيابة القضاء بحلب، وكان له إحاطة تامة بأنواع الفنون، وقرأ عليه جماعة من مشاهير فضلاء حلب، وبه انتفعوا. وألف حاشية على (الدرر والغرر) في الفقه.
وكانت وفاته في سنة ست وخمسين وألف، وعمره ثلاث وخمسون سنة. ا هـ. خلاصة الأثر (١/ ٣١٧).

Marfat.com

لا برحت الأيامُ باسمةَ الثغرِ بمعاليها، والأنام حاليةَ النَّحر بأياديها.

وكقوله:

هو صدرُ الدنيا، وركن العَلْيا، وواسطة عقدِ ورثةِ الأنبيا، وواحدُ هذا النوع الإنسانيّ من الأحيا.

دعوَى لا يُداخل بنيتها وهم، ونتيجةٌ لا يشِينُ مُقدّماتها عُقم.

فإن مَن كان صدر بني هاشم، وشنَب ثغرِ مجدِهم الباسم؛ وهم هم في الرفعة والمَنَعة، كان أجلَّ موجود، وأعظم مَن في الوجود.

وكقوله:

قسماً بمَن جعل محاسن الدنيا في تلك الذَّات محصورة، وأسبابَ العَلْيا على مُلازمة عتباتها مقْصورة.

إن عَقْد عبوديّتي لا تطاول إليه الأيام بفَسْخ، وعهد مودَّتي عهد لا تتوصَّل إليه الحوادث بنَسْخ.

وكيف يُفسخ وصورته في الجَنان مجلُوَّة، أم كيف يُنسخ وسُورته على كلُ حين باللسان متْلُوَّة.

ولعَمْري مهما نسِيت فإني لا أنْسى أيامي في خدْمتها، والْتقاطي الدُرَّ من مُذاكرتها.

وما كان بيْننا من المُصافاة التي أين منها مُصافاة الماء مع الرَّاح، وما يجري بيننا من المُفاوضة التي هي في الحقيقة مفاوضَة الورد والتفاح.

وعلى كل حال فلا عِوَض لنا عنها إلا ما تنقله الرُكبان من أخبار سلامتِها، وما تُودعةُ في صَدَفة آذانِنا من جواهر آثار عَدالتها.

لا جَرَم أنه كلما تعطّرت مجالسنا بشيءٍ من ذلك، دعَوْنا الله عز وجل هنالك.

بأن يزيد باعَ عدلها امتداداً، وشُعاع فضلها سُطوعاً واشتداداً.

وأن يبلّغها أقْصى ما تطمحُ إليه عينٌ طامحة، أو تجنح نحوه نفسٌ جانحة.

هذا والمتوقَّع من كرمها، كما هو المألوف من شيَمها، ألا تخرِجنا من ضميرها المُنير، وأن تعُدّنا في جريدة مَن يلوذ بمَقامها الخطِير.

والله تعالى يُبْقي لنا تلك الحضرة، سامية الركاب، عالية القِباب، في رفعة دونها قَابُ العُقاب.

Marfat.com

ومن شعره قوله، يخاطب بعض أحبابه: [الطويل]

رُوَيْدَك شأنُ الدهر أن يتغيَّرا ... وشِيمتُه إمَّا صفَا أن يُكدِّرَا
وعادتُه الشَّنْعاءُ في الناسِ أنه ... إذا جاء بالبُشْرى تحوَّل مُنذِرَا
فلا بُؤْسُه يبقَى وأمَّا نعيمُه ... فكالطَّيْف إذْ تلْقاه في سِنة الكَرَى
فلا تَكُ مسروراً إذا كان مقبِلاً ... ولا تكُ محزوناً إذا هو أدْبَرَا
فأيُّ دُجَى هَمٍّ دَهاك ولم تجدْ ... صَباحاً له بالبِشْرِ وافاك مُسْفِرَا
وقد هُزلتْ أيامُنا فلَوَ انَّها ... أتتْنا بجِدٍّ كان للهزلِ مَصْدرَا

منها:

وليس يعيبُ البدرَ فُقْدانُ نُورِه ... إذا كان بعد الفَقْد يظهر مُقْمِرَا
وما جُعَلِيٌّ إن جفَا الوردَ إذْ به ... أضَرَّ بداعٍ أن يُذَمَّ ويُهْجَرا

الجُعَل يتأذَّى برائحة الورد، وكذا المزكوم؛ والحسناء إذا ابْتُليت بذَامٍّ، فهي كالورد مع الجُعَل، وصاحبِ الزكام.

ومما يلحق بهذا أن الوَزَغَةَ تكره رائحةَ الزَّعْفران، وتهرب منه.

وعليه بنى البتَّار قوله في هجاء الغُنْدَلِيّ، وقد وصل إلى بابه، فتحجَّب عنه: [مخلع البسيط]

تحجَّب الغُنْدَلِيُّ عنِّي ... فساءَ مِن فعلِه ضميرِي
يَنْفر من رُؤْيتي كأني ... مُضمَّخُ الجَيْب بالعبيرِ

وله من قصيدة، يخاطب بها أيضاً صديقاً له: [الطويل]

تزُول الرَّواسِي عن مقَرِّ رسُومِها ... ووُدِّي على الأيام ليس يزولُ
ولستُ بمَن يُرضيه من أهل وُدِّه ... خَفِيُّ ودادٍ في الفؤادِ دخيلُ
إذا لم يكن في ظاهرِ المرءِ شاهدٌ ... على وُدِّه فالودُّ منه عليلُ
أأَرْضَى بوُدٍّ في الفؤاد مغيَّبٍ ... وليس إلى علم الغُيوبِ سبيلُ
وأقْبلُ عن هجري اعتذاراً مُزيَّفاً ... تمحَّلْتَه إنِّي إذاً لَجهُولُ
لَعَمْرُك قد حرَّكتَ مَن كان ساكتاً ... وعلَّمتني بالعَتْب كيف أصُولُ

وله من قصيدة: [الطويل]

فيا ليتَ شِعْري هل لعَمْرٍو مَزِيَّةٌ ... إذا ازْداد واواً وهْو في رُتبة الذُّلّ

Marfat.com

وهل شَان بسمِ الله وهْي عزيزةٌ تمنُعها في الخطِّ عن ألفِ الوصلِ
ورُبَّ ازْدياد كان للهُلْك داعياً كما كان في نبْت الجناح رَدَى النَّمْلِ
وما هذه الأيام إلا عجائبٌ تشابِه ما تُبْدِي من الجِدِّ والهَزْلِ
وقد طَمَستْ أفكارَنا بصُروفِها وأشْغَلت الخِلَّ الألُوفَ عن الخِلِّ

قوله: «وهو في رُتبة الذل»، يريد تمحُضَه للمضْروبية في أمثلة النحاة؛ ومن هنا تعلم سرَّ قولهم فيه: الاسم المظلوم. كما لا يخفى.

وكان الجاحظُ يعني بذلك إلْزاقهم به الواو، التي ليست من جنسه، ولا فيه دليل عليها، ولا إشارة إليها.

ويشهد له قول الشاعر: [الخفيف]

إنما البَهْنَسِيّ خطبٌ جليلٌ لا خطيبٌ ولا جليلٌ بقَدْرِ
زِيدت الياءُ فيه ظُلْماً وعُدْوَا نَاً كواوِ غدَتْ بآخر عَمْرِو

وقوله: «ورب ازدياد»، من قوله: [الكامل]

وإذا استوتْ للنمْل أجنحةٌ حتى يطيرَ فقد دَنا عَطَبُهْ[1]

ومن غُرَره، قوله من قصيدة يرثي بها أخاً له مات، وأرسلها إلى أبي الوَفا العُرْضِيّ، يعزِّيه في آخرِها عن ولدَيْن له ماتا، ومطلعها: [الكامل]

رزءٌ ألَمَّ وحسرةٌ تتوالَى ومُصيبةٌ قد جَذَّتِ الآمالا
وجليلُ خَطْبٍ لو تكلَّف حملَه ثَهْلانُ ذو الهضَبات هَدَّ وزالا
وفِراقُ إلْف إن أردتُ تصبُّراً عنه أردتُ من الزمان مُحالا
وعيونُ عَيْنٍ ليس تفتُر دائماً عن سَكْبِ رَقْراق الدموع سِجَالا
بُعداً لدهرٍ شأنُه أن لا يُرَى إلا خَؤُوناً غادراً مُغْتالا
نَغترُّ فيه بالسلامة بُزهةً ونرى المآلَ تمحُقاً وزوالا[2]
ويُعيرنا ثوبَ الشَّبيبة ثم لم يبْرَح به حتى يُرى أسْمالا
قُبِّحتَ يا وجهَ الزمانِ فلا أرى لك بعد أن فُقِد الجمال جَمالا
ذاك الذي قد كان قُرَّةَ ناظِري وقَرارَ قلبي بل وأعظَمَ حالا

(١) ديوان أبي العتاهية: /٤٩/ [السريع]
(٢) تمحق: المحق: أن يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء. اللسان مادة (محق)

Marfat.com

قد كنتُ أرجو أن يُؤخِّر يومُه ... عني ويَحْمِل بعديَ الأثقالا
ويذوقَ ما قد ذُقْتُه لفِراقِه ... ويُمارسَ الأهوال والأوْجالا[1]
فتطاولتْ أيدي المنيَّةِ نحوه ... وبقِيتُ فرداً أنْدُب الأطْلالا
كنَّا كغُصْنَيْ دَوْحةٍ قطَع الرَّدى ... منها الأغَضّ الأرْطبَ المَيَّالاَ
أو كاليدَيْن لِذاتِ شخصٍ واحدٍ ... كان اليمينَ لها وكنتُ شِمالا
أسَفِي عليه شمسُ فضلٍ عُوجِلتْ ... بكُسوفِها وعمادُ مجدٍ مالا
لا كان يومٌ حُمَّ فيه فِراقُنا ... فلقد أطال الحزنَ والبَلْبالا
فسقى ضريحاً حَلَّه صَوْبُ الحيَا ... في كل وقتٍ لا يغيبُ وِصالا

منها:

هيهات مَن لي بالرِّثاء وفَقْدُه ... لم يُنبْقِ فيَّ بقيَّةً ومَجالا
أفْحمتني يا رُزْءَه من بعد ما ... كنتُ الفصيحَ المِصْقَعَ القوّالا[2]
مَن لي بطبعِ اللَّوْذَعِيِّ أبي الوفا ... ذاك الذي بالسحرِ جاء حلالا
مولىً إذا وعظ الأنامَ رأيتَه ... يُلْقي على كل امرئٍ زِلْزالا
بزواجرٍ لو أنه استقصَى بها ... أهلَ الضلال لَمَا رأيتَ ضلالا
مولايَ يا صدرَ الزمانِ ومَن غدا ... لبَنِيه غَوْثاً يُرتجَى وثِمالا
ذِي نَفْثةُ المصدورِ قد سرَّحْتُها ... لِحِماك تشكو بَثَّها إذلالا
إنَّ المُصيبةَ ناسبَتْ ما بيننا ... إذْ حوّلت بحُلولها الأحْوالا
فثكلتَ مَخدومَيْن كلٌّ منهما ... قد كان في أُفُق السُّعود هلالا
لو أُمْهِلا مَلأَ العيونَ محاسِناً ... وكذا القلوبَ مهابةً وكمالا
ولَكان هذا للمعالي ناظراً ... ولكان هذا في طُلاها خَالا
خطفتْهما أيْدي المَنونِ وغادرتْ ... ماءَ العيونِ عليهما هَطَّالا

فأجابه بقصيدة، منها: [الكامل]

لهفِي على بدرٍ تكامَل حسنُه ... قد سار في فلَك الكمال هِلالا
أعْظِم به رُزْءاً أتاح مصائباً ... فَتَّ القلوبَ ومزَّق الأوْصالا

(١) الأوجال: جمع وجل: وهو الخوف. اللسان مادة (وجل).
(٢) المصقع: البليغ يقال: خطيب مصقع. اللسان مادة (صقع).

Marfat.com

ما كنْت أعلم قبل حَمْلِ سريرِه أن الـرِّجـال تُـسَـيِّـر الأجْـبـالا
وعجبتُ للبحر المُحيط بحُفْرةٍ هـل غـاب حـقـاً أو أراك خـيـالا
يـا دافِنِيـه مِـن الـحـيـاءِ تـقـنَّـعـوا غـيَّـبْـتُـم شـمـسَ الـغَـداةِ ضـلالا
عهدِي الغمامُ حِجابُها مالي أرى أضْحى الحجابُ جنادلاً ورمالا

وكتب إليه في هذا الشأن: [الكامل]

خَـطْـبٌ يـقـرِّب دونـه الآجـالاَ ويـمـزِّق الأحـشـاء والأوْصـالا
فدعِ الجفونَ تجود إن نضَبتْ سَحا ثـبُ دمـعِـهـا الـصـافـي دمـاً هَـطَّـالا
أفَلتْ ذُكاءُ الفضلِ من فَلك العلى ووهَـى ثـبِـيـرُ الـمـكـرُمـات ومَـالا[1]
وذَوَتْ غصونُ رياضها وتصدَّعتْ أجْـبـالُـهـا حـتـى بَـقِـيـنَ رمـالا
فقدت أولي الألباب ذو المجد الذي عـدمـوا بـفـقـد حـيـاتـه الإقـبـالا
فقدُوا حليفَ الفضل مَن بكمالهِ وجِـجـاه كـنَّـا نـضـرب الأمـثـالا
مَن شاءَ للعَلْياء يَسْعَ فإن من كـانـتْ لـه بـالأمْـسِ مِـلْـكـاً زالا

منها:

أعْزِزْ عـلـيَّ بـأن أرى ربَّ الـفَـصـا حـةِ والـبـلاغـةِ لا يـجـيـب سُـؤالا
مـا كـنـتُ أعـلـمُ قـبـل يـومِ وفـاتِـه أن الـكـواكـبَ تـسـكُـن الأزمـالا
ما كنتُ أحسَب أن أرى من قبْله لـلـشـمـسِ مـن بـعـدِ الـزَّوالِ زوالا

منها:

صَبْراً عـلـى مـا نـالَـنِـي فـي يـومِـه كـالـصـبـرِ مـنـه بـه عـلـى مـا نـالا
ملأَ القلوبَ من الأسى ولطالَما مـلأَ الـعـيـون مَـهـابـةً وجـلالا
لـولا أخـوه أبـو الـفـضـائـل أحـمـدٌ لـرأيـتَ أنْـديـةَ الـعُـلَـى أطْـلالا
الـكـامـلُ الـفَـطِـنُ الـذي عَـزَمـاتُـه إن صـال تـلْـقـاهـا ظُـبـاً ونِـصـالا

منها:

مـا رام بـدرُ الـتَّـمِّ مـثـلَ كـمـالِـه إلا وصـيَّـره الـمَـحـاقُ هِـلالا
مولايَ يا ابن الرَّاشدِين ومَن لهم شـرفٌ عـلـى هـامِ الـسِّـمـاكِ تَـعـالَـى

(١) ثبير: اسم جبل بمكة المكرمة. اللسان مادة (ثبر).

Marfat.com

صـبـراً فـإن الـدهـرَ مِـن عـاداتِـه يُـذْنِـي الـنـوى ويُـحـوِّل الأحْـوالاَ

وقد اقْتفى أثرَ الشريف الرَّضِيّ الموسَوِيّ في قصيدته التي رثى بها الصاحب ابنَ عبَّاد، وأولها: [الكامل]

أكـذا الـمَـنـون تـقـنْـطـرُ الأبْـطـالاَ أكـذا الـزمـانُ يُـضـعْـضِـع الأجْـبـالا[1]

قال: وكان بالقرب من ضريحه عدةُ أشجار من العُنَّاب، فشاهدت يوماً أغصانها المخضرَّة، تزهو بثمارها المحمرَّة.

فأتبعتُ الحسرة بالحسرة، ولم أملِك سوابِق العَبْرة.

وجادت الطبيعة، بأبيات على البَديهة.

وهي هذه: [الطويل]

وقـائـلـةٍ والـدمـعُ فـي صَـخـن خـدِّهـا يَفِيضُ كهَطَّالٍ من السُّحْبِ قد هَمَى

أرى شجر العُنَّاب في البُقْعة التي بـهـا جـدَثٌ ضـمَّ الـشـريفَ الـمُـعـظَّـمَـا

لـهـا خَـضْـرةُ الـمُـرْتـاح حـتـى كـأنـه عـلـى فـقْـده مـا إن أحـسَّ تـألُّـمَـا

وأغـصـانُـه فـيـهـا ثـمـارٌ كـأنـهـا بـحُـمْـرتـهـا تُـبْـدي الـسـرورَ تـألـمَـا

ولـو أنـصـفـتْ كـانـت لـعِـظْـمِ مُـصـابِـه ذوَتْ وانْـكـفـهـرَّتْ حَـسْـرةً وتـنـدُّمَـا

فـقـلـتُ لـهـا مـا كـان ذاكِ تـهـاوُنـاً بـمـا نـالَـنـا مـن رُزْئِـه وتـهـضُّـمَـا

ولـكـنـهـا لـمـا وضـعْـنـا بـأصـلـهِ غـديـراً بـأنـواع الـفـضـائـل مُـفْـعَـمَـا

بـدَتْ خـضـرةٌ مـنـه تـرُوق وحُـزْنُـه كـمِـيـنٌ فـلا تـسْـتـفْـظـعِـيـه تـوهُّـمَـا

ومـا احـمـرَّتِ الأثْـمـارُ إلا لأنـنـا سَـنـقـيْـنـاه دَمْـعـاً كـان أكـثـرهُ دَمَـا

ولما وقف عليها صلاح الدين الكُورَانِيّ، قال أبياتاً منها: [الطويل]

فـيـا شـجـرَ الـعُـنَّـاب مـالـك مُـثـمِـرٌ سُروراً ولـم تـجـزَعْ عـلـى سيِّد الحِمَـى

عـلـى رَمْـسِـه أوْرَقْـتَ تـهْـتـزُّ فَـرْحـةً وتُـذْلِـي إلـيـه كـلَّ غـصـن تـنَـمْـنَـمَـا

أهـذِي أَمـاراتُ الـمـسـرَّة قـد بَـدَتْ أم الـحـزنُ قـد أبْـكـاك مـن دونـه دَمَـا

ومنها على لسان العُنَّاب:

نـعـم فَـرْحـتـي أنِّـي مُـجـاورُ سـيـدٍ نَـمـى حـسَـبـاً فـي عـصـرِه وتـكـرُّمَـا

وحـضـرتُـه روضٌ مـن الـجـنَّـة الـتـي زَهَـتْ بـضـجِـيـعٍ كـان بـالـعـلْـم مُـغـرَمَـا

---

(١) ديوان الشريف الرضي (٢٠١).

Marfat.com

أتعجبُ بي إذ كنتُ في جنبِ روضةٍ ... وحقّيَ فيها أن أُقيم وألْزَمَا
كعادةِ أشْجارِ الرياض فإنها ... تمكّن فيها الأصلُ والفرْعُ قد نَمَا
وقد قيل في الأمْثال إذ كنتَ سامعاً ... خذِ الجارَ قبل الدارِ إن كنتَ مُسلِمَا
أمَا سار من دار الفَناء إلى البَقا ... وأبْقى ثَناءً بالجميل مُعظَّمَا
ومَن كان بعد الموت يُذكَر بالعُلَى ... فبالذِّكْر يَحيَى ثانياً حيث يمّمَا
فقلتُ له يهْنيك طِيبُ جِوارِه ... وحَيّاك وَسْمِيُّ الغَمامِ إذا هَمَى
لتُسْقِط أثماراً على جَنْبِ قبرِه ... ليلْقُطها مَن زارَه وترحَّمَا
فواعجَباً حتى النَّبات زهَتْ به ... فحُقَّ لنا عن فضلِه أن نُترجِمَا

وله يمدح المولى البهائي: [الخفيف]

كشف الدهرُ عن وجوه الأماني ... ومحا السَّيِّئاتِ بالإحسانِ
وأرانا شمس العدالة تبدو ... في بُروج الجمال والعِرْفانِ
وحَبانا من آل سعدٍ بمولَى ... لا يُدانيهِ سعدُ تفْتازانِي
دُرَّةٌ رُكِّبت بتاج المعالِي ... غُرّة أشرقتْ بوجهِ الزمانِ
عالَمٌ وهو عالَم يتراءَى ... للْبَرايا في صُورةِ الإنْسانِ
وهُمام مُهذَّبٌ قد تحلَّى ... بعقُول الكهولِ في العُنْفُوانِ
أخْمَد الظلمَ منه عدلٌ مُنيرٌ ... وكذا النورُ مُخْمِد النِّيرانِ
خُذ يميني إنَّ البراعَة منه ... فعلتْ ما يكِلُّ عنه اليَمانِي
إن شَهْباءَنا به قد أنارتْ ... وعلَتْ رُتْبةً على كِيوانِ
وتوالَتْ على بَنيها المَسرَّا ... تُ فهم ينسَحبون ذيلَ التِّهانِي

منها:

أنت معنىً لك الفضائلُ كاللَّفْـ ... ـظِ ورُوحٌ والمجدُ كالجُثْمانِ
أنت في المَكْرُمات فَضْلٌ ولكنْ ... لابن عبد العزيز في العدل ثانِي

ومنها، يعتذر عن هديّة أهداها:

وهُدِيتَ اليسيرَ فانْعَم وقابِلْ ... نَزْرَه بالقَبولِ والامْتنانِ
فلَو انَّ العَيُّوقَ والشمسَ والبدْ ... رَ مع الفَرْقَدين في إمْكانِي
كنتُ أهديتها وقدّمتُ عُذراً ... ورأيتُ القُصور مِنْ ذاك شانِي

Marfat.com

ومما يُسكر العقول في الاعتذار عن الهدية، قول الشّاهِينيّ، من قصيدة كتبها إلى أبي العباس المَقّرِيّ، وأرسل له معها خمسين قرشاً: [الكامل]

لو كان لي أمرُ الشبابِ خلعْتُه بُرْداً على عِطْفَيْك ذا أردانِ
لكنْ تعذّر بَعْثُ أوّل غايتي فبعثْتُ نحوَك غايةَ الإمْكانِ

وللسيد أحمد من اعتذارية عن هدية أيضاً: [السريع]

إن قصّر الداعي وأهدى بلا رَوِيّةٍ مُختقَراً نَزْرَا
مِن عمَل الصّين قطاعاً أتتْ لا تستحقُّ الوصف والذِّكْرَا
فاعْذُر فقد أهدَى إليك الثَّنَا عِقْداً نظيماً يُخجِل البدرَا

ومن بدائعه قوله، وهو في غاية الجَودة: [الكامل]

لِدَواةِ داعِيكم مِدادٌ شابَ من جَوْرِ اليَراعِ وقد رثَتْ لمُصابِهِ
فأتتْ تُؤمِّل جُودَكم وترُوم مِن إحسانكم تجْديدَ شَرْخِ شبابِهِ

وقوله، في صدر رسالة: [الخفيف]

أيها الفاضلُ الذي خصَّه اللّـ ـهُ من الفضلِ والحِجَى بلُبابِهْ
إن شوقي إليكَ ليس بِشَوْقٍ يُمْكِن المرءَ شرحُه في كتابِهْ

وكتب إلى السيد محمد العُرْضِيّ، قبل توجُّهه إلى الروم: [الكامل]

ما زلتُ محسوداً على أيّامكمْ حتى غدوْتُ ببُعْدكم مَرْحومَا
ومن البليّةِ قبلَ توْدِيعي لكم أصبحتُ رِزْقاً للنّوى مقْسومَا

فأجابه، وكان محموماً: [الكامل]

وافَى الكتابُ وكنتُ قبلَ وُرودِه مِن خَوْف ذِكْر فِراقكم مَحْمُومَا
هذا ولِي أمرٌ بَصرْفةِ عَزْمِكم عنه فكيف إذا غدا محْتومَا

وله: [الخفيف]

إنَّ شَوْقي يجِلُّ عن أن يُؤدّي بعضَ أوْصافِه لسانُ اليَرَاعِ

وكان بحلب مُفْتٍ صدَّره الدهر بجاه ومال، وعطف إليه الأفئدة وأَمَال.

بعد انقراض بني البَتْرُونيّ الذين أبكى الدهرَ نَعِيُّهم، وذهب برَوْنق الرياسة أخْوَذِيُّهم وألْمَعيُّهم.

وقد طلعوا في سماء الغُفران شهباً، وأمست أطلالُهم بيد النوى نَهْباً.

Marfat.com

وهكذا الدنيا لها لتصْدير أبنائها جُنوح، وموتُ بعض الناسِ على بعض فُتوح.
فأصبح مكان الدُّرِّ صَدَفاً، وصيَّر نفسه لسِهام الاعْتراض هدَفاً.
وكان له كاتب يُعرَف بابن نَدى هو يدُه ولسانُه، وعليه تدور إساءتُه وإحْسانه.
فقُدِّم المفتي يوماً للصلاة على جنازة، فكبَّر عليها خمساً ظانّاً جوازَه.
وكان ذلك في جمْع حافل، جمع بين عالٍ وسافل.
فقال فيه السيد أحمد: [الطويل]

ومُذْ مصطفى صلَّى صلاةَ جنازةٍ ... وكبَّر خمساً سدَّس الناس لَعْنَهُ
فقلتُ اعْذرُوه إنَّه قلد النَّدَى ... ومن قبلُ في الفتْيا لقد قلَّد ابْنَهُ

يشير بقوله: «قلّد الندى» إلى قول أبي تمام، في قصيدته التي رَثَى بها إدْريس بن بدر: [الطويل]

ولم أَنْسَ سَعْيَ الجودِ خلفَ سَريرِه ... بأكْسفِ بالٍ يستقيمُ ويظلَعُ[1]
وتكبيرَه خَمْساً عليه مُعالِناً ... وإن كان تكبيرُ المُصلِّين أرْبَعُ
وما كنتُ أدرِي يعلمُ اللهُ قبلَها ... بأن النَّدَى في أهلِه يتشيَّعُ[2]

ومما يُناسب مع هذا، قول بعضهم في مُوَسْوس: [السريع]

وبارِدِ النِّيَّةِ مَغْمورِها ... يُكرِّر الرَّغْدةَ والهِزَّهْ
مُكبِّراً سبْعين في مَرَّةٍ ... كأنما صَلَّى على حَمْزَهْ

يشير إلى أن النبيَّ ﷺ صلَّى على عمّه حمزةَ سبعين مرة، فكلَّما قدِم عليه ميِّت صلَّى عليه، وبه استُدِلَّ على الصلاة على شهيد المعركة.

١١٦- ولده السيد باكير

فرع من تلك الدَّوحة الباسقة، وعَضماء من عِقد مَخْتِدها الذي تنظَّمت فرائدُه المتناسقة.

---

(١) الظلع: العرج في المشي. اللسان مادة (ظلع).
(٢) ديوان أبي تمام (٤/ ٩٢).

١١٦- السيد باكير بن أحمد بن محمد، المعروف بابن النقيب، الحلبي. السيد الأجل الفاضل، الأديب الناظم، الناثر. كان عارفاً باللغة والأدب حق المعرفة. ولم يكن في حلب من أدباء عصره أكثر رواية منه للنظم والنثر.
دأب في تحصيل المعارف حتى رقى ذروة من الفضل عليّة، وكان أكثر اشتغاله على والده، وقرأ

Marfat.com

أنبت به ندى بيته الثناءَ في حدائق الأذهان، وأملت معاليه المعانيَ بأفصح لسان على الآذان.

رضع من دَرّ العلوم كهلاً ووليداً، وحوَى من أنواع المفاخر طارفاً وتليداً[1].

يجْتلي ناظرُه روضَ الحظِّ ناضرَاً، ويجتلب رأيُه المغْربات فيجعل غائبَها حاضراً.

وله منطق يعلِّم الأبْكم براعةَ التلفُّظ، وحديث كقِطَع الروض قد سقطتْ فيه مَؤُنَة التحفُّظ.

فهو في كلامه النفيس العالي، كأنما عَناه بقوله المِيكالِي: [السريع]

إن كـلامَ ابـن أحـمـد الـحـسـنِـي ... آسَـى كِـلامَ الـهـمـومِ والـحـزَنِ

سحرٌ ولكن حكى الصَّبا سَحَراً ... فـي لُـطْـفِـه غِـبَّ عـارِض هَـتِـنِ[2]

وقد جرى في مجلس النجم الحَلْفاوِيّ ذكرُ نجابته التي دلت عليه، دلالة النسيم على الحبيب إذا هبَّ بعَرْف صُدْغيْه.

فأثنى عليه ثناءَ الزهر، على جدول النهر.

ووصف محتِده وصفَ حسَّان، لآل غَسَّان.

فرأى ليلةً في منامه أنه نظم بيتين في نعته، ثم انتبه من نومه فكتبهما من وقته.

وهما: [البسيط]

بـاكـيـرُ فـاق عـلـى الأقْـران مـرتـقِـيـاً ... أَوْجَ الـمـعـالـي فـلا خِـذْنٌ يُـدانـيـهِ

والـفـرعُ إن أثْـمـرتْ أيدي الـكـرامِ بـه ... فـالأصـلُ مـن كـوثـرِ الأفْـضـال يَـسْـقِـيـهِ

وقد أثبتُّ له ما هو أصفى من ماء المفاضِل، وألطفُ موقعاً من ضمَّة الحبيب المُواصل.

فمنه قوله: [الخفيف]

بـك صَـرحُ الـعَـلاء سـامٍ عِـمـادُهْ ... وكـذاك الـكـمـالُ وارٍ زنـادُهْ

إن كـلَّ الأنـام مـن نـاظـرِ الـد ... هـرِ بـيـاضٌ وأنـت مـنـه سـوادُهْ

= على غيره، وتعانى صناعة النظم، وشعره حسن الرونق بديع الأسلوب.
وكانت ولادته في سنة ثلاث وثلاثين وألف، وتوفي في سنة أربع وتسعين وألف بحلب. ا هـ.
خلاصة الأثر (١/ ٤٣٣)

(١) التليد: الأصيل القديم. اللسان مادة (تلد)

(٢) هتين: السحاب الأبيض ذو المطر الخفيف. اللسان مادة (هتن)

Marfat.com

قد غرقنا من فيْض فضلك في أمْـ ـواج بـحـرٍ تـتـابـعـت أزبـادُهْ
وإذا الـفـكـرُ لـم يُـحِـطْ بـمـعـا لِيكَ جميعاً وخاب فيك اجْتهادُهْ
فـاعْـتـذارِي بـبـيْـت نَـدْبٍ هُـمـام مـا كَـبـا فـي مَـيْـدان فـضـلٍ جـوادُهْ
إن فـي الـمـوجِ لـلـغـريـق لـعُـذراً واضـحـاً أن يـفـوتَـه تـغـدادُهْ

وقوله، من قصيدة أولها: [الطويل]

تهلَّل وجه الفَضل والعدلِ بالبِشْرِ وأصبح شخصُ المجد مبتسمَ الثغرِ
فيا لَك من مولىً به الشعرُ يزْدهِي إذا ما ازْدهتْ أهلُ المدائح بالشعرِ
فريدُ المعالي لا يرى لك ثانياً من الناس إلا من غدا أخْولَ الفكرِ

معنى الأول مطْروق، وأصله قول أبي تمام: [الوافر]

ولم أمدحْك تفْخيماً بشِعرِي ولكنني مدحتُ بك المديحَا[1]

وأبو تمام أخذه من قول حسان، في مدح النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم: [الكامل]

ما إن مدحتُ محمداً بمقالتي لكن مدحتُ مقالتي بمحمدِ

والبيت الثاني من قول بعضهم: [م. الرمل]

إنَّ من يُشرِك بالـلّـ ـهِ جَهولٌ بالمعانِي
أخْوَلُ الفكر لهذا ظن للواحد ثانِي

وله من قصيدة: [الكامل]

لاح الصَّبا كزرقة الألْماسِ فلْتصطبِخ ياقوتَ دُرِّ الكاسِ
من كفِّ أهيفَ صان وردَ خدودِه بسِياج خطٍّ قد بدا كالآسِ
فكأن مَرآهُ البديعَ صحيفةٌ للحُسن جَذولُها من الأنفاسِ
في روضةٍ قد صاح فيها الديكُ إذْ عطَس الصباحُ مشمِّتاً لغطاسِ
ضحكتْ بها الأنوار لما أن بكى جَفنُ الغمام القاتم العبّاسِ
ورقَى بها الشُّخرورُ أغصاناً غدتْ بتموُّج الأزياح في وَشْواسِ
والوردُ تحمَده البلابلُ هُتَّفاً من فوق غصنِ قَوامِه المَيّاسِ
ويرى البَنفْسَجُ عُجْبَه فيعود من حسَدٍ لسطْوته ذليلَ الرّاسِ

(١) ديوان أبي تمام: ١/ ٣٤٥ .

Marfat.com

والـطَّـلُّ حـلَّ بـهـا كـدمـعِ مُـتيَّـمٍ ... لِـمـعـاهـدِ الأحـبـابِ لـيـس بـنـاسِ
فـتـظـنُّ ذَا ثـغـراً وذا عـيـنـاً وذا ... خَـدّاً لـغـانـيـةٍ كـظَـبْـيِ كِـنـاسِ
واخـمـرَّ خـدُّ شـقـائـقٍ مُـخـضـلَّـةٍ ... حُـمِـيـتْ بـطَـرف الـنرجِـس الـنَّعَّاسِ
حـسـداً لـخـدِّ الـطِّـرس حـيـن غـدا لـه ... خَـطُّ الـقـريـضِ بـمـدْح فـضـلِك كـاسِ

وله من أخرى في المدح: [البسيط]

مولاي قُم نلتقطْ من لُؤلؤِ الحِكَمِ ... دقـائـقـاً حُـجِـبـت عـن فِـطْـنـة الـفَـهِـمِ
في وصف روضٍ أنيقٍ راق منظرُه ... مـن الـزَّبَـرْجَـد والـيـاقـوت مُـنـتـظِـمِ
أما ترى نفحةَ النَّسْرِين عابقةً ... والـزَّعْـفـرانَ سـقـتْـه الـسـحـبُ بـالـدِّيَـمِ
والمِهْرجانَ أتى في جَحْفلٍ لَجِبٍ ... مـن الـريـاض فـأهـدى طـيِّـب الـنَّـسَـمِ
تـقـابـلـتْ فـيـه أخـداقٌ لـنَـرْجِـسـه ... تـحـكـي فـمـاً مـال لـلـتـقـبـيـل نـحـو فَـمِ
والـنـهـرَ عـاوَد بـعـد الـصـدِّ مُـنـعـطـفـاً ... يَـبُـلُّ شـوقَ نـبـاتِ الـغَـوْرِ والأكَـمِ
والوُرْقَ غنَّتْ على الأشجار من طربٍ ... مُـجـيـبـةً عَـنْـدَلـيـبَ الـدَّوْحِ فـي الـظُّـلَـمِ
فـالْـهَـجْ بِـتَـذْكـار غِـزْلانٍ لـواحـظُـهـمْ ... تـركْـنَ أهـلَ الـهـوى فـي قـبْـضـة الـسَّـقَـمِ
وأهْـيـفٍ مـن ظِـبـاء الْـحُـور مُـقـلـتُـه ... عـن قَـوْس حـاجـبِـه أوْدَتْ بـكـلِّ كَـمِـي[1]
إن يَـهْـجُـرِ الـشـاربُ الـريَّـانُ مَـبـسَـمـه ... فـالـعَـذبُ يُـهـجَـر لـلإفْـراط فـي الـشَّـبَـمِ[2]
فـي صُـدْغـه طـبـعـتْ أهْـدابُ نـاظـرِنـا ... فـظـنَّـه الـصـبُّ خـطّـاً غـيـرَ مـلـتـئـمِ
أدار شـمـسَ الـمُـحـيَّـا بـدرُ راحـتِـه ... مـمـزوجـةً بـرُضـاب الـمَـبْـسَـمِ الـشَّـبِـمِ
من خمرةٍ عُصِرتْ بالبِشْر من قِدَمِ ... جـاءتْ تـخـبِّـرنـا عـن سـالِـف الأُمَـمِ
في روضةٍ ضحكتْ فيها أزاهرُها ... مُـذْ جـادَهـا وابـلٌ يـهْـمِـي بـمُـنْـسـجِـمِ
وقـام بُـلْـبُـهـا يـتـلـو مـحـاسـنَ مَـن ... شـهـبـاؤُنـا مـنـه فـي أَمْـنٍ مـن الـنِّـقَـمِ
صـدرُ الـمـوالـي فـريـدُ الـعـصـر جَـهْـبَـذُه ... ومَـن بـه الـنـاسُ مـغـمـورون بـالـنِّـعَـمِ
كـهـفُ الأنـام مَـلاذُ الـخـلـق أحـمـدُ مَـن ... فـاق الـفـحُـول بـفـضـلٍ غـيـرِ مـنـكـتِـمِ
مَـن شـرَّف الـبـلـدةَ الـشـهـبـاءَ مَـقـدَمُـه ... ففـاخـرتْ جُـلَّ مُـذْنِ الـعُـرْب والـعـجـمِ
أقـام فـيـهـا عـمـادَ الـشـرع مـجـتـهـداً ... حـتـى روَتْ حـسـنَـهـا لـلـنـاس عـن إرَمِ

(١) الكمي: الفارس الشجاع اللابس السلاح. اللسان مادة (كمي).
(٢) الشبم: يقال: الماء الشَّبم: البارد. اللسان مادة (شبم).

Marfat.com

وله من أخرى: [الكامل]

هو في الفؤاد وشخصُه ناءٍ عن الـ ألـحـاظِ فـهْـو مـسـافـرٌ ومُـقـيـمُ
سحَر الـعـقـولَ بـلَـحْـظِه فـكـأنـمـا فـي الـجَـفْـنِ دُرُّ كـلامـك الـمـنـظـومُ
يـا أيـهـاالـمـولـى الـذي أَحْـيَـى رُبـو عَ الـفـضـل والأفْـضـال وهْـي رَمـيـمُ
أعـطـيـتَ دهـرَك مـن خـلالِـك خُـلَّةً فـغـدا كـريـم الـفـعـلِ وهْـو لـئـيـمُ

وله، وتُعْزَى لوالده: [الكامل]

صـدرَ الـوجـودِ وعـيـنَ هـذا الـعـالَـمِ ومَـلاذَ كـل أخِـي كـمـالٍ عـالِـمِ
إن لـم تـكـن لـذوي الـفـضـائـل منـقِـذاً مـن جَـوْر دهـرٍ فـي الـتـحـكُّـم حـاكـمِ
فـبـمـن نـلُـوذ مـن الـزمـانِ وبـابَ مـن نَـنْـتـاب غـيْـرَك فـي الـمُـهِـمّ الـلازمِ
فـبِـحـقِّ مـن أعْـطـاك أرفـعَ رتـبـةٍ أضـحـى لـهـا هـذا الـزمـانُ كـخـادمِ
وحَـبـاك مـن سُـلـطـاننـا بـمـواهـبٍ تركتْ حسودَك في الحضيضِ القاتِمِ
فـإذا تـتـوَّج كـنـت دُرَّة تـاجِـه وإذا تـخـتَّـم كـنـت فـصَّ الـخـاتـمِ
إلاَّ نـظـرتَ بـعـيـن عـطـفِـك نـحـوهـم وتـركـتَ فـيـهـم كـلَّ لَـوْمـةِ لائـمِ
ورَعـيْـتَ فـي داعِـيـك نِـسْـبـتـه إلـى خـيـرِ الـبـريَّـة مـن سُـلالـة هـاشـمِ
فالوقتُ عبدك طَوْعُ أمرك فاختكمْ فـيـمـا تـشـاءُ فـأنـت أعـدل حـاكـمِ

«فإذا تتوج»، هذا تضمين، فإن البيت للمُتنبيّ، من قصيدته التي أولها: [الكامل]

أنا منك بين فضائلٍ ومكارم[1]

ومما يحسن له قوله في التشبيه: [المنسرح]

ثـلاثُ شـامـاتِـه عـلـى نَـمَـطٍ في جانب الخدّ وهْي مصفوفة
كـأنـهـا أنـجُـم الـذُراع بـدَتْ في جانب الشمسِ وهْي مكسوفة

وقد تناول هذا المعنى صاحبنا عبد الباقي بن السّمان، في قوله: [الكامل]

وكـأن خـالَـيْـه الـلَّـذَيْـن بـخـدّه والـشـمـسُ فـي وجَـنـاتِـه لـم تـغـرُبِ
نَجْمان قد كسَفتهما شمسُ الضحى أو نُـقـطـتـا حِـبْـر بـطِـرْسٍ مُـذْهَـبِ

وأصل هذا المعنى لابن خفاجة الأندلسيّ، في قوله: [البسيط]

---

(١) ديوان المتنبي: ٤/ ٦٧ .

Marfat.com

غازلْتُه من حبيبٍ وجهُه فَلَقٌ ... فما عدا أن بدا في وجهِه شفَقُ[1]
فارْتجَّ يعثُر في أذْيال خَجْلتِه ... غصنٌ بعِطْفيه من إسْتَبْرقٍ ورقُ
تخالُ خِيلانَه في نُورِ وَجْنتِه ... كواكباً في شُعاعِ الشمس تخترقُ

١١٧- السيد عبد القادر بن قضِيب الْبان

بحر معارف خِضَمّ، وطَود فضائل أشَمّ.
تأزَّر بالإحسان وارْتدى، وراح في تكْميل النفس واغْتدى.
هذا وعهده بالشباب قريب، وحديثه ليس بمُنكَر ولا غريب.
ثم أطال التجوُّل، وأكثر في البلاد التحوُّل.
فدخل الحجاز واليمن، وأقام بها مدة بمنزلة فصل الربيع من الزمن.
ثم رجع إلى دياره، وألقى بها عصا تَسْياره.
فقعد مقعَد السُّهَا، وعقَل لديه النُّهَى.
وتماسَك عن الدنيا عَفافاً، والتفَّ بالمعارف الإلهيَّة الْتفافاً.
مع شهرة كشهرة ضوء الصباح والمصْباح، وطلْعة يُستفاد من لأْلائِها نورُ الفلاح والرَّباح.

---

(١) ديوان ابن خفاجة (١٧٦).

١١٧- عبد القادر بن محمد أبي الفيض، السيد الأفضل أبو محمد، المعروف بابن قضيب البان. يتصل نسبه بأبي عبد الله الحسين قضيب البان الموصلي من أولاد موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين. ويتصل نسبه من جهة أمه بالشيخ عبد القادر الكيلاني.
ولد بحماه، وهاجر به أبوه إلى حلب، وتوطن بها إلى سنة ألف، وفيها حج إلى بيت الله الحرام، وجاور بمكة إلى حدود اثنتي عشرة بعد الألف، ومنها توجه إلى القاهرة، وكان شيخ الإسلام يحيى بن زكريا قاضياً بمصر فزاره، وكان معتقداً على المشايخ والأولياء فبشره بمشيخة الإسلام وبايعه على الطرق الثلاثة، النقشبندية، والقادرية، والخلوتية، ثم أقره على طريق النقشبندية، وأمره بالاشتغال بالذكر القلبي، وله معه كرامات ومكاشفات، ولما ولي الإفتاء وجه إليه نقابة حلب، وديار بكر، وما والاهما، مع قضاء حماة بطريق التأبيد برتبة مكة المكرمة فلم يقبل القضاء والرتبة واعتذر عن عدم قبوله، وقبل النقابة، واستمر نقيباً بحلب إلى أن مات.
وألف التآليف الدالة على رسوخ قدمه في التصوف منها: (الفتوحات المدنية)، و(نهج السعادة)، و(شرح الأسماء الحسنى)، و(نفحة البان)، وغير ذلك ما ينوف على أربعين تأليفاً، وله ديوان شعر كله في لسان القوم.
وكانت ولادته في سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، وتوفي في حدود سنة أربعين وألف بحلب. ا هـ. خلاصة الأثر (٢/ ٤٦٤).

Marfat.com

وهناك ما شئت من وَقارٍ يطِيش له ثَبِير، ومقدارٍ يصغُر لديْه كلُّ كبير.
إلى يدٍ تُفرّج إذا ضاق الإعْدام، وقَدَمٍ تثبُت إذا زلّت الأقْدام.
وله أشعار في الحقيقة تُحرّك السّواكن، وتبعث الأشواقَ الكوامِن.
أوردتُ منها ما إذا وُصِف رأيتَ الحسنَ مجتمعاً، وإذا تُلِيَ أبصرتَ كلَّ شيء مستمِعاً.
فمنها قوله: [الوافر]

أرى للقلب نحوكُمُ انْجِذابَا ... لأسمعَ من خطابكُمُ خطابَا
فكم ليلٍ بقُربكمُ تقضَّى ... إلى سَحَرٍ سجوداً واقْترابَا
وكم من نشوةٍ وردتْ نهاراً ... فلا خطأً وَعيْتُ ولا صوابَا
وكم سَحَّتْ علينا من نَداكمْ ... غُيوثٌ لا تفارقُنا انْسكابَا
وكم نفَحاتِ أُنسٍ أسكرتْنا ... بها حضر الصَّفا والقبضُ غابَا
توافقتِ القلوبُ على التَّدانِي ... فلم نشهذ به منكم حجابَا
لقد حاز الوليُّ بكل حالٍ ... من الرحمن فيضاً مُستطابَا
تراه بين أهل الأرضِ أضحى ... لِداعي الحبِّ أسرعَهم جوابَا
وغيرَ الله ليس له مُرادٌ ... وغيرَ حِماه لا يرجُو انْتسابَا

وقوله: [الوافر]

سقاني الحبُّ من خمر العَيانِ ... فتُهت بسَكْرتي بين الدّنانِ
وقلتُ لِرُفْقتي رِفقاً بقلبي ... وخاطبتُ الحبيبَ بلا لسانِ
شربتُ لحبِّه خمراً سقاها ... لصَحْبي فانْتَشَى منها جَناني
شطَحْتُ بشُزبها بين النُّدامَى ... ورُشْدي ضاع مما قد دَهانِي
فأكْرمَني وتوّجني بتاجٍ ... يقوم بسِرّه قطبُ الزمانِ
وأمّرني على الأقْطاب حتى ... سرَى أمري بهم في كلّ شانِ
وأطْلعَني على سِرٌ خَفيٌّ ... وقال السّترُ من سرّ المعانِي
فهام أُولو النُّهى من بعض سُكْري ... وغابُوا في الشُّهود عن المكانِ
مُريدي لا تخَفْ واشطَحْ بسِرّي ... فقد أذِن الحبيبُ بما حباني

وقوله: [المتقارب]

Marfat.com

نـظـرتُ إلـيـك بـعـيـنِ الـطـلـبْ ومـنـك إذاً طـلـبـي والـسـبَـبْ
رأيـتُـك فـي كـل شـيءٍ بـدا ولـيـس سِـواك لـعـيـنـي حَـجَـبْ
فـأنـت هـو الـظـاهـرُ الـمُـرتـجَـى وأنـت هـو الـبـاطـنُ الـمُـرتـقَـبْ
وأنـت الـوجـودُ لأهـل الـشـهـودِ وأنـت الـذي كـلّ شـيءٍ وَهَـبْ
وعـيـنـي بـعـيْـنِـيْـك قـد أبـصـرتْ بـعـيْـنـك فـي كـل تـلـك الـنِّـسَـبْ

ومن مقاطيعه قوله: [الكامل]

ولقد شكوتُك في الضمير إلى الهوى وعَتَبْتُ من حَنقٍ عليك تحنُّنَا[1]
مَنَّيْت نفسي في هواك فلم أجدْ إلا المنيَّةَ عندما هجَم المُنَى

وقوله: [الطويل]

إذا امتدَّ كفٌّ للزمان بحاجةٍ فقُوّتها من عادة الهِمَّة السُّفْلَى
ومن يَكُ يستغني عن الخلقِ جُملةً فيُغْنيهِ ربُّ الخلق من فضلِه الأعْلَى

وقوله: [المجتث]

إذا أسأتَ فأحسِنْ واستغفِر الله تنجُو
وتُبْ على الفَوْز وارجعْ ورحمةَ الله فارجُو

١١٨- ولده السيد محمد حجازي

هو في قلادة نسَبهم واسطة، وصاحب أيادٍ بجميل النِّعم باسطة.
شهرته النَّزْعة الحجازيَّة، ولبِس من حسن الخِجَى زِيَّة.
وله أملٌ يقوم به مع الأيام ويقعُد، ويدنُو به طوراً وآونةً يبعُد.
حتى رسخ رسوخ ثَهْلان، وكلِف بالمعالي كما كلف بمَيَّة غَيْلان.

---

(١) حنق: شدة الغيظ. اللسان مادة (حنق).

١١٨- محمد حجازي بن عبد القادر بن محمد الشهير بابن قضيب البان الحلبي الحنفي، نقيب حلب. كان علماً فاضلاً جسوراً كثير العرفان فصيح اللسان في اللغات العربية والفارسية والتركية، وكان ذا همة علية مغبوطة ويد للخيرات مبسوطة، ولي بعد أبيه نقابة الأشراف بحلب مدة، وقصدته الناس في المهمات، ثم سلك طريق الموالي ووجه إليه قضاء أريحا على طريق التأييد، وأعطي رتبة القدس، ورأس في حلب.
وكانت ولادته بمكة المكرمة سنة إحدى بعد الألف، وتوفي بحلب في صفر سنة تسع وستين وألف. ا.هـ. خلاصة الأثر (٤/ ١٤).

Marfat.com

فجمع الله به شَمْل المكارم في قُطْره، وأحْيَا به الأرض المَوات إذا ضَنَّ سحابُها بقَطْره.

إلا أن فيه عجَلةً تُلزمه الحُجَّة، وشَراسةً تُضيِّقُ عليه المَحجَّة.

فإذا تكدَّر لا يُرجَى له صَفْو، وإن سخِط لا يُنتظَر له عفو.

وأما القراءة فله منها ما تحصَّل، ولكن له شعر تدرَّج به إلى الوصف بالأدب وتوصَّل.

وقد أثبتُّ له ما يَرُوقك رُواؤه، ويُغنيك عن ماء الغُدران إرْواؤه.

فمنه قوله، من قصيدة يمدح بها البهاء، لما كان قاضياً بحلب، أولها:

ألا منجِدٌ في أرض نجْد من الوجدِ ... فما عند أهْلِيها سوى لوعةٍ تُجْدِي

وقفتُ بها مستأنساً بظِبائها ... كما يأنَسُ الصبُّ المتيَّمُ بالوجدِ

أُسائلُ عمَّن حلَّ بالجِزْع والحِمى ... وأنشُد عمنْ جاز بالأجْرَعِ الفَرْدِ[1]

خليليَّ إن الصدرَ ضاق عن الجوَى ... فلا تعْجبا من طَفْرة النارِ بالزَّنْدِ

ففي الجسم من سُعْدَى جروحٌ من الأسَى ... وفي القلبِ من أجْفانها كلُّ ما يُعْدِي

بثَغْرٍ يزيدُ الوَقْدَ من خمرةِ اللَّمَى ... وصُدْغٍ يُثير الوجدَ من جَمْرة الخدِّ

تُقرِّب لي باللَّحْظ ما عَزَّ دَرْكُه ... وتنْفِر عمداً كي تُصاد على عَمْدِ

تَلاعَب في عقل الفُحول بطَرْفها ... مُلاعبة الأطْفالِ من غِرَّة المَهْدِ

رمتْ مهجتي أهدابُها عن تعمُّدٍ ... نِبالاً فزادتْ من توقُّدِها وَقْدِي

دنَوْتُ إليها وهْي لم تدرِ ما الهوى ... وما علمتْ ما حلَّ بي من هوى نَجْد

فقلتُ أما لي من رُضابك رَشْفةٌ ... مُعلَّلةٌ أروِي بها غُلةَ الوجدِ[2]

وهل للتَّداني عِلَّةٌ أستمدُّها ... وأبذُل في إنجاز وُصْلتِها جُهْدِي

فقالتْ أما يكفيك وعدي تعِلَّةً ... لقلْبِك فاقْنَعْ يا أخا الوُدّ بالوعدِ

ولا تَرْجُ مهما تقصد النفسُ نَيْلَهُ ... فإن الرزايا في مُتابعةِ القصْدِ

ولا تستمِخ من كلِّ خِذْنٍ وصاحبٍ ... إخاءً فقد يفُضي الإخاءُ إلى الزهدِ

فما كل إنسان تَراه مُهذَّباً ... ولا كلُّ خِلٍّ صادق الوعد والعهدِ

---

(١) الأجرع: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل. اللسان مادة (جرع).
(٢) الرضاب: الريق. اللسان مادة (رضب).

Marfat.com

ولا كلُّ نجمٍ يُهتدَى بضيائِه ولا كلُّ ماءٍ طيِّب الطعمِ والوِرْدِ
ولا المسكُ في كل المَهاةِ مَحِلُّه ولا ريحُ ماءِ الوردِ من عاصرِ الوردِ
ولا فضلُ مولانا البهاءِ محمدٍ كفضلِ المَوالي السابقين على حَدِّ

قلت: هذه العَلاقة النجديّة، اقتضت أن تُسمّى القصيدة بالوَجْدية.

وله، من قصيدة أخرى، في مدح البهاء أيضاً، مطلعها:

قطبُ السماءِ هو الطريقُ الأقْصدُ دارتْ عليه نجومُه والفَرْقدُ
والمُشْتري والزُهَرَةُ الزهراءُ في أوْج السُعودِ هبوطُها والمَصعَدُ
والشمسُ ما شرُفتْ على أقرانها إلا بِنِسْبته إليها العَنْجَدُ
واللّهُ لا تحصى شؤونُ كمالِه فالويْل ثَمّ على الذي لا يشهدُ
ولقد أتيتُ الدهرَ غيرَ مُغادرٍ في حالة منها أقومُ وأقعُدُ
فسألتُه مَن في الحمى فأجابني مفتِي الأنام أبو البهاء محمدِ

قلت: هاهنا فائدةمن المستخرجات بالإلهام، وهي أن كثيراً من الشعراء مَن يبني رويّ قصيدته على اسم ممدوحه، ولم يذكرواهذا البديع، فينبغي أن يسمى بـ (التمهيد) ويُذكر. ومن مستحسناته، قوله في الخمرة ونشأتها:

لا تَرْضَ بالإضرارِ للناسِ إن رُمْتَ أن تنجو من الباسِ
وانظُر إلى الخمرِ وما أوقعت في شاربيها بعد إيناسِ
لما رضَوا في دَوْسِها عُوقبوا بضَرْبةٍ منها على الرَّاسِ

هذا معنى تصرّف فيه وبناه على العِقاب، وقد استعمله القدماء وأحالوه على جَوْر الشراب.

ولكل مَشرب، إما عَذْب أو مُستعذَب.

ومن الثاني قول ابن الأثير من فصل في وصف الخمر: (وقد عُرِف منها سُنَّة الجور في أحكامها، ولولا ذلك لما استثارت من الرؤوس بجناية أقدامها).

وهو أخذه من قول القائل:

ذكرتْ حقائدها الكريمةُ إذ غدتْ وَهْناً تُداسُ بأرجل العصّار
لانتْ لهم حتى انتشَوا فتحكمتْ فيهم فنادتْ فيهمُ بالتارِ

وعلى ذكر التّار فاغجب لتار الإشبيليّ الذي يُنطق الأوتار، وهو قوله:

Marfat.com

والخمر تعلمُ كيف تأخذُ ثأرها إني أملتُ إناءها فأمالني

ويعجبني في هذا السياق، قول بعض الأندلسيين الحُذَّاق:

لا تعجبن لطالبٍ نال العُلاَ كهلاً وأخفَق في الزمان الأوَّلِ
كالخمرِ تحكُم في العقُول مُسِنَّةً وتُداس أوَّلَ عَصرها بالأرجُلِ

١١٩- السيد عبد الله بن محمد حجازي

السيد الصنديد، الفقيد الشَّبيه والنَّديد.

الشريف في نفسه فضلاً عن أرومته، الحسيب في ذاته علاوة على جُرثُومته.

شرفٌ ليس بمدَّعى ولا منتحل، وحسَب له رونق المشتري ومرتقى زُحَل.

إذا انتسب باهتْ به الأنساب، وإذا كتب أرى البدائع بيض الوجوه كريمةَ الأحساب.

إلى مَكرُمات يدرك أقاصيها، ومعلوات يعقِد بالفلك نواصيها.

أُلْبس من الفضل أحسنَ لباس، وخُلِقَ من طينةٍ غير طينة الناس.

وهو محاسنُ وفنون، تتغاير عليها آذان وعيون.

بحر إذا نَطق وطَود إذا سكت، وكلُّه من فِرْقِه إلى قدمه تُحف ونُكت.

بفكر يفتح المُقفل، وذهن يستدرِك المُغفَل.

وآداب رَطْبةٍ لدى الهَصر، ومعارف تأبى على العَدُّ والحصر.

ولقد لقيتُه بالروم سنة سبع وثمانين، وأنا في أيام تلك الغربة راعي سنين.

١١٩- السيد عبد الله بن محمد حجازي بن عبد القادر بن محمد أبي الفيض الشهير بابن قضيب البان الحلبي الحنفي الفاضل، الأديب.
كان أحد المبرزين بحسن الخط، وله تآليف منها نظمه للأشباه الفقهية، وكتاب حل العقال وذيل على كتاب الريحانة ولم يكمله. وكان دأب في طليعة عمره وحصل وأخذ عن جملة من العلماء منهم العلامة محمد بن حسن الكواكبي مفتي حلب، والمنلا محمد أمين اللاري، والسيد محمد التقوي، والشيخ مصطفى الزيباري. وتفوق وتصدر للتدريس في المدرسة الحلاوية وولي نقابة الأشراف وأعطي رتبة قضاء ديار بكر. ثم تقلبت به الأحوال ومر بدمشق قاصداً الحج، ثم سافر إلى أدرنه، ثم قدم إلى استانبول، ثم سافر إلى بلده حلب، ودخل القاهرة ثم خرج حاجاً وبعد أن حج توجه إلى حلب وأقام بها.
وفي أخريات أمره تغيرت أطواره وانقلب إلى طبعه الأول وتجرأ على الناس بالأذية وسوء المعاملة ومازال حتى اجتمع عليه أهل بلده وقتلوه وكان قتله سنة ست وتسعين وألف. ا.هـ. خلاصة الأثر (٣/ ٧٠).

Marfat.com

ولي فؤاد إلى المخالطة شَيِّق، وصدر يسع همَّ الدنيا وهو ضيِّق.

فنزلت منه بحيث مُلتقى الصدر الرَّحْب والمُحيَّا الوسيم، وحلّيت بقلبه حلول المسرة وهبَبْت في روض أخلاقه هبوبَ النسيم.

وكان لي من مجلسه نَضرةُ الرَّيْحان، ونفحة الروض وطربُ الألحان.

أشِيم خُضرة تَرِفُّ في زهرة حسن، وأجْتلي روضة في ناظر ونجوى في أذن.

وهو أناله الله من كرمه أفضلَ إنالة، لا يُقْتَرح على الأيام مطلبٌ إلا قال: أنا له.

إلا أن له حبائلَ تَعتلقه، ومطامع لم تزل تعتلقه.

فعوادي الأيام عليه مُلحَّة مُكبَّة، وبواعث صفْوها مُريحةٌ مُغِبَّة.

وهو من بُعد الهمة، ووساوس الشدة المُدلهمَّة.

في قسوة سَدَّت عليه طريقاً ومنهجاً، وآيَسته من أن يلقى مَفْرَجاً ومخرَجاً.

فأبى له التخيُّل، إلا التصنُّع والتحيُّل.

فدبّر أمراً تحرَّاه، ونُسِب فيه إلى أنه افْتراه.

وكان سهوُه فيه أكثرَ من تيقُّظه، ووقْعُه أقرب إليه من تحفُّظه.

فخرج متحسِّباً إلى مصر، وهو زمِيل همٍّ مبرِّح وإصرْ.

ثم عدل الحقيقة عن المجاز، وتوجَّه إلى مَثابة الحُجاز.

فحجَّ البيت الحرام وعاد، ودخل بلدَه وهو من توفُّر الحظِّ على ميعاد.

فلم يلبثْ حتى مدَّ عِنان النظر، وتدرَّج إلى حالٍ أفضتْ به للأمر المنتظرَ.

وسبب ذلك أنه وقع بحلب غلا، نهض به سعرُ الأشياء وعلا.

وكان حاكمهم العُرْفِيّ سارع إليهم مدده، وتوفَّرت لعنايتهم أنصارُه وعددُه.

فانجذبت إليه قلوب الخاصة والعامة، وصاروا يحوطونه من سِمة النقص بالكلمات التامة.

واتفقَ أن الحجازيّ دعاه ليلة إليه، فلما مضى عنده لم يستقر حتى حُقَّت المنيَّة عليه.

فنسَبوه إلى أنه اقْتدح في هُلْكه زَنْداً وَرِيَّة، وسقاه الحِمام كاساً رَوِيَّة.

ولما خرجوا بجنازته ليُودِعوه القبر، رأوا الحجازيَّ أمامهم فلم يملكهم عن قَتْله الصبر.

وشُغِلوا عن الرِّثاء بطلب الثار، ولم يجدوا مثلَها فرصةً تُخْمد هذا العيب المُثار.

Marfat.com

فرمثه عن قوسها سهامُ القضاء الصوائب، وعضَّت منه إبهام الإبْهام بنابها النوائب.

فبقي جسدُه على الأرض مطروحا، كأن لم يكن في روض المعارف غصناً مَروحا. وبلغت أمانيها من ذهابه الأغراض، ولله تعالى المشيئة فليس لنا اعتراض.

فأنا إذا أفكرت في صَرْعته، وأخذتني لوعة محنته ورَوْعِته.

ملكتْني عَبْرة تترقرق، أكاد بمائِها أشْرق.

وأرغب إلى الباعث بعد الحِمام[1]، ما دثر من هوامد الرِّمام.

أن يهبَه رحمتَه وعفوه، ويعوضه عن كدر دنياه النعيمَ وصَفْوَه.

وقد أثبت من أشعاره التي طلعتْ محاسنها سافرةَ المُحيَّا، وسرَتْ سرور الحبيب أخيَا وحَيَّا.

ما حشَوتُ حيناً من دُرِّه الثمين مَسْمَعي، فإذا تلوتُه بكيت فضائله فيبكي السامعُ معي.

فمنه قوله: من نبويَّة مستهلها:

أهـلاً بـنَـشْـر مـن مَـهَـبِّ زَرُودِ ... أحْـيَـا فـؤادَ الـعـاشـق الـمـنْـجـودِ

وروى شذى خبر العقيق ففجَّرتْ ... مـنـه عـيـونَ الـدمـع فـوق خـدودِ

ونـمَـا فـنـمَّ لـنـا بـأسـرار الـهـوى ... مـن حـيـث مـنـزلـة الـظـبـاءِ الـغِـيـدِ

تلك المعاهدُ جاءَها صَوْبُ الحيا ... وسـرى الـنـسـيـمُ بـظـلـهـا الـمـمـدودِ

فـيـهـا بـواعـثُ مُـنْـيـتـي ومـنـيَّـتـي ... وبـوزدهـا ظـمـئـي وطِـيـبُ ورُودِي

إن تَـنْـأَ عـن عـيـنـي بـدورُ سـمـائـهـا ... فـأنـا الـمُـقـيـم عـلـى رَسـيـس عـهـودِي

كـيـف الـخـلاصُ ولـي فـؤادٌ مُـوثـقٌ ... بـالـحـب لا يُـصـغـي إلـى الـتـفـنـيـدِ

وتـأوُّه لـولا دمـوعـي لـم يـكـدْ ... ينجو الورى من جَمْرها المَوقود

هذا من قول الآخر:

لـولا دمـوعـي لـم يـكـدْ ... يـنـجـو الـورى مـن نـار قـلـبـي

وقول الآخر:

لـولا الـدمـوعُ وفَـيْـضُـهـنَّ لأحـرقـتْ ... أرضَ الـوداعِ حـرارةُ الأكـبـاد

وأشبه به قول رَباح:

---

(١) الحِمام: قضاء الموت وقدره. اللسان مادة (حمم).

Marfat.com

نـار يُـغـذّيـهـا الـسـحـابُ بـمـائِـه ... فـلـذاك لـم تـكُ تـرتـمـي بـشَـرارِ

ولابن عبد ربه، من أبيات ربيعية:

والأرضُ في حُللٍ قد كاد يحرقُها ... تـوقُّـد الـنَّـوْر لـولا مـاؤُهـا الـجـاري

وقد قلبه الحَرْفُوشِيّ كما تقدم في قوله:

ومـدامـعـي لـولا زفـيـري لـم يـكـدْ ... ينْجُو الورى من سَحِّها المُتَوالي[1]

داء تَـعَـوَّدَهُ فـؤاد مـتـيَّـمٍ ... لـم يلتحفْ غيرَ الأسى ببُرودِ

كـلا ولا كـحَـل الـرُّمـاد جـفـونـه ... أيـلَـذُّ مـن ألِـفَ الـهـوى بـهـجـودِ

ما أعذب التعذيبَ في طُرُق الهوى ... إن لـم تُـشَـب أشـقـامـه بـصـدودِ

نـفـسـي الـفـداءُ لـذي قـوامٍ نـاضـرٍ ... جـعـل الـحِـدادَ وسـيـلـةَ الـتـهـديـد

رَخْصٌ كجسم النُّور مهضوم الحشَا ... لَـدْن كـخـوطِ الـبـانـة الأمْـلـودِ[2]

لبستْ غدائرُه الدجى وتقلّدتْ ... لَـبّـاتُـهـا مـن زُهْـرهـا بـعـقـودِ

عهدي به والليلُ منفصم العُرا ... مُـتـوسِّـد وَفْـق الـمُـنـى بـزنـودِ

والقلب يَظمأُ من مَراشِف ثغرِه ... ظـمـأَ الـسـكـارَى بـابـنـة الـعـنـقـودِ

بعث الشبابُ على ورود رُضابِه ... فـأتـى الـفـراقُ وحـال دون وُرودِ

فجعلتُ زادِي بعده جَرْعَ الأسَى ... وأطـلـتُ فـيـه تَـهـائـمـي ونُـجـودِي

وغدوْت في شَجَنٍ يُقْلقِل أضلُعي ... إن الـشـجـونَ عَـلامَـة الـمَـغْـمـودِ

ليت الذي منع التَّداني بيننا ... وقـضـى عـليّ بـوَحْـشـة الـتـبـعـيـدِ

يُلْوِي فيُسعفني بتقْريب الخُطا ... ويـفُـكُّ مـن أسْـر الـفِـراق قُـيـودِي

فأشِيمُ برقَ الوصل من قِبَل الحمَى ... وأشـمُّ رَوْح الأُنْـسِ غـيـر بـعـيـدِ

وأرى خـيـامَ أحـبَّـتـي وقـبـابَـهـا ... كـالـخَـوْد تُـجْـلَـى فـي عِـرَاصِ الـبِـيـدِ

أرض يـفُـوح بـتُـرْبـهـا أرَجُ الـنَّـدى ... والـمـجـدُ فـي نُـوَّارِهـا الـمـخْـضـودِ

هي مِهبط الوحيِ القديمِ ومَعقِلُ الدِّ ... ـيـن الـقـويـمِ ومـوطـنُ الـتـوحـيـدِ

---

(١) السَّحُّ: الصَّبُّ والسيلان من فوق. القاموس مادة (سيح).

(٢) الرَّخص: الشيء الناعم اللين إن وصفت به المرأة فرخصانها نَعَمةٌ بشرتها ورقتها. اللسان مادة (رخص).
الخُوطُ: الغصن الناعم. اللسان مادة (خوط).
الأملود: الناعم. اللسان مادة (ملد).

Marfat.com

وكتب إلى الأمير مَنْجَك قصيدة طويلة، اكتفيت منها بالمقدار الذي كتبتُه، ومطلعها قوله:

سقى جِلَّقاً صَوْبُ السحابِ المزرَّدِ ... وباكَر من أفيائها كلَّ معهدِ
وقلَّد أجْيادَ الرُبا في عِراصِها ... يدُ الغيث عِقْدَي لُؤلُؤٍ وزَبَرْجَدِ
ولا زال خفَّاقُ الثُعامَى مُنبهاً ... عيونَ الخُزَامى بالخفيف المجسَّدِ
وغنَّتْ بها الأطيارُ من كل نَغْمةً ... تُهيِّجن ألْحان النديمِ ومَغْبَدِ
لقد هتَفتْ منها بوَجْدِي سواجِعٌ ... تَلفَّع أظْلالَ الغُصون وتزْتدِي
تنُوح وتُشْجينا فنزْداد عَيْمةً ... سنعلم إن مِتْنا صدى أيُّنا صَدِ[1]
أشِيم بروقاً بالشَّآمِ مُثيرةً ... عقابِيلَ شوقٍ بالفؤاد المُشرَّدِ
وأسْتافُ نَشْراً كلَّما هبَّ ضائعاً ... تُحدِّث أنفاسَ الحبيب المُبعَّدِ
فيهتزُّ من رَيَّاه قلبي وينْثني ... ولولا اهْتزاز الغصن لم يتأوَّدِ
فَواحُرقتي إن لم أبلِّغْ نعيمَها ... ووافُرقتي إن بِتُّ والبَيْن مُقعِدِي
ويومٍ بلألاء الكؤوس مفضَّضٍ ... كسته يدُ الصَّهباء حُلَّةَ عَسْجَدِ
قضيتُ به حقَّ الهوى غير أنني ... متى أذْنُ منه اليوم ينْأَى ويبعُدِ
رعى اللهُ أيام الوصالِ فإنها ... ألذُّ من التَّهويمِ في جَفْن أرْمَدِ[2]
تقضَّتْ وضنَّ الدهرُ منها بنَهْلَةٍ ... تبُلُّ غليلَ السَّائق المتزوِّدِ

منها:

عسى تقذف البَيْداءُ نَضْوِي برحلةٍ ... تُنفِّس عن أسْرِ المَشُوق المُقيَّدِ
إلى بقعة زِينتْ بباقعةِ الحجَى ... مُنِيل المعالي المَنْجَكِيِّ محمدِ
عريقِ بلاد الشام دُرَّةِ تاجها ... غَياثِ بني الآداب مَأْوَى المُطرَّدِ

منها:

أخا مَنْجَك يا أكملَ الناس فِطْنةً ... وأشرفَهم بيْتاً بغير تردُّدِ
صبغتَ العُلا بالمكرُماتِ فلم يَحِلْ ... وينكَر في الأغراضِ غيرُ التجدُّدِ
أمولايَ يا بدرَ المعالي وشمسَها ... ويا رحلةَ الآمالِ من غير موعدِ

---

(١) العَيْمَة: شهوة اللَّبن، والعطش. القاموس المحيط، مادة (عيم).
(٢) التَّهويم: النوم الخفيف. اللسان، مادة (هوم).

Marfat.com

لقد ذلِقتْ في وصف مجدِك ألْسُنٌ ... وعَجّتْ به الرُّكبانُ في كلِّ مشْهدِ
وأهدتْ لنا من بحر طبعِك لُؤْلُؤاً ... على الطِّرسِ حتى كاد يُلقَط باليدِ

منها:

فأسْلفْتُك الإعظامَ والودَّ مُوفِياً ... حقوق مَعاليك التي لم تُعدِّدِ
وقدَّمتُ من فكرِي إليك ألُوكةً ... حَبَتْكَ بمغْبوطٍ من المدح سَرْمَدِ[1]
تُخبرُ عمَّا في القلوب من الجوَى ... ويأتِيك بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ
فأوجِبْ لها حقاً وأنْعِم بمثلها ... وَعِضْني بنظمٍ من عقودك يُحمَدِ
أُروِّي بها من لاعج الشوق والنوَى ... غَليلَ فؤادٍ بالصبَّابة مُكْمَدِ

منها:

فأنت لجَفْن الدهر سيفٌ وناظرٌ ... ولولاك لم يُبصرْ ولم يتقلَّدِ

ثم أعقبها بقطعة من نثره، وهي:

حاملَ لواء النظم والنثر، وحاميَ بيْضته عن الصَّدع والكسر.

محلَّ استواء شمس الكرم، العاصر بمجده عنقود الثريَّا تحت القدَم.

واسطةَ قِلادة الفضائل وعِقدَ نِظامها، وبيت قصيدة الآداب ورَوْنق كلامها.

جنابَ الأمير ابن الأمير، والعِطر ابن العَبِير.

لا برحتْ ظلالُ معاليه ممتدَّة على مفارق الأيام، وظلُّ حُسَّاده أقْلصَ من جفون العاشق عن طِيب المَنام.

هذا ولو أوتي الداعي زَكَن إياس، واسْتضاء من محاضرة أبي الفرج بنِبْراس.

وملك براعة ابن العميد، وأحرز خُطَب ابن نُباتة ويَداهة عبد الحميد.

وأُعطِيَ بلاغة الصاحب ونوادر أبي القُنْدَيْن، ونال مقامات البديع ومفاوضات الخالديَّين.

وحاز مُحاورات الأخنف وفصاحة سَحْبان، وحوى مُنشَآت القاضي الفاضل ومدائح حسّان.

ورام أن يُزخرف كلاماً يناسب مقتضى المقام والحال، لفُلَّ حَدُّ القلم وضاق ذَرْعُ المَجال.

---

(١) الألُوكة: الرسالة. اللسان مادة (ألك).

Marfat.com

وإن أحجم بقيتْ في النفس حاجة، وعصَف على القلب ريحُ حسرة فهاجَه.
فلذلك أقْدم على الثانية سَجِيًّا، وأبدَى لتلك الحضرة هَدِيًّا.
فإن أكرمَ الأميُر مَثْواها، فنظم من فرائد عوائدِه فحلاَّها.
وأجلب بما يروِّي غليلَ الفؤاد، ويخُصب مَراد المُراد.
فذلك من مَساعِي فطرته المنْجَكِيَّة، ودواعي شِيمتِه البَرْمكية.
فأجابه بهذه الأبيات:

أمـولايَ مـن دون الأنـام وسـيِّـدِي ... بـمـدحِـك قـد بلَّـغْـتـني كـلَّ سُـؤْدَدِ
بـعـثـتَ بـأبـيـاتٍ كـأن عُـقـودَهـا ... مُـنـضَّـدةٌ مـن لُـؤلـؤٍ وزَبَـرْجَـدِ
أُمـتِّـع طَـرْفـي فـي طـروسٍ كـأنـهـا ... مـبـادِي عِـذارٍ فـوق خَـدٌ مُـورَّدِ
سطورٌ إذا ما رمتُ قتْل حواسِدي ... أُجـرِّد مـنـهـا كـلَّ عَـضْـبٍ مـهـنَّـدِ
تـكـلِّـفـنـي ردَّ الـجـواب وإنـنـي ... أبِـيـتُ بـفـكـرٍ فـي الـزمـان مُـشـرَّدِ
وليس يُجيد الشعرَ منطقُ عاجزٍ ... ضئيلٍ على فُرْش السُّهادِ مُوَسَّدِ
يـمـرُّ بـه الـعـمـرُ الـطـويـل مُـضـيَّـعـاً ... على الكُرْهِ منه بين واشٍ وحُسَّدِ
فعذراً أخا العلْياءِ فُلَّتْ عزائمي ... وقد كنتُ كالسيف الصَّقِيل المجرَّدِ
فإنك أهلُ الصفحِ والعفوِ والرِّضا ... وإنـك مـن نَـسْـلِ الـنـبـيِّ مـحـمـدِ
أعَزُّ بني الدنيا وأشرفُ من سَمَا ... إلـى الـرتـبـةِ الـعَـلْـيـا بـغـيـر تـردُّدِ
صـغـيـرٌ إذا عُـدَّت سِـنِـيُّ زمـانِـه ... كـبـيـرٌ بـه أشـيـاخُـنـا الـغُـرُّ تـقـتـدِي
تملَّك رقَّ الحمدِ والشكرِ والثَّنا ... بـكـفٌ عـلـى فـعـل الـجـمـيـلِ مُـعـوَّدِ
فـلا زال عـيـنـاً لـلـزمـان وأهـلِـه ... يـجـرِّر ذيـلَ الـفـخـرِ فـي كـلِّ مَـشْـهَـدِ

ومما طارحني به في بعض مطارَحاته، أنه لما مرَّ بدمشق قاصداً الحج، شُغِف بأحد أبناء سُراتها، وكان من الأشراف، قال: ثم فارقتُه وتباكيْنا يوم التوديع، فكتبتُ إليه من الطريقُ مُضمِّناً بيت البُحْتُرِي:

يـا آل بـيـتِ الـمـصـطَـفـى هـل رحـمـةٌ ... لـفـؤاد مـشـبـوبِ الـجـوانـح نـائِـر[1]
ضـلَّـتْ نـواظُـره الـرُّقـادَ ومـا اهـتـدتْ ... بـبَـيـاض دمـعٍ مـن سـوادِ ضـمـائـر
دمـعٌ تـعـلَّـق بـالـشـؤونِ فـسـاقَـه ... زفـراتُ بَـرْحٍ مـن جـوًى مُـتـخـامِـرِ

(١) نائر: هائج. اللسان مادة (نار).

Marfat.com

لـو تـنظـرون إلـى الشّتيتِ وسِـرْبُـه ... يـقْـفـو سُـروبَ زواخـرٍ وزوافـرِ
لـعـذرْتـمـوه ومـالـه مـن عـاذِلٍ ... وعـذلْـتـمـوه ومـالـه مـن عـاذرِ
واهـاً لأيـامٍ تـقـضّـتْ خُـلْـسـةً ... فـي ظـلّ دَوْحٍ بـالـسـيـادةِ نـاضـرِ
دوحٌ عـلـيـه مـن الـنـبـيِّ مـحـمـدٍ ... وَضَـحُ الـصـباحِ ونـفْـح روضٍ بـاكـرِ
لـم أنْـسَـه يـومَ الـوَداعِ وطَـرْفُـه ... يـرنُـو إلـى شَـعَـثِ الـنـجـيـبِ الـضّـامِـرِ
وفـعـالُـه تُـبـدِي نـفـاسـةَ عِـرْقِـهِ ... فـي فـضْـل وجـهٍ بـالـسـمـاحـةِ زاهـرِ
حـتـى إذا جـدّتْ بـنـا ذُلَـلُ الـنّـوى ... والـعـينُ تـسْـفـح بـالـنّـجِـيـع الـمـائِـر[1]
سِـرْنَـا وعـاوَد كـالـمـقـيـم وربـمـا ... كـان الـمـقـيـمُ عَـلاقـة لـلـسـائِـر

ومن بدائعه قوله:

ألا لا تـسَـلْ أيّ شـيءٍ جـرَى ... ومـن قَـرْح جَـفْـنِـيَ مـاذا جـرَى
تـعـلّـمـتُ مـن حـبِّـه الـكِـيـمـيَـا ... وصـرتُ حـكـيـمـاً بـه أكْـبـرا
سـحَـقْـت فـؤادي وأودعـتُـه ... بـنـارِ غـرامٍ بـه أسْـعَـرَا
وصـيَّـرتُ عـيـنـي أنـبـيـقـةً ... وقـطّـرْتُـه ذهـبـاً أحـمـرا[2]
ألا هـكـذا يـا أُخَـيَّ الـهـوى ... كـمـا كـلّ صـيـدٍ بـجـوف الـفَـرَا

وقوله:

لـم يـذرِ مـن بـالـوصـل مـازَ جَـفـاكِ ... أن الـرّحـيـقَ الـعـذبَ مـازَج فـاكِ
قـد كـنـتُ فـي ديـن الـغـرام مـوحّـداً ... ومُـوحّـداً مـن دون مـن يَـهـواكِ
حـتـى نـصـبْـتِ الـهُـذْبَ مـنـكِ حُـبـالـة ... لـلـعـاشـقـيـن وعُـقْـلـةَ الـنُـسّـاكِ
وأرَيْـتـنِـي نـاراً بـخـدّك أُضـرمـتْ ... فـوقـعـتُ فـي الأشْـراكِ والإشْـراكِ

وقوله:

رأسُ الشريف عليه سندسُ أخضرٍ ... عـنـوانُ مـا فـي الـخـلـدِ بـعـضُ حُـلاهُ
سُـقـيـتْ بـمـاء مـكـارمٍ أغْـراقُـه ... فـاخْـضـرّ مـن أصـلٍ زكـا أغْـلاهُ

---

(١) النّجيع: الدم، وقيل هو دم الجوف خاصة. اللسان مادة (نجع).
(٢) أنبيقة: من النّبق واحدة النبقة بكسر النون: دقيق يخرج من لب جذع النخلة، حلو يقوى بالدبس، ثم يجعل نبيذا. القاموس مادة (نبق).

Marfat.com

من قول الشِّهاب الخَفاجِيّ :

يقول على رأس الشريفِ علامةٌ ونورُ نبيِّ الله عن ذاك أغْنَاهُ
فقلتُ جرى ماء المكارمِ والندى وقد طاب مجْزاه لذا اخْضَرَّ أعْلاهُ

وله في مُجدَّر :

يقولون من تهواه جُدِّر وجهُه فقلت لهم حاشاه من نَصَبٍ يُردِي
ولكن أشارُوا بالبَنان لحسنِه فأثَّر أطرافُ الأناملِ في الخدِّ

قلتُ : لله دَرُّه على ما أبدع.

وقوله: «جدر» بالبناء للمفعول ، تقول جُدِّر الرجل ، فهو مُجدَّر.

وفي الأساس: مُجدَّر ومَجْدور.

وأنكر الحريريّ في الدُّرّة مُجدَّراً، وعدَّه من الوهم.

قال : لأنه داء يصيب الإنسان مرة في عمره ، من غير أن يتكرر عليه؛ فلزم أن يبنى منه المثال على مفعول، ولا وجه لبنائه على مُفعَّل الموضوع للتكثير.

ولا وجه لإنكاره، إذ ليس كل فعل للتكرير والتكثير، فقد يجيء بمعنى فعل كثيراً، مع أن التكثير والتكرير مُحقَّق هنا باعتبار أفراد حبّاته، وهو في غاية الظهور.

والأفصح أن يقال جدريّ، بضم الجيم ، واشتقاقه من الجَدَر وهو آثار الكيّ على عنق الحمار.

وقد أكثر الشعراء من وصف المجدّر، ولم أر أحسن من قول أبي سعد الجُوَيْنِيّ:

بدتْ بثَراتُه فوق المُحيَّا كما نُثرتْ على الشمس الثُريَّا
كأن الخدَّ والبثرات فيه حَبابٌ فوق كأسٍ من حُمَيَّا

وأنشدني الحجازي، قوله في وصف مجلس لبعض أحبائه، أطلّ على غدير فُرِشتْ أرضُه بحَصْبائه:

حسَدتْ جَمْعنا النّجومُ فألْقتْ نَفْسَها في مناقِع الغُدْرانِ

هذا بيتٌ ماله في الحسن مُوازِي، يساوِي ألفَ بيت من جنس بيت المَنازِيّ.

وما أظن أن أحداً سبقه إلى هذا المعنى ، ولا أن فكراً طرق هذا المغنى، غير أن في قطعة لابن حمديس بيتاً يقاربه في المبنى، وهو:

كأن حُباباً رِيع تحت حَبابِه فأقبل يلقي نفسه في غَديرِهِ

Marfat.com

وأنشدني من لفظه لنفسه، قوله من قصيدة، في مدح الوزير الفاضل:

ولرُبَّ يومٍ قد تلفَّعتِ الضحَى ... منه بثوبَيْ قَسْطَلٍ وغَمامِ[1]
حسرتْ قِناعَ النَّقْع عنه عُصبةٌ ... غُبْرُ الوجوه مُضيئةُ الأحلامِ
مُتجرِّدين إلى النِّزال كأنما ... يتجرَّدون لواجبِ الإحرامِ
لا يأنَسُون بغير أطْرافِ القَنا ... كالأُسْد تألَف مَرْبِض الآجام
يسري بهم نَجْمان في ليلِ الوغَى ... رأيُ الوزير ورايةُ الإسلامِ

وكان أتحفني من أناشيده بطُرَف بدائع، هي في عهدة الدهر من جملة مالي من ودائع.

ووقع في داره بالروم حريق، فتلِف بعضُ أسباب رِياشِه، وذهب جُلُّ ما اتَّخذه من ذخائر معاشِه.

فقلت أخاطبه :

فِدًى لك ما على الدنيا جميعا ... فعِش في صِحَّةٍ و ابْلِ الرُّبوعَا
لئن جزِع الأنامُ لفَقْد شيءٍ ... فلستَ لفَقْدك الدنيا جَزُوعَا
تعلَّمْنا الأناءةَ منك حتى ... توطَّنَّا بها الشرفَ الرفيعَا
أفاض الله جودَك في البرايا ... وأنبت من أياديك الربيعَا
وصوَّرك المهيمنُ من كمالٍ ... لنعلم صنع خالِقك البديعَا
فمُر واحكُم بما تختارُ فينا ... تَجِدْ كُلاًّ بما تهوى مطيعا
فلو كلّفت يوم الأمس عوداً ... لخاض الليل واختار الرجوعا
ولو ناديت سهماً في هواء ... لعاد القهقرى وأتى سريعا
يضمّ البرد منك أخا فخار ... يبيت الليل لا يدري الهجوعا
وإني من بجودك قد ترقّى ... وحلّ من العلا حصناً منيعا
خلقت على الوفاء لكم مقيماً ... وأوفى الناس من حفظ الصنيعا

وكتبت إليه من دمشق ، بعد عودي من الروم إلى حلب ، هذه القصيدة :

أرى النَّدْبَ مَن صافَى الزمانَ المحاربَا ... وأغْبَى الورى من بات للدهر عاتبَا

---

(١) القسطل: الغبار في الموقعة. المعجم الوسيط مادة (قسط).

Marfat.com

أتعتبُ من لا يعقل العَتْبَ والوفا ... ولا هَمَّه شيءٌ فيخشَى العواقبَا
وإن ضَنَّ لم يسمَح بمثقال ذَرَّةٍ ... ولم يُبْقِ موهوباً ولم يُبق واهبَا
ولا جَنَّةٌ تُغنِيك إن كان مانعاً ... ولا منزلٌ يُؤويك إن كان طالبَا
أُحاوِل شَكْواه فألقَى نوائباً ... تُهوِّن عندي منه تلك النوائبَا
ولن يسبِق الأقْدارَ من كان سابقاً ... ولن يغلبَ الأيامَ من كان غالبَا
ومَن صحِب الدنيا ولو عُمْرَ ساعةٍ ... رأى من صُروف الدهر فيها العجائبَا
وقَفْرٍ كيوم الحشر أو شُقَّة النوَى ... يُضِلُّ القَطا أعملت فيه النجائبَا
وليلٍ كقَلْبِ السامِرِيِّ قطعتهُ ... إلى أن حكى بالفجر أسود شائبَا
وما كنتُ أرْضَى بالنوى غير أنني ... جديرٌ بأن لا أرْتضِي الذل صاحبَا
فنظَّمتُ من دُرِّ المعاني قلائداً ... جعلتُ قوافيها النجومَ الثواقبَا
ويَممْتُ أقْصَى الأرض في طلب العلا ... ولم أصطحب إلا القنا والقواضبا[1]
فلاقيت في الأسفار كل غَريبةٍ ... ومن يغتربْ يلقَ الأمورَ الغرائباَ
وخلَّفتُ من يرجُو من الأهلِ أوْبَتِي ... كما انْتظر القوم العطاشُ السحائبا
وكم قائلٍ لا قرَّب الله داره ... ومن يتمنَّى لو بلغتُ المطالبا
فعُذْتُ على رغم الفريقيْن سالماً ... ولم أقْضِ من حقّ الفضائل واجبَا
وحسْبي وجودُ ابن الحجازِيِّ نائلاً ... به لم أزلْ ألقَى المُنَى والمآربَا
فتىً قد جهلتُ العُسْرَ منذ عرفتُه ... ولانتْ لي الأيامُ عِطْفاً وجانبَا
وأصبحَ يلقاني العدوُّ مُسالماً ... وقد كاد يلْقاني الصديقُ مُحاربَا

منها :

فِراستُه تُغنيك عن ألفِ شاهدٍ ... تُرِيه من الأشياءِ ما كان غائبا
وَقورٌ كأن الطيَر فوق جليسِهِ ... ترى الدهرَ منه خائفَ الدهرِ راهبا

في قولهم: «كأنما على رؤوسهم الطير» توجيهان:

أحدهما: أنهم لا يتحرّكون فصفتهم صفة من على رأسه طائر يريد أن يصيده، فهو يخاف إن تحرّك طيران الطير وذهابه.

---

(١) القواضب: جمع قاضب. السيف القطاع. القاموس. مادة (قضب).

Marfat.com

والآخر، هو أن نبي اللّه سليمان عليه السلام، كان يجلس هو وأصحابه، ويقول للريح: أقِلّينا. وللطير: أظِلّينا. ويستشعر أصحابه السكون والسكوت؛ فشُبِّهوا بجُلَساء سليمان الذين لا يتحركون، والطير تُظلّهم من فوق رؤوسهم.

ويقال للرجل الحليم إنه يُساكن الطيرَ، أي أن طائره لا ينفر من سكونه.

أخافَ سِباعَ الطير من سَوْطِ رأيه ... فكادتْ لفَرْطِ الخوف تُلْقي المخالبَا
ولو أدرك المجنونُ أيامَ حُكْمِهِ ... لأعرَض عن ليلَى وأصبح تائبَا

منها:

خبيرٌ بتحقيق العلومِ مُدقِّقٌ ... إذا جال في بحثٍ أراك العجائبَا
وإن نثرت يمناه في الطّرسِ لؤلؤاً ... كتبنا على تلك اللآلي مطالبا

وذيلتها برسالة وهي: أقسم بمن جلّت عظمته، وعلت كلمته. وسخّر القلوب للمودّة، وصقل بالمحبة الخواطر المستعدّة. إنني أشْوَق إلى لثم يد مولاي من الروض إلى الغمام، ومن السّارِي إلى تبلُّج القمر في الظلام.

وقد كانت حالتي هذه وأنا جاره، فكيف الآن وقد بعدت عنّي دارُه.

وليست غيبتُه عني إلا غيبة الروح، عن الجسد البالي المطروح.

ولا العيشة بعد فراقه الجاني، إلا كما قال البديع الهَمَذاني:

عيشةُ الحوتِ في البرّ، والثلجِ في الحرّ.

وليس الشوق إليه بشَوْق، وإنما العظم الكسِير، والنَّزْع العسيرِ، والسَّمْ يسْري ويسير، والنارُ تشْوي وتطير.

ولا الصبر عنه بصبر، وإنما هو الصّاب والمصاب، والكبد في يد القصّاب، والنفس رهينةُ الأوصاب[1]، والحين الحائن وأين يُصاب.

وقد كتبتُ إلى مولاي هذه القصيدة، وأنا لا أحسَبها من الإحسان بعيدة.

وهذا الكتاب، وقد أنفقتُ عليهما مدةً من العمر، وصرفت على تحريرهما حيناً من الدهر.

وكتبتهما وأنا مستغرق في ذكرك، مشغول بحمدك وشكرك.

ذاكرٌ عهدَك ، ومُقامي عندك.

في أوقاتٍ ألذ مّن قبل الغِيد ، وأشْهَى من اجْتلاء الخدود ذات التَّوْرِيد.

حيثما العيشُ أخذ طَلْقه ، واسْتوفَى من الأماني حقّه.

وأنت تقرّط[2] سمعي بفوائدك ، وتملأ صدفة أذني بلآلي فرائدك.

---

(١) الأوصاب: مفردها وصب. المرض. القاموس مادة (وصب).
(٢) تقرط: قرّط تقطع. القاموس. مادة (قرط).

Marfat.com

من أدب أغزر مادّة من الدّيم و أنشط للقلب من بوادر النّعم.
ولقد يعزّ عليّ أن أُلْفَى بعيداً عنك ، متروكَ الذِّكْر منك.
ولكن هو الدهر، وعلاجه الصبر.

فصبراً على الأيام في كلِّ حالةٍ فكم في ضميرِ الغيب سِرٌّ محجّبُ

وربما تخَالج في صدري لداعيةٍ اقْتضتْه، ورُعونةٍ لأجل التّنافُس تقاضتْه.
أن يُشرّفني بمكاتبة، ويؤهلني إلى مخاطبة.
جَزْياً على معروفه المعروف، وطمعاً في اغتنام كرمه الموصوف.
حتى أُباهي بكَلِمه الزمان، وأجعلها حِرْزَ الأماني والأمان.
وأظنه يفعل ذلك متفضّلا، لا برح لكل إحسانٍ مُؤمّلا.
فكتب إلي جواباً.

نحن عِفْنا الشهباءَ شوقاً إليكم هل لديكم بالشام شوقاً إلينا
قد عجزْتُم عن أن تَرَونا لديكمْ وعجزنا عن أن نراكم لَدينا
حفظ الله عهد من حفظ الـ ـعهدَ ووفّى به كما وفّينا

اللهم جامع المحبّيْن، ومعينَ القُوَى على ألم النوى وما جعل الله لرجل من قَلْبيْن.
أسألك بما أودعته في سرائر المخلصين من أسرار المحبة، وأنبت في رياض صدورهم من المودة، التي هي كحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة.
فازعَ فَرْعَ الشجرة المحبَّبة وأصلَها، وأفِضْ عليها فواضِلَك التي كانوا أحقّ بها وأهْلَها.

واحفظ اللهم هاتيك الذات الزكية التي رؤيتها أجلّ الأماني، ونور تلك الصفات التي إذا تليت تلقّتها الأسماع كما تتلقى آيات المثاني.
هذا وما الصّبُّ إلى الحبيب، والمريض إلى الطبيب.
بأشوقَ مني إلى تلقّي خبره، واستماع ما يفتخر به الرّكبان من حسن أثره.
وما غرضي من عرض الأشواق ، التي ضاقت عنها صدورُ الأوراق.
إلا تأكيدٌ لما يحيط به علمه المحترم ،وتشْنيفٌ لمسامِع اليَراع بذكر صفاتِه التي تطرِب فيترنّم بألطف نغَم.
ولقد كنت أتوقع زيارته لمّا قدم البلدة النّجْرا ، فثنى عِنان الإغراض وأجرى جَواد الانبِرا.

Marfat.com

وما هكذا كنّا لقد كان بيننا معاملةٌ عن غير هذا الجفا تُنبي

هذا وضمير الأخ أنور من أن يستضيء بمصباح الاعتذار، وأعلم بصِدْق المحبة في حالَتي القُرب والبعد والإعلان والإسْرار.

وليس يندمل الجرح منا إلاّ بمرهم لقائِه ،ولا يُشفَى غليلُه إلا بِرِيّ رُوائِه .

فالرجاء أن يتلافى ما فرط بل أفرط من الإعراض، ويسمح بما نتوقعه منه بلا إغماض

هي الغايةُ القُصوى فإن فات نَيْلُها فكُلُّ من الدنيا عليَّ حَرامُ.

١٢٠- السيد يحيى الصادقي

غرة في جبهة الفخر، ينفلق عنها لألاء الفجر.

أساريره على فرحة الحمد مشرفة، وصحيفتاه ما زالنا تُطْلِعان وَرْدَ المعرفة.

أحسن في هذه الحَلْبة السِّباق، وكان له في روضة الأدب الاضْطباح والاغْتباق[1].

ولذاته المحاسن أجمع، وبمثله لم يتمتَّع منظر ومَسْمَع.

إلى ما حَواه من مُطارحةٍ معسولة، ومُعاشرة من وسَخ الرياء مغْسولة.

مرآةٌ طَبْعه عن أسرار المعاني تشِفّ، وَوِرْدُ رَوِيَّته عليه طيورُ القلوب ترِفّ.

وله أشعار أسْوَغ من السُّلاف وألطف، وأدقُّ من السحر يجول في لحظ شادنٍ أوطَف.

تُعَدُّ كلاماً وهي تُجتلَى بين الندام، فيتسلَّى بها فؤادٌ ما تُسلِّيه المُدام.

وقد أوردت من نادرها الغريب، ما يتحير في كيفية تخيله الفطن الأريب.

فمنه قوله:

ولم أشرب الخمر الحرام تعمداً ولكن دعتنيه الضرورة فاعلم

تخيل لي في كأسه عند مزجه بكف الذي أهواه هيئة أرقم

فخفت عليه منه لدغة ضائر فأوهمته وكراً وأدخلته فمي

وقوله في تشبيه النرجس:

انظر إلى النرجس لما بدا معتدل القامة كالصولجان

كأنه كف عقاب هوت فاختطفت تاج أنوشرْوان

---

(١) الاغتباق: من الغبوق. وهو ما يشرب بالعشي. القاموس. مادة (غبق).

Marfat.com

قلت هذا تشبيه، ماله شبيه، غير أنه شدد فيه راء «شروان»، وهو من غلط الخواص.

وهذا اللفظ فارسي معرب، تكلمت به العرب، وأصله نور شروان، ومعناه الأسد الجديد، وهو وصف لكسرى.

قال عدي بن زيد:

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور

وقد يعتذر عن تشديده بما قاله في مثله العصام: «وللعرب التصرف في ألفاظ العجم؛ ولهذا يقال: هو أعجمي فالعب به ما شئت».

وولاه بعض القضاة نيابة محكمة تعرف بالسيد خان، فكتب إليه:

أصبحت مع الشمس ببرج الميزان إذ أنزلني الهمام بالسيد خان

لكن وعلاك كل من ناب يخن والعبد يعاف كلمة السيد خان

وحكى لي شيخنا المهمنداري، مفتي الشام، أن الصادقي حضر مع جماعة من الأدباء، منهم البديعي، وعبد القادر الحموي، في مجلس السيد أحمد بن النقيب، وفي ليلة شاتية تكاد نارها تخمد، وأفكار القلوب فيها تجمد.

والمجلس قد احتبك، وأرميت لمصائد الأفهام الشبك.

وبينهم بدر ترمقه المقل، فتجرح منه مواضع القبل.

إذا تلهبت نيران خدَّيه تراءت بها جنات النعيم، يدور عليها عقرب صدغه الليلي فكم من سليم منها في ليل السقيم.

فجيء بمنقل شب ضرامه، كما شب في كل قلب منهم غرامه.

فما حصل حتى بددت ناره عن عثرة، وأصلي منها ذلك الحفل ألف جمرة.

فقال الصادقي فيه:

ضمَّنا مجلس لتاج الموالي عالم العصر بكر هذا الزمان

غرة الدهر أحمد ذو الأيادي وابن خير الأنام من عدنان

بفريد الحسان خلقاً وخلقاً عندليب الإخوان نور المكان

فاشتهى كلنا زفاف عروس الـ ـحسن تجلى في لونها الأرجوان

فانثنى كالقضيب تفديه نفسي عابثاً بالسياط والمجان

فأصاب الكانون سوط فطار الـ ـجمر من وقعه على الإخوان

Marfat.com

فسألنا ماذا فقال نثار الـ ـحب جمر لا جمرة من جمان
واعتراه الحيا فأخمدها من غير بؤس بساعد وبنان
ففرقنا عليه منها فنادى وكذا النور مخمد النيران

وقال أيضاً:

لاموا الذي حاز لطفاً وبهجة وجلاله
إذ بدد النار عمداً ليلاً وأبدى الخجاله
وصاغ في البسط شهباً إذ كان بدراً بهاله
وكفل الطفي يمنا ه تارة وشماله
كذلك الشمس تدني لكل نجم زواله
فقلت لا تعذلوه دعوه يوضح حاله
بأنه بدر تم حيناً وحيناً غزاله

وقال أيضاً:

أفدي الذي أبدى سما حسنه لنا شموساً ثم أقمارا
فاسترق القوم بأبصارهمْ سمْعاً فعاد السمع إبصارا
فأرسل الشهب عليهم من الكا نون تهتاناً ومدرارا
فظنه الجاهل من جهله بأنه قد بدد النارا

وقال أيضاً:

أنشدت من أهوى وقد أخذ الهوى بمجامعي واستحوذ استحواذا
كبدي سلبت صحيحة فامنن على رمقي بها ممنونة أفلاذا
فأشار للكانون فانثالت على الـ ـجلاس جمراً وابلاً ورذاذا
وبدا يكفكفه حياً ويقول لي من كان ذا لب أيطلب هذا

وقال السيد أحمد بن النقيب:

قد قلت إذ عثر الذي ألحاظه فعلت بنا فعل الشمول مشعشعه
في مجلس بالنار فانتثرت على بُسطي فجلله الحياء وبرقعه
وأكب يدفع عبثها بأكفه مستعظماً ذاك الصنيع وموقعه

Marfat.com

جمرات حبك لو علمت بفعلها في القلب ما استعظمت حرق الأمتعه

وقال أيضاً:

لا تحسبوا النار التي ما بيننا نثرت من الكانون كان شتاتها
بل إنما ذاك الذي ألحاظه سلبت عقول أولي النهى فتراتها
لما رأى عشاقه تخفي الجوى ولهيب نار دأبه زفراتها
وأراد يفضحها أشار بكفه لقلوبها فتناثرت جمراتها

وقال البديعي:

في الدجى زار منعماً من أرانا من رآه في حبه مظلوما
عثرت رجله فبددت النا ر فخيلت بلا سماء نجوما
واكتست وجنتاه ثوب احمرار فرقاً منه أن يكون ملوما
قلت مولاي هذه بعض نار أنت أضرمتها بقلبي قديما
ظهرت منه بعد ما قد أكنت ها ضلوعي إذا ما أراك رحيما
فانثنى ضاحكاً وقال إذا كا نت لظى الشوق ما لها لن تدوما

وقال عبد القادر الحموي:

إن الذي أخجل شمس الضحى في مجلس المولى الرفيع العماذ
بدد ناراً كان للاصطلا فانبث كالياقوت بين الأياذ
فانصاع يزوي الجمر في أنمل كالخز إن حاولت منها انعقاد
وقال إذ رامت بتأجيجها تحكى سنا خدي ومنك الفؤاد
نثرتها عمداً على بسط من أروى نداه كل غاد وصاذ

١٢١- السيد عطاء الله الصَّادقي

هو للذي قبلَه نَسِيب، يتناسب فيه مَدْح ونَسِيب.

صحيفة مجده للخير قابلة، ونسخةُ محتده صحيحةٌ مُقابلَة.

١٢١- السيد عطاء الله بن محمود المعروف بالصادقي الحلبي القاضي. كان من أدباء العصر الفاتقين وله منادمة مبهجة. ولي القضاء في عدة بلاد إلى أن وصل إلى قضاء الموصل.
وكانت وفاته في سنة إحدى وتسعين وألف. ا.هـ. خلاصة الأثر (٣/ ١١٣).

Marfat.com

إذا قال صدَق، وإذا استمطر غدق.
تعاطى المسرة صرفاً، واتخذ المجرة مدى والعيوق[1] طرفاً.
وله أدب مشعشع مروق، وشعر به جيد الدهر مطوق.
أثبت منه ما ينساغ انسياغ الريق، ويهزأ بدرر الثنايا في اللمعان والبريق.
فمنه قوله:

أقسمت ما لاح برقٌ من ثناياك ... إلا وسح سحاباً طرفي الباكي
وما تغنت حمامات على فنن ... إلا وجاوبها بالنوح مضناك
يا فتنة قابلت بالصد ود فتىً ... ما مال في حبها يوماً لإشراك
إن غبت عن ناظري ما غبت عن خلدي ... وحيث كنت فإن القلب مأواك
أبيت فيك أراعي النجم من قلق ... ما كنت أرعى نجوم الأفق لولاك
وفيك لي قد حلا خلع الغدار لما ... طربت عند سماعي وصف معناك
يا شمس حسن بليل الشعر طالعة ... لطلعة البدر جزءٌ من محياك
كذاك للريم سهم فيك من ملح ... وللصباح نصيب من ثناياك
لم ألتفت لسواك غير من بهرت ... علومه كل ذي فضل وإدراك
أخي الفضائل منّاح المسائل وهـ ... ـاب الجزائل أمن الخائف الشاكي
مولى بأعلى أعالي المجد رتبته ... أضحت بأوج المعالي فوق أفلاك
به لقد نسخت أخبار من درجوا ... من الأكارم من عرب وأتراك
إن ساد كل الورى فضلاً فلا عجب ... فإنه فرع أصل طاهر زاكي
من قادة ورثوا العلياء كلهم ... وأصبحوا للمعالي أي أملاك
ما منهم غير نحرير بمصطدم الـ ... ـأبحاثِ يلقي عليها أي فتاك
فبدد المال والأيام عابسة ... روت أياديه عن بشر وضحاك
بعداً لمن رام يحكيهم بفيض ندى ... أيشبه الغيث إبراهيم ذا الزاكي
يا مفرد العصر في خلق وفي خلق ... وألطف الناس في فهم وإدراك
حكاك فيض الحيا إذ هلّ منهملاً ... لدى العطاء وليس الفضل للحاكي

---

(١) العيوق: نجم أحمر مضيء وفي طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها. القاموس. مادة (عاق).

Marfat.com

بصحبها سفن آمال لديك سرت فقال جودك بسم الله مجراك
لا زلت ترقى المعالي دائماً أبداً على البرية من إنسٍ وأملاك

ومن بدائعه قوله، وقد ولي قضاء الموصل:

ومعذر حلو اللمى قبلته نظراً إلى ذاك الجمال الأول
وطلبت منه وصله فأجابني ولى زمان تعطفي وتدللي
نضبت مياه الحسن من خدي وقد ذهب الروا من غصن قدي الأعدل
قلت الحديقة ليس يكمل حسنها إلا إذا حفت بنبت مبقل
دعك اتبع قول ابن منقذ طائعاً واعلم بأني صرت قاضي الموصل

مراده بابن منقذ الأمير شرف الدولة أبو الفضل وقوله:

كتب العذار على صحيفة خده سطراً يحير ناظر المتأمل
بالغت في استخراجه فوجدته لا رأي إلا رأي أهل الموصل

ورأي أهل الموصل هو الميل إلى ذوي اللحي، وتنسب إليهم في هذا الباب مبالغات.

وفيهم يقول أبو الوليد بن الجنان الكناني، الشاطبي، نزيل دمشق:

لله قوم يعشقون ذوي اللحى لا يسألون عن السواد المقبل
وبمهجتي قوم وإني منهم جبلوا على حب الطراز الأول

قوله: «الطراز الأول»، يريد به العذار أول ما يبقل، وهو الذي يكنى عنه البلغاء بطراز الله.

قال الصاحب بن عباد:

رأيت علياً في كمال جماله فشاهدت منه الروض ثاني مزنه
ولما تبدى لي طراز عذاره رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وللسيد عطاء الله:

رأيت بخده الوردي خالاً فتيت المسك منه قد بدا لي
غزال الإنس ما في ذاك بدع فإن المسك بعض دم الغزال

وكتب إلى السيد باكير بن النقيب، ملغزاً في اسم أحمد:

يا ابن من أكسب الفضائل في شهـ بائنا والعلا سناء وسعدا

Marfat.com

ما اسم شيء حروفه عدد الأيا ... م إن رمته حساباً وعدا
وهو اسم نفى المهيمن عنه ... في الكتاب العزيز أن يفدى
صدره حاجب لمن كنت من خد ... يه قبل الصدود أقطف وردا
ويليه شمس فميقات من في ... حالكات الظلام آنس رشدا
وله أول الهدى كل وقتٍ ... أخرٌ إن يكن بلفظك فردا
ومن دونه إذا صحفوه ... يستميل النفوس أنى تبدى
وأقلب النصف منه تنظره عن ... كل همامٍ يروي علاءً ومجداً
فأجب عنه وابق في ظل عيش ... كل مدح إلى جنابك يهدى

١٢٢- السيد محمد التقوي

التقوي نسبه علوي، وهو طبيب طبه نبوي.

وله فكرة في تدبير الأشيا، تكاد ترد ضوء الشمس للأفيا.

فحكمته إشراقية مفيضة، وبصيرته شفافة مستريضة.

فلو عالج البروق لأزال خفقانها، أو الشمس عند الغروب لأذهب برقانها.

أو البدر لما وجد المحاق إليه سبيلاً، أو النهار لكان له على خلاصه من الليل قبيلاً.

فتفرسه أوضح من النجوم لبطليموس، ورأيه إلى رأي جالينوس كالعاج عند الآبنوس.

فما سرى ذهنه في استدفاع مرضٍ يقتضيه، إلا وكانت الصحة ممتثلة ما يأمر به وطوع ما يرتضيه.

فكأن فكرته تمازج من العليل جسماً وروحاً، فيظن من توفيقه الذي أوتيه أنه وحيٌ إليه يوحى.

وله من الكلام الذي تخالط أجزاء القلوب رقته، وتغمض عن أوهام الأفكار دقته.

ما لو خوطب به الأخرس تكلم، أو علم به الطير فنون العبارات لتعلم.

١٢٢- السيد محمد الشهير بالتقوي الحلبي الفاضل، الأديب الحكيم البارع. أخذ عنه السيد عبد الله الحجازي جملة من فنونه، وقال: كان أسلوب الحكيم ومشروب النديم، ولهذا كثر القول في اعتقاده حتى صرح كثير بإلحاده.
وتوفي في سنة إحدى وستين وألف بإسحقلي قريب من قونيه وهو راجع من قسطنطينية. ا.هـ. خلاصة الأثر (٤/ ٣٠٤).

Marfat.com

وقد أوردت له ما يتخذه لمرض الدهر علاجا، ويستضيء به فجر المعارف تعرضاً وانبلاجاً.

فمنه قوله:

سرت والليل محلول الوشاح ... ونسر الجو مبلول الجناح
وعقد الزهر منتظم الدراري ... كثغر البيض يبسم عن أقاح
وزاهي الروض أسفر عن زهور ... بها ظمأ إلى ماء الصباح
كأن كواكب الظلماء روم ... على دهم تهب إلى الكفاح
إذا انعكست أشعتها تردت ... على صفحات غدران البطاح
تحاول ستر مسراها بوهن ... وقد أرجت برياها النواحي
فواعجباً أتخفى وهو بدر ... وشمس في الحضائر والضواحي
أما علمت عبير المسك منها ... ينم بها إلى واش ولاح
مهفهفة يغار البدر منها ... ويخجل قدها هيف الرماح
تمازج حبها بدمي وروحي ... مزاج الراح بالماء القراح
فأصبح في الملا طبعي وخلقي ... دماً في الطبع عنه بلا براح
كأن الله لم يخلق فؤادي ... لغير الوجد بالخود الرداح
أحن إلى هواها وهو حتفي ... كما حن السقيم إلى الصلاح
وأصبو والصبابة برحتني ... وأنحلت الجوارح بالبراح
فلولا الطير يمسك من خيالي ... لطار من النحول مع الرياح
أبث لطرفها شكوى غرامي ... وهل يشكو الجريح إلى السلاح
وأطمع أن يزايلني هواها ... وهل حذر من المقدور ماح
فلا تأو لكسرة ناظريها ... فكم أودت بالباب صحاح
أفق يا قلب ليس الحب سهلاً ... فكم جد تولد من مزاح
رويدك كم تبيت تئن وجداً ... كما أن الطعين من الجراح
وقائلة أرى نجماً تبدى ... بليل عوارض كالصبح ضاح
أبعد الشيب تمزح بالتصابي ... وتمرح في برود الافتضاح

Marfat.com

فما ماضي الشبيبة مسترد ولا الخسران يسمح بالرباح
فدع حب الغواني فهو غي وتفنيد يحيد عن الفلاح

وله من قصيدة يمتدح بها الوزير نصوح، ومستهلها:

حياك سرحة دارة الآرام وحباك ديمة مزنة وغمام

إلى أن قال فيها:

ذاك النصوح أبو الوزارة من رقى فلك العلا وعلا على بهرام

ومنها:

تجري الأمور بوفق ما يختاره ويطيعه العاصي بكل مرام
فكأنما الأقدار طوع يمينه بعد المهيمن في قضا الأحكام
قطب تدور عليه دولة أحمد ملك الدنا بالحل والإبرام
هابته أنفاس النفوس بأسرها في الناس بعد العالم العلام
ولبأس شدته الأسود تشردت وتسترت في الغاب والآجام

منها:

يلقاك بالبشر الذي من نشره ريح المنى يسري بطيب مشام
بخلائق تكسو الرياض خلائقاً فتضيع ريا مندل وخزام
ويريك من رضوان عدل جنة فيها لحرب البغي أي ضرام

منها:

يا أيها الطود العظيم وصاحب الطـ ـول الجسيم وجوشن الإسلام
ألبست من حلل الصدارة خلعة قنع الألى منها بطيف منام
ما دار في فلك المدير مداره إلا لخيلك ود دور حزام
ما أوكبت زهر الدجى بكواكب إلا لنصرك في ألد خصام

إلى أن قال في آخرها:

كتبت مدائحك الليالي أسطراً تبقى بقيت على مدى الأيام

وله:

قد جدد الشوقَ الجديد خيالُكم بجوارحي وضمائري وسرائري

Marfat.com

فإذا نظرت إلى الوجود رأيتكم ... في كل موجود عيان الخاطر

وله:

قد قسم الحب جسمي في محبتكم ... حتى تجزى بحيث الجسم ينقسم
وما تصورت موجوداً ومنعدماً ... إلا خيالكم الموجود والعدم
ما إن نثرت دموع القطر من حرق ... إلا تحققتكم في القطر ما زعموا

١٢٣- السيد أسعد بن البَتْرُونيّ

رَيحانة جاذَبتْها أيدي الصَّبا، فلم تزل غضَّةَ المِهَزِّ من عهد الصِّبا.

وحضرة عليها للجِنان صُور، تشِفّ عن كُحل في عيون الغِيد وحَوَر.

صافي الطبع كالزجاج في نَقائه، منتظم العِشْرة كالسِّلك إذا انْتُقِيَ جوهرُه وجِيد في انْتقائه.

وهو في الأدب جامعُ نوادر وشوارِد، يَزِينها بجمال المُشترِي وظَرْف عُطارِد.

تعوَّدتْ غَضْب العقولِ نِكاتُه البديعة، كأنَّ لها عند كل قلبٍ من قلوب الرجال وَدِيعَة.

وكنت وأنا بالروم نِعمتُ بدُنوِّه، ونسَمتْ عليَّ نسماتُ مَودَّته وحُنوِّه.

في عهد أشْهَى للجَفْن من لذَّةِ هجوعِه، وألذّ من بِشارةِ الشيخ بعَوْدِه لصِباه ورجُوعِه.

وهو مع أنه جاوز العشرةَ التي تسمّيها العرب دَقَّاقةَ الرِّقاب، كثيرُ التلفُّت لجمع شملِ اللهو والارْتقاب.

إلى أن اعْترضَه آخرَ أمرِه مرض، دام إلى أن انْطوى عمرهُ وانْقرض.

وأحسَب أنَّ الله أراد به تكْفير سيِّئاته، وتمْحيصَه من فَرَطاتٍ سلبتْ كثيراً من حسناتِه.

وقد أوردتُ من شعره ما أخْدقتْ به المحاسن إخْداقاً، ونبَّه لزهَرات الروض أعيُناً وأخْداقاً.

١٢٣- السيد أسعد بن عبد الرحمن، البترونيّ الحلبي، الأديب، البارع، قرأ وداب بموطنه ثم خرج في صباه إلى الروم فسلك طريق القضاء، ودخل دمشق، ومصر وحظي في دنياه كثيراً، وسَمَتْ همته حتى ولي إفتاء الحنفية بحلب عن مفتيها العلامة محمد بن حسن الكواكبي مدة يسيرة، وبعد ذلك ترقى في مناصب القضاء بالقصبات حتى ولي أرقاها ومات وهو معزول عن أزنكميد حيث ابتلي في آخر أمره بمرض المراقيا وعالجه مدة وكان بسببه كثير المراجعة للأطباء، وكتب الطب حتى صار له في الطب مهارة كلية ثم بعد مدة قوي عليه المرض فكان سبب هلاكه، وتوفي بقسطنطينية ودفن بها وكانت وفاته في سنة ثلاث وتسعين وألف. ا.هـ. خلاصة الأثر (١/ ٣٩٩).

Marfat.com

فمنه قوله، من قصيدة كتبها إلى السيد موسى الرّامَحَمْدانيّ:

قد حلّ أمرٌ عَجَبُ ... شَيْبٌ بفَوْدِي يلعبُ[1]
نجومُه لا تغرُبُ ... فأينَ أينَ المهربُ
أرجو بقاءً معه ... ما أنا إلاّ أشْعَبُ
هذا الشبابُ قد مضى ... وبان منّي الأطْيَبُ
هل عيشةٌ تضفو لمن ... قد غاب عنه المُطرِبُ
دهرٌ أرانا عَجَباً ... وكلُّ يومٍ رجبُ
أندُبُ أياماً مضتْ ... فيها صَفا لي المشربُ
في حلَبٍ بسادةٍ ... قد خدَمتْهم رُتَبُ
من كلّ سمحٍ ماجدٍ ... تخجَل منه السُّحبُ
أفناهُم الموتُ الذي ... لكلّ بِكْرٍ يخطُبُ
وما بها مِن بعدهمْ ... مَن للمعالي يُنسَبُ
سوى جَهولٍ سِفْلةٍ ... عن كلّ فَضْلٍ يُحجَبُ
وهْو إذا أمَّلْتَه ... كلهبّ عَقُور كَلِبُ
أستغفرُ الله بها ... أسعتاذُنا المهذَّبُ
مُوسى الذي لفضلهِ ... مُدّ رُواقٌ مُذْهَبُ
حَلّال كلّ مُشكِلٍ ... وحاتمٌ إذ يهَبُ
وإن جرَى في حكمٍ ... تخالُ فينا يخطبُ
وقد حَوى مَعالياً ... تنحطُّ عنها الشُّهبُ
مِن سادةٍ أحسابُهم ... تنطِق عنها الكتُبُ
مولايَ أشكُو غربةً ... طالتْ وعزَّ المطلبُ
وتحت أذْيالِ الدجى ... حامِلةٌ لا تُنْجِبُ
إلاّ بأولاد الزّنى ... هذا لَعَمْري العجبُ
إليْكَها خَرِيدةً ... منالُها يُستصعَبُ
جآذرُ الرومِ لها ... تسجدُ أو تنسّبُ[2]

---

(١) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. القاموس. مادة (فود).
(٢) الجآذر: مفردها الجُؤذُر: ولد البقرة الوحشية. القاموس. مادة (جذر).

Marfat.com

وَاسْـــلَـــمْ وَدُم فـــي رفـــعـــةٍ لـلـسَّـعـد فـيـهـا كـوكـبُ
مـــا حـــرَّكـــتْ مُـــتـــيَّـــمـــاً وَرْقـــاءُ حـــيـــن تـــنـــدُبُ

فراجعه بقوله:

مـــا الـــكـــونُ إلا عـــجَـــبُ فـمـنـه لا يُـسـتـعـجَـبُ
أعـــمـــارُنـــا تُـــنـــتَـــهـــبُ يـومـاً فـيـومـاً تـذهـبُ
ونـــحـــن نـــلـــهُـــو أبـــداً فـي غَـفْـلَـةٍ ونـلـعـبُ
أوّاهُ مـــن يـــومٍ يـــجِـــي ءُ شـمـسُـه لا تـغـرُبُ
صـائـلـةٌ فـيـه الـمَـنَـا يـا صـولـةً لا تـغـلَـبُ
تـخـطـو عـلـى أزواجِـنـا فـأيـن أيـن الـمـهـربُ
تَـبّـاً لـدُنـيـانـا الـتـي لـم يـضـفُ فـيـهـا الـمـشـربُ
كـم سـيِّـدٍ غـرَّتْ بـه وَاراه لـحـدٌ أخـدبُ
لـلـدُودِ فـيـه مَـرتَـعٌ ولـلَـهـوامٌ مـلـعـبُ
والـويـلُ يـومَ الـعَـرْضِ إن لـم يـنـجُ مـنـه الـمـذنـبُ
ومـن لَـظَـى نـارٍ بـهـا أجـسـادُنـا تـلـتـهـبُ
لا عـمـلٌ يُـزجَـى ولا غـوثٌ إلـيـه يـنـسَـبُ
إلا الـكـريـمُ ربُّـنـا ومـن بـه نـحـتـسـبُ
ثـم الـشـفـيـعُ مَـن إلـى جَـنـابِـه نـنـتـسـبُ
مـحـمـدٌ خـيـرُ الـورَى مـقـصِـدُنـا والـمـطـلـبُ
الـحـكْـمُ لله فَـلاَ يـكـون مـا لا يـكـتُـبُ
والـخـيـرُ فـيـمـا اخـتـارَه حَـتْـماً عـلـيـنـا يـجـبُ
نـسـأَلُـه يَـبْـقَـى لـنـا سـيـدُنـا الـمـهـذَّبُ
أسـعـدُ مـن سـاد الـورَى بـه وسـادَ الـعـربُ
جـوهـرةُ الـعِـقْـد الـذي جـوهـرُه الـمـنـتـخَـبُ
نـجـلُ الأُلـى تـجـمّـلـت بـهـم قـديـمـاً حـلـبُ
حِـلْـمـاً وعِـلـمـاً وتُـقـىً وحـسـبٌ ونـسـبُ

Marfat.com

يـخـجـل مـن أخـلاقِـه زَهـرٌ سـقـتْـه الـسُّـحـبُ
ومـن جـمـيـلِ صُـنْـعِـه لـه الـمـعـالـي تـخـطُـبُ
طَـلْـقُ الـمُـحـيَّـا فـكـلُّـه مُـبـجَّـل مُـحـبَّـبُ
ولُـطْـفُ أنـفـاس الـصَّـبـا إلـى عُـلاه يُـنـسـبُ
ومـن إلـى الـمـجـدِ يُـجـا رِيـه فـلا يُـصـوَّبُ
زِيـد بَـنـانـاً كـفُّـه إذْ ضـاق عـمَّـا يـهَـبُ
فـسَـيْـبُ صَـوْبِ جُـودهِ يـخـجـل مـنـه الـصَّـيِّـبُ
لـم يـخـلُ خِـلٌّ غـيـرُه مُـودَّدٌ مـحـبَّـبُ

قلت: لم أرَ من وصف الإصبع الزائدة هذا الوصف البديع، وبعضهم جعلها علامة الحرص، حيث قال:

انـظُـر إلـيـه لـشـدَّةِ الـحـرصِ زِيـد بَـنـانـاً فـزاد فـي الـنَّـقْـصِ

ومن هنا تعلم سرَّ قولهم:

كـم مـن زيـادةٍ فـيـهـا نُـقْـصـان فـائـدهْ كـالـيـد تـنـقُـصـهـا الإصـبـعُ الـزَّائـدهْ

وكان الأستاذ أبو بكر الطَّبَرِيّ، يقول: الزيادةُ تُؤَدِّي إلى النقصان، والمثلُ فيها جارٍ على كل لسان.

ولذلك قيل: صَبْوة العفيف، وسَطْوة الحليم، وضربة الجبان، وجواب السِّكِّيت، ونادرة المجنون، وشجاعة الخَصِيّ، وظَرْف الأعرابيّ.

ومن شعر السيد أسعد، قوله في الشيب:

أبَـعْـد الأربـعـيـن خِـضـابُ شَـيْـبٍ أرُوم بـه مُـواصـلـةَ الـغـوانِـي
وأرجـو أن أكـونَ بـه فَـتِـيًّـا فـهـذا مـن أكـاذيـب الأمـانِـي
فَـوا أسـفِـي عـلـى زمـنٍ تـقـضَّـى سَـمـاعِـي فـيـه قَـهْـقـهـةُ الـقَـنـانِـي

١٢٤- السيد حسين النّبْهانيّ

أديب بشَرْطِه، المُوجب لخموله وحطِّه.

فما نقَص من حظِّه، زِيد في خطِّه.

سَرُوجيُّ المَذْهَب، ذاهبٌ في التلوُّن كلَّ مَذْهب.

Marfat.com

لا يهبط بلداً إلا أبْدَى أُعجوبَة محجوبة، وبنى دَسْتَه على حِيلةٍ منصوبة، وجِدَّة مغصوبة.

ثم يفارقُه مُفارقةَ لُبَد، ويقول: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١].

وقد رأيتُه بالرُّوم وجهُه أغْبَر، وهمُّه من وعائِه أكبر.

يظهر كلَّ يوم في نَمَط، وحيثما سقَط لقَط.

وعاشَر ممن أعرف فرقةً رُفْقة، أدّاه خَلَل حالِه معهم إلى فُرقة وحُرْقة.

وتلاعبتْ به الظُّنون في ذلك الفريق، تلاعُب مَوْج البحر المُهتاج بالغرِيق.

وبقيَ أنْقَى من الرَّاحة، شاكياً بلسان كَمَدِه مَغْداه ومَراحَه.

وفارقْتُه وهو مُنغمِر في تلك الأوْحال، وتبْريحُه ما برِح وحالُه ما حَال.

ثم بلغني أنه انْتعَش، فكانت نَعْشتُه النعشةَ الأخيرة، وأدركه أجلُه الذي نفَى الحكيمُ تقْديمَه وتأخيرَه.

وهو بارع في النِّظام والنِّثار، إلا أنه يُرْمَى في شعرِه بالإكْثار.

ولكوْن الكثير مَمْلول الطِّباع، لم أذكُر منه إلاّ نَزْراً سهل الانْطباع.

فمنه قوله، من قصيدة في المدح:

العلمُ والحلمُ والمعروفُ والجودُ ... وكلُّ وصفِ حميدٍ فيك موجودُ

حويْتَ ذلك إرْثاً عن أبٍ فأبٍ ... كأنكمْ في رياض المجد عنقودُ

يامَن بِسُؤْددِه أعداؤه شهدت ... وكيف لا و هو مشهورٌ ومشهودُ

ففي العَطا تُغرِق الدنيا بأجمعها ... وفي السَّطا تتوقَّاك الصَّنادِيدُ

حاشَاك تحرِم عبداً مات من ظَمإٍ ... ومَنْهلُ الجودِ من كفَّيْك مورودُ

لا سيِّمَا أن لي حقَّ الجوارِ ولي ... في كلِّ آنٍ بمَدْحي فيك تغْريدُ

وما تقادَم عهدِي في الدُّعا لكمُ ... إلاّ ويعقبُه في الحال تجْزِيدُ

ولم يجاوِز كريماً قطُّ ذُو أملٍ ... إلاّ غدا وهْو من نعْماه محسودُ

لكنَّ حالِيَ لم يعلمْ بها أحدٌ ... إذ لا يحيطُ بها رسْمٌ وتخْديدُ

وأنشدني نادرة الوقت المولى عارف للنَّبْهانِيّ، يمدحه:

أنا في التَّباعُدِ والدُّنُوّ ... أرجو لمولانا العُلُوّ

أبداً تراني رافعاً ... كفِّي إلى ربٍّ عفُوّ

أدعوه في سرٍّ وجَهْـ ... ـرٍ أن يُدِيمك في السُّمُوّ

فيما يُسَرُّ به الصدي ... قُ وما يُساء به العدُوّ

Marfat.com

يـا عـارفـاً هـو لـلـمـعـا رفِ بـالـعـشِـيِّ وبـالـغُـدُوّ
بـل لـلـفـضـائـلِ والـفَـوا ضـلِ والـفُـتـوّة والـمُـرُوّ
مَـن دَأْبُـه بَـثُّ الـمـكـا رِمِ والـحـفـيـظـة والـحُـنُـوّ
مَـن سـيـفُـه ثُـكْـلُ الـعِـدا ةِ وسَـيـبُـه حُـورٌ وحُـوّ
وبـذكْـرِه طـاب الـمـدِيـ ـحُ أمـا تـراهُ فـي زُهُـوّ
مـولايَ يـامَـن فـضـلُـه مـا إن رأيـتُ لـه كُـفُـوّ
هـذِي الـعـجـالـة قـد أتـ ـتك تـعـوذ مـن طـرف الـسـلـو
وتـمـيـس فـي حُـلَـل الـفـصـا حـةِ بـالـمـلاحـةِ والـدُّنُـوّ
نـطـقـت بـمـا يـخـوي الـحـشَـا لا بـالـتـقـوُّل والـغُـلُـوّ
وهـيَ الـتـي لـو رامَـهـا قُـسٌّ رمَـنْـه بـالـثُّـبُـوّ
اسـلَـمْ ودُمْ تـسـمُـو عـلـى شُـمِّ الـذُّرى أسْـمَـى الـسُّـمُـوّ

١٢٥- القاضي ناصر الدين الحلْفاوِيّ

حليفُ أدب وأرَب، وأليف جذَل وطرَب.

ورَوْنَق روض ناضر، وتُحفةُ جواب حاضر.

وقد طالت في الفضل باعهُ، وأُشربتْ حُبّ الأدب طباعهُ.

فذهب في مَجاله عَرْضاً وطولا، وأصبح فيه وهو صاحب يد طُولَى.

تَرِدُ أربابهُ عليه، ويرجعون في دَعاويهم إليه.

فتُعرب براعتُه عن فصل خِطاب، وتُسفر حُكومته عن ثَناءٍ مُستطاب.

وهو خالصّ من الشَّوْب، طاهرُ العِرض والثوب.

نقيُّ الشَّيبة، ممتزج المُباسطة بالهَيْبة.

تُوُفِّيَ عن سنٍ عالية، وحالتُه بالرفاهية حالية.

وقد أثبتُّ من شعره ما سهُل مَساقُه، وأُحكِم في الصنعة اتِّساقُه.

فمنه قوله من سلسلة، أولها:

يا معتدلَ القَدِّ هل لوعْدك إنْجازْ أو طيفُ خيال يُلِمُّ نحويَ إنْ جازْ
ترنُو بلحاظٍ لهنَّ فعلُ مَواضٍ في القلبِ وتسطُو من القَوام بهزّازْ
فالشوقُ غريمي والفكرُ فيه نَديمِي والدمعُ حَمِيمِي وفي اضطباريَ إغوازْ

Marfat.com

لم تخكِ مُحيّاه فاحْتجبْ بغَمامِ ... يا بدرُ فحِبّي مدى الملاحةِ قد حازْ
يا عاذلاً هلاّ تركْتني وغرامِي ... ماكنتُ لأُصغي إلى نصيحةِ هَمّازْ
يا من ملَك الحسنَ في الأنامِ جميعاً ... ما أسعد صَبّاً بطيبِ وصلِك لو فازْ
قلبي بك لاَهٍ وعقْد صَبْرِيَ وَاهٍ ... إذْ وجهك زاهٍ وطرفُ لحظِك غمّازْ
نظمتُ جُمانَ البديع فيك عقوداً ... يا حُسْنَ نِظامٍ أتى بأبدع إبْرازْ
قسمتُ وجودِي لمّا جمعتَ صدوداً ... والبَيْنَ فهل حلّ ماصنعتُ وجازْ

وقوله مُحاجياً:

يا كاملَ الفضْلِ في المعاني ... وللأحاجِي غدا يُعانِي
امْنُنْ بردِّ الجواب فضْلاً ... ما مثلُ قولي ألمَى جَفانِي

١٢٦- محمد بن تاج الدين الكُورَانِيّ

أديب لبيب، مليح التَّشبيه والتشْبِيب.
لحق من الأدب ما لم يُلْحَق، وانْفرد بأشياء كأنها لم تُخلَق.
وله المجد الطامح، إلى ما فوق الأعْزل والرَّامح.
على انْتهاضٍ بين أكْفائه، وشهرةٍ في تنبُّهه وإغْفائه.
إلا أن عمرَ سرورِه قصير، والدهرُ بتفْريق المجتمِع بصير.
وقد أثبتُّ له ما يقْطُر من ماء الظَّرْف، وتتمتَّع به الرُّوح قبل الطَّرف.
فمن ذلك قوله في الغزل:

طرقْتُ ديارَ الحيّ والليلُ حالكٌ ... طُروقَ فتىً لا يختشِي الدهرَ من ضُرّ
وخُضتُ بحارَ الموت والموتُ حائمٌ ... كحَوْمة نَسْرِ الأُفق فيها على وَكْرِ
ودُستُ بِساطَ الأُجمِ عمداً وأسْدُها ... توقّد منها الأعْيُن الحُمْر كالجمرِ
إلى أن أتيتُ الحيَّ نحو خِباءِ مَن ... أراشتْ فؤادِي من لواحظِها الفُتْرِ
فلم ألقَ إلا صَعْدةً سَمْهريّةٍ ... عليها مُحيّا منه يبدو سَنا البدرِ
عَرضتُ لها عُذْرِي وأظهرتُ ما حَوى ... جوَى مُهجتِي من مُحكماتِ هوى العُذْرِي
فرقّتْ وراقتْ وانْثَنَتْ وتعطّفتْ ... وحَيّتْ فأخيتْ مَيْت الشوقِ والصبرِ
وجادتْ بجِيدٍ للتّداني وأزْشفتْ ... رُضاباً رَحِيقياً ينُوب عن الخمْرِ
وبِتْنا وقلبُ البرقِ يخْفِق غَيْرَةً ... علينا وعينُ النجمِ تنظرُ عن شذْرِ

Marfat.com

البيت الأخير مضمّن من رائيّة ابن خفاجة، وقبله:

ودون طُروقِ الحيِّ خَوْضةُ فَتكْةٍ مُوَرَّسَةِ السِّربالِ دامية الظُّفْرِ
تطلَّع من فَرْعٍ من النَّقْعِ أسودٍ وتُسْفِر عن خدٍّ من السيفِ مُحْمَرّ
فسِرْتُ وقلبُ البرقِ يخفِق غَيْرةً هناك وعينُ النجم تنْظر عن شَذْرِ

وله في مُعذِّر اصطَبح الوردَ واغتبقَ بوجْنتيْهِ، وقلم الرَّيْحان مَشْقٌ[1] فوق عارِضَيْه:

بدَا بذراً بآياتِ الكمالِ مليحٌ قد تفرَّد بالجمالِ
تخيَّل ناظرِي في وجْنتيْهِ مِثالاً كالعِذَارِ بلا مِثالِ
فقلتُ له وعِقْدُ الصبرِ منِّي لدَهْشة ناظِرِيَّ في انْحلالِ
عقيدةُ مطلبِي هل ذاك نَبْتٌ أَبِنْ لي قال حاشيةُ الخيالِ

قلت: هذه الحاشية، عليها خيال الخَيَالِيّ على «الحاشية».

وأول من عبَّر بهذه العبارة فيما أعلم ابن النَّبِيهِ، في قوله:

كأن ذاك العِذارَ حاشيةٌ خرَّجها كاتبٌ لنِسْيانِهْ

ثم تصرفت فيها الشعراءُ على حسب خيالاتهم، حتى جاء العُسَيْلِيّ المصريّ، فقال:

صحيفةُ الخدِّ التي للحُسْنِ فيها صُوَرُ
مُذ حُشِيتْ بعارضٍ لم يَبْقَ فيها نَظَرُ

ومن هنا انظر قولي، مع قول الكُورَانِيّ، والعُسَيْلِيّ:

في حاشيةِ الكَمالِ من عارِضٍ دَوْرٌ وتسَلْسُل ولي فيه نَظَرْ

وقول الشِّهاب الخَفاجِيّ:

أيا قمراً زانتْ طوالِعُ حُسْنِه حواشِي عِذارٍ يبهَرَ اللُّبَّ والفِكَرْ
فما شَانَه دَوْرٌ به وتسَلْسُلٌ فكم في حواشِيها لذِي فكْرةٍ نَظَرْ

وقد دار الدَّوْر، لقضيَّة التسلْسُل والدَّوْر.

فاسمعْ فيه قول الظَّرِيف:

لِحاظُك أسيافٌ ذكُورٌ فما لَها كما زعمُوا مثلَ الأراملِ تعزِلُ
وما بالُ بُرهانِ العِذَارِ مُسَلَّما ويلْزمُه دَوْرٌ وفيه تسَلْسُلُ

وأعْجَب منه قولي:

---

(١) مشق: مَشَقَ الوتر جذبه ليحْتَدَّ فهو مُمَشَّقٌ أي محتَدٌّ. اللسان. مادة (مشق).

Marfat.com

نـظَـرِي لـصُـدْغـك بُـغْـيَـتِـي فـعـلامَ تـمـنـعـنِـي الـنَّـظَـرْ
والـمـنـعُ غـيـرُ مَـوَجَّـهٍ فـيـه الـمَـقـالُ قـد اشْـتَـهَـرْ
والـدَّوْرُ إن صـحِـب الـتَّـسَـلْـ سُـلَ لـيـس يـخـلُـو مـن نَـظَـرْ

فكُن في هذا ممَّن لا يَرضى بالحواشي والأطْراف، ويقنَع من الَّلآلئ بمعرفة ما في الأصْداف.

وللكُورَانِيّ:

بـدرٌ أدار عـلـى الـنـجـومِ بـرَاحـةٍ شـمـساً فَنارتْ في كؤوسِ رحيقِهِ
شـمـسٌ إذا طَـلـعـتْ كـأن وَمِـيـضَـهـا بَـرْقٌ تـلالاَ عـنـد لَـمْـعِ بـريـقِـهِ
يـسْـقِـي وإن عـزَّتْ عـلـيـه ورامَ أن يـشْـفِـي لـداءِ مُـحـبِّـه وحـريـقِـهِ
فـيُـديـرُهـا مـن مُـقْـلـتـيْـه وتـارةً مـن وَجْـنـتـيْـه وتـارةً مـن رِيـقِـهِ

ومن مقطَّعاته قوله:

مَـلِـيـكُ جـمـالٍ أنـبـت الـعـزُّ خـدَّه نـبـاتـاً لـه كـلُّ الـمـحـاسـنِ تُـنـسَـبُ
فـكـرَّرتُ لَـثْـمَ الـخـدِّ مـنـه لـطِـيـبِـهِ وكـل مـكـانٍ يُـنـبـتُ الـعِـزَّ طـيِّـبُ

وقوله، مضمِّناً:

ومُـعـذَّرٍ لَـذِنِ الـقَـوامِ ووجـهُـه قـمـرٌ تـقـمَّـصَ بـالـعِـذارِ الأخْـضَـرِ
فُـتِـقَ الـعِـذارُ بـخـدِّه فـكـأنـمـا فُـتِـقـتْ لـكـم ريـحُ الـجِـلادِ بـعَـنْـبَـرِ

وقوله:

عـجـبـتُ لِـمَـا أبْـداه وجـهُ مُـعـذِّبـي من الحسنِ كالسحرِ الحلال وأسْحَرُ
بـوجْـنـتـهِ يـاقـوتُ نـارٍ تـوقَّـدتْ عـلـيـهـا عِـذارٌ كـالـزُّمُـرُّدِ أخـضـرُ

وقوله:

ومُـعـذَّر فَـتَـك الأنـامَ بـحُـسْـنِـه وسطَا بـمُـرْهَـفِ لَـحْـظِـه الـمُـتـنـعـسِ
جـعـل الـعِـذارَ لـشـامِـه مُـتـنـكِّـراً كـيْـلا يُـحـاط بـه لـقـتْـل الأنـفُـس[1]

وقوله:

لـمَّـا تـأمَّـل بـدرُ الـتَّـمْ عـارضَـه وقـد بـدا فـي مُـحـيَّـا نـورِه سَـطَـعـا
بـدَا بـه غَـيْـرةً خَـسْـفٌ وشـبَّـهـه كـأنـه فـي مُـحـيَّـاه قـد انْـطـبَـعـا

(١) العذار: وفي «التهذيب»: وعذار اللجام ما دفع على خدّي الدابة. اللسان مادة (عذر).

Marfat.com

وقوله:

ومُهَفْهَفٍ كمُلتْ محاسنُ وجهِه ... من فوق غصنِ قَوامِه المُتمايلِ
وبدا طِرازُ عِذارِه فكأنّه ... بَذْءُ الخسُوفِ ببَدْرِ تِمٍّ كاملِ

١٢٧- ولده أبو السعود

هو في الميلاد سَليلُه، وفي البراعة مُقدَّمه ودليلُه.

طلع طُلوعَ الزَّهرة من الكِمامة، فتَهادتْه أبناءُ عصرِه تهادِيَ الشَّمّامة.

يُنشَد الأدب من خِصالِه، كما يُنشَد الأُنس من وِصاله.

وله شعر أوْقعُ في النفسِ من رَجْعة الشباب، وأسْوَغُ من سُلافةِ الكأس طفَا عليها الحَباب.

أثبتُّ منه ما يقَع موقعَ الماءِ من ذِي الغُلَّة، ويُفرِح فَرَح الشفاءِ لصاحب العِلَّة.

فمنه قوله، من قصيدة:

أجَلْ إنها الآرامُ شِيمتُها الغدْرُ ... فلا هجرُها ذَنْبٌ ولا وَصْلُها عُذْرُ
ففُزْ سالماً من فَرْطةِ الحبِّ واتَّعِظْ ... بحالِي فإن الحبَّ أيسرُه عسرُ
وقد هاجَنِي في الأيْكِ صَدْحُ مُغرِّدٍ ... به حلّتِ الأشجانُ وارْتحل الصبرُ
يُذكّرني تلكَ الليالي التي مضتْ ... بلَذّةِ عيْش لم يشُبْ حُلْوَهُ مُرُّ
سُقِيتِ ليالِي الوصلِ مُزْنَ غَمامةٍ ... فقد كان عيشِي في ذَراكِ هو العمرُ
فكم قد نعِمْنا فيكِ مَعْ كلِّ أغْيَدٍ ... رقيقِ الحواشِي دون مَبْسمِه الزَّهْرُ
لقد خَطَّ ياقوتُ الجمالِ بخدِّه ... جداولَ من مِسْكٍ صحيفتُها الدُّرُّ

منها:

وروضٍ به جَرَّ الغَمامُ ذُيولَه ... فخرَّ له وَجْداً على رأسِه النهرُ
وقد أرْقدَ الأغصانَ تغْريدُ وُرْقِه ... وأضْحك ثغرَ الزَّهرِ لمَّا بكى القَطْرُ
وضاع به نَشْرُ الخُزَامَى فعطَّرتْ ... نسيمَ الصَّبا منه ويا حبَّذا العِطْرُ
بدائعُ من حُسْن الربيعِ كأنّها ... إذا ما بدتْ أوصافُ سيِّدنا الغُرُّ

١٢٧- أبو السعود بن محمد الحلبي المعروف بالكوراني الأديب الشاعر، الفائق، كان لطيف الطبع جيد الفكرة، وله محاضرة رائقة ومفاكهة فائقة مع حداثة سنه وطراوة عوده وشعره عليه طلاوة وفيه عذوبة.
وكانت وفاته في سنة ست وخمسين وألف بحلب. ا.هـ. خلاصة الأثر (١/ ١٢٣).

Marfat.com

ويُستحسَن له قوله:

كأنما الوجهُ والخالُ الكريمُ به ... مع العِذارِ الذي اسْوَدَّتْ غَدائرُهُ
بيتُ العتيقِ الذي في رُكْنِه حَجَرٌ ... قد أُسْبِلتْ من أعالِيه ستائرُهُ

أخذه من قول سيف الدين المُشِدّ:

يا مَن عِذارُه وأصْداغُه ... حدائقٌ هِمْتُ بأزهارِهَا
لو لم يكنْ خَدُّك لي كعبةً ... لَما تعلّقتُ بأستارِهَا

إلا أنه زاد فيه تشْبيه الخال بالحجَر.

ولقد أجاد يوسف بن عِمْران، في قوله يصف أرمد:

حين خُبِّرتُ أن في الطَّرْفِ منه ... رمَداً زاد في ذُبولِ المَحاجِرْ
جئتُ كيْما أزورَ مِن وَجْه بَدْرِي ... كعبةَ الحسنِ تحت سُود السَّتائرْ

١٢٨- محمد بن أحمد الشَّيْبانيّ

ذو الرأي الأصيل، وواحدُ النَّجابة والتَّحصيل.

مَساعِيه مُنيفة شَرِيفة، وخلائقه كأنها روضةٌ وَرِيفَة.

تَرِفُ النَّضْرة فيه من كِمامِه، ويكْرَع الظَّمْآن من آدابِه في غَمامِه.

وأرَى رقيق المدحِ يخدم نَعْتَهُ ... فَلذاك أضْحَى كلُّ نَعْتٍ تَابِعَا

وقد أثبتُّ له ما اتَّخذ النجومَ الزُّهْرَ من فَرِيقه، وجاء مُمتزِجاً بمُدامِ السَّاقي ورِيقِه.

فمنه قوله، من قصيدة أولها:

حتَّام لَيْلِي بالتَّجنِّي ألْيَلُ ... وإلى متى إذبارُ صُبحي مُقبِلُ
مالي أرى هذِي النجومَ تحيَّرت ... أأَضَلَّتِ التَّنْيارَ أم لا تعقِلُ
أم أنكر الفلك الأصيل فأُقْعِدتْ ... عن سيْرِها أم بالبُروق تسَلْسَلُ
يا قِبْلتي في حاجبَيْك نواظري ... آياتُ نُورٍ للصلاةِ تُرَتَّلُ
ما كان أحْسَن لو عطفْتِ ولم أقُلْ ... ما كان أقْبَح هَجْرُ مَن هو أجْمَلُ
قلبي الكِمامُ وأنتِ فيه الزَّهْرُ هل ... يُرضِيك بيتُك بالتجنِّي يُشْعَلُ

من مديحها:

فالدهرُ إن رقَم الأُلى في صفحةِ الـ ... أيامِ فهْو لها حسابٌ مُجْمَلُ

Marfat.com

يا خيرَ من فاق الأُلى في عصرِه ... أنتَ الأخيرُ وفي الفضائل أوّلُ
بك إن يهنّى العبدُ فهْو حقيقةٌ ... ولك الهناءُ به مجازٌ مُرسَلُ

وقوله من أخرى مستهلُّها:

أما والهَوَى لو أوْضحَ العُذْرَ كاتمُهْ ... لأقصرَ لاحِيه وأخجَم لائمُهْ
ولو خبَّرُوا ظَبْيَ النقّارِ بحالتي ... لآنس لكنْ مُسْهَر الجَفْنِ نائمُهْ
برُوحِي وأيُّ الرُّوحِ أبقى ليَ الهوَى ... غزالاً حلَتْ لِي في هواه عَلاقِمُهْ[1]
رقيقُ الحَواشِي كادَ من لُطْفِ عِطْفِه ... يُمَنْطِقُه من رِقّة الخَصْرِ خاتمُهْ
تَراءت لمِرآةِ الخدودِ جفونه ... فظَنّ نباتاً فوق خَدّيْه شائِمُهْ
كأن حساب الحسن كان مفرقاً ... فجمعه في طرس خديه راقمه
كما جمّع الأفْضالَ والمجدَ والنّدَى ... إمامُ الهدى مولَى الزمانِ وعالِمُهْ

منها:

فيا نَجْمَ أُفْقِ الفضلِ بل شمسَه التي ... أنار بها من غَيْهبِ الجهلِ قاتمُهْ
تهنَّ بِعيدِ النحرِ يا خيرَ ماجدٍ ... تهنّتْ به أغيادُه ومواسِمُهْ
ودونَك غَرّاءَ القوافِي كأنها ... إذا أُنشِدَتْ رَوْضٌ تغنّتْ حمائمُهْ
بها ما بجسْمِي من هوَى الغِيدِ رِقّةً ... لذلك نمّتْ بالذي أنا كاتِمُهْ
لك الخيرُ هل مُسْتَكثَرٌ شعرُ شاعرٍ ... أُنِيطتْ على نظمِ القريضِ تمائمُهْ
أراني إذا ما قلتُ شعراً تنكّرتْ ... وجُوهٌ وعابَتْهُ عليّ أعاجمُهْ
لئن جهِلوا نثراً فإنّي بَدِيعُه ... أو استحسنوا نَظْما فإنّي كشَاجِمُهْ[2]
فدُمْ وابْقَ واسلَمْ لابْن شيْبانَ مَلْجَأً ... تَشِيد من العلْياء ما الدهرُ هادِمُهْ
فقد مدّتِ العَلْيا عليك ظلالَها ... وحيّتْك من ثغرِ الربيعِ مَباسِمُهْ

١٢٩- حسين بن مُهَنّا

أديب فصيح المقال، مُرْهفُ طبعِه غنيٌّ عن الصِّقال.

اقتطف القولَ جَنِيًّا، وتناول كأسَه سائغا هَنِيًّا.

---

(١) علاقم: مفردها علقم: وهو شجر الحنظل وكل مرّ علقم. اللسان مادة (علقم).
(٢) كشاجم: اسم على وزن علابط. اسم. القاموس. مادة (كشاجم).

Marfat.com

ولد بحلب، وتقلّب في النّعَم أكرمَ مُنقلَب.

وتكرّرت منه إلى دمشقَ الوِفادة، فجلا بها عن صُبح الإفادة والاسْتفادة.

واكتسب تلك الرّقّة التي تحسدها رقّةُ الصّبا، من امْتزاجه بأبْنائها امْتزاج الماءِ الزُّلال بالصّهبا.

فخطبَتْه الحظْوة، وما قصّرت له الخُطوة.

ودرّجتْه الأيام والليالي، إلى أن صار بخطابة سليميّتها المقدّم وخلفه المُصلّي والتّالِي.

ثم أقْلَع إلى مسقط راسِه، ومنبِت غِراسِه.

وبها تلاحق به الحمام، فكان من ترابها البدايةُ وإليه التّمام.

وقد أثبتُّ له ما تُتّخذ سطورُه رَيْحانا، وترجِع ألفاظُه ألْحانا.

فمنه قوله:

أنْسيمةً بالطَّلِّ تنْدَى ... باللهِ إن وافيْتِ نَجْدَا

فتجمّلي للِقا الحبيـ ... ـبِ وشمّري بالجِدِّ بُرْدَا

وتحمّلي في طَيِّه النّـ ... ـشْرَ النّدِيّ عدِمتِ نِدّا

وتعهّدي بَثَّ الهوى ... بل يَمّمي في السّيْرِ وَخْدَا

وإذا وصلتِ إلى الشآ ... مِ وفاح نادي الروضِ نَدّا

أدّي أَلُوكةَ مُغرمٍ ... ما خان للأحبابِ عهدَا[1]

منها:

أوّاه طِيبُ العيش أيْـ ... ـن بظلّكم والصّفْوُ نَدّا

مرّت ليالِيَ فيه مُرْ ... السُّهْدِ قد ذُقْناه شُهْدَا

من يوم فارَق ناظِري ... ذاك الجمالُ عدِمتُ رُشْدَا

وبقِيتُ في قومٍ رأوا ... كلبَ الغَنِيّ يفُوق أُسْدَا

عقلوا وما عقَلُوا فلِي ... عن حبّهم مَنْرَى ومغْدَى

لذَوي المعالي والمعـ ... ـرفِ والكمالِ أجِدُّ جِدّا

فأحُوز منهم ما ينا ... ل به الفتى شرفاً ورُشْدَا

لكنّ أين العَنْدَلِيـ ... ـبُ رقى من الأقْنان مُلْدَا

غنّى له لما سقَى ... في دَوْرةِ الدُّولاب وخْدَا

---

(١) الألوكة: الرسالة. القاموس. مادة (أَلَكَ).

Marfat.com

فـشـدَا عـلـى ورد الـريـا ضِ فـأخـرق الأحـشـاءَ وَقْـدَا
ورأيـتُ ذاتَ الـطَّـوقِ أبْـ ـدث مـثـلـمـا قـد كـان أبْـدَى
أتـرى الـزمـانَ يُـعـيـد لِـي فـي عَـوْدِ مـن أهـواه رِفْـدَا
يـا دهـر خُـذْ رُوحِـي إذا بـشَّـرتَـنـي سَـلَـفـاً ونَـقْـدَا

وقوله:

وحـقِّ لـيـالٍ قـد مـضَـيْـنَ عـفـائـفـاً وحُـزمـةِ أيـامٍ مـضـتْ بـصـفـاءِ
لأنْـتِ بـسَـوْداوَيْـن قـلـبـي ونـاظـرِي وذكـرُك وِزدِي بُـكْـرتـي ومَـسـائِـي
وإنِّي عـلى العـهدِ الـذي كـان بيـننا مُـقِـيـمٌ عـلـى وُدِّي وحُـسْـنِ وَفـائِـي

وقوله مضمّناً:

فُـتِـنْـتُ بـظَـبْـيٍ أهْـيَـفِ الـقَـدِّ فـاتـنٍ بعينٍ لها عن قَوْسِ حاجِبه جَذْبُ
صـبَـوْتُ بـه لـمـا رأيـتُ جـمـالَـه ومن ذا يرى هذا الجمالَ ولا يصْبُو

وقوله:

كـأنـمـا الـخـالُ قُـرْبَ الـثـغـر مِـن رَشَـأٍ مُـعـذَّرٍ راشِـقٍ سـهـمـاً مـن الـمُـقَـلِ
شُـخـرورُ وردٍ أراد الـوِرْدَ ثـم رأى صِـلاًّ يـدور حَـوالَـيْـه فـلـم يـصِـلِ

حام فيه على معنى الحَزْفُوشِيّ في قوله:

كـأنـمـا الـخـالُ فـوق الـثـغـرِ حـيـن بـدَا وقـد غـدَا فِـتْـنـةَ الألـبـاب والـمُـقَـلِ
هَـزارُ أيْـكٍ سـعَـى مـن روضـةٍ أُنُـفٍ لـمَـنْـهَـلٍ راجـيـاً رَيّـاً فـلـم يـصِـلِ

وله مُلغِزاً في شعير:

مـا اسـمُ شـيءٍ مـن الـنَّـبـات إذا مـا زال حـرفٌ مـنـه غـدا حـيَـوانَـا
رُبْـعـه مـعـدِنـاً تـراه وشـمـسـاً وتـرى فـيـه جَـهْـرةً إنـسـانَـا
وبـتـضْـعِـيـف بـعـضِـه فـهْـو نـارٌ وتُـروِّي مـن بـغـضِـه الـظـمـآنَـا

١٣٠- محمد بن عبد الرحمن

دُرّة مغفلَة، وخِزانة مُقفلَة.

ولولا أني ظفِرتُ باسمه عَفوا، ووردتُ من منْهَل أدبه الفيّاض صَفْوا.

لبَقِيَ محجوباً عن العَيان، ونسَجتْ عليه عناكبُ النِّسيان.

Marfat.com

ورأيت فضلَه كَمَنَ في إهابِه، وبراعتَه دثَر رسمُها به.
وهو مطبوعُ الطبع على النظم، إلاَّ أنه إذا نظَم جاء بالمُخِّ والعظم.
ووَلَعُه بأوابِد الكلام، كولعِه بشوارِد نفَثات الأقْلام.
ولا بُدَّ مع الرُّطَب من سُلاّء النَّخْل، ومع العسل من إبر النحل.
فقد أوردت له ما تحمَده عليه، وتترُك لأجل ممدوحه تفْويق سهمِ الانتقاد إليه.
فمنه قوله من كافيَّة:

خَلِّ العوانِسَ ذاتَ الخَبِّ والرَّتَكِ ... تسْرِي بنا بِبُحور الآلِ كالفُلُكِ[1]
تعْلُو الحُزُون فلا فُلَّتْ مَناسِمُها ... ولا يُغِبَّنُّها وِزدٌ بمُشْتركِ
ولا عَداها هَطُولُ المُزْنِ في فَيْفٍ ... ولا أُحِيدتْ من الحوماءِ في شَرَكِ
حتى تجُوبَ الفَيافِي والوِهادَ وتسْـ ... ـتقِلَّ في مَرْبَعٍ بالبِرِّ مُخْتبِكِ
حيثُ المَلاذُ المُرجَّى المجْتبَى قِدماً ... المُصطَفى مُنقذُ العاصِي من الدَّرَكِ
حامِي حمى الدِّين مَن شأواه قد رُفِعتْ ... على العُلا حيث حُطَّت دُرَّةُ الفَلَكِ
مَن قد سَما وسَما من فوق كل سَما ... حتى وطِي بشُسُوعِ ربَّةَ الحُبُكِ
محمدٌ أحمدُ المحمودُ خيرُ فتىً ... له فَخارٌ عَلا بالفضل كلَّ ذَكِي

وقوله من أخرى:

أحسنُ من بَهْجة نَوْحِ الحمامْ ... وسجعِ وَرْقاءَ بمثن البَشامْ
وصَدْحِ قُمْرِيٍّ شَجِيٍّ عَلَى ... خَمِيلةِ الضَّالِ وأثْلِ الخُزامْ
ومن صفِيرِ صاتَه بُلْبُلٌ ... على قضيبٍ مائِدٍ وهْو سامْ
وشَدْوِ شُخرورٍ فصيحِ اللُّحونِ ... مُغتجمِ اللفظِ دَغِيمِ الكلامْ
ودَوْحةٍ قد أنبتتْ زهرَها ... ترُوق للناظرِ في الانتظامْ
وطَلِّ أنداءَ بأوْراقِه ... تنثُره فيه غَوادِي الغَمامْ
وأزْقمٍ تنسِج أيدِي النَّسا ... ئمِ مَوْجاً له كفِرنْدِ الحُسامْ
وقَهْوةٍ حَلَبٍ عصيرِ غدَا ... يسعَى بها ساقٍ كبدرِ التَّمامْ
ومُطْربٍ قد شَدَّ أطْباقَه ... وحَرَّك العودَ وأبدى النَّغامْ
ومن هوَى حسْناءَ رُغْبُوبةٍ ... قد كُحِّلتْ أجفانُها بالسُّقامْ

(١) الرتك: رتك البعير: قارب خطوه. القاموس. مادة (رتك).

Marfat.com

مليحةٍ تُخجل غصنَ النَّقا وتَسلُب اللُّبّ بِلِين الكلامْ
أحسنُ من هذا وذا كلِّه وكلُّ ذي حُسْن به يُستَهامْ
مَدْحُ النبيِّ المصطفى أحمدٍ مَن قد أتى رحمة للأنامْ

١٣١- محمد بن الشاه بندر

هو من حين تحَيَّز، بنعمةٍ بأدواتها تَميَّز.
تُغادِيه النَّشْوة وتُراوِحه، وتناوحه أنفاسُ القَصْف وتفاوِحه.
فنبَغ ونَجَب، وقضى من حقّ التحصيل ما وجب.
وفتَق ثناءً كالمِسك صَدْراً ووِرْداً، وتخلَّق بخُلقٍ كالماء الزُّلال عَذْباً وبَرْدا.
فوجهُ أدبِه شادِخةٌ غُرَرُه، وسِلْكُ نَظْمه مُتَّسِقة دُرَره.
وهذه قطعة من شعره، تعلم منها أنه أُوتِيَ الإصابة، واسْتَحق أن يُنَوَّه به بين هذه العصابة.
وهي قوله:

ذَرِ الصدَّ إني لستُ أقوى على الصدِّ وعُدْ للذي عوَّدْتَني منك من وُدِّ
فِطامِيَ عن ثُدْيِ الوَلا مُتمنِّعٌ وطِفلُ نُزوْعِي لا يُعلَّل بالمَهْدِ
حَنانَيْك ما هذا التجنِّي فإنني لفي نُكرٍ من مَزْج هَزْلِك بالجِدِّ
لئن يكُ شَطَّ الوَهْمُ عنِّي لهفْوةٍ فعَدْ وعُدْ وابْشِر فغُفْرانُها عندِي
وحقِّك لم أحسبك قطُّ مُفارقي ولم يكُ ظنّي فيك خلفك للوعْدِ
فكيف تُنائي وَيْحَ غيرِك هاشماً حَياك بمحض الودِّ في القربِ والبعدِ
فوالَهَفي لو كان يُغني تلهُّفي ووا أسَفي إذ صرتُ أبْطأ من فِنْدِ
فما هكذا عهدي بفَقْدك أُلفَتي أأحدَثْتُ أمْراً لم يكن منك في عَقْدِ
لقد كنتَ لي حسَبَ اقْتراحي ومُنيتي مُفدًّى إذا أشكو وأنتَ الذي أفدِي
مُجيباً بمطْلوب مُلَبٍّ بدعوةٍ مُراع بمرغوبٍ سريعاً إلى رِفدي
فماذا عسى أنكرت منِّي وما الذي أباحك تعْذيبي وقتْلي على عَمْدِ
أراك وقد خلَّفتني ذا لواعجٍ من البَيْن ذا قلبٍ أشَدَّ من الصَّلد
لمن صرت لازلّت بك النعل غادياً حلِيفاً وذا أهلٍ وقد كنت لي وحدي
فيا ناسياً للوُدِّ إنِّي ذاكرٌ ويا ناقضَ المِيثاق إنِّي على العهدِ

Marfat.com

أبى اللّهُ أن أرعَى ذِمامَك جاهداً ... وتُبْخسَني حقّي وتُكثر في جهدي
فلا كان لي قلبٌ لغيرك جانحٌ ... ولا صحِبَتْني مُقلةٌ فيك لا تُندي
فقدْتك إبراهيمَ فُقْدانَ آدم ... على دَعَةٍ من أمره جنةَ الخلدِ
أُعلّل قلباً لا يحيل تِعلّةٌ ... به عنك ذَا تَوْقٍ جزيلٍ وذا وَقْدِ
وأُنشد بيتاً سالفاً حسبَ لوعتي ... إذا هاج تَهْيامي وقد فاتني قصْدي
لعلَّ الذي أبْلى بهجْرك يا فتى ... يردُّك لي يوماً على أحْسَنِ العهدِ
أقلّبُ طَرْفي لا أراك فينثني ... بوابلِ دمعٍ كالجُمان على خَدي
ودَدْتُك تدري ما الذي بي من الجوَى ... عسى كنتَ تَرْثي لي من الهمّ والوجدِ
أما تنكُرَنْ ما دار بالوصلِ بيننا ... أباريقَ لذّاتٍ ألذّ من الشُّهدْ
لأيّة حالٍ قد تناسيتَ خُلّتي ... وكيف استجزتَ الهجرَ والنّكْثَ للعهدِ
سلامي على اللّذاتِ بعدك والهوَى ... وحلوِ التّصابي والتّشوق للمُردِ
فيا ليتَ شعري من تبدّلت بي ومن ... غدا حاسدي في القرب بالبَين تستعدي
فما أمُّ خِشْفٍ راعَها حبلُ صائدٍ ... فأذْهَلها عنه وغابتْ عن الرُّشدْ[1]
تَحِنُّ فتستهدي الأسودُ لغابها ... فلا أثراً تلقَى ولا هادياً يهدْى
بأفجعَ منّي حين فارقتُه ضُحىً ... حليفَ أوارٍ لا أُعيدُ ولا أُبدي
لئن كنتَ أخلفتَ العهود وخُنتَ بالْـ ... ـمَواثيقِ عن جهلٍ ومِلْتَ عن الرشدِ
فحُبك في قلبي وذكرُك في فمي ... وأنت بعيْني ماحَييتَ إلى الْخدِ

قوله: «أبْطأ من فِنْد» مثل.

وفند هذا مولى عائشة ابنة سعد بن أبي وقاص، وكان أحد المغنين المحسنين، وكان يجمع بين الرجال والنساء.

وله يقول ابن قَيْس الرُّقَيّات:

قل لفندٍ يَشيْع الأظْغانا ... طال ما سَرّ عيشنا وكَفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار، فوجد قوماً يخرجون إلى مصر، فخرج معهم، فأقام بها سنة، ثم قدِم فأخذ ناراً، وجاء يعدو، فعثر وتبدّد الجمر، فقال: تعِست العجلة.

وفيه يقول الشاعر:

---

(١) الخِشف: مثلثة: ولد الظبي أول ما يولد، أو أول مشيه. القاموس. مادة (خشق).

Marfat.com

ما رأينا لِغُرابٍ مثلا إذ بعثناه يجي بالمِشْمَلَهْ
غيرَ فِندٍ أرسلوه قابساً فثَوَى حولاً وسبَّ العجَلَهْ

المشملة: كساء يجمع المقدحة وآلاتها.

وقال بعضهم: المشملة، بفتح الميم، وهي مهبُّ الشمال، يعنى الجانب الذي بعث نوح عليه السلام إليه الغُراب؛ ليأتيه بخبر الأرض أجفَّت أم لا، فاشتغل بجيفة رآها في طريقه، وفيه يقال: «أبطأ من غراب نوح».

١٣٢- صالح بن قمر

هلالُ نَجابته يُعَدُّ بأقمار، وفيه وفي نَباهته أحاديث و أسمار.
كتب وقيَّد بخطِّه الكثير، ونظَم ونثَر فجاء بالدُّرِّ النَّظيم واللؤلؤ النَّثير.
وقد أوردت له ما تستبدعه ، وتحفظه في خزانة النفس وتسودعه
فمنه قوله:

يامقلةَ الحب مهلاً فقد أخذتِ بثارك
وأنتِ يا وجنتيه لا تخرقيني بنارِك
فقد كفاني لهيبٌ أصابني من شَرارِك
هيهات أنجو سليماً مِنْ بعد خَطِّ عِذارِك
وخالُك الخال غالٍ لوقْعةٍ في نُضارِك
وثغرُك العذبُ فيه لنا غِنىً عن عُقارِك
وقَدُّك الغُصْنُ لكن لا يُجتْنى من ثمارِك
أنت الذي ما رأينا في حُسنِه من مُشارِك
فارفُق بصَبٍّ عليلٍ أفناه بُعْدُ مَزارِك
إلى متَى تتْرُكَنِّي أرْعى نجومَ انتظارِك
وكم على ليلِ ضَغفي تسطُو بجَوْرِ نهارِك
إن كان يُرضيك قتْلي عَمْداً بحُسْن اختيارِك
فذَاك صَبٌّ عميدٌ في ساحةِ الذلِّ بارِك
ولم يزلْ في التَّصابي بالصبرِ فيك يُعارِك
عسى يلُوح صَباح الرِّ ضا له من ديارِك

Marfat.com

وتـــشـــمـــل الـــصَّـــبُّ قُـــزبـــاً ... مـــن بـــعـــد طـــولِ ازْورارِكْ
فـــجُـــذْ وســـامـــخْ وواصِـــلْ ... واعـــطِـــفْ وعـــجِّـــل ودارِكْ

١٣٣- صالح بن نصر الله المعروف بابن سلُّوم

رئيس الأطباء للسلطان محمد ونديمهُ الذي صحَّ به تركيبُ الزمان، ووفَّى له الأملُ بالضَّمان.

تقدَّم في حلْبة النُّبلاء بحلب، ودَرَّ له ضَرْعُ الأماني فحلَب.

طالما وفَّى العيشَ حقَّه بمُنادمةٍ يهتزُّ لها مرَحاً عِطْفُ الشباب، وسقى السمع كأس مُحاورة تُرقِص السامعين رَقْصَ الحَباب. حتى تَقَضْقَض[1] آبِنُوسُه، وأشرف عَناه وبُوسُه.

فأنِف الإقامة في حيِّه ورَبْعه، ودعاه إلى الرِّحلة حبُّ الرياسة المَركُوزُ في طبعِه.

فرحل إلى دار السلطنة العالية، وحلَّ منها محل العافية من الأبدان العافية البالية.

واتفَّق إثْرَ وصوله وصولُ خبره للسلطان فاستدْناه، وصيَّره رئيس أطبَّائه وندمائه فَبَلَّغه من وُفور الجاه ما يتمناه. وتبدَّلتْ نحوسُه سعوداً، وأنجز له الدهرُ الضَّنِين وُعوداً.

فأبرز من نفيسِ صنْعتِه مالم تتنفَّس به لهَواتُ ابن النَّفِيس، وشفَى عليلَ صدور الملهوفين ولا بِدْعَ فـ «الشفاء» للرئيس.

وبالجملة فجُمل فضائله مما تَقصر عن وصْفِه جُمَل العبارات، وإذا وقعتْ لِذاتِ الفضل إشارات فلذلك الرئيس تلك الإشارات.

وله في الأدب روايةٌ طال بها باعا، ودرايةٌ أبرأ بها من مرض الزمان قلوباً وطباعا.

ولـم أقِف له إلا على بيْتين أجاد مَعْناهما، ولـم تتمتَّع أذن سامع بغيرهما في معناهما.

١٣٣- صالح بن نصر الله، ويعرف بابن سلوم بفتح السين المهملة وتشديد اللام الحلبي. رئيس أطباء الدولة العثمانية، ونديم السلطان محمد إبراهيم. ولد بحلب ونشأ بها وأخذ عن أكابر شيوخها واشتغل بالعلوم العقلية وجد في تحصيلها حتى برع وغلب عليه علم الطب. وكان حسن الصوت عارفاً بالموسيقى، صارفاً أوقاته في الملاذ ومسالمة أبناء الوقت، ثم تولى مشيخة الأطباء بحلب ولم يزل على تلك الحالة حتى رحل إلى الروم واختلط بكبرائها واشتهر أمره بينهم ونما خطه حتى وصل خبره إلى السلطان فاستدعاه وأعجبه لطف طبعه فصيره رئيس الأطباء وأعطاه رتبة قضاء قسطنطينية وقربه وأدناه وألف في الطب تأليفاً لطيفاً سماه: برء ساعة. وسمت همته في اقتناص شوارد المكرمات حتى نفع بجاهه كثيراً من أهل دائرته.
وكانت وفاته بينكي شهر وهو في خدمة السلطان في سنة إحدى وثمانين وألف. ا.هـ. خلاصة الأثر (٢/ ٢٤٠).

(١) تقضقض: تفرق. القاموس مادة (قضّ).

Marfat.com

وهما قوله:

سقاني مَن أهوى كلوْن خدودِه مُداماً تُرِي سرّ القلوب مُذاعا
ومُذ شبَّب الإبريقُ في كأسِ حانِنا أقامتْ دراويشُ الحَباب سَماعَا

١٣٤- مصطفى الزيباريّ

هو في هذه الحَلْبة، كالعِقد النفيس في اللَّبّة.
وله جامعيَّة فنون تربُو على الحصر، وفضائلُ لا يستطيع جُحودَها نُبَهاء العصر.
لكنه أتَى الدهرَ وقد هرِم، فلم يتروَّ زُهيرَ روضِه بمثل نَدَى هرِم.
فهو يشتكي زمناً بعيد الإحسان، لا تستجلبه ولا دعوةُ الغِيد الحِسان.
وينظِم الشعرَ على فاقَة، ما له منها إفاقة.
بِجِدٍّ أمْضَى من النَّصْل، وهزلٍ أحلَى من الوصل.
وقد ذكرتُ له ما يستلذُّ وصفَه الوَصَّاف، والقولُ فيه أنه غايةٌ في بابِه من الإنصاف.

فمنه قوله، من قصيدة يمدح بها البَهائيّ:

هي الشمسُ إن حيَّا بها الأوطَفُ البَدْرُ فخُذْها هنيئاً لا مَلامٌ ولا وِزْرُ
دهاقاً دَهاقاً غيرَ عانٍ فإنها إذا صافحتْ ذا عُسرةٍ حَلَّه اليُسْرُ
ولا تخْشَ إملاقاً فإن حَبابَها فرائدُ ياقوتٍ وذائبُها تِبْرُ
ولا تعتبرْ قولَ المُعيبين صَحْبَها فأترابُها زُهْرٌ و أكوابُها زَهْرُ
وقُل لمدير الرَّاح سِرّاً وجَهْرةً ألا فاسْقِني خَمْراً وقل لي هي الخمْرُ
ومكْسولةِ الألحاظ معسولةِ اللَّمَى تَخال به قَطْر النَّباتِ ولا قَطْرُ
لها لحظاتٌ تسلُب اللُّبَّ والحجَى وما فارقتْ جَفْناً وهذا هو السحرُ
وجيدُ مَهاةٍ بل غزالٍ كأنه عَمُود لَجُيْنٍ فوقه بَزَغَ البدْرُ
وليلٍ كبحرٍ خُضْتُ أمواجَ جُنْحِه على سابحٍ عن سَيْرِه قصَّر النَّسْرُ
أكفكِف أذْيالَ البوادِي تعسُّفاً ولا يزْعَوِي إن راعَه الضربُ والزَّجْرُ
كأن أبا الفضلِ البهاءَ محمَّداً لنا حيث سِرْنا من صباحتِه فَجْرُ

وقوله من أخرى، مطلعها:

أأيَّتُهنَّ إذْ تبدو نَوارُ صَدُوف أم كَنُود أم نَوارُ

Marfat.com

بعيشك هل سمعتَ فما سمعْنا بآرامٍ وليس لها نِفارُ
برَزْنَ من الخدورِ مُحجَّباتٍ ومحمودٌ من البدرِ السرارُ
طلَعْنَ عليك ثم خَنَسْنَ عُجْباً كذلك تفعل الغُرُّ الجَوارُ
حَذارِ لواحظاً منهن دُعجاً فمقْتول الهوى منها جُبارُ[1]
وبي منهنَّ أُملُودٌ رَدَاحٌ نأتْ عنّي وقد شطَّ المَزارُ
لقد غدرت أُخَيَّ وغادرتْني وحيداً لا أزور ولا أُزارُ

وأنشد له السيد عبد الله الحجازي، يهجو قرية أوّارين:

ولو أن لي في كلِّ وقتٍ وساعةٍ بقريَة أوّارينَ ما أتمنّاهُ
لقُلت خليليَّ ازحلا عن التي تُكثِّر أوْصابي فلا بارك الله

١٣٥- مصطفى بن محمد بن نجم الدين الحَلفاويّ

خطيب وابن خطيب، و عبير مستفاد من مسك وطيب.
تناول المجد كابِراً عن كابر، واستفادَه ما بين أسِرَّة ومنابر.
وهو من قوم رَقَوا على الدَّرج، وأمِن مادحهُم من الاعتراض والحَرَج.
لأياديهم فُتحت بالثناء أفْواهُ الأعلام، ولأقدامهم طأطأت رُؤوس المنابر والأقلام.
لم تزل النَّجابةُ فيهم نَسَقاً على نَسَق، وإذا لاحتْ وجوهُهم أضاءتْ بالليل وما وَسَق.
وأنا إذا أمسكتُ عن ذكرِهم لساناً رَطيبا، فقد قام اشْتهارُهم عنّي في الآفاق خطيبا.
وقد نبغ منهم هذا النَّدْب كما شاءت العُلاَ، فجاء متحلّياً من الفضائل الغُرّ بأفخر الحُلاَ.
وقد عُرِف فيه الرشد، من حين وُضِع في اللُّفافة وشُدّ.
إلا أنه اخْترمَه الأجلُ وغصنُه يانِع، وليس له عند التوسُّع في المآثر مانع.
وقد أنشدني بعضُ الأدباء له بيتين، جئت بهما في هذا المحل مثبتين.
وهما قوله:

قالوا سَلاَ قلبُه عن حبِّهم وغدا مُفرّغَ الفكرِ منهم خاليَ البالِ
قلتُ اثبِتُوا أن لي قلباً أعيشُ به ثم اثْبِتُوا أنه عن حبِّهم سالِي

(١) الجُبار: من الحروب ما لا قود فيه. القاموس. مادة (جبر).

Marfat.com

وهذا معنى حسن، وقلت فيه من قطعة:

وظـنـنـتَ قـلـبـي سـالـيـاً ... أتـركْـتَ لـي قـلـبـاً فـيـسْـلُـو

وقلتُ أيضاً:

قـال تَـسـلَّـى وقـد جـفـانـي ... ونـام عـن صَـبْـوتـي وحُـبِّـي
صـدقـتَ بـالـقـلـبِ كـنـتُ أهـوى ... مـا حِـيـلـتـي إذ أخـذتَ قـلـبِـي

والأصل فيه قول بشّار:

عَـذيـرِي مـن الـعُـذّالِ إذ يْـعـذِلـونـنـي ... سَـفَـاهـاً ومـا فـي الـعـاذلـيـن لـبـيـبُ
يـقـولـون لـو عـزَّيْـتَ قـلـبَـك لارْعَـوَى ... فـقـلـتُ وهـل لـلـعـاشـقـيـن قـلـوب

ومثله لابن الوضاح المرسي:

يـقـولـون سـل الـقـلـب بـعـد فـراقـهـم ... فقلت وهل قلبٌ فيسْلو عن الحبِّ

وللعَرْجِيّ ما هو منه ولا يبعُد عنه:

وزعـمـتِ أن الـدهـر يُـقْـنـعـنـي ... صـبْـراً عـلـيـك وأيـن لـي صـبـرُ

وللبهاء زُهير:

جـعـل الـرُّقـادَ لـكـي يُـواصـل مَـوعِـداً ... مـن،أيـن لـي فـي حـبِّـه أن أرْقُـدَا

وللْبُورِينيّ:

يـقـولـون فـي الـصـبـحِ الـدعـاءُ مُـؤثِّـرٌ ... فـقـلـتُ نـعـم لـو كـان لـيـلـي لـه صـبـحُ

وللشِّهاب الخَفاجيّ:

يـقـولـون لـي لـم تُـبْـقِ لـلـصـلـحِ مَـوْضِـعـاً ... وقـد هـجـرُوا مـن غـيـر ذَنْـبٍ فـمـن يُـلْـحَـى
صـدقْـتُـم وأنـتُـم لـلـفـؤادِ سـلَـبـتُـمُ ... ومـاليَ قـلـبٌ غـيـره يـطـلُـب الصُّـلْـحَـا

١٣٦- محمد بن محمد البَخْشِيّ

من أفراد العلم الكبار، الحِسان الآثار و الأخبار.

وكان من سمُوِّ القدر، واتّساع الصدر، ونُبْل الهمة، ورَعي الذّمّة.

١٣٦-محمد بن محمد بن محمد بن أحمد المعروف بالبخشي البكافلوني، الحلبي، الشافعي، المحدث الفقيه، الصوفي.
ولد ببكفالون -بفتح الموحدة- قرية من أعمال حلب وبها قرأ القرآن ونشأ في حجر والده ورحل في أوائل طلبه إلى دمشق، وأخذ عمن بها من علمائها كالشيخ عبد الباقي الحنبلي، والشيخ محمد الخباز البطنيني وغيرهم. وأخذ طريقة الخلوتية عن العارف بالله الشيخ أيوب الخلوتي وقرأ عليه =

Marfat.com

في حدٍّ ما وراءه مَطْمَع، ولا يتقرَّط بمثل خبره مَسْمَع. إلى تقْوى باطنه معمور، وقناعة موطنُه ببركاته مغْمور. وإيثار بما ملَك، ووَقارٍ يتْبعه أنَّى سلَك.

تُوازَن به السحبُ الهواطِل إذا حَبَا، ولا تَرضَى أن تُشبهه الجبال الرّوازن إذا اختبى.

صحبْتُه بالرُّوم فشاهدتُ ملَكاً في صورة إنسان، مطبوعاً على الخير فلا يُشابُ بشرٌ ولا يُشان.

فعاشرْته مُحِبّاً له مَحَبَّةَ الصحابيّ للسُّنَّة، وفارقتُه فتلهَّفتُ عليه تلهُّف آدم على الجنَّة.

أنْسَى الأيامَ وأذكرهُ، وأذكُر مكارمَه فأشكُره.

وهاجر آخر أمرِه إلى مكة، فكان بها سحاباً ماطراً، ونسيماً إذا هبّ هبَّ عاطراً.

فأقبل أكثرُ أهلها عليه، وسلُموا زمامَ انْقيادهم إليه.

ووَردُوا مشْرَعَ وِفاقه، وانتظموا في سِلْك رفاقِهِ.

ثم لم يلبث أن دعاه الكريمُ إلى دارِه، فتولاَّه عفوُه بمُنْهَلِّه ومِدْرارِه.

وكان أمْلَى عليَّ من أشعاره قطعاً سهلة، ربما حفظتُها لجَوْدتها من أول وَهْلَة.

فلم أعلِّقْها في دفتر اعتماداً على الحفظ منِّي، ولم أدْرِ أن الأيام وشواغلَها تنُفِّرها عني.

ثم وقفتُ له بمكة على قصيدة فتعلَّقتُ بها وجعلتُها من المعلَّقات، وأنا من عهدها شَغِفٌ بترْديدها حِرْصاً على تذكُّر تلك العلاقات.

والقصيدة هي هذه، قالها في مدح الشريف أحمد، وأخيه الشريف سعد ابني زيد، وهما بدار الخلافة:

خليليّ إيهٍ عن حديث صَبا نَجْدِ ... وإن حركت داءً قديماً من الوَجْدِ

فآهاً على ذاك النَّسِيم تأسُّفاً ... وآهً على آهٍ تروّح أو تُجْدِي

عليلةُ أنفاسٍ تُصِحُّ نفوسَنا ... مُعطِّرةُ الأزدانِ بالشِّيح والرَّنْدِ[1]

= جملة فنون وأطلعه على أسرار علمه المكنون حتى نال منه غاية الأمل. ثم توطن حلب وأخذ بها عن عالمها محمد بن حسن الكواكبي المفتي بها وأقام علة بث العلم ونشره في غالب أوقاته. وله من التآليف الشافية نظم الكافية، وشرح على البردة وغيرهما. وسافر إلى الروم في سنة ست وثمانين وألف. ودرس بالمقدمية التي بحلب ثم بعد مدة ملّ الإقامة بحلب فقصد الحج بنية المجاورة، وأقام بمكة مجاوراً حتى توفي سنة ثمان وتسعين وألف ودفن بالمعلاة بالقرب من مزار أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، وكانت ولادته في سنة ثمان وثلاثين وألف. ا.هـ. خلاصة الأثر (٤/٢٠٨).

(١) الأردان: مفردها الرُّدن: أصل الكم. القاموس. مادة (ردن).

Marfat.com

وهـيـهـاتَ نـجـدٌ والـعُـذَيْـب ودونَـه مَهامهُ تغوي الكدر فيها عن الوِردِ
ومن كل شمّاخ الأهاضبِ خالَط السّـ ـحابَ يرومُ الشمسَ بالصدِّ والرّدِّ
وتسْرِى الصَّبا منه فتُمسِي وبيننا من البَوْنِ ما بين السَّماوةِ والسِّنْدِ

وهذا في المبالغة وقول ابن عُنَيْن رفيقًا عنان.

وقوله هو:

سامحتُ كُتْبَك في القطيعةِ عالِماً أن الصحيفةَ لم تجدْ من حاملِ
وعذَرتُ طَيفَك في الوصولِ لأنه يغدو فيصبح دوننا بمَراحلِ

ولا أقول ما قال ابنُ بَسّام: لقدَ شنَّع وبشَّع أبو زيد في الكذب، حيث قال:

وشمْتَ سيوفَك في جِلَّقٍ فشامتْ خُراسانُ منها الحيَا

وبعَّد وبدَّع مُهَلْهِل، حيث قال:

ولولا الريحُ أسمَعَ من بُخْجرٍ صليلُ البَيض تقْرَعُ بالذُكورِ

لأن الصَّبا قد تتخلف لهبوب غيرها أياماً فبيّت ابن عُنَيْن كذبُه واضح، وللعذر فاضح.

والبيتُ الذي نحن فيه مُنْشِيه موصون بصدقِ المقال، ومُنشده مُستريحٌ من حَمْل الأثقال.

سقا اللهُ من نجدٍ هضاباً رياضُها تنفَّس عن أزْكى من العَنْبَرِ الوَرْدِ
وحيَّا الحَيا حَيّاً نعِمْنا بظلِّه بنَعمْان ما بين الشَّبيبة والرِّفدِ
نُغازل غِزْلاناً كوانِس في الحشَى أوانسَ في ألْحاظها مَقْنِصُ الأُسْدِ
تُحاكي الجَواري الكُنَّسَ الزُّهرَ بَهْجةً وتفضُلها في رفعةِ الشأنِ والسَّعدِ
حِجازيَّةُ الألْفاظِ عُذريَّة الهوى عراقيَّة الألْحاظ ورديَّة الخدِّ
بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ معسولةُ اللَّمَى مُرهَّفةُ الأجفان عَسَّالةُ القَدِّ
تَميسُ وقد أزْخَتْ ذوائبَ فَرْعِها فتخْطُر بين الْبَانِ والعلَم الفَرْدِ
وتغْطُو بجيدٍ عطَّل الحَلْيُ حسنَه كأن ظَبْيةٌ تغطو إلى رَيِّقِ المرد
وكم ليلةٍ باتتْ يَداها حَمائلِي وباتتْ يدي من جِيدها مَطْرَح العِقدِ
نديرُ سُلافاً من حديث حَبابها على حين تَرْشافٍ ألَذّ من الشُّهْدِ
ولمَّا تمطَّى الصبحُ يطلُب علْمَنا تكنَّفَنا ليلٌ من الشَّعَرِ الجَعْدِ

Marfat.com

عـفـيـفـيْـن عـمّـا لا يـلـيـق تـكـرُّمـاً ... على ما بنا من شدِة الشوقِ والوَجْدِ
وقد كاد يسعى الدهرُ في شَتِّ شمْلِنا ... ولـكـن تـوارى شـفْـعُـنـا عـنـه بـالـفَـرْدِ
فـأصـبـحتُ أشـكـو بَـيْـنَـهـا وفِـراقَـهـا ... بشَطِّ النوى شكوَى الأسيرِ إلى القِدِّ
وإنّي قد استطْلعتُ دَرْكَ مطالبِي ... وتـبْـلـيـغَ آمـالـي ومـا نَـدَّ عـن حَـدِّي
بطلْعة نَجْلَي دَوْحةِ المجد غارب الْـ ... معالي سَنامِ الفخر بل غُرَّة المجدِ
إمامِ المصلَّى والمُحصَّب والصَّفا ... وِراثـة جَـدٍّ عـن نُـمَـيٍّ إلـى جـدِّ
أبي أحمد زيْن الصَّناديد في الوغَى ... بـنـي حسَـن الأُسـدِ الـكـواسـرةِ الـحـدِّ
بُـزاةِ الـعـلا الـغُـرِّ الـمَـيـامـنةِ الأُلـى ... سـمـا قـدرُهـم يـوم الـتـفـاخُـر عـن نِـدِّ
غـيـوثٌ إذا أعـطَـوْا لـيـوثٌ إذا سطُوا ... مـنـاقـبُـهـم جـلَّـتْ عـن الـحـدِّ والـعَـدِّ
فـمـا أفَـلـتْ شـمـسٌ لـزيْـد وقـد بـدا ... لنا من ضِياها شمسُ أحمدَ أو سعدِ
هـمـا نَـيّـرا أوْج الـمَـعـالـي وشَـرَّفـا ... بُروجَ قصورِ الروم في طالع السعدِ
ومُـذْ رحَـلا عـن مـكـةٍ غـاب أُنْـسُـهـا ... فكانا كنَصْل السيفِ غاب عن الغِمْدِ

منها:

جَـوادَيْـن فـي شَـطِّ الـمَـمـاجـد جَـلَّـيـا ... وحـازا رِهـانَ الـسَّـبْـقِ في حَنَق الـضِّـدِّ
بِراحاتهمْ إن ينبُت الجود في العطَا ... فـتـلـك بـحـورٌ تـتَّـقـي الـجَـزْرَ بـالـمَـدِّ
وإن أخْيتِ السحبُ النَّباتَ بمائها ... فكم أخْيَتِ الراحاتُ أنفسَ مُستجْدِي
ريـاضٌ لـمُـرتـادٍ حـصـونٌ لـلاَئـذِ ... رُجومٌ لمُستغدِ نجومٌ لمستهدِي
شـمـائلُ تـهـزُو بـالـشَّـمـائـلِ لُـطـفُـهـا ... وعِـطْـف شَـمُـولِ الـرّاحِ هـزَّتـه تُـبـدِي

منها:

بنـو هـاشـمٍ إن كـنـتَ تـعـرف هـاشـمـاً ... ومـا هـاشـمٌ إلا الأسِـنَّـةُ لـلـمـجـدِ
بـهـم فـخَـرَتْ عَـدْنـانُ والـعُـرْبُ كـلُّـهـا ... ودانـتْ لـهـم قَـحـطانُ أهلُ القَنا الصُّلْدِ
فـمِـن مـجـدهـم يُـسـتَـقْـبَـس الـمـجدُ كـلُّـه ... ومن جُودِهم أهلُ المكارمِ تستجْدِي
هنيئاً لأبْنا المصطفى الشرفُ الذي ... تـسَـامـى فـلا يُـخـصَـى بـعـدٌ ولا حَـدّ
بمِدْحتكم جاء الكتابُ فما عسى ... تقول الورى من بعد تَمَّ والحمدِ
وعُـذْراً بـنـي الـزَّهْـراءِ إنّـيَ ظـامـئٌ ... إلى المدحِ والأيامُ تُنسِي عن الوِرْدِ

Marfat.com

يوَدُّ لساني لو يُترجِم بعضَ ما ... لكم في فؤاد الصَّبِّ من صادقِ الوعدِ
وقد نضَبتْ منه القريحةُ نَضْبةً ... على حَذرٍ من حاذرٍ أحذر الرِّيْدِ
كنَفثةِ مَصدورٍ ولمحةِ عاشق ... تُسارِقه عينُ الرقيب على بُعْدِ
فإن أعطَتِ الأيامُ بعضَ قيادِها ... رأيتُ له من مَذحِكم أعْظمَ الوِرْدِ

١٣٧- إبراهيم بن أبي اليُمن البَتْرُوني

صَدرٌ منشِرح الصدر، مُوفية محاسنُه على الشمسِ والبدر.
من أُسْرَة نسَقوا الفضائل وَلاَ، وسحَبوا من المغلوات مطارفَ ومُلاَ.
افْتَرَّ لهم الزمانُ وابتسم، وازتسم بهم نقْشُ المآثر واتَّسَم.
كما تبسَّم ثغرُ زهرٍ عن شُعاع، وترقْرق جَعْد نهرٍ بظِلِّ لَمَّاع.
وهذا الفاضل محَلُّه منهم محل العين الناظرة تُصان عما يُقْذِيها، واليد الباطِشةُ تحفظ عما يؤذيها.
أوْصافُه لا تُجاريهِ فيها أقْدامُ الوطرَ، ونُعوتُه لا تزاحمه عليها مناكبُ الخطَر.
فهي مسلَّمةٌ إليه إذا نوزع مَن ادَّعاها، مُقرَّة لديه إذا دُوفع من استدْعاها.
وله مآثرُ يفارق فَرْقَ الفَرْقدَيْن قعيدُها، إذا وطئتْ أقدامهُ الأرضَ رَبَتْ واهتزَّ فيها صعيدُها.
إلا أن الأيام عاندتْه في منصب قومِه، وعوَّضتْه هَمَّ أمْسِه مضافاً إلى يومه.
وعارَضه صادقُ المقدور، فرَاح من الدنيا بِنَفثة المَصْدور.
وقد رأيتُ له شعراً يدلُّ على قدرِه الجليل، دَلالة النسيم العليل، على الروضِ البَليل.
فأثبتُ منه ما ألْفَيْت، وبالدلالة عليهْ اكتفَيت.
فمنه قوله من مكاتبة:

على فَرْطِ التشوُّق والبِعادِ ... وإخْلاصِ المحبةِ في العبادِ

١٣٧- إبراهيم بن أبي اليمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد السلام بن أحمد البتروني الأصل، الحلبي المولد، الحنفي، الفاضل، الأديب. صدر قطر حلب بعد أبيه اشتغل في عنفوان عمره وسلك طريق القضاء وتولى مناصب عديدة منها: حماة. ثم ترك وعكف على دفاتر وتشييد مفاخره وتفرغ له أبوه عما كان بيده من مدارس وجهات وبقيت في يده سوى إفتاء الحنفية فإنها وجهت إلى غيره.
وكان حسن المحاضرة، شاعراً مطبوعاً.
وكانت وفاته في سنة ثلاث وخمسين وألف عن نحو أربع وسبعين سنة، ودفن بجانب والده بالصالحية. ا.هـ. خلاصة الأثر (١/ ١٠).

Marfat.com

فـإنـي مُـوقِـرٌ غُـرَرَ الـتَّـحـايـا ومُـهـديـهـا إلـى الـشَّـهْـم الـجـوادِ
خـلـيـلـي ذِي الـخِـلال بـلا اخْـتـلالٍ وخِـذْنـي ذي الـفـضـائِـل والـودادِ
و صَـفْـوَتـيَ الـمُـصـفًّـى والـمُـوفًّـي حـقـوقَ مـودَّتـي فـي كـلِّ نـادِ

منها :

وهـل يـضْـفُـو الـزمـانُ وقـد بَـراه إلـهـي غـادراً مـن قـبـل عـادِ
إذا مـا فـارقـت مـنـه سـهـامٌ فـلا تُـخْـطِـي قـواتـلُـهـا فـؤادي
فَـبـي مـن صَـرْفـه مـا لـو تـراءَى لأوْدَى بـالـبَـرايـا والـبـوادِي
ألا قُـل لـي فـديْـتُـك هـل أرى لـي مُـعِـيـنـاً فـي الـبـلـوغ إلـى الـمُـراد
رحِـيـبَ الـصـدرِ ذا صـدقٍ ودِيـنٍ لأجـعـلَـه ادّخـارِي واعْـتـمـادِي

وقولهُ من قصيدة:

جاءتْ إليك وقد أرَتْك قُصورَها عَـذْراء شـادتْ بـالـثَّـنـاء قُـصـورَهـا
حسناءُ صاغ لها المَديحُ قلائداً حلَّت بها بين الحسانِ نحُورها
باهتْ بفخْرك كلَّ مُمتدح وما تاهتْ وصَانتْ عن سواك نظيرَها
واستَمْطَتِ الجوزاءَ قدْراً حيثُ إن كنت المآلَ لها وكنت سَمِيرَها
يا أيها الصدرُ الذي اقتعد العُلا بمكارِم أضْحى الكمالُ سميرَها

منها:

ورجعتَ منصوراً وعُدتَ بنعمةٍ قد نلْتَ من رب الورى مَوْفورَها
وحَظِيتَ بالأجرِ الجزيل وهذه نِعَمٌ فكُن بالمَكْرُمات شَكُورَها

ويعجبني قوله في التخلُّص من قصيدة قالها في الأمير محمد بن سيفا:

ولقد شكوتُ له الهوى ليرقَّ لي فنأَى عن المُضْنَى بقلبٍ جَلْمَدِ
وأبَى سوى رِقِّي فقلتُ له اتَّئِدْ إني رفيقٌ للأمير محمدِ

وله في الفتح بن النحّاس، وكان يهواه:

مُـهْـلِـكَ الـعـشـاق مَـهْـلاً فـيـك لـي مـنـك انـتـقـامُ
بـشُـعـيـراتٍ كـمِـسـكٍ هـي لـلـحـسـن خِـتـامُ

وله فيه، من أبيات:

Marfat.com

بيني وبينك مدةٌ فإذا انقضَتْ كنتَ الجديرَ بأن تُعزَّى في الورَى

منها:

رِفقاً بقلبٍ أنت فيه ساكنٌ إن الحياةَ إذا قضى لا تُشتَرى
فازْدُدْ على طَرفي السُّهادَ لعله يلقى خيالاً منك في سِنَة الكَرَى
واسألْ عيوناً لا تملُّ من البكا عن حالِتي يُنبِيك دمعي ماجرَى

وله فيه، وقد عشق مليحاً اسمه موسى، فتجنَّى عليه:

كلُّ فِرْعونَ له موسى وذا في الهوى مُوساكَ يُولِيك النَّكدْ
فكما أكْمدتَ من يَهْواك بالصَّـ ـدِّ مُتْ صَداً وذُقْ طعمَ الكَمَدْ

١٣٨- أحمد بن محمد المعروف بابن المُنلا

شارح «مغني اللبيب»

عالم الشهباء ومصنِّفها، ومُقرِّط العَلياء ومُشنِّفها.

بتآليف وشَّح بيَراعةِ بَراعتها صدور المَهارِق، وأتى فيها من معجزات البلاغة بالخوارِق.

حاز بها في تلك الحَلْبة غاية الظهور، وفاز بقصَبِ السَّبق فيما بين ذلك الجمهور.

وله عُقود كلام لو تجسَّم لفظُها لمَا رُصِّعت إلا على التِّيجان، وتنزَّهت عن أن تُرى أفرادُها مواضعَ اللؤلؤ والمَرْجان.

تشتمل من رُودِ القوافي، وخُودِ الغزليات الصَّوافي.

على غُرَر كقطع الرياض غِبَّ القَطْر، وفِقَر أحسن من الغنى بعد الفقر.

فما يتبين في معاني بلاغته انْحلالُ مَعاقد، ولا تلِين قناةُ براعتِه لغَمْز ناقد.

١٣٨- أحمد بن محمد بن علي الحصكفي الشافعي، المعروف بابن المنلا. كان واحد الدهر في كل فن من فنون الأدب، جمع بين لطف التحرير وعذوبة البيان، وكان بالشهباء أحد المشاهير، نشأ في كنف أبيه، وقرأ على جماعة من العلماء وأكثر اشتغاله على الرضي ابن الحنبلي صاحب تاريخ حلب. ودخل دمشق مرتين وأخذ بها عن البدر الغزي ورحل إلى قسطنطينية صحبة والده، ورجع إلى حلب فولي تدريس البلاطية، وأفاد وصنف وشرح مغني اللبيب، وتعاطى صناعة النظم والنثر فأحسن فيهما إلى الغاية.
وكانت ولادته في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، وتوفي في سنة ثلاث بعد الألف. قتله الفلاحون في قرية باتسا من عمل معرة نسرين ظلماً وعدواناً ودفن بالجبل بالقرب من تربة جده لأمه الخواجه إسكندر بن آيجق. ا.هـ. خلاصة الأثر (١/ ٧٧).

Marfat.com

فمن كلامه الدائر بين الرُّواة، المُرتصِف دُرّاً أصدافُه الأفْواه.

هذه القطعة من موشَّح أطلعها مُنيرة، وبَعث بها الأشجانَ لنارِ الوجد مُثيرة.

وقد عارض به موشَّح ابن سَهْل الذي يقول في مطلعه:

هل درَى ظبيُ الحِمى أن قد حمَى قلبَ صَبٍّ حلَّه عن مَكْنَسِ

وهو من الموشَّح الموزون، الذي يتسلَّى به قلبُ المحزون:

رُبَّ ريمٍ رام قلبي فرمى فيه سهماً جاء عن غير قِسِي
من رأى ظَبْياً أرانا أسْهُما من لحاظٍ كعيونِ النَّرجِسِ

دور (٤)

يا نديمي قُم صَفا وقتُ الهنا فامْل لي الكأس وعجِّل بالطِّلا
وأدِرْها خمرةً تُولي المُنى فزَمان الأُنسِ بالبشرِ حَلاَ
والحَيَا قد ألْبس الروضَ الثَّنا وعلى الدَّوحِ من الزَّهرِ حُلاَ
وحكتْ بالأنجُم الأرضَ السما إذ غدَت بالزُّهرِ منها تكْتَسِي
وحَبا الاغصان طَرزاً مُعْلَما حين ما ماسَ بأبْهَى مَلبَس

دور

ما تَرى يا صاح أغصان الرُّبا ماثلات القَدِّ من خمر السحابْ
رنَّحتْها سُخرةً أيْدي الصَّبا فصَبا القلبُ إليها باكْتئابْ
ومن الزَّهر لها أغْلى قِبا ومن الدَّوح لها عالي القِبابْ
نَقَّطتْها السُّحبُ دُرّاً مثلما كستِ الروضَ بثوبٍ سُنْدُسِي
وشذا عَرْف نسيمٍ هَيْنَما وكذا يفعُل ذاكي النَّفَس

دور

ما لِلاحٍ مُذْ لَحى طاب الهوى في حبيبٍ وجهُه يحكِي القمَرْ
لذ لي في حبِّه مُرُّ النوى وازتكابُ الهوْلِ يوماً إن خطَرْ
ما على مَن نجمُه فيه هوَى حين ما صدَّ دَلالاً ونَفرْ
أحوريُّ اللحظِ معسولُ اللَّمى فاحِمُ الشعرِ شهيُّ اللَّعَسِ
ثَغْرُه أبدى لنا برقَ الحِمى وأرِيكُ الشعرِ ثوبَ الغَلَسِ

دور

Marfat.com

يـالَـه بـدراً حَـمـى عـنّي الـكـرَى قـدُّه والـطَّـرْفُ عَـضـبٌ و اَسَـلْ
فـي دُجـى شـعـرٍ لـه بـدرٌ سـرَى ويـشـمـسِ الـوجـه لـيـلٌ قـد نَـزَلْ
خَـنِـثٌ فـي جَـفْـنِـه أُسْـدُ الـشَّـرَى وعـلـى أعـطـافِـه لِـيـنٌ ودَلّ
سـاحـرُ الـمُـقـلـةِ مـعـشـوقُ الـدُّمَـى قـمـرُ الأُفـق وظَـبْـيُ الـمَـكْـنَـسِ
ذُو لِـحـاظٍ كـم أراقـتْ مـن دِمـا وهـي تُـفْـدَى بـالـجَـواري الـكُـنَّـسِ

ومن بدائعه قوله:

نـازَع الـخـدَّ عِـذارٌ دائـرٌ فـوق خـالٍ مِـسْـكُـه ثَـمَّ عـبِـقْ
قـائـلاً لـلْـخـال هـذا خـادمـي ودلـيـلـي أنـه لَـوْنِـي سـرَقْ
فانتضى الطرفُ له سيفَ القضا ثم نادى ما الذي أبْدَى القلَقْ
أيـهـا الـنُّـعـمـانُ فـي مـذهـبِـكـم حـجـةُ الـخـارجِ بـالـمِـلـك أحَـقّ

وقوله:

وأسـمـرٍ مـن بـنـي الأتـراكِ ذي غَـنَـجٍ يـهُـزُّ قـدّاً كـغُـصـن الْـبـان فـي هَـيَـفِ
كـأنـه حـيـن يـغـلُـو سُـورَ قـلـعـتِـه ويـنـثـنـي شَـرفـاً مـنـه عـلـى الـشَّـرَفِ
غـصـنُ الـصَّـبـا مـزهِـراً قـد رنَّـحـتْـه صَـبـا عـلـيـه بـدْرٌ بـدا مـن دارَةِ الـشَّـرَفِ

ومن تضامينه العجيبة، قوله في شخص عابَه بانْحسار شعر رأسه:

يـعـيـبـنـي أن شـعـر الـرأسِ مُـنْـحـسـرٌ منه فتىً قد عَرَى من حُلّة الأدبِ
ولـيـس ذلـك إلا مـن ضِـرامِ هـوىً سرَى إلى الرأس منه ساطِعُ اللهبِ
أقْـصِـر فـدَيْـتُـك ذا داءٌ بـمـبْـعَـرِه والعيبُ في الرأسِ دون العيبِ في الذَّنَبِ

وله في شريف يعرف بالمَشْهَديّ يدّعي الشعر:

الـمـشـهَـدِيُّ لِـسـانُـه قـد فَـلَّ كـلَّ مُـهَـنَّـدِ
إن رام إنْـشـادَ الـقَـرِيـ ـضِ فـقُـل لـه يـا سـيـدِي

يُشير إلى قول القائل في ابن الشجريّ العَلَوِيّ:

يـا سـيِّـدي والـذي يُـعـيـذك مِـن نـظْـم الـقـريـضِ يـضـدَا بـه الـفـكـرُ
مـا فـيـك مـن جَـدِّك الـنـبـيِّ سـوى أنـك لا يـنْـبـغـي لـك الـشـعـرُ

وفي كتاب «الكناية والتعريض» للثعالِبيّ: يقولون في فلان فضيلتان من فضائل النبي ﷺ: إحداهما أنه أُمّيّ، والثانية أنه لا يقول الشعر، وهاتان الخَصْلتان من فضائل رسول الله ﷺ وليستا من غيره بفضيلة.

Marfat.com

وإذا كان الرجلُ متشاعِراً غيرَ شاعر، قالوا: فلان نَبِيٌّ في الشعر. يعني أنه لا ينبغي له ذلك، وعلى هذا بنَى مَخْلَد المَوْصِلِيّ قوله:

يـــا نـــبـــيَّ الله فـــي الـــشـــ ... ـعـــرِ وعـــيـــســـى بـــنَ مـــريَـــمْ
أنـــتَ مـــن أشـــعـــرِ خـــلْـــ ... ـقِ الله مـــا لـــمْ تـــتـــكـــلَّـــمْ

وله:

قـالـوا حـبـيبُك أمـسـى لا تـكـلِّـمـه ... ولا تـمـيـلُ لـرُؤيـا وجـهِـه الـنَّـضِـرِ
فـقـلـتُ أمـرٌ دعـانـي نـحـو جـفْـوتِـه ... والـحـبُّ لـلـقـلـبِ لا لـلـلَّـفـظِ والـنَّـظَـرِ

وله:

ادَّعَـوا أن خَـضْـره فـي انْـتـحـالِ ... فـلـذا بـان قـدُّه الـمَـمْـشـوقُ
وأقـامـوا الـدلـيـلَ رِدْفـاً ثـقـيـلاً ... قـلـتُ مـهـلاً دلـيـلُـكـمْ مَـطـروقُ

ومن منشآته قوله من رسالة:

يقبِّل الأرض معترفاً برِقِّ العبودية قُرْباً وبُعْداً، ومُقِراً بأن فِراق تلك الحضرة الزاكية لم يُبْقِ له على مُقاومة التَّصَبُّر جُهداً.

ارتكب مجازَ التصَبُّر ليفوزَ بحقيقة الاصطبار، واسْتعار لقلْبه جناحَ الشوق فهو هو يود لو أنه نحوكم قد طار.

عجَّل عليه البَيْنُ بدُنُوّ حَيْنه، وسبك في بودقة خدوده خالصَ إبْريزِ دمعةِ عَيْنه.

وقطَّر بتصعيد أنفاسهِ لُجَيْن دموعه، ونفَى بتأوُّهه وأنينه طيْرَ هُجوعه.

بين أيادي من حَلاّه الله بأشْرف المناقب، ورفعَ رتبَته العليَّة على أعلى المراتب.

ونصَب له لواءَ المجد، وخفَض له جناحَ السَّعد.

المخْزوم بأنه أوحدُ العصر والأوان، والمحكومُ بقَصْر الفضل عليه من غير احتياج إلى حجة وبرهان.

من فتَح لأبناء دهره أبوابَ التحقيق، وفاق أقْرانَه بحسن التَّنْقيح والتدقيق.

وحلَّ من مشكلات العلوم ما أعجز كل نِحْرير، وأبرز غوامِض الدقائق على أطْراف الثُّمام[1] بأحْسن تقرير.

فهو المُسند إليه في باب العلم، والمُشار إليه بأنه إمام الحِلم.

وله من رسالة أُخرى:

---

(١) الثمام: هو على أطراف الثمام: أي محكيّ، لا مُحال. اللسان. مادة (ثمم).

Marfat.com

انفتح له في فضل تصريف الأيام أبوابُ المَزيد، وتسلّطت على أُصوله أيْدي العِلل فعايَن العَذاب الشديد.

فحالُه رقَّ له أولو التمييز، ومتى ارتفعت زفراتُه بِعامل التجنّي من يوسف الملاحة نادى أيها العزيز.

تناوَب في إهلاكه ماضي طَرْفه وسَمْهَري قَدِّه فقرأتُ باب تنازع العاملين، وتمادى موصولُ جَفاه فأرسل سحابَ الناظرين.

وأوقع الفؤاد في عُروض الأسقام، وآذن بتقطيع الأوصال بسُيوف الغرام.

١٣٩- محمد بن حسن الكواكبي

عنوان كتاب العُلا، يُكتَب آخراً ويُقرأُ أوّلا.

له يُفْرَض الشكر ويُحتَّم، وبه يبدأ الذكرُ ويُخْتَم.

فلهذه ختمتُ به باب أولي الفتُوَّة والبَسالة، كما خُتِمت بمحمد صلى الله عليه وسلم باب النُّبُوَّة والرِّسالة.

فإنه من خُلَّص نِحْلته، القائم بتأييد مِلتَّه.

ومن تقدَّمه بالنِّسْبة إليه، كلهم في الفِقْه عِيالٌ عليه.

فهم مُقدِّمات لشكْل الفضل الأوَّل، وهي النتيجة التي عليها في القياس المُعَوَّل.

فقد يتأخر الهاطل عن الرعد، والنائلُ عن الوعد.

مراتبُ الأعْداد، تترقَّى بتأخير رقمِها وتزْداد.

وتجيءُ فَذْلَكةُ الحسابِ أخيرةً لتكون جامعةَ العديد الأوْفرِ

ولا غَرْو فالكبير تتقدَّمه المواكب، والشمسُ بطلوعها تغيبُ الكواكب.

فهو النَّيِّر الأعْظم، وعَضْماءُ عِقْد النفاسةِ المُنظَّم.

مَزاياه تستغرِق الألفاظ من النَّثِير والنَّظِيم، والذي قسَم الحُظوظ بين الناس حَباه بالخلق العظيم.

وقد متَّعه الله بحواسِّه وأعضائه، وأمْتع بَنِي الدنيا بإيناسِه وإغضَائه.

فاقتعد الرتبة التي أرثه إلى الفلك صاعِداً، وصحِب الهمةَ التي صيَّرتْه يتناول الكواكبَ قاعداً.

وأنا إذا أردتُ وصفَه الذي بهَر، وبَدا كالصبحِ إذا اشتهر.

قلتُ في شأنه الباهِر، ومحلِّه الزاهي الزَّاهِر:

ليت الكواكبَ تدْنو لي فأنْظمِهَا عقودَ مدحٍ فلا أرضَى له كَلَمِي

Marfat.com

وله من النظم الذي أبدعه فكرُه، وأكسَب صحائفَ الأيام فخر الأبد ذِكْرُه ما يسْمُو إلى الأسْماع سُمُوَّ حَباب الماء، ويعمل في القلوب عملَ الأفعال في الأسماء.

فمنه قوله مضمِّناً بيتي المُرسِيّ:

حتَّام في ليلِ الهمو ... مِ زِنادَ فكرِك تقْتدِخ
قلبٌ تحرَّق بالأسَى ... ودموعُ عينٍ تنْسفِخ
ازفُق بنفسِك واعتصِمْ ... بِحمَى المهيْمِنِ تنْشرِخ
واضْرَعْ له إن ضاق عنـ ... ـك خِناقُ حالِك تنْفسِخ
ما أمَّ ساحةَ جُودِه ... ذو مِحْنةٍ إلا منَخ
أو جاءَه ذو المُغْضِلا ... تِ بمُغْلَق إلا فتَخ
فدعِ السِّوَى وانْهَجْ على النَّـ ... ـهجِ القويمِ المُتَّضِخ
واسمعْ مقالةَ ناصحٍ ... إن كنتَ ممَّن ينتصِخ
ما تمَّ إلا ما يُريـ ... ـدُ فدَعْ مُرادَك واطَّرِخ
واتْرُكَ وَساوِسَك التي ... شغلتْ فؤادَك تسْترِخ

وله في الغزل:

وَرْقاءُ من عهد الحبيب تُتَرْجمُ ... لِيَهْنِك إلفٌ بالغُوَيرِ مخَيَّمُ
لئِن تندُبي إلْفاً وما شَطَّ حيُّه ... فإني على شَطِّ المَزارِ مُتيَّمُ
وهَبْ سَجْعك الموزون باللحن معرِبٌ ... فدمعِيَ أوْفَى صامتٍ يتكلمُ
لكِ مثلٌ في العَنْدَلِيب وسَجْعِه ... ولي بالفراشِ الشَّبْه والفَرْقُ يُعلَمُ

وله:

يا أيها البدرُ المُنيرُ إذا بدَا ... وإذا رَنَا يا أيُّهذا الرِّيمُ
ومعلِّم الغصنِ الرَّطِيب تمايُلاً ... رق النسيمُ لها فصار يَهيمُ
كم ذا تُمَوِّه عن صَبابةِ عاشقٍ ... صَبٌّ على طولِ الصدود مقيمُ
فارْحَمْ ضَنا جسدِي وحسْن تَصَبُّرِي ... وازعَ الجميلَ فما الجمالُ يدومُ

وله في الْكن:

فلا تعجبوا من لُكْنةٍ في لسانِه ... فمن حُلْوِ فِيه لا يفارقُه الشُّهدُ

وهذا المعنى أصله بالتركيّة، وكنت عرّبْته قبل أن رأيتُ تعريبَه.

Marfat.com

وبيتي هو:

ما لُكنةٌ فيه تشِينُ وإنما تأبَى الحروفُ فِراق شُهْدِ لسانِهِ

ثم رأيت في «ديوان الشهاب» ما زاد عليه، وهو قوله:

بالله حدِّث عن تَلجْلُجِ نُطْقِه سُكْراً وأتحِفني بعذْبِ بَيانِه
أم لا يُريد فِراق عَذْبِ لسانِهِ ألضِيقِ فِيه ليس يخرُج لفظُه

ومما يُستعْذَب هنا قول ابن تميم:

عابُوا التَّلَجْلُجَ في لسانِ مُعذِّبي فأجبْتُهم للصَّبِّ فيه بَيانُ
إن الذي يُنْشِي الحديثَ لسانُه ولسانُه من ريقِه سَكْرانُ

ولهذا الأصل الطيِّب المَغْرِس، فرعٌ لم يزلْ ولا يزال تتعرف فيه المَعالي وتتفرَّس.

وهو أحمد القائم مَقامَ أبيه في رُتْبته، والمُفرِّع لأفانِين البلاغة من سامِي هَضْبته.

زاده الله تعالى فضلاً ونُبْلاً، وضاعف له الثناءَ بَعْداً كما ضاعفَه قَبْلاً.

وذلك إن كان بَقِيَ مزيدٌ بعد التَّمام، على أنه لم يَبْقَ إلا الاسْتدامة كما قال أبو تمَّام:

نعمةُ اللهِ فيه لا أسألُ اللَّـ ـهَ إليها نُغمَى سوى أن تدومَا
ولو انِّي سألتُ كنتُ كمن يسألُه وهْو قائمٌ أن يقُومَا

آخر الجزء الثاني، ويليه الجزء الثالث، وأوله:

الباب الثالث

في نوابغ بلغاء الروم

Marfat.com

فهرس تراجم الجزء الثاني

فصل ذكرت فيه مشاهير البيوت ٣

بيت حمزة: فمنهم: ٣

٦٢- السيد محمد بن السيد كمال الدين ٤

٦٣- أخوه السيد حسين ٩

٦٤- السيد عبد الرحمن بن محمد ١٧

٦٥- السيد عبد الكريم بن محمد ٣٤

٦٦- السيد إبراهيم بن محمد ٤٥

بيت العماد: فمنهم: ٤٩

٦٧- شهاب الدين بن عبد الرحمن ٤٩

٦٨- أخوه إبراهيم ٥٧

٦٩- فضل الله بن شهاب الدين ٦٢

٧٠- علي بن إبراهيم ٦٦

بيت النابلسي: ٧٠

إسماعيل بن أحمد النابلسي ٧٠

٧١- حفيدة إسماعيل بن عبد الغني ٧٠

٧٢- ولده عبد الغني ٧٢

بيت الفرفور: ٨٥

٧٣- أحمد بن ولي الدين ٨٥

٧٤- ولده عبد الوهاب ٨٨

بيت القاري: فمنهم: ٩١

٧٥- عمر بن محمد ٩١

٧٦- حفيدة محمد بن علي ٩٢

٧٧- حسين بن محمد ٩٣

بيت المحبي: ٩٥

Marfat.com

٧٨- القاضي محب الدين ٩٥
٧٩- عبد اللطيف ٩٦
٨٠- أخوه محب الله ٩٩
٨١- محمد بن عبد اللطيف الشهير بالخلوتي ١٠٢
٨٢- السيد أبو الأمداد فضل الله بن محب الله ١٠٤
فصل في شعراء القدس ١٢٢
بيت العلمي: ١٢٢
٨٣- محمد بن عمر الصوفي ١٢٣
بيت أبي اللطف: ١٢٣
٨٤- علي بن جار الله ١٢٤
٨٥- حافظ الدين العجمي ١٢٨
٨٦- مرعي بن يوسف الكرميّ ١٣٢
ومن منشآته: ١٣٤
٨٧- بشير الخليلي ١٣٦
أدباء الرملة: ١٣٨
٨٨- خير الدين بن أحمد الحنفي ١٣٨
٨٩- نجم الدين بن خير الدين ١٤٣
أدباء صفد وصيدا: ١٤٩
٩٠- أحمد الخالدي الصفدي ١٤٩
٩١- حسن الدَّرْزِيّ العَيْلَبُونيّ ١٥٠
٩٢- محمد بن محي الدين، المعروف بالحادي الصَّيْداوِيّ ١٥١
شعراء جبل عاملة: ١٥٣
٩٣- حسين بن عبد الصمد الحارثيّ ١٥٣
٩٤- ولده بهاء الدين ١٥٨
٩٥- حسن بن زين الدين الشهيد ١٦٤
٩٦- سبطه زين الدين بن محمد ١٦٧
٩٧- السيد نور الدين بن أبي الحسن الحسيني ١٦٩
٩٨- ولده السيد جمال الدين ١٧١

Marfat.com

فهرس تراجم الجزء الثاني ٣٨١
٩٩- أخوه السيد علي ١٧٤
١٠٠- نجيب الدين بن محمد بن مَكيّ ١٧٧
١٠١- محمد بن حسن بن علي بن محمد، المعروف بالحُرّ ١٨٥
١٠٢- محمد بن علي بن محمود الحشري ١٩٠
١٠٣- حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن يحيى ٢١١
١٠٤- عبد اللطيف البهائي البَعْليّ ٢٢٠
١٠٥- حسن بن درويش الكاتب الطَّرابُلُسِيّ ٢٢٥
١٠٦- عبد الجليل بن محمد الطَّرابُلُسيّ ٢٢٩
١٠٧- رجب بن حجازي، المعروف بالحريريّ الحِمْصِيّ ٢٣٠
فصل في وصف عمامة: ٢٣٤
١٠٨- عبد النافع بن عمر الحمويّ ٢٣٥
١٠٩- الأمير حسن بن محمد، المعروف بابن الأعوج ٢٣٧
الباب الثاني: في نوادر أدباء حلب ٢٤٣
١١٠- مصطفى بن عثمان البابيّ ٢٤٤
١١١- السيد موسى الرَّامَحْمْدانيّ ٢٦٤
١١٢- أبو مفلح محمد بن فتح الله البَيْلُونيّ ٢٧٠
١١٣- السيد محمد بن عمر العُرْضِيّ ٢٧٤
١١٤- فتح الله بن النحاس ٢٨٨
١١٥- السيد أحمد بن محمد، المعروف بابن النقيب ٣٠٤
١١٦- ولده السيد باكير ٣١٣
١١٧- السيد عبد القادر بن قضيب البان ٣١٨
١١٨- ولده السيد محمد حجازي ٣٢٠
١١٩- السيد عبد الله بن محمد حجازي ٣٢٣
١٢٠- السيد يحيى الصادقي ٣٣٦
١٢١- السيد عطاء الله الصادقي ٣٣٩
١٢٢- السيد محمد التقوى ٣٤٢
١٢٣- السيد أسعد بن البَتْرُونيّ ٣٤٥
١٢٤- السيد حسين النبهانيّ ٣٤٨

Marfat.com

١٢٥- القاضي ناصر الدين الحلفاويّ ٣٥٠
١٢٦- محمد بن تاج الدين الكُورَانِيّ ٣٥١
١٢٧- ولده أبو السعود ٣٥٤
١٢٨- محمد بن أحمد الشَّيْبانيّ ٣٥٥
١٢٩- حسين بن مُهَنّا ٣٥٦
١٣٠- محمد بن عبد الرحمن ٣٥٨
١٣١- محمد بن الشاه بندر ٣٦٠
١٣٢- صالح بن قمر ٣٦٢
١٣٣- صالح بن نصر الله، المعروف بابن سلوم ٣٦٣
١٣٤- مصطفى الزيباريّ ٣٦٤
١٣٥- مصطفى بن محمد بن نجم الدين الحلفاوي ٣٦٥
١٣٦- محمد بن محمد البخشيّ ٣٦٦
١٣٧- إبراهيم بن أبي اليمن البَتْرُونيّ ٣٧٠
١٣٨- أحمد بن محمد المعروف بابن المنلا ٣٧٢
١٣٩- محمد بن حسن الكواكِبيّ ٣٧٦
فهرس تراجم الجزء الثاني ٣٧٩

Marfat.com